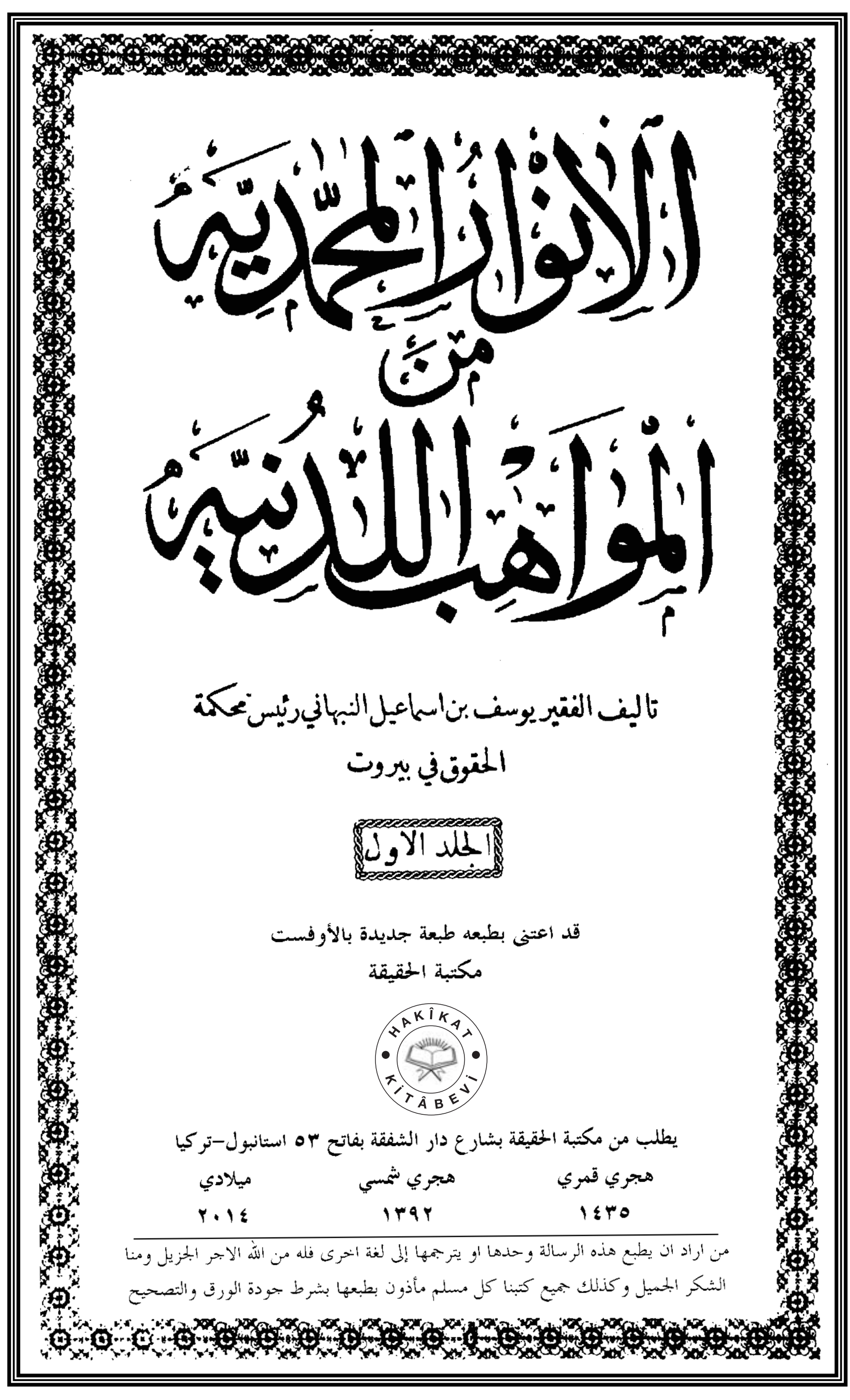


تاليف
الفقير يوسف بن اسماعيل
النبهاني رئيس محكمة الحقوق في بيروت
الأنوار المحمدية
من
المواهب اللدنية
قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست
مكتبة الحقيقة
HAKİKAT KİTABEVİ
HAKİKAT KİTÂBEVİ
Darüşşefeka Cad. 57 P.K.: 35 34083
Tel: 0212 523 45 56 Fax: 0212 523 36 93
http://www.hakikatkitabevi.com
e-mail: bilgi@hakikatkitabevi.com
Fâtih-ISTANBUL
KASIM-2005



الأنوار المحمدية
من
المواهب اللدنية

تاليف الفقير يوسف بن اسماعيل النبهاني رئيس محكمة
الحقوق في بيروت

الجلد الاول

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست
مكتبة الحقيقة

HAKÎKAT KİTÂBEVİ

يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٣ استانبول-تركيا

هجري قمري	هجري شمسي	ميلادي
١٤٣٥	١٣٩٢	٢٠١٤

من اراد ان يطبع هذه الرسالة وحدها او يترجمها إلى لغة اخرى فله من الله الاجر الجزيل ومنا الشكر الجميل وكذلك جميع كتبنا كل مسلم مأذون بطبعها بشرط جودة الورق والتصحيح

Baskı: İhlâs Gazetecilik A.Ş. Merkez Mah. 29 Ekim Cad. İhlâs Plaza No: 11 A/41
34197 Yenibosna-İSTANBUL Tel: 0.212.454 30 00

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَاخْتَارَ مِنْهُمُ الْعَرَبَ وَمِنْهُمْ قُرَيْشًا وَمِنْهُمْ بَنِي هَاشِمٍ وَمِنْهُمْ حَبِيبَهُ مُحَمَّدًا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ * فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَفْوَةُ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ * وَنُخْبَةُ النُّخَبِ وَخِيَارُ الْخِيَارِ * صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ صَلَاةً كَامِلَةً دَائِمَةً يُشَارِكُ فِيهَا الْأَزَلُ الْأَبَدَ * وَلَا يُشَارِكُهُ فِيهَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَحَدٌ * صَلَاةً لَا تُخْبَرُ فَتُحَدَّ * وَلَا تُحْصَرُ فَتُعَدَّ * صَلَاةً نِهَايَةُ أَعْلَى دَرَجَاتِ الْمُقَرَّبِينَ لَا تَصِلُ إِلَى بِدَايَتِهَا فِي الْأَزَلِ وَلَا بِدَايَةَ * وَلَمْ تَزَلْ دَائِمَةَ التَّرَقِّي فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَلَنْ تَزَالَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ لَهَا نِهَايَةٌ * وَعَلَى آلِهِ الْأَقْرَبِينَ * وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ * وَصَحْبِهِ نُجُومِ الْمُهْتَدِينَ * وَرُجُومِ الْمُعْتَدِينَ * وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * أَمَّا بَعْدُ فَيَقُولُ الْفَقِيرُ الْمُذْنِبُ يُوسُفُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ النَّبْهَانِيُّ غَفَرَ اللَّهُ زَلَلَهُ * وَقَبِلَ عَمَلَهُ * وَبَلَّغَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدَّارَيْنِ أَمَلَهُ * لَا يَخْفَى أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا وَنَبِيَّنَا أَبَا الْقَاسِمِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ فِي كُلِّ وَصْفٍ جَمِيلٍ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ * وَالْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ * وَجَمِيعِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ * وَكَافَّةِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ * افْرَادًا وَإِجْمَالًا أَيْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ فَرْدٍ مِنْهُمْ عَلَى حِدَتِهِ وَأَفْضَلُ مِنْ مَجْمُوعِهِمْ لَوِ اجْتَمَعُوا بِمَعْنَى أَنَّ جَمِيعَ فَضَائِلِهِمْ لَوِ اجْتَمَعَتْ فِي كِفَّةِ مِيزَانٍ وَفَضَائِلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى لَرَجَحَتْ

فَضَائِلُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فَضَائِلِهِمْ وَمَا أَحْسَنَ مَا قُلْتُهُ فِي مَطْلَعِ ٱلْقَصِيدَةِ ٱلثَّانِيَةِ إِحْدَى ٱلْقَصَائِدِ ٱلسَّبْعِ ٱلَّتِي خَتَمْتُ بِهَا كِتَابِي أَفْضَلَ ٱلصَّلَوَاتِ عَلَى سَيِّدِ ٱلسَّادَاتِ وَكُلُّهَا تَخَامِيسُ عَلَى نَحْوِ هٰذَا ٱلْأُسْلُوبِ ٱلْحَسَنِ

سَيِّدُ ٱلرُّسْلِ قَدْرُهُ مَعْلُومُ　　أَيْنَ مِنْهُ ٱلْمَسِيحُ أَيْنَ ٱلْكَلِيمُ

أَيْنَ نُوحٌ وَأَيْنَ إِبْرَاهِيمُ　　كُلُّهُمْ عَنْ مَقَامِهِ مَفْطُومُ

فَعَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلتَّسْلِيمُ

أَيْنَ جِبْرِيلُ أَيْنَ إِسْرَافِيلُ　　أَيْنَ مِيكَالُ أَيْنَ عِزْرَائِيلُ

فَعَلَيْهِمْ طُرًّا لَهُ ٱلتَّفْضِيلُ　　وَبِمِعْرَاجِهِ دَلِيلٌ قَوِيمُ

فَعَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلتَّسْلِيمُ

أَيْنَ كُلُّ ٱلْعَوَالِمِ ٱلْعُلْوِيَّهْ　　أَيْنَ كُلُّ ٱلْعَوَالِمِ ٱلسُّفْلِيَّهْ

أَيْنَ كُلُّ ٱلْوَرَى بِكُلِّ مَزِيَّهْ　　إِنَّمَا فَوْقَهُ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ

فَعَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلتَّسْلِيمُ

إِذَا عَلِمْتَ ذٰلِكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ فَضَائِلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَزَايَاهُ * مَعْرِفَةً تُحِيطُ بِهَا مِنْ كُلِّ ٱلْوُجُوهِ وَلَوِ ٱجْتَمَعَ لِذٰلِكَ كُلُّ مَنْ عَدَاهُ * إِذْ لَا يَعْرِفُ حَقِيقَتَهُ وَلَا يُحِيطُ بِفَضَائِلِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إِلَّا ٱللهُ * وَمَا زَالَ مَهَرَةُ ٱلْعُلَمَاءِ يَغُوصُونَ فِي لُجَجِ بُحُورِهَا ٱلزَّوَاخِرِ * فَيَسْتَخْرِجُونَ مِنْهَا رَوَائِعَ ٱللَّآلِي وَبَدَائِعَ ٱلْجَوَاهِرِ * فَمِنْهُمْ مَنْ نَظَمَهَا عُقُودًا زَيَّنَ بِهَا جِيدَ ٱلزَّمَانِ * وَمِنْهُمْ مَنْ نَثَرَهَا عَلَى بِسَاطِ ٱلْبَسِيطَةِ فَٱسْتَغْنَى بِهَا أَهْلُ ٱلْمَعْرِفَةِ وَٱلْإِيمَانِ * أَلَّفُوا فِيهَا

الْكُتُبَ وَدَوَّنُوا الدَّوَاوِينَ * وَرَوَوْا أَخْبَارَهَا عَنْ كُلِّ صَادِقٍ أَمِينٍ * فَمِنْهُمْ مَنِ اخْتَصَرَ فِي تَأْلِيفِهِ فَأَجَادَ * وَمِنْهُمْ مَنْ أَطَالَ فَأَطَابَ وَأَفَادَ * وَمِنْهُمْ مَنْ تَوَسَّطَ وَكَانَ مَذْهَبُهُ حُسْنَ الاقْتِصَادِ * فَمِنَ الْمُخْتَصِرِينَ الْإِمَامُ الْبَارِعُ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَحَسْبُكَ بِكِتَابِهِ الشِّفَاءِ الَّذِي سَارَ فِي الْآفَاقِ * وَوَقَعَ عَلَى قَبُولِهِ الْاِتِّفَاقُ * وَمِنَ الْمُطَوِّلِينَ الْإِمَامُ الْهُمَامُ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْصَارِيُّ لَمْ أَطَّلِعْ عَلَى كِتَابِهِ وَإِنَّمَا رَأَيْتُ فِي آخِرِ نَفْحِ الطِّيبِ بَعْدَ أَنْ نَقَلَ مِنْهُ شَيْئًا مِنَ الْمَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ مَا نَصُّهُ: نَقَلْتُهُ مِنَ الْمُجَلَّدِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ كِتَابِ مُنْتَهَى السُّولِ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ لِلْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ عُذْرَةَ الْمَغْرِبِيِّ الْأَنْصَارِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَرَضِيَ عَنْهُ اهـ * وَمِنَ الْمُتَوَسِّطِينَ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ شِهَابُ الدِّينِ الْقَسْطَلَّانِيُّ فِي كِتَابِهِ الْمَوَاهِبِ اللَّدُنِّيَّةِ بِالْمِنَحِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَهُوَ مُجَلَّدَانِ ضَخْمَانِ سَارَتْ بِهِ الرُّكْبَانُ * فِي سَائِرِ الْبُلْدَانِ * وَلَمْ يَشْتَهِرْ أَجْمَعُ وَأَنْفَعُ مِنْهُ مِنْ مُؤَلَّفَاتِ هٰذَا الشَّأْنِ * إِلَّا أَنَّ مُؤَلِّفَهُ رَحِمَهُ اللهُ وَنَفَعَنَا بِهِ أَكْثَرَ فِيهِ مِنَ الْاِسْتِطْرَادِ إِلَى دَلَائِلَ أُصُولِيَّةٍ * وَمَسَائِلَ فُرُوعِيَّةٍ * وَمُنَاقَشَاتٍ مَذْهَبِيَّةٍ * وَمَبَاحِثَ خِلَافِيَّةٍ * وَشَحَنَهُ بِفَرَائِدَ بَهِيَّةٍ * وُجِدَتْ فِي غَيْرِ مَكَانِهَا * وَفَوَاكِهَ شَهِيَّةٍ * أَتَتْ فِي غَيْرِ زَمَانِهَا * وَهُوَ رَحِمَهُ اللهُ صَرَّحَ بِذٰلِكَ فِي الْفَصْلِ الثَّالِثِ مِنَ الْمَقْصِدِ السَّابِعِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: وَقَدْ أَطَلْتُ الْمَقَالَ وَإِنَّمَا جَرَّنِي إِلَى ذٰلِكَ ذِكْرُ حَمْلِ الصِّدِّيقِ لِلْحَسَنِ عَلَى عَاتِقِهِ ثُمَّ قَالَ بَعْدَ أَسْطُرٍ وَهٰذَا وَقَعَ لِي كَثِيرًا

فِي هٰذَا الْمَجْمُوعِ بَلْ فِي غَالِبِهِ لٰكِنَّهُ لا يَخْلُو مِنْ فَرَائِدِ الْفَوَائِدِ اه * فَكَانَ كِتَابُهُ رَحِمَهُ اللّٰهُ بِذٰلِكَ كَثِيرَ الْعِلْمِ كَبِيرَ الْحَجْمِ * وَصَارَ عَزِيزَ الْحُصُولِ مَقْصُورَ النَّفْعِ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ * وَمَعَ كَثْرَةِ تَدَاوُلِهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ الأَعْلامِ * وَظُهُورِ وُجُوبِ اخْتِصَارِهِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ * لَمْ أَرَ لَهُ مُخْتَصَرًا * وَلَمْ أَسْمَعْ لَهُ خَبَرًا * مَعَ اطِّلاعِي مِنْ أَسْمَاءِ الْكُتُبِ عَلَى مَا لا أَكَادُ أُحْصِيهِ * نَعَمْ رَأَيْتُ بَعْدَ شُرُوعِي بِاخْتِصَارِهِ فِي خُلاصَةِ الأَثَرِ فِي تَرْجَمَةِ الْعَلاَّمَةِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ الْوَارِثِيِّ أَنَّهُ شَرَعَ فِي اخْتِصَارِهِ وَمَاتَ قَبْلَ إِكْمَالِهِ رَحِمَهُ اللّٰهُ * وَقَدْ وَفَّقَنِي اللّٰهُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ لاِخْتِصَارِهِ بِحَذْفِ مَا ذَكَرْتُهُ مِنَ الْمَبَاحِثِ الزَّوَائِدِ * مَعَ اسْتِيفَاءِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الأَخْبَارِ وَالْفَوَائِدِ * اخْتَصَرْتُهُ أَحْسَنَ اخْتِصَارٍ اقْتَصَرْتُ بِهِ مِنْهُ عَلَى لُبَابِهِ * وَجَرَّدْتُ سَيْفَهُ الصَّقِيلَ مِنْ قِرَابِهِ * وَأَمَطْتُ عَنْ وَجْهِهِ الْجَمِيلِ سِتَارَ نِقَابِهِ * وَأَزَلْتُ عَنْ بَدْرِهِ الْمُنِيرِ حِجَابَ سَحَابِهِ * فَكَانَ مُسْتَوْفِيًا لِكَافَّةِ شُرُوطِ الْحُسْنِ وَجَمِيعِ أَسْبَابِهِ * وَقَدْ جَاءَ بِحَمْدِ اللّٰهِ أَقَلَّ مِنْ نِصْفِ حَجْمِهِ * مَعَ بَقَاءِ كُلِّ الْمَقْصُودِ مِنْ عِلْمِهِ * وَصَارَ سَهْلَ الْحُصُولِ مَعَ سُهُولَةِ فَهْمِهِ * إِذْ جَمَعْتُ أَشْتَاتَ مَعَانِيهِ وَضَمَمْتُ كُلَّ شَكْلٍ إِلَى شَكْلِهِ * وَجَعَلْتُهُ بِحَالَةٍ مَأْلُوفَةٍ لا عُذْرَ مَعَهَا لِمُؤْمِنٍ فِي جَهْلِهِ * مَعَ الْحِرْصِ عَلَى بَقَاءِ عِبَارَاتِ مُصَنِّفِهِ الْعَلاَّمَةِ النِّحْرِيرِ * وَرُبَّمَا تَصَرَّفْتُ بِهَا فِي النَّزْرِ النَّادِرِ بِتَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ * أَوْ إِكْمَالِ حَدِيثٍ أَوْ تَبْدِيلٍ يَسِيرٍ * أَوْ زِيَادَةِ تَفْسِيرٍ مِنَ الشَّارِحِ أَوْ نِهَايَةِ ابْنِ الأَثِيرِ * عَقِبَ بَعْضِ الأَلْفَاظِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي تَرَكَهَا بِلا تَفْسِيرٍ * وَلَمَّا تَمَّ

اخْتِصَارُهُ*وَأَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ* سَمَّيْتُهُ ﴿الأنوارَ المُحَمَّدِيَّةَ مِنَ المَوَاهِبِ اللَّدُنِّيَّةِ﴾ فَدُونَكَهُ مُخْتَصَرًا طَابَ أَصْلُهُ فَطَابَ *وَتَجَلَّتْ شُمُوسُ مَعَانِيهِ مِنْ تَحْتِ سَحَابِ الإِسْهَابِ * جَمَعَ مِنْ فَضَائِلِهِ وَشُؤُنِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ يَجْمَعْهُ فِي حَجْمِهِ كِتَابٌ*وَاشْتَرَكَ فِي سُهُولَةِ فَهْمِهِ وَالإِنْتِفَاعِ بِعِلْمِهِ العَامَّةُ وَالعُلَمَاءُ وَالطُّلَّابُ *فَأَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ * رَبَّ العَرْشِ الكَرِيمِ * أَنْ يَجْعَلَهُ سَبَبًا لِمَحَبَّتِهِ وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ الرَّؤُفِ الرَّحِيمِ *وَأَنْ يَنْفَعَنِي وَالمُسْلِمِينَ بِهِ كَمَا نَفَعَ بِأَصْلِهِ الأَصِيلِ *وَأَنْ يَتَقَبَّلَهُ مِنِّي *وَيَعْفُوَ بِهِ عَنِّي *وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الوَكِيلُ*وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ لَا يُغْنِي عَنِ اقْتِنَاءِ أَصْلِهِ المَوَاهِبِ اللَّدُنِّيَّةِ*فَقَدْ جَمَعَتْ أَشْتَاتَ العُلُومِ الدِّينِيَّةِ زِيَادَةً عَلَى المِنَحِ المُحَمَّدِيَّةِ * فَلَا يَسْتَغْنِي عَنْهَا أَحَدٌ مِنَ العُلَمَاءِ الأَعْلَامِ *فَضْلًا عَمَّنْ دُونَهُمْ مِنْ أَفَاضِلِ الإِسْلَامِ *وَإِنِّي أَرْوِيهَا بِالإِجَازَةِ مِنْ جُمْلَةِ طُرُقٍ مِنْهَا طَرِيقُ أُسْتَاذِي العَلَّامَةِ الإِمَامِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ السَّقَّا المِصْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ وَهُوَ عَنْ عِدَّةِ أَشْيَاخٍ مِنْهُمُ الشَّيْخُ ثُعَيْلِبٌ عَنْ شَيْخَيْهِ الأَحْمَدَيْنِ المَلَوِيِّ وَالجَوْهَرِيِّ وَهُمَا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَالِمٍ البَصْرِيِّ عَنِ الشَّيْخِ مَنْصُورٍ الطُّوخِيِّ عَنِ الشَّيْخِ سُلْطَانَ المَزَّاحِيِّ عَنِ الشَّيْخِ نُورِ الدِّينِ الزِّيَادِيِّ عَنْ قُطْبِ الوُجُودِ أَبِي الحَسَنِ البَكْرِيِّ عَنْ مُؤَلِّفِهَا الشَّيْخِ شِهَابِ الدِّينِ القَسْطَلَّانِيِّ وَكُلُّهُمْ أَئِمَّةٌ شَافِعِيُّونَ وَجَمِيعُهُمْ مِصْرِيُّونَ مَا عَدَا عَبْدَ اللهِ بْنَ سَالِمٍ رَحِمَهُمُ اللهُ وَنَفَعَنَا بِهِمْ*وَجَعَلْتُ تَرْتِيبَ هٰذَا المُخْتَصَرِ كَأَصْلِهِ المَوَاهِبِ اللَّدُنِّيَّةِ عَلَى عَشَرَةِ مَقَاصِدَ :

المقصد الأول في تشريف الله تعالى له عليه الصلاة والسلام بسبق نبوته في الأزل وطهارة نسبه وآيات حمله وولادته ورضاعه وحضانته وأخبار بعثته وهجرته ومغازيه وسراياه وبعوثه وسيرته مرتبًا على السنين من حين نشأته إلى وقت وفاته صلى الله عليه وسلم * الصفحة ٩

المقصد الثاني في ذكر أسمائه الشريفة وأولاده الطاهرين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين وأعمامه وعماته وإخوته من الرضاعة وجداته وخدمه ومواليه وحرسه وكتابه وكتبه إلى الملوك وغيرهم ومؤذنيه وخطبائه وحداته وشعرائه وآلات حروبه ودوابه والوافدين إليه صلى الله عليه وسلم وفيه عشرة فصول * الصفحة ١٣٥

المقصد الثالث فيما فضله الله سبحانه وتعالى به من كمال خلقته وجمال صورته وأخلاقه الزكية وأوصافه المرضية وما تدعو ضرورة حياته إليه صلى الله عليه وسلم وهذا المقصد جامع لشمائله الشريفة عليه الصلاة والسلام وفيه ثلاثة فصول * الصفحة ١٩٤

المقصد الرابع في معجزاته عليه الصلاة والسلام الدالة على ثبوت نبوته وصدق رسالته وما خصه الله به من خصائص آياته وبدائع كراماته صلى الله عليه وسلم وفيه فصلان * الصفحة ٢٦٣

المقصد الخامس في تخصيصه عليه الصلاة والسلام بخصائص المعراج والإسرا وتعميمه بعموم لطائف التكريم في حضرة التقريب بالمكالمة والمشاهدة

ٱلْكُبْرَى * الصّفحة ٣٣٢
أَلْمَقْصِدُ ٱلسَّادِسُ فِيمَا وَرَدَ فِي آيِ ٱلتَّنْزِيلِ مِنْ تَعْظِيمِ قَدْرِهِ وَرِفْعَةِ ذِكْرِهِ وَشَهَادَتِهِ تَعَالَى لَهُ بِصِدْقِ نُبُوَّتِهِ وَقَسَمِهِ عَلَى تَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ وَعُلُوِّ مَنْصِبِهِ وَوُجُوبِ طَاعَتِهِ وَٱتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَأَخْذِهِ تَعَالَى لَهُ ٱلْمِيثَاقَ عَلَى سَائِرِ ٱلنَّبِيِّينَ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ إِنْ أَدْرَكُوهُ وَلَيَنْصُرُنَّهُ وَٱلتَّنْوِيهِ بِهِ فِي ٱلْكُتُبِ ٱلسَّالِفَةِ كَٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنْجِيلِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ وَفِيهِ عَشَرَةُ أَنْوَاعٍ * الصّفحة ٣٥٣
أَلْمَقْصِدُ ٱلسَّابِعُ فِي وُجُوبِ مَحَبَّتِهِ وَٱتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَٱلِاهْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ وَفَرْضِ مَحَبَّةِ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَحُكْمِ ٱلصَّلَاةِ وَٱلتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ ثَلَاثَةُ فُصُولٍ * الصّفحة ٤٠٩
أَلْمَقْصِدُ ٱلثَّامِنُ فِي طِبِّهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِذَوِي ٱلْأَمْرَاضِ وَٱلْعَاهَاتِ وَتَعْبِيرِهِ ٱلرُّؤْيَا وَإِنْبَائِهِ بِٱلْأَنْبَاءِ ٱلْمُغَيَّبَاتِ وَفِيهِ ثَلَاثَةُ فُصُولٍ *
أَلْمَقْصِدُ ٱلتَّاسِعُ فِي لَطِيفَةٍ مِنْ حَقَائِقِ عِبَادَاتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ سَبْعَةُ أَنْوَاعٍ *
أَلْمَقْصِدُ ٱلْعَاشِرُ فِي إِتْمَامِ ٱللهِ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ بِوَفَاتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنُقْلَتِهِ إِلَيْهِ وَزِيَارَةِ قَبْرِهِ ٱلشَّرِيفِ وَمَسْجِدِهِ ٱلْمُنِيفِ وَتَفْضِيلِهِ فِي ٱلْآخِرَةِ بِفَضَائِلِ ٱلْأَوَّلِيَّاتِ وَتَشْرِيفِهِ بِخَصَائِصِ ٱلزُّلْفَى فِي مَشْهَدِ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَٱلْمُرْسَلِينَ وَتَخْصِيصِهِ بِٱلشَّفَاعَةِ ٱلْعُظْمَى وَٱلْمَقَامِ ٱلْمَحْمُودِ فِي مَجْمَعِ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ وَتَرَقِّيهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ٱلْجَنَّاتِ إِلَى أَعْلَى ٱلدَّرَجَاتِ * الصّفحة ٥٩٦

المقصد الاول

في تشريف الله تعالى له عليه الصلاة والسلام بسبق نبوته في الأزل وطهارة نسبه وآيات حمله وولادته ورضاعه وحضانته وأخبار بعثته وهجرته ومغازيه وسراياه وبعوثه وسيرته مرتبا على السنين من حين نشأته إلى وقت وفاته صلى الله عليه وسلم

إعلم أنه لما تعلقت إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها ثم أعلمه بنبوته وآدم لم يكن إلا كما قال صلى الله عليه وسلم بين الروح والجسد ثم انبجست منه صلى الله عليه وسلم عيون الأرواح فهو الجنس العالي على جميع الأجناس والأب الأكبر لجميع الموجودات ولما انتهى الزمان بالإسم الباطن في حقه صلى الله عليه وسلم إلى وجود جسمه وارتباط الروح به انتقل حكم الزمان إلى الإسم الظاهر وظهر محمد صلى الله عليه وسلم بكليته جسما وروحا في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ومن جملة ما كتب في الذكر وهو أم الكتاب إن محمدا خاتم النبيين * وعن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته أي طريح

سُلقي قبل نفخ الروح فيه* وعن ميسرة الضبي قال قلت يا رسول الله متى
كنت نبياً قال وآدم بين الروح والجسد* وعن سهيل بن صالح الهمداني
قال سألت أبا جعفر محمد بن علي كيف صار محمد صلى الله عليه وسلم يتقدم
الأنبياء وهو آخر من بعث قال إن الله تعالى لما أخذ من بني آدم من
ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم «ألست بربكم» كان محمد
صلى الله عليه وسلم أول من قال بلى ولذلك صار يتقدم الأنبياء وهو آخر
من بعث* وعن الشيخ تقي الدين السبكي أنه قد جاء أن الله خلق
الأرواح قبل الأجساد فالإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كنت نبياً إلى
روحه الشريفة أو إلى حقيقته والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وإنما يعلمها
خالقها ومن أمده الله تعالى بنور إلهي فحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم قد
آتاها الله وصف النبوة من قبل خلق آدم إذ خلقها متهيئة لذلك وأفاضه عليها
من ذلك الوقت فصار نبياً وكتب اسمه على العرش وأخبر عنه بالرسالة ليعلم
ملائكته وغيرهم كرامته عنده فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وإن تأخر
جسده الشريف المتصف بها* وعن الشعبي قال رجل يا رسول الله متى
استنبئت قال وآدم بين الروح والجسد حين أخذ مني الميثاق فهو أول
النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً* وعن بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم خص
باستخراجه من ظهر آدم قبل نفخ الروح لأنه صلى الله عليه وسلم هو المقصود
من خلق النوع الإنساني وهو عينه وخلاصته وواسطة عقده* وروي عن علي

ابن أبي طالب كرّم الله وجهه أنه قال لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد صلّى الله عليه وسلّم لئن بعث وهو حيّ ليؤمننّ به ولينصرنّه ويأخذ بذلك العهد على قومه وهو يروى عن ابن عبّاس أيضا * وقيل إنّ الله تعالى لمّا خلق نور نبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلّم أمره أن ينظر إلى أنوار الأنبياء عليهم السلام فغشيهم منه ما أنطقهم الله به فقالوا يا ربّنا من غشينا نوره فقال الله تعالى هذا نور محمد بن عبد الله إن آمنتم به جعلتكم أنبياء قالوا آمنّا به وبنبوّته فقال الله تعالى أشهد عليكم قالوا نعم فذلك قوله تعالى " وإذ أخذ الله ميثاق النبيّين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثمّ جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرنّه " إلى قوله تعالى " وأنا معكم من الشاهدين " قال الشيخ تقيّ الدين السبكيّ في هذه الآية الشريفة من التنويه بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم وتعظيم قدره العليّ ما لا يخفى وفيها مع ذلك أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلاً إليهم فتكون نبوّته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة وتكون الأنبياء وأممهم كلّهم من أمّته ويكون قوله صلّى الله عليه وسلّم وبعثت إلى النّاس كافّة لا يختصّ به النّاس من زمانه إلى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم أيضا ويتبيّن بهذا معنى قوله صلّى الله عليه وسلّم كنت نبيّا وآدم بين الرّوح والجسد * فإذا عرف هذا فالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم نبيّ الأنبياء ولهذا ظهر ذلك في الآخرة جميع الأنبياء تحت لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الإسراء صلّى بهم ولو اتّفق مجيئه في زمن

آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى صَلَوَاتُ ٱللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ وَجَبَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أُمَمِهِمُ ٱلْإِيمَانُ بِهِ وَنُصْرَتُهُ وَبِذَٰلِكَ أَخَذَ ٱللَّهُ ٱلْمِيثَاقَ عَلَيْهِمْ * وَعَنْ كَعْبِ ٱلْأَحْبَارِ قَالَ لَمَّا أَرَادَ ٱللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ جِبْرِيلَ أَنْ يَأْتِيَهُ بِٱلطِّينَةِ ٱلَّتِي هِيَ قَلْبُ ٱلْأَرْضِ وَبَهَاؤُهَا وَنُورُهَا قَالَ فَهَبَطَ جِبْرِيلُ فِي مَلَائِكَةِ ٱلْفِرْدَوْسِ وَمَلَائِكَةِ ٱلرَّقِيعِ ٱلْأَعْلَى فَقَبَضَ قَبْضَةَ رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَوْضِعِ قَبْرِهِ ٱلشَّرِيفِ وَهِيَ بَيْضَاءُ مُنِيرَةٌ فَعُجِنَتْ بِمَاءِ ٱلتَّسْنِيمِ فِي مَعِينِ أَنْهَارِ ٱلْجَنَّةِ حَتَّى صَارَتْ كَٱلدُّرَّةِ ٱلْبَيْضَاءِ لَهَا شُعَاعٌ عَظِيمٌ ثُمَّ طَافَتْ بِهَا ٱلْمَلَائِكَةُ حَوْلَ ٱلْعَرْشِ وَٱلْكُرْسِيِّ وَفِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ وَٱلْبِحَارِ فَعَرَفَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ وَجَمِيعُ ٱلْخَلْقِ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا وَفَضْلَهُ قَبْلَ أَنْ تَعْرِفَ آدَمَ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ * قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ أَصْلُ طِينَةِ رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سُرَّةِ ٱلْأَرْضِ بِمَكَّةَ وَمِنْ مَوْضِعِ ٱلْكَعْبَةِ دُحِيَتِ ٱلْأَرْضُ فَصَارَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ ٱلْأَصْلُ فِي ٱلتَّكْوِينِ وَٱلْكَائِنَاتُ تَبَعٌ لَهُ * وَعَنْ صَاحِبِ عَوَارِفِ ٱلْمَعَارِفِ أَنَّ ٱلْمَاءَ يَعْنِي فِي ٱلطُّوفَانِ لَمَّا تَمَوَّجَ رَمَى بِٱلزَّبَدِ إِلَى ٱلنَّوَاحِي فَوَقَعَتْ جَوْهَرَةُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَا يُحَاذِي تُرْبَتَهُ بِٱلْمَدِينَةِ فَكَانَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكِّيًّا مَدَنِيًّا * وَيُرْوَى أَنَّهُ لَمَّا خَلَقَ ٱللَّهُ تَعَالَى آدَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَلْهَمَهُ أَنْ قَالَ يَا رَبِّ لِمَ كَنَّيْتَنِي أَبَا مُحَمَّدٍ قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى يَا آدَمُ ٱرْفَعْ رَأْسَكَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَرَأَى نُورَ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُرَادِقِ ٱلْعَرْشِ فَقَالَ يَا رَبِّ مَا هٰذَا ٱلنُّورُ قَالَ هٰذَا نُورُ نَبِيٍّ

مِن ذُرِّيَّتِكَ اسْمُهُ فِي السَّمَاءِ أَحْمَدُ وَفِي الأَرْضِ مُحَمَّدٌ لَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُكَ وَلَا خَلَقْتُ سَمَاءً وَلَا أَرْضًا * وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ بِسَنَدِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَخْبِرْنِي عَنْ أَوَّلِ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَى قَبْلَ الأَشْيَاءِ قَالَ يَا جَابِرُ إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ قَبْلَ الأَشْيَاءِ نُورَ نَبِيِّكَ مِنْ نُورِهِ فَجَعَلَ ذٰلِكَ النُّورُ يَدُورُ بِالْقُدْرَةِ حَيْثُ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَلَمْ يَكُنْ فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ لَوْحٌ وَلَا قَلَمٌ وَلَا جَنَّةٌ وَلَا نَارٌ وَلَا مَلَكٌ وَلَا سَمَاءٌ وَلَا أَرْضٌ وَلَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ وَلَا جِنِّيٌّ وَلَا إِنْسِيٌّ فَلَمَّا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ قَسَمَ ذٰلِكَ النُّورَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ فَخَلَقَ مِنَ الْجُزْءِ الأَوَّلِ الْقَلَمَ وَمِنَ الثَّانِي اللَّوْحَ وَمِنَ الثَّالِثِ الْعَرْشَ ثُمَّ قَسَمَ الْجُزْءَ الرَّابِعَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ فَخَلَقَ مِنَ الْجُزْءِ الأَوَّلِ حَمَلَةَ الْعَرْشِ وَمِنَ الثَّانِي الْكُرْسِيَّ وَمِنَ الثَّالِثِ بَاقِيَ الْمَلَائِكَةِ ثُمَّ قَسَمَ الْجُزْءَ الرَّابِعَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ فَخَلَقَ مِنَ الأَوَّلِ السَّمٰوَاتِ وَمِنَ الثَّانِي الأَرَضِينَ وَمِنَ الثَّالِثِ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ ثُمَّ قَسَمَ الرَّابِعَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ فَخَلَقَ مِنَ الأَوَّلِ نُورَ أَبْصَارِ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنَ الثَّانِي نُورَ قُلُوبِهِمْ وَهِيَ الْمَعْرِفَةُ بِاللهِ تَعَالَى وَمِنَ الثَّالِثِ نُورَ أُنْسِهِمْ وَهُوَ التَّوْحِيدُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ * وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كُنْتُ نُورًا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ بِأَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ عَامٍ * وَفِي الْخَبَرِ لَمَّا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى آدَمَ جَعَلَ ذٰلِكَ النُّورَ فِي ظَهْرِهِ فَكَانَ يَلْمَعُ فِي جَبِينِهِ فَيَغْلِبُ عَلَى سَائِرِ نُورِهِ ثُمَّ رَفَعَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى سَرِيرِ مَمْلَكَتِهِ وَحَمَلَهُ عَلَى أَكْتَافِ مَلَائِكَتِهِ وَأَمَرَهُمْ فَطَافُوا بِهِ فِي السَّمٰوَاتِ

لِيَرَى عَجَائِبَ مَلَكُوتِهِ * وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ خَلْقُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي وَقْتِ الزَّوَالِ إِلَى الْعَصْرِ ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ حَوَّاءَ زَوْجَتَهُ مِنْ ضِلَعٍ مِنْ أَضْلَاعِهِ الْيُسْرَى وَهُوَ نَائِمٌ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ وَرَآهَا سَكَنَ إِلَيْهَا وَمَدَّ يَدَهُ لَهَا فَقَالَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ مَهْ يَا آدَمُ قَالَ وَلِمَ وَقَدْ خَلَقَهَا اللَّهُ لِي فَقَالُوا حَتَّى تُؤَدِّيَ مَهْرَهَا قَالَ وَمَا مَهْرُهَا قَالُوا تُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَفِي رِوَايَةٍ عِشْرِينَ مَرَّةً * وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ آدَمُ مِنَ الْجَنَّةِ رَأَى مَكْتُوبًا عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ وَعَلَى كُلِّ مَوْضِعٍ فِي الْجَنَّةِ اسْمَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقْرُونًا بِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ يَا رَبِّ هٰذَا مُحَمَّدٌ مَنْ هُوَ فَقَالَ هٰذَا وَلَدُكَ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُكَ فَقَالَ يَا رَبِّ بِحُرْمَةِ هٰذَا الْوَلَدِ ارْحَمْ هٰذَا الْوَالِدَ فَنُودِيَ يَا آدَمُ لَوْ تَشَفَّعْتَ إِلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ فِي أَهْلِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَشَفَّعْنَاكَ * وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَّا غَفَرْتَ لِي فَقَالَ اللَّهُ يَا آدَمُ وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ قَالَ لِأَنَّكَ يَا رَبِّ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى صَدَقْتَ يَا آدَمُ إِنَّهُ لَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ وَإِذْ سَأَلْتَنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ * وَفِي حَدِيثِ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ هَبَطَ جِبْرِيلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ إِنْ كُنْتُ اتَّخَذْتُ إِبْرَاهِيمَ

خَليلاً فَقَدِ اُتَّخَذْتُكَ حَبِيباً وَمَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْكَ وَلَقَدْ خَلَقْتُ الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا لِأُعَرِّفَهُمْ كَرَامَتَكَ وَمَنْزِلَتَكَ عِنْدِي وَلَوْلَاكَ مَا خَلَقْتُ الدُّنْيَا* وَقَدْ وَلَدَتْ حَوَّاءُ مِنْ آدَمَ أَرْبَعِينَ وَلَداً فِي عِشْرِينَ بَطْناً وَوَضَعَتْ شِيثاً وَحْدَهُ كَرَامَةً لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ نُورَهُ انْتَقَلَ مِنْ آدَمَ إِلَى شِيثٍ وَقَبْلَ وَفَاتِهِ جَعَلَهُ وَصِيّاً عَلَى وَلَدِهِ ثُمَّ أَوْصَى شِيثٌ وَلَدَهُ بِوَصِيَّةِ آدَمَ أَنْ لَا يَضَعَ هٰذَا النُّورَ إِلَّا فِي الْمُطَهَّرَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَلَمْ تَزَلْ هٰذِهِ الْوَصِيَّةُ جَارِيَةً تَنْقُلُ مِنْ قَرْنٍ إِلَى قَرْنٍ إِلَى أَنْ أَدَّى اللّٰهُ النُّورَ إِلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَوَلَدِهِ عَبْدِ اللّٰهِ وَطَهَّرَ اللّٰهُ هٰذَا النَّسَبَ الشَّرِيفَ مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ كَمَا وَرَدَ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَرْضِيَّةِ * قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا وَلَدَنِي مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ مَا وَلَدَنِي إِلَّا نِكَاحُ الْإِسْلَامِ * وَرَوَى هِشَامُ ابْنُ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَتَبْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسَمِائَةِ أُمٍّ فَمَا وَجَدْتُ فِيهِنَّ سِفَاحاً وَلَا شَيْئاً مِمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ *وَعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي وَلَمْ يُصِبْنِي مِنْ سِفَاحِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ* وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَلْتَقِ أَبَوَايَ قَطُّ عَلَى سِفَاحٍ لَمْ يَزَلِ اللّٰهُ يَنْقُلُنِي مِنَ الْأَصْلَابِ الطَّيِّبَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ مُصَفًّى مُهَذَّباً لَا تَتَشَعَّبُ شُعْبَتَانِ إِلَّا كُنْتُ فِي خَيْرِهِمَا* وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ قَرَأَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " لَقَدْ جَاءَكُمْ

رسول من أنفسكم » بفتح الفاء وقال أنا أنفسكم نسباً وصهراً وحسباً ليس في آبائي من لدن آدم سفاح * وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام قال قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلاً أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم * وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت منه * وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم * وعن العباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقتهم وخير الفريقين ثم تخير القبائل فجعلني في خير بيوتهم فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً أي خيرهم روحاً وذاتاً وخيرهم أصلاً * وعن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختارني من العرب فلم أزل خياراً من خيار ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم * واعلم أنه عليه الصلاة والسلام لم يشركه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت لانتهاء صفوتهما إليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصاً بنسب جعله الله تعالى للنبوة غاية ولتمام الشرف

نِهَايَةً وَأَنتَ إِذَا اخْتَبَرْتَ حَالَ نَسَبِهِ وَعَلِمْتَ طَهَارَةَ مَوْلِدِهِ تَيَقَّنْتَ أَنَّهُ سُلَالَةُ آبَاءٍ كِرَامٍ فَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّبِيُّ الْعَرَبِيُّ الْأَبْطَحِيُّ الْحَرَمِيُّ الْهَاشِمِيُّ الْقُرَشِيُّ نُخْبَةُ بَنِي هَاشِمٍ الْمُخْتَارُ الْمُنْتَخَبُ مِنْ خَيْرِ بُطُونِ الْعَرَبِ وَأَعْرَقِهَا فِي النَّسَبِ وَأَشْرَفِهَا فِي الْحَسَبِ وَأَنْضَرِهَا عُودًا وَأَطْوَلِهَا عَمُودًا وَأَطْيَبِهَا أَرُومَةً وَأَعَزِّهَا جُرْثُومَةً وَأَفْصَحِهَا لِسَانًا وَأَوْضَحِهَا بَيَانًا وَأَرْجَحِهَا مِيزَانًا وَأَصَحِّهَا إِيمَانًا وَأَعَزِّهَا نَفَرًا وَأَكْرَمِهَا مَعْشَرًا مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَمِنْ أَكْرَمِ بِلَادِ اللهِ عَلَى اللهِ فَهُوَ سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الذَّبِيحِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَاسْمُهُ شَيْبَةُ الْحَمْدِ بْنِ هَاشِمٍ وَاسْمُهُ عَمْرُو بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَاسْمُهُ الْمُغِيرَةُ بْنِ قُصَيٍّ وَاسْمُهُ مُجَمِّعُ بْنِ كِلَابٍ وَاسْمُهُ حَكِيمُ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ وَكَانَتْ تَجْتَمِعُ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَيَخْطُبُهُمْ وَيُذَكِّرُهُمْ بِمَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُعْلِمُهُمْ بِأَنَّهُ مِنْ وَلَدِهِ وَيَأْمُرُهُمْ بِاتِّبَاعِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ ابْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ وَاسْمُهُ قُرَيْشٌ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ وَاسْمُهُ قَيْسٌ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ ابْنِ الْيَاسِ وَيُذْكَرُ أَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ فِي صُلْبِهِ تَلْبِيَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَجِّ ابْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ سُمِّيَ بِذَلِكَ قِيلَ لِأَنَّهُ لَمَّا وُلِدَ وَنَظَرَ أَبُوهُ إِلَى نُورِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا وَأَطْعَمَ وَقَالَ إِنَّ هَذَا كُلَّهُ نَزْرٌ أَيْ قَلِيلٌ بِحَقِّ هَذَا الْمَوْلُودِ فَسُمِّيَ نِزَارًا ابْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ * قَالَ ابْنُ دِحْيَةَ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ وَالْإِجْمَاعُ حُجَّةٌ عَلَى أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا انْتَسَبَ إِلَى عَدْنَانَ وَلَمْ يَتَجَاوَزْهُ * وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ

إِذَا انْتَسَبَ لَمْ يُجَاوِزْ مَعَدَّ بْنَ عَدْنَانَ ثُمَّ يُمْسِكُ وَيَقُولُ كَذَبَ النَّسَّابُونَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا * وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ بَيْنَ عَدْنَانَ وَإِسْمَاعِيلَ ثَلاثُونَ أَبًا لا يُعْرَفُونَ * وَعَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ أَنَّ نُورَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا صَارَ إِلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَدْرَكَ نَامَ يَوْمًا فِي الْحِجْرِ فَانْتَبَهَ مَكْحُولًا مَدْهُونًا قَدْ كُسِيَ حُلَّةَ الْبَهَاءِ وَالْجَمَالِ فَبَقِيَ مُتَحَيِّرًا لا يَدْرِي مَنْ فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ فَأَخَذَ أَبُوهُ بِيَدِهِ ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ إِلَى كَهَنَةِ قُرَيْشٍ فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِتَزْوِيجِهِ فَزَوَّجَهُ وَكَانَتْ تَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ وَنُورُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُضِيءُ فِي غُرَّتِهِ وَكَانَتْ قُرَيْشٌ إِذَا أَصَابَهَا قَحْطٌ شَدِيدٌ تَأْخُذُ بِيَدِهِ فَتَخْرُجُ بِهِ إِلَى جَبَلِ ثَبِيرٍ فَيَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَيَسْأَلُونَهُ أَنْ يَسْقِيَهُمُ الْغَيْثَ فَكَانَ يُغِيثُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ بِبَرَكَةِ نُورِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * وَلَمَّا قَدِمَ أَبْرَهَةُ مَلِكُ الْيَمَنِ لِهَدْمِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا قَالَ لَهُمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ لا يَصِلُ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ لِأَنَّ لَهُ رَبًّا يَحْمِيهِ ثُمَّ اسْتَاقَ أَبْرَهَةُ إِبِلَ قُرَيْشٍ وَغَنَمَهَا وَكَانَ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِيهَا أَرْبَعُمِائَةِ نَاقَةٍ فَرَكِبَ فِي قُرَيْشٍ حَتَّى طَلَعَ جَبَلَ ثَبِيرٍ فَاسْتَدَارَ نُورُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَبِينِهِ كَالْهِلالِ وَانْعَكَسَ شُعَاعُهُ عَلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ فَلَمَّا نَظَرَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِلَى ذَلِكَ قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ارْجِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ هَذَا الْأَمْرَ فَوَاللهِ مَا اسْتَدَارَ هَذَا النُّورُ مِنِّي إِلَّا أَنْ يَكُونَ الظَّفَرُ لَنَا فَرَجَعُوا مُتَفَرِّقِينَ ثُمَّ إِنَّ أَبْرَهَةَ أَرْسَلَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ وَنَظَرَ إِلَى وَجْهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ خَضَعَ وَتَلَجْلَجَ لِسَانُهُ وَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَكَانَ يَخُورُ كَمَا يَخُورُ الثَّوْرُ عِنْدَ ذَبْحِهِ فَلَمَّا أَفَاقَ خَرَّ سَاجِدًا لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ

وَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ سَيِّدُ قُرَيْشٍ حَقًّا * وَرُوِيَ أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ لَمَّا حَضَرَ عِنْدَ أَبْرَهَةَ نَظَرَ الْفِيلُ الْأَبْيَضُ الْعَظِيمُ إِلَى وَجْهِهِ فَبَرَكَ كَمَا يَبْرُكُ الْبَعِيرُ وَخَرَّ سَاجِدًا وَأَنْطَقَ اللهُ تَعَالَى الْفِيلَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَى النُّورِ الَّذِي فِي ظَهْرِكَ يَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ وَلَمَّا دَخَلَ جَيْشُ أَبْرَهَةَ لِهَدْمِ الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ بَرَكَ الْفِيلُ فَضَرَبُوهُ فِي رَأْسِهِ ضَرْبًا شَدِيدًا لِيَقُومَ فَأَبَى فَوَجَّهُوهُ رَاجِعًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَامَ ثُمَّ أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ مِنَ الْبَحْرِ مَعَ كُلِّ طَائِرٍ مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ حَجَرٌ فِي مِنْقَارِهِ وَحَجَرَانِ فِي رِجْلَيْهِ كَأَمْثَالِ الْعَدَسِ لَا تُصِيبُ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا أَهْلَكَتْهُ فَخَرَجُوا هَارِبِينَ يَتَسَاقَطُونَ بِكُلِّ طَرِيقٍ وَأُصِيبَ أَبْرَهَةُ فِي جَسَدِهِ بِدَاءٍ فَتَسَاقَطَتْ أَنَامِلُهُ أَنْمُلَةً أَنْمُلَةً وَسَالَ مِنْهُ الصَّدِيدُ وَالْقَيْحُ وَالدَّمُ وَمَا مَاتَ حَتَّى انْصَدَعَ قَلْبُهُ وَإِلَى هٰذِهِ الْقِصَّةِ أَشَارَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ» إِلَى آخِرِ السُّورَةِ وَقَدْ كَانَتْ هٰذِهِ الْقِصَّةُ دَالَّةً عَلَى شَرَفِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِرْهَاصًا لِنُبُوَّتِهِ أَيْ تَأْسِيسًا لَهَا وَإِعْزَازًا لِقَوْمِهِ بِمَا ظَهَرَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْاِعْتِنَاءِ حَتَّى دَانَتِ الْعَرَبُ وَاعْتَقَدَتْ شَرَفَهُمْ وَفَضْلَهُمْ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ بِحِمَايَةِ اللهِ تَعَالَى لَهُمْ وَدَفْعِهِ عَنْهُمْ مَكْرَ أَبْرَهَةَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِسَائِرِ الْعَرَبِ قُدْرَةٌ عَلَى قِتَالِهِ * وَلَمَّا فَرَّجَ اللهُ تَعَالَى عَنْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَرَجَعَ أَبْرَهَةُ خَائِبًا فَبَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ فِي الْحِجْرِ إِذْ رَأَى مَنَامًا عَظِيمًا فَانْتَبَهَ فَزِعًا مَرْعُوبًا وَأَتَى كَهَنَةَ قُرَيْشٍ وَقَصَّ عَلَيْهِمْ رُؤْيَاهُ فَقَالُوا لَهُ إِنْ صَدَقَتْ رُؤْيَاكَ لَيَخْرُجَنَّ مِنْ ظَهْرِكَ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ أَهْلُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَنَّ فِي النَّاسِ عَلَمًا مُبِينًا

فتزوّج فاطمة وحملت بعبد الله الذبيح وقصته في ذلك مشهورة * ولما انصرف عبد الله مع أبيه بعد أن فداه بنحر مائة من الإبل لرؤيا رآها مرّ على امرأة كاهنة متهوّدة قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة فقالت له حين نظرت إلى وجهه وكان أحسن رجل في قريش لك مثل الإبل التي نحرت عنك وقع عليّ الآن لما رأت في وجهه من نور النبوّة ورجت أن تحمل بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فأجابها بقوله:

أما الحرام فالممات دونه ... والحل لا حل فأستبينه

فكيف بالأمر الذي تبغينه ... يحمي الكريم عرضه ودينه

ثم خرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بني زهرة نسباً وشرفاً فزوّجه ابنته آمنة وهي يومئذ أفضل امرأة من قريش نسباً وموضعاً فوقع عليها يوم الاثنين من أيام منى في شعب أبي طالب فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج من عندها فمرّ بالمرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها مالك لا تعرضين عليّ اليوم ما عرضت بالأمس فقالت فارقك النور الذي كان معك بالأمس فليس لي بك اليوم حاجة إنما أردت أن يكون النور فيّ فأبى الله إلا أن يجعله حيث شاء * ولما حملت آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر لحمله عجائب قال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه لما أراد الله تعالى خلق محمد صلى الله عليه وسلم في بطن أمه آمنة ليلة رجب وكانت ليلة جمعة أمر رضوان خازن الجنان أن يفتح

ٱلْفِرْدَوْسَ وَنَادَى مُنَادٍ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَلَا إِنَّ ٱلنُّورَ ٱلْمَخْزُونَ ٱلْمَكْنُونَ ٱلَّذِي يَكُونُ مِنْهُ ٱلنَّبِيُّ ٱلْهَادِي يَسْتَقِرُّ فِي هٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ٱلَّذِي فِيهِ يَتِمُّ خَلْقُهُ وَيَخْرُجُ إِلَى ٱلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَفِي رِوَايَةِ كَعْبِ ٱلْأَحْبَارِ أَنَّهُ نُودِيَ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ فِي ٱلسَّمَاءِ وَصِفَاحِهَا وَٱلْأَرْضِ وَبِقَاعِهَا أَنَّ ٱلنُّورَ ٱلْمَكْنُونَ ٱلَّذِي مِنْهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَقِرُّ ٱللَّيْلَةَ فِي بَطْنِ آمِنَةَ فَيَا طُوبَى لَهَا ثُمَّ يَا طُوبَى * وَأَصْبَحَتْ يَوْمَئِذٍ أَصْنَامُ ٱلدُّنْيَا مَنْكُوسَةً وَكَانَتْ قُرَيْشٌ فِي جَدْبٍ شَدِيدٍ وَضِيقٍ عَظِيمٍ فَٱخْضَرَّتِ ٱلْأَرْضُ وَحَمَلَتِ ٱلْأَشْجَارُ وَأَتَاهُمُ ٱلرِّفْدُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَسُمِّيَتْ تِلْكَ ٱلسَّنَةُ ٱلَّتِي حُمِلَ فِيهَا بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةَ ٱلْفَتْحِ وَٱلْإِبْتِهَاجِ * وَفِي حَدِيثِ ٱبْنِ إِسْحٰقَ أَنَّ آمِنَةَ كَانَتْ تُحَدِّثُ أَنَّهَا أُتِيَتْ حِينَ حَمَلَتْ بِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ لَهَا إِنَّكِ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ وَقَالَتْ مَا شَعَرْتُ بِأَنِّي حَمَلْتُ بِهِ وَلَا وَجَدْتُ لَهُ ثِقَلًا وَلَا وَحَمًا كَمَا تَجِدُ ٱلنِّسَاءُ إِلَّا أَنِّي أَنْكَرْتُ رَفْعَ حَيْضَتِي وَأَتَانِي آتٍ وَأَنَا بَيْنَ ٱلنَّائِمَةِ وَٱلْيَقْظَانَةِ فَقَالَ هَلْ شَعَرْتِ بِأَنَّكِ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ ٱلْأَنَامِ ثُمَّ أَمْهَلَنِي حَتَّى إِذَا دَنَتْ وِلَادَتِي أَتَانِي فَقَالَ قُولِي :

أُعِيذُهُ بِٱلْوَاحِدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدِ

ثُمَّ سَمِّيهِ مُحَمَّدًا * وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ مِنْ دَلَالَةِ حَمْلِ آمِنَةَ بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ كُلَّ دَابَّةٍ لِقُرَيْشٍ نَطَقَتْ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ وَقَالَتْ حُمِلَ بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَبِّ ٱلْكَعْبَةِ وَهُوَ إِمَامُ ٱلدُّنْيَا وَسِرَاجُ أَهْلِهَا وَلَمْ يَبْقَ سَرِيرٌ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ ٱلدُّنْيَا إِلَّا أَصْبَحَ مَنْكُوسًا وَفَرَّتْ وُحُوشُ

ٱلْمَشْرِقِ إِلَى وُحُوشِ ٱلْمَغْرِبِ بِٱلْبِشَارَاتِ وَكَذٰلِكَ أَهْلُ ٱلْبِحَارِ يُبَشِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَلَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْ شُهُورِ حَمْلِهِ نِدَاءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَنِدَاءٌ فِي ٱلسَّمَاءِ أَنْ أَبْشِرُوا فَقَدْ آنَ أَنْ يَظْهَرَ أَبُو ٱلْقَاسِمِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَيْمُونًا مُبَارَكًا * وَعَنْ غَيْرِهِ لَمْ يَبْقَ فِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ دَارٌ إِلَّا أَشْرَقَتْ وَلَا مَكَانٌ إِلَّا دَخَلَهُ ٱلنُّورُ وَلَا دَابَّةٌ إِلَّا نَطَقَتْ * وَعَنْ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنِ عَائِذٍ بَقِيَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ كُمَّلًا لَا تَشْكُو وَجَعًا وَلَا مَغْصًا وَلَا رِيحًا وَلَا مَا يَعْرِضُ لِذَوَاتِ ٱلْحَمْلِ مِنَ ٱلنِّسَاءِ وَكَانَتْ تَقُولُ وَٱللّٰهِ مَا رَأَيْتُ مِنْ حَمْلٍ هُوَ أَخَفُّ وَلَا أَعْظَمُ بَرَكَةً مِنْهُ * وَلَمَّا تَمَّ لَهَا مِنْ حَمْلِهَا شَهْرَانِ تُوُفِّيَ عَبْدُ ٱللّٰهِ فِي ٱلْمَدِينَةِ عِنْدَ أَخْوَالِهِ بَنِي ٱلنَّجَّارِ وَدُفِنَ بِٱلْأَبْوَاءِ * وَيُذْكَرُ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ ٱللّٰهِ قَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ إِلٰهَنَا وَسَيِّدَنَا بَقِيَ نَبِيُّكَ يَتِيمًا فَقَالَ ٱللّٰهُ تَعَالَى أَنَا لَهُ حَافِظٌ وَنَصِيرٌ * وَعَنْ عَمْرِو بْنِ قُتَيْبَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي وَكَانَ مِنْ أَوْعِيَةِ ٱلْعِلْمِ قَالَ لَمَّا حَضَرَتْ وِلَادَةُ آمِنَةَ قَالَ ٱللّٰهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ ٱفْتَحُوا أَبْوَابَ ٱلسَّمَاءِ كُلَّهَا وَأَبْوَابَ ٱلْجِنَانِ وَأُلْبِسَتِ ٱلشَّمْسُ يَوْمَئِذٍ نُورًا عَظِيمًا وَكَانَ قَدْ أَذِنَ ٱللّٰهُ تَعَالَى تِلْكَ ٱلسَّنَةَ لِنِسَاءِ ٱلدُّنْيَا أَنْ يَحْمِلْنَ ذُكُورًا كَرَامَةً لِمُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ كَانَتْ آمِنَةُ تُحَدِّثُ وَتَقُولُ أَتَانِي آتٍ حِينَ مَرَّ مِنْ حَمْلِي سِتَّةُ أَشْهُرٍ فِي ٱلْمَنَامِ فَقَالَ لِي يَا آمِنَةُ إِنَّكِ حَمَلْتِ بِخَيْرِ ٱلْعَالَمِينَ فَإِذَا وَلَدْتِهِ فَسَمِّيهِ مُحَمَّدًا وَٱكْتُمِي شَأْنَكِ قَالَتْ ثُمَّ لَمَّا أَخَذَنِي مَا يَأْخُذُ ٱلنِّسَاءَ وَلَمْ يَعْلَمْ بِي أَحَدٌ لَا ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَى وَإِنِّي لَوَحِيدَةٌ فِي ٱلْمَنْزِلِ وَعَبْدُ ٱلْمُطَّلِبِ فِي طَوَافِهِ فَسَمِعْتُ وَجْبَةً عَظِيمَةً وَأَمْرًا

عظيماً هالني ثم رأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني الرعب وكل وجع أجده ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء فتناولتها فأصابني نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل طوالاً كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بي فبينا أنا أتعجب وأقول واغوثاه من أين علمن بي فقلن لي نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين واشتد بي الأمر وأنا أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول مما تقدم فبينما أنا كذلك إذا بديباج أبيض قد مد بين السماء والأرض وإذا بقائل يقول خذوه عن أعين الناس قالت ورأيت رجالاً قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق من فضة ثم نظرت فإذا أنا بقطعة من الطير قد غطت حجرتي مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فرأيت مشارق الأرض ومغاربها ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علماً بالمشرق وعلماً بالمغرب وعلماً على ظهر الكعبة فأخذني المخاض فوضعت محمداً صلى الله عليه وسلم فنظرت إليه فإذا هو ساجد قد رفع إصبعيه إلى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيته فغيبته عني فسمعت منادياً ينادي طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ثم تجلت عنه في أسرع وقت * وروى الخطيب البغدادي أن آمنة قالت لما وضعته عليه الصلاة والسلام رأيت سحابة عظيمة لها نور أسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الأجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عني فسمعت منادياً ينادي طوفوا بمحمد

صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمِيعِ ٱلْأَرْضِ وَٱعْرِضُوهُ عَلَى كُلِّ رُوحَانِيٍّ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ وَٱلْمَلَائِكَةِ وَٱلطُّيُورِ وَٱلْوُحُوشِ وَأَعْطُوهُ خَلْقَ آدَمَ وَمَعْرِفَةَ شِيثٍ وَشَجَاعَةَ نُوحٍ وَخُلَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَلِسَانَ إِسْمَاعِيلَ وَرِضَا إِسْحٰقَ وَفَصَاحَةَ صَالِحٍ وَحِكْمَةَ لُوطٍ وَبُشْرَى يَعْقُوبَ وَشِدَّةَ مُوسَى وَصَبْرَ أَيُّوبَ وَطَاعَةَ يُونُسَ وَجِهَادَ يُوشَعَ وَصَوْتَ دَاوُدَ وَحُبَّ دَانِيَالَ وَوَقَارَ إِلْيَاسَ وَعِصْمَةَ يَحْيَى وَزُهْدَ عِيسَى وَٱغْمِسُوهُ فِي أَخْلَاقِ ٱلنَّبِيِّينَ قَالَتْ ثُمَّ ٱنْجَلَتْ عَنْهُ فَإِذَا بِهِ قَدْ قَبَضَ عَلَى حَرِيرَةٍ خَضْرَاءَ مَطْوِيَّةٍ طَيًّا شَدِيدًا يَنْبَعُ مِنْهَا مَاءٌ وَإِذَا قَائِلٌ يَقُولُ بَخٍ بَخٍ قَبَضَ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ٱلدُّنْيَا كُلِّهَا لَمْ يَبْقَ خَلْقٌ مِنْ أَهْلِهَا إِلَّا دَخَلَ فِي قَبْضَتِهِ قَالَتْ ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَإِذَا بِهِ كَٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ وَرِيحُهُ يَسْطَعُ كَٱلْمِسْكِ ٱلْأَذْفَرِ وَإِذَا بِثَلَاثَةِ نَفَرٍ فِي يَدِ أَحَدِهِمْ إِبْرِيقٌ مِنْ فِضَّةٍ وَفِي يَدِ ٱلثَّانِي طَسْتٌ مِنْ زُمُرُّدٍ وَفِي يَدِ ٱلثَّالِثِ حَرِيرَةٌ بَيْضَاءُ فَنَشَرَهَا فَأَخْرَجَ مِنْهَا خَاتَمًا تَحَارُ أَبْصَارُ ٱلنَّاظِرِينَ دُونَهُ فَغَسَلَهُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْإِبْرِيقِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ثُمَّ خَتَمَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ بِٱلْخَاتَمِ وَلَفَّهُ بِٱلْحَرِيرَةِ ثُمَّ ٱحْتَمَلَهُ فَأَدْخَلَهُ بَيْنَ أَجْنِحَتِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَدَّهُ إِلَيَّ * وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا لَمَّا وُلِدَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي أُذُنِهِ رِضْوَانُ خَازِنُ ٱلْجِنَانِ أَبْشِرْ يَا مُحَمَّدُ فَمَا بَقِيَ لِنَبِيٍّ عِلْمٌ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيتَهُ فَأَنْتَ أَكْثَرُهُمْ عِلْمًا وَأَشْجَعُهُمْ قَلْبًا * وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّ آمِنَةَ قَالَتْ لَمَّا فُصِلَ مِنِّي تَعْنِي ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مَعَهُ نُورٌ أَضَاءَ لَهُ مَا بَيْنَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ثُمَّ وَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ مُعْتَمِدًا عَلَى يَدَيْهِ ثُمَّ أَخَذَ قَبْضَةً مِنَ ٱلتُّرَابِ فَقَبَضَهَا وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ *

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ أَنَّهُ لَمَّا وَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ وَقَعَ مَقْبُوضَةً أَصَابِعُ يَدَيْهِ مُشِيرًا بِالسَّبَّابَةِ كَالْمُسَبِّحِ بِهَا* وَرُوِيَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ عَنْ أُمِّهِ فَاطِمَةَ قَالَتْ لَمَّا حَضَرَتْ وِلَادَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَيْتُ الْبَيْتَ حِينَ وَقَعَ قَدِ امْتَلَأَ نُورًا وَرَأَيْتُ النُّجُومَ تَدْنُو حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهَا سَتَقَعُ عَلَيَّ * وَعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَٰلِكَ إِنِّي دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةُ عِيسَى وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ وَكَذَٰلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ يَرَيْنَ* وَإِنَّ أُمَّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ نُورًا أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ وَإِلَى هٰذَا أَشَارَ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بِقَوْلِهِ:

وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الْأَرْ ... ضُ وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الْأُفُقُ

فَنَحْنُ فِي ذَٰلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّو ... رِ وَسُبُلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ

وَرَوَى ابْنُ سَعْدٍ أَنَّهَا وَلَدَتْهُ نَظِيفًا مَا بِهِ قَذَرٌ* وَفِي إِضَاءَةِ قُصُورِ الشَّامِ بِذَٰلِكَ النُّورِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا خَصَّ الشَّامَ مِنْ نُورِ نُبُوَّتِهِ فَإِنَّهَا دَارُ مُلْكِهِ كَمَا ذَكَرَ كَعْبٌ أَنَّ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ وَمُهَاجَرُهُ بِيَثْرِبَ وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ وَلِهٰذَا أُسْرِيَ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ كَمَا هَاجَرَ قَبْلَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الشَّامِ وَبِهَا يَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ* وَرَوَى عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ عَنْ أُمِّهِ الشِّفَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَتْ لَمَّا وَلَدَتْ آمِنَةُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَعَ عَلَى يَدَيَّ فَاسْتَهَلَّ

فَسَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ رَحِمَكِ ٱللهُ وَأَضَاءَ لِي مَا بَيْنَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى بَعْضِ قُصُورِ ٱلرُّومِ قَالَتْ ثُمَّ أَلْبَسْتُهُ وَأَضْجَعْتُهُ فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ غَشِيَتْنِي ظُلْمَةٌ وَرُعْبٌ وَقُشَعْرِيرَةٌ ثُمَّ غُيِّبَ عَنِّي فَسَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ أَيْنَ ذَهَبْتَ بِهِ قَالَ إِلَى ٱلْمَشْرِقِ قَالَتْ فَلَمْ يَزَلِ ٱلْحَدِيثُ مِنِّي عَلَى بَالٍ حَتَّى ٱبْتَعَثَهُ ٱللهُ فَكُنْتُ فِي أَوَّلِ ٱلنَّاسِ إِسْلَامًا * وَعَنْ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ إِنِّي لَغُلَامٌ ٱبْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانٍ أَعْقِلُ مَا رَأَيْتُ وَسَمِعْتُ إِذَا يَهُودِيٌّ يَصْرُخُ ذَاتَ غَدَاةٍ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ فَٱجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وَأَنَا أَسْمَعُ قَالُوا وَيْلَكَ مَا لَكَ قَالَ طَلَعَ نَجْمُ أَحْمَدَ ٱلَّذِي وُلِدَ بِهِ فِي هَٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ * وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ يَهُودِيٌّ قَدْ سَكَنَ بِمَكَّةَ فَلَمَّا كَانَتِ ٱللَّيْلَةُ ٱلَّتِي وُلِدَ فِيهَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ هَلْ وُلِدَ فِيكُمُ ٱللَّيْلَةَ مَوْلُودٌ قَالُوا لَا نَعْلَمُ قَالَ ٱنْظُرُوا فَإِنَّهُ وُلِدَ فِي هَٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ نَبِيُّ هَٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَامَةٌ فَٱنْصَرَفُوا فَسَأَلُوا فَقِيلَ لَهُمْ قَدْ وُلِدَ لِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ غُلَامٌ فَذَهَبَ ٱلْيَهُودِيُّ مَعَهُمْ إِلَى أُمِّهِ فَأَخْرَجَتْهُ لَهُمْ فَلَمَّا رَأَى ٱلْيَهُودِيُّ ٱلْعَلَامَةَ خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ وَقَالَ ذَهَبَتِ ٱلنُّبُوَّةُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَمَا وَٱللهِ لَيَسْطُوَنَّ بِكُمْ سَطْوَةً يَخْرُجُ خَبَرُهَا مِنَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ رَوَاهُ يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ كَمَا فِي فَتْحِ ٱلْبَارِي * وَمِنْ عَجَائِبِ وِلَادَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رُوِيَ مِنَ ٱرْتِجَاجِ إِيوَانِ كِسْرَى وَسُقُوطِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ شُرْفَةً مِنْ شُرُفَاتِهِ وَغَيْضِ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ وَخُمُودِ نَارِ فَارِسٍ وَكَانَ لَهَا أَلْفُ عَامٍ لَمْ تَخْمَدْ كَمَا رَوَاهُ كَثِيرُونَ وَمِنْ ذَٰلِكَ مَا وَقَعَ مِنْ زِيَادَةِ حِرَاسَةِ

ٱلسَّمَاءِ فِي ٱلشُّهُبِ وَقَطَعَ رَصَدَ ٱلشَّيَاطِينِ وَمَنَعَهُمْ مِنَ ٱسْتِرَاقِ ٱلسَّمْعِ * وَوُلِدَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَخْتُونًا مَسْرُورًا أَيْ مَقْطُوعَ ٱلسُّرَّةِ كَمَا رُوِيَ عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ وَغَيْرِهِ * وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مِنْ كَرَامَتِي عَلَى رَبِّي أَنِّي وُلِدْتُ مَخْتُونًا وَلَمْ يَرَ أَحَدٌ سَوْأَتِي * وَقَدِ ٱخْتُلِفَ فِي عَامِ وِلَادَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَٱلْأَكْثَرُونَ أَنَّهُ وُلِدَ عَامَ ٱلْفِيلِ وَأَنَّهُ بَعْدَ ٱلْفِيلِ بِخَمْسِينَ يَوْمًا وَأَنَّهُ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ ٱلْأَوَّلِ يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ لِٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْهُ عِنْدَ طُلُوعِ ٱلْفَجْرِ * وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قَالَ وُلِدَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ وَٱسْتُنْبِئَ يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ وَخَرَجَ مُهَاجِرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ وَرَفَعَ ٱلْحَجَرَ يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ وَكَذَا فَتْحُ مَكَّةَ وَنُزُولُ سُورَةِ ٱلْمَائِدَةِ يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ * وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ ٱلْعَاصِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ بِمَرِّ ٱلظَّهْرَانِ رَاهِبٌ يُسَمَّى عِيصًا مِنْ أَهْلِ ٱلشَّامِ وَكَانَ يَقُولُ يُوشِكُ أَنْ يُولَدَ فِيكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ مَوْلُودٌ تَدِينُ لَهُ ٱلْعَرَبُ وَيَمْلِكُ ٱلْعَجَمَ هٰذَا زَمَانُهُ فَكَانَ لَا يُولَدُ بِمَكَّةَ مَوْلُودٌ إِلَّا وَيَسْأَلُ عَنْهُ فَلَمَّا كَانَ صَبِيحَةُ ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي وُلِدَ فِيهِ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَبْدُ ٱلْمُطَّلِبِ حَتَّى أَتَى عِيصًا فَنَادَاهُ فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ عِيصًا كُنْ أَبَاهُ فَقَدْ وُلِدَ ذٰلِكَ ٱلْمَوْلُودُ ٱلَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ وَيُبْعَثُ يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ وَيَمُوتُ يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ قَالَ وُلِدَ لِي ٱللَّيْلَةَ مَعَ ٱلصُّبْحِ مَوْلُودٌ قَالَ فَمَا سَمَّيْتَهُ قَالَ مُحَمَّدًا قَالَ وَٱللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ هٰذَا ٱلْمَوْلُودُ فِيكُمْ أَهْلَ هٰذَا ٱلْبَيْتِ بِثَلَاثَةِ خِصَالٍ أَنَّهُ طَلَعَ نَجْمُهُ ٱلْبَارِحَةَ

وَأَنَّهُ وُلِدَ ٱلْيَوْمَ وَأَنَّ ٱسْمَهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * وَوَافَقَ ذَٰلِكَ مِنَ ٱلشُّهُورِ ٱلشَّمْسِيَّةِ نِيسَانَ وَكَانَ لِعِشْرِينَ مَضَتْ مِنْهُ * وَقِيلَ وُلِدَ لَيْلًا فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ بِمَكَّةَ يَهُودِيٌّ يَتَّجِرُ فِيهَا فَلَمَّا كَانَتِ ٱللَّيْلَةُ ٱلَّتِي وُلِدَ فِيهَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ هَلْ وُلِدَ فِيكُمُ ٱللَّيْلَةَ مَوْلُودٌ قَالُوا لَا نَعْلَمُهُ قَالَ وُلِدَ ٱللَّيْلَةَ نَبِيُّ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ ٱلْأَخِيرَةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَامَةٌ فِيهَا شَعَرَاتٌ مُتَوَاتِرَاتٌ كَأَنَّهُنَّ عُرْفُ فَرَسٍ فَخَرَجُوا بِٱلْيَهُودِيِّ حَتَّى أَدْخَلُوهُ عَلَى أُمِّهِ فَقَالُوا أَخْرِجِي لَنَا ٱبْنَكِ فَأَخْرَجَتْهُ وَكَشَفُوا عَنْ ظَهْرِهِ فَرَأَى تِلْكَ ٱلشَّامَةَ فَوَقَعَ ٱلْيَهُودِيُّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالُوا مَا لَكَ وَيْلَكَ قَالَ ذَهَبَتْ وَٱللهِ ٱلنُّبُوَّةُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَوَاهُ ٱلْحَاكِمُ * وَلَيْلَةُ مَوْلِدِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنْ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ * وَوُلِدَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَكَّةَ فِي ٱلدَّارِ ٱلَّتِي كَانَتْ لِمُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ * وَأَرْضَعَتْهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُوَيْبَةُ عَتِيقَةُ أَبِي لَهَبٍ أَعْتَقَهَا حِينَ بَشَّرَتْهُ بِوِلَادَتِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وَقَدْ رُؤِيَ أَبُو لَهَبٍ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي ٱلنَّوْمِ فَقِيلَ لَهُ مَا حَالُكَ فَقَالَ فِي ٱلنَّارِ إِلَّا أَنَّهُ خُفِّفَ عَنِّي فِي كُلِّ لَيْلَةِ ٱثْنَيْنِ وَأَمُصُّ مِنْ بَيْنِ إِصْبَعَيَّ هَاتَيْنِ مَاءً وَأَشَارَ بِرَأْسِ إِصْبَعِهِ وَإِنَّ ذٰلِكَ بِإِعْتَاقِي لِثُوَيْبَةَ عِنْدَمَا بَشَّرَتْنِي بِوِلَادَةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِإِرْضَاعِهَا لَهُ * قَالَ ٱبْنُ ٱلْجَزَرِيِّ فَإِذَا كَانَ هٰذَا أَبُو لَهَبٍ ٱلْكَافِرُ ٱلَّذِي نَزَلَ ٱلْقُرْآنُ بِذَمِّهِ جُوزِيَ بِفَرَحِهِ لَيْلَةَ مَوْلِدِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا حَالُ ٱلْمُسْلِمِ ٱلْمُوَحِّدِ مِنْ أُمَّتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَرُّ بِمَوْلِدِهِ وَيَبْذُلُ مَا تَصِلُ إِلَيْهِ قُدْرَتُهُ فِي مَحَبَّتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَمْرِي إِنَّمَا يَكُونُ

جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله العميم جنات النعيم ولا زال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه الصلاة والسلام ويعملون الولائم ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ويظهرون السرور ويزيدون في المبرات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم ومما جرب من خواصه انه أمان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام فرحم الله امرأ اتخذ ليالي شهر مولده المباركة أعياداً * قالت حليمة قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء في سنة شهباء فقدمت على أتان لي ومعي صبي لنا وشارف لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ولا نجد في ثديي ما يغذيه ولا في شارفنا ما يغذيه فقدمنا مكة فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه إذ قيل إنه يتيم من الأب فوالله ما بقي من صواحبي امرأة إلا أخذت رضيعاً غيره فلما لم أجد غيره قلت لزوجي إني لأكره أن أرجع من بين صواحباتي وليس معي رضيع لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه فذهبت فإذا به مدرج في ثوب صوف أبيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته حريرة خضراء راقداً على قفاه يغط فأشفقت أن أوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه رويداً فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكاً ففتح عينيه ينظر إلي فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وأنا أنظر فقبلته بين عينيه وأعطيته ثديي الأيمن فأقبل عليه بما شاء من لبن فحولته إلى

الأَيْسَرِ فَأَبَى وَكَانَتْ تِلْكَ حَالَهُ بَعْدُ قَالَتْ فَرَوِيَ وَرَوِيَ أَخُوهُ ثُمَّ أَخَذْتُهُ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ جِئْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدْيَايَ بِمَا شَاءَ اللهُ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ وَشَرِبَ أَخُوهُ حَتَّى رَوِيَ فَقَامَ صَاحِبِي تَعْنِي زَوْجَهَا إِلَى شَارِفِنَا تِلْكَ فَإِذَا بِهَا الْحَافِلُ فَحَلَبَ مَا شَرِبَ وَشَرِبْتُ حَتَّى رَوِينَا وَبِتْنَا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ فَقَالَ صَاحِبِي يَا حَلِيمَةُ وَاللهِ إِنِّي لَأَرَاكِ قَدْ أَخَذْتِ نَسَمَةً مُبَارَكَةً أَلَمْ تَرَيْ مَا بِتْنَا بِهِ اللَّيْلَةَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ حِينَ أَخَذْنَاهُ فَلَمْ يَزَلِ اللهُ يَزِيدُنَا خَيْرًا * قَالَتْ حَلِيمَةُ فَوَدَّعْتُ أُمَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ رَكِبْتُ أَتَانِي وَأَخَذْتُهُ بَيْنَ يَدَيَّ فَسَبَقَتْ دَوَابَّ النَّاسِ الَّذِينَ كَانُوا مَعِي وَهُمْ يَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا ثُمَّ قَدِمْنَا مَنَازِلَ بَنِي سَعْدٍ وَلَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ اللهِ أَجْدَبَ مِنْهَا وَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَيَّ حِينَ قَدِمْنَا بِهِ شِبَاعًا لَبَنًا فَنَحْلِبُ وَنَشْرَبُ وَمَا يَحْلِبُ إِنْسَانٌ قَطْرَةَ لَبَنٍ وَلَا يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ حَتَّى كَانَ الْحَاضِرُ مِنْ قَوْمِنَا يَقُولُونَ لِرُعْيَانِهِمْ اسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي غَنَمِ بِنْتِ أَبِي ذُؤَيْبٍ فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةِ لَبَنٍ وَتَرُوحُ أَغْنَامِي شِبَاعًا لَبَنًا * وَعَنْ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ دَعَانِي إِلَى الدُّخُولِ فِي دِينِكَ أَمَارَةٌ لِنُبُوَّتِكَ رَأَيْتُكَ فِي الْمَهْدِ تُنَاغِي الْقَمَرَ وَتُشِيرُ إِلَيْهِ بِإِصْبَعِكَ فَحَيْثُ أَشَرْتَ إِلَيْهِ مَالَ قَالَ إِنِّي كُنْتُ أُحَدِّثُهُ وَيُحَدِّثُنِي وَيُلْهِينِي عَنِ الْبُكَاءِ وَأَسْمَعُ وَجْبَتَهُ حِينَ يَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ * وَفِي فَتْحِ الْبَارِي أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكَلَّمَ فِي أَوَائِلِ مَا وُلِدَ وَذَكَرَ ابْنُ سَبْعٍ أَنَّ مَهْدَهُ كَانَ يَتَحَرَّكُ بِتَحْرِيكِ الْمَلَائِكَةِ * وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَتْ حَلِيمَةُ تُحَدِّثُ أَنَّهَا أَوَّلَ مَا فَطَمَتْ

رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكَلَّمَ فَقَالَ ٱللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَٱلْحَمْدُ لِلهِ
كَثِيرًا وَسُبْحَانَ ٱللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا فَلَمَّا تَرَعْرَعَ كَانَ يَخْرُجُ فَيَنْظُرُ إِلَى ٱلصِّبْيَانِ
يَلْعَبُونَ فَيَجْتَنِبُهُمْ * وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّ ٱلشَّيْمَاءَ أُخْتَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ
ٱلرَّضَاعَةِ رَأَتْ غَمَامَةً تُظِلُّهُ إِذَا وَقَفَ وَقَفَتْ وَإِذَا سَارَ سَارَتْ أَيَّامَ كَانَ عِنْدَ
حَلِيمَةَ * وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشِبُّ شَبَابًا لَا يُشْبِهُهُ ٱلْغِلْمَانُ * قَالَتْ حَلِيمَةُ
فَلَمَّا فَصَلْتُهُ قَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ وَنَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى مُكْثِهِ فِينَا لِمَا نَرَى مِنْ بَرَكَتِهِ
فَكَلَّمْنَا أُمَّهُ وَقُلْنَا لَوْ تَرَكْتِيهِ عِنْدَنَا حَتَّى يَغْلُظَ فَإِنَّا نَخْشَى عَلَيْهِ وَبَاءَ مَكَّةَ وَلَمْ
نَزَلْ حَتَّى رَدَّتْهُ مَعَنَا فَرَجَعْنَا بِهِ فَوَٱللهِ إِنَّهُ لَبَعْدَ مَقْدَمِنَا بِشَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ مَعَ
أَخِيهِ مِنَ ٱلرَّضَاعَةِ لَفِي بَهْمٍ لَنَا خَلْفَ بُيُوتِنَا جَاءَ أَخُوهُ يَشْتَدُّ فَقَالَ ذَاكَ أَخِي
ٱلْقُرَشِيُّ قَدْ جَاءَهُ رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ فَأَضْجَعَاهُ وَشَقَّا بَطْنَهُ قَالَتْ حَلِيمَةُ
فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُوهُ نَشْتَدُّ نَحْوَهُ فَنَجِدُهُ قَائِمًا مُنْتَقِعًا لَوْنُهُ فَاعْتَنَقَهُ أَبُوهُ فَقَالَ لَهُ
أَيْ بُنَيَّ مَا شَأْنُكَ قَالَ جَاءَنِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ فَأَضْجَعَانِي فَشَقَّا بَطْنِي ثُمَّ
ٱسْتَخْرَجَا مِنْهُ شَيْئًا فَطَرَحَاهُ ثُمَّ رَدَّاهُ كَمَا كَانَ فَرَجَعْنَاهُ مَعَنَا فَقَالَ أَبُوهُ يَا حَلِيمَةُ
لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ ٱبْنِي قَدْ أُصِيبَ فَٱنْطَلِقِي بِنَا نَرُدُّهُ إِلَى أَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ
بِهِ مَا نَتَخَوَّفُ فَٱحْتَمَلْنَاهُ حَتَّى قَدِمْنَا بِهِ مَكَّةَ عَلَى أُمِّهِ فَقَالَتْ مَا رَدَّكُمَا بِهِ فَقَدْ
كُنْتُمَا حَرِيصَيْنِ عَلَيْهِ قُلْنَا نَخْشَى عَلَيْهِ ٱلْإِتْلَافَ وَٱلْأَحْدَاثَ فَقَالَتْ مَا ذَاكَ بِكُمَا
فَٱصْدُقَانِي شَأْنَكُمَا فَلَمْ تَدَعْنَا حَتَّى أَخْبَرْنَاهَا خَبَرَهُ قَالَتْ أَخَشِيتُمَا عَلَيْهِ ٱلشَّيْطَانَ
كَلَّا وَٱللهِ مَا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ وَإِنَّهُ لَكَائِنٌ لِٱبْنِي هٰذَا شَأْنٌ فَدَعَاهُ عَنْكُمَا * وَفِي

حَدِيثِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كُنْتُ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ فَبَيْنَمَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَطْنِ وَادٍ مَعَ أَتْرَابٍ لِي مِنَ الصِّبْيَانِ إِذْ أَنَا بِرَهْطٍ ثَلَاثَةٍ مَعَهُمْ طَسْتٌ مِنْ ذَهَبٍ مِلْئٍ ثَلْجًا فَأَخَذُونِي مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي وَانْطَلَقَ الصِّبْيَانُ هِرَابًا مُسْرِعِينَ إِلَى الْحَيِّ فَعَمَدَ أَحَدُهُمْ فَأَضْجَعَنِي عَلَى الْأَرْضِ إِضْجَاعًا لَطِيفًا ثُمَّ شَقَّ مَا بَيْنَ مَفْرِقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ لَمْ أَجِدْ لِذٰلِكَ مَسًّا ثُمَّ أَخْرَجَ أَحْشَاءَ بَطْنِي ثُمَّ غَسَلَهَا بِذٰلِكَ الثَّلْجِ فَأَنْعَمَ غَسْلَهَا ثُمَّ أَعَادَهَا مَكَانَهَا ثُمَّ قَامَ الثَّانِي فَقَالَ لِصَاحِبِهِ تَنَحَّ ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَوْفِي وَأَخْرَجَ قَلْبِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَصَدَعَهُ ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهُ مُضْغَةً سَوْدَاءَ فَرَمَى بِهَا ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ يَمْنَةً وَيَسْرَةً كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا فَإِذَا بِالْخَاتَمِ فِي يَدِهِ مِنْ نُورٍ يَحَارُ النَّاظِرُ دُونَهُ فَخَتَمَ بِهِ قَلْبِي فَامْتَلَأَ نُورًا وَذٰلِكَ نُورُ النُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ فَوَجَدْتُ بَرْدَ ذٰلِكَ الْخَاتَمِ فِي قَلْبِي دَهْرًا ثُمَّ قَالَ الثَّالِثُ لِصَاحِبِهِ تَنَحَّ فَأَمَرَّ يَدَهُ بَيْنَ مَفْرِقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي فَالْتَأَمَ ذٰلِكَ الشَّقُّ بِإِذْنِ اللّٰهِ تَعَالَى ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَنْهَضَنِي مِنْ مَكَانِي إِنْهَاضًا لَطِيفًا ثُمَّ قَالَ لِلْأَوَّلِ زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ثُمَّ قَالَ زِنْهُ بِمِائَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ فَرَجَحْتُهُمْ ثُمَّ قَالَ زِنْهُ بِأَلْفٍ فَرَجَحْتُهُمْ فَقَالَ دَعُوهُ فَلَوْ وَزَنْتُمُوهُ بِأُمَّتِهِ كُلِّهَا لَرَجَحَهُمْ ثُمَّ ضَمُّونِي إِلَى صُدُورِهِمْ وَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيَّ ثُمَّ قَالُوا يَا حَبِيبُ لَمْ تُرَعْ إِنَّكَ لَوْ تَدْرِي مَا يُرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ لَقَرَّتْ عَيْنَاكَ • وَالْمُرَادُ بِالْوَزْنِ فِي قَوْلِهِ زِنْهُ بِعَشَرَةٍ إِلَى آخِرِهِ الْوَزْنُ الْإِعْتِبَارِيُّ فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالرُّجْحَانِ الرُّجْحَانَ فِي الْفَضْلِ ٭ وَقَدْ وَقَعَ شَقُّ صَدْرِهِ الشَّرِيفِ

مَرَّةً أُخْرَى عِنْدَ مَجِيءِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ بِالْوَحْيِ فِي غَارِ حِرَاءٍ وَمَرَّةً أُخْرَى عِنْدَ الْإِسْرَاءِ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ فِي الدَّلَائِلِ الشَّقَّ أَيْضاً وَهُوَ ابْنُ عِشْرِينَ وَالْحِكْمَةُ فِي شَقِّ صَدْرِهِ الشَّرِيفِ فِي حَالِ صِبَاهُ وَاسْتِخْرَاجِ الْعَلَقَةِ مِنْهُ تَطْهِيرُهُ عَنْ حَالَاتِ الصِّبَا حَتَّى يَتَّصِفَ فِي سِنِّ الصِّبَا بِأَوْصَافِ الرُّجُولِيَّةِ وَلِذَلِكَ نَشَأَ عَلَى أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ مِنَ الْعِصْمَةِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * وَقَدْ خُتِمَ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ يَنِمُّ مِسْكاً وَإِنَّهُ مِثْلُ زِرِّ الْحَجَلَةِ ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ . قَالَ النَّوَوِيُّ الْحَجَلَةُ وَاحِدَةُ الْحِجَالِ وَهِيَ بَيْتٌ كَالْقُبَّةِ لَهَا أَزْرَارٌ وَعُرًى هَذَا هُوَ الصَّوَابُ وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْمُرَادُ بِالْحَجَلَةِ الطَّائِرُ الْمَعْرُوفُ وَزِرُّهَا بَيْضُهَا * وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَلَغَ سِتَّ سِنِينَ خَرَجَتْ بِهِ أُمُّهُ إِلَى أَخْوَالِهِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ بِالْمَدِينَةِ تَزُورُهُمْ وَمَعَهُ أُمُّ أَيْمَنَ فَنَزَلَتْ بِهِ دَارَ التَّابِعَةِ فَأَقَامَتْ بِهِ عِنْدَهُمْ شَهْراً فَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ أُمُوراً كَانَتْ فِي مُقَامِهِ ذَلِكَ وَنَظَرَ إِلَى الدَّارِ وَقَالَ هَاهُنَا نَزَلَتْ بِي أُمِّي وَأَحْسَنْتُ الْعَوْمَ فِي بِئْرِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ وَكَانَ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِ يَخْتَلِفُونَ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ قَالَتْ أُمُّ أَيْمَنَ فَسَمِعْتُ أَحَدَهُمْ يَقُولُ هُوَ نَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهَذِهِ دَارُ هِجْرَتِهِ فَوَعَيْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ كَلَامِهِمْ ثُمَّ رَجَعَتْ بِهِ أُمُّهُ إِلَى مَكَّةَ فَلَمَّا كَانَتْ بِالْأَبْوَاءِ تُوُفِّيَتْ * وَرَوَى الزُّهْرِيُّ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ رُهْمٍ عَنْ أُمِّهَا قَالَتْ شَهِدْتُ آمِنَةَ أُمَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عِلَّتِهَا الَّتِي مَاتَتْ بِهَا وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُلَامٌ يَفَعٌ لَهُ خَمْسُ سِنِينَ عِنْدَ رَأْسِهَا

فَنَظَرَتْ إِلَى وَجْهِهِ وَقَالَتْ أَبْيَاتَ شِعْرٍ ثُمَّ قَالَتْ كُلُّ حَيٍّ مَيِّتٌ وَكُلُّ جَدِيدٍ بَالٍ وَكُلُّ كَثِيرٍ يَفْنَى وَأَنَا مَيِّتَةٌ وَذِكْرِي بَاقٍ وَقَدْ تَرَكْتُ خَيْرًا وَوَلَدْتُ طُهْرًا ثُمَّ مَاتَتْ فَكُنَّا نَسْمَعُ نَوْحَ الْجِنِّ عَلَيْهَا * وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ آمِنَةَ آمَنَتْ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَوْتِهَا رَوَى الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ الْحَجُونَ كَئِيبًا حَزِينًا فَأَقَامَ بِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ رَجَعَ مَسْرُورًا قَالَ سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَأَحْيَى لِي أُمِّي فَآمَنَتْ بِي ثُمَّ رَدَّهَا وَكَذَا رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ أَيْضًا إِحْيَاءُ أَبَوَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى آمَنَا بِهِ أَوْرَدَهُ السُّهَيْلِيُّ وَالْخَطِيبُ * وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي التَّذْكِرَةِ إِنَّ فَضَائِلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَصَائِصَهُ لَمْ تَزَلْ تَتَوَالَى وَتَتَتَابَعُ إِلَى حِينِ مَمَاتِهِ فَيَكُونُ هٰذَا مِمَّا فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهِ وَأَكْرَمَهُ قَالَ وَلَيْسَ إِحْيَاؤُهُمَا وَإِيمَانُهُمَا مُمْتَنِعًا عَقْلًا وَلَا شَرْعًا فَقَدْ وَرَدَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ إِحْيَاءُ قَتِيلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَخْبَرَ بِقَاتِلِهِ وَكَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَكَذٰلِكَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْيَى اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ جَمَاعَةً مِنَ الْمَوْتَى وَإِذَا ثَبَتَ هٰذَا فَمَا يَمْتَنِعُ إِيمَانُهُمَا بَعْدَ إِحْيَائِهِمَا وَيَكُونُ ذٰلِكَ زِيَادَةً فِي كَرَامَتِهِ وَفَضِيلَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * وَقَالَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ إِنَّ جَمِيعَ آبَاءِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا مُسْلِمِينَ وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذٰلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ أَزَلْ أُنْقَلُ مِنْ أَصْلَابِ الطَّاهِرِينَ إِلَى أَرْحَامِ الطَّاهِرَاتِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ» فَوَجَبَ أَنْ لَا يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ أَجْدَادِهِ مُشْرِكًا وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْحَافِظُ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ

نَاصِرِ ٱلدِّينِ ٱلدِّمَشْقِيُّ حَيْثُ قَالَ:

حَبَا ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ مَزِيدَ فَضْلٍ ... عَلَى فَضْلٍ وَكَانَ بِهِ رَؤُفَا

فَأَحْيَى أُمَّهُ وَكَذَا أَبَاهُ ... لِإِيمَانٍ بِهِ فَضْلاً لَطِيفَا

فَسَلِّمْ فَٱلْقَدِيمُ بِذَا قَدِيرٌ ... وَإِنْ كَانَ ٱلْحَدِيثُ بِهِ ضَعِيفَا

وَقَدْ كَانَتْ أُمُّ أَيْمَنَ دَايَتَهُ وَحَاضِنَتَهُ بَعْدَ مَوْتِ أُمِّهِ وَكَانَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهَا أَنْتِ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي * وَمَاتَ جَدُّهُ عَبْدُ ٱلْمُطَّلِبِ كَافِلُهُ وَلَهُ ثَمَانُ سِنِينَ عَنْ عَشْرٍ وَمِائَةِ سَنَةٍ وَقِيلَ عَنْ مِائَةٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً * وَكَفَلَهُ أَبُو طَالِبٍ وَٱسْمُهُ عَبْدُ مَنَافٍ وَكَانَ عَبْدُ ٱلْمُطَّلِبِ قَدْ أَوْصَاهُ بِذَٰلِكَ لِكَوْنِهِ شَقِيقَ عَبْدِ ٱللَّهِ * وَأَخْرَجَ ٱبْنُ عَسَاكِرَ عَنْ جَلْهَمَةَ بْنِ عُرْفُطَةَ قَالَ قَدِمْتُ مَكَّةَ وَهُمْ فِي قَحْطٍ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ يَا أَبَا طَالِبٍ أَقْحَطَ ٱلْوَادِي وَأَجْدَبَ ٱلْعِيَالُ فَهَلُمَّ فَٱسْتَسْقِ فَخَرَجَ أَبُو طَالِبٍ وَمَعَهُ غُلَامٌ كَأَنَّهُ شَمْسٌ تَجَلَّتْ عَنْهَا سَحَابَةٌ وَحَوْلَهُ أُغَيْلِمَةٌ فَأَخَذَهُ أَبُو طَالِبٍ فَأَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِٱلْكَعْبَةِ وَلَاذَ ٱلْغُلَامُ بِإِصْبَعِهِ وَمَا فِي ٱلسَّمَاءِ قَزَعَةٌ فَأَقْبَلَ ٱلسَّحَابُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا وَأَغْدَقَ وَٱغْدَوْدَقَ وَٱنْفَجَرَ لَهُ ٱلْوَادِي وَأَخْصَبَ ٱلنَّادِي وَٱلْبَادِي وَفِي ذَٰلِكَ يَقُولُ أَبُو طَالِبٍ:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى ٱلْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ ٱلْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

وَٱلثِّمَالُ بِٱلْكَسْرِ ٱلْمَلْجَأُ وَعِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ يَمْنَعُهُمْ مِنَ ٱلضَّيَاعِ وَٱلْأَرَامِلُ ٱلْمَسَاكِينُ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ وَٱسْتِعْمَالُهُ بِٱلنِّسَاءِ أَكْثَرُ * وَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً خَرَجَ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى ٱلشَّامِ حَتَّى بَلَغَ

بُصْرَى فَرَآهُ بَحِيرَا ٱلرَّاهِبُ وَٱسْمُهُ جِرْجِيسُ فَعَرَفَهُ بِصِفَتِهِ فَقَالَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِهِ هٰذَا سَيِّدُ ٱلْعَالَمِينَ هٰذَا يَبْعَثُهُ ٱللّٰهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ فَقِيلَ لَهُ وَمَا عِلْمُكَ بِذٰلِكَ فَقَالَ إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ بِهِ مِنَ ٱلْعَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا وَلَا يَسْجُدَانِ إِلَّا لِنَبِيٍّ وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ ٱلنُّبُوَّةِ فِي أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفِ كَتِفِهِ مِثْلَ ٱلتُّفَّاحَةِ وَإِنَّا نَجِدُهُ فِي كُتُبِنَا وَسَأَلَ أَبَا طَالِبٍ أَنْ يَرُدَّهُ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ ٱلْيَهُودِ وَأَقْبَلَ سَبْعَةٌ مِنَ ٱلرُّومِ يَقْصِدُونَ قَتْلَهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فَٱسْتَقْبَلَهُمْ بَحِيرَا فَقَالَ مَا جَاءَ بِكُمْ قَالُوا إِنَّ هٰذَا ٱلنَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هٰذَا ٱلشَّهْرِ فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلَّا بُعِثَ إِلَيْهَا بِأُنَاسٍ فَقَالَ أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ ٱللّٰهُ أَنْ يَقْضِيَهُ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ ٱلنَّاسِ رَدَّهُ قَالُوا لَا قَالَ فَبَايَعُوهُ فَأَقَامُوا مَعَهُ وَرَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ * وَرَوَى ٱلْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ أَنَّ بَحِيرَا رَآهُ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فِي ٱلرَّكْبِ حِينَ أَقْبَلُوا وَغَمَامَةٌ بَيْضَاءُ تُظِلُّهُ مِنْ بَيْنِ ٱلْقَوْمِ ثُمَّ أَقْبَلُوا حَتَّى نَزَلُوا بِظِلِّ شَجَرَةٍ قَرِيبًا مِنْهُ فَنَظَرَ إِلَى ٱلْغَمَامَةِ حِينَ أَظَلَّتِ ٱلشَّجَرَةَ وَتَهَصَّرَتْ أَغْصَانُ ٱلشَّجَرَةِ عَلَى رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى ٱسْتَظَلَّ تَحْتَهَا وَأَنَّ بَحِيرَا قَامَ فَٱحْتَضَنَهُ وَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ حَالِهِ مِنْ نَوْمِهِ وَهَيْئَتِهِ وَأُمُورِهِ وَيُخْبِرُهُ رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُوَافِقُ ذٰلِكَ مَا عِنْدَ بَحِيرَا مِنْ صِفَتِهِ وَرَأَى خَاتَمَ ٱلنُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَى مَوْضِعِهِ مِنْ صِفَتِهِ ٱلَّتِي عِنْدَهُ * وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُمَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقَ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ صَحِبَ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ٱبْنُ ثَمَانَ عَشْرَةَ وَٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱبْنُ عِشْرِينَ سَنَةً وَهُمْ يُرِيدُونَ ٱلشَّأْمَ فِي تِجَارَةٍ حَتَّى نَزَلَا مَنْزِلًا فِيهِ سِدْرَةٌ فَقَعَدَ

فِي ظِلِّهَا وَمَضَى أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَاهِبٍ يُقَالُ لَهُ بَحِيرَا يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ لَهُ مَنِ الرَّجُلُ الَّذِي فِي ظِلِّ الشَّجَرَةِ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ هٰذَا وَاللهِ نَبِيٌّ مَا اسْتَظَلَّ تَحْتَ ظِلِّهَا بَعْدَ عِيسَى إِلَّا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَقَعَ فِي قَلْبِ أَبِي بَكْرٍ التَّصْدِيقُ فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّبَعَهُ * ثُمَّ خَرَجَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا وَمَعَهُ مَيْسَرَةُ غُلَامُ خَدِيجَةَ ابْنَةِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ فِي تِجَارَةٍ لَهَا حَتَّى بَلَغَ سُوقَ بُصْرَى وَلَهُ إِذْ ذَاكَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ فَنَزَلَ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ فَقَالَ نَسْطُورَا الرَّاهِبُ مَا نَزَلَ تَحْتَ ظِلِّ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ بَعْدَ عِيسَى إِلَّا نَبِيٌّ وَكَانَ مَيْسَرَةُ يَرَى فِي الْهَاجِرَةِ مَلَكَيْنِ يُظِلَّانِهِ مِنَ الشَّمْسِ وَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ فِي وَقْتِ الظَّهِيرَةِ وَخَدِيجَةُ فِي عِلِّيَّةٍ لَهَا فَرَأَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى بَعِيرِهِ وَمَلَكَانِ يُظِلَّانِ عَلَيْهِ وَتَزَوَّجَهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذٰلِكَ بِشَهْرَيْنِ وَخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا وَسِنُّهَا إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً وَقِيلَ ثَلَاثُونَ وَكَانَتْ تُدْعَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالطَّاهِرَةِ وَكَانَتْ تَحْتَ أَبِي هَالَةَ بْنِ زُرَارَةَ التَّمِيمِيِّ فَوَلَدَتْ لَهُ هِنْدًا وَهَالَةَ وَهُمَا ذَكَرَانِ ثُمَّ تَزَوَّجَهَا عَتِيقُ بْنُ عَائِذٍ الْمَخْزُومِيُّ فَوَلَدَتْ لَهُ هِنْدًا وَكَانَ لَهَا حِينَ تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعُمْرِ أَرْبَعُونَ سَنَةً وَبَعْضُ أُخْرَى وَكَانَتْ عَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ فَذَكَرَ ذٰلِكَ لِأَعْمَامِهِ فَخَرَجَ مَعَهُ مِنْهُمْ حَمْزَةُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ فَخَطَبَهَا إِلَيْهِ فَتَزَوَّجَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَحَضَرَ أَبُو طَالِبٍ وَرُؤَسَاءُ مُضَرَ فَخَطَبَ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنْ ذُرِّيَّةِ

إِبْرَاهِيمَ وَزَرْعِ إِسْمَاعِيلَ وَضِئْضِئِ مَعَدٍّ وَعُنْصُرِ مُضَرَ وَجَعَلَنَا حَضَنَةَ بَيْتِهِ وَسُوَّاسَ حَرَمِهِ وَجَعَلَ لَنَا بَيْتاً مَحْجُوجاً وَحَرَماً آمِناً وَجَعَلَنَا الْحُكَّامَ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ إِنَّ ابْنَ أَخِي هٰذَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللّٰهِ لَا يُوزَنُ بِرَجُلٍ إِلَّا رَجَحَ بِهِ فَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قُلٌّ فَإِنَّ الْمَالَ ظِلٌّ زَائِلٌ وَأَمْرٌ حَائِلٌ وَمُحَمَّدٌ مَنْ قَدْ عَرَفْتُمْ قَرَابَتَهُ وَقَدْ خَطَبَ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ وَبَذَلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ مَا آجِلُهُ وَعَاجِلُهُ مِنْ مَالِي كَذَا وَهُوَ وَاللّٰهِ بَعْدَ هٰذَا لَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ وَخَطَرٌ جَلِيلٌ فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا أَبُوهَا خُوَيْلِدٌ وَكَانَ الصَّدَاقُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً ذَهَباً وَنَشّاً وَالْأُوقِيَّةُ أَرْبَعُونَ دِرْهَماً وَالنَّشُّ نِصْفُ أُوقِيَّةٍ وَالضِّئْضِئُ الْأَصْلُ وَكَذَا الْعُنْصُرُ * وَلَمَّا بَلَغَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْساً وَثَلَاثِينَ سَنَةً بَنَتْ قُرَيْشٌ الْكَعْبَةَ وَكَانَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ الْحِجَارَةَ وَكَانُوا يَضَعُونَ أُزُرَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ وَيَحْمِلُونَ الْحِجَارَةَ فَفَعَلَ ذٰلِكَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَقَطَ مِنْ قِيَامٍ وَنُودِيَ عَوْرَتَكَ فَكَانَ ذٰلِكَ أَوَّلَ مَا نُودِيَ فَقَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ أَوِ الْعَبَّاسُ يَا ابْنَ أَخِي اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَأْسِكَ فَقَالَ مَا أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي إِلَّا مِنَ التَّعَرِّي * وَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعِينَ سَنَةً بَعَثَهُ اللّٰهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَرَسُولاً إِلَى كَافَّةِ الثَّقَلَيْنِ أَجْمَعِينَ وَكَانَ ذٰلِكَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِسَبْعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ * رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي التَّعْبِيرِ حَدِيثَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهَا أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ وَكَانَ يَأْتِي حِرَاءَ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ

وَ يَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِىءٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِىءٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِىءٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» حَتَّى بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ «مَا لَمْ يَعْلَمْ» فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ يَا خَدِيجَةُ مَا لِي وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ وَقَالَ قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ لَهُ كَلَّا أَبْشِرْ فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنِ قُصَيٍّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ فَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ أَيِ ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ فَقَالَ وَرَقَةُ نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا * ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ صَلَّى

ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَلَغَنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ شَوَاهِقِ ٱلْجِبَالِ فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ نَفْسَهُ مِنْهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ ٱللَّهِ حَقًّا فَيَسْكُنُ لِذَٰلِكَ جَاشُهُ وَتَقَرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ ٱلْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَٰلِكَ فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَٰلِكَ • قَوْلُهُ مَا أَنَا بِقَارِىءٍ أَيْ إِنِّي أُمِّيٌّ فَلَا أَقْرَأُ ٱلْكُتُبَ وَقَوْلُهُ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ هِيَ جَمْعُ بَادِرَةٍ وَهِيَ ٱللَّحْمَةُ ٱلَّتِي بَيْنَ ٱلْعُنُقِ وَٱلْمَنْكِبِ وَقَوْلُ وَرَقَةَ لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا ٱلضَّمِيرُ لِلنُّبُوَّةِ أَيْ لَيْتَنِي كُنْتُ شَابًّا عِنْدَ ظُهُورِهَا حَتَّى أُبَالِغَ فِي نُصْرَتِهَا * وَأَخْرَجَ ٱلْبَيْهَقِيُّ أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَرَادَ ٱللَّهُ كَرَامَتَهُ وَٱبْتِدَاءَهُ بِٱلنُّبُوَّةِ كَانَ لَا يَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ وَسَمِعَ مِنْهُ فَيَلْتَفِتُ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا ٱلشَّجَرَ وَمَا حَوْلَهُ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ وَهِيَ تُحَيِّيهِ بِتَحِيَّةِ ٱلنُّبُوَّةِ ٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ ٱللَّهِ * وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ شَهْرًا فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي هَبَطْتُ فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا وَنَظَرْتُ عَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا وَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شَيْئًا فَلَمْ أَثْبُتْ لَهُ فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا فَنَزَلَتْ «يَا أَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ» ٱلْآيَةَ وَذَٰلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ ٱلصَّلَاةُ رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ * وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ أَنَّ وَرَقَةَ قَالَ لَهُ أَبْشِرْ فَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ ٱلَّذِي بَشَّرَ بِهِ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَأَنَّكَ عَلَى مِثْلِ نَامُوسِ مُوسَى وَأَنَّكَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ * وَقَدْ

ذَكَرَ ٱبْنُ عَادِلٍ فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نَزَلَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ وَنَزَلَ عَلَى آدَمَ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً وَعَلَى إِدْرِيسَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ وَعَلَى نُوحٍ خَمْسِينَ مَرَّةً وَعَلَى إِبْرَاهِيمَ ٱثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ مَرَّةً وَعَلَى مُوسَى أَرْبَعَمِائَةِ مَرَّةٍ وَعَلَى عِيسَى عَشْرَ مَرَّاتٍ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ * وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ جِبْرِيلَ تَبَدَّى لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ وَأَطْيَبِ رَائِحَةٍ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ ٱللهَ يُقْرِئُكَ ٱلسَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ أَنْتَ رَسُولِي إِلَى ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ فَٱدْعُهُمْ إِلَى قَوْلِ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ ثُمَّ ضَرَبَ بِرِجْلِهِ ٱلْأَرْضَ فَنَبَعَتْ عَيْنُ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ وَقَامَ جِبْرِيلُ يُصَلِّي وَأَمَرَهُ أَنْ يُصَلِّيَ مَعَهُ فَعَلَّمَهُ ٱلْوُضُوءَ وَٱلصَّلَاةَ ثُمَّ عَرَجَ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَرَجَعَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلَا مَدَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا وَهُوَ يَقُولُ ٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ حَتَّى أَتَى خَدِيجَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا فَأَخْبَرَهَا فَغُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلْفَرَحِ ثُمَّ أَمَرَهَا فَتَوَضَّأَتْ وَصَلَّى بِهَا كَمَا صَلَّى بِهِ جِبْرِيلُ فَكَانَ ذٰلِكَ أَوَّلَ فَرْضِهَا رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى أَقَرَّهَا فِي ٱلسَّفَرِ كَذٰلِكَ وَأَتَمَّهَا فِي ٱلْحَضَرِ * وَعَنِ ٱلْإِمَامِ ٱلشَّعْبِيِّ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلنُّبُوَّةُ وَهُوَ ٱبْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَقُرِنَ بِنُبُوَّتِهِ إِسْرَافِيلُ ثَلَاثَ سِنِينَ فَكَانَ يُعَلِّمُهُ ٱلْكَلِمَةَ وَٱلشَّيْءَ وَلَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثُ سِنِينَ قُرِنَ بِنُبُوَّتِهِ جِبْرِيلُ فَنَزَلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ عِشْرِينَ سَنَةً رَوَاهُ ٱلْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ * فَقَدْ تَبَيَّنَ أَيْ مِنْ جُمْلَةِ مَا سَاقَهُ أَنَّ نُبُوَّتَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ مُتَقَدِّمَةً عَلَى رِسَالَتِهِ فَكَانَ فِي نُزُولِ

سُورَةِ اقْرَأْ نُبُوَّتُهُ وَفِي نُزُولِ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ إِرْسَالُهُ بِالنِّذَارَةِ وَالْبِشَارَةِ وَالتَّشْرِيعِ وَهٰذَا قَطْعًا مُتَأَخِّرٌ عَنِ الْأَوَّلِ * وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَصَدَّقَ صِدِّيقَةُ النِّسَاءِ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا فَقَامَتْ بِأَعْبَاءِ الصِّدِّيقِيَّةِ قَالَ لَهَا صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ لَهُ أَبْشِرْ فَوَاللّٰهِ لَا يُخْزِيكَ اللّٰهُ أَبَدًا ثُمَّ اسْتَدَلَّتْ بِمَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ وَالْأَخْلَاقِ وَالشِّيَمِ عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ كَذٰلِكَ لَا يُخْزَى أَبَدًا * وَكَانَ أَوَّلَ رَجُلٍ آمَنَ بَعْدَهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ فَآزَرَهُ فِي اللّٰهِ * وَأَوَّلَ صَبِيٍّ آمَنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ وَسِنُّهُ عَشْرُ سِنِينَ * وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ مِنَ الْمَوَالِي زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَمِنَ الْعَبِيدِ بِلَالٌ * ثُمَّ أَسْلَمَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللّٰهِ بِدُعَاءِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَجَاءَ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ اسْتَجَابُوا لَهُ فَأَسْلَمُوا وَصَلَّوْا ثُمَّ أَسْلَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ عُبَيْدِ اللّٰهِ بْنِ الْجَرَّاحِ وَأَبُو سَلَمَةَ بَعْدَ تِسْعَةِ أَنْفُسٍ وَالْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ الْمَخْزُومِيُّ وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ الْجُمَحِيُّ وَأَخَوَاهُ قُدَامَةُ وَعَبْدُ اللّٰهِ وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ وَامْرَأَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ * وَأَوَّلُ امْرَأَةٍ أَسْلَمَتْ بَعْدَ خَدِيجَةَ أُمُّ الْفَضْلِ زَوْجُ الْعَبَّاسِ وَأَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ وَدَخَلَ النَّاسُ فِي الْإِسْلَامِ أَرْسَالًا مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ * ثُمَّ إِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى أَمَرَ رَسُولَهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يَصْدَعَ بِمَا جَاءَ بِهِ أَيْ يُوَاجِهَ بِهِ الْمُشْرِكِينَ فَمَا زَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا حَتَّى نَزَلَتْ «فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ» فَجَهَرَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ قَالُوا

وَكَانَ ذٰلِكَ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَهِيَ الْمُدَّةُ الَّتِي أَخْفَى رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَهُ فِيهَا إِلَى أَنْ أَمَرَهُ اللّٰهُ تَعَالَى بِإِظْهَارِهِ فَنَادَى قَوْمَهُ بِالْإِسْلَامِ وَصَدَعَ بِهِ كَمَا أَمَرَهُ اللّٰهُ تَعَالَى وَلَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ قَوْمُهُ وَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ حَتَّى ذَكَرَ آلِهَتَهُمْ وَعَابَهَا فَأَجْمَعُوا عَلَى خِلَافِهِ وَعَدَاوَتِهِ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللّٰهُ مِنْهُمْ بِالْإِسْلَامِ وَحَدَبَ عَلَيْهِ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ وَمَنَعَهُ مِنْهُمْ وَقَامَ دُونَهُ فَاشْتَدَّ الْأَمْرُ وَتَضَارَبَ الْقَوْمُ وَأَظْهَرَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ الْعَدَاوَةَ وَتَذَامَرَتْ قُرَيْشٌ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ يُعَذِّبُونَهُمْ وَيَفْتِنُونَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَمَنَعَ اللّٰهُ تَعَالَى رَسُولَهُ مِنْهُمْ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَبَنِي هَاشِمٍ وَالْمُطَّلِبِ غَيْرَ أَبِي لَهَبٍ * وَكَانَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ فِي مَنَازِلِهِمْ يَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَبُو لَهَبٍ وَرَاءَهُ يَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هٰذَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتْرُكُوا دِينَ آبَائِكُمْ *وَرَمَاهُ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بِالسِّحْرِ وَتَبِعَهُ قَوْمُهُ عَلَى ذٰلِكَ وَآذَتْهُ قُرَيْشٌ وَرَمَوْهُ بِالشِّعْرِ وَالْكَهَانَةِ وَالْجُنُونِ وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَحْثُو التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ وَيَجْعَلُ الدَّمَ عَلَى بَابِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ *وَوَطِئَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ عَلَى رَقَبَتِهِ الشَّرِيفَةِ وَهُوَ سَاجِدٌ عِنْدَ الْكَعْبَةِ حَتَّى كَادَتْ عَيْنَاهُ تَبْرُزَانِ وَخَنَقُوهُ خَنْقًا شَدِيدًا فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ دُونَهُ فَجَذَبُوا رَأْسَهُ وَلِحْيَتَهُ حَتَّى سَقَطَ أَكْثَرُ شَعْرِهِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللّٰهُ وَدَفَعَ عَنْهُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَفَّ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ وَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا * وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ كَانَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ

وَجَمْعٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهِمْ إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هٰذَا الْمُرَائِي أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى جَزُورِ آلِ فُلَانٍ فَيَعْمَدُ إِلَى فَرْثِهَا وَدَمِهَا وَسَلَاهَا فَيَجِيءُ بِهِ ثُمَّ يُمْهِلُهُ حَتَّى إِذَا سَجَدَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ فَانْبَعَثَ أَشْقَاهُمْ فَلَمَّا سَجَدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَثَبَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ فَانْطَلَقَ مُنْطَلِقٌ إِلَى فَاطِمَةَ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى وَثَبَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسُبُّهُمْ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ قَالَ اللّٰهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ثُمَّ سَمَّى فَقَالَ اللّٰهُمَّ عَلَيْكَ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ ابْنِ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ وَعُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ قَالَ عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ مَسْعُودٍ فَوَاللّٰهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُتْبِعَ أَصْحَابُ الْقَلِيبِ لَعْنَةً وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى أَكْثَرِهِمْ لِأَنَّ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ لَمْ يُصْرَعْ فِي بَدْرٍ وَإِنَّمَا قُتِلَ صَبْرًا بَعْدَ أَنْ رَحَلُوا عَنْ بَدْرٍ مَرْحَلَةً وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ لَمْ يُطْرَحْ فِي الْقَلِيبِ وَعُمَارَةُ ابْنُ الْوَلِيدِ هَلَكَ فِي أَرْضِ الْحَبَشَةِ * ثُمَّ أَسْلَمَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَكَانَ أَعَزَّ فَتًى فِي قُرَيْشٍ وَأَشَدَّهُ شَكِيمَةً سَنَةَ سِتٍّ فَعَزَّ بِهِ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَفَّتْ عَنْهُ قُرَيْشٌ قَلِيلًا * وَقَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ الشَّرَفَ فِينَا فَنَحْنُ نُسَوِّدُكَ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا وَإِنْ كَانَ هٰذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رَئِيًّا أَيْ جِنِّيًّا قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ بَذَلْنَا أَمْوَالَنَا فِي

طَلَبِ ٱلطِّبِّ لَكَ حَتَّى نُبْرِئَكَ مِنْهُ أَوْ نُعْذَرَ فِيكَ فَقَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مَا بِي مَا تَقُولُونَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ بَعَثَنِي رَسُولًا وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابًا وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ ٱللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ * ثُمَّ إِنَّ ٱلنَّضْرَ بْنَ ٱلْحَارِثِ وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ ذَهَبَا إِلَى أَحْبَارِ ٱلْيَهُودِ فَسَأَلَاهُمْ عَنْهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا لَهُمَا سَلُوهُ عَنْ ثَلَاثَةٍ فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِنَّ فَهُوَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَإِنْ لَمْ يُجِبْ فَهُوَ مُتَقَوِّلٌ سَلُوهُ عَنْ فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فِي ٱلدَّهْرِ ٱلْأَوَّلِ وَعَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ وَعَنِ ٱلرُّوحِ مَا هُوَ فَأَنْزَلَ ٱللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَ ٱلْفِتْيَةِ ٱلَّذِينَ ذَهَبُوا وَهُمْ أَصْحَابُ ٱلْكَهْفِ وَذِكْرَ ٱلرَّجُلِ ٱلطَّوَّافِ وَهُوَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ وَقَالَ فِي ٱلرُّوحِ «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَيْسَ فِي ٱلْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُطْلِعْ نَبِيَّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَقِيقَةِ ٱلرُّوحِ بَلْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَطْلَعَهُ وَلَمْ يَأْمُرْهُ أَنْ يُطْلِعَهُمْ وَقَدْ قَالُوا فِي عِلْمِ ٱلسَّاعَةِ نَحْوَ هَٰذَا فَٱللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ * وَلَمَّا كَثُرَ ٱلْمُسْلِمُونَ وَظَهَرَ ٱلْإِيمَانُ أَقْبَلَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ عَلَى مَنْ آمَنَ يُعَذِّبُونَهُمْ وَيُؤْذُونَهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ حَتَّى أَنَّهُ مَرَّ عَدُوُّ ٱللَّهِ أَبُو جَهْلٍ بِسُمَيَّةَ أُمِّ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَهِيَ تُعَذَّبُ فَطَعَنَهَا بِحَرْبَةٍ فَقَتَلَهَا * وَكَانَ ٱلصِّدِّيقُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إِذَا مَرَّ بِأَحَدٍ مِنَ ٱلْعَبِيدِ يُعَذَّبُ ٱشْتَرَاهُ وَأَعْتَقَهُ مِنْهُمْ بِلَالٌ وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ * وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ ٱلْإِسْلَامَ سَبْعَةٌ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعَمَّارٌ وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ

وَصُهَيْبٌ وَبِلاَلٌ وَالْمِقْدَادُ فَأَمَّا رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنَعَهُ اللّٰهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللّٰهُ بِقَوْمِهِ وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ يُعَذِّبُونَهُمْ فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ وَإِنَّ بِلاَلاً هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ * ثُمَّ أَذِنَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ فِي الْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ وَذٰلِكَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ خَمْسٍ مِنَ النُّبُوَّةِ فَهَاجَرَ إِلَيْهَا نَاسٌ ذَوُو عَدَدٍ مِنْهُمْ مَنْ هَاجَرَ بِأَهْلِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ وَكَانُوا أَحَدَ عَشَرَ رَجُلاً وَأَرْبَعَ نِسْوَةٍ وَأَمِيرُهُمْ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ مَعَ امْرَأَتِهِ رُقَيَّةَ بِنْتِ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبْطَأَ عَلَيْهِ خَبَرُهُمَا فَقَدِمَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ رَأَيْتُهُمَا وَقَدْ حَمَلَ عُثْمَانُ امْرَأَتَهُ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ عُثْمَانَ لَأَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ بِأَهْلِهِ بَعْدَ لُوطٍ * فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ اسْتِقْرَارَهُمْ فِي الْحَبَشَةِ وَأَمْنَهُمْ أَرْسَلُوا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ اللّٰهِ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ بِهَدَايَا وَتُحَفٍ مِنْ بِلاَدِهِمْ إِلَى النَّجَاشِيِّ وَاسْمُهُ أَصْحَمَةُ وَكَانَ مَعَهُمَا عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ لِيَرُدُّوهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ فَأَبَى ذٰلِكَ وَرَدَّهُمَا خَائِبَيْنِ بِهَدِيَّتِهِمَا * وَأَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بَعْدَ حَمْزَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا بِثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِيمَا قَالَهُ أَبُو نُعَيْمٍ بِدَعْوَتِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللّٰهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلاَمَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ ذَاكَ بِضْعَةً وَأَرْبَعِينَ رَجُلاً وَإِحْدَى عَشَرَةَ امْرَأَةً [١] * قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ قَالَ

(١) قال الزرقاني أو تسعة و ثلاثون رجلا.

جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر *
ولما رأت قريش عزة النبي صلى الله عليه وسلم بمن معه وإسلام عمر وعزة
أصحابه بالحبشة وفشو الإسلام في القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبي صلى
الله عليه وسلم فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم وبني المطلب فأدخلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله وأجابه لذلك
حتى كفارهم فعلوا ذلك حمية فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا أن
يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب أن لا ينكحوا إليهم
ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا
حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوه في صحيفة بخط بغيض
بن عامر فشلت يده وعلقت الصحيفة في جوف الكعبة هلال المحرم سنة
سبع من النبوة فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في
شعبه إلا أبا لهب فكان مع قريش فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا
وكان لا يصل إليهم شيء إلا سرا * وروى البخاري في صحيحه أنه صلى الله عليه
وسلم قرأ سورة النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والإنس والجن ولما
سمع بذلك من في الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم نفر
منهم لظنهم أن أهل مكة قد أسلموا كلهم وصلوا معه صلى الله عليه وسلم وقد
أمن المسلمون بمكة فأقبلوا سراعا من الحبشة * ثم هاجر المسلمون الهجرة
الثانية إلى أرض الحبشة وعدتهم ثلاثة وثمانون رجلا وثماني عشرة امرأة

وَكَانَ معهم عُبَيْدُ اللهِ بنُ جَحْشٍ معَ امْرَأَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ فَتَنَصَّرَ هُنَاكَ ثُمَّ تُوُفِّيَ عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ * وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ سَنَةَ سَبْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهِيَ بِالْحَبَشَةِ * ثُمَّ قَامَ رِجَالٌ فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ فَأَطْلَعَ اللهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنَّ الْأَرَضَةَ أَكَلَتْ جَمِيعَ مَا فِيهَا مِنَ الْقَطِيعَةِ وَالظُّلْمِ فَلَمْ تَدَعْ إِلَّا أَسْمَاءَ اللهِ تَعَالَى فَقَطْ فَلَمَّا انْزِلَتْ لِتُمَزَّقَ وُجِدَتْ كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ * وَلَمَّا أَتَتْ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَثَمَانِيَةُ أَشْهُرٍ وَأَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا مَاتَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ وَلَهُ سَبْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ قَبْلَ هِجْرَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِثَلَاثِ سِنِينَ * وَحُكِيَ عَنْ هِشَامِ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَمَعَ إِلَيْهِ وُجُوهَ قُرَيْشٍ فَأَوْصَاهُمْ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَنْتُمْ صَفْوَةُ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ إِلَى أَنْ قَالَ وَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِمُحَمَّدٍ خَيْرًا فَإِنَّهُ الْأَمِينُ فِي قُرَيْشٍ وَالصِّدِّيقُ فِي الْعَرَبِ وَهُوَ الْجَامِعُ لِكُلِّ مَا أُوصِيكُمْ بِهِ وَقَدْ جَاءَ بِأَمْرٍ قَبِلَهُ الْجَنَانُ وَأَنْكَرَهُ اللِّسَانُ مَخَافَةَ الشَّنَآنِ وَأَيْمُ اللهِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى صَعَالِيكِ الْعَرَبِ وَأَهْلِ الْوَبَرِ وَالْأَطْرَافِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ النَّاسِ قَدْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ وَعَظَّمُوا أَمْرَهُ فَخَاضَ بِهِمْ غَمَرَاتِ الْمَوْتِ فَصَارَتْ رُؤَسَاءُ قُرَيْشٍ وَصَنَادِيدُهَا أَذْنَابًا وَدُورُهَا خَرَابًا وَضُعَفَاؤُهَا أَرْبَابًا وَإِذَا أَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ أَحْوَجُهُمْ إِلَيْهِ وَأَبْعَدُهُمْ مِنْهُ أَحْظَاهُمْ عِنْدَهُ قَدْ مَحَضَتْهُ الْعَرَبُ وِدَادَهَا وَأَصْفَتْ لَهُ فُؤَادَهَا وَأَعْطَتْهُ قِيَادَهَا يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ

كُونُوا لَهُ وُلَاةً وَلِحِزْبِهِ حُمَاةً وَاللهِ لَا يَسْلُكُ أَحَدٌ سَبِيلَهُ إِلَّا رَشَدَ وَلَا يَأْخُذُ بِهَدْيِهِ إِلَّا سَعِدَ وَلَوْ كَانَ لِنَفْسِي مُدَّةٌ وَلِأَجَلِي تَأْخِيرٌ لَكَفَفْتُ عَنْهُ الْهَزَاهِزَ وَلَدَفَعْتُ عَنْهُ الدَّوَاهِيَ ثُمَّ هَلَكَ * ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَقِيلَ بِخَمْسَةٍ فِي رَمَضَانَ بَعْدَ الْبَعْثِ بِعَشْرِ سِنِينَ عَلَى الصَّحِيحِ مَاتَتْ خَدِيجَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَمِّي ذَلِكَ الْعَامَ عَامَ الْحُزْنِ وَكَانَتْ مُدَّةُ إِقَامَتِهَا مَعَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً عَلَى الصَّحِيحِ ثُمَّ بَعْدَ أَيَّامٍ مِنْ مَوْتِ خَدِيجَةَ تَزَوَّجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِسَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا * ثُمَّ خَرَجَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الطَّائِفِ لِمَا نَالَهُ مِنْ قُرَيْشٍ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي طَالِبٍ وَكَانَ مَعَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَأَقَامَ بِهِ شَهْرًا يَدْعُو أَشْرَافَ ثَقِيفٍ إِلَى اللهِ تَعَالَى فَلَمْ يُجِيبُوهُ وَأَغْرَوْا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ يَسُبُّونَهُ وَرَمَوْا عَرَاقِيبَهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى اخْتَضَبَتْ نَعْلَاهُ بِالدِّمَاءِ وَكَانَ إِذَا أَزْلَقَتْهُ الْحِجَارَةُ قَعَدَ إِلَى الْأَرْضِ فَيَأْخُذُونَ بِعَضُدَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُقِيمُونَهُ فَإِذَا مَشَى رَجَمُوهُ وَهُمْ يَضْحَكُونَ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَقِيهِ بِنَفْسِهِ حَتَّى لَقَدْ شُجَّ فِي رَأْسِهِ شِجَاجًا * وَفِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ قَالَ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ

ٱلسَّلَامُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا بِهِ عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ ٱلْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فَنَادَانِي مَلَكُ ٱلْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَأَنَا مَلَكُ ٱلْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَخْشَبَيْنِ وَهُمَا جَبَلَانِ قَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَرْجُوا أَنْ يُخْرِجَ ٱللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ ٱللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَكَانَتْ مُدَّةُ إِقَامَتِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِٱلطَّائِفِ عَشَرَةَ أَيَّامٍ * وَلَمَّا ٱنْصَرَفَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَهْلِ ٱلطَّائِفِ مَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِعُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ٱبْنَيْ رَبِيعَةَ وَهُمَا فِي حَائِطٍ لَهُمَا فَلَمَّا رَأَيَا مَا لَقِيَ تَحَرَّكَتْ لَهُ رَحِمُهُمَا فَبَعَثَا لَهُ مَعَ عَدَّاسٍ ٱلنَّصْرَانِيِّ غُلَامِهِمَا قِطْفَ عِنَبٍ فَلَمَّا وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَوَضَعَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فِي ٱلْقِطْفِ قَالَ بِسْمِ ٱللَّهِ ثُمَّ أَكَلَ فَنَظَرَ عَدَّاسٌ إِلَى وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ وَٱللَّهِ إِنَّ هٰذَا ٱلْكَلَامَ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ فَقَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَيِّ ٱلْبِلَادِ أَنْتَ وَمَا دِينُكَ قَالَ نَصْرَانِيٌّ مِنْ نِينَوَى فَقَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَرْيَةِ ٱلرَّجُلِ ٱلصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى فَقَالَ وَمَا يُدْرِيكَ قَالَ ذَاكَ أَخِي وَهُوَ نَبِيٌّ مِثْلِي فَأَكَبَّ عَدَّاسٌ عَلَى يَدَيْهِ وَرَأْسِهِ وَرِجْلَيْهِ يُقَبِّلُهَا وَأَسْلَمَ * وَلَمَّا نَزَلَ نَخْلَةَ وَهُوَ مَوْضِعٌ عَلَى لَيْلَةٍ مِنْ مَكَّةَ صُرِفَ إِلَيْهِ سَبْعَةٌ مِنْ جِنِّ نَصِيبِينَ وَكَانَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَامَ فِي جَوْفِ ٱللَّيْلِ يُصَلِّي فَٱسْتَمَعُوا لَهُ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ ٱلْجِنِّ وَٱلَّذِي آذَنَهُ بِهِمْ شَجَرَةٌ * وَفِي طَرِيقِهِ هٰذِهِ دَعَا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِٱلدُّعَاءِ ٱلْمَشْهُورِ أَللّٰهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي وَهَوَانِي

عَلَى ٱلنَّاسِ يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ أَنْتَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ وَأَنْتَ رَبُّ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ إِلَى مَنْ تَكِلُنِي إِلَى عَدُوٍّ بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي أَمْ إِلَى صَدِيقٍ قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي إِنْ لَمْ تَكُنْ غَضْبَانًا عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ ٱلَّذِي أَضَاءَتْ لَهُ ٱلسَّمٰوَاتُ وَأَشْرَقَتْ لَهُ ٱلظُّلُمَاتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ أَنْ يَنْزِلَ بِي غَضَبُكَ أَوْ يَحِلَّ بِي سَخَطُكَ وَلَكَ ٱلْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ ❁ ثُمَّ دَخَلَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ فِي جِوَارِ ٱلْمُطْعِمِ ٱبْنِ عَدِيٍّ ❁ وَلَمَّا كَانَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ ٱلْأَوَّلِ أُسْرِيَ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقَظَةً مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى ثُمَّ عُرِجَ بِهِ مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى إِلَى فَوْقِ سَبْعِ سَمٰوَاتٍ وَرَأَى رَبَّهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى وَفَرَضَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَوَاتِ ٱلْخَمْسَ ثُمَّ ٱنْصَرَفَ فِي لَيْلَتِهِ إِلَى مَكَّةَ فَأَخْبَرَ بِذٰلِكَ فَصَدَّقَهُ ٱلصِّدِّيقُ وَكُلُّ مَنْ آمَنَ بِٱللّٰهِ وَكَذَّبَهُ ٱلْكُفَّارُ وَٱسْتَوْصَفُوهُ بَيْتَ ٱلْمَقْدِسِ فَمَثَّلَهُ ٱللّٰهُ لَهُ فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَصِفُهُ وَكَانَ ذٰلِكَ بَعْدَ ٱلْبَعْثِ بِخَمْسِ سِنِينَ وَقِيلَ [١] كَانَ لَيْلَةَ ٱلسَّابِعِ وَٱلْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ وَٱخْتَارَهُ ٱلْحَافِظُ عَبْدُ ٱلْغَنِيِّ ٱلْمَقْدِسِيُّ وَقِيلَ لَيْلَةَ ٱلْجُمُعَةِ وَقِيلَ لَيْلَةَ ٱلسَّبْتِ ❁ وَلَمَّا أَرَادَ ٱللّٰهُ تَعَالَى إِظْهَارَ دِينِهِ وَإِعْزَازَ نَبِيِّهِ وَإِنْجَازَ مَوْعِدِهِ لَهُ خَرَجَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ٱلْمَوْسِمِ ٱلَّذِي لَقِيَ فِيهِ ٱلْأَنْصَارَ ٱلْأَوْسَ وَٱلْخَزْرَجَ فَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ ٱلْعَرَبِ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَ ٱلْعَقَبَةِ لَقِيَ رَهْطًا مِنَ ٱلْخَزْرَجِ أَرَادَ ٱللّٰهُ بِهِمْ خَيْرًا فَقَالَ لَهُمْ مَنْ أَنْتُمْ قَالُوا نَفَرٌ مِنَ ٱلْخَزْرَجِ قَالَ أَفَلَا تَجْلِسُونَ أُكَلِّمُكُمْ قَالُوا بَلَى

(١) قال الزّرقانى فى شرحه كان الاسراء قبل الهجرة بسنة و خمسة اشهر و كان ليلة السابع و العشرين من رجب.

فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن وكان من صنع الله أن اليهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وكان الأوس والخزرج أكثر منهم فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا إن نبيا سيبعث فقد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه فلما كلمهم النبي صلى الله عليه وسلم عرفوا النعت فقال بعضهم لبعض لا تسبقنا اليهود إليه فأجابوه إلى ما دعاهم إليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام فأسلم منهم ستة نفر وهم أبو أمامة أسعد بن زرارة وعوف بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء ورافع ابن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي وجابر ابن عبد الله بن رياب فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي فقالوا يا رسول الله إنما كانت بعاث عام أول يوم من أيامنا اقتتلنا به فإن تقدم ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع إلى عشائرنا لعل الله يصلح ذات بيننا وندعوهم إلى ما دعوتنا فعسى الله أن يجمعهم عليك فإن اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك وموعدك الموسم العام القابل وانصرفوا إلى المدينة ولم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان العام المقبل لقيه اثنا عشر رجلا وهي العقبة الثانية فأسلموا فيهم خمسة من الستة المذكورين ولم يكن فيهم جابر بن عبد الله بن رياب والسبعة تتمة الاثني عشر هم معاذ بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء أخو عوف المذكور

قبلا وذكوان بن عبد قيس الزرقي وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة البلوي
والعباس بن عبادة بن نضلة وهؤلاء من الخزرج ومن الأوس رجلان أبو الهيثم
ابن التيهان من بني عبد الأشهل وعويم بن ساعدة فأسلموا وبايعوا على بيعة
النساء أي وفق بيعتهن التي أنزلت بعد ذلك عند فتح مكة وهي أن لا نشرك
بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا
وأرجلنا ولا نعصيه في معروف والسمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط
والمكره وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقول الحق حيث كنا
لا نخاف في الله لومة لائم قال صلى الله عليه وسلم فإن وفيتم فلكم الجنة ومن
غشي من ذلك شيئا كان أمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ولم
يفرض يومئذ القتال ثم انصرفوا إلى المدينة فأظهر الله الإسلام وكان
أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلم وكتب الأوس والخزرج إلى النبي
صلى الله عليه وسلم ابعث إلينا من يقرئنا القرآن فبعث إليهم مصعب بن عمير
فأسلم على يده خلق كثير من الأنصار منهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير
وأسلم بإسلامهما جميع بني عبد الأشهل في يوم واحد الرجال والنساء حاشا
الأصيرم وهو عمرو بن ثابت بن وقش فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد فأسلم
واستشهد ولم يسجد لله سجدة واحدة وأخبر صلى الله عليه وسلم أنه من
أهل الجنة ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة بل كانوا كلهم حنفاء
مخلصين رضي الله عنهم أجمعين * ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في

الْعَقَبَةِ الثَّالِثَةِ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ فِي ذِي الْحِجَّةِ أَوْسَطَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ مِنْهُمْ سَبْعُونَ
رَجُلاً وَامْرَأَتَانِ وَقَالَ الْحَاكِمُ خَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ نَفْساً فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى
يَدِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِلْمُبَايَعَةِ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ وَيُقَالُ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ عَلَى
أَنَّهُمْ يَمْنَعُونَهُ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَعَلَى حَرْبِ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ
فَنَقَّبَ عَلَيْهِمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً * وَمَكَثَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ يَتَّبِعُ النَّاسَ
فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الْمَوَاسِمِ بِمِنًى وَغَيْرِهَا يَقُولُ مَنْ يُؤْوِينِي مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ
رِسَالَةَ رَبِّي فَلَهُ الْجَنَّةُ حَتَّى بَعَثَ اللّٰهُ لَهُ الْأَنْصَارَ وَلَمَّا تَمَّتْ هٰذِهِ الْبَيْعَةُ أَمَرَ رَسُولُ
اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَ مَعَهُ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَخَرَجُوا أَرْسَالاً
وَأَقَامَ بِمَكَّةَ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ ثُمَّ اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ فِي دَارِ النَّدْوَةِ
يَتَشَاوَرُونَ فِيمَا يَصْنَعُونَ فِي أَمْرِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى قَتْلِهِ
وَتَفَرَّقُوا عَلَى ذٰلِكَ فَأَتَى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَا تَبِتْ
هٰذِهِ اللَّيْلَةَ عَلَى فِرَاشِكَ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِهِ يَرْصُدُونَهُ حَتَّى يَنَامَ فَيَثِبُوا
عَلَيْهِ فَأَمَرَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيّاً فَنَامَ مَكَانَهُ وَغُطِّيَ بِبُرْدٍ أَخْضَرَ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ
شَرَى نَفْسَهُ فِي اللّٰهِ ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَخَذَ اللّٰهُ عَلَى
أَبْصَارِهِمْ فَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَنَثَرَ عَلَى رُؤُسِهِمْ كُلِّهِمْ تُرَاباً كَانَ فِي يَدِهِ وَهُوَ
يَتْلُو قَوْلَهُ تَعَالَى «يس» إِلَى قَوْلِهِ «فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ» ثُمَّ انْصَرَفَ صَلَّى
اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ أَرَادَ فَأَتَاهُمْ آتٍ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ فَقَالَ مَا تَنْتَظِرُونَ
هٰهُنَا قَالُوا مُحَمَّداً قَالَ قَدْ خَيَّبَكُمُ اللّٰهُ قَدْ وَاللّٰهِ خَرَجَ مُحَمَّدٌ عَلَيْكُمْ ثُمَّ مَا تَرَكَ

منكم رجلا إلا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته أفما ترون ما بكم فوضع كل رجل يده على رأسه فإذا عليه تراب فما أصاب رجلا منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافرا وفي هذه نزل قوله تعالى «وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك» الآية* ثم أذن الله تعالى لنبيه في الهجرة إلى المدينة ليتشرف به المكان كما تشرف به الزمان ولما هاجر صلى الله عليه وسلم إليها شرفت به حتى وقع الإجماع على أن أفضل البقاع الموضع الذي ضم أعضاءه الكريمة صلى الله عليه وسلم * وخرج من مكة لهلال ربيع الأول وقدم المدينة لاثنتي عشرة خلت منه* وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر رضي الله عنه وأخبر عليه السلام عليا بمخرجه وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس وأتى دار أبي بكر مستخفيا فاستصحبه وسأله أن يأخذ إحدى راحلتيه فأبى صلى الله عليه وسلم إلا بالثمن ليستكمل فضل الهجرة قالت عائشة وجهزناهما أحب الجهاز ثم لحق صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار ثور وهو جبل بأسفل مكة ونظر صلى الله عليه وسلم حين خروجه إلى البيت فقال والله إنك لأحب أرض الله إلي وإنك لأحب أرض الله إلى الله ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة أثره في كل وجهة وجعلوا مائة ناقة لمن رده فلم يظفروا به وأنبت الله على باب الغار شجرة أم غيلان وأمر العنكبوت فنسجت على وجهه

ٱلْغَارِ وَأَرْسَلَ حَمَامَتَيْنِ وَحْشِيَّتَيْنِ فَوَقَفَتَا عَلَى وَجْهِ ٱلْغَارِ وَحَمَامُ ٱلْحَرَمِ مِنْ نَسْلِ
تَيْنِكَ ٱلْحَمَامَتَيْنِ وَأَقْبَلَ فِتْيَانُ قُرَيْشٍ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ حَتَّى وَصَلَ بَعْضُهُمُ ٱلْغَارَ
وَصَدَّهُمْ وُجُودُ ٱلْحَمَامَتَيْنِ وَقَالَ أَحَدُهُمُ ٱدْخُلُوا ٱلْغَارَ فَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ إِنَّ
فِيهِ لَعَنْكَبُوتًا أَقْدَمَ مِنْ مِيلَادِ مُحَمَّدٍ * وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ ٱلْحَمَامَتَيْنِ بَاضَتَا فِي أَسْفَلِ
ٱلنَّقْبِ وَنَسَجَ ٱلْعَنْكَبُوتُ فَقَالُوا لَوْ دَخَلَا لَتَكَسَّرَ ٱلْبَيْضُ وَتَفَسَّخَ نَسْجُ ٱلْعَنْكَبُوتِ
وَهٰذَا أَبْلَغُ فِي ٱلْإِعْجَازِ مِنْ مُقَاوَمَةِ ٱلْقَوْمِ بِٱلْجُنُودِ وَرُوِيَ أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ ٱللَّهُمَّ أَعْمِ أَبْصَارَهُمْ فَعَمِيَتْ عَنْ دُخُولِ ٱلْغَارِ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ
حَوْلَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا * وَفِي ٱلصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ ٱللهِ لَوْ أَنَّ
أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ لَرَآنَا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا ظَنُّكَ
بِٱثْنَيْنِ ٱللهُ ثَالِثُهُمَا * وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ نَظَرْتُ إِلَى قَدَمَيْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى
ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ٱلْغَارِ وَقَدْ تَقَطَّرَتَا دَمًا فَٱسْتَبْكَيْتُ وَعَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ
صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ تَعَوَّدَ ٱلْحَفَاءَ وَٱلْجَفْوَةَ وَرُوِيَ أَنَّهُ دَخَلَ ٱلْغَارَ قَبْلَ
رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَقِيَهُ بِنَفْسِهِ وَأَنَّهُ رَأَى جُحْرًا فِيهِ فَأَلْقَمَهُ عَقِبَهُ
لِئَلَّا يَخْرُجَ مِنْهُ مَا يُؤْذِي رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى
ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِ أَبِي بَكْرٍ وَنَامَ فَلُدِغَ أَبُو بَكْرٍ فِي رِجْلِهِ مِنَ
ٱلْجُحْرِ وَلَمْ يَتَحَرَّكْ فَسَقَطَتْ دُمُوعُهُ عَلَى وَجْهِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَ مَا لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ لُدِغْتُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي فَتَفَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَهَبَ مَا يَجِدُهُ * وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا رَأَى ٱلْقَافَةَ ٱشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَى رَسُولِ ٱللهِ

صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ وَقَالَ إِنْ قُتِلْتُ فَإِنَّمَا أَنَا رجلٌ واحدٌ وإِنْ قُتِلْتَ أَنتَ هَلَكَتِ ٱلأُمَّةُ فعندها قال له رسولُ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ «لاَ تحزنْ ٱنَّ ٱللهَ معنا» يعني بالمعونةِ والنصرِ «فأنزلَ ٱللهُ سكينتهُ» وهي أمنةٌ تسكنُ عندها ٱلقلوبُ على أبي بكرٍ رضيَ ٱللهُ عنهُ لأنَّهُ كانَ منزعجًا «وأيَّدهُ» يعني النبيَّ صلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ «بجنودٍ لم تروها» يعني ٱلملائكةَ ليحرسوهُ في ٱلغارِ وليصرفوا وجوهَ ٱلكفَّارِ وأبصارهم عن رؤيتهِ ٭ ومكثَ صلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ هوَ وأبو بكرٍ في ٱلغارِ ثلاثَ ليالٍ وكانَ يبيتُ عندهما عبدُ ٱللهِ بنُ أبي بكرٍ وهو غلامٌ فيدلجُ من عندهما بسحرٍ فيصبحُ بمكَّةَ فحين يختلطُ ٱلظلامُ يأتيهما بخبرِ ذلكَ ٱليومِ ويروحُ عليهما بعدَ ٱلعشاءِ عامرُ بنُ فهيرةَ مولى أبي بكرٍ بغنمٍ فيكتفيانِ من لبنها واستأجرا عبدَ ٱللهِ بنَ أريقطٍ دليلاً وهو كافرٌ ولم يعرفْ لهُ إسلامٌ فأتاهما براحلتيهما بعدَ ثلاثِ ليالٍ وانطلقَ معهما هوَ وعامرُ بنُ فهيرةَ على طريقِ ٱلسَّواحلِ فمرُّوا بقديدٍ على أمِّ معبدٍ عاتكةَ بنتِ خالدٍ ٱلخزاعيَّةِ فطلبوا لبنًا أو لحمًا يشترونهُ منها فلم يجدوا عندها شيئًا فنظرَ رسولُ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ إلى شاةٍ في كسرِ ٱلخيمةِ خلَّفها ٱلجهدُ عنِ ٱلغنمِ فسألها هل بها من لبنٍ فقالتْ هيَ أجهدُ من ذلكَ فقالَ أتأذنينَ لي أنْ أحلبها فقالتْ نعمْ بأبي أنتَ وأمِّي إنْ رأيتَ بها حلبًا فاحلبها فدعا بالشاةِ فاعتقلها ومسحَ ضرعها فدرَّتْ ودعا بإناءٍ يشبعُ ٱلجماعةَ فحلبَ فيهِ وسقى ٱلقومَ حتَّى رووا ثمَّ شربَ آخرهم ثمَّ حلبَ فيهِ مرَّةً أخرى عللاً بعدَ نهلٍ ثمَّ غادرهُ عندها وذهبوا فما لبثَ حتَّى جاءَ زوجها

أَبُو مَعْبَدٍ يَسُوقُ أَعْنُزًا عِجَافًا فَلَمَّا رَأَى اللَّبَنَ عَجِبَ وَقَالَ مَا هٰذَا يَا أُمَّ مَعْبَدٍ قَالَتْ إِنَّهُ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا فَقَالَ صِفِيهِ فَوَصَفَتْهُ بِأَحْسَنِ الْأَوْصَافِ فَقَالَ هٰذَا وَاللّٰهِ صَاحِبُ قُرَيْشٍ لَوْ رَأَيْتُهُ لَاتَّبَعْتُهُ وَبَقِيَتْ هٰذِهِ الشَّاةُ إِلَى خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ تُحْلَبُ صَبَاحًا وَمَسَاءً * ثُمَّ تَعَرَّضَ لَهُمَا بِقُدَيْدٍ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ الْمُدْلِجِيُّ فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ أُتِينَا قَالَ كَلَّا وَدَعَا رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَعَوَاتٍ فَسَاخَتْ قَوَائِمُ فَرَسِهِ وَطَلَبَ الْأَمَانَ فَقَالَ أَعْلَمُ أَنْ قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ فَادْعُوَا لِي وَلَكُمَا أَنْ أَرُدَّ النَّاسَ عَنْكُمَا وَلَا أَضُرَّكُمَا قَالَ فَوَقَفَا لِي فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمَا فَأَخْبَرْتُهُمَا خَبَرَ مَا يُرِيدُ بِهِمَا النَّاسُ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمَا الزَّادَ وَالْمَتَاعَ فَلَمْ يَرْزَآنِي وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * وَاجْتَازَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ بِعَبْدٍ يَرْعَى غَنَمًا فَاسْتَسْقَيَاهُ اللَّبَنَ فَقَالَ مَا عِنْدِي شَاةٌ تُحْلَبُ غَيْرَ أَنَّ هٰهُنَا عَنَاقًا حَمَلَتْ عَامَ أَوَّلَ وَمَا بَقِيَ بِهَا لَبَنٌ فَقَالَ ادْعُ بِهَا فَأَتَى بِهَا وَحَلَبَهَا صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَأَسْلَمَ الرَّاعِي * وَلَمَّا بَلَغَ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَدِينَةِ خُرُوجُ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ وَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ يَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَمَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِهِمْ لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ نَفْسَهُ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا بَنِي قَيْلَةَ يَعْنِي

ٱلْأَوْسِ وَٱلْخَزْرَجِ هٰذَا جَدُّكُمْ أَيْ حَظُّكُمْ وَمَطْلُوبُكُمْ قَدْ أَقْبَلَ فَخَرَجُوا إِلَيْهِ سِرَاعًا بِسِلَاحِهِمْ فَتَلَقَّوْهُ فَنَزَلَ بِقُبَاءَ عَلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَأَقَامَ عِنْدَهُمُ ٱثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً ثُمَّ خَرَجَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قُبَاءَ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ حِينَ ٱرْتَفَعَ ٱلنَّهَارُ فَأَدْرَكَتْهُ ٱلْجُمُعَةُ فِي بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ فَصَلَّاهَا بِمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَهُمْ مِائَةٌ وَرَكِبَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بَعْدَ ٱلْجُمُعَةِ مُتَوَجِّهًا إِلَى ٱلْمَدِينَةِ [١] وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّمَا مَرَّ عَلَى دَارٍ مِنْ دُورِ ٱلْأَنْصَارِ يَدْعُونَهُ إِلَى ٱلْمُقَامِ عِنْدَهُمْ قَائِلِينَ يَا رَسُولَ ٱللهِ هَلُمَّ إِلَى ٱلْقُوَّةِ وَٱلْمَنَعَةِ فَيَقُولُ خَلُّوا سَبِيلَهَا يَعْنِي نَاقَتَهُ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ وَقَدْ أَرْخَى زِمَامَهَا وَمَا يُحَرِّكُهَا وَهِيَ تَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمَالًا حَتَّى إِذَا أَتَتْ دَارَ مَالِكِ بْنِ ٱلنَّجَّارِ بَرَكَتْ عَلَى بَابِ ٱلْمَسْجِدِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مِرْبَدُ تَمْرٍ لِسَهْلٍ وَسُهَيْلٍ ٱبْنَيْ رَافِعِ بْنِ عَمْرٍو وَهُمَا يَتِيمَانِ فِي حِجْرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ ثُمَّ سَارَتْ وَهُوَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا حَتَّى بَرَكَتْ عَلَى بَابِ أَبِي أَيُّوبَ ٱلْأَنْصَارِيِّ ثُمَّ سَارَتْ فِيهِ وَبَرَكَتْ فِي مَبْرَكِهَا ٱلْأَوَّلِ وَأَلْقَتْ جِرَانَهَا أَيْ بَاطِنَ عُنُقِهَا بِٱلْأَرْضِ وَأَرْزَمَتْ أَيْ صَوَّتَتْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَفْتَحَ فَاهَا وَنَزَلَ عَنْهَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ هٰذَا ٱلْمَنْزِلُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ وَٱحْتَمَلَ أَبُو أَيُّوبَ رَحْلَهُ وَأَدْخَلَهُ بَيْتَهُ وَمَعَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَكَانَتْ دَارُ بَنِي ٱلنَّجَّارِ أَوْسَطَ دُورِ ٱلْأَنْصَارِ وَأَفْضَلَهَا وَهُمْ أَخْوَالُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ جَدِّهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ لَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ وَصَعِدَتْ ذَوَاتُ ٱلْخُدُورِ عَلَى ٱلْأَجَاجِيرِ عِنْدَ قُدُومِهِ يَقُلْنَ

(١) ان الرسول صلى الله عليه و سلم دخل الغار في جبل الثور سنة ٦٢٢ الميلادية و وطأت قدماه ارض القباء في يوم ٢٠ من سبتمبر (ايلول) و اتخذ المسلمون هذا اليوم الميمون بدايا السنة الهجرية الشمسية و اعتبر بداية شهر المحرم الحرام من نفس العام ابتداء السنة الهجرية القمرية ,كان ذلك يصادف ستة عشر من شهر تموز (يوليو) يوم الجمعة.

طَلَعَ ٱلْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ ٱلْوَدَاعِ
وَجَبَ ٱلشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا لِلّٰهِ دَاعِي

وَعَنْ أَنَسٍ أَيْضاً لَمَّا بَرَكَتِ ٱلنَّاقَةُ عَلَى بَابِ أَبِي أَيُّوبَ خَرَجَ جَوَارٍ مِنْ بَنِي ٱلنَّجَّارِ بِٱلدُّفُوفِ يَقُلْنَ

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي ٱلنَّجَّارِ يَا حَبَّذَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ

فَقَالَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتُحِبِبْنَنِي قُلْنَ نَعَمْ يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ فَقَالَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَللّٰهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي يُحِبُّكُمْ * قَالَ ٱلطَّبَرِيُّ وَتَفَرَّقَ ٱلْغِلْمَانُ وَٱلْخَدَمُ فِي ٱلطُّرُقِ يُنَادُونَ جَاءَ مُحَمَّدٌ جَاءَ رَسُولُ ٱللّٰهِ * وَأَقَامَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَبِي أَيُّوبَ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَلَمَّا أَرَادَ بِنَاءَ ٱلْمَسْجِدِ قَالَ يَا بَنِي ٱلنَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ قَالُوا لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى ٱللّٰهِ فَأَبَى ذٰلِكَ وَٱبْتَاعَهَا بِعَشَرَةِ دَنَانِيرَ أَدَّاهَا مِنْ مَالِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ وَكَانَ قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ بِمَالِهِ كُلِّهِ * وَأَمَرَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِٱتِّخَاذِ ٱللَّبِنِ فَٱتُّخِذَ وَبُنِيَ ٱلْمَسْجِدُ وَسُقِفَ بِٱلْجَرِيدِ وَجُعِلَتْ عُمُدُهُ خُشُبَ ٱلنَّخْلِ وَعَمِلَ فِيهِ ٱلْمُسْلِمُونَ وَكَانَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ ٱللَّبِنَ فِي بِنَائِهِ وَيَقُولُ وَهُمَا لِعَبْدِ ٱللّٰهِ بْنِ رَوَاحَةَ

هٰذَا ٱلْحِمَالُ لَا حِمَالُ خَيْبَرْ هٰذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ
اللّٰهُمَّ إِنَّ ٱلْأَجْرَ أَجْرُ ٱلْآخِرَهْ فَٱرْحَمِ ٱلْأَنْصَارَ وَٱلْمُهَاجِرَهْ

وَجُعِلَتْ قِبْلَةُ ٱلْمَسْجِدِ لِلْقُدْسِ وَجُعِلَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ بَابٌ فِي مُؤَخَّرِهِ وَبَابٌ يُقَالُ لَهُ بَابُ ٱلرَّحْمَةِ وَٱلْبَابُ ٱلَّذِي يُدْخَلُ مِنْهُ وَجُعِلَ طُولُهُ مِمَّا يَلِي ٱلْقِبْلَةَ إِلَى

مؤخره مائة ذراع وفي الجانبين مثل ذلك أو دونه وجعل أساسه قريباً من ثلاثة أذرع وبنى بيوتاً إلى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد فلما فرغ من البناء بنى لعائشة في البيت الذي يليه شارعاً إلى المسجد وجعل سودة بنت زمعة في البيت الآخر الذي يليه ثم تحول عليه الصلاة والسلام من دار أبي أيوب إلى مساكنه التي بناها وكان قد أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه فقدما بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة وأسامة بن زيد وأم أيمن وخرج عبد الله ابن أبي بكر معهم بعيال أبيه * وكان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إلى جذع في المسجد قائماً فقال إن القيام قد شق علي فصنع له المنبر وستأتي قصة حنين الجذع إن شاء الله تعالى في مقصد المعجزات * ولما كان بعد قدومه صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر آخى بين المهاجرين والأنصار وبنى بعائشة رضي الله تعالى عنها في شوال على رأس ثمانية عشر شهراً * قال ابن إسحاق وغيره ونصبت أحبار اليهود العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم بغياً وحسداً وانضاف إليهم جماعة من الأوس والخزرج منافقون على دين آبائهم من الشرك منهم عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين وقهرهم الله تعالى بظهور الإسلام * وأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بالقتال قال الزهري أول آية نزلت في الإذن بالقتال قوله تعالى "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير" فبعث صلى الله عليه وسلم البعوث والسرايا وغزا وقاتل هو وأصحابه حتى دخل الناس في

دِينِ ٱللهِ أَفْوَاجاً أَفْوَاجاً وَكَانَ عَدَدُ مَغَازِيهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ٱلَّتِي خَرَجَ فِيهَا بِنَفْسِهِ سَبْعاً وَعِشْرِينَ قَاتَلَ فِي تِسْعٍ مِنْهَا بِنَفْسِهِ بَدْرٍ وَأُحُدٍ وَٱلْمُرَيْسِيعِ وَٱلْخَنْدَقِ وَقُرَيْظَةَ وَخَيْبَرَ وَفَتْحِ مَكَّةَ وَحُنَيْنٍ وَٱلطَّائِفِ وَسَرَايَاهُ ٱلَّتِي بَعَثَ فِيهَا سَبْعٌ وَأَرْبَعُونَ سَرِيَّةً أَوَّلُهَا ﴿سَرِيَّةُ عَمِّهِ حَمْزَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ﴾ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلاً مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ فَخَرَجُوا يَعْتَرِضُونَ عِيراً لِقُرَيْشٍ فَلَمْ يَقَعْ حَرْبٌ ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ عُبَيْدَةَ ٱبْنِ ٱلْحَارِثِ بْنِ ٱلْمُطَّلِبِ إِلَى بَطْنِ رَابِغٍ فِي سِتِّينَ رَجُلاً يَلْقَى أَبَا سُفْيَانَ ٱبْنَ حَرْبٍ وَكَانَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ فِي مِائَتَيْنِ فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ﴾ إِلَى ٱلْخَرَّارِ وَادٍ بِٱلْحِجَازِ فِي عِشْرِينَ رَجُلاً يَعْتَرِضُ عِيراً لِقُرَيْشٍ فَوَجَدُوهَا قَدْ مَرَّتْ بِٱلْأَمْسِ

﴿غَزْوَةُ وَدَّانَ﴾

ثُمَّ غَزْوَةُ وَدَّانَ وَهِيَ ٱلْأَبْوَاءُ وَهِيَ أَوَّلُ مَغَازِيهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ فِي صَفَرٍ عَلَى رَأْسِ ٱثْنَيْ عَشَرَ شَهْراً مِنَ ٱلْهِجْرَةِ يُرِيدُ قُرَيْشاً فِي سِتِّينَ رَجُلاً وَحَمَلَ ٱللِّوَاءَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ وَٱسْتَعْمَلَ عَلَى ٱلْمَدِينَةِ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فَكَانَتِ ٱلْمُوَادَعَةُ أَيِ ٱلْمُصَالَحَةُ عَلَى أَنَّ بَنِي ضَمْرَةَ لَا يَغْزُونَهُ وَلَا يُكَثِّرُونَ عَلَيْهِ جَمْعاً وَلَا يُعِينُونَ عَدُوًّا

﴿غَزْوَةُ بُوَاطٍ﴾

ثُمَّ غَزْوَةُ بُوَاطٍ وَهِيَ ٱلثَّانِيَةُ غَزَاهَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ ٱلْأَوَّلِ عَلَى رَأْسِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهْراً مِنَ ٱلْهِجْرَةِ فِي مِائَتَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ يَعْتَرِضُ عِيراً

لِقُرَيْشٍ فِيهِمْ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ الْجُمَحِيُّ فَرَجَعَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا أَيْ حَرْبًا *

﴿ غَزْوَةُ الْعُشَيْرَةِ ﴾

ثُمَّ غَزْوَةُ الْعُشَيْرَةِ وَهِيَ مَوْضِعٌ لِبَنِي مُدْلِجٍ بِيَنْبُعَ خَرَجَ إِلَيْهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جُمَادَى الْأُولَى وَقِيلَ الْآخِرَةِ عَلَى رَأْسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا مِنَ الْهِجْرَةِ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةِ رَجُلٍ وَقِيلَ مِائَتَيْنِ وَمَعَهُمْ ثَلَاثُونَ بَعِيرًا وَحَمَلَ اللِّوَاءَ وَكَانَ أَبْيَضَ حَمْزَةُ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ الَّتِي صَدَرَتْ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ بِالتِّجَارَةِ فَخَرَجَ إِلَيْهَا لِيَغْنَمَهَا فَوَجَدَهَا قَدْ مَضَتْ وَوَادَعَ بَنِي مُدْلِجٍ مِنْ كِنَانَةَ عَلَى أَنْ يَنْصُرَهُمْ وَيَنْصُرُوهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

﴿ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْأُولَى ﴾

ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْأُولَى أَغَارَ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ الْفِهْرِيُّ عَلَى سَرْحِ الْمَدِينَةِ بَعْدَ غَزْوَةِ الْعُشَيْرَةِ بِعَشَرَةِ أَيَّامٍ فَخَرَجَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَلَبِهِ حَتَّى بَلَغَ سَفْوَانَ مَوْضِعٌ مِنْ نَاحِيَةِ بَدْرٍ فَفَاتَهُ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ وَتُسَمَّى بَدْرًا الْأُولَى وَحَمَلَ اللِّوَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

﴿ سَرِيَّةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ ﴾

ثُمَّ سَرِيَّةُ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ وَكَانَ مَعَهُ ثَمَانِيَةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى نَخْلَةَ عَلَى لَيْلَةٍ مِنْ مَكَّةَ فِي رَجَبٍ يَتَرَصَّدُ عِيرَ قُرَيْشٍ فَمَرَّتْ بِهِ تَحْمِلُ زَبِيبًا وَتَمْرًا وَأَدَمًا مِنَ الطَّائِفِ فِيهَا عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ فَقَتَلُوهُ وَأَسَرُوا عُثْمَانَ بْنَ عَبْدِ اللهِ وَالْحَكَمَ ابْنَ كَيْسَانَ وَهَرَبَ مَنْ هَرَبَ وَاسْتَاقُوا الْعِيرَ فَكَانَتْ أَوَّلَ غَنِيمَةٍ فِي الْإِسْلَامِ

غزوة بدر الكبرى

ثمَّ غزوة بدر الكبرى وهو يوم الفرقان الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله
وأذل فيه الشرك وأهله مع قلة عدد المسلمين وكثرة المشركين مع ما كانوا
فيه من سوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيول المسومة والخيلاء الزائدة
ولذلك امتن الله على المؤمنين بقوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة
وقد كانت هذه الغزوة أعظم غزوات الإسلام إذ منها كان ظهوره
وبعد وقوعها أشرق على الآفاق نوره وكان خروجهم يوم السبت لثنتي عشرة
خلت من رمضان على رأس تسعة عشر شهرا وخرج معه الأنصار ولم يخرجوا
معه قبل ذلك وكان عدة من خرج معه ثلاثمائة وخمسة وثمانية لم يحضروها
وإنما ضرب لهم بسهمهم وأجرهم فكانوا كمن حضرها وكان معهم ثلاثة
أفراس للمقداد والزبير ومرثد الغنوي وكان معهم سبعون بعيرا أما المشركون
فكانوا ألفا ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير وكان قتالهم يوم الجمعة لسبع
عشرة خلت من رمضان وكان خروجه صلى الله عليه وسلم بقصد التعرض
لعير قريش القادمة من الشام في قافلة عظيمة فيها أموال قريش وعليها
أبو سفيان في ثلاثين راكبا فلما بلغ صلى الله عليه وسلم بأصحابه الروحاء أتاه
الخبر بمسير قريش ليمنعوا عن عيرهم فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم
أصحابه وقال إن الله وعدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريش فقام
أبو بكر فقال فأحسن ثم قام عمر فقال فأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال

يَا رَسُولَ ٱللهِ ٱمْضِ لِمَا أَمَرَكَ ٱللهُ فَنَحْنُ مَعَكَ وَٱللهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى ٱذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ وَلٰكِنِ ٱذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ فَوَٱلَّذِي بَعَثَكَ بِٱلْحَقِّ لَوْ سِرْتَ بِنَا إِلَى بَرْكِ ٱلْغِمَادِ يَعْنِي مَدِينَةَ ٱلْحَبَشِ لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ حَتَّى تَبْلُغَهُ فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَإِنَّمَا يُرِيدُ ٱلْأَنْصَارَ فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَٱللهِ لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ ٱللهِ قَالَ أَجَلْ قَالَ سَعْدٌ قَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذٰلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا عَلَى ٱلسَّمْعِ وَٱلطَّاعَةِ فَٱمْضِ يَا رَسُولَ ٱللهِ لِمَا أَرَدْتَ فَوَٱلَّذِي بَعَثَكَ بِٱلْحَقِّ لَوِ ٱسْتَعْرَضْتَ بِنَا هٰذَا ٱلْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ وَمَا نَكْرَهُ أَنْ نَلْقَى عَدُوَّنَا وَإِنَّا لَصُبُرٌ عِنْدَ ٱلْحَرْبِ صُدُقٌ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ وَلَعَلَّ ٱللهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ ٱللهِ تَعَالَى فَسُرَّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بِقَوْلِ سَعْدٍ وَنَشَّطَهُ ذٰلِكَ ثُمَّ قَالَ سِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ ٱللهِ تَعَالَى وَأَبْشِرُوا فَإِنَّ ٱللهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى ٱلطَّائِفَتَيْنِ وَٱللهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ ٱلْآنَ إِلَى مَصَارِعِ ٱلْقَوْمِ وَعَيَّنَ مَصَارِعَهُمْ فَمَا تَعَدَّوْهَا ثُمَّ ٱرْتَحَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرٍ وَتَرَكَ قُرَيْشًا بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَى وَبُنِيَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرِيشٌ فَكَانَ فِيهِ ثُمَّ خَرَجَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَأَخُوهُ شَيْبَةُ وَٱبْنُهُ ٱلْوَلِيدُ وَدَعَوْا إِلَى ٱلْمُبَارَزَةِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِتْيَةٌ مِنَ ٱلْأَنْصَارِ فَقَالُوا مَا لَنَا بِكُمْ حَاجَةٌ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمْ بِأَمْرِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُبَيْدَةُ بْنُ ٱلْحَارِثِ بْنِ ٱلْمُطَّلِبِ وَحَمْزَةُ وَعَلِيٌّ فَبَارَزَ حَمْزَةُ شَيْبَةَ

فقتله وبارز عليٌّ الوليد فقتله واختلف بين عبيدة وعتبة ضربتان فأثخن كل منهما صاحبه فمال حمزة وعليٌّ على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة واستشهد بعد ذلك من تلك الجراحات رضي الله عنه ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ومعه أبو بكر فقط وهو يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإيمان اليوم فلا تعبد في الأرض أبدا ولما نظر صلى الله عليه وسلم كثرة المشركين وقلة المسلمين قام فركع ركعتين وقال وهو في صلاته اللهم لا تخذلني اللهم أنشدك ما وعدتني ولما كان في العريش ومعه الصديق أخذته صلى الله عليه وسلم سنة من النوم ثم استيقظ متبسما فقال أبشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع أي الغبار ثم خرج من باب العريش وهو يتلو «سيهزم الجمع ويولون الدبر» وأمد الله المسلمين بألف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف وكانت الملائكة لا تعرف كيف تقتل الآدميون فعلمهم الله تعالى بقوله «فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان» أي كل مفصل وكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم بآثار سود في الأعناق والبنان .

وعن ابن عباس لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر وفيما سواه كانت عددا ومددا وكانت سيماهم يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر . وعن سهيل ابن حنيف عن أبيه قال لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا يشير بسيفه إلى المشرك فتقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف . ولما التقى الجمعان

تَنَاوَلَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفًّا مِنَ ٱلْحَصْبَاءِ فَرَمَى بِهِ فِي وُجُوهِهِمْ وَقَالَ شَاهَتِ ٱلْوُجُوهُ فَلَمْ يَبْقَ مُشْرِكٌ إِلَّا دَخَلَ فِي عَيْنَيْهِ وَمَنْخِرَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ فَٱنْهَزَمُوا وَقَتَلَ ٱللهُ مَنْ قَتَلَ مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ وَأُسِرَ مَنْ أُسِرَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ. قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ وَقَاتَلَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ ٱلْأَسَدِيُّ يَوْمَ بَدْرٍ بِسَيْفِهِ حَتَّى ٱنْقَطَعَ فِي يَدِهِ فَأَتَى رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُ جِزْلًا مِنْ حَطَبٍ فَقَالَ لَهُ قَاتِلْ بِهِ فَهَزَّهُ فَعَادَ فِي يَدِهِ سَيْفًا طَوِيلَ ٱلْقَامَةِ شَدِيدَ ٱلْمَتْنِ أَبْيَضَ ٱلْحَدِيدَةِ فَقَاتَلَ بِهِ حَتَّى فَتَحَ ٱللهُ عَلَى ٱلْمُسْلِمِينَ وَكَانَ ذَٰلِكَ ٱلسَّيْفُ يُسَمَّى ٱلْعَوْنَ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ يَشْهَدُ بِهِ ٱلْمَشَاهِدَ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قُتِلَ وَهُوَ عِنْدَهُ وَجَاءَهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يَوْمَئِذٍ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو يَحْمِلُ يَدَهُ ضَرَبَهُ عِكْرِمَةُ عَلَيْهَا فَتَعَلَّقَتْ بِجِلْدَةٍ فَبَصَقَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عَلَيْهَا فَلَصِقَتْ ثُمَّ عَاشَ بَعْدَ ذَٰلِكَ إِلَى زَمَنِ عُثْمَانَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا. وَأَمَرَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلَى ٱلْمُشْرِكِينَ أَنْ يُطْرَحُوا فِي ٱلْقَلِيبِ فَطُرِحُوا فِيهِ وَنَادَاهُمْ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ وَيَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ ٱللهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي ٱللهُ حَقًّا وَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَهْلَ ٱلْقَلِيبِ بِئْسَ ٱلْعَشِيرَةُ كُنْتُمْ كَذَّبْتُمُونِي وَصَدَّقَنِي ٱلنَّاسُ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ ٱللهِ كَيْفَ تُكَلِّمُ أَجْسَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا فَقَالَ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا شَيْئًا. قَالَ قَتَادَةُ أَحْيَاهُمُ ٱللهُ تَعَالَى تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنِقْمَةً وَحَسْرَةً. وَقَالَ ٱبْنُ مَرْزُوقٍ وَمِنْ آيَاتِ بَدْرٍ ٱلْبَاقِيَةِ مَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ مِنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ ٱلْحُجَّاجِ

أَنَّهُمْ إِذَا اجْتَازُوا بِذٰلِكَ الْمَوْضِعِ يَسْمَعُونَ كَهَيْئَةِ طَبْلِ مُلُوكِ الْوَقْتِ وَيَرَوْنَ أَنَّ ذٰلِكَ لِنَصْرِ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَكُنْتُ رُبَّمَا أُنْكِرُ ذٰلِكَ وَرُبَّمَا أَتَأَوَّلُهُ حَتَّى مَنَّ اللّٰهُ عَلَيَّ بِالْوُصُولِ إِلَى ذٰلِكَ الْمَوْضِعِ الشَّرِيفِ فَسَمِعْتُ صَوْتَ الطَّبْلِ سَمَاعًا مُحَقَّقًا الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ يَوْمِي أَجْمَعَ . وَقَدِ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ بَدْرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا سِتَّةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَثَمَانِيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ سَبْعُونَ وَأُسِرَ سَبْعُونَ وَلَمَّا فَرَغَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَدْرٍ فِي آخِرِ رَمَضَانَ وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَوَّالٍ بَعَثَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ بَشِيرًا فَوَصَلَ الْمَدِينَةَ ضُحًى وَقَدْ نَفَضُوا أَيْدِيَهُمْ مِنْ تُرَابِ رُقَيَّةَ بِنْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهَا وَسَلَّمَ وَكَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرٍ لِتَمْرِيضِهَا فَضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَهْمِهِ وَأَجْرِهِ * ﴿ثُمَّ سَرِيَّةُ عُمَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ الْخَطْمِيِّ﴾ إِلَى عَصْمَاءَ بِنْتِ مَرْوَانَ وَكَانَتْ تَعِيبُ الْإِسْلَامَ وَتُؤْذِي رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهَا عُمَيْرٌ لَيْلًا فَقَتَلَهَا ثُمَّ صَلَّى الصُّبْحَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ وَأَخْبَرَهُ بِذٰلِكَ فَقَالَ لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ *

﴿غَزْوَةُ قَرْقَرَةِ الْكُدْرِ﴾

ثُمَّ غَزْوَةُ قَرْقَرَةِ الْكُدْرِ خَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَعْدَ بَدْرٍ بِسَبْعَةِ أَيَّامٍ يُرِيدُ بَنِي سُلَيْمٍ فَبَلَغَ مَاءً يُقَالُ لَهُ الْكُدْرُ فَأَقَامَ ثَلَاثًا وَقِيلَ عَشْرًا فَلَمْ يَلْقَ أَحَدًا وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ سَالِمِ بْنِ عُمَيْرٍ﴾ إِلَى أَبِي عَفَكٍ الْيَهُودِيِّ وَكَانَ يُحَرِّضُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَقُولُ فِيهِ الشِّعْرَ فَأَقْبَلَ

إِلَيْهِ سَالِمٌ فَقَتَلَهُ *

﴿ غَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعٍ ﴾

ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعٍ بَطْنٌ مِنْ يَهُودِ الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ يَوْمَ السَّبْتِ نِصْفَ شَوَّالٍ عَلَى رَأْسِ عِشْرِينَ شَهْرًا مِنَ الْهِجْرَةِ وَقَدْ كَانَتِ الْكُفَّارُ بَعْدَ الْهِجْرَةِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ قِسْمٌ وَادَعَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَنْ لَا يُحَارِبُوهُ وَلَا يَأْلِبُوا عَلَيْهِ عَدُوَّهُ وَهُمْ طَوَائِفُ الْيَهُودِ الثَّلَاثَةُ قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ وَبَنُو قَيْنُقَاعٍ وَقِسْمٌ حَارَبُوهُ وَنَصَبُوا لَهُ الْعَدَاوَةَ كَقُرَيْشٍ وَقِسْمٌ تَرَكُوهُ وَانْتَظَرُوا مَا يَؤُلُ إِلَيْهِ أَمْرُهُ كَطَوَائِفَ مِنَ الْعَرَبِ فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُحِبُّ ظُهُورَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ مَعَهُ ظَاهِرًا وَمَعَ عَدُوِّهِ بَاطِنًا وَهُمُ الْمُنَافِقُونَ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ نَقَضَ الْعَهْدَ مِنَ الْيَهُودِ بَنُو قَيْنُقَاعٍ فَحَارَبَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي شَوَّالٍ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ فَحَاصَرَهُمْ أَشَدَّ الْحِصَارِ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَكَانَ اللِّوَاءُ بِيَدِ حَمْزَةَ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَكَانَ أَبْيَضَ فَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ وَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنَّ لَهُ أَمْوَالَهُمْ وَأَنَّ لَهُمُ النِّسَاءَ وَالذُّرِّيَّةَ وَأُمِرَ أَنْ يُجْلَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ فَلَحِقُوا بِأَذْرِعَاتٍ وَأَخَذَ مِنْ حِصْنِهِمْ سِلَاحًا وَآلَةً كَثِيرَةً *

﴿ غَزْوَةُ السَّوِيقِ ﴾

ثُمَّ غَزْوَةُ السَّوِيقِ فِي ذِي الْحِجَّةِ يَوْمَ الْأَحَدِ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْهَا عَلَى رَأْسِ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ شَهْرًا مِنَ الْهِجْرَةِ وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ أَكْثَرَ زَادِ الْمُشْرِكِينَ السَّوِيقُ وَغَنِمَهُ الْمُسْلِمُونَ وَكَانَ سَبَبُ هَذِهِ الْغَزْوَةِ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ حِينَ رَجَعَ

بِالْعِيرِ مِنْ بَدْرٍ إِلَى مَكَّةَ نَذَرَ أَنْ لَا يَمَسَّ النِّسَاءَ وَالدُّهْنَ حَتَّى يَغْزُوَ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَخَرَجَ فِي مِائَتَيْ رَاكِبٍ مِنْ قُرَيْشٍ لِيَبِرَّ يَمِينَهُ حَتَّى أَتَوُا الْعُرَيْضَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فَحَرَقُوا نَخْلًا وَقَتَلُوا رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَانْصَرَفُوا رَاجِعِينَ وَخَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي طَلَبِهِمْ فِي مِائَتَيْنِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَجَعَلَ أَبُو سُفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ يُلْقُونَ جُرُبَ السَّوِيقِ وَهِيَ عَامَّةُ أَزْوَادِهِمْ يَتَخَفَّفُونَ لِلْهَرَبِ فَيَأْخُذُهَا الْمُسْلِمُونَ وَلَمْ يَلْحَقْهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ خَمْسَةَ أَيَّامٍ * وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تَزَوَّجَ عَلِيٌّ بِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَخَطَبَهَا قَبْلَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَلَمْ يُجِبْهُمَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ دَعَاهُمَا وَجَمَاعَةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا وَكَانَ عَلِيٌّ غَائِبًا خَطَبَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةً بَلِيغَةً ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أُزَوِّجَ فَاطِمَةَ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَاشْهَدُوا أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُهُ عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ مِثْقَالِ فِضَّةٍ إِنْ رَضِيَ بِذَلِكَ عَلِيٌّ ثُمَّ دَعَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطَبَقٍ مِنْ بُسْرٍ وَقَالَ انْتَهِبُوا فَانْتَهَبُوا وَدَخَلَ عَلِيٌّ فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أُزَوِّجَكَ فَاطِمَةَ عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ مِثْقَالِ فِضَّةٍ أَرَضِيتَ بِذَلِكَ فَقَالَ قَدْ رَضِيتُ بِذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَمَعَ اللهُ شَمْلَكُمَا وَأَعَزَّ جَدَّكُمَا وَبَارَكَ عَلَيْكُمَا وَأَخْرَجَ مِنْكُمَا كَثِيرًا طَيِّبًا قَالَ أَنَسٌ فَوَاللهِ لَقَدْ أَخْرَجَ اللهُ مِنْهُمَا الْكَثِيرَ الطَّيِّبَ * ثُمَّ ﴿ سَرِيَّةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ ﴾ وَأَرْبَعَةٍ مَعَهُ إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ الْيَهُودِيِّ

وَكَانَ شَاعِرًا يهجو رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُحَرِّضُ عَلَيْهِ كُفَّارَ قُرَيْشٍ فَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ وَقَتَلُوهُ ☼

﴿ غَزْوَةُ غطفَانَ ﴾

ثُمَّ غَزْوَةُ غطفَانَ بِنَاحِيَةِ نَجْدٍ عَلَى رَأْسِ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ شَهْرًا مِنَ ٱلْهِجْرَةِ وَسَبَبُهَا أَنَّ جَمْعًا مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ وَمُحَارِبٍ تَجَمَّعُوا يُرِيدُونَ ٱلْإِغَارَةَ جَمَعَهُمْ دُعْثُورُ بْنُ ٱلْحَارِثِ ٱلْمُحَارِبِيُّ وَكَانَ شُجَاعًا فَنَدَبَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَخَرَجَ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ فَارِسًا وَٱسْتَخْلَفَ عَلَى ٱلْمَدِينَةِ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَلَمَّا سَمِعُوا بِمَهْبَطِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَرَبُوا فِي رُؤُسِ ٱلْجِبَالِ فَأَصَابُوا رَجُلًا مِنْهُمْ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ يُقَالُ لَهُ حِبَّانُ فَأُدْخِلَ عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَاهُ إِلَى ٱلْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ وَأَصَابَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَطَرٌ فَنَزَعَ ثَوْبَيْهِ وَنَشَرَهُمَا عَلَى شَجَرَةٍ لِيَجِفَّا وَٱضْطَجَعَ تَحْتَهَا وَهُمْ يَنْظُرُونَهُ فَقَالُوا لِدُعْثُورٍ قَدِ ٱنْفَرَدَ مُحَمَّدٌ فَعَلَيْكَ بِهِ فَأَقْبَلَ وَمَعَهُ سَيْفٌ حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ٱلْيَوْمَ فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱللهُ فَدَفَعَهُ جِبْرِيلُ فِي صَدْرِهِ فَوَقَعَ ٱلسَّيْفُ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذَهُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ٱلْيَوْمَ فَقَالَ لَا أَحَدَ وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ ٱللهِ ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ فَدَعَاهُمْ إِلَى ٱلْإِسْلَامِ وَأَنْزَلَ ٱللهُ "يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ" ٱلْآيَةَ ثُمَّ رَجَعَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ إِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً ☼

﴿ غَزْوَةُ بُحْرَانَ ﴾

ثُمَّ غَزْوَةُ بُحْرَانَ وَتُسَمَّى غَزْوَةَ بَنِي سُلَيْمٍ وَسَبَبُهَا أَنَّهُ بَلَغَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّ بِهَا جَمْعًا كَثِيرًا مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ فَخَرَجَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَوَجَدَهُمْ قَدْ تَفَرَّقُوا فِي مِيَاهِهِمْ فَرَجَعَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ عَشْرَ لَيَالٍ * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ﴾ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى الْقَرْدَةِ اسْمُ مَاءٍ مِنْ مِيَاهِ نَجْدٍ فِي مِائَةِ رَاكِبٍ يَعْتَرِضُ عِيرًا لِقُرَيْشٍ فِيهَا صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ وَمَعَهُمْ مَالٌ كَثِيرٌ فَأَصَابُوهَا وَقَدِمُوا بِهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ *

﴿ غَزْوَةُ أُحُدٍ ﴾

ثُمَّ غَزْوَةُ أُحُدٍ كَانَتْ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ بِالْإِتِّفَاقِ يَوْمَ السَّبْتِ لِإِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْهُ اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ لِحَرْبِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُدْرِكُوا ثَأْرَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ وَكَتَبَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ كِتَابًا يُخْبِرُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَبَرِهِمْ وَسَارَ بِهِمْ أَبُو سُفْيَانَ حَتَّى نَزَلُوا بِبَطْنِ الْوَادِي مِنْ قِبَلِ أُحُدٍ مُقَابِلَ الْمَدِينَةِ وَكَانَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَسِفُوا عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنْ مَشْهَدِ بَدْرٍ وَأُرِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُؤْيَا أَحَبَّ لِأَجْلِهَا الْمُكْثَ فِي الْمَدِينَةِ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ امْكُثُوا فَإِنْ دَخَلَ الْقَوْمُ الْأَزِقَّةَ قَاتَلْنَاهُمْ وَرُمُوا مِنْ فَوْقِ الْبُيُوتِ فَقَالَ أُولَئِكَ الْقَوْمُ يَا رَسُولَ اللهِ كُنَّا نَتَمَنَّى هَذَا الْيَوْمَ اخْرُجْ بِنَا إِلَى أَعْدَائِنَا لَا يَرَوْنَ أَنَّا جَبُنَّا عَنْهُمْ فَصَلَّى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالنَّاسِ الْجُمُعَةَ ثُمَّ وَعَظَهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ وَالْاِجْتِهَادِ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ لَهُمُ النَّصْرَ مَا صَبَرُوا وَأَمَرَهُمْ بِالتَّهَيُّءِ

لِعَدُوِّهِمْ فَفَرِحَ ٱلنَّاسُ بِذَٰلِكَ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بَيْتَهُ ثُمَّ خَرَجَ وَقَدْ
لَبِسَ لَامَتَهُ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ فَنَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا وَقَالُوا مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُخَالِفَكَ فَٱصْنَعْ
مَا شِئْتَ فَقَالَ مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَامَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
عَدُوِّهِ وَعَقَدَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ثَلَاثَةَ أَلْوِيَةٍ لِوَاءٌ لِلْمُهَاجِرِينَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ
أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ ٱللَّهُ وَجْهَهُ وَلِوَاءٌ لِلْخَزْرَجِ بِيَدِ ٱلْحُبَابِ بْنِ ٱلْمُنْذِرِ وَلِوَاءٌ لِلْأَوْسِ
بِيَدِ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وَفِي ٱلْمُسْلِمِينَ مِائَةُ دَارِعٍ وَخَرَجَ
ٱلسَّعْدَانِ أَمَامَهُ يَعْدُوَانِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا دَارِعَيْنِ
وَٱسْتَعْمَلَ عَلَى ٱلْمَدِينَةِ ٱبْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ وَعَلَى ٱلْحَرَسِ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ
وَأَدْلَجَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فِي ٱلسَّحَرِ وَكَانَ ٱلْمُسْلِمُونَ أَلْفَ رَجُلٍ وَٱلْمُشْرِكُونَ
ثَلَاثَةَ آلَافِ رَجُلٍ فِيهِمْ سَبْعُمِائَةِ دَارِعٍ وَمِائَتَا فَرَسٍ وَثَلَاثَةُ آلَافِ بَعِيرٍ وَخَمْسَ
عَشْرَةَ ٱمْرَأَةً وَنَزَلَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بِأُحُدٍ وَرَجَعَ عَنْهُ عَبْدُ ٱللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ فِي
ثَلَاثِمِائَةٍ مِمَّنْ تَبِعَهُ مِنْ أَهْلِ ٱلنِّفَاقِ وَيُقَالُ إِنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُمْ
بِٱلْإِنْصِرَافِ لِكُفْرِهِمْ ثُمَّ صَفَّ ٱلْمُسْلِمُونَ بِأَصْلِ أُحُدٍ وَصَفَّ ٱلْمُشْرِكُونَ
بِٱلسَّبْخَةِ وَكَانَ عَلَى مَيْمَنَةِ خَيْلِ ٱلْمُشْرِكِينَ خَالِدُ بْنُ ٱلْوَلِيدِ وَعَلَى مَيْسَرَتِهَا عِكْرِمَةُ
ٱبْنُ أَبِي جَهْلٍ وَجَعَلَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ٱلرُّمَاةِ وَهُمْ خَمْسُونَ رَجُلًا عَبْدَ ٱللَّهِ
ٱبْنَ جُبَيْرٍ وَقَالَ لَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هٰذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ وَٱحْمُوا ظُهُورَنَا
فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ فَلَا تَنْصُرُونَا وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا فَلَا تُشْرِكُونَا * وَوَقَعَتِ
ٱلْحَرْبُ وَقُتِلَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ جَمَاعَةٌ وَأَنْزَلَ ٱللَّهُ نَصْرَهُ عَلَى ٱلْمُسْلِمِينَ فَحَسُّوا

الْكُفَّارَ بِالسُّيُوفِ حَتَّى كَشَفُوهُمْ عَنِ الْعَسْكَرِ وَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ فَوَلَّى الْكُفَّارُ
لَا يَلْوُونَ عَلَى شَيْءٍ وَنِسَاؤُهُمْ يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى أَجْهَضُوهُمْ
وَوَقَعُوا يَنْهَبُونَ الْعَسْكَرَ وَيَأْخُذُونَ مَا فِيهِ مِنَ الْغَنَائِمِ فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللهِ بْنِ
جُبَيْرٍ أَيْ قَوْمُ الْغَنِيمَةَ ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جُبَيْرٍ
أَنَسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا وَاللهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ
فَلَنُصِيبَنَّ مِنَ الْغَنِيمَةِ فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ فَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ وَنَظَرَ خَالِدُ
ابْنُ الْوَلِيدِ إِلَى خَلَاءِ الْجَبَلِ وَقِلَّةِ أَهْلِهِ فَكَرَّ بِالْخَيْلِ وَتَبِعَهُ عِكْرِمَةُ ابْنُ أَبِي جَهْلٍ
فَحَمَلُوا عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنَ النَّفَرِ الرُّمَاةِ فَقَتَلُوهُمْ وَأَمِيرَهُمْ عَبْدَ اللهِ بْنَ جُبَيْرٍ ٠ وَفِي
الْبُخَارِيِّ أَنَّهُمْ لَمَّا اصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ خَرَجَ سِبَاعٌ فَقَالَ هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ فَخَرَجَ إِلَيْهِ
حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَشَدَّ عَلَيْهِ فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ وَكَانَ وَحْشِيٌّ كَامِنًا
تَحْتَ صَخْرَةٍ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ رَمَاهُ بِحَرْبَتِهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيْهِ فَكَانَ آخِرَ
الْعَهْدِ بِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ٠ وَكَانَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ قَاتَلَ دُونَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قُتِلَ وَكَانَ الَّذِي قَتَلَهُ ابْنُ قَمِئَةَ وَهُوَ يَظُنُّهُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَاحَ إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ وَقَالَ قَائِلٌ أَيْ عِبَادَ اللهِ أُخْرَاكُمْ أَيِ
احْتَرِزُوا مِنْ جِهَةِ أُخْرَاكُمْ فَعَطَفَ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ وَانْهَزَمَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ إِلَى جِهَةِ الْمَدِينَةِ وَتَفَرَّقَ سَائِرُهُمْ وَوَقَعَ
فِيهِمُ الْقَتْلُ وَثَبَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْكَشَفُوا عَنْهُ وَثَبَتَ
مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا سَبْعَةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ

وَسَبعَةٌ مِنَ ٱلأَنصَارِ وَأُصِيبَ مِنَ ٱلمُسلِمِينَ سَبعُونَ رَجلاً وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيهِ
وَسَلَّمَ وَأَصحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ ٱلمُشرِكِينَ يَومَ بَدرٍ أَربَعِينَ وَمِائَةً سَبعِينَ أَسِيرًا
وَسَبعِينَ قَتِيلاً فَقَالَ أَبُو سُفيَانَ أَفِي ٱلقَومِ مُحَمَّدٌ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فَنَهَاهُمُ ٱلنَّبِيُّ
صَلَّى ٱللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَن يُجِيبُوهُ ثُمَّ قَالَ أَفِي ٱلقَومِ ٱبنُ أَبِي قُحَافَةَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ
فَنَهَاهُمُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَن يُجِيبُوهُ ثُمَّ قَالَ أَفِي ٱلقَومِ ٱبنُ ٱلخَطَّابِ ثَلاَثَ
مَرَّاتٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصحَابِهِ فَقَالَ أَمَّا هَؤُلاَءِ فَقَد قُتِلُوا فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفسَهُ فَقَالَ
كَذَبتَ يَا عَدُوَّ ٱللهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ عَدَدتَ لَأَحيَاءٌ كُلُّهُم وَقَد بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوؤُكَ قَالَ يَومٌ
بِيَومِ بَدرٍ وَٱلحَربُ سِجَالٌ ٭ وَرُمِيَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَومَئِذٍ فَكُسِرَت
رُبَاعِيَتُهُ ٱليُمنَى ٱلسُّفلَى وَجُرِحَت شَفَتُهُ ٱلسُّفلَى وَشُجَّ فِي جَبهَتِهِ وَجُرِحَت وَجنَتُهُ
وَهَشَمُوا ٱلبَيضَةَ عَلَى رَأسِهِ أَي كَسَرُوا ٱلخُوذَةَ وَرَمَوهُ بِٱلحِجَارَةِ حَتَّى سَقَطَ لِشِقِّهِ
فِي حُفرَةٍ فَأَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِهِ وَٱحتَضَنَهُ طَلحَةُ بنُ عُبَيدِ ٱللهِ حَتَّى ٱستَوَى قَائِمًا
وَنَشِبَت حَلقَتَانِ مِنَ ٱلمِغفَرِ بِوَجهِهِ فَٱنتَزَعَهُمَا أَبُو عُبَيدَةَ بنُ ٱلجَرَّاحِ وَعَضَّ
عَلَيهِمَا حَتَّى سَقَطَت ثَنِيَّتَاهُ مِن شِدَّةِ غَوصِهِمَا فِي وَجهِهِ ٱلشَّرِيفِ وَٱمتَصَّ مَالِكُ
ٱبنُ سِنَانٍ وَالِدُ أَبِي سَعِيدٍ ٱلخُدرِيِّ ٱلدَّمَ مِن وَجنَتِهِ ثُمَّ ٱزدَرَدَهُ فَقَالَ عَلَيهِ
ٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَمُ مَن مَسَّ دَمِي دَمَهُ لَم تُصِبهُ ٱلنَّارُ ٭ وَعَن أَبِي أُمَامَةَ قَالَ رَمَى عَبدُ ٱللهِ
ٱبنُ قَمِئَةَ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَومَ أُحُدٍ فَشَجَّ وَجهَهُ وَكَسَرَ رُبَاعِيَتَهُ
فَقَالَ خُذهَا وَأَنَا ٱبنُ قَمِئَةَ فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَمسَحُ ٱلدَّمَ
عَن وَجهِهِ أَقمَأَكَ ٱللهُ فَسَلَّطَ ٱللهُ عَلَيهِ تَيسَ جَبَلٍ فَلَم يَزَل يَنطَحُهُ حَتَّى قَطَّعَهُ

قِطْعَةً قِطْعَةً. وَعَنِ الْإِمَامِ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ بَلَغَنَا أَنَّهُ لَمَّا جُرِحَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ أَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يُنَشِّفُ دَمَهُ وَيَقُولُ لَوْ وَقَعَ مِنْهُ شَيْءٌ عَلَى الْأَرْضِ لَنَزَلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ مِنَ السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. وَعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ ضُرِبَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ بِالسَّيْفِ سَبْعِينَ ضَرْبَةً وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّهَا كُلَّهَا. وَأُصِيبَتْ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْنَتِهِ فَأَتَى بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَهَا بِيَدِهِ وَرَدَّهَا إِلَى مَوْضِعِهَا وَقَالَ اللَّهُمَّ اكْسُهُ جَمَالًا فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ وَأَحَدَّهُمَا. وَرُمِيَ أَبُو رُهْمٍ الْغِفَارِيُّ كُلْثُومُ بْنُ الْحُصَيْنِ بِسَهْمٍ فَوَقَعَ فِي نَحْرِهِ فَبَصَقَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَرَأَ. وَانْقَطَعَ سَيْفُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ فَأَعْطَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُرْجُونًا فَعَادَ فِي يَدِهِ سَيْفًا فَقَاتَلَ بِهِ وَكَانَ ذَلِكَ السَّيْفُ يُسَمَّى الْعُرْجُونَ وَلَمْ يَزَلْ يُتَوَارَثُ حَتَّى بِيعَ مِنْ بُغَا التُّرْكِيِّ مِنْ أُمَرَاءِ الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ فِي بَغْدَادَ بِمِائَتَيْ دِينَارٍ* وَاشْتَغَلَ الْمُشْرِكُونَ بِقَتْلَى الْمُسْلِمِينَ يُمَثِّلُونَ بِهِمْ يَقْطَعُونَ الْآذَانَ وَالْأُنُوفَ وَالْفُرُوجَ وَيَبْقُرُونَ الْبُطُونَ* وَقُتِلَ مِنَ الْكُفَّارِ ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ وَقَتَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ* وَلَمَّا أَرَادَ أَبُو سُفْيَانَ الْإِنْصِرَافَ أَشْرَفَ عَلَى الْجَبَلِ ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ إِنَّ الْحَرْبَ سِجَالٌ يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ اُعْلُ هُبَلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ أَجِبْهُ فَقَالَ اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ أَنْعَمْتَ أَيِ الْأَزْلَامُ فَقَالَ عُمَرُ لَا سَوَاءَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ فَقَالَ إِنَّ لَنَا الْعُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قُولُوا

ٱللّٰهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ فَلَمَّا ٱنْصَرَفَ نَادَى مَوْعِدُكُمْ بَدْرٌ ٱلْعَامَ ٱلْقَابِلَ فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قُلْ نَعَمْ هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مَوْعِدٌ * وَنَظَرَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حَمْزَةَ وَقَدْ بُقِرَ بَطْنُهُ عَنْ كَبِدِهِ وَجُدِعَ أَنْفُهُ وَأُذُنَاهُ فَلَمْ يَنْظُرْ إِلَى شَيْءٍ أَوْجَعَ لِقَلْبِهِ مِنْهُ فَقَالَ رَحْمَةُ ٱللّٰهِ عَلَيْكَ فَقَدْ كُنْتَ فَعُولاً لِلْخَيْرِ وَصُولاً لِلرَّحِمِ. وَمِمَّنْ مُثِّلَ بِهِ كَمَا مُثِّلَ بِحَمْزَةَ ٱبْنُ أُخْتِهِ عَبْدُ ٱللّٰهِ بْنُ جَحْشٍ وَدُفِنَ مَعَهُ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ. وَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عَلَى قَتْلَى ٱلْمُسْلِمِينَ قَالَ أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هٰؤُلَاءِ وَمَا مِنْ جَرِيحٍ يُجْرَحُ فِي ٱللّٰهِ إِلَّا وَٱللّٰهُ يَبْعَثُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يَدْمَى جُرْحُهُ ٱللَّوْنُ لَوْنُ ٱلدَّمِ وَٱلرِّيحُ رِيحُ ٱلْمِسْكِ. وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُمَا قَالَ رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أُصِيبَتْ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ ٱللّٰهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ ٱلْجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ ٱلْعَرْشِ فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَحُسْنَ مَقِيلِهِمْ قَالُوا يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا يَعْلَمُونَ مَا صَنَعَ ٱللّٰهُ بِنَا لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي ٱلْجِهَادِ وَيَنْكُلُوا عَنِ ٱلْحَرْبِ قَالَ ٱللّٰهُ تَعَالَى أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ فَأَنْزَلَ ٱللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ «وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللّٰهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» ٱلْآيَاتِ *

﴿غَزْوَةُ حَمْرَاءِ ٱلْأَسَدِ﴾

ثُمَّ غَزْوَةُ حَمْرَاءِ ٱلْأَسَدِ وَهِيَ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَتْ صَبِيحَةَ يَوْمِ ٱلْأَحَدِ خَرَجَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصْحَابِهِ لِطَلَبِ عَدُوِّهِمْ بِٱلْأَمْسِ وَنَادَى

مُؤَذِّنُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا يَخْرُجَ مَعَنَا أَحَدٌ إِلَّا مَنْ حَضَرَ يَوْمَنَا بِالْأَمْسِ أَيْ مَنْ شَهِدَ أُحُدًا وَإِنَّمَا خَرَجَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مُرْهِبًا لِلْعَدُوِّ وَلِيَبْلُغَهُمْ أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِهِمْ لِيَظُنُّوا بِهِمْ قُوَّةً وَأَنَّ ٱلَّذِي أَصَابَهُمْ لَمْ يُوهِنْهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ • وَأَقَامَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ وَقَدْ غَابَ خَمْسًا وَظَفِرَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَخْرَجِهِ ذَلِكَ بِمُعَاوِيَةَ بْنِ ٱلْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي ٱلْعَاصِ فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ صَبْرًا ٭ ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ أَبِي سَلَمَةَ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَبْدِ ٱلْأَسَدِ﴾ إِلَى قَطَنٍ جَبَلٍ بِنَاحِيَةِ فَيْدٍ وَمَعَهُ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ رَجُلًا مِنَ ٱلْأَنْصَارِ وَٱلْمُهَاجِرِينَ لِطَلَبِ طُلَيْحَةَ وَسَلَمَةَ ٱبْنَيْ خُوَيْلِدٍ فَلَمْ يَجِدْهُمَا وَوَجَدَ إِبِلًا وَشَاءً فَأَغَارَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا ٭ ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ أُنَيْسٍ﴾ وَحْدَهُ إِلَى سُفْيَانَ بْنِ خَالِدٍ ٱلْهُذَلِيِّ بِعُرَنَةَ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ جَمَعَ ٱلْجُمُوعَ لِحَرْبِهِ فَقَتَلَهُ عَبْدُ ٱللهِ وَأَخَذَ رَأْسَهُ حَتَّى قَدِمَ ٱلْمَدِينَةَ ٭ ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ﴾ إِلَى ٱلرَّجِيعِ ٱسْمُ مَاءٍ لِهُذَيْلٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَعُسْفَانَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أُحُدٍ رَهْطٌ مِنْ عُضَلٍ وَٱلْقَارَةِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ ٱللهِ إِنَّ فِينَا إِسْلَامًا فَٱبْعَثْ مَعَنَا نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِكَ يُفَقِّهُونَنَا فَبَعَثَ مَعَهُمْ سِتَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ فَخَرَجُوا مَعَ ٱلْقَوْمِ حَتَّى أَتَوْا عَلَى ٱلرَّجِيعِ غَدَرُوا بِهِمْ فَٱسْتَصْرَخُوا عَلَيْهِمْ هُذَيْلًا فَنَفَرُوا بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَتَيْ رَجُلٍ فَلَمْ يَرُعِ ٱلْقَوْمَ وَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ إِلَّا ٱلرِّجَالُ بِأَيْدِيهِمُ ٱلسُّيُوفُ وَقَدْ غَشُوهُمْ فَقَاتَلَهُمْ مَرْثَدٌ وَخَالِدٌ وَعَاصِمٌ حَتَّى قُتِلُوا وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ عَلَى ٱلْعَهْدِ وَٱلْمِيثَاقِ خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ وَزَيْدُ بْنُ ٱلدَّثِنَةِ وَعَبْدُ ٱللهِ بْنُ طَارِقٍ ثُمَّ ٱمْتَنَعَ مِنْهُمْ عَبْدُ ٱللهِ

فَقَتَلُوهُ وَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ وَزَيْدٍ حَتَّى بَاعُوهُمَا لِأَهْلِ مَكَّةَ فَقَتَلُوهُمَا وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ لِزَيْدٍ أُنْشِدُكَ بِاللهِ أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا الْآنَ عِنْدَنَا مَكَانَكَ نَضْرِبُ عُنُقَهُ وَأَنَّكَ فِي أَهْلِكَ فَقَالَ وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وَأَنِّي لَجَالِسٌ فِي أَهْلِي فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا ثُمَّ قَتَلُوهُ * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ الْمُنْذِرِ بْنِ عَمْرٍو﴾ إِلَى بِئْرِ مَعُونَةَ وَهُوَ مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَعُسْفَانَ بَعَثَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي سَبْعِينَ مِنَ الْقُرَّاءِ لِيَدْعُوا أَهْلَ نَجْدٍ إِلَى الْإِسْلَامِ بِطَلَبِ أَبِي بَرَاءٍ مُلَاعِبِ الْأَسِنَّةِ وَجِوَارِهِ فَسَارُوا حَتَّى نَزَلُوا بِئْرَ مَعُونَةَ فَاسْتَصْرَخَ عَلَيْهِمْ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ قَبَائِلَ بَنِي سُلَيْمٍ عُصَيَّةَ وَرِعْلًا فَخَرَجُوا حَتَّى غَشُوا الْقَوْمَ فَأَحَاطُوا بِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ فَلَمَّا رَأَوْهُمْ أَخَذُوا سُيُوفَهُمْ وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قُتِلُوا إِلَى آخِرِهِمْ إِلَّا كَعْبَ بْنَ زَيْدٍ وَعَمْرَو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ فَلَمَّا بَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرُهُمْ قَالَ هٰذَا عَمَلُ أَبِي بَرَاءٍ قَدْ كُنْتُ لِهٰذَا كَارِهًا مُتَخَوِّفًا فَبَلَغَ ذٰلِكَ أَبَا بَرَاءٍ فَمَاتَ أَسَفًا . وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَ أَيْ حَزِنَ عَلَى أَحَدٍ مَا وَجَدَ عَلَى أَهْلِ بِئْرِ مَعُونَةَ وَدَعَا عَلَى مَنْ قَتَلَهُمْ ثَلَاثِينَ صَبَاحًا *

﴿ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ ﴾

ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ وَكَانَتْ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ خَرَجَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ رَجُلَيْنِ قَتَلَهُمَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ فَقَالُوا يَا أَبَا الْقَاسِمِ

نُعِينُكَ عَلَى مَا أَحْبَبْتَ ثُمَّ هَمُّوا بِإِلْقَاءِ صَخْرَةٍ عَلَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَهَاهُمْ سَلَامُ بْنُ مِشْكَمٍ فَلَمْ يَنْتَهُوا فَقَالَ لَهُمْ لَا تَفْعَلُوا وَٱللهِ لَيُخْبَرَنَّ بِمَا هَمَمْتُمْ وَإِنَّهُ لَنَقْضٌ لِلْعَهْدِ فَأَتَاهُ ٱلْخَبَرُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ بِمَا أَرَادَ ٱلْقَوْمُ فَقَامَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مُظْهِرًا أَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً وَرَجَعَ مُسْرِعًا إِلَى ٱلْمَدِينَةِ وَتَبِعَهُ أَصْحَابُهُ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا أَرَادَتْ يَهُودُ مِنَ ٱلْغَدْرِ بِهِ وَأَمَرَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّهَيُّؤِ لِحَرْبِهِمْ وَٱلْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ وَٱسْتَعْمَلَ عَلَى ٱلْمَدِينَةِ ٱبْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ ثُمَّ سَارَ بِالنَّاسِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فَحَاصَرَهُمْ سِتَّ لَيَالٍ فَتَحَصَّنُوا مِنْهُ فِي ٱلْحُصُونِ ثُمَّ قَذَفَ ٱللهُ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَسَأَلُوا رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجْلِيَهُمْ عَنْ أَرْضِهِمْ وَيَكُفَّ عَنْ دِمَائِهِمْ فَأَجْلَاهُمْ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَلَّى إِخْرَاجَهُمْ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ فَكَانُوا يُخَرِّبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَحَمَلُوا ٱلنِّسَاءَ وَٱلصِّبْيَانَ وَتَحَمَّلُوا عَلَى سِتِّمِائَةِ بَعِيرٍ فَلَحِقُوا بِخَيْبَرَ وَقَسَّمَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَازِلَهُمْ بَيْنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ لِيَرْفَعَ بِذَلِكَ مُؤْنَتَهُمْ عَنِ ٱلْأَنْصَارِ *

﴿ غَزْوَةُ ذَاتِ ٱلرِّقَاعِ ﴾

ثُمَّ غَزْوَةُ ذَاتِ ٱلرِّقَاعِ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ رَقَعُوا فِيهَا رَايَاتِهِمْ وَكَانَ مِنْ خَبَرِهَا أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزَا نَجْدًا يُرِيدُ بَنِي مُحَارِبٍ وَبَنِي ثَعْلَبَةَ لِأَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُمْ جَمَعُوا ٱلْجُمُوعَ فَخَرَجَ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَقِيلَ سَبْعِمِائَةٍ وَٱسْتَعْمَلَ عَلَى ٱلْمَدِينَةِ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ وَخَرَجَ حَتَّى نَزَلَ نَخْلًا وَهُوَ مَوْضِعٌ مِنْ نَجْدٍ مِنْ أَرْضِ غَطَفَانَ فَتَقَارَبَ ٱلنَّاسُ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ وَقَدْ أَخَافَ ٱلنَّاسُ

بَعْضُهُمْ بَعْضاً حَتَّى صَلَّى رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِٱلنَّاسِ صَلَاةَ ٱلْخَوْفِ ثُمَّ ٱنْصَرَفُوا وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هٰذِهِ ٱلْغَزْوَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً *

غَزْوَةُ بَدْرٍ ٱلْأَخِيرَةُ

وَهِيَ ٱلصُّغْرَى لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْمَدِينَةَ مِنْ غَزْوَةِ ذَاتِ ٱلرِّقَاعِ أَقَامَ بِهَا جُمَادَى ٱلْأُولَى إِلَى آخِرِ رَجَبٍ ثُمَّ خَرَجَ فِي شَعْبَانَ إِلَى بَدْرٍ لِمِيعَادِ أَبِي سُفْيَانَ فَخَرَجَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وَمَعَهُ أَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَعَشَرَةُ أَفْرَاسٍ وَٱسْتَخْلَفَ عَلَى ٱلْمَدِينَةِ عَبْدَ ٱللهِ بْنَ رَوَاحَةَ فَأَقَامُوا عَلَى بَدْرٍ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ يَنْتَظِرُونَ أَبَا سُفْيَانَ وَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ حَتَّى نَزَلَ عُسْفَانَ ثُمَّ بَدَا لَهُ ٱلرُّجُوعُ فَرَجَعَ بِٱلنَّاسِ *

غَزْوَةُ دُومَةِ ٱلْجَنْدَلِ

وَهِيَ مَدِينَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دِمَشْقَ خَمْسُ لَيَالٍ وَبُعْدُهَا مِنَ ٱلْمَدِينَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَكَانَتْ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ ٱلْأَوَّلِ عَلَى رَأْسِ تِسْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ شَهْراً مِنَ ٱلْهِجْرَةِ وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّهُ بَلَغَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ بِهَا جَمْعاً كَثِيراً يَظْلِمُونَ مَنْ مَرَّ بِهِمْ فَخَرَجَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لِخَمْسِ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ فِي أَلْفٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَٱسْتَخْلَفَ عَلَى ٱلْمَدِينَةِ سِبَاعَ بْنَ عُرْفُطَةَ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ لَمْ يَجِدْ إِلَّا ٱلنَّعَمَ وَٱلشَّاءَ فَهَجَمَ عَلَى مَاشِيَتِهِمْ وَرُعَاتِهِمْ فَأَصَابَ مَنْ أَصَابَ وَهَرَبَ مَنْ هَرَبَ فِي كُلِّ وَجْهٍ وَجَاءَ ٱلْخَبَرُ أَهْلَ دُومَةَ فَتَفَرَّقُوا وَنَزَلَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بِسَاحَتِهِمْ فَلَمْ يَلْقَ أَحَداً فَأَقَامَ بِهَا أَيَّاماً وَبَثَّ ٱلسَّرَايَا ثُمَّ رَجَعَ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ فِي عِشْرِي رَبِيعٍ ٱلْآخِرِ

غَزْوَةُ ٱلْمُرَيْسِيعِ

وَهُوَ مَاءٌ لِبَنِي خُزَاعَةَ وَتُسَمَّى غَزْوَةَ بَنِي ٱلْمُصْطَلِقِ وَكَانَتْ يَوْمَ ٱلْإِثْنَيْنِ لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبَبُهَا أَنَّهُ بَلَغَهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أَنَّ رَئِيسَهُمُ ٱلْحَارِثَ ٱبْنَ أَبِي ضِرَارٍ سَارَ فِي قَوْمِهِ وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْعَرَبِ فَدَعَاهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجَابُوهُ وَتَهَيَّئُوا لِلْمَسِيرِ مَعَهُمْ فَبَعَثَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بُرَيْدَةَ بْنَ ٱلْخَصِيبِ ٱلْأَسْلَمِيَّ يَعْلَمُ عِلْمَ ذٰلِكَ فَأَتَاهُمْ وَلَقِيَ ٱلْحَارِثَ وَكَلَّمَهُ وَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ وَخَرَجَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مُسْرِعًا وَبَلَغَ ٱلْحَارِثَ وَمَنْ مَعَهُ مَسِيرُهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فَسِيئُوا بِذٰلِكَ وَخَافُوا خَوْفًا شَدِيدًا وَتَفَرَّقَ عَنْهُمْ مَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنَ ٱلْعَرَبِ وَبَلَغَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْمُرَيْسِيعَ وَصَفَّ أَصْحَابَهُ وَدَفَعَ رَايَةَ ٱلْمُهَاجِرِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَرَايَةَ ٱلْأَنْصَارِ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَتَرَامَوْا بِٱلنَّبْلِ سَاعَةً ثُمَّ أَمَرَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أَصْحَابَهُ فَحَمَلُوا حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ وَقَتَلُوا عَشَرَةً وَأَسَرُوا سَائِرَهُمْ وَسَبَوُا ٱلنِّسَاءَ وَٱلرِّجَالَ وَٱلذُّرِّيَّةَ وَٱلنَّعَمَ وَٱلشَّاءَ وَلَمْ يُقْتَلْ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا *

غَزْوَةُ ٱلْخَنْدَقِ

وَهِيَ ٱلْأَحْزَابُ سُمِّيَتْ بِٱلْخَنْدَقِ ٱلَّذِي حُفِرَ حَوْلَ ٱلْمَدِينَةِ بِأَمْرِهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَٱلَّذِي أَشَارَ بِهِ سَلْمَانُ ٱلْفَارِسِيُّ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ وَعَمِلَ فِيهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَفْسِهِ تَرْغِيبًا لِلْمُسْلِمِينَ وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا بِٱلْأَحْزَابِ فَلِاجْتِمَاعِ طَوَائِفَ

مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ عَلَى حَرْبِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَهُمْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ وَٱلْيَهُودُ وَمَنْ مَعَهُمْ • وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ هٰذِهِ ٱلْغَزْوَةِ أَنَّ نَفَرًا مِنْ يَهُودَ خَرَجُوا حَتَّى قَدِمُوا عَلَى قُرَيْشٍ مَكَّةَ وَقَالُوا إِنَّا سَنَكُونُ مَعَكُمْ عَلَيْهِ حَتَّى نَسْتَأْصِلَهُ فَٱجْتَمَعُوا لِذٰلِكَ وَٱتَّعَدُوا لَهُ ثُمَّ خَرَجَ أُولٰئِكَ ٱلْيَهُودُ حَتَّى جَاؤُا غَطَفَانَ فَدَعَوْهُمْ إِلَى حَرْبِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ مَعَهُمْ عَلَيْهِ وَأَنَّ قُرَيْشًا قَدْ بَايَعُوهُمْ عَلَى ذٰلِكَ وَٱجْتَمَعُوا مَعَهُمْ فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ وَقَائِدُهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَخَرَجَتْ غَطَفَانُ وَقَائِدُهَا عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ فِي فَزَارَةَ وَٱلْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ فِي بَنِي مُرَّةَ وَكَانَ عِدَّتُهُمْ عَشَرَةَ آلَافٍ وَٱلْمُسْلِمُونَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِٱلْأَحْزَابِ وَبِمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ مِنَ ٱلْأَمْرِ ضَرَبَ عَلَى ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلْخَنْدَقَ *

وَقَدْ وَقَعَ فِي حَفْرِ ٱلْخَنْدَقِ آيَاتٌ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مِنْهَا: مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَٱلنَّسَائِيُّ عَنِ ٱلْبَرَاءِ قَالَ لَمَّا كَانَ حِينَ أَمَرَنَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَفْرِ ٱلْخَنْدَقِ عَرَضَتْ لَنَا صَخْرَةٌ لَا تَأْخُذُ مِنْهَا ٱلْمَعَاوِلُ فَٱشْتَكَيْنَا ذٰلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ فَأَخَذَ ٱلْمِعْوَلَ فَقَالَ بِسْمِ ٱللهِ ثُمَّ ضَرَبَ ضَرْبَةً فَنَثَرَ ثُلُثَهَا وَقَالَ ٱللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ ٱلشَّامِ وَٱللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا ٱلْحُمْرَ ٱلسَّاعَةَ ثُمَّ ضَرَبَ ٱلثَّانِيَةَ فَقَطَعَ ثُلُثًا آخَرَ فَقَالَ ٱللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ وَإِنِّي وَٱللهِ لَأُبْصِرُ قَصْرَ ٱلْمَدَائِنِ ٱلْأَبْيَضَ ٱلْآنَ ثُمَّ ضَرَبَ ٱلثَّالِثَةَ فَقَالَ بِسْمِ ٱللهِ فَقَطَعَ بَقِيَّةَ ٱلْحَجَرِ فَقَالَ ٱللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ ٱلْيَمَنِ وَٱللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ فِي مَكَانِي ٱلسَّاعَةَ • وَمِنْهَا تَكْثِيرُ ٱلطَّعَامِ ٱلْقَلِيلِ كَمَا ثَبَتَ فِي

ٱلصَّحِيحِ بِحَدِيثِ جَابِرٍ وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى مُسْتَوْفًى فِي مَقْصِدِ ٱلْمُعْجِزَاتِ * وَلَمَّا فَرَغَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ ٱلْخَنْدَقِ أَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ حَتَّى نَزَلَتْ بِمُجْتَمَعِ ٱلسُّيُولِ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ مِنْ أَحَابِيشِهِمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةَ وَنَزَلَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ فِي غَطَفَانَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ إِلَى جَانِبِ أُحُدٍ وَخَرَجَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَٱلْمُسْلِمُونَ حَتَّى جَعَلُوا ظُهُورَهُمْ إِلَى سَلْعٍ وَكَانُوا ثَلَاثَةَ آلَافِ رَجُلٍ فَضَرَبَ هُنَاكَ مُعَسْكَرَهُ وَٱلْخَنْدَقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ وَكَانَ لِوَاءُ ٱلْمُهَاجِرِينَ بِيَدِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَلِوَاءُ ٱلْأَنْصَارِ بِيَدِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ. وَكَانَ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى عَهْدٍ وَعَقْدٍ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَزَلْ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ بِرَئِيسِهِمْ كَعْبِ بْنِ أَسَدٍ حَتَّى نَقَضَ هُوَ وَقَوْمُهُ ٱلْعَهْدَ فَلَمَّا ٱنْتَهَى ٱلْخَبَرُ إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ إِلَيْهِمْ فَوَجَدَهُمْ عَلَى أَخْبَثِ مَا بَلَغَهُمْ عَنْهُمْ فَعَظُمَ عِنْدَ ذَلِكَ ٱلْبَلَاءُ وَٱشْتَدَّ ٱلْخَوْفُ وَأَتَاهُمْ عَدُوُّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ حَتَّى ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ كُلَّ ظَنٍّ وَنَجَمَ ٱلنِّفَاقُ فِي بَعْضِ ٱلْمُنَافِقِينَ وَأَنْزَلَ ٱللهُ تَعَالَى «وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا ٱللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا» وَأَقَامَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وَٱلْمُسْلِمُونَ وَعَدُوُّهُمْ يُحَاصِرُهُمْ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ إِلَّا مُرَامَاةً بِٱلنَّبْلِ لَكِنْ كَانَ عَمْرُو بْنُ وُدٍّ ٱلْعَامِرِيُّ ٱقْتَحَمَ هُوَ وَنَفَرٌ مَعَهُ خُيُولَهُمْ مِنْ نَاحِيَةٍ ضَيِّقَةٍ مِنَ ٱلْخَنْدَقِ فَبَارَزَهُ عَلِيٌّ فَقَتَلَهُ وَبَرَزَ نَوْفَلُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْمُغِيرَةِ فَقَتَلَهُ ٱلزُّبَيْرُ وَرَجَعَتْ بَقِيَّةُ ٱلْخُيُولِ مُنْهَزِمَةً وَرُمِيَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ بِسَهْمٍ فَقَطَعَ مِنْهُ ٱلْأَكْحَلَ وَهُوَ عِرْقُ ٱلْحَيَاةِ وَفِي كُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ

شعبة فلم يرقأ الدم . وفي البخاري دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم . وفي ينبوع الحياة لابن ظفر قيل إنه صلى الله عليه وسلم دعا فقال يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي فإنك ترى ما نزل بي وبأصحابي فأتاه جبريل عليه السلام فبشره بأن الله سبحانه يرسل عليهم ريحا وجنودا فأعلم أصحابه ورفع يديه قائلا شكرا شكرا وهبت ريح الصبا ليلا فقلعت الأوتاد وألقت عليهم الأبنية وكفأت القدور وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصباء وسمعوا في أرجاء معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا هرابا في ليلتهم وتركوا ما استثقلوه من متاعهم قال فذلك قوله تعالى «فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها» وانصرف صلى الله عليه وسلم من غزوة الخندق يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من ذي القعدة وكان قد أقام بالخندق خمسة عشر يوما وقال عليه الصلاة والسلام لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا وفي ذلك علم من أعلام النبوة فإنه صلى الله عليه وسلم اعتمر في السنة فصدته قريش عن البيت ووقعت الهدنة بينهم إلى أن نقضوها فكان ذلك سبب فتح مكة فوقع الأمر كما قال عليه الصلاة والسلام *

غزوة بني قريظة

لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج إليهم وأشار إلى بني قريظة

فَإِنِّي عَامِدٌ إِلَيْهِمْ فَمُزَلْزِلٌ بِهِمْ فَأَمَرَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُؤَذِّنًا فَأَذَّنَ فِي ٱلنَّاسِ مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطِيعًا فَلَا يُصَلِّيَنَّ ٱلْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ وَبَعَثَ مُنَادِيًا يُنَادِي يَا خَيْلَ ٱللهِ ٱرْكَبِي وَبَعَثَ عَلِيًّا رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ عَلَى ٱلْمُقَدِّمَةِ ثُمَّ سَارَ فِي ٱلْمُسْلِمِينَ وَهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَٱلْخَيْلُ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ فَرَسًا وَحَاصَرَهُمْ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً حَتَّى أَجْهَدَهُمُ ٱلْحِصَارُ وَقَذَفَ ٱللهُ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ رَئِيسُهُمْ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ أَنْ يُؤْمِنُوا فَقَالَ لَهُمْ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ مِنَ ٱلْأَمْرِ مَا تَرَوْنَ وَإِنِّي أَعْرِضُ عَلَيْكُمْ خِلَالًا ثَلَاثًا فَخُذُوا أَيَّهَا شِئْتُمْ قَالُوا وَمَا هِيَ قَالَ نُبَايِعُ هٰذَا ٱلرَّجُلَ وَنُصَدِّقُهُ فَوَٱللهِ إِنَّهُ لَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّهُ لَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَأَنَّهُ ٱلَّذِي تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ فَتَأْمَنُونَ عَلَى دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ وَنِسَائِكُمْ فَأَبَوْا فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ بِقَتْلِ أَوْلَادِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَٱلْخُرُوجِ إِلَى قِتَالِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَبَوْا فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ بِٱلْهُجُومِ لَيْلَةَ ٱلسَّبْتِ عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ فَأَبَوْا ثُمَّ لَمَّا ٱشْتَدَّ ٱلْحِصَارُ بِهِمْ أَذْعَنُوا أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ سَيِّدِ ٱلْأَنْصَارِ فَحَكَمَ فِيهِمْ بِأَنْ تُقْتَلَ ٱلرِّجَالُ وَتُقْسَمَ ٱلْأَمْوَالُ وَتُسْبَى ٱلذَّرَارِي وَٱلنِّسَاءُ فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لَقَدْ حَكَمْتَ ٱلْيَوْمَ فِيهِمْ بِحُكْمِ ٱللهِ ٱلَّذِي حَكَمَ بِهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمٰوَاتٍ وَٱنْصَرَفَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ لِسَبْعِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي ٱلْحِجَّةِ وَأَمَرَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بِبَنِي قُرَيْظَةَ فَأُدْخِلُوا ٱلْمَدِينَةَ وَحُفِرَ لَهُمْ أُخْدُودٌ فِي ٱلسُّوقِ وَجَلَسَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ وَأُخْرِجُوا إِلَيْهِ فَضُرِبَتْ

أَعناقهم وكانوا ما بين ستمائة إلى سبعمائة واصطفى صلى الله عليه وسلم لنفسه الكريمة ريحانة فتزوجها وأمر بالغنائم فجمعت وأخرج الخمس وقسم الباقي بين المسلمين . وانفجر جرح سعد بن معاذ فمات شهيداً وحضر جنازته سبعون ألف ملك واهتز لموته عرش الرحمن واهتزازه تحركه فرحاً بقدوم روح سعد رضي الله عنه وعن أبي سعيد الخدري كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا * ثم ﴿سرية محمد بن مسلمة﴾ إلى القرطاء بطن من بني بكر بن كلاب وهم ينزلون بالبكرات وبينها وبين المدينة سبع ليال بعثه صلى الله عليه وسلم في ثلاثين راكباً فلما أغار عليهم قتل نفراً منهم وهرب سائرهم واستاق نعماً وشاء وقدم المدينة ومعه ثمامة بن أثال الحنفي أسيراً فربط بأمره عليه الصلاة والسلام بسارية من سواري المسجد ثم أطلق بأمره صلى الله عليه وسلم فاغتسل وأسلم وقال يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الأديان كلها إلي والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره النبي صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل صبوت قال لا ولكن أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم *

﴿غَزْوَةُ بَنِي لِحْيَانَ﴾

فِي رَبِيعٍ ٱلْأَوَّلِ سَنَةَ سِتٍّ مِنَ ٱلْهِجْرَةِ قَالُوا وَجَدَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ وَأَصْحَابِهِ وَجْدًا شَدِيدًا فَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ ٱلشَّأْمَ وَعَسْكَرَ فِي مِائَتَيْ رَجُلٍ وَمَعَهُمْ عِشْرُونَ فَرَسًا وَٱسْتَخْلَفَ عَلَى ٱلْمَدِينَةِ عَبْدَ ٱللهِ بْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ ثُمَّ أَسْرَعَ ٱلسَّيْرَ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى حَيْثُ كَانَ مُصَابُ أَصْحَابِهِ أَهْلِ ٱلرَّجِيعِ فَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ وَدَعَا لَهُمْ فَسَمِعَتْ بِهِ بَنُو لِحْيَانَ فَهَرَبُوا فِي رُؤُسِ ٱلْجِبَالِ فَلَمْ يَقْدِرْ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ فَأَقَامَ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ يَبْعَثُ ٱلسَّرَايَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى عُسْفَانَ فَبَعَثَ أَبَا بَكْرٍ فِي عَشَرَةِ فَوَارِسَ لِتَسْمَعَ بِهِمْ قُرَيْشٌ فَيَذْعَرَهُمْ فَأَتَوْا كُرَاعَ ثُمَّ رَجَعُوا وَلَمْ يَلْقَوْا أَحَدًا وَٱنْصَرَفَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا وَهُوَ يَقُولُ آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ وَغَابَ عَنِ ٱلْمَدِينَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً *

﴿غَزْوَةُ ٱلْغَابَةِ﴾

وَسَبَبُهَا أَنَّهُ كَانَ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِشْرُونَ لِقْحَةً وَهِيَ ذَوَاتُ ٱللَّبَنِ ٱلْقَرِيبَةُ ٱلْعَهْدِ بِٱلْوِلَادَةِ تَرْعَى بِٱلْغَابَةِ وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ فِيهَا فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ ٱلْفَزَارِيُّ لَيْلَةَ ٱلْأَرْبِعَاءِ فِي أَرْبَعِينَ فَارِسًا فَٱسْتَاقُوهَا وَقَتَلُوا ٱبْنَ أَبِي ذَرٍّ فَلَمَّا أَتَى ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْخَبَرُ نَادَى يَا خَيْلَ ٱللهِ ٱرْكَبِي وَرَكِبَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَمْسِمِائَةٍ وَعَقَدَ لِلْمِقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو لِوَاءً فِي رُمْحِهِ وَقَالَ لَهُ ٱمْضِ حَتَّى تَلْحَقَكَ ٱلْخُيُولُ وَأَنَا عَلَى أَثَرِكَ فَأَدْرَكَ أُخْرَيَاتِ ٱلْعَدُوِّ وَقَتَلَ أَبُو قَتَادَةَ فَارِسًا وَعُكَّاشَةُ آخَرَ وَأَدْرَكَ سَلَمَةُ بْنُ ٱلْأَكْوَعِ ٱلْقَوْمَ وَهُوَ عَلَى

رِجْلَيْهِ وَلَحِقَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِشَاءً وَٱسْتَنْقَذُوا عَشْرَ لِقَاحٍ وَأَفْلَتَ ٱلْقَوْمُ بِمَا بَقِيَ وَهِيَ عَشْرٌ وَرَجَعَ وَقَدْ غَابَ خَمْسَ لَيَالٍ * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ عُكَاشَةَ بْنِ مِحْصَنٍ ٱلْأَسَدِيِّ﴾ إِلَى غَمْرِ مَرْزُوقٍ وَهُوَ مَاءٌ لِبَنِي أَسَدٍ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا فَخَرَجَ سَرِيعًا فَنَذَرَ بِهِ ٱلْقَوْمُ فَهَرَبُوا فَٱسْتَاقَ مِائَتَيْ بَعِيرٍ وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ﴾ إِلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ وَمَعَهُ عَشَرَةٌ فَوَرَدَ عَلَيْهِمْ لَيْلًا فَأَحْدَقَ بِهِمُ ٱلْقَوْمُ وَهُمْ مِائَةُ رَجُلٍ فَتَرَامَوْا سَاعَةً مِنَ ٱللَّيْلِ ثُمَّ حَمَلَتِ ٱلْأَعْرَابُ عَلَيْهِمْ بِٱلرِّمَاحِ فَقَتَلُوهُمْ إِلَّا مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ فَوَقَعَ جَرِيحًا وَٱحْتُمِلَ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَبَعَثَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ ٱلْجَرَّاحِ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا إِلَى مَصَارِعِهِمْ فَهَرَبُوا فَٱسْتَاقَ نَعَمًا مِنْ نَعَمِهِمْ وَرِثَّةً مِنْ مَتَاعِهِمْ وَقَدِمَ بِهِ ٱلْمَدِينَةَ فَخَمَّسَهُ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَسَمَ مَا بَقِيَ عَلَيْهِمْ * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ﴾ إِلَى بَنِي سُلَيْمٍ فَأَصَابُوا ٱمْرَأَةً مِنْ مُزَيْنَةَ يُقَالُ لَهَا حَلِيمَةُ فَدَلَّتْهُمْ عَلَى مَحَلَّةٍ مِنْ مَحَالِّ بَنِي سُلَيْمٍ فَأَصَابُوا نَعَمًا وَشَاءً وَأَسْرَى فَكَانَ فِيهِمْ زَوْجُ حَلِيمَةَ ٱلْمُزَنِيَّةِ فَلَمَّا قَفَلَ زَيْدٌ بِمَا أَصَابَ وَهَبَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُزَنِيَّةِ نَفْسَهَا وَزَوْجَهَا * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ زَيْدٍ أَيْضًا﴾ فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا يَعْتَرِضُ عِيرًا لِقُرَيْشٍ قَدْ أَقْبَلَتْ مِنَ ٱلشَّأْمِ فَأَخَذُوهَا وَمَا فِيهَا * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ زَيْدٍ أَيْضًا﴾ إِلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَأَصَابَ نَعَمًا وَشَاءً وَهَرَبَتِ ٱلْأَعْرَابُ * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ زَيْدٍ أَيْضًا﴾ فِي خَمْسِمِائَةِ رَجُلٍ إِلَى جُذَامٍ لِأَنَّهُمْ قَطَعُوا ٱلطَّرِيقَ عَلَى دِحْيَةَ ٱلْكَلْبِيِّ فَأَغَارُوا عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلصُّبْحِ فَقَتَلُوا فِيهِمْ

فَأَوْجَعُوا وَأَخَذُوا مِنَ النَّعَمِ أَلْفَ شَاةٍ وَمِائَةً مِنَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ فَجَاءَ زَيْدُ
ابْنُ رِفَاعَةَ الْجُذَامِيُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ وَأَسْلَمَ
فَبَعَثَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ يَأْمُرُهُ أَنْ يُخَلِّيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
حُرَمِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ فَفَعَلَ * ثُمَّ ﴿ سَرِيَّةُ زَيْدٍ أَيْضًا ﴾ إِلَى وَادِ الْقُرَى فَقُتِلَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ قَتْلَى وَحُمِلَ زَيْدٌ مِنَ الْمَعْرَكَةِ جَرِيحًا * ثُمَّ ﴿ سَرِيَّةُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ
عَوْفٍ ﴾ إِلَى دُومَةِ الْجَنْدَلِ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ سِتٍّ قَالُوا دَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنَ عَوْفٍ فَأَقْعَدَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَمَّمَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ اغْزُ بِسْمِ
اللهِ وَفِي سَبِيلِ اللهِ فَقَاتِلْ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ وَلَا تَغْدِرْ وَلَا تَقْتُلْ وَلِيدًا وَبَعَثَهُ إِلَى كَلْبٍ
بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ وَقَالَ إِنِ اسْتَجَابُوا لَكَ فَتَزَوَّجِ ابْنَةَ مَلِكِهِمْ فَسَارَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ
حَتَّى قَدِمَ دُومَةَ الْجَنْدَلِ فَمَكَثَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ
الْأَصْبَغُ بْنُ عَمْرٍو الْكَلْبِيُّ وَكَانَ نَصْرَانِيًّا وَكَانَ رَئِيسَهُمْ وَأَسْلَمَ مَعَهُ نَاسٌ
كَثِيرٌ مِنْ قَوْمِهِ وَأَقَامَ مَنْ أَقَامَ عَلَى إِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ وَتَزَوَّجَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ
تُمَاضِرَ بِنْتَ الْأَصْبَغِ وَقَدِمَ بِهَا الْمَدِينَةَ فَوَلَدَتْ لَهُ أَبَا سَلَمَةَ * ثُمَّ ﴿ سَرِيَّةُ عَلِيِّ
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ﴾ وَمَعَهُ مِائَةُ رَجُلٍ إِلَى بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ لَمَّا بَلَغَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُمِدُّوا يَهُودَ خَيْبَرَ فَأَغَارُوا عَلَيْهِمْ فَأَخَذُوا خَمْسَمِائَةِ بَعِيرٍ وَأَلْفَيْ
شَاةٍ وَهَرَبَتْ بَنُو سَعْدٍ * ثُمَّ ﴿ سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ﴾ إِلَى أُمِّ قِرْفَةَ الْفَزَارِيَّةِ
وَسَبَبُهَا أَنَّ زَيْدًا خَرَجَ فِي تِجَارَةٍ إِلَى الشَّامِ فَلَقِيَهُ نَاسٌ مِنْ فَزَارَةَ فَضَرَبُوهُ وَضَرَبُوا
أَصْحَابَهُ وَأَخَذُوا مَا كَانَ مَعَهُمْ وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ

فَبَعَثَهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فَصَبَّحَهُمْ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَكَبَّرُوا وَأَحَاطُوا بِٱلْحَاضِرِ وَأَخَذُوا أُمَّ قِرْفَةَ وَكَانَتْ مَلِكَةً رَئِيسَةً وَأَخَذُوا ٱبْنَتَهَا جَارِيَةً بِنْتَ مَالِكِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَتِيكٍ﴾ لِأَبِي رَافِعٍ ٱلْيَهُودِيِّ وَكَانَ يُؤْذِي رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَمَعَهُ أَرْبَعَةٌ فَوَضَعَهُمْ خَارِجَ ٱلْحِصْنِ وَدَخَلَ هُوَ وَٱحْتَالَ عَلَيْهِ وَقَتَلَهُ وَفِي ٱنْصِرَافِهِ كُسِرَتْ سَاقُهُ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَحَدَّثْتُهُ فَقَالَ ٱبْسُطْ رِجْلَكَ فَمَسَحَهَا فَكَأَنَّمَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ وَعَادَتْ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ رَوَاحَةَ﴾ إِلَى أُسَيْرِ بْنِ رِزَامٍ ٱلْيَهُودِيِّ بِخَيْبَرَ ٱلَّذِي أَمَّرَتْهُ ٱلْيَهُودُ عَلَيْهَا بَعْدَ قَتْلِ أَبِي رَافِعٍ فَسَارَ فِي غَطَفَانَ وَغَيْرِهِمْ يَجْمَعُهُمْ لِحَرْبِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَلَغَهُ ذَٰلِكَ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ عَبْدَ ٱللهِ بْنَ رَوَاحَةَ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا فَضَرَبَهُ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ أُنَيْسٍ بِٱلسَّيْفِ وَمَالُوا عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ ثَلَاثُونَ رَجُلًا مِنَ ٱلْيَهُودِ فَقَتَلُوهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَلَمْ يُصَبْ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ أَحَدٌ * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ كُرْزِ بْنِ جَابِرٍ ٱلْفِهْرِيِّ﴾ إِلَى ٱلْعُرَنِيِّينَ فِي ٱلْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ نَاسًا مِنْ عُكْلٍ وَعُرَيْنَةَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَكَلَّمُوا بِٱلْإِسْلَامِ فَقَالُوا يَا نَبِيَّ ٱللهِ إِنَّا كُنَّا أَهْلَ ضَرْعٍ وَلَمْ نَكُنْ أَهْلَ رِيفٍ وَٱسْتَوْخَمُوا ٱلْمَدِينَةَ فَأَمَرَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَوْدٍ وَرَاعٍ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِيهِ فَيَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا فَٱنْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا نَاحِيَةَ ٱلْحَرَّةِ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَقَتَلُوا رَاعِيَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَٱسْتَاقُوا ٱلذَّوْدَ فَبَلَغَ ذَٰلِكَ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَ ٱلطَّلَبَ فِي آثَارِهِمْ

فَأَمَرَ بِهِمْ فَسَمَلُوا أَعْيُنَهُمْ وَقَطَعُوا أَيْدِيَهُمْ وَتُرِكُوا فِي نَاحِيَةِ الْحَرَّةِ حَتَّى مَاتُوا عَلَى حَالَتِهِمْ. قَالَ أَنَسٌ إِنَّمَا سَمَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْيُنَهُمْ لِأَنَّهُمْ سَمَلُوا أَعْيُنَ الرِّعَاءِ فَيَكُونُ مَا فُعِلَ بِهِمْ قِصَاصًا. وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ فِي آثَارِهِمْ خَيْلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَمِيرُهُمْ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ الْفِهْرِيُّ * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ﴾ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بِمَكَّةَ لِأَنَّهُ أَرْسَلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَقْتُلُهُ غَدْرًا فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ وَمَعَهُ خَنْجَرٌ لِيَغْتَالَهُ فَلَمَّا رَآهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ هٰذَا لَيُرِيدُ غَدْرًا فَجَذَبَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فَإِذَا بِالْخَنْجَرِ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اصْدُقْنِي مَا أَنْتَ قَالَ وَأَنَا آمِنٌ قَالَ نَعَمْ فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِهِ فَخَلَّى عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعَثَ عَمْرَو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ وَمَعَهُ سَلَمَةُ بْنُ أَسْلَمَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَقَالَ إِنْ أَصَبْتُمَا مِنْهُ غِرَّةً فَاقْتُلَاهُ وَمَضَى عَمْرٌو يَطُوفُ بِالْبَيْتِ لَيْلًا فَرَآهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ فَأَخْبَرَ قُرَيْشًا بِمَكَانِهِ فَخَافُوهُ وَطَلَبُوهُ وَكَانَ فَاتِكًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَحَشَدَ لَهُ أَهْلُ مَكَّةَ وَتَجَمَّعُوا فَهَرَبَ عَمْرٌو وَسَلَمَةُ فَلَقِيَ عَمْرٌو عُبَيْدَ اللهِ بْنَ مَالِكٍ التَّيْمِيَّ فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ آخَرَ وَلَقِيَ رَسُولَيْنِ لِقُرَيْشٍ بَعَثَتْهُمَا يَتَجَسَّسَانِ الْخَبَرَ فَقَتَلَ أَحَدَهُمَا وَأَسَرَ الْآخَرَ فَقَدِمَ بِهِ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ عَمْرٌو يُخْبِرُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَهُ وَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَضْحَكُ *

﴿أَمْرُ الْحُدَيْبِيَةِ﴾

وَهِيَ قَرْيَةٌ عَلَى تِسْعَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ خَرَجَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ

هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة للعمرة وخرج معه زوجته أم سلمة في ألف وأربعمائة بلا سلاح إلا سلاح المسافر السيوف في القرب واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم فلما كان بذي الحليفة قلدا لهدي وأشعروا أحرم منها بعمرة وبعث عيناله من خزاعة وسار حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينه فقال إن قريشا جمعوا لك جموعا وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك فقال أشيروا علي أيها الناس أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت فقال أبو بكر يارسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله قال أبو هريرة رضي الله عنه ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت راحلته فقال الناس حل حل فألحت يعني تمادت على عدم القيام فقالوا خلأت القصواء أي حرنت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل أي حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها لأن الصحابة لو دخلوها وصدتهم قريش لوقع بينهم القتال وسفك الدماء ولكن سبق في علم الله أنه سيدخل في الإسلام منهم خلق كثير ويستخرج من أصلابهم ناس يسلمون ويجاهدون ثم قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا

أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى ثَمَدٍ أَيْ قَلِيلٍ مِنَ الْمَاءِ فَنَزَحُوهُ وَشُكِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَطَشُ فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ قَالَ رَاوِي الْحَدِيثِ فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيشُ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَةِ وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ الْبَيْتِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الْحَرْبُ وَأَضَرَّتْ بِهِمْ فَإِنْ شَاؤُا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ فَإِنْ أَظْهَرْ فَإِنْ شَاؤُا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا يَعْنِي اسْتَرَاحُوا وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ فَقَالَ بُدَيْلٌ سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِهِ فَأَتَاهُ فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ وَجَعَلَ عُرْوَةُ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَيْنِهِ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ أَمْرًا ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى

أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَيْ قَوْمُ وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَالنَّجَاشِيِّ وَاللَّهِ إِنِّي مَارَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا وَاللَّهِ مَا تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا ثُمَّ دَعَتْ قُرَيْشٌ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو فَقَالُوا اذْهَبْ إِلَى هٰذَا الرَّجُلِ فَصَالِحْهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَرَادَتْ قُرَيْشٌ الصُّلْحَ حِينَ بَعَثَتْ هٰذَا فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَرَى بَيْنَهُمَا الْقَوْلُ حَتَّى وَقَعَ بَيْنَهُمَا الصُّلْحُ عَلَى أَنْ يُوضَعَ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ عَشْرَ سِنِينَ وَأَنْ يَأْمَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَأَنْ يَرْجِعَ عَنْهُمْ عَامَهُمْ هٰذَا وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيهِ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِهِ إِلَّا رَدَّهُ إِلَيْهِمْ وَكَتَبَ فِي ذٰلِكَ كِتَابًا. فَإِنْ قُلْتَ مَا الْحِكْمَةُ فِي كَوْنِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَافَقَ سُهَيْلًا عَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ إِلَّا وَيَرُدُّهُ إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَالْجَوَابُ أَنَّ الْمَصْلَحَةَ الْمُرَتَّبَةَ عَلَى إِتْمَامِ هٰذَا الصُّلْحِ مَا ظَهَرَ مِنْ ثَمَرَاتِهِ الْبَاهِرَةِ وَفَوَائِدِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ الَّتِي كَانَتْ عَاقِبَتُهَا فَتْحَ مَكَّةَ وَإِسْلَامَ أَهْلِهَا كُلِّهِمْ وَدُخُولَ النَّاسِ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ قَبْلَ الصُّلْحِ لَمْ يَكُونُوا يَخْتَلِطُونَ بِالْمُسْلِمِينَ وَلَا تَظْهَرُ عِنْدَهُمْ أُمُورُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا هِيَ وَلَا يَخْلُونَ بِمَنْ يُعَلِّمُهُمْ بِهَا مُفَصَّلَةً فَلَمَّا حَصَلَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ اخْتَلَطُوا بِالْمُسْلِمِينَ وَجَاؤُا إِلَى الْمَدِينَةِ وَذَهَبَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَكَّةَ وَخَلَوْا بِأَهْلِهِمْ

وَأَصْدِقَائِهِمْ وَغَيْرِهِمْ وَسَمِعُوا مِنْهُمْ أَحْوَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُعْجِزَاتِهِ الظَّاهِرَةَ وَأَعْلَامَ نُبُوَّتِهِ الْمُتَظَاهِرَةَ وَحُسْنَ سِيرَتِهِ وَجَمِيلَ طَرِيقَتِهِ وَعَايَنُوا بِأَنْفُسِهِمْ كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ فَمَالَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ حَتَّى بَادَرَ خَلْقٌ مِنْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ فَأَسْلَمُوا بَيْنَ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ وَفَتْحِ مَكَّةَ وَازْدَادَ الْآخَرُونَ مَيْلًا إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ أَسْلَمُوا كُلُّهُمْ لِمَا كَانَ قَدْ تَمَهَّدَ لَهُمْ مِنَ الْمَيْلِ وَكَانَتِ الْعَرَبُ مِنْ غَيْرِ قُرَيْشٍ يَنْتَظِرُونَ بِإِسْلَامِهِمْ إِسْلَامَ قُرَيْشٍ فَلَمَّا أَسْلَمَتْ أَسْلَمُوا قَالَ اللهُ تَعَالَى «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا» فَاللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ *وَبَعَثَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْكِتَابِ إِلَيْهِمْ مَعَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَمْسَكَ سُهَيْلَ ابْنَ عَمْرٍو عِنْدَهُ فَأَمْسَكَ الْمُشْرِكُونَ عُثْمَانَ فَغَضِبَ الْمُسْلِمُونَ وَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ فَدَعَا النَّاسَ إِلَى بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ عَلَى الْمَوْتِ وَقِيلَ عَلَى أَنْ لَا يَفِرُّوا وَوَضَعَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِمَالَهُ فِي يَمِينِهِ وَقَالَ هَذِهِ عَنْ عُثْمَانَ وَلَمَّا سَمِعَ بِهَذِهِ الْبَيْعَةِ الْمُشْرِكُونَ خَافُوا وَبَعَثُوا بِعُثْمَانَ وَجَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَفِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى « إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ » وَقَوْلُهُ تَعَالَى « لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ» وَحَلَقَ النَّاسُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحَرُوا هَدَايَاهُمْ بِالْحُدَيْبِيَةِ وَأَقَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْحُدَيْبِيَةِ بِضْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا وَقِيلَ عِشْرِينَ ثُمَّ قَفَلَ وَفِي نُفُوسِ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى سُورَةَ الْفَتْحِ يُسَلِّيهِمْ بِهَا وَيُذَكِّرُهُمْ

نعمه فقال تعالى «إنا فتحنا لك فتحا مبينا» قال ابن عباس وأنس والبراء بن عازب الفتح هنا فتح الحديبية ووقوع الصلح ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ غزوة خيبر ﴾

وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام قال ابن إسحاق خرج صلى الله عليه وسلم في بقية المحرم سنة سبع فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها وكان معه عليه الصلاة والسلام ألف وأربعمائة راجل ومائتا فارس ومعه أم سلمة زوجته. وفي البخاري من حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم أتى خيبر ليلا وكان إذا أتى قوما بليل لم يغزهم حتى يصبح فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوه صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والله محمد والخميس أي الجيش فقال النبي صلى الله عليه وسلم خربت خيبر «إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» وفي رواية فرفع يديه وقال الله أكبر خربت خيبر وفرق عليه الصلاة والسلام الرايات. وفي البخاري وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان رمدا فلحق قال راويه فلما بتنا الليلة التي فتحت قال لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجون أن يعطاها فقال أين علي بن أبي طالب فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال فأرسلوا إليه فأتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه

وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ عَلِيٌّ يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا فَقَالَ انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ أَيْ هِينَتِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ. وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ عَلِيًّا قَلَعَ بَابَ خَيْبَرَ وَلَمْ يُحَرِّكْهُ سَبْعُونَ رَجُلًا إِلَّا بَعْدَ الْجُهْدِ. وَقَاتَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ خَيْبَرَ وَقَاتَلُوا أَشَدَّ الْقِتَالِ وَاسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَمْسَةَ عَشَرَ وَقُتِلَ مِنَ الْيَهُودِ ثَلَاثَةٌ وَتِسْعُونَ وَفَتَحَهَا اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ حِصْنًا حِصْنًا وَأَخَذَ كَنْزَ آلِ أَبِي الْحُقَيْقِ الَّذِي كَانَ فِي مَسْكِ الْحِمَارِ أَيْ جِلْدِهِ وَكَانُوا قَدْ غَيَّبُوهُ فِي خَرِبَةٍ فَدَلَّ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ عَلَيْهِ فَاسْتَخْرَجَهُ. وَتَزَوَّجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ وَكَانَ قَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا كِنَانَةُ بْنُ الرَّبِيعِ وَكَانَتْ عَرُوسًا فَذُكِرَ لَهُ جَمَالُهَا فَاصْطَفَاهَا لِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ بَعْدَ أَنْ أَعْتَقَهَا فَصَارَتْ مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَانَتْ قَدْ رَأَتْ أَنَّ الْقَمَرَ سَقَطَ فِي حِجْرِهَا فَتُؤُوِّلَ بِذَلِكَ. وَعَنْ يَزِيدَ ابْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ رَأَيْتُ أَثَرَ ضَرْبَةٍ بِسَاقِ سَلَمَةَ فَقُلْتُ مَا هَذِهِ الضَّرْبَةُ قَالَ هَذِهِ ضَرْبَةٌ أَصَابَتْهَا يَوْمَ خَيْبَرَ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَفَثَ فِيهَا ثَلَاثَ نَفَثَاتٍ فَمَا اشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّاعَةِ. وَفِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ سَمَّتِ الْيَهُودِيَّةُ زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ شَاةً مَصْلِيَّةً أَيْ مَشْوِيَّةً ثُمَّ أَهْدَتْهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَكَلَ مِنْهَا وَأَكَلَ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مَعَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ وَأَرْسَلَ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ فَقَالَ سَمَمْتِ هَذِهِ الشَّاةَ فَقَالَتْ مَنْ أَخْبَرَكَ

قَالَ أَخْبَرَتْنِي هٰذِهِ فِي يَدِي لِلذِّرَاعِ فَقَالَتْ نَعَمْ قُلْتُ إِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَنْ يَضُرَّهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا اسْتَرَحْنَا مِنْهُ فَعَفَا عَنْهَا صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُعَاقِبْهَا وَتُوُفِّيَ أَصْحَابُهُ الَّذِينَ أَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَفِيهِمْ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ فَدَفَعَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَهُودِيَّةَ إِلَى أَوْلِيَائِهِ فَقَتَلُوهَا بِهِ قِصَاصًا وَاحْتَجَمَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى كَاهِلِهِ *

﴿ غَزْوَةُ وَادِي الْقُرَى ﴾

فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ بَعْدَمَا أَقَامَ بِهَا صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعًا يُحَاصِرُهُمْ وَصَالَحَهُ أَهْلُ تَيْمَاءَ عَلَى الْجِزْيَةِ * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ﴾ إِلَى تُرْبَةَ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَمَعَهُ ثَلَاثُونَ رَجُلًا فَخَرَجَ مَعَهُ دَلِيلٌ مِنْ بَنِي هِلَالٍ فَكَانَ يَسِيرُ اللَّيْلَ وَيَكْمُنُ النَّهَارَ فَأَتَى الْخَبَرُ إِلَى هَوَازِنَ فَهَرَبُوا وَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى مَحَالِّهِمْ فَلَمْ يَلْقَ مِنْهُمْ أَحَدًا فَانْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ﴾ إِلَى فَزَارَةَ نَاحِيَةَ ضَرِيَّةَ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ سَبْعٍ فَسَبَى مِنْهُمْ جَمَاعَةً وَقَتَلَ آخَرِينَ * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيِّ﴾ إِلَى بَنِي مُرَّةَ بِفَدَكٍ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَمَعَهُ ثَلَاثُونَ رَجُلًا فَقُتِلُوا وَقَاتَلَ بَشِيرٌ حَتَّى ارْتُثَّ وَقَدِمَ ابْنُ زَيْدٍ الْحَارِثِيُّ بِخَبَرِهِمْ عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللّٰهِ اللَّيْثِيِّ﴾ إِلَى الْمِيفَعَةِ بِنَاحِيَةِ نَجْدٍ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى ثَمَانِيَةِ بُرُدٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ سَبْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ فِي مِائَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ رَاجِلًا فَهَجَمُوا عَلَيْهِمْ فِي وَسَطِ مَحَالِّهِمْ فَقَتَلُوا مَنْ أَشْرَفَ لَهُمْ وَاسْتَاقُوا نَعَمًا وَشَاءً إِلَى الْمَدِينَةِ قَالُوا وَفِي هٰذِهِ السَّرِيَّةِ قَتَلَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ نَهِيكَ بْنَ مِرْدَاسٍ

بعد أن قال لا إله إلا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا شققت عن قلبه فتعلم أصادق أم كاذب فقال أسامة لا أقاتل أحدا يشهد أن لا إله إلا الله. وفي البخاري عن أبي ظبيان قال سمعت أسامة بن زيد يقول بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا إله إلا الله فكف الأنصاري عنه وطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله قلت كان متعوذا فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم * ثم ﴿سرية بشير بن سعد الأنصاري﴾ أيضا إلى يمن وجبار وهي أرض لغطفان في شوال سنة سبع من الهجرة وبعث صلى الله عليه وسلم معه ثلاثمائة رجل لجمع تجمعوا للإغارة على المدينة فساروا الليل وكمنوا النهار فلما بلغهم مسير بشير هربوا وأصاب لهم نعما كثيرة فغنمها وأسر رجلين وقدم بهما إلى المدينة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلما *

﴿عمرة القضاء﴾

قال الحاكم في الإكليل تواترت الأخبار أنه صلى الله عليه وسلم لما هل ذو القعدة يعني سنة سبع أمر أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدهم المشركون عنها بالحديبية وأن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية فلم يتخلف منهم إلا رجال استشهدوا بخيبر ورجال ماتوا وخرج معه صلى الله عليه وسلم من المسلمين ألفان واستخلف على المدينة أبا رهم الغفاري وساق

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سِتِّينَ بَدَنَةً وَحَمَلَ السِّلَاحَ وَالْبِيضَ وَالدُّرُوعَ وَالرِّمَاحَ وَقَادَ مِائَةَ فَرَسٍ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى ذِي الْحُلَيْفَةِ قَدَّمَ الْخَيْلَ أَمَامَهُ عَلَيْهَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَقَدَّمَ السِّلَاحَ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِ بَشِيرَ بْنَ سَعْدٍ وَأَحْرَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَبَّى وَالْمُسْلِمُونَ يُلَبُّونَ مَعَهُ وَمَضَى مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فِي الْخَيْلِ إِلَى مَرِّ الظَّهْرَانِ فَوَجَدَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ فَسَأَلُوهُ فَقَالَ هٰذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَبِّحُ هٰذَا الْمَنْزِلَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ فَأَتَوْا قُرَيْشًا فَأَخْبَرُوهُمْ فَفَزِعُوا وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ وَقَدَّمَ السِّلَاحَ إِلَى بَطْنِ يَأْجِجٍ مَوْضِعٌ بِقُرْبِ مَكَّةَ وَخَلَّفَ عَلَيْهِ أَوْسَ بْنَ خَوَلِيٍّ الْأَنْصَارِيَّ فِي مِائَتَيْ رَجُلٍ وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى رُؤُسِ الْجِبَالِ وَقَدَّمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْهَدْيَ أَمَامَهُ فَحُبِسَ بِذِي طُوًى وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَاحِلَتِهِ الْقَصْوَاءِ وَالْمُسْلِمُونَ مُتَوَشِّحُونَ السُّيُوفَ مُحْدِقُونَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلَبُّونَ فَدَخَلَ مِنَ الثَّنِيَّةِ الَّتِي تُطْلِعُهُ عَلَى الْحَجُونِ وَابْنُ رَوَاحَةَ آخِذٌ بِزِمَامِ رَاحِلَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ ... الْيَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ

ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ ... وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ شِعْرًا فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ وَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلَبِّي حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ بِمِحْجَنِهِ مُضْطَبِعًا بِثَوْبِهِ وَطَافَ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَالْمُسْلِمُونَ يَطُوفُونَ مَعَهُ وَقَدِ اضْطَبَعُوا بِثِيَابِهِمْ

وَالْاضْطِبَاعُ أَنْ يُدْخِلَ الرِّدَاءَ تَحْتَ إِبْطِهِ الْأَيْمَنِ وَيَرُدَّ طَرَفَهُ عَلَى يَسَارِهِ وَيُبْدِيَ مَنْكِبَهُ الْأَيْمَنَ وَيُغَطِّيَ الْأَيْسَرَ * وَفِي الْبُخَارِيِّ قَالَ الْمُشْرِكُونَ إِنَّهُ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وَفْدٌ وَهَنَتْهُمْ حُمَّى يَثْرِبَ فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ الثَّلَاثَةَ وَأَنْ يَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ ارْمُلُوا لِيَرَى الْمُشْرِكِينَ قُوَّتَهُمْ ثُمَّ طَافَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَلَمَّا كَانَ الطَّوَافُ السَّابِعُ عِنْدَ فَرَاغِهِ وَقَدْ وَقَفَ الْهَدْيُ عِنْدَ الْمَرْوَةِ قَالَ هٰذَا الْمَنْحَرُ وَكُلُّ فِجَاجِ مَكَّةَ مَنْحَرٌ فَنَحَرَ عِنْدَ الْمَرْوَةِ وَحَلَقَ هُنَاكَ وَكَذٰلِكَ فَعَلَ الْمُسْلِمُونَ وَأَمَرَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسًا مِنْهُمْ أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى أَصْحَابِهِ بِبَطْنِ يَاجِجٍ فَيُقِيمُوا عَلَى السِّلَاحِ وَيَأْتِيَ الْآخَرُونَ فَيَقْضُوا نُسُكَهُمْ فَفَعَلُوا وَأَقَامَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ثَلَاثًا فَلَمَّا مَضَى الْأَجَلُ أَتَى الْمُشْرِكُونَ عَلِيًّا رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ فَقَالُوا قُلْ لِصَاحِبِكَ اخْرُجْ عَنَّا فَقَدْ مَضَى الْأَجَلُ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ ابْنِ أَبِي الْعَوْجَاءِ السُّلَمِيِّ﴾ إِلَى بَنِي سُلَيْمٍ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سَبْعٍ فِي خَمْسِينَ رَجُلًا فَأَحْدَقَ بِهِمُ الْكُفَّارُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَقَاتَلَ الْقَوْمُ قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى قُتِلَ عَامَّتُهُمْ وَأُصِيبَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ جَرِيحًا مَعَ الْقَتْلَى ثُمَّ تَحَامَلَ حَتَّى بَلَغَ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللّٰهِ اللَّيْثِيِّ﴾ إِلَى بَنِي الْمُلَوَّحِ بِالْكَدِيدِ فِي صَفَرَ سَنَةَ ثَمَانٍ فَغَنِمَ * وَفِي هٰذَا الشَّهْرِ قَدِمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ الْمَدِينَةَ فَأَسْلَمُوا * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ غَالِبٍ أَيْضًا﴾ إِلَى مُصَابِ أَصْحَابِ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ بِفَدَكٍ فِي صَفَرَ سَنَةَ

ثمان ومعه مائتا رجل فأغاروا عليهم مع الصبح وقتلوا منهم قتلى وأصابوا نعما * ثم ﴿سرية شجاع بن وهب الأسدي﴾ إلى بني عامر في شهر ربيع الأول سنة ثمان ومعه أربعة وعشرون رجلا إلى جمع من هوازن وأمره أن يغير عليهم فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم فأصابوا نعما وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة * ثم ﴿سرية كعب بن عمير الغفاري﴾ إلى ذات أطلاح في ربيع الأول سنة ثمان في خمسة عشر رجلا فساروا حتى انتهوا إلى ذات أطلاح فوجدوا جمعا كثيرا فقاتلهم الصحابة أشد القتال حتى قتلوا وأفلت منهم رجل جريح في القتلى قيل هو الأمير فلما برد الليل عليه تحامل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فشق ذلك عليه وهم بالبعث إليهم فبلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر فتركهم * ثم ﴿سرية موتة﴾ وهي من عمل البلقاء بالشام كانت في جمادى الأولى سنة ثمان وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أرسل الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى ملك بصرى فلما نزل موتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف وقال إن قتل فأميركم جعفر بن أبي طالب فإن قتل فأميركم عبد الله بن رواحة فإن قتل فليرتض المسلمون برجل من بينهم يجعلونه عليهم وعقد لهم صلى الله عليه وسلم لواء أبيض ودفعه إلى زيد بن حارثة وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير وأن يدعوا من هناك إلى

ٱلْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوا وَإِلَّا ٱسْتَعِينُوا عَلَيْهِمْ بِٱللَّهِ وَقَاتِلُوهُمْ وَخَرَجَ مُشَيِّعًا لَهُمْ حَتَّى
بَلَغَ ثَنِيَّةَ ٱلْوَدَاعِ فَلَمَّا سَارُوا نَادَى ٱلْمُسْلِمُونَ دَفَعَ ٱللَّهُ عَنْكُمْ وَرَدَّكُمْ صَالِحِينَ
غَانِمِينَ فَلَمَّا فَصَلُوا مِنَ ٱلْمَدِينَةِ سَمِعَ ٱلْعَدُوُّ بِمَسِيرِهِمْ فَجَمَعُوا لَهُمْ وَقَامَ شُرَحْبِيلُ
ٱبْنُ عَمْرٍو فَجَمَعَ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ وَقَدَّمَ ٱلطَّلَائِعَ أَمَامَهُ وَقَدْ نَزَلَ ٱلْمُسْلِمُونَ
مَعَانَ مَوْضِعٌ مِنْ أَرْضِ ٱلشَّامِ وَبَلَغَ ٱلنَّاسَ كَثْرَةُ ٱلْعَدُوِّ وَتَجَمُّعُهُمْ وَأَنَّ هِرَقْلَ
نَزَلَ بِأَرْضِ ٱلْبَلْقَاءِ فِي مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ فَأَقَامُوا لَيْلَتَيْنِ لِيَنْظُرُوا فِي
أَمْرِهِمْ وَقَالُوا نَكْتُبُ إِلَى رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنُخْبِرُهُ ٱلْخَبَرَ فَشَجَّعَهُمْ
عَبْدُ ٱللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ عَلَى ٱلْمُضِيِّ فَمَضَوْا إِلَى مُوتَةَ وَوَافَاهُمُ ٱلْمُشْرِكُونَ فَجَاءَ مِنْهُمْ
مَا لَا قِبَلَ لِأَحَدٍ بِهِ مِنَ ٱلْعَدَدِ وَٱلسِّلَاحِ وَٱلْكُرَاعِ وَٱلدِّيبَاجِ وَٱلْحَرِيرِ وَٱلذَّهَبِ
وَٱلْتَقَى ٱلْمُسْلِمُونَ وَٱلْمُشْرِكُونَ فَقَاتَلَ ٱلْأُمَرَاءُ يَوْمَئِذٍ عَلَى أَرْجُلِهِمْ فَأَخَذَ ٱللِّوَاءَ
زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَقَاتَلَ وَقَاتَلَ ٱلْمُسْلِمُونَ مَعَهُ عَلَى صُفُوفِهِمْ حَتَّى قُتِلَ طَعْنًا بِٱلرِّمَاحِ
ثُمَّ أَخَذَ ٱللِّوَاءَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَنَزَلَ عَنْ فَرَسٍ لَهُ شَقْرَاءَ فَعَقَرَهَا ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقَاتَلَ
حَتَّى قُطِعَتْ يَدَاهُ جَمِيعًا أَخَذَ ٱللِّوَاءَ بِيَمِينِهِ فَقُطِعَتْ ثُمَّ أَخَذَهُ بِشِمَالِهِ فَقُطِعَتْ
ثُمَّ ٱحْتَضَنَهُ فَقُتِلَ قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ ٱللَّهَ أَبْدَلَهُ بِيَدَيْهِ
جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي ٱلْجَنَّةِ وَوُجِدَ فِيمَا أَقْبَلَ مِنْ بَدَنِهِ ٱثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ ضَرْبَةً بِسَيْفٍ
وَطَعْنَةً بِرُمْحٍ ثُمَّ أَخَذَ ٱللِّوَاءَ عَبْدُ ٱللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَأَخَذَ ٱللِّوَاءَ ٱبْنُ
أَقْرَمَ ٱلْعَجْلَانِيُّ إِلَى أَنِ ٱصْطَلَحَ ٱلنَّاسُ عَلَى خَالِدِ بْنِ ٱلْوَلِيدِ فَأَخَذَ ٱللِّوَاءَ وَقَاتَلَهُمْ
فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً وَأَصَابَ غَنِيمَةً ثُمَّ ٱنْحَازَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ وَرُفِعَتِ ٱلْأَرْضُ

لِرَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَظَرَ إِلَى مُعْتَرَكِ ٱلْقَوْمِ وَذَكَرَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ فِي ٱلْمَغَازِي أَنَّ يَعْلَى بْنَ أُمَيَّةَ قَدِمَ بِخَبَرِ أَهْلِ مُوتَةَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ شِئْتَ فَأَخْبِرْنِي وَإِنْ شِئْتَ أَخْبَرْتُكَ قَالَ أَخْبِرْنِي فَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُمْ فَقَالَ وَٱلَّذِي بَعَثَكَ بِٱلْحَقِّ مَا تَرَكْتَ مِنْ حَدِيثِهِمْ حَرْفًا لَمْ تَذْكُرْهُ * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ عَمْرِو بْنِ ٱلْعَاصِ﴾ إِلَى ذَاتِ ٱلسَّلَاسِلِ وَهِيَ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ عَلَى عَشَرَةِ أَمْيَالٍ وَكَانَتْ فِي جُمَادَى ٱلْآخِرَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبَبُهَا أَنَّهُ بَلَغَهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ جَمْعًا مِنْ قُضَاعَةَ قَدْ تَجَمَّعُوا لِلْإِغَارَةِ فَبَعَثَ عَمْرًا وَعَقَدَ لَهُ لِوَاءً أَبْيَضَ وَجَعَلَ مَعَهُ رَايَةً سَوْدَاءَ وَبَعَثَهُ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ سَرَاةِ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ وَمَعَهُمْ ثَلَاثُونَ فَرَسًا فَسَارَ ٱللَّيْلَ وَكَمَنَ ٱلنَّهَارَ فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُمْ بَلَغَهُ أَنَّ لَهُمْ جَمْعًا كَثِيرًا فَبَعَثَ رَافِعَ بْنَ مَكِيثٍ ٱلْجُهَنِيَّ إِلَى رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَمِدُّهُ فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ ٱلْجَرَّاحِ وَعَقَدَ لَهُ لِوَاءً وَبَعَثَ مَعَهُ مِائَتَيْنِ مِنْ سَرَاةِ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَأَمَرَهُ أَنْ يَلْحَقَ بِعَمْرٍو وَأَنْ يَكُونَا جَمِيعًا وَلَا يَخْتَلِفَا فَأَرَادَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنْ يَؤُمَّ ٱلنَّاسَ فَقَالَ عَمْرٌو إِنَّمَا قَدِمْتَ عَلَيَّ مَدَدًا وَأَنَا ٱلْأَمِيرُ فَأَطَاعَ لَهُ بِذَلِكَ أَبُو عُبَيْدَةَ فَكَانَ عَمْرٌو يُصَلِّي بِٱلنَّاسِ وَسَارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى ٱلْعَدُوِّ بَلِيٍّ وَعُذْرَةَ فَحَمَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْمُسْلِمُونَ فَهَرَبُوا بِٱلْبِلَادِ وَتَفَرَّقُوا * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ ٱلْجَرَّاحِ﴾ وَسَمَّاهَا ٱلْبُخَارِيُّ غَزْوَةَ سِيفِ ٱلْبَحْرِ وَتُسَمَّى بِسَرِيَّةِ ٱلْخَبَطِ وَكَانَتْ فِي رَجَبٍ سَنَةَ ثَمَانٍ إِلَى حَيٍّ مِنْ جُهَيْنَةَ بِٱلْقَبَلِيَّةِ مِمَّا يَلِي سَاحِلَ ٱلْبَحْرِ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلْمَدِينَةِ خَمْسُ لَيَالٍ: رَوَى ٱلْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ جَابِرٍ

قَالَ خَرَجْنَا وَنَحْنُ ثَلَاثُمِائَةٍ نَحْمِلُ زَادَنَا عَلَى رِقَابِنَا فَفَنِيَ زَادُنَا حَتَّى كَانَ الرَّجُلُ يَأْكُلُ تَمْرَةً تَمْرَةً وَابْتَاعَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ جَزُورًا وَنَحَرَهَا لَهُمْ وَأَخْرَجَ اللهُ لَهُمْ مِنَ الْبَحْرِ دَابَّةً تُسَمَّى الْعَنْبَرَ فَأَكَلُوا مِنْهَا وَتَزَوَّدُوا وَرَجَعُوا وَلَمْ يَلْقَوْا كَيْدًا زَادَ فِي رِوَايَةٍ فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللهُ لَكُمْ فَهَلْ مَعَكُمْ شَيْءٌ مِنْ لَحْمِهِ فَتُطْعِمُونَا قَالَ فَأَرْسَلْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ فَأَكَلَ * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ﴾ إِلَى خَضِرَةَ وَهِيَ أَرْضُ مُحَارِبٍ بِنَجْدٍ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَبَعَثَ مَعَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا إِلَى غَطَفَانَ فَقَتَلَ مَنْ أَشْرَفَ مِنْهُمْ وَسَبَى سَبْيًا كَثِيرًا وَاسْتَاقَ النَّعَمَ فَكَانَتِ الْإِبِلُ مِائَتَيْ بَعِيرٍ وَالْغَنَمُ أَلْفَيْ شَاةٍ وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ أَبِي قَتَادَةَ أَيْضًا﴾ إِلَى بَطْنِ إِضَمٍ عَلَى ثَلَاثَةِ بُرُدٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَذَلِكَ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا هَمَّ أَنْ يَغْزُوَ أَهْلَ مَكَّةَ بَعَثَهُ لِيَظُنَّ ظَانٌّ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَجَّهَ إِلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ وَلِأَنْ تَذْهَبَ بِذَلِكَ الْأَخْبَارُ فَلَقُوا عَامِرَ بْنَ الْأَضْبَطِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ فَقَتَلَهُ مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا» الْآيَةَ فَجَاءَ مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ فِي بُرْدَيْنِ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا غَفَرَ اللهُ لَكَ فَقَامَ وَهُوَ يَتَلَقَّى دُمُوعَهُ بِبُرْدَيْهِ فَمَا مَضَتْ لَهُ سَابِعَةٌ حَتَّى مَاتَ فَلَفَظَتْهُ الْأَرْضُ ثُمَّ عَادُوا بِهِ فَلَفَظَتْهُ الْأَرْضُ فَلَمَّا غَلَبَ قَوْمَهُ عَمَدُوا إِلَى صَدَّيْنِ

أَيْ جَبَلَيْنِ فَسَطَحُوهُ ثُمَّ رَضَمُوا عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ حَتَّى وَارَوْهُ فَذَكَرُوا ذٰلِكَ لِرَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّ الْأَرْضَ تَقْبَلُ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْ صَاحِبِكُمْ وَلٰكِنْ يُرِيدُ اللّٰهُ أَنْ يَعِظَكُمْ *

﴿ فَتْحُ مَكَّةَ الْمُشَرَّفَةِ ﴾

زَادَهَا اللّٰهُ شَرَفًا وَكَرَمًا وَهُوَ الْفَتْحُ الْأَعْظَمُ الَّذِي أَعَزَّ اللّٰهُ بِهِ دِينَهُ وَرَسُولَهُ وَجُنْدَهُ وَحَرَمَهُ الْأَمِينَ . وَاسْتَنْقَذَ بِهِ بَلَدَهُ وَبَيْتَهُ الَّذِي جَعَلَهُ هُدًى لِلْعَالَمِينَ . مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ . خَرَجَ لَهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَتَائِبِ الْإِسْلَامِ . وَجُنُودِ الرَّحْمٰنِ . لِنَقْضِ قُرَيْشٍ الْعَهْدَ الَّذِي وَقَعَ بِالْحُدَيْبِيَةِ وَقَدِمَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ أَنْ يُجَدِّدَ الْعَهْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ فَأَبَى عَلَيْهِ فَانْصَرَفَ إِلَى مَكَّةَ فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ إِعْلَامِ أَحَدٍ فَكَتَبَ حَاطِبٌ كِتَابًا وَأَرْسَلَهُ إِلَى مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِذٰلِكَ فَأَطْلَعَ اللّٰهُ نَبِيَّهُ عَلَى ذٰلِكَ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعَلِيٍّ وَالزُّبَيْرِ وَالْمِقْدَادِ انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا قَالَ فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ قُلْنَا أَخْرِجِي الْكِتَابَ قَالَتْ مَا مَعِي كِتَابٌ قُلْنَا لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ قَالَ فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا فَأَتَيْنَا بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِأُمُورِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا حَاطِبُ مَا هٰذَا قَالَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ أَيْ حَلِيفًا وَلَمْ أَكُنْ مِنْ

أَنْفُسِهَا وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَٰلِكَ مِنَ ٱلنَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي وَلَمْ أَفْعَلْهُ ٱرْتِدَادًا عَنْ دِينِي وَلَا رِضًى بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ ٱلْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ ٱللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَٰذَا ٱلْمُنَافِقِ فَقَالَ إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱللَّهَ ٱطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ ٱعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ فَأَنْزَلَ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى «يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِٱلْمَوَدَّةِ» إِلَى قَوْلِهِ «فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ ٱلسَّبِيلِ» رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ. وَحَكَى ٱلسُّهَيْلِيُّ أَنَّ لَفْظَ ٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي كَتَبَهُ حَاطِبٌ: أَمَّا بَعْدُ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ فَإِنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَكُمْ بِجَيْشٍ عَظِيمٍ يَسِيلُ كَٱلسَّيْلِ فَوَٱللَّهِ لَوْ جَاءَكُمْ وَحْدَهُ لَنَصَرَهُ ٱللَّهُ وَأَنْجَزَ لَهُ فَٱنْظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَٱلسَّلَامُ. وَبَعَثَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ مِنَ ٱلْعَرَبِ أَسْلَمَ وَغِفَارَ وَمُزَيْنَةَ وَجُهَيْنَةَ وَأَشْجَعَ وَسُلَيْمٍ فَجَاءَهُمْ فَمِنْهُمْ مَنْ وَافَاهُ بِٱلْمَدِينَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَحِقَهُ بِٱلطَّرِيقِ وَٱسْتَخْلَفَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ٱلْمَدِينَةِ ٱبْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ وَخَرَجَ يَوْمَ ٱلْأَرْبِعَاءِ لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَقِيلَ لِعَشْرٍ وَقِيلَ لِأَكْثَرَ بَعْدَ ٱلْعَصْرِ سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ ٱلْهِجْرَةِ وَكَانَ ٱلْمُسْلِمُونَ عَشَرَةَ آلَافٍ وَقِيلَ ٱثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا وَكَانَ ٱلْعَبَّاسُ قَدْ خَرَجَ بِأَهْلِهِ وَعِيَالِهِ مُسْلِمًا مُهَاجِرًا فَلَقِيَ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِٱلْجُحْفَةِ وَكَانَ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُقِيمًا بِمَكَّةَ عَلَى سِقَايَتِهِ وَرَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ رَاضٍ وَكَانَ مِمَّنْ لَقِيَهُ فِي ٱلطَّرِيقِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ ٱلْحَارِثِ ٱبْنِ

عَمِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَخُوهُ مِنْ رَضَاعِ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ وَمَعَهُ وَلَدُهُ جَعْفَرٌ وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ يَأْلَفُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا بُعِثَ عَادَاهُ وَهَجَاهُ وَكَانَ لِقَاؤُهُمَا لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْأَبْوَاءِ وَأَسْلَمَا قَبْلَ دُخُولِ مَكَّةَ ثُمَّ سَارَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا كَانَ بِقُدَيْدٍ عَقَدَ الْأَلْوِيَةَ وَالرَّايَاتِ وَدَفَعَهَا إِلَى الْقَبَائِلِ ثُمَّ نَزَلَ مَرَّ الظَّهْرَانِ عِشَاءً فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَوْقَدُوا عَشَرَةَ آلَافِ نَارٍ وَلَمْ يَبْلُغْ قُرَيْشًا مَسِيرُهُ وَهُمْ مُغْتَمُّونَ لِمَا يَخَافُونَ مِنْ غَزْوِهِ إِيَّاهُمْ فَبَعَثُوا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَقَالُوا إِنْ لَقِيتَ مُحَمَّدًا فَخُذْ لَنَا مِنْهُ أَمَانًا فَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ حَتَّى أَتَوْا مَرَّ الظَّهْرَانِ فَلَمَّا رَأَوُا الْعَسْكَرَ أَفْزَعَهُمْ فَرَآهُمْ نَاسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَدْرَكُوهُمْ فَأَخَذُوهُمْ فَأَتَوْا بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَمَّا سَارَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ احْبِسْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فَحَبَسَهُ الْعَبَّاسُ فَجَعَلَتِ الْقَبَائِلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتِيبَةً كَتِيبَةً عَلَى أَبِي سُفْيَانَ فَمَرَّتْ كَتِيبَةٌ فَقَالَ يَا عَبَّاسُ مَنْ هٰذِهِ قَالَ هٰذِهِ غِفَارٌ قَالَ مَا لِي وَلِغِفَارٍ ثُمَّ جُهَيْنَةُ قَالَ مِثْلَ ذٰلِكَ حَتَّى أَقْبَلَتْ كَتِيبَةٌ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا قَالَ مَنْ هٰذِهِ قَالَ هٰؤُلَاءِ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مَعَهُ الرَّايَةُ فَقَالَ سَعْدٌ يَا أَبَا سُفْيَانَ الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ وَفِي رِوَايَةٍ تُسْتَحَلُّ الْحُرْمَةُ فَسَمِعَهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ مَا آمَنُ أَنْ يَكُونَ لِسَعْدٍ فِي قُرَيْشٍ صَوْلَةٌ فَقَالَ لِعَلِيٍّ أَدْرِكْهُ فَخُذِ الرَّايَةَ مِنْهُ فَكُنْ أَنْتَ تَدْخُلُ بِهَا. وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ لَمَّا حَاذَاهُ أُمِرْتَ بِقَتْلِ قَوْمِكَ قَالَ لَا فَذَكَرَ لَهُ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ثُمَّ
نَاشَدَهُ ٱللَّهَ وَٱلرَّحِمَ فَقَالَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ٱلْيَوْمُ يَوْمُ ٱلْمَرْحَمَةِ ٱلْيَوْمَ يُعِزُّ ٱللَّهُ
قُرَيْشًا وَأَرْسَلَ إِلَى سَعْدٍ فَأَخَذَ ٱلرَّايَةَ مِنْهُ فَدَفَعَهَا إِلَى ٱبْنِهِ قَيْسٍ قَالَ مُوسَى بْنُ
عُقْبَةَ بَعَثَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلزُّبَيْرَ بْنَ ٱلْعَوَّامِ عَلَى ٱلْمُهَاجِرِينَ
وَخَيْلِهِمْ وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ كَدَاءٍ بِأَعْلَى مَكَّةَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَغْرِزَ رَايَتَهُ بِٱلْحَجُونِ
وَلَا يَبْرَحَ حَتَّى يَأْتِيَهُ وَبَعَثَ خَالِدَ بْنَ ٱلْوَلِيدِ فِي قَبَائِلِ قُضَاعَةَ وَسُلَيْمٍ وَغَيْرِهِمْ
وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ وَأَنْ يَغْرِزَ رَايَتَهُ عِنْدَ أَدْنَى ٱلْبُيُوتِ وَبَعَثَ سَعْدَ
ٱبْنَ عُبَادَةَ فِي كَتِيبَةِ ٱلْأَنْصَارِ فِي مُقَدَّمَةِ رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُمْ
أَنْ يَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ وَلَا يُقَاتِلُوا إِلَّا مَنْ قَاتَلَهُمْ وَٱنْدَفَعَ خَالِدُ بْنُ ٱلْوَلِيدِ حَتَّى دَخَلَ
مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ وَقَدْ تَجَمَّعَ بِهَا بَنُو بَكْرٍ وَبَنُو ٱلْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَنَاسٌ مِنْ هُذَيْلٍ
وَمِنَ ٱلْأَحَابِيشِ ٱلَّذِينَ ٱنْتَصَرَتْ بِهِمْ قُرَيْشٌ فَقَاتَلُوا خَالِدًا فَقَاتَلَهُمْ فَٱنْهَزَمُوا
وَقُتِلَ مِنْ بَنِي بَكْرٍ نَحْوٌ مِنْ عِشْرِينَ رَجُلًا وَمِنْ هُذَيْلٍ ثَلَاثَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ حَتَّى ٱنْتَهَى
بِهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَى ٱلْحَزْوَرَةِ إِلَى بَابِ ٱلْمَسْجِدِ حَتَّى دَخَلُوا ٱلدُّورَ فَٱرْتَفَعَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ
عَلَى ٱلْجِبَالِ وَصَاحَ أَبُو سُفْيَانَ مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ وَكَفَّ يَدَهُ فَهُوَ آمِنٌ وَنَظَرَ رَسُولُ ٱللَّهِ
صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ٱلْبَارِقَةِ فَقَالَ مَا هٰذِهِ وَقَدْ نَهَيْتُ عَنِ ٱلْقِتَالِ فَقَالُوا إِنَّ
خَالِدًا قُوتِلَ وَبُدِئَ بِٱلْقِتَالِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بُدٌّ مِنْ أَنْ يُقَاتِلَهُمْ وَقَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى
ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنِ ٱطْمَأَنَّ لِخَالِدٍ لِمَ قَاتَلْتَ وَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنِ ٱلْقِتَالِ فَقَالَ هُمْ
بَدَؤُنَا بِٱلْقِتَالِ وَقَدْ كَفَفْتُ يَدِي مَا ٱسْتَطَعْتُ فَقَالَ قَضَاءُ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَقَالَ ٱلْعَبَّاسُ

بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ الْفَخْرَ فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا قَالَ نَعَمْ وَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَادَى مُنَادِيهِ مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ إِلَّا الْمُسْتَثْنَيْنَ وَهُمْ عَلَى مَا جَمَعَهُ الْوَاقِدِيُّ عَنْ شُيُوخِهِ عَشَرَةُ أَنْفُسٍ سِتَّةُ رِجَالٍ وَأَرْبَعُ نِسْوَةٍ ۰ وَرَوَى مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ بَعَثَ عَلَى إِحْدَى الْمُجَنِّبَتَيْنِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَبَعَثَ الزُّبَيْرَ عَلَى الْأُخْرَى وَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى الْحُسَّرِ أَيِ الَّذِينَ بِغَيْرِ سِلَاحٍ فَقَالَ لِي يَا أَبَا هُرَيْرَةَ اهْتِفْ لِي بِالْأَنْصَارِ فَهَتَفْتُ بِهِمْ فَجَاؤُا فَأَطَافُوا بِهِ فَقَالَ لَهُمْ أَتَرَوْنَ إِلَى أَوْبَاشِ قُرَيْشٍ وَأَتْبَاعِهِمْ ثُمَّ قَالَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى احْصُدُوهُمْ حَصْدًا حَتَّى تُوَافُونِي بِالصَّفَا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَانْطَلَقْنَا فَمَا نَشَاءُ أَنْ نَقْتُلَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا قَتَلْنَاهُ فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُبِيحَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ۞ وَرُوِيَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَ رَأْسَهُ تَوَاضُعًا لِلَّهِ لَمَّا رَأَى مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْفَتْحِ حَتَّى أَنَّ رَأْسَهُ لَتَكَادُ تَمَسُّ رَحْلَهُ شُكْرًا وَخُضُوعًا لِعَظَمَتِهِ تَعَالَى أَنْ أَحَلَّ لَهُ بَلَدَهُ وَلَمْ يُحِلَّهُ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ وَلَا لِأَحَدٍ بَعْدَهُ وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَعَلَى رَأْسِهِ الْمِغْفَرُ ۰ وَهُوَ زَرَدٌ يُنْسَجُ عَلَى قَدْرِ الرَّأْسِ مِثْلُ الْقَلَنْسُوَةِ ۰ وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ ۞ وَلَمَّا كَانَ الْغَدُ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ قَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَطِيبًا فِي النَّاسِ

فَحَمِدَ ٱللّٰهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱللّٰهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فَهِيَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ ٱللّٰهِ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِٱللّٰهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا أَوْ يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ فِيهَا لِقِتَالِ رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُولُوا إِنَّ ٱللّٰهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا ٱلْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِٱلْأَمْسِ فَلْيُبَلِّغِ ٱلشَّاهِدُ ٱلْغَائِبَ ثُمَّ قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ قَالُوا خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وَٱبْنُ أَخٍ كَرِيمٍ قَالَ ٱذْهَبُوا فَأَنْتُمُ ٱلطُّلَقَاءُ أَيِ ٱلَّذِينَ أُطْلِقُوا فَلَمْ يُسْتَرَقُّوا وَلَمْ يُؤْسَرُوا • وَلَمَّا فَتَحَ ٱللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَكَّةَ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ٱلْأَنْصَارُ فِيمَا بَيْنَهُمْ أَتَرَوْنَ أَنَّ رَسُولَ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ فَتَحَ ٱللّٰهُ عَلَيْهِ أَرْضَهُ وَبَلَدَهُ يُقِيمُ بِهَا وَكَانَ رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو عَلَى ٱلصَّفَا رَافِعًا يَدَيْهِ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ دُعَائِهِ قَالَ مَاذَا قُلْتُمْ قَالُوا لَا شَيْءَ يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى أَخْبَرُوهُ فَقَالَ رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَاذَ ٱللّٰهِ ٱلْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَٱلْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ • وَهَمَّ فَضَالَةُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ ٱلْمُلَوِّحِ أَنْ يَقْتُلَ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَطُوفُ بِٱلْبَيْتِ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ لَهُ رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفَضَالَةُ قَالَ نَعَمْ يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ قَالَ مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ قَالَ لَا شَيْءَ كُنْتُ أَذْكُرُ ٱللّٰهَ فَضَحِكَ رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ ٱسْتَغْفِرِ ٱللّٰهَ ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَسَكَنَ قَلْبُهُ فَكَانَ فَضَالَةُ يَقُولُ وَٱللّٰهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْ صَدْرِي حَتَّى مَا خَلَقَ ٱللّٰهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ • وَفِي تَفْسِيرِ ٱلْعَلَّامَةِ ٱبْنِ ٱلنَّقِيبِ

الْمَقْدِسِيّ إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا أَعْلَمَ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ قَدْ أَنْجَزَ لَهُ وَعْدَهُ بِالنَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِهِ وَفَتْحِ مَكَّةَ وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ دِينِهِ أَمَرَهُ إِذَا دَخَلَ مَكَّةَ أَنْ يَقُولَ «وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا» فَصَارَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطْعَنُ الْأَصْنَامَ الَّتِي حَوْلَ الْكَعْبَةِ بِمِحْجَنِهِ وَيَقُولُ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ فَيَخِرُّ الصَّنَمُ سَاقِطًا مَعَ أَنَّهَا كُلَّهَا كَانَتْ مُثْبَتَةً بِالْحَدِيدِ وَالرَّصَاصِ وَكَانَتْ ثَلَاثَمِائَةٍ وَسِتِّينَ صَنَمًا بِعَدَدِ أَيَّامِ السَّنَةِ. وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ عَلَى نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أُسَامَةَ حَتَّى أَنَاخَ بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ ثُمَّ دَعَا عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ فَقَالَ ائْتِنِي بِالْمِفْتَاحِ فَذَهَبَ إِلَى أُمِّهِ فَأَبَتْ أَنْ تُعْطِيَهُ فَقَالَ وَاللهِ لَتُعْطِيِنَّهُ أَوْ لَيَخْرُجَنَّ هَذَا السَّيْفُ مِنْ صُلْبِي فَأَعْطَتْهُ إِيَّاهُ فَجَاءَ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ فَفَتَحَ الْبَابَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَفِي الطَّبَقَاتِ لِابْنِ سَعْدٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ قَالَ كُنَّا نَفْتَحُ الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ الْكَعْبَةَ مَعَ النَّاسِ فَأَغْلَظْتُ لَهُ وَنِلْتُ مِنْهُ فَحَلُمَ عَنِّي ثُمَّ قَالَ يَا عُثْمَانُ لَعَلَّكَ سَتَرَى هَذَا الْمِفْتَاحَ يَوْمًا بِيَدِي أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتُ فَقُلْتُ لَقَدْ هَلَكَتْ قُرَيْشٌ يَوْمَئِذٍ وَذَلَّتْ فَقَالَ بَلْ عَمَرَتْ وَعَزَّتْ يَوْمَئِذٍ وَدَخَلَ الْكَعْبَةَ فَوَقَعَتْ كَلِمَتُهُ مِنِّي مَوْقِعًا ظَنَنْتُ يَوْمَئِذٍ أَنَّ الْأَمْرَ سَيَصِيرُ إِلَى مَا قَالَ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ قَالَ يَا عُثْمَانُ ائْتِنِي بِالْمِفْتَاحِ فَأَتَيْتُهُ بِهِ فَأَخَذَهُ مِنِّي ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَيَّ وَقَالَ خُذُوهَا خَالِدَةً تَالِدَةً لَا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ يَا عُثْمَانُ إِنَّ اللهَ اسْتَأْمَنَكُمْ عَلَى بَيْتِهِ فَكُلُوا مِمَّا

يَصِلُ إِلَيْكُمْ مِنْ هٰذَا الْبَيْتِ بِالْمَعْرُوفِ قَالَ فَلَمَّا وَلَّيْتُ نَادَانِي فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ أَلَمْ يَكُنِ الَّذِي قُلْتُ لَكَ قَالَ فَذَكَرْتُ قَوْلَهُ لِي بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ لَعَلَّكَ سَتَرَى هٰذَا الْمِفْتَاحَ يَوْمًا بِيَدِي أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتُ قُلْتُ بَلَى أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللّٰهِ وَفِي عُثْمَانَ هٰذَا نَزَلَتْ آيَةُ «إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا».

وَرَوَى مُسْلِمٌ أَنَّهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ هُوَ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَبِلَالٌ وَعُثْمَانُ ابْنُ طَلْحَةَ الْكَعْبَةَ فَأَغْلَقُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ قَالَ ابْنُ عُمَرَ فَلَمَّا فَتَحُوا كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ وَلَجَ فَلَقِيتُ بِلَالًا فَسَأَلْتُهُ هَلْ صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نَعَمْ بَيْنَ الْعَمُودَيْنِ الْيَمَانِيَيْنِ وَذَهَبَ عَنِّي أَنْ أَسْأَلَهُ كَمْ صَلَّى وَفِي إِحْدَى رِوَايَاتِ الْبُخَارِيِّ جَعَلَ عَمُودًا عَلَى يَسَارِهِ وَعَمُودًا عَلَى يَمِينِهِ وَثَلَاثَةَ أَعْمِدَةٍ وَرَاءَهُ وَفِي كِتَابِ مَكَّةَ لِلْأَزْرَقِيِّ وَالْفَاكِهِيِّ أَنَّ مُعَاوِيَةَ سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ أَيْنَ صَلَّى رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ اجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْجِدَارِ ذِرَاعَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ أَذْرُعٍ فَعَلَى هٰذَا يَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ الْإِتِّبَاعَ فِي ذٰلِكَ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِدَارِ ثَلَاثَةَ أَذْرُعٍ فَإِنَّهُ تَقَعُ قَدَمَاهُ فِي مَكَانِ قَدَمَيْهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ كَانَتْ ثَلَاثَةً سَوَاءً أَوْ تَقَعُ رُكْبَتَاهُ أَوْ يَدَاهُ أَوْ وَجْهُهُ إِنْ كَانَ أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَذْرُعٍ وَاللّٰهُ أَعْلَمُ. وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْكَعْبَةِ وَرَأَى صُوَرًا فَدَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَأَتَيْتُهُ بِهِ فَجَعَلَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْحُوهَا وَيَقُولُ قَاتَلَ اللّٰهُ قَوْمًا يُصَوِّرُونَ مَا لَا يَخْلُقُونَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. وَأَقَامَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَقِيلَ أَكْثَرَ وَكَانَ فَتْحُ مَكَّةَ لِعَشْرِ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ

خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ﴾ عقب فتح مكة إلى العزى بنخلة وكانت لقريش وجميع بني كنانة وكانت أعظم أصنامهم لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان ومعه ثلاثون فارسا ليهدمها فلما انتهوا إليها هدمها ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأخبره فقال هل رأيت شيئا قال لا قال فإنك لم تهدمها فارجع إليها فاهدمها فرجع فجرد سيفه فخرجت إليه امرأة عجوز عريانة سوداء ثائرة الرأس فجعل السادن يصيح فيها فضربها خالد فجندلها باثنتين فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأخبره فقال نعم تلك العزى وقد يئست أن تعبد ببلادكم أبدا * ثم ﴿ سرية عمرو بن العاص ﴾ إلى سواع صنم هذيل على ثلاثة أميال من مكة في شهر رمضان سنة ثمان حين فتح مكة قال عمرو فانتهيت إليه وعنده السادن فقال ما تريد فقلت أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه قال لا تقدر على ذلك قلت لم قال تمنع فقلت ويحك وهل يسمع أو يبصر قال فدنوت منه فكسرته ثم قلت للسادن كيف رأيت قال أسلمت لله * ثم ﴿ سرية سعد بن زيد الأشهلي ﴾ إلى مناة صنم للأوس والخزرج بالمشلل في شهر رمضان حين فتح مكة فخرج في عشرين فارسا حتى انتهى إليها قال السادن ما تريد قال هدم مناة قال أنت وذاك فأقبل سعد يمشي فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها فضربها سعد ابن زيد فقتلها وأقبل إلى الصنم ومعه أصحابه فهدموه وانصرف راجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك لست بقين من رمضان * ثم

﴿ سريةُ خالدِ بنِ الوليدِ رضيَ اللهُ عنهُ ﴾ إلى بني جذيمةَ قبيلةٌ من عبدِ القيسِ أسفلَ مكةَ على ليلةٍ بناحيةِ يلملمَ في شوالِ سنةَ ثمانٍ وهوَ يومُ الغميصاءِ بعثَهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لمَّا رجعَ منْ هدمِ العزَّى وهوَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مقيمٌ بمكةَ وبعثَ معهُ ثلاثمائةٍ وخمسينَ رجلاً داعياً إلى الإسلامِ لا مقاتلاً فلمَّا انتهى إليهمْ قالَ ما أنتمْ قالوا مسلمونَ قدْ صلَّينا وصدَّقنا بمحمدٍ وبنينا المساجدَ في ساحاتِنا وفي البخاريِّ لمْ يحسنوا أنْ يقولوا ذلكَ فقالوا صبأنا فقالَ لهمْ استأسروا فاستأسروا فأمرَ بعضَهمْ فكتفَ بعضاً وفرَّقهمْ في أصحابِهِ فلمَّا كانَ السحرُ نادى منادي خالدٍ منْ كانَ معهُ أسيرٌ فليقتلْهُ فقتلتْ بنو سليمٍ منْ كانَ بأيديهمْ وأمَّا المهاجرونَ والأنصارُ فأرسلوا أسراهمْ فبلغَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ اللهمَّ إني أبرأُ إليكَ منْ فعلِ خالدٍ وبعثَ علياً فودى لهمْ قتلاهمْ. قالَ الخطَّابيُّ يحتملُ أنْ يكونَ خالدٌ نقمَ عليهمُ العدولَ عنْ لفظِ الإسلامِ ولمْ ينقادوا للدينِ فقتلَهمْ متأوِّلاً وأنكرَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ العجلةَ وتركَ التثبُّتِ في أمرِهمْ قبلَ أنْ يعلمَ المرادَ منْ قولِهمْ صبأنا *

﴿ غزوةُ حنينٍ ﴾

وهوَ وادٍ قربَ الطائفِ بينَهُ وبينَ مكةَ ثلاثُ ليالٍ وتسمَّى غزوةَ هوازنَ وذلكَ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا فرغَ منْ فتحِ مكةَ وتمهيدِها وأسلمَ عامَّةُ أهلِها مشتْ أشرافُ هوازنَ وثقيفٍ بعضُهمْ إلى بعضٍ وحشدوا وقصدوا محاربةَ المسلمينَ وكانَ رئيسُهمْ مالكُ بنُ عوفٍ النصريُّ فخرجَ إليهمْ رسولُ

اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ السَّبْتِ لِسِتِّ لَيَالٍ مِنْ شَوَّالٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَشَرَةُ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَأَلْفَانِ مِمَّنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَاسْتَعْمَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَكَّةَ عَتَّابَ بْنَ أُسَيْدٍ فَوَصَلَ إِلَى حُنَيْنٍ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ لِعَشْرِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالٍ فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ إِنِّي انْطَلَقْتُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيكُمْ حَتَّى طَلَعْتُ جَبَلَ كَذَا وَكَذَا فَإِذَا أَنَا بِهَوَازِنَ عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهِمْ بِظُعُنِهِمْ وَنَعَمِهِمْ وَشِيَاهِهِمْ اجْتَمَعُوا إِلَى حُنَيْنٍ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ تِلْكَ غَنِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَقَالَ رَجُلٌ لَنْ نُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ دُلْدُلَ وَلَبِسَ دِرْعَيْنِ وَالْمِغْفَرَ وَالْبَيْضَةَ فَاسْتَقْبَلَهُمْ مِنْ هَوَازِنَ مَا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ قَطُّ مِنَ السَّوَادِ وَالْكَثْرَةِ وَذَلِكَ فِي غَبَشِ الصُّبْحِ وَخَرَجَتِ الْكَتَائِبُ مِنْ مَضِيقِ الْوَادِي فَحَمَلُوا حَمْلَةً وَاحِدَةً فَانْكَشَفَتْ خَيْلُ بَنِي سُلَيْمٍ مُوَلِّيَةً وَتَبِعَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ وَالنَّاسُ وَلَمْ يَثْبُتْ مَعَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فِي نَاسٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قَالَ الْعَبَّاسُ وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَتِهِ أَكُفُّهَا مَخَافَةَ أَنْ تَصِلَ إِلَى الْعَدُوِّ لِأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَقَدَّمُ فِي نَحْرِ الْعَدُوِّ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ آخِذٌ بِرِكَابِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ لِلْعَبَّاسِ نَادِ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ يَا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ يَعْنِي

شَجَرَةَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ الَّتِي بَايَعُوهُ تَحْتَهَا أَنْ لَا يَفِرُّوا عَنْهُ فَجَعَلَ تَارَةً يُنَادِي يَا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ وَتَارَةً يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَكَانَ الْعَبَّاسُ رَجُلاً صَيِّتاً فَلَمَّا سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ نِدَاءَ الْعَبَّاسِ أَقْبَلُوا كَأَنَّهُمُ الْإِبِلُ إِذَا حَنَّتْ إِلَى أَوْلَادِهَا وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ قَالَ الْعَبَّاسُ فَوَاللهِ لَكَأَنَّ عَطْفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا يَقُولُونَ يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ فَتَرَاجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ إِذَا لَمْ يُطَاوِعْهُ بَعِيرُهُ عَلَى الرُّجُوعِ انْحَدَرَ عَنْهُ وَأَرْسَلَهُ وَرَجَعَ بِنَفْسِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ يَصْدُقُوا الْحَمْلَةَ فَاقْتَتَلُوا مَعَ الْكُفَّارِ فَأَشْرَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَظَرَ إِلَى قِتَالِهِمْ فَقَالَ الْآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ وَهُوَ التَّنُّورُ ضَرَبَهُ مَثَلاً لِشِدَّةِ الْحَرْبِ وَهٰذَا مِنْ فَصِيحِ الْكَلَامِ الَّذِي لَمْ يُسْمَعْ مِنْ أَحَدٍ قَبْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ✲ وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنِ الْبَرَاءِ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَقَالَ لَكِنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَفِرَّ كَانَ هَوَازِنُ رُمَاةً وَإِنَّا لَمَّا حَمَلْنَا عَلَيْهِمُ انْكَشَفُوا فَأَكْبَبْنَا عَلَى الْمَغَانِمِ فَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ ابْنَ الْحَارِثِ آخِذٌ بِزِمَامِهَا وَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ. وَتَنَاوَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَصَيَاتٍ مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ شَاهَتِ الْوُجُوهُ أَيْ قَبُحَتْ وَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِ الْمُشْرِكِينَ فَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْهُمْ إِنْسَاناً إِلَّا مَلَأَ عَيْنَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقَبْضَةِ وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ قَبْضَةً مِنْ تُرَابِ الْأَرْضِ. وَفِي رِوَايَةٍ

أَحْمَدُ وَغَيْرِهِ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا وَلَّى ٱلْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ قَالَ أَنَا عَبْدُ ٱللهِ وَرَسُولُهُ أَنَا عَبْدُ ٱللهِ وَرَسُولُهُ ثُمَّ أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ وَضَرَبَ وُجُوهَهُمْ وَقَالَ شَاهَتِ ٱلْوُجُوهُ فَهَزَمَهُمُ ٱللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ٭ وَقَالَ ٱبْنُ مَسْعُودٍ حَادَتْ بِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَغْلَتُهُ فَمَالَ ٱلسَّرْجُ فَقُلْتُ ٱرْتَفِعْ رَفَعَكَ ٱللهُ فَقَالَ نَاوِلْنِي كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَضَرَبَ وُجُوهَهُمْ وَٱمْتَلَأَتْ أَعْيُنُهُمْ تُرَابًا وَجَاءَ ٱلْمُهَاجِرُونَ وَٱلْأَنْصَارُ سُيُوفُهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ كَأَنَّهَا ٱلشُّهُبُ فَوَلَّى ٱلْمُشْرِكُونَ ٱلْأَدْبَارَ ٭ وَعَنْ عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلْفِهْرِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبْنَاؤُهُمْ عَنْ آبَائِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا لَمْ يَبْقَ مِنَّا وَاحِدٌ إِلَّا ٱمْتَلَأَتْ عَيْنَاهُ وَفَمُهُ تُرَابًا وَسَمِعْنَا صَلْصَلَةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ كَإِمْرَارِ ٱلْحَدِيدِ عَلَى ٱلطَّسْتِ ٱلْجَدِيدِ ٭ « وَأَنْزَلَ ٱللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا » وَهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ وَفِي سِيرَةِ ٱلدِّمْيَاطِيِّ كَانَ سِيمَا ٱلْمَلَائِكَةِ يَوْمَ حُنَيْنٍ عَمَائِمُ حُمْرٌ أَرْخَوْهَا بَيْنَ أَكْتَافِهِمْ ٭ وَأَمَرَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُقْتَلَ مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ وَأَفْضَى ٱلْمُسْلِمُونَ فِي ٱلْقَتْلِ إِلَى ٱلذُّرِّيَّةِ فَنَهَاهُمْ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذٰلِكَ وَقَالَ مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلَبُهُ وَٱسْتَلَبَ أَبُو طَلْحَةَ وَحْدَهُ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمَ عِشْرِينَ رَجُلًا ٭ وَأَمَرَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطَلَبِ ٱلْعَدُوِّ فَٱنْتَهَى بَعْضُهُمْ إِلَى ٱلطَّائِفِ وَبَعْضُهُمْ نَحْوَ نَخْلَةَ وَقَوْمٌ مِنْهُمْ إِلَى أَوْطَاسٍ ٭ وَٱسْتُشْهِدَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ أَرْبَعَةٌ مِنْهُمْ أَيْمَنُ ٱلْحَبَشِيُّ وَقُتِلَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِينَ قَتِيلًا ٭ ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ أَبِي عَامِرٍ ٱلْأَشْعَرِيِّ﴾ وَهُوَ عَمُّ أَبِي مُوسَى ٱلْأَشْعَرِيِّ بَعَثَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ فَرَغَ مِنْ حُنَيْنٍ فِي طَلَبِ ٱلْفَارِّينَ مِنْ هَوَازِنَ وَكَانَ مَعَهُ سَلَمَةُ بْنُ ٱلْأَكْوَعِ فَٱنْتَهَى

إِلَيْهِمْ فإذا هُمْ مجتمعون فقتل منهم أبو عامر تسعة إخوة مبارزة بعد أن يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام ويقول اللهم اشهد عليه فقال واحد منهم اللهم لا تشهد عليّ فكفّ عنه أبو عامر فأفلت ثم أسلم بعد فحسن إسلامه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال هذا شريد أبي عامر ورمى أبا عامر ابنا الحارث العلاء وأوفى فقتلاه فخلفه أبو موسى الأشعري فقتلهم حتى فتح الله عليه وقتل قاتل أبي عامر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لأبي عامر واجعله من أعلى أمتي في الجنة وكان في السبي الشيماء أخته عليه الصلاة والسلام من الرضاعة ثم ﴿سرية الطفيل بن عمرو الدوسي﴾ إلى ذي الكفين صنم من خشب في شوال لما أراد عليه الصلاة والسلام السير إلى الطائف ليهدمه ويوافيه بالطائف فخرج سريعاً فهدمه وجعل يحش النار في وجهه أي يلقيها عليه ويحرقه ويقول :

يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا

إني حشوت النار في فؤادكا

وانحدر معه من قومه أربعمائة رجل سراعاً فوافوا النبي صلى الله عليه وسلم بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام *

﴿غزوة الطائف﴾

وهي بلد كبير على ثلاث مراحل من مكة سار إليها النبي صلى الله عليه وسلم في شوال سنة ثمان حين خرج من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة وقدم خالد بن الوليد على مقدمته وكانت ثقيف لما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم بالطائف

وا غلقوه عليهم بعد ان أدخلوا فيه ما يصلحهم سنة وتهيئوا للقتال فسار صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريباً من الحصن وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل رمياً شديداً كأنه رجل جراد حتى أصيب ناس من المسلمين وقتل منهم اثنا عشر رجلاً فارتفع صلى الله عليه وسلم إلى موضع مسجد الطائف اليوم وكان معه من نسائه أم سلمة وزينب فضرب لهما قبتين وكان يصلي صلى الله عليه وسلم بين القبتين حصار الطائف كله فحاصرهم ثمانية عشر يوماً ونصب عليهم المنجنيق وهو أول منجنيق رمي به في الإسلام وأمر بقطع أعنابهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعاً ذريعاً ثم سألوه أن يدعها لله وللرحم فقال صلى الله عليه وسلم إني أدعها لله وللرحم ثم نادى مناديه عليه الصلاة والسلام أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر فخرج ثلاثة وعشرون عبداً منهم أبو بكرة ولم يؤذن له صلى الله عليه وسلم في فتح الطائف وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأذن بالناس في الرحيل فضج الناس من ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا الطائف فقال عليه الصلاة والسلام فاغدوا على القتال فغدوا فأصاب المسلمين جراحات فقال صلى الله عليه وسلم إنا قافلون إن شاء الله تعالى فسروا بذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك وفقئت عين أبي سفيان صخر بن حرب يومئذ فذكروا ابن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له وهي في يده أيما أحب إليك عين في الجنة أو أدعو الله أن يردها عليك قال بل عين في الجنة ورمى بها وشهد اليرموك فقاتل وفقئت عينه

اَلْأُخْرَى يَوْمَئِذٍ. وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ فَلَمَّا ارْتَحَلُوا قَالَ قُولُوا آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ * وَلَمَّا قِيلَ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ عَلَى ثَقِيفٍ قَالَ اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا وَائْتِ بِهِمْ. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَدْ أَمَرَ أَنْ يُجْمَعَ السَّبْيُ وَالْغَنَائِمُ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَجُمِعَ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَى الْجِعِرَّانَةِ فَكَانَ بِهَا إِلَى أَنِ انْصَرَفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الطَّائِفِ وَكَانَ السَّبْيُ سِتَّةَ آلَافِ رَأْسٍ وَالْإِبِلُ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ بَعِيرٍ وَالْغَنَمُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفَ شَاةٍ وَأَرْبَعَةَ آلَافِ أُوقِيَّةٍ فِضَّةٍ وَانْتَظَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَوَازِنَ أَنْ يَقْدَمُوا عَلَيْهِ مُسْلِمِينَ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ثُمَّ بَدَأَ يَقْسِمُ الْأَمْوَالَ. وَفِي الْبُخَارِيِّ وَطَفِقَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِي رِجَالًا الْمِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ فَقَالَ نَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ. قَالَ أَنَسٌ فَحُدِّثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَقَالَتِهِمْ فَأَرْسَلَ إِلَى الْأَنْصَارِ فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالْأَمْوَالِ وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رِحَالِكُمْ فَوَاللهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ رَضِينَا. وَعَنْ جُبَيْرِ ابْنِ مُطْعِمٍ قَالَ بَيْنَمَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ عَلِقَتْ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَعْرَابُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ فَوَقَفَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ أَعْطُونِي رِدَائِي فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ

هٰذِهِ ٱلْعِضَاهِ نَعَماً لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلَا كَذُوباً وَلَا جَبَاناً. وَٱلْعِضَاهُ شَجَرٌ ذُو شَوْكٍ * وَأَحْرَمَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعُمْرَةٍ وَدَخَلَ مَكَّةَ ثُمَّ قَدِمَ ٱلْمَدِينَةَ وَقَدْ غَابَ عَنْهَا شَهْرَيْنِ وَسِتَّةَ عَشَرَ يَوْماً * وَبَعَثَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ إِلَى نَاحِيَةِ ٱلْيَمَنِ فِي أَرْبَعِمِائَةِ فَارِسٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يُقَاتِلَ قَبِيلَةَ صُدَاءَ حِينَ مُرُورِهِ عَلَيْهِمْ فِي ٱلطَّرِيقِ فَقَدِمَ زِيَادُ بْنُ ٱلْحَارِثِ ٱلصُّدَائِيُّ فَسَأَلَ عَنْ ذٰلِكَ ٱلْبَعْثِ فَأُخْبِرَ فَقَالَ يَا رَسُولَ ٱللهِ أَنَا وَافِدُهُمْ فَارْدُدِ ٱلْجَيْشَ وَأَنَا لَكَ بِقَوْمِي فَرَدَّهُمُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدِمَ ٱلصُّدَائِيُّونَ بَعْدَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً فَأَسْلَمُوا * وَبَعَثَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ ٱلْفَزَارِيَّ إِلَى بَنِي تَمِيمٍ بِٱلسُّقْيَا وَهِيَ أَرْضُ بَنِي تَمِيمٍ فِي ٱلْمُحَرَّمِ سَنَةَ تِسْعٍ فِي خَمْسِينَ فَارِساً مِنَ ٱلْعَرَبِ لَيْسَ فِيهِمْ مُهَاجِرِيٌّ وَلَا أَنْصَارِيٌّ فَكَانَ يَسِيرُ ٱللَّيْلَ وَيَكْمُنُ ٱلنَّهَارَ فَهَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي صَحْرَاءَ قَدْ حَلُّوا وَسَرَّحُوا مَوَاشِيَهُمْ فَلَمَّا رَأَوُا ٱلْجَمْعَ وَلَّوْا فَأَخَذُوا مِنْهُمْ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلاً وَإِحْدَى عَشْرَةَ ٱمْرَأَةً وَثَلَاثِينَ صَبِيّاً فَقَدِمَ عَشَرَةٌ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ إِلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَدَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَسَارَى وَٱلسَّبْيَ * ثُمَّ بَعَثَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ إِلَى بَنِي ٱلْمُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ لِصَدَقَتِهِمْ وَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ وَكَانُوا قَدْ أَسْلَمُوا وَبَنَوُا ٱلْمَسَاجِدَ فَلَمَّا سَمِعُوا بِدُنُوِّ ٱلْوَلِيدِ قَدِمَ مِنْهُمْ عِشْرُونَ رَجُلاً يَتَلَقَّوْنَهُ بِٱلْجُزُرِ وَٱلْغَنَمِ فَرَحاً بِهِ وَتَعْظِيماً لِلّٰهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَدَّثَهُ ٱلشَّيْطَانُ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ فَرَجَعَ مِنَ ٱلطَّرِيقِ قَبْلَ أَنْ يَصِلُوا إِلَيْهِ وَأَخْبَرَ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ

لَقُوهُ بِالسِّلَاحِ يَحُولُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّدَقَةِ فَهَمَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ مَنْ يَغْزُوهُمْ وَبَلَغَ ذٰلِكَ الْقَوْمَ فَقَدِمَ مِنْهُمُ الرَّكْبُ الَّذِينَ لَقُوا الْوَلِيدَ فَأَخْبَرُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرَ عَلَى وَجْهِهِ فَنَزَلَتْ هٰذِهِ الْآيَةُ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا» إِلَى آخِرِ الْآيَةِ فَقَرَأَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآيَةَ وَبَعَثَ مَعَهُمْ عَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ يَأْخُذُ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ وَيُقْرِئُهُمُ الْقُرْآنَ * وَبَعَثَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ اللّٰهِ بْنَ عَوْسَجَةَ إِلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ حَارِثَةَ فِي مُسْتَهَلِّ صَفَرٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا أَنْ يُجِيبُوا وَاسْتَخَفُّوا بِالصَّحِيفَةِ فَدَعَا عَلَيْهِمْ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَهَابِ الْعَقْلِ قَالَ رَاوِي الْحَدِيثِ فَهُمْ إِلَى الْيَوْمِ أَهْلُ رِعْدَةٍ وَعَجَلَةٍ وَكَلَامٍ مُخْتَلِطٍ * ثُمَّ ﴿ سَرِيَّةُ قُطْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ ﴾ إِلَى خَثْعَمَ قَرِيبًا مِنْ تُرَبَةَ مِنْ أَعْمَالِ مَكَّةَ سَنَةَ تِسْعٍ وَبَعَثَ مَعَهُ عِشْرِينَ رَجُلًا وَأَمَرَهُ أَنْ يَشُنَّ الْغَارَةَ عَلَيْهِمْ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى كَثُرَ الْجَرْحَى فِي الْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا وَقَتَلَ قُطْبَةُ مَنْ قَتَلَ وَسَاقُوا النَّعَمَ وَالشَّاءَ وَالنِّسَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ * ثُمَّ ﴿ سَرِيَّةُ الضَّحَّاكِ بْنِ سُفْيَانَ الْكِلَابِيِّ ﴾ إِلَى بَنِي كِلَابٍ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ تِسْعٍ إِلَى الْقُرَطَاءِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا فَقَاتَلُوهُمْ فَهَزَمُوهُمْ وَغَنِمُوا * ثُمَّ ﴿ سَرِيَّةُ عَلْقَمَةَ بْنِ مُجَزِّزٍ الْمُدْلِجِيِّ ﴾ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْحَبَشَةِ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ تِسْعٍ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ فَانْتَهَى إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ فَلَمَّا خَاضَ إِلَيْهِمْ هَرَبُوا فَلَمَّا رَجَعَ تَعَجَّلَ بَعْضُ الْقَوْمِ إِلَى أَهْلِيهِمْ فَأَمَّرَ عَبْدَ اللّٰهِ بْنَ حُذَافَةَ عَلَى مَنْ تَعَجَّلَ وَكَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ فَنَزَلُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وَأَوْقَدُوا نَارًا

يصطلون عليها فقال عزمت عليكم إلا تواثبتم في هذه النار فلما هم بعضهم بذلك قال اجلسوا إنما كنت أمزح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال من أمركم بمعصية فلا تطيعوه وفي رواية فقال لو دخلوها ما خرجوا منها * ثم ﴿سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه﴾ إلى الفلس وهو صنم طيء لهدمه في ربيع الآخر سنة تسع وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرساً فهدمه وغنم سبياً ونعماً وشاء وكان في السبي سفانة بنت حاتم فأطلقها النبي صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبب إسلام أخيها عدي بن حاتم * ثم ﴿سرية عكاشة بن محصن رضي الله عنه﴾ إلى الجباب موضع بالحجاز وأرض عذرة وبلي اسم قبيلتين وقيل أرض فزارة وكلب *

﴿قصة كعب بن زهير مع النبي صلى الله عليه وسلم﴾

وكانت فيما بين رجوعه عليه الصلاة والسلام من الطائف وغزوة تبوك وكان من خبره أن أخيه بجيراً أن بجيراً قال لكعب اثبت حتى آتي هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم فاسمع كلامه وأعرف ما عنده فأقام كعب ومضى بجير حتى أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه فآمن به وذلك أن زهيراً كان يجالس أهل الكتاب فسمع منهم أنه قد آن مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير في منامه أنه قد مد سبب من السماء وأنه قد مد يده ليتناوله ففاته فتأوله بالنبي الذي يبعث في آخر الزمان وأنه لا يدركه وأخبر بنيه بذلك وأوصاهم إن أدركوه أن يسلموا وكتب بجير إلى كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قَتَلَ رِجَالاً بِمَكَّةَ مِمَّنْ كَانَ يَهْجُوهُ وَأَنَّ مَنْ بَقِيَ مِنْ شُعَرَاءِ قُرَيْشٍ هَرَبُوا فَإِنْ كَانَتْ لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ فَطِرْ إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ لَا يَقْتُلُ أَحَدًا جَاءَهُ تَائِبًا وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَانْجُ إِلَى نَجَائِكَ فَكَتَبَ لَهُ أَبْيَاتًا لَامَهُ فِيهَا عَلَى إِسْلَامِهِ فَأَنْشَدَهَا ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ كَعْبَ بْنَ زُهَيْرٍ فَلْيَقْتُلْهُ فَلَمَّا بَلَغَ كَعْبًا ضَاقَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ وَأَشْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ فَخَرَجَ حَتَّى قَدِمَ ٱلْمَدِينَةَ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ ٱللهِ إِنَّ كَعْبَ بْنَ زُهَيْرٍ جَاءَ لِيَسْتَأْمِنَكَ تَائِبًا مُسْلِمًا فَهَلْ أَنْتَ قَابِلٌ مِنْهُ إِنْ أَنَا جِئْتُكَ بِهِ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَمْ قَالَ أَنَا يَا رَسُولَ ٱللهِ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ فَوَثَبَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ ٱلْأَنْصَارِ فَقَالَ يَا رَسُولَ ٱللهِ دَعْنِي وَعَدُوَّ ٱللهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْهُ عَنْكَ فَقَدْ جَاءَ تَائِبًا ثُمَّ قَالَ قَصِيدَتَهُ «بَانَتْ سُعَادُ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ ٱلْأَنْبَارِيِّ لَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ:

إِنَّ ٱلرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ ٱللهِ مَسْلُولُ

رَمَى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إِلَيْهِ بُرْدَةً كَانَتْ عَلَيْهِ وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ بَذَلَ لَهُ فِيهَا عَشَرَةَ آلَافٍ فَقَالَ مَا كُنْتُ لِأُوثِرَ بِثَوْبِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا فَلَمَّا مَاتَ كَعْبٌ بَعَثَ مُعَاوِيَةُ إِلَى وَرَثَتِهِ بِعِشْرِينَ أَلْفًا فَأَخَذَهَا مِنْهُمْ قَالَ وَهِيَ ٱلْبُرْدَةُ ٱلَّتِي عِنْدَ ٱلسَّلَاطِينِ إِلَى ٱلْيَوْمِ *

(غَزْوَةُ تَبُوكَ)

مَكَانٌ مَعْرُوفٌ وَهُوَ نِصْفُ طَرِيقِ ٱلْمَدِينَةِ إِلَى دِمَشْقَ وَهِيَ غَزْوَةُ ٱلْعُسْرَةِ وَكَانَتْ

يَوْمَ الْخَمِيسِ فِي رَجَبٍ سَنَةَ تِسْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ وَكَانَ حَرًّا شَدِيدًا وَجَدْبًا كَثِيرًا فَلِذَلِكَ لَمْ يُوَرِّ عَنْهَا كَعَادَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَائِرِ الْغَزَوَاتِ. خَرَجُوا فِي قِلَّةٍ مِنَ الظَّهْرِ وَفِي حَرٍّ شَدِيدٍ حَتَّى كَانُوا يَنْحَرُونَ الْبَعِيرَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِي كِرْشِهِ مِنَ الْمَاءِ فَكَانَ ذَلِكَ عُسْرَةً فِي الْمَاءِ وَفِي الظَّهْرِ وَفِي النَّفَقَةِ فَسُمِّيَتْ «غَزْوَةَ الْعُسْرَةِ» وَسَبَبُهَا أَنَّهُ بَلَغَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَنْبَاطِ الَّذِينَ يَقْدُمُونَ بِالزَّيْتِ مِنَ الشَّأْمِ إِلَى الْمَدِينَةِ أَنَّ الرُّومَ تَجَمَّعَتْ بِالشَّأْمِ مَعَ هِرَقْلَ فَنَدَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الْخُرُوجِ وَأَعْلَمَهُمْ بِالْمَكَانِ الَّذِي يُرِيدُ لِيَتَأَهَّبُوا لِذَلِكَ وَقَالَ عُثْمَانُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ مِائَتَا بَعِيرٍ بِأَقْتَابِهَا وَأَحْلَاسِهَا وَمِائَتَا أُوقِيَّةٍ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَضُرُّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَهَا. وَرُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ قَالَ حَمَلَ عُثْمَانُ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ عَلَى أَلْفِ بَعِيرٍ وَسَبْعِينَ فَرَسًا. وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ جَاءَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ فِي كُمِّهِ حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَنَثَرَهَا فِي حِجْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ وَيَقُولُ مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّ عُثْمَانَ بَعَثَ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصُبَّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ بِيَدِهِ وَيُقَلِّبُهَا ظَهْرًا لِبَطْنٍ وَيَقُولُ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا عُثْمَانُ مَا أَسْرَرْتَ وَمَا أَعْلَنْتَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا يُبَالِي مَا عَمِلَ بَعْدَهَا. وَلَمَّا تَأَهَّبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْخُرُوجِ قَالَ قَوْمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى

«وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ» وَأَرْسَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى مَكَّةَ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ يَسْتَنْفِرُهُمْ وَجَاءَ الْبَكَّائُونَ يَسْتَحْمِلُونَهُ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهِمْ «تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَنْ لَا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ» وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ فِي التَّخَلُّفِ فَأَذِنَ لَهُمْ وَهُمْ اثْنَانِ وَثَمَانُونَ رَجُلًا وَقَعَدَ آخَرُونَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بِغَيْرِ عُذْرٍ وَإِظْهَارِ عِلَّةٍ جَرَاءَةً عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى «وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ». وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَعَلَى عِيَالِهِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ لَهُ يَوْمَئِذٍ أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي. وَتَخَلَّفَ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا ارْتِيَابٍ مِنْهُمْ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ وَمُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ وَفِيهِمْ نَزَلَ «وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا» وَأَبُو ذَرٍّ وَأَبُو خَيْثَمَةَ ثُمَّ لَحِقَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ. وَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكُلِّ بَطْنٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْقَبَائِلِ مِنَ الْعَرَبِ أَنْ يَتَّخِذُوا لِوَاءً وَرَايَةً وَكَانَ مَعَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثَلَاثُونَ أَلْفًا وَكَانَتِ الْخَيْلُ عَشَرَةَ آلَافٍ فَلَمَّا قَدِمُوا تَبُوكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَتَهُبُّ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَلَا يَقُمْ أَحَدٌ مِنْكُمْ فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيَشُدَّ عِقَالَهُ فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ بِجَبَلِ طَيِّءٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحِجْرِ سَجَّى ثَوْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَاسْتَحَثَّ رَاحِلَتَهُ ثُمَّ قَالَ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا وَأَنْتُمْ بَاكُونَ خَوْفًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ. وَالْحِجْرُ دِيَارُ

ثَمُودَ ٱلَّذِينَ غَضِبَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ . وَلَمَّا كَانَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بِبَعْضِ ٱلطَّرِيقِ
ضَلَّتْ نَاقَتُهُ فَقَالَ زَيْدُ بْنُ ٱللُّصَيْتِ وَكَانَ مُنَافِقًا أَلَيْسَ مُحَمَّدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ
وَيُخْبِرُكُمْ بِأَخْبَارِ ٱلسَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ إِنَّ رَجُلًا يَقُولُ كَذَا وَذَكَرَ مَقَالَتَهُ وَإِنِّي وَٱللهِ لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي ٱللهُ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى وَقَدْ دَلَّنِي ٱللهُ تَعَالَى عَلَيْهَا وَهِيَ فِي ٱلْوَادِي فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ حَبَسَتْهَا
شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا فَٱنْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُونِي بِهَا فَٱنْطَلَقُوا فَجَاؤُا بِهَا رَوَاهُ ٱلْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ .
وَفِي مُسْلِمٍ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّهُمْ وَرَدُوا عَيْنَ تَبُوكَ وَهِيَ تَبِضُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ
وَأَنَّهُمْ غَرَفُوا مِنْهَا قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى ٱجْتَمَعَ فِي شَنٍّ ثُمَّ غَسَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِهِ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا فَجَرَتْ بِمَاءٍ كَثِيرٍ فَٱسْتَقَى ٱلنَّاسُ . وَلَمَّا ٱنْتَهَى صَلَّى
ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَبُوكَ أَتَاهُ صَاحِبُ أَيْلَةَ فَصَالَحَهُ وَأَعْطَاهُ ٱلْجِزْيَةَ وَأَتَاهُ أَهْلُ
جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ وَهُمَا بَلَدَانِ بِٱلشَّامِ فَأَعْطَوْهُ ٱلْجِزْيَةَ وَكَتَبَ لَهُمْ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ كِتَابًا وَوُجِدَ هِرَقْلُ بِحِمْصَ فَأَرْسَلَ خَالِدَ بْنَ ٱلْوَلِيدِ إِلَى أُكَيْدِرِ بْنِ
عَبْدِ ٱلْمَلِكِ ٱلنَّصْرَانِيِّ بِدُومَةِ ٱلْجَنْدَلِ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ وَعِشْرِينَ فَارِسًا فِي رَجَبٍ سَرِيَّةً
وَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إِنَّكَ سَتَجِدُهُ لَيْلًا يَصِيدُ ٱلْبَقَرَ فَٱنْتَهَى إِلَيْهِ خَالِدٌ
رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ حِصْنِهِ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ إِلَى بَقَرٍ يُطَارِدُهَا هُوَ وَأَخُوهُ
حَسَّانُ فَشَدَّتْ عَلَيْهِمْ خَيْلُ خَالِدٍ فَٱسْتَأْسَرَ أُكَيْدِرٌ وَقُتِلَ أَخُوهُ حَسَّانُ وَهَرَبَ
مَنْ كَانَ مَعَهُمَا فَدَخَلَ ٱلْحِصْنَ ثُمَّ أَجَارَ خَالِدٌ أُكَيْدِرًا مِنَ ٱلْقَتْلِ حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ إِلَى
رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ دُومَةَ ٱلْجَنْدَلِ فَفَعَلَ وَصَالَحَهُ عَلَى

أَلْفَيْ بَعِيرٍ وَثَمَانِمِائَةِ فَرَسٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ دِرْعٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ رُمْحٍ . وَفِي هٰذِهِ الْغَزْوَةِ كَتَبَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا فِي تَبُوكَ إِلَى هِرَقْلَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَارَبَ الْإِجَابَةَ وَلَمْ يُجِبْ رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ أَنَّ هِرَقْلَ كَتَبَ مِنْ تَبُوكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي مُسْلِمٌ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَبَ هُوَ عَلَى نَصْرَانِيَّتِهِ * ثُمَّ انْصَرَفَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَبُوكَ بَعْدَ أَنْ أَقَامَ بِهَا بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَقِيلَ عِشْرِينَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا وَبَنَى فِي طَرِيقِهِ مَسَاجِدَ وَأَقْبَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ بِذِي أَوَانٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ سَاعَةٌ جَاءَهُ خَبَرُ مَسْجِدِ الضِّرَارِ مِنَ السَّمَاءِ فَأَرْسَلَ مَنْ هَدَمَهُ وَحَرَقَهُ بَعْدَ أَنْ أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا» الْآيَةَ وَكَانَ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا يُضَارُّونَ بِهِ مَسْجِدَ قُبَاءَ وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ نَبْنِي مَسْجِدًا فَنَقِيلُ فِيهِ فَلَا نَحْضُرُ خَلْفَ مُحَمَّدٍ . وَلَمَّا دَنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَدِينَةِ خَرَجَ النَّاسُ لِتَلَقِّيهِ وَخَرَجَ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ وَالْوَلَائِدُ يَقُلْنَ :

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا ... مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ

وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا ... مَا دَعَا لِلهِ دَاعِي

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ فِي الْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ سَيْرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ وَلَمَّا أَشْرَفَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ هٰذِهِ طَابَةُ وَهٰذَا أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ * وَلَمَّا دَخَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْعَبَّاسُ يَا رَسُولَ اللهِ أَتَأْذَنُ لِي أَمْتَدِحْكَ قَالَ قُلْ لَا يَفْضُضِ اللهُ فَاكَ فَقَالَ قَصِيدَةً مِنْهَا :

وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الْأَرْ ... ضُ وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الْأُفُقُ

فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّو ... رِ وَسُبْلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ

وَجَاءَهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْهُ فَحَلَفُوا لَهُ فَعَذَرَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَأَرْجَأَ أَمْرَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَصَاحِبَيْهِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ وَمَرَارَةَ بْنِ رَبِيعَةَ حَتَّى نَزَلَتْ تَوْبَتُهُمْ • وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا» قَالَ كَانُوا عَشَرَةَ رَهْطٍ تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْثَقَ سَبْعَةٌ مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ بِسَوَارِي الْمَسْجِدِ وَكَانَ مَمَرُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَجَعَ فِي الْمَسْجِدِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالُوا هَذَا أَبُو لُبَابَةَ وَأَصْحَابٌ لَهُ تَخَلَّفُوا عَنْكَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ حَتَّى تُطْلِقَهُمْ وَتَعْذِرَهُمْ فَقَالَ أُقْسِمُ بِاللّٰهِ لَا أُطْلِقُهُمْ وَلَا أَعْذِرُهُمْ حَتَّى يَكُونَ اللّٰهُ هُوَ الَّذِي يُطْلِقُهُمْ رَغِبُوا عَنِّي وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْغَزْوِ فَأَنْزَلَ اللّٰهُ تَعَالَى «وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ» فَلَمَّا نَزَلَتْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَطْلَقَهُمْ وَعَذَرَهُمْ * ثُمَّ ﴿ حَجَّةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ ﴾ بِالنَّاسِ سَنَةَ تِسْعٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَكَانَ مَعَهُ ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَعِشْرُونَ بَدَنَةً بَعَثَهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤَذِّنُ فِي النَّاسِ يَوْمَ النَّحْرِ أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ ثُمَّ أَرْدَفَهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بِبَرَاءَةَ فَقَرَأَهَا عَلَى النَّاسِ حَتَّى خَتَمَهَا وَأَنْزَلَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ

بَعْدَ عَامِهِمْ هٰذَا» فَلَمْ يَحُجَّ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ الَّذِي حَجَّ فِيهِ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مُشْرِكٌ * ثُمَّ بَعَثَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا مُوسَى وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى مِخْلَافٍ أَيْ إِقْلِيمٍ وَالْيَمَنُ مِخْلَافَانِ ثُمَّ قَالَ يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا وَقَالَ لِمُعَاذٍ إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّٰهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذٰلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللّٰهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذٰلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللّٰهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذٰلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللّٰهِ حِجَابٌ وَكَانَتْ جِهَةُ مُعَاذٍ الْعُلْيَا إِلَى صَوْبِ عَدَنٍ وَكَانَتْ جِهَةُ أَبِي مُوسَى السُّفْلَى * ثُمَّ أَرْسَلَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ عَشْرٍ إِلَى بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ قَبِيلَةٌ بِنَجْرَانَ فَأَسْلَمُوا * ثُمَّ أَرْسَلَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الْيَمَنِ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ عَشْرٍ وَعَقَدَ لَهُ لِوَاءً وَعَمَّمَهُ بِيَدِهِ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ بَعَثَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللّٰهِ تَبْعَثُنِي إِلَى قَوْمٍ أَسَنَّ مِنِّي وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ لَا أُبْصِرُ الْقَضَاءَ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صَدْرِي وَقَالَ اللّٰهُمَّ ثَبِّتْ لِسَانَهُ وَاهْدِ قَلْبَهُ وَقَالَ يَا عَلِيُّ إِذَا جَلَسَ إِلَيْكَ الْخَصْمَانِ فَلَا تَقْضِ بَيْنَهُمَا حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الْآخَرِ فَخَرَجَ فِي ثَلَاثِمِائَةِ فَارِسٍ فَفَرَّقَ أَصْحَابَهُ فَأَتَوْا بِنَهْبٍ وَغَنَائِمَ وَنِسَاءٍ وَأَطْفَالٍ وَنَعَمٍ وَشَاءٍ وَغَيْرِ ذٰلِكَ ثُمَّ لَقِيَ جَمْعَهُمْ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا وَرَمَوْا بِالنَّبْلِ ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ عَلِيٌّ رَضِيَ اللّٰهُ

عَنْهُ بِأَصْحَابِهِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ عِشْرِينَ رَجُلاً فَتَفَرَّقُوا وَانْهَزَمُوا فَكَفَّ عَنْ طَلَبِهِمْ ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْرَعُوا وَأَجَابُوا ثُمَّ قَفَلَ فَوَافَى النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ قَدْ قَدِمَهَا لِلْحَجِّ سَنَةَ عَشْرٍ * ثُمَّ حَجَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ وَتُسَمَّى حَجَّةَ الْإِسْلَامِ وَحَجَّةَ الْبَلَاغِ فَخَرَجَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَدِينَةِ يَوْمَ السَّبْتِ لِخَمْسِ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ وَخَرَجَ مَعَهُ تِسْعُونَ أَلْفًا وَيُقَالُ مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفًا وَيُقَالُ أَكْثَرُ مِنْ ذٰلِكَ وَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى حَجَّةِ الْوَدَاعِ فِي مَقْصِدِ الْعِبَادَاتِ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى * ثُمَّ ﴿سَرِيَّةُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ﴾ إِلَى أَهْلِ أُبْنَى بِالشَّرَاةِ نَاحِيَةً بِالْبَلْقَاءِ وَكَانَتْ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِأَرْبَعِ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ صَفَرٍ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَهِيَ آخِرُ سَرِيَّةٍ جَهَّزَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَوَّلُ شَيْءٍ جَهَّزَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ لِغَزْوِ الرُّومِ مَكَانَ قَتْلِ أَبِيهِ زَيْدٍ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَرْبِعَاءِ بُدِئَ بِرَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ فَحُمَّ وَصُدِعَ فَلَمَّا أَصْبَحَ يَوْمَ الْخَمِيسِ عَقَدَ لِأُسَامَةَ لِوَاءً بِيَدِهِ فَخَرَجَ بِلِوَائِهِ مَعْقُودًا فَدَفَعَهُ إِلَى بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ فَعَسْكَرَ بِالْجُرُفِ فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ وُجُوهِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ إِلَّا انْتُدِبَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ وَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ مَعَ أُسَامَةَ يُوَدِّعُونَ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَخْرُجُونَ إِلَى الْعَسْكَرِ بِالْجُرُفِ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ فَدَخَلَ أُسَامَةُ مِنْ مُعَسْكَرِهِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَغْمُورٌ فَطَأْطَأَ أُسَامَةُ فَقَبَّلَهُ وَرَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَتَكَلَّمُ فَجَعَلَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى

ٱلسَّمَاءِ ثُمَّ يَضَعهُمَا عَلَى أُسَامَةَ قَالَ أُسَامَةُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَدْعُو لِي فَرَجَعَ أُسَامَةُ إِلَى مُعَسْكَرِهِ ثُمَّ دَخَلَ يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ وَأَصْبَحَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُفِيقًا فَوَدَّعَهُ أُسَامَةُ وَخَرَجَ إِلَى مُعَسْكَرِهِ فَأَمَرَ ٱلنَّاسَ بِٱلرَّحِيلِ فَبَيْنَا هُوَ يُرِيدُ ٱلرُّكُوبَ إِذَا رَسُولُ أُمِّهِ أُمِّ أَيْمَنَ قَدْ جَاءَهُ يَقُولُ إِنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمُوتُ فَأَقْبَلَ هُوَ وَعُمَرُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ فَتُوُفِّيَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ حِينَ زَاغَتِ ٱلشَّمْسُ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ رَبِيعٍ ٱلْأَوَّلِ وَٱعْتَمَدَ ٱلْحَافِظُ ٱبْنُ حَجَرٍ أَنَّهَا فِي ثَانِي رَبِيعٍ ٱلْأَوَّلِ * وَلَمَّا تُوُفِّيَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ ٱلْمُسْلِمُونَ ٱلَّذِينَ عَسْكَرُوا بِٱلْجُرُفِ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ وَدَخَلَ بُرَيْدَةُ بِلِوَاءِ أُسَامَةَ مَعْقُودًا حَتَّى أَتَى بِهِ بَابَ رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَرَزَهُ عِنْدَ بَابِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فَلَمَّا بُويِعَ أَبُو بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَمَرَ بُرَيْدَةَ أَنْ يَذْهَبَ بِٱللِّوَاءِ إِلَى بَيْتِ أُسَامَةَ لِيَمْضِيَ بِهِ إِلَى وِجْهَتِهِ فَمَضَى إِلَى مُعَسْكَرِهِمُ ٱلْأَوَّلِ وَخَرَجَ أُسَامَةُ هِلَالَ رَبِيعٍ ٱلْآخِرِ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ إِلَى أَهْلِ أُبْنَى فَشَنَّ عَلَيْهِمُ ٱلْغَارَةَ فَقَتَلَ مَنْ أَشْرَفَ لَهُ وَسَبَى مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ وَحَرَقَ مَنَازِلَهُمْ وَنَخْلَهُمْ وَقَتَلَ قَاتِلَ أَبِيهِ فِي ٱلْغَارَةِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ وَلَمْ يُصَبْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فِي ٱلْمُهَاجِرِينَ وَأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ يَتَلَقَّوْنَهُ سُرُورًا * فَجَمِيعُ سَرَايَاهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوُ ٱلسِّتِّينَ وَمَغَازِيهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ *

المقصد الثاني

في أسمائه الشريفة صلى الله عليه وسلم وذكر أولاده الكرام الطاهرين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين وأعمامه وعماته وإخوته من الرضاعة وجداته وخدمه ومواليه وحرسه وأمرائه ورسله وكتابه وكتبه إلى الملوك وغيرهم ومؤذنيه وخطبائه وحداته وشعرائه وآلات حروبه ودوابه والوافدين إليه صلى الله عليه وسلم وفيه عشرة فصول

الفصل الاول

في ذكر أسمائه الشريفة صلى الله عليه وسلم

إعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى وقد سمى الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم بأسماء كثيرة في القرآن العظيم وغيره من الكتب السماوية وعلى ألسنة أنبيائه عليهم الصلاة والسلام وقد تعرض جماعة لتعدادها وبلغوا بها عدداً مخصوصاً فمنهم من بلغ تسعة وتسعين كعدد أسماء الله الحسنى الواردة في الحديث. قال القاضي عياض وقد خصه الله تعالى بأن سماه من أسمائه الحسنى بنحو من ثلاثين اسماً. وقال ابن دحية إذا فحص عن جملتها من الكتب المتقدمة والقرآن والحديث وفت الثلثمائة. وقال أبو بكر بن العربي قال بعض الصوفية لله تعالى ألف اسم وللنبي صلى الله عليه وسلم ألف اسم. وذكر منها صاحب المواهب التي هي أصل هذا الكتاب ما يزيد على الأربعمائة اسم *

فمنها: اسمه «محمد» صلى الله عليه وسلم وهو أشهر أسمائه عليه الصلاة والسلام سماه الله سبحانه وتعالى به قبل الخلق بألفي عام كما ورد من حديث أنس وبه سماه جده عبد المطلب وقد قيل له ما سميت ولدك قال محمداً فقيل له كيف سميته باسم ليس لأحد من آبائك وقومك فقال لأني أرجوا أن يحمده أهل الأرض كلهم وذلك لرؤيا كان رآها عبد المطلب فقد رأى في المنام كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور وإذا أهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء وأهل الأرض فلذلك سماه محمداً مع ما حدثته به أمه آمنة حين قال لها الملك إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فإذا وضعتيه فسميه محمداً * ومن خصائص هذا الاسم كونه على أربعة أحرف ليوافق اسم الله تعالى وأنه على شكل صورة الآدمي فالميم الأول رأسه والحاء جناحاه والميم الثاني سرته والدال رجلاه ويظهر ذلك في الخط القديم الكوفي * قيل ولا يدخل النار من يستحق دخولها أعاذنا الله منها إلا ممسوخ الصورة إكراماً لصورة لفظ محمد وأنه مشتق من اسم الله تعالى محمود كما قال حسان:

أغرُّ عليه للنبوة خاتم ... من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ كَعْبِ الأَحْبَارِ أَنَّ آدَمَ قَالَ لِابْنِهِ شِيثٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي فَخُذْهَا بِعِمَارَةِ التَّقْوَى وَالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَكُلَّمَا ذَكَرْتَ اللهَ فَاذْكُرْ إِلَى جَنْبِهِ اسْمَ مُحَمَّدٍ فَإِنِّي رَأَيْتُ اسْمَهُ مَكْتُوبًا عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ وَطُفْتُ السَّمٰوَاتِ فَلَمْ أَرَ فِيهَا مَوْضِعًا إِلَّا وَرَأَيْتُ اسْمَ مُحَمَّدٍ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ وَلَقَدْ رَأَيْتُ اسْمَ مُحَمَّدٍ مَكْتُوبًا عَلَى نُحُورِ الْحُورِ الْعِينِ وَعَلَى وَرَقِ قَصَبِ آجَامِ الْجَنَّةِ وَعَلَى وَرَقِ شَجَرَةِ طُوبَى وَعَلَى وَرَقِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَعَلَى أَطْرَافِ الْحُجُبِ وَبَيْنَ أَعْيُنِ الْمَلَائِكَةِ فَأَكْثِرْ ذِكْرَهُ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَذْكُرُهُ فِي كُلِّ سَاعَاتِهَا. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ مَا مَرَرْتُ بِسَمَاءٍ إِلَّا وَجَدْتُ اسْمِي فِيهَا مَكْتُوبًا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَأَبُو بَكْرٍ مِنْ خَلْفِي. وَوُجِدَ عَلَى الْحِجَارَةِ الْقَدِيمَةِ مَكْتُوبًا مُحَمَّدٌ تَقِيٌّ مُصْلِحٌ أَمِينٌ ذَكَرَهُ فِي الشِّفَاءِ. وَوُجِدَ عَلَى حَجَرٍ بِالْخَطِّ الْعِبْرَانِيِّ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ جَاءَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَكَتَبَهُ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ ذَكَرَهُ ابْنُ ظَفَرٍ فِي الْبِشْرِ عَنْ مَعْمَرٍ الزُّهْرِيِّ. وَذَكَرَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ مَرْزُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ صُوحَانَ قَالَ عَصَفَتْ بِنَا رِيحٌ وَنَحْنُ فِي لُجَجِ بَحْرِ الْهِنْدِ فَأَرْسَيْنَا فِي جَزِيرَةٍ فَرَأَيْنَا فِيهَا وَرْدًا أَحْمَرَ ذَكِيَّ الرَّائِحَةِ طَيِّبَ الشَّمِّ وَفِيهِ مَكْتُوبٌ بِالْأَبْيَضِ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَوَرْدًا أَبْيَضَ مَكْتُوبًا عَلَيْهِ بِالْأَصْفَرِ بَرَاءَةٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ. وَذَكَرَ فِي الشِّفَاءِ أَنَّهُ شُوهِدَ فِي بَعْضِ بِلَادِ خُرَاسَانَ مَوْلُودٌ وُلِدَ عَلَى أَحَدِ جَنْبَيْهِ مَكْتُوبٌ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَعَلَى الْآخَرِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ

وَشُوهِدَ بِبِلَادِ الْهِنْدِ وَرْدٌ أَحْمَرُ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ بِالأَبْيَضِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ٠ وَفِي كِتَابِ رَوْضِ الرَّيَاحِينِ لِلْيَافِعِيِّ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ وَجَدَ بِبِلَادِ الْهِنْدِ شَجَرَةً تَحْمِلُ ثَمَرًا كَاللَّوْزِ لَهُ قِشْرٌ إِذَا كُسِرَ خَرَجَتْ مِنْهُ وَرَقَةٌ خَضْرَاءُ مَطْوِيَّةٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا بِالْحُمْرَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ كِتَابَةً جَلِيَّةً وَهُمْ يَتَبَرَّكُونَ بِهَا قَالَ فَحَدَّثْتُ بِذَلِكَ أَبَا يَعْقُوبَ الصَّيَّادَ فَقَالَ مَا أَسْتَعْظِمُ هَذَا كُنْتُ أَصْطَادُ عَلَى نَهْرِ الأُبُلَّةِ فَاصْطَدْتُ سَمَكَةً عَلَى جَنْبِهَا الأَيْمَنِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَعَلَى جَنْبِهَا الأَيْسَرِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ فَلَمَّا رَأَيْتُهَا قَذَفْتُهَا بِالْمَاءِ احْتِرَامًا لَهَا وَرَوَى خَبَرَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الَّتِي تَحْمِلُ ثَمَرًا كَاللَّوْزِ الْقَاضِي أَبُو الْبَقَاءِ بْنُ الضِّيَاءِ فِي مَنْسَكِهِ نَقْلًا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ رَأَى تِلْكَ الشَّجَرَةَ وَثَمَرَتَهَا مَكْتُوبٌ فِيهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ٠ وَوُجِدَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِمِائَةٍ حَبَّةُ عِنَبٍ مَكْتُوبٌ فِيهَا بِخَطٍّ بَارِعٍ بِلَوْنٍ أَسْوَدَ مُحَمَّدٌ ٠ وَفِي كِتَابِ النُّطْقِ الْمَفْهُومِ لِابْنِ طُغْرُبَكَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ رَأَى فِي جَزِيرَةٍ شَجَرَةً عَظِيمَةً لَهَا وَرَقٌ كَثِيرٌ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ مَكْتُوبٌ فِيهِ بِالْحُمْرَةِ كِتَابَةً بَيِّنَةً وَاضِحَةً فِي الْوَرَقَةِ ثَلَاثَةُ أَسْطُرٍ الأَوَّلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَالثَّانِي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالثَّالِثُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ ٠ قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ

وَمِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمْ يُسَمَّ أَحَدٌ قَبْلَهُ بِاسْمِهِ مُحَمَّدٍ صِيَانَةً مِنَ اللهِ لِهَذَا الِاسْمِ الشَّرِيفِ كَمَا فُعِلَ بِيَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا قَرُبَ زَمَنُهُ وَبَشَّرَ أَهْلُ الْكِتَابِ بِقُرْبِهِ سَمَّى قَوْمٌ أَوْلَادَهُمْ بِذَلِكَ رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ هُوَ هُوَ وَاللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ

يُؤتيه من يشاء وقد بلغوا خمسة عشر نفساً *ومنها اسمه «أحمد» صلى الله عليه وسلم وهو اسمه الذي سمي به على لسان عيسى وموسى عليهما السلام وهو منقول عن اسم التفضيل فمعناه أحمد الحامدين لربه وكذلك هو صلى الله عليه وسلم لأنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم يفتح بها على أحد قبله فيحمد ربه بها ويعقد له لواء الحمد ثم إنه لم يكن محمداً حتى كان أحمد حمد ربه فنبأه وشرفه فلذلك تقدم اسمه أحمد على اسمه محمد فذكره عيسى فقال اسمه أحمد وذكره موسى حين قال له ربه تلك أمة أحمد فقال اللهم اجعلني من أمة أحمد فبأحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمد لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمداً بالفعل ذكر ذلك السهيلي والقاضي عياض. وقال القاضي عياض أيضاً أحمد بمعنى أكبر من حمد وأجل من حمد *ومنها اسمه «محمود» صلى الله عليه وسلم وهو شبيه باسمه تعالى الحميد لأن معناه المحمود وهذا الإسم الشريف وقع في زبور داود عليه السلام *ومنها اسمه «الماحي» صلى الله عليه وسلم فسره في الحديث بمحو الكفر ولم يمح الكفر بأحد من الخلق مثل ما محي بالنبي صلى الله عليه وسلم فإنه بعث وأهل الأرض كلهم كفار ما بين عباد أوثان ويهود ونصارى وصابئة ودهرية وعباد كواكب وعباد نار فمحاها الله تعالى برسوله عليه الصلاة والسلام حتى أظهر دينه على كل دين وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار *

ومنها اسمه «الفاتح» صلى الله عليه وسلم لأن الله فتح به صلى الله عليه وسلم باب

الْهُدَى إِذْ كَانَ مُرْتَجًا وَفَتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا وَفَتَحَ أَمْصَارَ الْكُفَّارِ وَفَتَحَ بِهِ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ وَفَتَحَ بِهِ طُرُقَ الْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ * وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْحَاشِرُ» صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فُسِّرَ أَيْضًا فِي الْحَدِيثِ بِأَنَّهُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِهِ أَيْ يَقْدُمُهُمْ وَهُمْ خَلْفَهُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ فَيُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى أَثَرِهِ وَإِلَيْهِ يَلْجَؤُنَ فِي مَحْشَرِهِمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْعَاقِبُ» صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الَّذِي جَاءَ عَقِبَ الْأَنْبِيَاءِ فَلَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ لِأَنَّ الْعَاقِبَ هُوَ الْآخِرُ * وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْمُقَفِّي» صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعْنَاهُ كَالْعَاقِبِ أَيْ قَفَا آثَارَ مَنْ سَبَقَهُ مِنَ الرُّسُلِ وَكَانَ خَاتَمَهُمْ * وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْأَوَّلُ» صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ أَوَّلُ النَّبِيِّينَ خَلْقًا وَكَمَا أَنَّهُ أَوَّلٌ فِي الْبَدْءِ هُوَ أَوَّلٌ فِي الْعَوْدِ فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ كَمَا كَانَ فِي أَوَّلِيَّاتِ الْبَدْءِ فِي عَالَمِ الذَّرِّ أَوَّلَ مُجِيبٍ إِذْ هُوَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ بَلَى إِذْ أَخَذَ رَبُّهُ الْمِيثَاقَ عَلَى الذُّرِّيَّةِ الْآدَمِيَّةِ فَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ فَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَوَّلُ فِي ذٰلِكَ كُلِّهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ * وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْآخِرُ» صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْبَعْثِ * وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْخَاتِمُ» صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَتَمَ بِهِ النَّبِيِّينَ كَمَا أَنَّهُ أَوَّلُهُمْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ * وَمِنْهَا اسْمُهُ «الظَّاهِرُ» صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ ظَهَرَ عَلَى جَمِيعِ الظَّاهِرَاتِ ظُهُورُهُ وَظَهَرَ عَلَى الْأَدْيَانِ دِينُهُ * وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْبَاطِنُ» صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ الْمُطَّلِعُ

عَلَى بَوَاطِنِ الأُمُورِ بِوَاسِطَةِ مَا يُوحِيهِ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَيْهِ * وَمِنْهَا اسْمُهُ «الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ» صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللهُ تَعَالَى «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ» وَالرَّؤُوفُ مِنَ الرَّأْفَةِ وَهِيَ أَرَقُّ مِنَ الرَّحْمَةِ قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالرَّحِيمُ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقِيلَ رَؤُوفٌ بِالْمُطِيعِينَ رَحِيمٌ بِالْمُذْنِبِينَ * وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْحَقُّ» صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعْنَاهُ ضِدُّ الْبَاطِلِ وَالْمُتَحَقِّقُ صِدْقُهُ وَأَمْرُهُ قَالَ تَعَالَى «حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ» وَقَالَ «قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ» قِيلَ هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقِيلَ الْقُرْآنُ * وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْمُبِينُ» صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعْنَاهُ الْبَيِّنُ أَمْرُهُ وَرِسَالَتُهُ أَوِ الْمُبَيِّنُ عَنِ اللهِ مَا بُعِثَ بِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى «لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» * وَمِنْهَا اسْمُهُ «الْجَبَّارُ» صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُمِّيَ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَزَامِيرِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ فِي الْمَزْمُورِ الرَّابِعِ وَالأَرْبَعِينَ تَقَلَّدْ أَيُّهَا الْجَبَّارُ سَيْفَكَ فَإِنَّ نَامُوسَكَ وَشَرَائِعَكَ مَقْرُونَةٌ بِهَيْبَةِ يَمِينِكَ فَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَبَّارُ الَّذِي جَبَرَ الْخَلْقَ بِالسَّيْفِ عَلَى الْحَقِّ وَصَدَّهُمْ عَنِ الْكُفْرِ جَبْرًا قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَقَدْ نَفَى اللهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ جَبْرِيَّةَ التَّكَبُّرِ الَّتِي لَا تَلِيقُ بِهِ فَقَالَ «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ» * وَمِنْهَا «الْمُزَّمِّلُ» صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعْنَاهُ الْمُتَلَفِّفُ فِي ثِيَابِهِ قَالَ السُّدِّيُّ مَعْنَاهُ يَا أَيُّهَا النَّائِمُ وَكَانَ مُتَلَفِّفًا فِي ثِيَابِ نَوْمِهِ * وَمِنْهَا «الْمُدَّثِّرُ» وَهُوَ الْمُتَلَفِّفُ بِالدِّثَارِ وَهُوَ مَا يُلْقِيهِ عَلَيْهِ الإِنْسَانُ مِنْ كِسَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ كُنْتُ بِحِرَاءٍ فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي فَلَمْ أَرَ أَحَدًا وَنَظَرْتُ فَوْقِي فَإِذَا هُوَ عَلَى عَرْشٍ

بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ يَعْنِي ٱلْمَلَكَ ٱلَّذِي نَادَاهُ فَرُعِبْتُ فَرَجَعْتُ إِلَى خَدِيجَةَ فَقُلْتُ دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَقَالَ «يَا أَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ» * وَمِنْهَا ٱسْمُهُ «ٱلنَّقِيبُ» صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعْنَاهُ شَاهِدُ ٱلْقَوْمِ وَنَاظِرُهُمْ وَضَمِينُهُمْ * وَمِنْهَا ٱسْمُهُ «ٱلْعَظِيمُ» صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَقَعَ فِي أَوَّلِ سِفْرٍ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ وَسَيَلِدُ عَظِيمًا لِأُمَّةٍ عَظِيمَةٍ * وَمِنْهَا «طٰه» قِيلَ مَعْنَاهُ يَا طَاهِرُ يَا هَادِي * وَمِنْهَا «يس» عَنْ جَعْفَرٍ ٱلصَّادِقِ مَعْنَاهُ يَا سَيِّدُ وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ ٱلْوَرَّاقِ يَا سَيِّدَ ٱلْبَشَرِ * وَمِنْهَا «ٱلنَّبِيُّ وَٱلرَّسُولُ» وَٱخْتُلِفَ هَلْ هُمَا بِمَعْنًى أَوْ بِمَعْنَيَيْنِ فَقَالَ بِٱلْأَوَّلِ قَوْمٌ وَقَالَ آخَرُونَ بِٱلثَّانِي فَعَلَى هٰذَا ٱلنَّبِيُّ كُلِّفَ بِمَا يَخُصُّهُ وَٱلرَّسُولُ بِذٰلِكَ وَبِتَبْلِيغِ غَيْرِهِ فَٱلرَّسُولُ أَخَصُّ مُطْلَقًا * وَمِنْهَا «نَبِيُّ ٱلْمَلَاحِمِ» وَهِيَ ٱلْحُرُوبُ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا بُعِثَ بِهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ ٱلْقِتَالِ وَلَمْ يُجَاهِدْ نَبِيٌّ وَأُمَّتُهُ قَطُّ مَا جَاهَدَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ * وَمِنْهَا «مُقِيمُ ٱلسُّنَّةِ» فَفِي كِتَابِ ٱلشِّفَاءِ قَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٱللّٰهُمَّ ٱبْعَثْ لَنَا مُحَمَّدًا مُقِيمَ ٱلسُّنَّةِ بَعْدَ ٱلْفَتْرَةِ * وَمِنْهَا «عَبْدُ ٱللّٰهِ» سَمَّاهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى بِهِ فِي أَشْرَفِ مَقَامَاتِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى «تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» وَغَيْرِهَا مِنَ ٱلْآيَاتِ وَلَمَّا خُيِّرَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا أَوْ نَبِيًّا عَبْدًا ٱخْتَارَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا وَكَانَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ ٱلنَّصَارَى عِيسَى وَلٰكِنْ قُولُوا عَبْدُ ٱللّٰهِ وَرَسُولُهُ * وَمِنْهَا «مَاذْ مَاذْ» وَنَقَلَ ٱلْعَلَّامَةُ ٱلْحِجَازِيُّ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى ٱلشِّفَاءِ عَنِ ٱلسُّهَيْلِيِّ ضَمَّ ٱلْمِيمِ وَإِشْمَامَ ٱلْهَمْزَةِ ضَمَّةً بَيْنَ ٱلْوَاوِ وَٱلْأَلِفِ مَمْدُودَةً وَقَالَ نَقَلْتُهُ عَنْ رَجُلٍ أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ

وقال معناه طيب طيب ولا ريب أنه صلى الله عليه وسلم أطيب الطيبين* ومنها «البارقليط» بالباء ويقال الفارقليط ووقع في إنجيل يوحنا ومعناه روح الحق وقال ابن الأثير في النهاية معناه الذي يفرق بين الحق والباطل والذي يفرق بين المؤمنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه* ومنها «حمطايا» قال أبو عمرو سألت بعض من أسلم من اليهود عنه فقال معناه يحمي الحرم من الحرام ويوطئ الحلال* و«أحيد» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمي في القرآن محمد وفي الإنجيل أحمد وفي التوراة أحيد وإنما سميت أحيد لأني أحيد عن أمتي نار جهنم* ومنها «المنحمنا» بالسريانية محمد ومثله «المشفح» ففي كتاب شعيا في البشارة به عليه الصلاة والسلام يفتح العيون العور والآذان الصم ويحيي القلوب الغلف وما أعطيه لم يعطه أحد مشفح يحمد الله حمدا جديدا* ومنها «قثم» ومعناه الجامع للخير* ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم أيضا: السراج، النور، المنير، المصباح، النجم، القمر، الشمس، السيد، السعيد، المسعود، الرشيد، الخبير، المذكر، المبلغ، الميسر، المبشر، المنذر، العزيز، البصير، البر، البشير، النذير، الأمي، المكي، المدني، العربي، الحجازي، التهامي، النقي، التقي، الوفي، الصفي، الولي، المولى، الأمين، المأمون، المؤتمن، الحبيب، الحسيب، الطيب، الطاهر، المطهر، الشاكر، الشكور، الشارع، الشافع، الناصح، الصالح، المصلح، الضحاك، المبارك، الحامد، الحماد، الجواد، الكريم، الحكيم، العليم، الحليم،

ٱلْمُؤَيَّدُ، ٱلْمُخْتَارُ، ٱلْمُصْطَفَى، ٱلْمُخْلِصُ، ٱلْهُدَى، ٱلْمَعْصُومُ، ٱلْوَجِيهُ، ٱلْوَسِيلَةُ، ٱلْعَفُوُّ، ٱلصَّفُوحُ، ٱلْعَطُوفُ، ٱلْهَادِي، ٱلْمُقَدَّسُ، ٱلْبُرْهَانُ، ٱلْحَنِيفُ، ٱلْخَلِيلُ، ٱلْخَلِيفَةُ، ٱلْمَكِينُ، ٱلصَّفْوَةُ، ٱلصَّادِقُ، ٱلْمَصْدُوقُ، صَاحِبُ ٱلْحَوْضِ ٱلْمَوْرُودِ، صَاحِبُ ٱلْمَقَامِ ٱلْمَحْمُودِ، صَاحِبُ ٱللِّوَاءِ، صَاحِبُ ٱلْمُعْجِزَاتِ، مِفْتَاحُ ٱلْجَنَّةِ، رَسُولُ ٱلرَّحْمَةِ، نَبِيُّ ٱلتَّوْبَةِ، إِمَامُ ٱلْخَيْرِ، إِمَامُ ٱلْمُتَّقِينَ، إِمَامُ ٱلنَّبِيِّينَ، أَكْرَمُ ٱلنَّاسِ، خَطِيبُ ٱلْأَنْبِيَاءِ، خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ، خِيرَةُ ٱللهِ، دَارُ ٱلْحِكْمَةِ، دَلِيلُ ٱلْخَيْرَاتِ، رَحْمَةُ ٱلْعَالَمِينَ، رُوحُ ٱلْقُدُسِ، عَلَمُ ٱلْيَقِينِ، ٱلْعُرْوَةُ ٱلْوُثْقَى، مَدِينَةُ ٱلْعِلْمِ، هَدِيَّةُ ٱللهِ، عَبْدُ ٱلْكَرِيمِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَعَنْ كَعْبِ ٱلْأَحْبَارِ أَنَّهُ قَالَ اسْمُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ عَبْدُ ٱلْكَرِيمِ، وَعِنْدَ أَهْلِ ٱلنَّارِ عَبْدُ ٱلْجَبَّارِ، وَعِنْدَ أَهْلِ ٱلْعَرْشِ عَبْدُ ٱلْحَمِيدِ، وَعِنْدَ سَائِرِ ٱلْمَلَائِكَةِ عَبْدُ ٱلْمَجِيدِ، وَعِنْدَ ٱلْأَنْبِيَاءِ عَبْدُ ٱلْوَهَّابِ، وَعِنْدَ ٱلشَّيَاطِينِ عَبْدُ ٱلْقَهَّارِ، وَعِنْدَ ٱلْجِنِّ عَبْدُ ٱلرَّحِيمِ، وَفِي ٱلْجِبَالِ عَبْدُ ٱلْخَالِقِ، وَفِي ٱلْبَرِّ عَبْدُ ٱلْقَادِرِ، وَفِي ٱلْبَحْرِ عَبْدُ ٱلْمُهَيْمِنِ، وَعِنْدَ ٱلْحِيتَانِ عَبْدُ ٱلْقُدُّوسِ، وَعِنْدَ ٱلْهَوَامِّ عَبْدُ ٱلْغِيَاثِ، وَعِنْدَ ٱلْوُحُوشِ عَبْدُ ٱلرَّزَّاقِ، وَعِنْدَ ٱلسِّبَاعِ عَبْدُ ٱلسَّلَامِ، وَعِنْدَ ٱلْبَهَائِمِ عَبْدُ ٱلْمُؤْمِنِ، وَعِنْدَ ٱلطُّيُورِ عَبْدُ ٱلْغَفَّارِ، وَفِي ٱلتَّوْرَاةِ مُوذْمُوذْ، وَفِي ٱلْإِنْجِيلِ طَابْ طَابْ، وَفِي ٱلصُّحُفِ عَاقِبٌ، وَفِي ٱلزَّبُورِ فَارُوقٌ، وَعِنْدَ ٱللهِ طَهَ وَيس، وَعِنْدَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * وَكُنْيَتُهُ أَبُو ٱلْقَاسِمِ لِأَنَّهُ يَقْسِمُ ٱلْجَنَّةَ بَيْنَ أَهْلِهَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ *

الفصل الثاني

في ذكر أولاده الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام

أما بناته صلى الله عليه وعليهن وسلم فأربع زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة. وأما أبناؤه عليه وعليهم الصلاة والسلام فثلاثة القاسم وإبراهيم وعبد الله وزاد بعضهم الطيب والمطيب والطاهر والمطهر * أما القاسم رضي الله عنه فهو أول ولد ولد له عليه الصلاة والسلام قبل النبوة وبه كان يكنى وعاش حتى مشى وقيل عاش سنتين * وأما زينب رضي الله عنها فهي أكبر بناته ولدت في سنة ثلاثين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وأدركت الإسلام وهاجرت وماتت سنة ثمان من الهجرة عند زوجها ابن خالتها أبي العاص لقيط بن الربيع وكانت هاجرت قبله وتركته على شركه ثم أسلم فردها النبي صلى الله عليه وسلم بالنكاح الأول وقيل بنكاح جديد وولدت له عليا مات صغيرا وكان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته يوم الفتح وولدت له أيضا أمامة التي حملها صلى الله عليه وسلم في صلاة الصبح على عاتقه وكان إذا ركع وضعها وإذا رفع رأسه من السجود أعادها وتزوجها علي رضي الله عنه بعد موت فاطمة * وأما رقية رضي الله عنها فولدت سنة ثلاث وثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم وتزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه وهاجر بها الهجرتين وكانت ذات جمال رائع وتوفيت والنبي صلى الله عليه وسلم ببدر ولما توفيت رقية خطب عثمان ابنة

عُمَرَ حَفْصَةَ فَبَلَغَ ذٰلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا عُمَرُ أَدُلُّكَ عَلَى خَيْرٍ لَكَ مِنْ عُثْمَانَ وَأَدُلُّ عُثْمَانَ عَلَى خَيْرٍ لَهُ مِنْكَ قَالَ نَعَمْ يَا نَبِيَّ اللّٰهِ قَالَ تُزَوِّجُنِي ابْنَتَكَ وَأُزَوِّجُ عُثْمَانَ ابْنَتِي فَزَوَّجَهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ كُلْثُومٍ وَرُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ لِعُثْمَانَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مِائَةَ بِنْتٍ يَمُتْنَ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ زَوَّجْتُكَ أُخْرَى هٰذَا جِبْرِيلُ أَخْبَرَنِي أَنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُنِي أَنْ أُزَوِّجَكَهَا وَكَانَ تَزَوُّجُ عُثْمَانَ بِأُمِّ كُلْثُومٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ مِنَ الْهِجْرَةِ وَمَاتَتْ سَنَةَ تِسْعٍ وَجَلَسَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْقَبْرِ وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ *وَأَمَّا فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ الْبَتُولُ رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهَا فَوُلِدَتْ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ مِنْ مَوْلِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ وُلِدَتْ قَبْلَ النُّبُوَّةِ بِخَمْسِ سِنِينَ وَرُوِيَ مَرْفُوعًا إِنَّمَا سُمِّيَتْ فَاطِمَةَ لِأَنَّ اللّٰهَ تَعَالَى قَدْ فَطَمَهَا وَذُرِّيَّتَهَا عَنِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسُمِّيَتْ بَتُولًا لِانْقِطَاعِهَا عَنْ نِسَاءِ زَمَانِهَا فَضْلًا وَدِينًا وَحَسَبًا وَقِيلَ لِانْقِطَاعِهَا عَنِ الدُّنْيَا إِلَى اللّٰهِ وَتَزَوَّجَتْ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ بِأَمْرِ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَوَحْيِهِ وَلَهَا خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَخَمْسَةُ أَشْهُرٍ وَنِصْفٌ وَلِعَلِيٍّ إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً وَخَمْسَةُ أَشْهُرٍ قَالَ أَبُو عُمَرَ وَفَاطِمَةُ وَأُمُّ كُلْثُومٍ أَفْضَلُ بَنَاتِ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا أَحَبَّ أَهْلِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ وَكَانَ يُقَبِّلُهَا فِي فِيهَا وَيُمِصُّهَا لِسَانَهُ وَإِذَا أَرَادَ سَفَرًا يَكُونُ آخِرُ عَهْدِهِ بِهَا وَإِذَا قَدِمَ أَوَّلُ مَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا. وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَاطِمَةُ بِضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَقَالَ لَهَا أَوَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي

سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَفِي رِوَايَةٍ أَحْمَدَ أَفْضَلَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَتُوُفِّيَتْ بَعْدَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ لِثَلَاثٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَوَلَدَتْ لِعَلِيٍّ حَسَنًا وَحُسَيْنًا وَمُحْسِنًا فَمَاتَ مُحْسِنٌ صَغِيرًا وَأُمَّ كُلْثُومٍ وَزَيْنَبَ وَلَمْ يَكُنْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقِبٌ إِلَّا مِنِ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ فَانْتَشَرَ نَسْلُهُ الشَّرِيفُ مِنْهَا مِنْ جِهَةِ السِّبْطَيْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ فَقَطْ * وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ مَاتَ صَغِيرًا بِمَكَّةَ وَاخْتُلِفَ هَلْ وُلِدَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ أَوْ بَعْدَهَا وَهَلْ هُوَ الطَّيِّبُ وَالطَّاهِرُ وَالصَّحِيحُ أَنَّهُمَا لَقَبَانِ لَهُ * وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَمِنْ مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةِ وَوُلِدَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ وَكَانَتْ سَلْمَى زَوْجُ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَابِلَتَهُ فَبَشَّرَ أَبُو رَافِعٍ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَهَبَ لَهُ عَبْدًا وَعَقَّ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ بِكَبْشَيْنِ وَحَلَقَ رَأْسَهُ أَبُو هِنْدٍ وَسَمَّاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ وَتَصَدَّقَ بِزِنَةِ شَعْرِهِ وَرِقًا أَيْ فِضَّةً عَلَى الْمَسَاكِينِ وَدَفَنُوا شَعْرَهُ فِي الْأَرْضِ وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلَامٌ سَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَتَنَافَسَتِ الْأَنْصَارُ فِي مَنْ يُرْضِعُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُمْ أَحَبُّوا أَنْ يُفَرِّغُوا مَارِيَةَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُ لِأُمِّ بُرْدَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ زَوْجَةِ الْبَرَاءِ بْنِ أَوْسٍ فَكَانَتْ تُرْضِعُهُ بِلَبَنِ ابْنِهَا فِي بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ وَتَرْجِعُ بِهِ إِلَى أُمِّهِ وَأَعْطَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ بُرْدَةَ قِطْعَةَ نَخْلٍ ٠ وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضَعًا فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا فَيُقَبِّلُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ رَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ زَادَ الْبُخَارِيُّ وَيَشُمُّهُ وَتُوُفِّيَ وَلَهُ سَبْعُونَ يَوْمًا وَقِيلَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَصَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَقِيعِ وَقَالَ نَدْفِنُهُ عِنْدَ فَرَطِنَا عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ وَجَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى شَفِيرِ قَبْرِهِ وَرُشَّ وَعُلِّمَ بِعَلَامَةٍ وَهُوَ أَوَّلُ قَبْرٍ رُشَّ ، وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ أَخَذَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَأَتَى بِهِ النَّخْلَ فَإِذَا ابْنُهُ إِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَهُ فِي حِجْرِهِ ثُمَّ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ تَبْكِي الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ ، وَانْكَسَفَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ مَوْتِهِ فَقَالَ النَّاسُ إِنَّمَا كُسِفَتْ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا لَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الْجَنَّةِ وَلَوْ عَاشَ لَكَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَلَوْ عَاشَ لَأَعْتَقْتُ أَخْوَالَهُ مِنَ الْقِبْطِ وَمَا اسْتُرِقَّ قِبْطِيٌّ ۞

الفصل الثالث

فِي ذِكْرِ أَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ وَسَرَارِيهِ الْمُطَهَّرَاتِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى «النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ» وَذَلِكَ فِي تَحْرِيمِ نِكَاحِهِنَّ وَوُجُوبِ احْتِرَامِهِنَّ لَا فِي نَظَرٍ وَخَلْوَةٍ وَفَضْلُهُنَّ عَلَى

النِّسَاءِ وَثَوَابُهُنَّ وَعِقَابُهُنَّ مُضَاعَفَانِ وَلَا يَحِلُّ سُؤَالُهُنَّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَأَفْضَلُهُنَّ خَدِيجَةُ وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَفِي أَفْضَلِهِمَا خِلَافٌ. وَاخْتُلِفَ فِي عِدَّةِ زَوْجَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ أَنَّهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً سِتَّةٌ مِنْ قُرَيْشٍ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَعَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَحَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ، وَأُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ، وَأُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَسَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ، وَأَرْبَعٌ عَرَبِيَّاتٌ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ، وَمَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهِلَالِيَّةُ، وَزَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ الْهِلَالِيَّةُ أُمُّ الْمَسَاكِينِ، وَجُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْمُصْطَلِقِيَّةُ، وَوَاحِدَةٌ غَيْرُ عَرَبِيَّةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ، وَمَاتَ عِنْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُنَّ اثْنَتَانِ خَدِيجَةُ وَزَيْنَبُ أُمُّ الْمَسَاكِينِ وَمَاتَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تِسْعٍ * فَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَدْ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ ثَيِّبٌ وَلَهَا مِنَ الْعُمْرِ أَرْبَعُونَ سَنَةً وَكَانَ سِنُّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَأَصْدَقَهَا عِشْرِينَ بَكْرَةً وَقِيلَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً ذَهَبًا وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ مِنَ النِّسَاءِ وَقَالَ جِبْرِيلُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ. وَالْقَصَبُ اللُّؤْلُؤُ الْمُجَوَّفُ وَالصَّخَبُ الْمُنَازَعَةُ بِرَفْعِ الصَّوْتِ وَالنَّصَبُ التَّعَبُ. وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا مِنْ رَدٍّ عَلَيْهِ وَتَكْذِيبٍ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَيَحْزُنُهُ ذَلِكَ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِخَدِيجَةَ إِذَا رَجَعَ إِلَيْهَا تُثَبِّتُهُ وَتُخَفِّفُ عَنْهُ وَتُصَدِّقُهُ

وَتُهَوِّنُ عَلَيْهِ أَمْرَ النَّاسِ حَتَّى مَاتَتْ. قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي شَرْحِ الْبَهْجَةِ وَأَفْضَلُهُنَّ خَدِيجَةُ وَعَائِشَةُ وَفِي أَفْضَلِهِمَا خِلَافٌ صَحَّحَ ابْنُ الْعِمَادِ تَفْضِيلَ خَدِيجَةَ لِمَا ثَبَتَ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ قَالَتْ قَدْ رَزَقَكَ اللهُ خَيْرًا مِنْهَا لَا وَاللهِ مَا رَزَقَنِي خَيْرًا مِنْهَا آمَنَتْ بِي حِينَ كَفَرَ بِي النَّاسُ وَصَدَّقَتْنِي حِينَ كَذَّبَنِي النَّاسُ وَأَعْطَتْنِي مَالَهَا حِينَ حَرَمَنِي النَّاسُ. وَسُئِلَ ابْنُ دَاوُدَ فَأَجَابَ بِأَفْضَلِيَّةِ خَدِيجَةَ عَلَى عَائِشَةَ وَبِأَنَّ ابْنَتَهَا فَاطِمَةَ أَفْضَلُ مِنْهَا وَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَلَا أَعْدِلُ بِبَضْعَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا مَرْيَمَ. وَسُئِلَ السُّبْكِيُّ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ الَّذِي نَخْتَارُهُ وَنَدِينُ اللهَ بِهِ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ ثُمَّ أُمُّهَا خَدِيجَةُ ثُمَّ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ. قَالَ أَبُو أُمَامَةَ ابْنُ النَّقَّاشِ إِنَّ سَبْقَ خَدِيجَةَ وَتَأْثِيرَهَا فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ وَمُوَازَرَتَهَا وَنُصْرَتَهَا وَقِيَامَهَا فِي الدِّينِ لِلهِ بِمَالِهَا وَنَفْسِهَا لَمْ يَشْرَكْهَا فِيهِ أَحَدٌ لَا عَائِشَةُ وَلَا أَحَدٌ غَيْرُهَا مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَأْثِيرُ عَائِشَةَ فِي حَمْلِ الدِّينِ وَتَبْلِيغِهِ إِلَى الْأُمَّةِ مَا لَمْ تَشْرَكْهَا فِيهِ خَدِيجَةُ وَلَا غَيْرُهَا مِمَّا تَمَيَّزَتْ بِهِ عَنْ غَيْرِهَا. وَمَاتَتْ خَدِيجَةُ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ وَدُفِنَتْ فِي الْحَجُونِ وَهِيَ ابْنَةُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ يُصَلَّى عَلَى الْجَنَازَةِ وَكَانَتْ مُدَّةُ مُقَامِهَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً * وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَأَسْلَمَتْ قَدِيمًا وَبَايَعَتْ وَكَانَتْ تَحْتَ ابْنِ عَمِّهَا السَّكْرَانِ بْنِ عَمْرٍو أَسْلَمَ مَعَهَا

قَدِيماً وَهَاجَرَا جَمِيعاً إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ الْهِجْرَةَ الثَّانِيَةَ فَلَمَّا قَدِمَا مَكَّةَ مَاتَ زَوْجُهَا وَتَزَوَّجَهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ بِمَكَّةَ بَعْدَ مَوْتِ خَدِيجَةَ قَبْلَ أَنْ يَعْقِدَ عَلَى عَائِشَةَ وَقِيلَ بَعْدَ أَنْ عَقَدَ عَلَيْهَا وَدَخَلَ بِهَا قَبْلَ عَائِشَةَ وَلَمَّا كَبُرَتْ سَوْدَةُ أَرَادَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَاقَهَا فَسَأَلَتْهُ أَنْ لَا يَفْعَلَ وَجَعَلَتْ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ فَأَمْسَكَهَا وَتُوُفِّيَتْ بِالْمَدِينَةِ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ * وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَخَطَبَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْدَقَهَا فِيمَا قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ أَرْبَعَمِائَةِ دِرْهَمٍ وَتَزَوَّجَهَا بِمَكَّةَ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ عَشْرٍ مِنَ النُّبُوَّةِ وَقَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ وَلَهَا سِتُّ سِنِينَ وَأَعْرَسَ بِهَا بِالْمَدِينَةِ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ وَلَهَا تِسْعُ سِنِينَ. قَالَ أَبُو عَمْرٍو وَكَانَ نِكَاحُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَهَا فِي شَوَّالٍ وَابْتَنَى بِهَا فِي شَوَّالٍ وَكَانَتْ تُحِبُّ أَنْ تَدْخُلَ النِّسَاءُ مِنْ أَهْلِهَا وَأَحِبَّتِهَا فِي شَوَّالٍ. وَكَانَتْ أَحَبَّ نِسَاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ وَكَانَتْ إِذَا هَوِيَتْ شَيْئاً تَابَعَهَا عَلَيْهِ وَقَالَ لَهَا رَأَيْتُكِ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ جَاءَنِي بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ يَقُولُ هٰذِهِ امْرَأَتُكَ فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكِ فَأَقُولُ إِنْ يَكُ مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ. وَالسَّرَقَةُ بِوَزْنِ قَصَبَةٍ شُقَّةُ حَرِيرٍ بَيْضَاءُ. وَكَانَتْ مُدَّةُ مُقَامِهَا مَعَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تِسْعَ سِنِينَ وَمَاتَ عَنْهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً وَلَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْراً غَيْرَهَا وَكَانَتْ فَقِيهَةً عَالِمَةً فَصِيحَةً كَثِيرَةَ الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَارِفَةً بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا رَوَى عَنْهَا جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَاتَتْ بِالْمَدِينَةِ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ

لِسبعَ عشْرةَ خَلَتْ مِنْ رَمضَانَ سَنةَ ثَمانٍ وَخمْسينَ وَهيَ ابْنَةُ ستٍ وَستِّينَ سَنةً وَكَانَتْ تُكْنَى أُمَّ عَبْدِ اللهِ بِابْنِ أُخْتِهَا عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَمَاوَلَدَتْ قَطُّ * وَأَمَّا أُمُّ الْمؤْمِنِينَ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَقَدْ أَسْلَمَتْ وَهَاجَرَتْ وَكَانَتْ قَبْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ هَاجَرَتْ مَعَهُ وَمَاتَ عَنْهَا بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ ثُمَّ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ مِنَ الْهِجْرَةِ وَطَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً وَاحِدَةً ثُمَّ رَاجَعَهَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ رَاجِعْ حَفْصَةَ فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ وَإِنَّهَا زَوْجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ رَوَى عَنْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَاتَتْ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ وَهِيَ ابْنَةُ سِتِّينَ سَنَةً * وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَاسْمُهَا هِنْدٌ فَكَانَتْ قَبْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ وَكَانَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا أَوَّلَ مَنْ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَهِيَ أَوَّلُ ظَعِينَةٍ دَخَلَتِ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرَةً وَمَاتَ أَبُو سَلَمَةَ سَنَةَ أَرْبَعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ فَخَطَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَأَبَتْ وَخَطَبَهَا عُمَرُ فَأَبَتْ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ مَرْحَبًا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَتْ لِابْنِهَا زَوِّجْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَزَوَّجَهُ وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ وَمَاتَتْ عَنْ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَدُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ * وَأَمَّا أُمُّ الْمؤْمِنِينَ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَاسْمُهَا رَمْلَةُ فَكَانَتْ تَحْتَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ وَهَاجَرَ بِهَا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ الْهِجْرَةَ الثَّانِيَةَ ثُمَّ تَنَصَّرَ وَارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ وَمَاتَ هُنَاكَ وَثَبَتَتْ

أُمُّ حَبِيبَةَ عَلَى ٱلْإِسْلَامِ فَبَعَثَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمْرَو بْنَ أُمَيَّةَ ٱلضَّمْرِيَّ إِلَى ٱلنَّجَاشِيِّ لِيَخْطُبَهَا عَلَيْهِ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ وَأَصْدَقَهَا عَنْهُ أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ وَبَعَثَهَا إِلَيْهِ وَقَدْ أَمَرَ ٱلنَّجَاشِيُّ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَمَنْ هُنَاكَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ فَحَضَرُوا فَخَطَبَ ٱلنَّجَاشِيُّ فَقَالَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلسَّلَامِ ٱلْمُؤْمِنِ ٱلْمُهَيْمِنِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْجَبَّارِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِٱلْهُدَى وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَجَبْتُ إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزَوَّجْتُهُ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ فَبَارَكَ ٱللَّهُ لِرَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَفَعَ ٱلدَّنَانِيرَ إِلَى خَالِدِ ٱبْنِ سَعِيدِ بْنِ ٱلْعَاصِ فَقَبَضَهَا ثُمَّ أَرَادُوا أَنْ يَقُومُوا فَقَالَ ٱجْلِسُوا فَإِنَّ سُنَّةَ ٱلْأَنْبِيَاءِ إِذَا تَزَوَّجُوا أَنْ يُؤْكَلَ طَعَامٌ عَلَى ٱلتَّزْوِيجِ فَدَعَا بِطَعَامٍ فَأَكَلُوا ثُمَّ تَفَرَّقُوا وَمَاتَتْ بِٱلْمَدِينَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ * وَأَمَّا أُمُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وَأُمُّهَا أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ فَقَدْ كَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَوَّجَهَا زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فَمَكَثَتْ عِنْدَهُ مُدَّةً ثُمَّ طَلَّقَهَا فَلَمَّا ٱنْقَضَتْ عِدَّتُهَا مِنْهُ قَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِزَيْدٍ ٱذْهَبْ فَٱذْكُرْنِي لَهَا قَالَ فَذَهَبْتُ إِلَيْهَا فَجَعَلْتُ ظَهْرِي إِلَى ٱلْبَابِ فَقُلْتُ يَا زَيْنَبُ بَعَثَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُكِ فَقَالَتْ مَا كُنْتُ لِأُحْدِثَ شَيْئًا حَتَّى أُؤَامِرَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدٍ لَهَا فَأَنْزَلَ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى «فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا» فَجَاءَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ أَخْرَجَهُ

مُسْلِمٌ وَكَانَتْ تَفْتَخِرُ عَلَى أَزْوَاجِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ زَوَّجَكُنَّ آبَاؤُكُنَّ وَزَوَّجَنِي ٱللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ وَكَانَ تَزْوِيجُهَا لَهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةَ خَمْسٍ مِنَ ٱلْهِجْرَةِ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ فِي شَأْنِهَا وَلَمْ تَكُنِ ٱمْرَأَةٌ خَيْرًا مِنْهَا فِي ٱلدِّينِ وَأَتْقَى لِلَّهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ وَأَعْظَمَ صَدَقَةً وَأَشَدَّ ٱبْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي ٱلْعَمَلِ ٱلَّذِي تَتَصَدَّقُ بِهِ وَيُقَرِّبُ إِلَى ٱللَّهِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ مَاتَ مِنْ أَزْوَاجِهِ بَعْدَهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَتْ بِٱلْمَدِينَةِ سَنَةَ عِشْرِينَ وَلَهَا ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً وَصَلَّى عَلَيْهَا عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ * وَأَمَّا أُمُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ ٱلْهِلَالِيَّةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فَقَدْ كَانَتْ تَحْتَ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ جَحْشٍ قُتِلَ عَنْهَا يَوْمَ أُحُدٍ فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَلَمْ تَلْبَثْ عِنْدَهُ إِلَّا شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا وَتُوُفِّيَتْ فِي حَيَاتِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدُفِنَتْ بِٱلْبَقِيعِ وَهِيَ أُخْتُ مَيْمُونَةَ لِأُمِّهَا * وَأَمَّا أُمُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةُ بِنْتُ ٱلْحَارِثِ ٱلْهِلَالِيَّةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فَقَدْ كَانَتْ قَبْلُ عِنْدَ أَبِي رُهْمِ بْنِ عَبْدِ ٱلْعُزَّى تَزَوَّجَهَا رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا كَانَ مُعْتَمِرًا سَنَةَ سَبْعٍ بَعْدَ غَزْوَةِ خَيْبَرَ جَعَلَتْ أَمْرَهَا إِلَى ٱلْعَبَّاسِ فَأَنْكَحَهَا ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ فَلَمَّا رَجَعَ بَنَى بِهَا بِسَرِفَ حَلَالًا. وَسَرِفُ ٱسْمُ مَكَانٍ عَلَى عَشَرَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ. قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ وَيُقَالُ إِنَّهَا وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَٰلِكَ أَنَّ خِطْبَتَهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ٱنْتَهَتْ إِلَيْهَا وَهِيَ عَلَى بَعِيرِهَا فَقَالَتِ ٱلْبَعِيرُ وَمَنْ عَلَيْهِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَتُوُفِّيَتْ بِسَرِفَ فِي ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي بَنَى بِهَا فِيهِ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَصَلَّى عَلَيْهَا ابْنُ عَبَّاسٍ وَدَخَلَ قَبْرَهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا * وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَكَانَتْ تَحْتَ مُسَافِعِ بْنِ صَفْوَانَ الْمُصْطَلِقِيِّ وَكَانَتْ قَدْ وَقَعَتْ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ الْأَنْصَارِيِّ فِي غَزْوَةِ الْمُرَيْسِيعِ وَهِيَ غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَقِيلَ سِتٍّ فَكَاتَبَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا ثُمَّ جَاءَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ وَكَانَ مِنْ أَمْرِي مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ وَوَقَعْتُ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَإِنِّي كَاتَبْتُ نَفْسِي فَجِئْتُ أَسْأَلُكَ فِي كِتَابَتِي فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَلْ لَكِ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ قَالَتْ وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ أُؤَدِّي عَنْكِ كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ قَالَتْ قَدْ فَعَلْتُ فَتَسَامَعَ النَّاسُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ فَأَرْسَلُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ السَّبْيِ فَأَعْتَقُوهُمْ وَقَالُوا أَصْهَارُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ عَائِشَةُ فَمَا رَأَيْنَا امْرَأَةً أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا أُعْتِقَ فِي سَبَبِهَا مِائَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَكَانَتِ ابْنَةَ عِشْرِينَ سَنَةً وَتُوُفِّيَتْ وَعُمْرُهَا خَمْسٌ وَسِتُّونَ سَنَةً سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ * وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَهِيَ مِنْ سِبْطِ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ تَحْتَ كِنَانَةَ بْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ قُتِلَ يَوْمَ خَيْبَرَ قَالَ أَنَسٌ لَمَّا افْتَتَحَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ وَجَمَعَ السَّبْيَ جَاءَهُ دِحْيَةُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَعْطِنِي جَارِيَةً فَقَالَ اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بِنْتَ

حُيَيّ سَيِّدَةَ قُرَيْظَةَ وَٱلنَّضِيرِ مَا تَصلُحُ إِلَّا لَكَ قَالَ ٱدْعُوهُ بِهَا فَجَاءَ بِهَا فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خُذْ جَارِيَةً مِنَ ٱلسَّبْيِ غَيْرَهَا وَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ بِٱلطَّرِيقِ جَهَّزَتْهَا لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنَ ٱللَّيْلِ فَأَصْبَحَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عَرُوسًا فَقَالَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَجِئْ بِهِ وَبَسَطَ نِطَعًا فَجَعَلَ ٱلرَّجُلُ يَجِيءُ بِٱلْأَقِطِ وَجَعَلَ ٱلرَّجُلُ يَجِيءُ بِٱلتَّمْرِ وَجَعَلَ ٱلرَّجُلُ يَجِيءُ بِٱلسَّمْنِ فَحَاسُوا حَيْسًا فَكَانَتْ وَلِيمَةَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَاتَتْ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسِينَ فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ وَدُفِنَتْ بِٱلْبَقِيعِ فَهٰؤُلَاءِ أَزْوَاجُهُ ٱللَّاتِي دَخَلَ بِهِنَّ لَا خِلَافَ فِي ذٰلِكَ بَيْنَ أَهْلِ ٱلسِّيَرِ وَٱلْعِلْمِ بِٱلْأَثَرِ * وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ نِسْوَةً غَيْرَ مَنْ ذُكِرَ وَجُمْلَتُهُنَّ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ ٱمْرَأَةً ٱلْأُولَى أُمُّ شَرِيكٍ ٱلْوَاهِبَةُ نَفْسَهَا لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَّقَهَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا فَلَمْ تَتَزَوَّجْ حَتَّى مَاتَتْ وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ ٱلزُّبَيْرِ كَانَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ مِنَ ٱللَّائِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ إِلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ٱلثَّانِيَةُ خَوْلَةُ بِنْتُ ٱلْهُذَيْلِ بْنِ هُبَيْرَةَ تَزَوَّجَهَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ. ٱلثَّالِثَةُ عَمْرَةُ بِنْتُ يَزِيدَ ٱلْكِلَابِيَّةُ طَلَّقَهَا وَأَمَرَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَمَتَّعَهَا ثَلَاثَةَ أَثْوَابٍ. ٱلرَّابِعَةُ أَسْمَاءُ بِنْتُ ٱلنُّعْمَانِ ٱلْكِنْدِيَّةُ تَزَوَّجَهَا فَلَمَّا دَعَاهَا قَالَتْ أَعُوذُ بِٱللهِ مِنْكَ فَقَالَ عُذْتِ بِمَعَاذٍ ثُمَّ سَرَّحَهَا إِلَى أَهْلِهَا وَكَانَتْ تُسَمِّي نَفْسَهَا ٱلشَّقِيَّةَ. ٱلْخَامِسَةُ مُلَيْكَةُ بِنْتُ كَعْبٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يُنْكِرُ تَزْوِيجَهَا. ٱلسَّادِسَةُ فَاطِمَةُ بِنْتُ ٱلضَّحَّاكِ تَزَوَّجَهَا ثُمَّ فَارَقَهَا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وَقِيلَ إِنَّ أَبَاهَا قَالَ إِنَّهَا لَمْ تُصْدَعْ قَطُّ فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ

والسَّلَامُ لَا حَاجَةَ لِي بِهَا • السَّابِعَةُ عَالِيَةُ بِنْتُ ظَبْيَانَ بْنِ عَمْرٍو تَزَوَّجَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَكَانَتْ عِنْدَهُ مَاشَاءَ اللهُ ثُمَّ طَلَّقَهَا • الثَّامِنَةُ قُتَيْلَةُ بِنْتُ قَيْسٍ أُخْتُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ الْكِنْدِيِّ زَوَّجَهُ إِيَّاهَا أَخُوهَا فِي سَنَةِ عَشْرٍ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ فَحَمَلَهَا فَقُبِضَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ قُدُومِهَا عَلَيْهِ • التَّاسِعَةُ سَنَا بِنْتُ أَسْمَاءَ بْنِ الصَّلْتِ السَّلَمِيَّةُ تَزَوَّجَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا وَعِنْدَ ابْنِ إِسْحَاقَ طَلَّقَهَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا • الْعَاشِرَةُ شَرَافُ بِنْتُ خَلِيفَةَ أُخْتُ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ تَزَوَّجَهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَاتَتْ قَبْلَ دُخُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِهَا • الْحَادِيَةَ عَشَرَ لَيْلَى بِنْتُ الْخَطِيمِ أُخْتُ قَيْسٍ تَزَوَّجَهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ غَيُورًا فَاسْتَقَالَتْهُ فَأَقَالَهَا فَأَكَلَهَا الذِّئْبُ • الثَّانِيَةَ عَشَرَ امْرَأَةٌ مِنْ غِفَارٍ تَزَوَّجَهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَهَا فَنَزَعَتْ ثِيَابَهَا فَرَأَى بِكَشْحِهَا بَيَاضًا فَقَالَ الْحَقِي بِأَهْلِكِ وَلَمْ يَأْخُذْ مِمَّا آتَاهَا شَيْئًا فَهَؤُلَاءِ جُمْلَةُ مَنْ ذُكِرَ مِنْ أَزْوَاجِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَارَقَهُنَّ فِي حَيَاتِهِ بَعْضُهُنَّ قَبْلَ الدُّخُولِ وَبَعْضُهُنَّ بَعْدَهُ *وَرُوِيَ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ عِدَّةَ نِسْوَةٍ الْأُولَى مِنْهُنَّ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي مُرَّةَ بْنِ عَوْفٍ خَطَبَهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِيهَا فَقَالَ إِنَّ بِهَا بَرَصًا وَهُوَ كَاذِبٌ فَرَجَعَ فَوَجَدَ الْبَرَصَ بِهَا. الثَّانِيَةُ امْرَأَةٌ قُرَشِيَّةٌ يُقَالُ لَهَا سَوْدَةُ خَطَبَهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ مُصْبِيَةً فَقَالَتْ أَخَافُ أَنْ يَضْغُوا أَيْ يَضِجُّوا وَيَبْكُوا عِنْدَ رَأْسِكَ فَدَعَا لَهَا وَتَرَكَهَا • الثَّالِثَةُ صَفِيَّةُ بِنْتُ بَشَامَةَ وَكَانَ أَصَابَهَا فِي سَبْيٍ فَخَيَّرَهَا بَيْنَ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ وَبَيْنَ زَوْجِهَا فَاخْتَارَتْ زَوْجَهَا • الرَّابِعَةُ

وَلَمْ يُذْكَرِ اسْمُهَا خَطَبَهَا صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ أَسْتَأْمِرُ أَبِي فَلَقِيَتْ أَبَاهَا فَأَذِنَ لَهَا فَعَادَتْ إِلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ٱلْتَحَفْنَا لِحَافًا غَيْرَكِ • ٱلْخَامِسَةُ أُمُّ هَانِئٍ فَاخِتَةُ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ أُخْتُ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُمَا خَطَبَهَا صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ إِنِّي مُصْبِيَةٌ وَٱعْتَذَرَتْ إِلَيْهِ فَعَذَرَهَا • ٱلسَّادِسَةُ ضُبَاعَةُ بِنْتُ عَامِرِ ٱبْنِ قُرْطٍ خَطَبَهَا إِلَى ٱبْنِهَا سَلَمَةَ بْنِ هَاشِمٍ فَقَالَ حَتَّى أَسْتَأْمِرَهَا فَقِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهَا قَدْ كَبِرَتْ فَلَمَّا عَادَ ٱبْنُهَا وَقَدْ أَذِنَتْ لَهُ سَكَتَ عَنْهَا صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَنْكِحْهَا • ٱلسَّابِعَةُ أُمَامَةُ بِنْتُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ عُرِضَتْ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ هِيَ ٱبْنَةُ أَخِي مِنَ ٱلرَّضَاعَةِ • ٱلثَّامِنَةُ عَزَّةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ عَرَضَتْهَا أُخْتُهَا أُمُّ حَبِيبَةَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِي لِمَكَانِ أُخْتِهَا • وَقِيلَ تَزَوَّجَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ٱمْرَأَةً مِنْ جُنْدُعٍ وَهِيَ بِنْتُ جُنْدُبِ بْنِ ضَمْرَةَ وَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا وَأَنْكَرَهُ بَعْضُ ٱلرُّوَاةِ فَهٰؤُلَاءِ ٱلنِّسْوَةُ ٱللَّاتِي ذُكِرَ أَنَّهُ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَهُنَّ أَوْ خَطَبَهُنَّ أَوْ دَخَلَ بِهِنَّ أَوْ لَمْ يَدْخُلْ بِهِنَّ أَوْ عُرِضْنَ عَلَيْهِ * وَأَمَّا سَرَارِيهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ إِنَّهُنَّ أَرْبَعٌ: مَارِيَةُ ٱلْقِبْطِيَّةُ أُمُّ إِبْرَاهِيمَ ٱبْنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْدَاهَا لَهُ ٱلْمُقَوْقِسُ صَاحِبُ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَمَاتَتْ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُمَا فِي سَنَةِ سِتَّ عَشْرَةَ وَدُفِنَتْ بِٱلْبَقِيعِ • وَرَيْحَانَةُ ٱلْقُرَظِيَّةُ وَمَاتَتْ قَبْلَ وَفَاتِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سَنَةَ عَشْرٍ وَدُفِنَتْ بِٱلْبَقِيعِ • وَأُخْرَى وَهَبَتْهَا لَهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ • وَٱلرَّابِعَةُ أَصَابَهَا فِي بَعْضِ ٱلسَّبْيِ *

الفصل الرابع

فِي أَعْمَامِهِ وَعَمَّاتِهِ وَإِخْوَتِهِ مِنَ ٱلرَّضَاعَةِ وَجَدَّاتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ صَاحِبُ ذَخَائِرِ ٱلْعُقْبَى فِي مَنَاقِبِ ذَوِي ٱلْقُرْبَى وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اثْنَا عَشَرَ عَمًّا بَنُو عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ أَبُوهُ عَبْدُ ٱللهِ ثَالِثَ عَشَرِهِمْ: ٱلْحَارِثُ، وَأَبُو طَالِبٍ وَٱسْمُهُ عَبْدُ مَنَافٍ، وَٱلزُّبَيْرُ وَيُكْنَى أَبَا ٱلْحَارِثِ، وَحَمْزَةُ، وَأَبُو لَهَبٍ وَٱسْمُهُ عَبْدُ ٱلْعُزَّى، وَٱلْغَيْدَاقُ، وَٱلْمُقَوَّمُ، وَضِرَارٌ، وَٱلْعَبَّاسُ، وَقُثَمُ، وَعَبْدُ ٱلْكَعْبَةِ، وَحَجْلٌ وَيُسَمَّى ٱلْمُغِيرَةَ * أَمَّا حَمْزَةُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ وَيُكَنَّى أَبَا عُمَارَةَ وَأَبَا يَعْلَى فَكَانَ إِسْلَامُهُ فِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّانِيَةِ مِنَ ٱلْمَبْعَثِ وَقِيلَ فِي ٱلسَّادِسَةِ وَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ عِنْدَ ٱللهِ فِي ٱلسَّمَاءِ ٱلسَّابِعَةِ حَمْزَةُ أَسَدُ ٱللهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ وَقَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خَيْرُ أَعْمَامِي حَمْزَةُ وَأَوَّلُ رَايَةٍ عَقَدَهَا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لِأَحَدٍ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ كَانَتْ لِحَمْزَةَ وَأَوَّلُ سَرِيَّةٍ بَعَثَهَا كَانَتْ لَهُ وَشَهِدَ بَدْرًا وَٱسْتُشْهِدَ فِي وَقْعَةِ أُحُدٍ قَتَلَهُ وَحْشِيٌّ وَلَمَّا رَآهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتِيلًا بَكَى فَلَمَّا رَأَى مَا مُثِّلَ بِهِ شَهَقَ وَقَالَ لَنْ أُصَابَ بِمِثْلِكَ أَبَدًا مَا وَقَفْتُ مَوْقِفًا قَطُّ أَغْيَظَ لِي مِنْ هٰذَا وَقَالَ ٱبْنُ مَسْعُودٍ مَا رَأَيْنَا رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاكِيًا قَطُّ أَشَدَّ مِنْ بُكَائِهِ عَلَى حَمْزَةَ وَضَعَهُ فِي ٱلْقِبْلَةِ ثُمَّ وَقَفَ عَلَى جَنَازَتِهِ وَٱنْتَحَبَ حَتَّى نَشَغَ مِنَ ٱلْبُكَاءِ يَقُولُ يَا حَمْزَةُ يَا عَمَّ رَسُولِ ٱللهِ وَأَسَدَ ٱللهِ وَأَسَدَ رَسُولِهِ يَا حَمْزَةُ يَا فَاعِلَ ٱلْخَيْرَاتِ يَا حَمْزَةُ يَا كَاشِفَ ٱلْكُرُبَاتِ يَا حَمْزَةُ يَا ذَابًّا

عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللهِ. وَالنَّشْغُ الشَّهِيقُ. وكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ كَبَّرَ أَرْبَعًا وكَبَّرَ عَلَى حَمْزَةَ سَبْعِينَ تَكْبِيرَةً رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ. وكَانَ سِنُّ حَمْزَةَ يَوْمَ قُتِلَ تِسْعًا وخَمْسِينَ سَنَةً وَدُفِنَ هُوَ وَابْنُ أُخْتِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ. وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ كَانَ يَقُولُ كُنْتُ أَعْجَبُ لِقَاتِلِ حَمْزَةَ كَيْفَ يَنْجُو حَتَّى أَنَّهُ مَاتَ غَرِيقًا فِي الْخَمْرِ وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ بَلَغَنِي أَنَّ وَحْشِيًّا لَمْ يَزَلْ يُحَدُّ فِي الْخَمْرِ حَتَّى خُلِعَ مِنَ الدِّيوَانِ فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ قَاتِلَ حَمْزَةَ * وَأَمَّا الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْفَضْلِ فَقَدْ كَانَ أَسَنَّ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ وَكَانَ رَئِيسًا فِي قُرَيْشٍ وَإِلَيْهِ عِمَارَةُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَسْلَمَ قَبْلَ فَتْحِ خَيْبَرَ وَكَانَ يَكْتُمُ إِسْلَامَهُ وَأَظْهَرَهُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْرِمُهُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ وَيُعَظِّمُهُ وَقَالَ الْعَبَّاسُ عَمِّي وَصِنْوُ أَبِي مَنْ آذَاهُ آذَانِي وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَا عَمِّ لَا تَرِمْ مَنْزِلَكَ أَنْتَ وَبَنُوكَ غَدًا حَتَّى آتِيَكُمْ فَإِنَّ لِي فِيكُمْ حَاجَةً فَلَمَّا أَتَاهُمْ اشْتَمَلَ عَلَيْهِمْ بِمُلَاءَةٍ ثُمَّ قَالَ يَا رَبِّ هٰذَا عَمِّي وَصِنْوُ أَبِي وَهٰؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَاسْتُرْهُمْ مِنَ النَّارِ كَسَتْرِي إِيَّاهُمْ بِمُلَاءَتِي هٰذِهِ فَأَمَّنَتْ أُسْكُفَّةُ الْبَابِ وَحَوَائِطُ الْبَيْتِ فَقَالَتْ آمِينْ آمِينْ آمِينْ رَوَاهُ ابْنُ غَيْلَانَ وَغَيْرُهُ وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِلَفْظِ فَأَلْبَسَنَا كِسَاءً ثُمَّ قَالَ اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِلْعَبَّاسِ وَوَلَدِهِ مَغْفِرَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً لَا تُغَادِرُ ذَنْبًا اللّٰهُمَّ احْفَظْهُ فِي وَلَدِهِ. وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ أَيْضًا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ

ٱلْإِيمَانُ حَتَّىٰ يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ مَنْ آذَىٰ عَمِّي فَقَدْ آذَانِي فَإِنَّمَا عَمُّ ٱلرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ. وَتَكَرَّرَ دُعَاؤُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ وَلِبَنِيهِ وَمُحِبِّيهِ وَتُوُفِّيَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَهُوَ ٱبْنُ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَدُفِنَ بِٱلْبَقِيعِ وَكَانَ أَصْغَرَ أَعْمَامِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُسْلِمْ مِنْهُمْ إِلَّا هُوَ وَحَمْزَةُ وَأَسَنُّهُمُ ٱلْحَارِثُ * وَأَمَّا عَمَّاتُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنَاتُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ فَجُمْلَتُهُنَّ سِتٌّ: عَاتِكَةُ، وَأُمَيْمَةُ، وَٱلْبَيْضَاءُ وَهِيَ أُمُّ حَكِيمٍ، وَبَرَّةُ، وَصَفِيَّةُ، وَأَرْوَى * فَأَمَّا صَفِيَّةُ أُمُّ ٱلزُّبَيْرِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فَقَدْ أَسْلَمَتْ بِٱتِّفَاقٍ وَشَهِدَتِ ٱلْخَنْدَقَ وَقَتَلَتْ رَجُلًا مِنَ ٱلْيَهُودِ وَضَرَبَ لَهَا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بِسَهْمٍ وَتُوُفِّيَتْ بِٱلْمَدِينَةِ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ عِشْرِينَ وَلَهَا ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً وَدُفِنَتْ بِٱلْبَقِيعِ * وَأَمَّا عَاتِكَةُ وَأَرْوَى فَقَدِ ٱخْتُلِفَ فِي إِسْلَامِهِمَا * وَأَمَّا جَدَّاتُهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مِنْ أَبِيهِ: فَأُمُّ عَبْدِ ٱللَّهِ هِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرٍو ٱلْمَخْزُومِيَّةُ، وَأُمُّ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ سَلْمَى بِنْتُ عَمْرٍو ٱلنَّجَّارِيَّةُ، وَأُمُّ هَاشِمٍ عَاتِكَةُ بِنْتُ مُرَّةَ ٱلسُّلَيْمِيَّةُ، وَأُمُّ عَبْدِ مَنَافٍ عَاتِكَةُ بِنْتُ فَالِجٍ ٱلسُّلَيْمِيَّةُ أَيْضًا، وَأُمُّ قُصَيٍّ فَاطِمَةُ بِنْتُ سَعْدٍ ٱلْأَزْدِيَّةُ، وَأُمُّ كِلَابٍ نُعْمُ بِنْتُ سُرَيْرٍ ٱلْكِنَانِيَّةُ، وَأُمُّ مُرَّةَ وَخْشِيَّةُ بِنْتُ شَيْبَانَ ٱلْفَهْمِيَّةُ، وَأُمُّ كَعْبٍ سَلْمَى بِنْتُ مُحَارِبٍ ٱلْفَهْمِيَّةُ أَيْضًا، وَأُمُّ لُؤَيٍّ وَخْشِيَّةُ بِنْتُ مُدْلِجٍ ٱلْكِنَانِيَّةُ، وَأُمُّ غَالِبٍ سَلْمَى بِنْتُ سَعْدٍ ٱلْهُذَلِيَّةُ، وَأُمُّ فِهْرٍ جَنْدَلَةُ بِنْتُ ٱلْحَارِثِ ٱلْجُرْهُمِيَّةُ، وَأُمُّ مَالِكٍ هِنْدُ بِنْتُ عَدْوَانَ ٱلْقَيْسِيَّةُ، وَأُمُّ ٱلنَّضْرِ بَرَّةُ بِنْتُ مُرَّةَ ٱلْمُرِّيَّةُ * وَأَمَّا جَدَّاتُهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ

مِنْ أُمِّهِ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ الزُّهْرِيَّةِ: فَأُمُّ آمِنَةَ بَرَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْعُزَّى، وَأُمُّ أَبِيهَا وَهْبٍ عَاتِكَةُ بِنْتُ الْأَوْقَصِ السُّلَمِيَّةُ وَيُعْرَفُ أَبُوهَا بِأَبِي كَبْشَةَ وَهُوَ الَّذِي كَانُوا يَعْنُونَهُ بِقَوْلِهِمْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْبُدُ الشِّعْرَى وَلَمْ تَكُنِ الْعَرَبُ تَعْبُدُهَا وَقِيلَ ذَلِكَ أَبُوهُ مِنَ الرَّضَاعِ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى زَوْجُ حَلِيمَةَ، وَأُمُّ بَرَّةَ وَالِدَةِ آمِنَةَ هِيَ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَسَدٍ وَأُمُّهَا بَرَّةُ بِنْتُ عَوْفٍ وَالثَّلَاثَةُ قُرَشِيَّاتٌ، وَأُمُّ بَرَّةَ هَذِهِ قِلَابَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهُذَلِيَّةُ، وَأُمُّهَا هِنْدُ بِنْتُ يَرْبُوعٍ الثَّقَفِيَّةُ فَفِي كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عُقْلَةُ نَسَبٍ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ وَغَيْرُهُ فَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَفُ وَلَدِ آدَمَ حَسَبًا وَأَفْضَلُهُمْ نَسَبًا مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ * وَأَمَّا إِخْوَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الرَّضَاعَةِ: فَحَمْزَةُ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ أَرْضَعَتْهُمَا مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُوَيْبَةُ جَارِيَةُ أَبِي لَهَبٍ بِلَبَنِ ابْنِهَا مَسْرُوحِ بْنِ ثُوَيْبَةَ، وَأَبُو سُفْيَانَ ابْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَرْضَعَتْهُ وَرَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ، وَعَبْدُ اللَّهِ وَآسِيَةُ، وَحُذَافَةُ وَتُعْرَفُ بِالشَّيْمَاءِ، الثَّلَاثَةُ أَوْلَادُ حَلِيمَةَ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ خَيْلًا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَغَارَتْ عَلَى هَوَازِنَ فَأَخَذُوهَا فِي جُمْلَةِ السَّبْيِ فَقَالَتْ أَنَا أُخْتُ صَاحِبِكُمْ فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ لَهُ يَا مُحَمَّدُ أَنَا أُخْتُكَ فَرَحَّبَ بِهَا وَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ وَأَجْلَسَهَا عَلَيْهِ وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنْ أَحْبَبْتِ فَأَقِيمِي عِنْدِي مُكَرَّمَةً مُحَبَّبَةً وَإِنْ أَحْبَبْتِ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى قَوْمِكِ وَصَلْتُكِ قَالَتْ بَلْ أَرْجِعُ إِلَى

قَوْمِي فَأَسْلَمَتْ وَأَعْطَاهَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَعْبُدٍ وَجَارِيَةً وَنَعَماً وَشَاءً ☆ وَأَمَّا أُمَّهَاتُهُ مِنَ ٱلرَّضَاعَةِ : فَحَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي ذُؤَيْبٍ مِنْ هَوَازِنَ وَهِيَ ٱلَّتِي أَرْضَعَتْهُ حَتَّى أَكْمَلَتْ رَضَاعَهُ وَجَاءَتْهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَقَامَ إِلَيْهَا وَبَسَطَ رِدَاءَهُ لَهَا فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ وَكَذَا ثُوَيْبَةُ جَارِيَةُ أَبِي لَهَبٍ أَيْضاً وَٱخْتُلِفَ فِي إِسْلَامِهَا كَمَا ٱخْتُلِفَ فِي إِسْلَامِ حَلِيمَةَ وَزَوْجِهَا وَكَانَتْ ثُوَيْبَةُ تَدْخُلُ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ تَزَوَّجَ خَدِيجَةَ فَكَانَتْ تُكْرِمُهَا وَأَعْتَقَهَا أَبُو لَهَبٍ وَكَانَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يَبْعَثُ إِلَيْهَا مِنَ ٱلْمَدِينَةِ بِكِسْوَةٍ وَصِلَةٍ حَتَّى مَاتَتْ بَعْدَ فَتْحِ خَيْبَرَ . وَكَانَتْ حَاضِنَتُهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أُمَّ أَيْمَنَ بَرَكَةَ بِنْتَ ثَعْلَبَةَ أُمَّ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ مَوْلَاةَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَاجَرَتِ ٱلْهِجْرَتَيْنِ إِلَى أَرْضِ ٱلْحَبَشَةِ وَإِلَى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَتْ لِأَبِيهِ وَقِيلَ لِأُمِّهِ فَوَرِثَهَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يَقُولُ أُمُّ أَيْمَنَ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي . وَكَانَتِ ٱلشَّيْمَاءُ بِنْتُ حَلِيمَةَ ٱلسَّعْدِيَّةِ تَحْضُنُهُ مَعَ أُمِّهَا ☆

الفصل الخامس

فِي خَدَمِهِ وَحَرَسِهِ وَمَوَالِيهِ وَمَنْ كَانَ عَلَى نَفَقَاتِهِ وَخَاتَمِهِ وَنَعْلِهِ وَسِوَاكِهِ وَمَنْ يَأْذَنُ عَلَيْهِ وَمَنْ كَانَ يَضْرِبُ ٱلْأَعْنَاقَ بَيْنَ يَدَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَمَّا خَدَمُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمِنْهُمْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ٱلْأَنْصَارِيُّ ، وَرَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ ٱلْأَسْلَمِيُّ ، وَأَيْمَنُ بْنُ أُمِّ أَيْمَنَ ، وَعَبْدُ ٱللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ٱلْهُذَلِيُّ ، وَأَسْلَعُ بْنُ شَرِيكٍ ،

وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجُهَنِيُّ، وَسَعْدٌ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ، وَأَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ، وَمُهَاجِرٌ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ، وَحُنَيْنٌ وَالِدُ عَبْدِ اللهِ مَوْلَى الْعَبَّاسِ، وَنُعَيْمُ بْنُ رَبِيعَةَ الْأَسْلَمِيُّ، وَأَبُو الْحَمْرَاءِ هِلَالُ بْنُ الْحَارِثِ، وَأَبُو السَّمْحِ وَاسْمُهُ إِيَادٌ * وَمِنَ النِّسَاءِ بَرَكَةُ أُمُّ أَيْمَنَ الْحَبَشِيَّةُ وَهِيَ وَالِدَةُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَخَوْلَةُ جَدَّةُ حَفْصٍ، وَسَلْمَى أُمُّ رَافِعٍ زَوْجُ أَبِي رَافِعٍ، وَمَيْمُونَةُ بِنْتُ سَعْدٍ، وَأُمُّ عَيَّاشٍ مَوْلَاةُ رُقَيَّةَ بِنْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * وَكَانَ يَضْرِبُ الْأَعْنَاقَ بَيْنَ يَدَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَالْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ، وَالضَّحَّاكُ بْنُ سُفْيَانَ. وَكَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِمَنْزِلَةِ صَاحِبِ الشُّرْطَةِ ، وَكَانَ بِلَالٌ عَلَى نَفَقَاتِهِ، وَمُعَيْقِيبُ بْنُ أَبِي فَاطِمَةَ الدَّوْسِيُّ عَلَى خَاتَمِهِ، وَابْنُ مَسْعُودٍ عَلَى سِوَاكِهِ وَنَعْلِهِ، وَأَبُو رَافِعٍ وَاسْمُهُ أَسْلَمُ عَلَى ثِقَلِهِ * وَأَمَّا حُرَّاسُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَهُمْ: سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَيِّدُ الْأَوْسِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَبِلَالٌ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ، وَحَرَسَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ فِي الْعَرِيشِ يَوْمَ بَدْرٍ * وَأَمَّا مَوَالِيهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمِنْهُمْ: أُسَامَةُ، وَأَبُوهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حِبُّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَثَوْبَانُ، وَأَبُو كَبْشَةَ أَوْسٌ، وَشُقْرَانُ وَاسْمُهُ صَالِحٌ الْحَبَشِيُّ، وَرَبَاحٌ الْأَسْوَدُ النُّوبِيُّ وَكَانَ يَأْذَنُ عَلَيْهِ أَحْيَانًا إِذَا انْفَرَدَ، وَيَسَارٌ الرَّاعِي، وَزَيْدٌ أَبُو يَسَارٍ، وَمِدْعَمٌ عَبْدٌ أَسْوَدُ، وَأَبُو رَافِعٍ، وَرِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ الْجُذَامِيُّ، وَسَفِينَةُ، وَمَأْبُورٌ الْقِبْطِيُّ، وَوَاقِدٌ، وَأَبُو وَاقِدٍ، وَأَنْجَشَةُ الْحَادِي، وَسَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ،

وَشمعونُ بنُ زَيْدٍ أَبو رَيحانَةَ، وَأَبو بكْرَةَ نُفَيعُ بنُ الحارِثِ * وَمِنَ النِّساءِ: أُمُّ أَيمنَ الحَبَشيَّةُ وَسلْمى أُمُّ رافِعٍ زَوجُ أَبي رافِعٍ، وَمارِيَةُ، وَرَيحانَةُ، وَقَيصرُ أُختُ مارِيَةَ، وَغيرُ ذلِكَ قالَ ابنُ الجوزِيِّ مَوالِيهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلاثَةٌ وَأَربعونَ وَإِماؤُهُ إِحدى عَشْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُم أَجمعِينَ *

الفصل السادس

فِي أُمَرائِهِ وَرُسلِهِ وَكُتَّابِهِ وَكُتُبِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلى المُلوكِ وَغَيرِهِم

أَمَّا كُتَّابُهُ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فَهُم: أَبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ، وَعُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، وَعُثمانُ بنُ عَفَّانَ، وَعَلِيُّ بنُ أَبي طالِبٍ، وَطَلْحَةُ بنُ عَبدِ اللهِ، وَالزُّبيرُ بنُ العَوَّامِ، وَسَعيدُ بنُ العاصِ وَابناهُ أَبانٌ وَخالدٌ، وَسَعدُ بنُ أَبي وَقَّاصٍ، وَعامِرُ بنُ فُهيرَةَ، وَعبدُ اللهِ بنُ الأَرقمِ، وَأُبيُّ بنُ كَعبٍ، وَثابِتُ بنُ قَيسٍ، وَحَنظَلَةُ بنُ الرَّبيعِ، وَأَبو سُفيانَ صَخرُ بنُ حَربٍ، وَابناهُ مُعاوِيَةُ، وَيَزِيدُ، وَزَيدُ بنُ ثابِتٍ، وَشُرَحبيلُ بنُ حَسنَةَ، وَالعَلاءُ ابنُ الحَضرَميِّ، وَخالِدُ بنُ الوَليدِ، وَعَمرُو ابنُ العاصِ، وَالمُغيرَةُ بنُ شُعبَةَ، وَعَبدُ اللهِ بنُ رَواحَةَ، وَمُعَيقيبُ بنُ أَبي فاطِمَةَ الدَّوسيُّ، وَحُذَيفَةُ بنُ اليَمانِ، وَحُوَيْطِبُ بنُ عَبدِ العُزَّى العامِرِيُّ، وَعَبدُ اللهِ بنُ سَعدِ بنِ أَبي سَرحٍ، رَضِيَ اللهُ عَنهُم أَجمَعِينَ وَكانَ مُعاوِيَةُ وَزَيدُ ابنُ ثابِتٍ أَلزَمَهُم بِذلِكَ وَأَخَصَّهُم بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ * وَلَمَّا رَجَعَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ مِنَ الحُدَيبِيَةِ كَتَبَ إِلى الرُّومِ فَقِيلَ إِنَّهُم لا يَقرَؤُنَ كِتابًا

إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَخْتُوماً فَاتَّخَذَ خَاتَماً مِنْ فِضَّةٍ وَنَقَشَ فِيهِ ثَلاَثَةَ أَسْطُرٍ: مُحَمَّدٌ سَطْرٌ وَرَسُولُ سَطْرٌ وَٱللهُ سَطْرٌ وَخَتَمَ بِهِ ٱلْكِتَابَ. وَكَتَبَ إِلَى هِرَقْلَ «بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ ٱللهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ ٱلرُّومِ سَلاَمٌ عَلَى مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ ٱلْإِسْلاَمِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ ٱللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ ٱلْأَرِيسِيِّينَ وَيَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلاَّ ٱللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ ٱللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَأَرْسَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْكِتَابَ إِلَى هِرَقْلَ مَعَ دِحْيَةَ ٱلْكَلْبِيِّ فَلَمَّا قُرِئَ غَضِبَ ٱبْنُ أَخِي قَيْصَرَ غَضَباً شَدِيداً وَقَالَ أَرِنِي ٱلْكِتَابَ فَقَالَ وَمَا تَصْنَعُ بِهِ فَقَالَ إِنَّهُ بَدَأَ بِنَفْسِهِ وَسَمَّاكَ صَاحِبَ ٱلرُّومِ فَقَالَ لَهُ عَمُّهُ وَٱللهِ إِنَّكَ لَضَعِيفُ ٱلرَّأْيِ تُرِيدُ أَنْ أَرْمِيَ كِتَابَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ ٱلنَّامُوسُ ٱلْأَكْبَرُ لَئِنْ كَانَ رَسُولَ ٱللهِ إِنَّهُ لَأَحَقُّ أَنْ يَبْدَأَ بِنَفْسِهِ وَقَدْ صَدَقَ أَنَا صَاحِبُ ٱلرُّومِ ثُمَّ أَمَرَ بِإِنْزَالِ دِحْيَةَ وَإِكْرَامِهِ. وَقَوْلُهُ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ ٱلْأَرِيسِيِّينَ أَيْ فَإِنَّ عَلَيْكَ مَعَ إِثْمِكَ إِثْمَ ٱلْأَتْبَاعِ وَٱلْأَرِيسِيُّ ٱلْفَلاَّحُ * وَقَدْ كَتَبَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى كِسْرَى «بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ ٱللهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسٍ سَلاَمٌ عَلَى مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَى وَآمَنَ بِٱللهِ وَرَسُولِهِ وَشَهِدَ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ ٱللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنِّي رَسُولُ ٱللهِ إِلَى ٱلنَّاسِ كُلِّهِمْ لِأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ أَسْلِمْ تَسْلَمْ فَإِنْ

تَوَلَّيتَ فعليكَ إثمُ المجوسِ» وبعثَ الكتابَ إلى كسرى معَ عبدِ اللهِ بنِ حذافةَ السهميِّ فلمَّا قُرِئَ عليهِ مزَّقهُ فبلغَ ذلكَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ مُزِّقَ مُلْكُهُ. وَفي كتابِ الأموالِ لأبي عبيدٍ عنْ عُميرِ بنِ إسحاقَ قالَ كتبَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلى كسرى وقيصرَ فأمَّا كسرى فلمَّا قرأَ الكتابَ مزَّقهُ وأمَّا قيصرُ فلمَّا قرأَ الكتابَ طواهُ ثمَّ رفعهُ فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أمَّا هؤلاءِ فيُمزَّقونَ وأمَّا هؤلاءِ فسيكونُ لهمْ بقيَّةٌ وَرُوِيَ أنَّهُ لمَّا جاءَهُ جوابُ كسرى قالَ مُزِّقَ مُلْكُهُ ولمَّا جاءهُ جوابُ هرقلَ قالَ ثبتَ مُلْكُهُ * وكتبَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلى النجاشيِّ «بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ منْ محمَّدٍ رسولِ اللهِ إلى النجاشيِّ ملكِ الحبشةِ أمَّا بعدُ فإنِّي أحمدُ إليكَ اللهَ الذي لا إلهَ إلاَّ هوَ الملكُ القدوسُ السلامُ المؤمنُ المهيمنُ وأشهدُ أنَّ عيسى بنَ مريمَ روحُ اللهِ وكلمتهُ ألقاها إلى مريمَ البتولِ الطيِّبةِ الحصينةِ فحملتْ بعيسى فخلقهُ منْ روحهِ ونفخهِ كما خلقَ آدمَ بيدهِ وإنِّي أدعوكَ إلى اللهِ وحدهُ لا شريكَ لهُ والموالاةِ على طاعتهِ وأنْ تتبعني وتؤمنَ بالذي جاءني فإنِّي رسولُ اللهِ وإنِّي أدعوكَ وجنودكَ إلى اللهِ تعالى وقدْ بلَّغتُ ونصحتُ فاقبلوا نصيحتي وقدْ بعثتُ إليكمْ ابنَ عمِّي جعفرًا ومعهُ نفرٌ منَ المسلمينَ والسلامُ على منِ اتَّبعَ الهدى» وبعثَ الكتابَ معَ عمرِو بنِ أميَّةَ الضمريِّ فقالَ النجاشيُّ أشهدُ باللهِ إنَّهُ النبيُّ الأميُّ الذي ينتظرهُ أهلُ الكتابِ وإنَّ بشارةَ موسى براكبِ الحمارِ كبشارةِ عيسى براكبِ الجملِ ثمَّ كتبَ النجاشيُّ جوابَ الكتابِ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ «بسمِ اللهِ

ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ ٱلنَّجَاشِيِّ أَصْحَمَةَ
سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ وَرَحْمَةُ ٱللّٰهِ وَبَرَكَاتُ ٱللّٰهِ ٱلَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلَّذِي
هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ فَمَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ عِيسَى
فَوَرَبِّ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ عِيسَى لَا يَزِيدُ عَلَى مَا ذَكَرْتَ ثُفْرُوقًا إِنَّهُ كَمَا ذَكَرْتَ
وَقَدْ عَرَفْنَا مَا بُعِثْتَ بِهِ إِلَيْنَا فَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ ٱللّٰهِ صَادِقًا مُصَدَّقًا وَقَدْ بَايَعْتُكَ
وَبَايَعْتُ ٱبْنَ عَمِّكَ وَأَسْلَمْتُ عَلَى يَدَيْهِ لِلّٰهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِٱبْنِي وَإِنْ
شِئْتَ أَتَيْتُكَ بِنَفْسِي فَعَلْتُ يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ مَا تَقُولُهُ حَقٌّ وَٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ
وَرَحْمَةُ ٱللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ» ثُمَّ إِنَّهُ أَرْسَلَ ٱبْنَهُ فِي سِتِّينَ نَفْسًا فِي أَثَرِ مَنْ أَرْسَلَهُ مِنْ
عِنْدِهِ مَعَ جَعْفَرِ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ فَغَرِقَ ٱبْنُهُ وَمَنْ مَعَهُ وَوَافَى جَعْفَرٌ وَأَصْحَابُهُ رَسُولَ
ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانُوا سَبْعِينَ رَجُلًا عَلَيْهِمْ ثِيَابُ ٱلصُّوفِ مِنْهُمُ ٱثْنَانِ
وَسِتُّونَ مِنَ ٱلْحَبَشَةِ وَثَمَانِيَةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلشَّامِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قُرْآنًا سُورَةَ يس إِلَى آخِرِهَا فَبَكَوْا حِينَ سَمِعُوا ٱلْقُرْآنَ وَآمَنُوا وَقَالُوا مَا أَشْبَهَ
هٰذَا بِمَا كَانَ يَنْزِلُ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وَفِيهِمْ أَنْزَلَ ٱللّٰهُ «وَلَتَجِدَنَّ
أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى» إِلَى آخِرِ ٱلْآيَةِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا
مِنْ أَصْحَابِ ٱلصَّوَامِعِ. وَٱلثُّفْرُوقُ عِلَاقَةٌ مَا بَيْنَ ٱلنَّوَاةِ وَٱلْقُمْعِ * وَكَتَبَ
عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إِلَى ٱلْمُقَوْقِسِ مَلِكِ مِصْرَ وَٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ «بِسْمِ ٱللّٰهِ
ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ ٱللّٰهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلْمُقَوْقِسِ عَظِيمِ ٱلْقِبْطِ سَلَامٌ عَلَى
مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ ٱلْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ ٱللّٰهُ

أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْقِبْطِ وَيَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» وَبَعَثَ بِهِ مَعَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ فَأَخَذَ كِتَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَهُ فِي حُقٍّ مِنْ عَاجٍ وَدَفَعَهُ لِجَارِيَةٍ لَهُ ثُمَّ دَعَا كَاتِبًا لَهُ يَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ فَكَتَبَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ مُقَوْقِسٍ عَظِيمِ الْقِبْطِ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَهُ وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ نَبِيًّا بَقِيَ وَقَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يَخْرُجَ بِالشَّامِ وَقَدْ أَكْرَمْتُ رَسُولَكَ وَبَعَثْتُ إِلَيْكَ بِجَارِيَتَيْنِ لَهُمَا مَكَانٌ مِنَ الْقِبْطِ عَظِيمٌ وَبِكِسْوَةٍ وَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ بَغْلَةً لِتَرْكَبَهَا وَالسَّلَامُ» وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ يُسْلِمْ * وَكَتَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوِي كِتَابًا يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَبَعَثَ بِهِ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ فَكَتَبَ الْمُنْذِرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَمَّا بَعْدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنِّي قَرَأْتُ كِتَابَكَ عَلَى أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَحَبَّ الْإِسْلَامَ وَأَعْجَبَهُ وَدَخَلَ فِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ كَرِهَهُ وَبِأَرْضِي يَهُودٌ وَمَجُوسٌ فَأَحْدِثْ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ أَمْرَكَ» فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوِي سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُذَكِّرُكَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ مَنْ يَنْصَحْ فَإِنَّمَا يَنْصَحُ لِنَفْسِهِ وَإِنَّهُ مَنْ يُطِعْ رُسُلِي وَيَتَّبِعْ أَمْرَهُمْ فَقَدْ

أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وإنّ رسلي قد أثنوا عليك خيرًا وإنّي قد
شفّعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب
فاقبل منهم وإنّك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهوديّته أو
مجوسيّته فعليه الجزية» * وكتب عليه الصلاة والسلام إلى ملكي عمان باليمن
وبعثه مع عمرو بن العاص «بسم الله الرحمن الرحيم من محمّد عبد الله ورسوله
إلى جيفر وعبد ابني الجلندى سلام على من اتّبع الهدى أمّا بعد فإنّي أدعوكما
بدعاية الإسلام أسلما تسلما فإنّي رسول الله إلى الناس كافّة لأنذر من كان
حيًّا ويحقّ القول على الكافرين وإنّكما إن أقررتما بالإسلام ولّيتكما وإن
أبيتما أن تقرّا بالإسلام فإنّ ملككما زائل عنكما وخيلي تحلّ بساحتكما وتظهر
نبوّتي على ملككما» وكتب أبيّ بن كعب وختم الكتاب فأجابا إلى
الإسلام قال عمرو وخلّيا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لي
عونًا على من خالفني * وكتب صلّى الله عليه وسلّم إلى صاحب اليمامة هوذة
ابن عليّ وأرسل به مع سليط بن عمرو العامريّ «بسم الله الرحمن الرحيم من
محمّد رسول الله إلى هوذة بن عليّ سلام على من اتّبع الهدى واعلم أنّ ديني
سيظهر إلى منتهى الخفّ والحافر فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك» فلمّا
قدم عليه سليط بكتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مختومًا أنزله وحيّاه
وقرأ عليه الكتاب فردّ ردًّا دون ردّ وكتب إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ما
أحسن ما تدعو إليه وأجمله والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الأمر

أَتْبعكَ وأَجازَ سَليطاً بجائزةٍ وكَساهُ أَثواباً مِنْ نَسْجِ هجرَ فقَدِمَ بذلكَ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فأَخبرهُ وقرأَ كِتابهُ فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لوْ سأَلني سَيابةً أَيْ قطعةً منَ الأَرضِ مافعلتُ بادَ وبادَ ما في يدهِ فلمَّا انصرفَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ منَ الفتحِ جاءَ جبريلُ عليهِ السلامُ فقالَ إنَّ هوذةَ ماتَ فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَمَا إنَّ اليمامةَ سيظهرُ بها كذَّابٌ يتنبَّأُ يُقتلُ بعدي فكانَ كذلكَ * وكتبَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلى الحارثِ بنِ أَبي شمرٍ الغسانيِّ وكانَ بدمشقَ بغوطتِها «بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ منْ محمدٍ رسولِ اللهِ إلى الحارثِ بنِ أَبي شمرٍ سلامٌ على منِ اتَّبعَ الهدى وآمنَ باللهِ وصدَّقَ وإنِّي أَدعوكَ إلى أَنْ تؤْمنَ باللهِ وحدهُ لاشريكَ لهُ يبقى لكَ ملككَ» وأَرسلهُ معَ شجاعِ ابنِ وهبٍ فلمْ يُسلمْ فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بادَ وبادَ ملكهُ * وقدمَ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ تميمُ بنُ أَوسٍ الداريُّ في ستةِ نفرٍ منَ الداريِّينَ فأَسلموا وسأَلوهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَنْ يعطيهمْ أَرضاً منْ أَرضِ الشامِ فأَعطاهمْ إيَّاها وكتبَ لهمْ فيها كتاباً نسختهُ «بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ هذا كتابٌ ذُكرَ فيهِ ماوهبَ محمدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ للداريِّينَ إذا أَعطاهُ اللهُ الأَرضَ وهبَ لهمْ بيتَ عينونَ وحبرونَ والمرطومَ وبيتَ إبراهيمَ ومنْ فيهمْ إلى الأَبدِ الأَبدِ شهدَ عباسُ بنُ عبدِ المطلبِ وخزيمةُ بنُ قيسٍ وشرحبيلُ بنُ حسنةَ وكتبَ» ثمَّ قالَ انصرفوا حتى تسمعوا أَنِّي قدْ هاجرتُ أَيْ رجعتُ إلى المدينةِ لأَنَّ قدومهمْ كانَ عندَ انصرافهِ منْ تبوكَ فلمَّا رجعَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلى المدينةِ قدموا

عَلَيْهِ فَسَأَلُوهُ أَنْ يُجَدِّدَ لَهُمْ كِتَابًا آخَرَ فَكَتَبَ كِتَابًا نُسْخَتُهُ «بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ هٰذَا مَا أَنْطَى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ لِتَمِيمٍ الدَّارِيِّ وَأَصْحَابِهِ إِنِّي قَدْ أَنْطَيْتُهُمْ بَيْتَ عَيْنٍ وَحَبْرُونَ وَالْمَرْطُومَ وَبَيْتَ إِبْرَاهِيمَ بِرُمَّتِهِمْ وَجَمِيعِ مَا فِيهِمْ نَطِيَّةَ بَتٍّ وَنَفَّذْتُ وَسَلَّمْتُ ذٰلِكَ لَهُمْ وَلِأَعْقَابِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ أَبَدًا الْأَبَدِ فَمَنْ آذَاهُمْ فِيهِ آذَاهُ اللّٰهُ شَهِدَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَكَتَبَ» فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ وَجَنَّدَ الْجُنُودَ إِلَى الشَّامِ كَتَبَ لَهُمْ بِذٰلِكَ كِتَابًا * وَكَتَبَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُوحَنَّا بْنِ رُؤْبَةَ صَاحِبِ أَيْلَةَ لَمَّا أَتَاهُ بِتَبُوكَ وَصَالَحَ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْطَاهُ الْجِزْيَةَ «بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ هٰذِهِ أَمَنَةٌ مِنَ اللّٰهِ وَمُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللّٰهِ لِيُوحَنَّا بْنِ رُؤْبَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةَ أَسَاقِفَتِهِمْ وَسَائِرِهِمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ لَهُمْ ذِمَّةُ اللّٰهِ وَذِمَّةُ النَّبِيِّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْبَحْرِ فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا فَإِنَّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ طَيِّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يَمْنَعُوا مَاءً يَرِدُونَهُ وَلَا طَرِيقًا يُرِيدُونَهُ مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ» * وَكَتَبَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَهْلِ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ لَمَّا أَتَوْهُ بِتَبُوكَ أَيْضًا وَأَعْطَوْهُ الْجِزْيَةَ «بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ هٰذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللّٰهِ لِأَهْلِ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ إِنَّهُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللّٰهِ وَأَمَانِ مُحَمَّدٍ وَإِنَّ عَلَيْهِمْ مِائَةَ دِينَارٍ فِي كُلِّ رَجَبٍ وَافِيَةً طَيِّبَةً وَاللّٰهُ كَفِيلٌ عَلَيْهِمْ بِالنُّصْحِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَمَنْ لَجَأَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَخَافَةِ» *

وَعَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ضُمَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ لِجَدِّهِ «بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ هٰذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ ٱللهِ لِأَبِي ضُمَيْرَةَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْتَقَهُمْ وَإِنَّهُمْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنَ ٱلْعَرَبِ إِنْ أَحَبُّوا أَقَامُوا عِنْدَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ أَحَبُّوا رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ فَلَا يُعْرَضُ لَهُمْ إِلَّا بِحَقٍّ وَمَنْ لَقِيَهُمْ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ فَلْيَسْتَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا وَكَتَبَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ» وَلَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُتُبٌ غَيْرُ هٰذِهِ فِي بَيَانِ ٱلزَّكَاةِ وَٱلْأَحْكَامِ * وَأَمَّا أُمَرَاؤُهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فَمِنْهُمْ بَاذَانُ بْنُ سَامَانَ مِنْ وَلَدِ بَهْرَامَ أَمَّرَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ٱلْيَمَنِ وَأَمَّرَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صَنْعَاءَ خَالِدَ بْنَ سَعِيدٍ وَوَلَّى زِيَادَ بْنَ لَبِيدٍ ٱلْأَنْصَارِيَّ حَضْرَمَوْتَ وَأَبَا مُوسَى ٱلْأَشْعَرِيَّ زَبِيدَ وَعَدَنَ وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ ٱلْجَنَدَ بِٱلْيَمَنِ وَأَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ نَجْرَانَ وَٱبْنَهُ يَزِيدَ تَيْمَاءَ وَعَتَّابَ بْنَ أَسِيدٍ مَكَّةَ وَإِقَامَةَ ٱلْمَوْسِمِ وَٱلْحَجَّ بِٱلْمُسْلِمِينَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ٱلْقَضَاءَ بِٱلْيَمَنِ وَعَمْرَو بْنَ ٱلْعَاصِ عُمَانَ وَأَعْمَالَهَا وَأَبَا بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقَ إِقَامَةَ ٱلْحَجِّ سَنَةَ تِسْعٍ وَبَعَثَ فِي أَثَرِهِ عَلِيًّا فَقَرَأَ عَلَى ٱلنَّاسِ سُورَةَ بَرَاءَةَ وَقَدْ وَلَّى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ٱلصَّدَقَاتِ جَمَاعَةً كَثِيرَةً * وَأَمَّا رُسُلُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بَعَثَ سِتَّةَ نَفَرٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ سَنَةَ سَبْعٍ فَأَصْبَحَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ بُعِثَ إِلَيْهِمْ وَكَانَ أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ ٱلضَّمْرِيُّ إِلَى ٱلنَّجَاشِيِّ مَلِكِ ٱلْحَبَشَةِ وَبَعَثَ دِحْيَةَ بْنَ خَلِيفَةَ ٱلْكَلْبِيَّ إِلَى قَيْصَرٍ وَعَبْدَ ٱللهِ

ٱلسَّهْمِيَّ إِلَى كِسْرَى وَحَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى ٱلْمُقَوْقِسِ وَشُجَاعَ بْنَ وَهْبٍ إِلَى مَلِكِ ٱلْبَلْقَاءِ ٱلْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ ٱلْغَسَّانِيِّ وَسَلِيطَ بْنَ عَمْرٍو ٱلْعَامِرِيَّ إِلَى هَوْذَةَ وَإِلَى ثُمَامَةَ بْنِ أُثَالٍ ٱلْحَنَفِيِّ وَعَمْرَو بْنَ ٱلْعَاصِ إِلَى جَيْفَرٍ وَعَبْدٍ ٱبْنَيِ ٱلْجُلُنْدَى بِعُمَانَ وَٱلْعَلَاءَ بْنَ ٱلْحَضْرَمِيِّ إِلَى ٱلْمُنْذِرِ بْنِ سَاوِي مَلِكِ ٱلْبَحْرَيْنِ وَٱلْمُهَاجِرَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ ٱلْمَخْزُومِيَّ إِلَى ٱلْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ ٱلْحِمْيَرِيِّ بِٱلْيَمَنِ وَأَبَا مُوسَى ٱلْأَشْعَرِيَّ وَمُعَاذَ ٱبْنَ جَبَلٍ إِلَى ٱلْيَمَنِ عِنْدَ ٱنْصِرَافِهِ مِنْ تَبُوكَ وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَ ذٰلِكَ إِلَيْهِمْ وَجَرِيرَ بْنَ عَبْدِ ٱللهِ ٱلْبَجَلِيَّ إِلَى ذِي ٱلْكَلَاعِ وَذِي عَمْرٍو وَعَمْرَو بْنَ أُمَيَّةَ ٱلضَّمْرِيَّ إِلَى مُسَيْلِمَةَ ٱلْكَذَّابِ وَبَعَثَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى فَرْوَةَ بْنِ عَمْرٍو ٱلْجُذَامِيِّ وَكَانَ عَامِلًا لِقَيْصَرَ فِي مَعَانَ يَدْعُوهُ إِلَى ٱلْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ وَكَتَبَ إِلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْلَامِهِ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِهَدِيَّةٍ مَعَ مَسْعُودِ بْنِ سَعْدٍ وَهِيَ بَغْلَةٌ شَهْبَاءُ يُقَالُ لَهَا فِضَّةُ وَفَرَسٌ يُقَالُ لَهَا ٱلظَّرِبُ وَحِمَارٌ يُقَالُ لَهُ يَعْفُورٌ وَبَعَثَ إِلَيْهِ أَثْوَابًا وَقَبَاءً سُنْدُسِيًّا مُذْهَبًا فَقَبِلَ هَدِيَّتَهُ وَوَهَبَ لِمَسْعُودٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَبَعَثَ لِأَخْذِ ٱلصَّدَقَاتِ هِلَالَ ٱلْمُحَرَّمِ سَنَةَ تِسْعٍ عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ ٱلْفَزَارِيَّ إِلَى تَمِيمٍ وَبُرَيْدَةَ إِلَى أَسْلَمَ وَغِفَارَ وَعَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ إِلَى سُلَيْمٍ وَمُزَيْنَةَ وَرَافِعَ بْنَ مَكِيثٍ إِلَى جُهَيْنَةَ وَعَمْرَو بْنَ ٱلْعَاصِ إِلَى فَزَارَةَ وَٱلضَّحَّاكَ بْنَ سُفْيَانَ إِلَى بَنِي كِلَابٍ وَبُسْرَ بْنَ سُفْيَانَ ٱلْكَعْبِيَّ إِلَى بَنِي كَعْبٍ وَعَبْدَ ٱللهِ بْنَ ٱللُّتْبِيَّةِ إِلَى ذُبْيَانَ وَبَعَثَ رَجُلًا مِنْ سَعْدِ هُذَيْمٍ إِلَى قَوْمِهِ *

الفصل السابع

فِي مُؤَذِّنِيهِ وَحُدَاتِهِ وَشُعَرَائِهِ وَخَطِيبِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَمَّا مُؤَذِّنُوهُ فَأَرْبَعَةٌ ٱثْنَانِ بِٱلْمَدِينَةِ وَهُمَا بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ وَعَمْرُو بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ٱلْقُرَشِيُّ ٱلْأَعْمَى وَأَذَّنَ لَهُ بِقُبَاءَ سَعْدُ ٱلْقَرَظِ مَوْلَى عَمَّارٍ وَأَذَّنَ لَهُ بِمَكَّةَ أَبُو مَحْذُورَةَ أَوْسٌ ٱلْجُمَحِيُّ ٱلْمَكِّيُّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ * وَأَمَّا شُعَرَاؤُهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ٱلَّذِينَ كَانُوا يَذُبُّونَ عَنِ ٱلْإِسْلَامِ فَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ وَعَبْدُ ٱللهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ٱلْأَنْصَارِيُّونَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ * وَكَانَ خَطِيبَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ ٱلْأَنْصَارِيُّ وَكَانَ يَحْدُو بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فِي ٱلسَّفَرِ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَعَامِرُ بْنُ ٱلْأَكْوَعِ وَأَنْجَشَةُ ٱلْعَبْدُ ٱلْأَسْوَدُ وَٱلْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ *

الفصل الثامن

فِي آلَاتِ حَرْبِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَدُرُوعِهِ وَأَقْوَاسِهِ وَمِنْطَقَتِهِ وَأَتْرَاسِهِ

أَمَّا أَسْيَافُهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فَتِسْعَةٌ: مَأْثُورٌ وَهُوَ أَوَّلُ سَيْفٍ مَلَكَهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وَٱلْعَضْبُ، وَذُو ٱلْفَقَارِ لِأَنَّهُ كَانَ فِي وَسَطِهِ مِثْلُ فَقَرَاتِ ٱلظَّهْرِ، وَٱلْقَلَعِيُّ أَصَابَهُ مِنْ قَلَعٍ مَوْضِعٍ بِٱلْبَادِيَةِ، وَٱلْبَتَّارُ أَيِ ٱلْقَاطِعُ، وَٱلْحَتْفُ وَهُوَ ٱلْمَوْتُ، وَٱلْمِخْذَمُ وَهُوَ ٱلْقَاطِعُ، وَٱلرَّسُوبُ أَيْ يَمْضِي فِي ٱلضَّرِيبَةِ، وَٱلْقَضِيبُ

وَهُوَ ٱللَّطِيفُ مِنَ ٱلسُّيُوفِ * وَأَمَّا أَدْرَاعُهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فَسَبْعَةٌ: ذَاتُ ٱلْفُضُولِ وَذَاتُ ٱلْوِشَاحِ، وَذَاتُ ٱلْحَوَاشِي، وَٱلسُّغْدِيَّةُ نِسْبَةٌ لِمَوْضِعٍ، وَفِضَّةُ وَٱلْبَتْرَاءُ لِقِصَرِهَا، وَٱلْخِرْنِقُ بِٱسْمِ وَلَدِ ٱلْأَرْنَبِ * وَأَمَّا أَقْوَاسُهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فَسِتَّةٌ: ٱلزَّوْرَاءُ، وَٱلرَّوْحَاءُ، وَٱلصَّفْرَاءُ، وَشَوْحَطُ، وَٱلْكَتُومُ، وَٱلسَّدَادُ. وَكَانَتْ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعْبَةٌ تُدْعَى ٱلْكَافُورَ وَمِنْطَقَةٌ مِنْ أَدِيمٍ فِيهَا ثَلَاثُ حِلَقٍ مِنْ فِضَّةٍ وَٱلْإِبْزِيمُ مِنْ فِضَّةٍ وَٱلطَّرَفُ مِنْ فِضَّةٍ * وَأَمَّا أَتْرَاسُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَكَانَ لَهُ تُرْسٌ ٱسْمُهُ ٱلزَّلُوقُ يَزْلَقُ عَنْهُ ٱلسِّلَاحُ، وَتُرْسٌ يُقَالُ لَهُ ٱلْفَتَقُ، وَتُرْسٌ أُهْدِيَ إِلَيْهِ فِيهِ صُورَةُ تِمْثَالِ عُقَابٍ أَوْ كَبْشٍ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَأَذْهَبَ ٱللهُ ذَلِكَ ٱلتِّمْثَالَ * وَأَمَّا أَرْمَاحُهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: فَٱلْمُثْوِي لِأَنَّهُ يُثْبِتُ ٱلْمَطْعُونَ بِهِ، وَٱلْمُتَثَنِّي، وَرُمْحَانِ آخَرَانِ. وَكَانَتْ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرْبَةٌ كَبِيرَةٌ ٱسْمُهَا ٱلْبَيْضَاءُ، وَحَرْبَةٌ صَغِيرَةٌ دُونَ ٱلرُّمْحِ يُقَالُ لَهَا ٱلْعَنَزَةُ، وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مِغْفَرٌ مِنْ حَدِيدٍ يُسَمَّى ٱلسُّبُوغَ، وَآخَرُ يُسَمَّى ٱلْمُوَشَّحَ. وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فُسْطَاطٌ يُسَمَّى ٱلْكِنَّ، وَكَانَ لَهُ مِحْجَنٌ قَدْرُ ذِرَاعٍ يَمْشِي وَيَرْكَبُ بِهِ وَيُعَلِّقُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى بَعِيرِهِ، وَكَانَ لَهُ مِخْصَرَةٌ تُسَمَّى ٱلْعُرْجُونَ، وَقَضِيبٌ مِنَ ٱلشَّوْحَطِ يُسَمَّى ٱلْمَمْشُوقَ، وَكَانَ لَهُ قَدَحٌ يُسَمَّى ٱلرَّيَّانَ، وَآخَرُ يُسَمَّى مُغِيثًا، وَقَدَحٌ مُضَبَّبٌ بِسِلْسِلَةٍ مِنْ فِضَّةٍ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ، وَآخَرُ مِنْ عَيْدَانٍ وَٱلْعَيْدَانَةُ ٱلنَّخْلَةُ ٱلسَّحُوقُ، وَآخَرُ مِنْ زُجَاجٍ، وَتَوْرٌ أَيْ إِنَاءٌ مِنْ حِجَارَةٍ يُسَمَّى ٱلْمِخْضَبَ، وَرَكْوَةٌ تُسَمَّى ٱلصَّادِرَةَ، وَمِخْضَبٌ مِنْ نُحَاسٍ

وَمُغْتَسَلٌ مِنْ صُفْرٍ، وَمُدْهُنٌ مِنْ عَاجٍ، وَرَبْعَةٌ إِسْكَنْدَرَانِيَّةٌ يَجْعَلُ فِيهَا الْمِرْآةَ وَمِشْطًا مِنْ عَاجٍ وَالْمُكْحُلَةَ يَكْتَحِلُ مِنْهَا عِنْدَ النَّوْمِ ثَلَاثًا، وَالْمِقْرَاضَ، وَالسِّوَاكَ، وَكَانَتْ لَهُ قَصْعَةٌ تُسَمَّى الْغَرَّاءَ بِأَرْبَعِ حِلَقٍ، وَصَاعٌ، وَمُدٌّ، وَقَطِيفَةٌ، وَسَرِيرٌ قَوَائِمُهُ مِنْ سَاجٍ، وَفِرَاشٌ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهُ لِيفٌ، وَخَاتَمٌ مِنْ حَدِيدٍ مَلْوِيٌّ بِفِضَّةٍ، وَخَاتَمُ فِضَّةٍ فَصُّهُ مِنْهُ يَجْعَلُهُ فِي يَمِينِهِ وَقِيلَ كَانَ أَوَّلًا فِي يَمِينِهِ ثُمَّ حَوَّلَهُ إِلَى يَسَارِهِ مَنْقُوشٌ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَهْدَى لَهُ النَّجَاشِيُّ خُفَّيْنِ سَاذَجَيْنِ فَلَبِسَهُمَا. وَكَانَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُبَّةُ سُنْدُسٍ أَخْضَرَ وَجُبَّةٌ طَيَالِسَةٌ وَجُبَّةٌ ثَالِثَةٌ يَلْبَسُهُنَّ فِي الْحَرْبِ. وَعِمَامَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّحَابُ وَأُخْرَى سَوْدَاءُ وَرِدَاءٌ*

الفصل التاسع

فِي ذِكْرِ خَيْلِهِ وَلِقَاحِهِ وَدَوَابِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَمَّا خَيْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَالسَّكْبُ أَيْ كَثِيرُ الْجَرْيِ، وَالْمُرْتَجِزُ سُمِّيَ بِهِ لِحُسْنِ صَهِيلِهِ، وَالظَّرِبُ سُمِّيَ بِهِ لِقُوَّتِهِ وَصَلَابَةِ رِجْلَيْهِ، وَاللَّحِيفُ سُمِّيَ بِهِ لِسِمَنِهِ وَكِبَرِهِ، وَاللِّزَازُ سُمِّيَ بِهِ لِشِدَّةِ تَلَزُّزِهِ وَاجْتِمَاعِ خَلْقِهِ، وَالْوَرْدُ، وَسَبْحَةُ مِنْ قَوْلِهِمْ فَرَسٌ سَابِحٌ إِذَا كَانَ حَسَنَ مَدِّ الْيَدَيْنِ فِي الْجَرْيِ، وَالْبَحْرُ وَكَانَ كُمَيْتًا، وَالسَّجْلُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ سَجَلْتُ الْمَاءَ فَانْسَجَلَ أَيْ صَبَبْتُهُ فَانْصَبَّ، وَذُو اللِّمَّةِ، وَذُو الْعُقَّالِ، وَالسِّرْحَانُ، وَالطِّرْفُ، وَالْمُرْتَجِلُ، وَالْمِرْوَاحُ مِنَ الرِّيحِ لِسُرْعَتِهِ، وَمُلَاوِحٌ، وَالْمَنْدُوبُ، وَالنَّجِيبُ، وَالْيَعْبُوبُ، وَالْيَعْسُوبُ. وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ

ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مِنَ ٱلْبِغَالِ : دُلْدُلُ وَكَانَتْ شَهْبَاءَ، وَفِضَّةُ، وَأُخْرَى أَهْدَاهَا لَهُ صَاحِبُ أَيْلَةَ، وَأُخْرَى مِنْ دُومَةِ ٱلْجَنْدَلِ، وَأُخْرَى مِنْ عِنْدِ ٱلنَّجَاشِيِّ. وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مِنَ ٱلْحَمِيرِ: عُفَيْرٌ، وَيَعْفُورٌ، وَأَعْطَاهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ حِمَارًا فَرَكِبَهُ. وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مِنَ ٱللِّقَاحِ : ٱلْقَصْوَاءُ وَهِيَ ٱلَّتِي هَاجَرَ عَلَيْهَا، وَٱلْعَضْبَاءُ، وَٱلْجَدْعَاءُ، وَلَمْ يَكُنْ بِهِمَا عَضَبٌ وَلَا جَدَعٌ وَإِنَّمَا سُمِّيَتَا بِذَٰلِكَ. وَغَنِمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يَوْمَ بَدْرٍ جَمَلًا لِأَبِي جَهْلٍ فِي أَنْفِهِ بُرَةٌ مِنْ فِضَّةٍ فَأَهْدَاهُ يَوْمَ ٱلْحُدَيْبِيَةِ لِيَغِيظَ بِذَٰلِكَ ٱلْمُشْرِكِينَ. وَكَانَتْ لَهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ لِقْحَةً أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مِنْهَا: أَطْلَالٌ، وَأَطْرَافٌ، وَبُرُودَةُ، وَبَرَكَةُ، وَٱلْبُغُومُ، وَٱلْحَنَّاءُ، وَزَمْزَمُ، وَٱلرَّيَّاءُ، وَالسَّعْدِيَّةُ، وَٱلسُّقْيَا، وَٱلسَّمْرَاءُ، وَٱلشَّقْرَاءُ، وَعَجْرَةُ، وَٱلْعُرَيْسُ، وَغَوْثَةُ وَقِيلَ غَيْثَةُ، وَقَمَرٌ، وَمَرْوَةُ، وَمُهْرَةُ، وَوَرْشَةُ، وَٱلْيُسَيْرَةُ، وَكَانَتْ لَهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَةُ شَاةٍ، وَكَانَتْ لَهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَةُ أَعْنُزٍ تَرْعَاهُنَّ أُمُّ أَيْمَنَ *

الفصل العاشر

فِي ذِكْرِ مَنْ وَفَدَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ ٱلنَّوَوِيُّ ٱلْوَفْدُ ٱلْجَمَاعَةُ ٱلْمُخْتَارَةُ لِلتَّقَدُّمِ فِي لُقْيَا ٱلْعُظَمَاءِ وَاحِدُهُمْ وَافِدٌ اهـ وَكَانَتْ سَنَةُ تِسْعٍ تُسَمَّى سَنَةَ ٱلْوُفُودِ وَلَمَّا ٱنْصَرَفَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ ٱلطَّائِفِ فِي شَوَّالٍ إِلَى ٱلْجِعْرَانَةِ وَفِيهَا سَبْيُ هَوَازِنَ قَدِمَتْ عَلَيْهِ وُفُودُهُمْ مُسْلِمِينَ فِيهِمْ تِسْعَةُ نَفَرٍ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَأَسْلَمُوا وَبَايَعُوا ثُمَّ كَلَّمُوهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فَقَالُوا

يَا رَسُولَ ٱللهِ إِنَّ فِي مَنْ أَصَبْتُمُ ٱلْأُمَّهَاتِ وَٱلْأَخَوَاتِ وَٱلْعَمَّاتِ وَٱلْخَالَاتِ فَقَالَ سَأَطْلُبُ لَكُمْ وَقَدْ وَقَعَتِ ٱلْمَقَاسِمُ فَأَيُّ ٱلْأَمْرَيْنِ أَحَبُّ إِلَيْكُمُ ٱلسَّبْيُ أَوِ ٱلْمَالُ فَقَالُوا خَيَّرْتَنَا يَا رَسُولَ ٱللهِ بَيْنَ ٱلْحَسَبِ وَٱلْمَالِ فَٱلْحَسَبُ أَحَبُّ إِلَيْنَا وَلَا نَتَكَلَّمُ فِي شَاةٍ وَلَا بَعِيرٍ فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مَا كَانَ لِي وَلِعَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ وَقَالَتْ قُرَيْشٌ مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ للهِ وَرَسُولِهِ وَقَالَتِ ٱلْأَنْصَارُ مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ للهِ وَرَسُولِهِ * وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ ثَقِيفٍ بَعْدَ قُدُومِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مِنْ تَبُوكَ وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا ٱنْصَرَفَ مِنَ ٱلطَّائِفِ قِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ ٱللهِ ٱدْعُ عَلَى ثَقِيفٍ فَقَالَ ٱللَّهُمَّ ٱهْدِ ثَقِيفًا وَٱئْتِ بِهِمْ وَلَمَّا ٱنْصَرَفَ عَنْهُمُ ٱتَّبَعَ أَثَرَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَدْرَكَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ ٱلْمَدِينَةَ فَأَسْلَمَ وَسَأَلَهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى قَوْمِهِ بِٱلْإِسْلَامِ فَفَعَلَ فَقَتَلُوهُ ثُمَّ بَعَثُوا سِتَّةً مِنْهُمْ إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ عَلَيْهِمْ قُبَّةً فِي نَاحِيَةِ ٱلْمَسْجِدِ وَكَانَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ ٱلْعَاصِ هُوَ ٱلَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَسْلَمُوا وَكَانَ فِيمَا سَأَلُوا رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدَعَ لَهُمُ ٱلطَّاغِيَةَ وَهِيَ ٱللَّاتُ لَا يَهْدِمُهَا ثَلَاثَ سِنِينَ فَأَبَى صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَأَلُوهُ أَنْ يُعْفِيَهُمْ مِنَ ٱلصَّلَاةِ وَأَنْ لَا يُكَسِّرُوا أَوْثَانَهُمْ إِلَّا بِأَيْدِيهِمْ فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كَسِّرُوا أَوْثَانَكُمْ بِأَيْدِيكُمْ وَأَمَّا ٱلصَّلَاةُ فَلَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَا صَلَاةَ فِيهِ فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَكَتَبَ لَهُمُ ٱلْكِتَابَ أَمَّرَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانَ بْنَ ٱلْعَاصِ وَكَانَ أَحْدَثَهُمْ سِنًّا لَكِنَّهُ كَانَ مِنْ أَحْرَصِهِمْ عَلَى ٱلتَّفَقُّهِ فِي ٱلْإِسْلَامِ وَتَعَلُّمِ ٱلْقُرْآنِ فَرَجَعُوا إِلَى

بِلَادِهِمْ وَمَعَهُمْ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ لِهَدْمِ الطَّاغِيَةِ فَلَمَّا دَخَلَ الْمُغِيرَةُ عَلَيْهَا عَلَاهَا يَضْرِبُهَا بِالْمِعْوَلِ وَخَرَجَ نِسَاءُ ثَقِيفٍ حُسَّرًا يَبْكِينَ عَلَيْهَا وَأَخَذَ الْمُغِيرَةُ بَعْدَ أَنْ كَسَّرَهَا مَالَهَا وَحُلِيَّهَا وَكَانَ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَتَبَ لَهُمْ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ عِضَاهَ وَجٍّ وَصَيْدَهُ حَرَامٌ لَا يُعْضَدُ مَنْ وُجِدَ يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذٰلِكَ يُجْلَدُ وَتُنْزَعُ ثِيَابُهُ فَإِنْ تَعَدَّى ذٰلِكَ فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ فَيُبْلَغُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّ هٰذَا أَمْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَتَبَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ بِأَمْرِ الرَّسُولِ مُحَمَّدِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَلَا يَتَعَدَّاهُ أَحَدٌ فَيَظْلِمَ نَفْسَهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَوَجٌّ وَادٍ بِالطَّائِفِ* وَقَدِمَ وَفْدُ بَنِي عَامِرٍ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ابْنُ إِسْحٰقَ لَمَّا فَرَغَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ تَبُوكَ وَأَسْلَمَتْ ثَقِيفٌ وَبَايَعَتْ ضَرَبَتْ أَيْ سَارَتْ إِلَيْهِ وُفُودُ الْعَرَبِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ فَدَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَوَفَدَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَنُو عَامِرٍ فِيهِمْ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ وَأَرْبَدُ بْنُ قَيْسٍ وَجَبَّارُ ابْنُ سَلْمَى وَكَانَ هٰؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ رُؤَسَاءَ الْقَوْمِ وَشَيَاطِينَهُمْ فَقَدِمَ عَدُوُّ اللَّهِ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ أَنْ يَغْدُرَ بِهِ فَقَالَ لِأَرْبَدَ إِذَا قَدِمْنَا عَلَى الرَّجُلِ فَإِنِّي شَاغِلٌ عَنْكَ وَجْهَهُ فَإِذَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ فَاعْلُهُ بِالسَّيْفِ فَكَلَّمَ عَامِرٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ وَاللَّهِ لَأَمْلَأَنَّهَا عَلَيْكَ خَيْلًا وَرِجَالًا فَلَمَّا وَلَّى قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اللَّهُمَّ اكْفِنِي عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ فَلَمَّا خَرَجُوا قَالَ عَامِرٌ لِأَرْبَدَ وَيْحَكَ أَيْنَ مَا كُنْتُ أَمَرْتُكَ بِهِ فَقَالَ وَاللَّهِ

مَا هَمَمْتُ بِٱلَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ إِلَّا دَخَلَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَفَأَضْرِبُكَ بِالسَّيْفِ وَلَمَّا كَانُوا بِبَعْضِ ٱلطَّرِيقِ بَعَثَ ٱللهُ عَلَى عَامِرِ بْنِ ٱلطُّفَيْلِ ٱلطَّاعُونَ فِي عُنُقِهِ فَقَتَلَهُ ٱللهُ * وَقَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ ٱلْقَيْسِ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ يَسْكُنُونَ ٱلْبَحْرَيْنِ فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مِمَّنِ ٱلْقَوْمُ قَالُوا مِنْ رَبِيعَةَ قَالَ مَرْحَبًا بِٱلْوَفْدِ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى فَقَالُوا يَا رَسُولَ ٱللهِ إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ٱلْحَيَّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ وَإِنَّا لَا نَصِلُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي شَهْرٍ حَرَامٍ فَأْمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ نَأْخُذْ بِهِ وَنَأْمُرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا وَنَدْخُلْ بِهِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ آمُرُكُمْ بِٱلْإِيمَانِ بِٱللهِ وَحْدَهُ أَتَدْرُونَ مَا ٱلْإِيمَانُ بِٱللهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ ٱللهِ وَإِقَامُ ٱلصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ ٱلزَّكَاةِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ ٱلْمَغْنَمِ ٱلْخُمُسَ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ ٱلدُّبَّاءِ وَٱلْحَنْتَمِ وَٱلنَّقِيرِ وَٱلْمُزَفَّتِ فَٱحْفَظُوهُنَّ وَٱدْعُوا إِلَيْهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ . وَإِنَّمَا نَهَاهُمْ عَنْ هٰذِهِ ٱلْأَرْبَعِ أَيْ عَنِ ٱلْإِنْتِبَاذِ بِهَا لِأَنَّهُ يُسْرِعُ إِلَيْهَا ٱلْإِسْكَارُ . وَٱلدُّبَّاءُ ٱلْقَرْعُ وَٱلْحَنْتَمُ نَوْعٌ مِنَ ٱلْجِرَارِ وَٱلنَّقِيرُ أَصْلُ ٱلنَّخْلَةِ ٱلْمَنْقُورُ وَٱلْمُزَفَّتُ ٱلْمَطْلِيُّ بِٱلزِّفْتِ . قَالَ ٱلْقُرْطُبِيُّ قِيلَ إِنَّ أَوَّلَ ٱلْأَرْبَعَةِ ٱلْمَأْمُورِ بِهَا إِقَامُ ٱلصَّلَاةِ وَإِنَّمَا ذَكَرَ ٱلشَّهَادَتَيْنِ تَبَرُّكًا لِأَنَّ ٱلْقَوْمَ كَانُوا مُؤْمِنِينَ مُقِرِّينَ بِكَلِمَتَيِ ٱلشَّهَادَةِ ۞ وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ بَنِي حَنِيفَةَ وَفِيهِمْ مُسَيْلِمَةُ ٱلْكَذَّابُ فَأَتَوْا بِهِ إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسْتَرُ بِٱلثِّيَابِ وَرَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي يَدِهِ عَسِيبٌ مِنْ سَعَفِ ٱلنَّخْلِ فَلَمَّا ٱنْتَهَى إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ

يسترُونَهُ بِالثِّيَابِ كَلَّمَهُ وَسَأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ سَأَلْتَنِي هَذَا الْعَسِيبَ الَّذِي فِي يَدِي مَا أَعْطَيْتُكَ ثُمَّ انْصَرَفُوا فَلَمَّا قَدِمُوا الْيَمَامَةَ ارْتَدَّ عَدُوُّ اللَّهِ وَتَنَبَّأَ وَقَالَ إِنِّي أُشْرِكْتُ فِي الْأَمْرِ مَعَهُ ثُمَّ جَعَلَ يَسْجَعُ السَّجَعَاتِ وَلَمَّا سَمِعَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجَّ فِي بِئْرٍ فَكَثُرَ مَاؤُهَا وَتَفَلَ فِي عَيْنِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَكَانَ أَرْمَدَ فَبَرَأَ فَتَفَلَ اللَّعِينُ فِي بِئْرٍ فَغَارَ مَاؤُهَا وَفِي عَيْنِ بَصِيرٍ فَعَمِيَ وَمَسَحَ بِيَدِهِ ضَرْعَ شَاةٍ حَلُوبٍ فَارْتَفَعَ دَرُّهَا وَيَبِسَ ضَرْعُهَا ثُمَّ إِنَّ اللَّعِينَ وَضَعَ عَنْ قَوْمِهِ الصَّلَاةَ وَأَحَلَّ لَهُمُ الْخَمْرَ وَالزِّنَا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَشْهَدُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَقَدْ كَانَ كَتَبَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِنْ مُسَيْلِمَةَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ أُشْرِكْتُ مَعَكَ فِي الْأَمْرِ إِنَّ لَنَا نِصْفَ الْأَمْرِ وَلِقُرَيْشٍ نِصْفَ الْأَمْرِ. فَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولُهُ بِهَذَا الْكِتَابِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» ۞ وَقَدِمَ عَلَيْهِ وَفْدُ طَيِّءٍ وَفِيهِ زَيْدُ الْخَيْلِ وَهُوَ سَيِّدُهُمْ فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمُوا وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا ذُكِرَ لِي رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ بِفَضْلٍ ثُمَّ جَاءَنِي إِلَّا رَأَيْتُهُ دُونَ مَا يُقَالُ فِيهِ إِلَّا زَيْدَ الْخَيْلِ فَإِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ كُلُّ مَا فِيهِ ثُمَّ سَمَّاهُ زَيْدَ الْخَيْرِ * وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ كِنْدَةَ فِي ثَمَانِينَ أَوْ سِتِّينَ رَاكِبًا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسْجِدَهُ قَدْ رَجَّلُوا جُمَمَهُمْ

وَتَسَلَّحُوا وَلَبِسُوا جُبَّاتِ الْحِبَرَاتِ مُكَفَّفَةً بِالْحَرِيرِ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَ لَمْ تُسْلِمُوا قَالُوا بَلَى قَالَ فَمَا هٰذَا الْحَرِيرُ فِي أَعْنَاقِكُمْ فَشَقُّوهُ وَنَزَعُوهُ وَأَلْقَوْهُ ۞ وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَشْعَرِيُّونَ وَأَهْلُ الْيَمَنِ قَالَ الْحَافِظُ بْنُ حَجَرٍ الْمُرَادُ بَعْضُ أَهْلِ الْيَمَنِ وَهُمْ وَفْدُ حِمْيَرٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ قَوْمٌ هُمْ أَرَقُّ مِنْكُمْ قُلُوبًا فَقَدِمَ الْأَشْعَرِيُّونَ فَجَعَلُوا يَرْتَجِزُونَ:

غَدًا نَلْقَى الْأَحِبَّهْ مُحَمَّدًا وَحِزْبَهْ

وَرَوَى مُسْلِمٌ قَوْلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَضْعَفُ قُلُوبًا الْإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ السَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ قِبَلَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ وَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ جِئْنَا لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ وَنَسْأَلَكَ عَنْ هٰذَا الْأَمْرِ فَقَالَ كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَالْفَدَّادُونَ جَمْعُ فَدَّادٍ وَهُوَ مَنْ يَعْلُو صَوْتُهُ فِي إِبِلِهِ وَخَيْلِهِ وَحَرْثِهِ ۞ وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صُرَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْأَزْدِيُّ فِي وَفْدٍ مِنَ الْأَزْدِ فَأَسْلَمُوا وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ فَأَمَّرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يُجَاهِدَ بِمَنْ أَسْلَمَ أَهْلَ الشِّرْكِ مِنْ قَبَائِلِ الْيَمَنِ فَفَعَلَ وَقَاتَلَ قَبَائِلَ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ جُرَشَ فَقَتَلَهُمْ قَتْلًا شَدِيدًا وَكَانُوا بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ فَبَيْنَمَا هُمَا عِنْدَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ لَهُمَا إِنَّ بُدْنَ اللهِ لَتُنْحَرُ عِنْدَ شَكَرٍ أَيِ الْمَكَانِ الَّذِي وَقَعَ بِهِ قَتْلُ قَوْمِهِمْ فَخَرَجَا إِلَى قَوْمِهِمَا فَوَجَدَاهُمْ قَدْ أُصِيبُوا فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَالَ فِيهِ

رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ وَفِي ٱلسَّاعَةِ ٱلَّتِي ذَكَرَ فِيهَا مَا ذَكَرَ فَخَرَجَ وَفْدُ جُرَشَ حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمُوا وَحَمَى لَهُمْ حِمًى حَوْلَ قَرْيَتِهِمْ ۞ وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ بَنِي ٱلْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ بِنَجْرَانَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ ٱلْوَلِيدِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَى ٱلْإِسْلَامِ ثَلَاثًا قَبْلَ أَنْ يُقَاتِلَهُمْ فَخَرَجَ خَالِدٌ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ فَبَعَثَ ٱلرُّكْبَانَ يَضْرِبُونَ فِي كُلِّ وَجْهٍ وَيَدْعُونَ إِلَى ٱلْإِسْلَامِ وَيَقُولُونَ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا فَأَسْلَمَ ٱلنَّاسُ ثُمَّ أَقْبَلَ خَالِدٌ عَلَى رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ وَفْدُهُمْ فَقَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بِمَ كُنْتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ قَالُوا كُنَّا نَجْتَمِعُ وَلَا نَتَفَرَّقُ وَلَا نَبْدَأُ أَحَدًا بِظُلْمٍ قَالَ صَدَقْتُمْ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ قَيْسَ بْنَ ٱلْحُصَيْنِ فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ * وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ هَمْدَانَ وَعَلَيْهِمْ مُقَطَّعَاتُ ٱلْحِبَرَاتِ وَٱلْعَمَائِمُ ٱلْعَدَنِيَّةُ عَلَى ٱلرَّوَاحِلِ ٱلْمَهْرِيَّةِ وَٱلْأَرْحَبِيَّةِ وَمَالِكُ بْنُ ٱلنَّمَطِ يَرْتَجِزُ بَيْنَ يَدَيْهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَتَبَ لَهُمْ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كِتَابًا أَقْطَعَهُمْ فِيهِ مَا سَأَلُوهُ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ مَالِكَ بْنَ ٱلنَّمَطِ وَٱسْتَعْمَلَهُ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ ۞ وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ مُزَيْنَةَ رَوَى ٱلْبَيْهَقِيُّ عَنِ ٱلنُّعْمَانِ بْنِ مُقَرِّنٍ قَالَ قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ مُزَيْنَةَ فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَنْصَرِفَ قَالَ يَا عُمَرُ زَوِّدِ ٱلْقَوْمَ قَالَ مَا عِنْدِي إِلَّا شَيْءٌ مِنْ تَمْرٍ مَا أَظُنُّهُ يَقَعُ مِنَ ٱلْقَوْمِ مَوْقِعًا قَالَ ٱنْطَلِقْ فَزَوِّدْهُمْ فَٱنْطَلَقَ بِهِمْ عُمَرُ فَأَدْخَلَهُمْ مَنْزِلَهُ ثُمَّ أَصْعَدَهُمْ إِلَى عِلِّيَّةٍ قَالَ فَلَمَّا دَخَلْنَا إِذَا فِيهَا مِنَ ٱلتَّمْرِ مِثْلُ ٱلْجَمَلِ ٱلْأَوْرَقِ فَأَخَذَ ٱلْقَوْمُ مِنْهُ حَاجَتَهُمْ وَكُنْتُ فِي آخِرِ مَنْ خَرَجَ

فَنَظَرْتُ وَمَا أَفْقِدُ مَوْضِعَ تَمْرَةٍ مِنْ مَكَانِهَا . وَالْأَوْرَقُ مَا فِي لَوْنِهِ بَيَاضٌ إِلَى سَوَادٍ ﴿وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ دَوْسٍ وَكَانَ قُدُومُهُمْ عَلَيْهِ بِخَيْبَرَ وَكَانَ ٱلطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ٱلدَّوْسِيُّ يُحَدِّثُ أَنَّهُ قَدِمَ مَكَّةَ وَرَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا فَخَوَّفَهُ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَمْرَهُ وَقَالُوا لَهُ لَا تُكَلِّمْهُ وَلَا تَسْمَعْ مِنْهُ ثُمَّ رَآهُ قَائِمًا يُصَلِّي عِنْدَ ٱلْكَعْبَةِ فَسَمِعَ مِنْهُ كَلَامًا حَسَنًا قَالَ فَمَكَثْتُ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إِلَى بَيْتِهِ فَتَبِعْتُهُ حَتَّى إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ فَقُلْتُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ قَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا فَوَٱللهِ مَا بَرِحُوا يُخَوِّفُونِي أَمْرَكَ حَتَّى سَدَدْتُ أُذُنَيَّ بِكُرْسُفٍ أَنْ لَا أَسْمَعَ قَوْلَكَ ثُمَّ أَبَى ٱللهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِيهِ فَسَمِعْتُ قَوْلًا حَسَنًا فَاعْرِضْ عَلَيَّ أَمْرَكَ فَعَرَضَ عَلَيَّ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيَّ ٱلْقُرْآنَ فَلَا وَٱللهِ مَا سَمِعْتُ قَوْلًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ وَلَا أَمْرًا أَعْدَلَ مِنْهُ فَأَسْلَمْتُ وَشَهِدْتُ شَهَادَةَ ٱلْحَقِّ وَقُلْتُ يَا رَسُولَ ٱللهِ إِنِّي ٱمْرُؤٌ مُطَاعٌ فِي قَوْمِي وَإِنِّي رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ فَدَاعِيهِمْ إِلَى ٱلْإِسْلَامِ فَٱدْعُ ٱللهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي آيَةً قَالَ فَخَرَجْتُ إِلَى قَوْمِي حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِثَنِيَّةٍ تُطْلِعُنِي عَلَى ٱلْحَاضِرِ وَقَعَ نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيَّ مِثْلُ ٱلْمِصْبَاحِ فَقُلْتُ ٱللَّهُمَّ فِي غَيْرِ وَجْهِي إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَقُولُوا مُثْلَةٌ وَقَعَتْ فِي وَجْهِي لِفِرَاقِ دِينِهِمْ قَالَ فَتَحَوَّلَ فَوَقَعَ فِي رَأْسِ سَوْطِي كَٱلْقِنْدِيلِ ٱلْمُتَعَلِّقِ وَأَنَا أَهْبِطُ إِلَيْهِمْ مِنَ ٱلثَّنِيَّةِ حَتَّى جِئْتُهُمْ وَأَصْبَحْتُ فِيهِمْ قَالَ فَدَعَوْتُ أَبِي إِلَى ٱلْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ وَدَعَوْتُ زَوْجَتِي فَأَسْلَمَتْ ثُمَّ دَعَوْتُ دَوْسًا إِلَى ٱلْإِسْلَامِ فَأَبْطَؤُا عَلَيَّ فَجِئْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ ٱللهِ إِنَّهُ قَدْ غَلَبَنِي عَلَى دَوْسٍ ٱلزِّنَا فَٱدْعُ ٱللهَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ ٱللَّهُمَّ ٱهْدِ

دَوْساً ثُمَّ قَالَ ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَادْعُهُمْ إِلَى اللهِ وَارْفُقْ بِهِمْ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ
فَلَمْ أَزَلْ أَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْبَرَ فَنَزَلْتُ
الْمَدِينَةَ بِسَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ بَيْتاً مِنْ دَوْسٍ ثُمَّ لَحِقْنَا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَأَسْهَمَ لَنَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ * وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ نَصَارَى نَجْرَانَ
وَكَانُوا سِتِّينَ رَاكِباً وَأَمِيرُهُمُ الْعَاقِبُ وَصَاحِبُ مَشُورَتِهِمْ عَبْدُ الْمَسِيحِ وَصَاحِبُ
رَحْلِهِمْ وَمُجْتَمَعِهِمُ السَّيِّدُ وَاسْمُهُ الْأَيْهَمُ وَيُقَالُ شُرَحْبِيلُ وَأَبُو حَارِثَةَ أَخُو بَكْرِ بْنِ
وَائِلٍ قَدْ شَرُفَ فِيهِمْ وَدَرَسَ كُتُبَهُمْ وَكَانَتْ مُلُوكُ الرُّومِ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ قَدْ شَرَّفُوهُ
وَمَوَّلُوهُ وَكَانَ يَعْرِفُ أَمْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَأْنَهُ وَصِفَتَهُ مِمَّا عَلِمَهُ مِنَ
الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَلَكِنْ حَمَلَهُ الْجَهْلُ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ فِي النَّصْرَانِيَّةِ لِمَا يَرَى
مِنْ تَعْظِيمِهِ وَوَجَاهَتِهِ عِنْدَ أَهْلِهَا فَدَعَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْإِسْلَامِ
وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ فَامْتَنَعُوا فَقَالَ إِنْ أَنْكَرْتُمْ مَا أَقُولُ فَهَلُمَّ أُبَاهِلْكُمْ فَقَالَ
شُرَحْبِيلُ فَوَاللهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيّاً فَلَاعَنَّاهُ يَعْنِي بَاهَلْنَاهُ لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا
أَبَداً وَصَالَحَهُمْ عَلَى الْفَيْ حُلَّةٍ أَلْفٌ فِي رَجَبٍ وَأَلْفٌ فِي صَفَرٍ مَعَ كُلِّ حُلَّةٍ أُوقِيَّةٌ *
وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولُ فَرْوَةَ بْنِ عَمْرٍو الْجُذَامِيِّ بِإِسْلَامِهِ وَأَهْدَى
لَهُ بَغْلَةً بَيْضَاءَ * وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ بَعَثَهُ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ
رَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ
رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ بِالْمَسْجِدِ
ثُمَّ عَقَلَهُ ثُمَّ قَالَ أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ

فقلنا هذا الرجل الأبيض المتكئ فقال له الرجل إبن عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد أجبتك فقال إني سائلك فمشدد عليك في المسئلة فلا تجد علي في نفسك فقال سل عما بدا لك فقال أسألك بربك ورب من قبلك آلله أرسلك إلى الناس كلهم فقال اللهم نعم قال أنشدك بالله آلله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة قال اللهم نعم قال أنشدك بالله آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة قال اللهم نعم قال أنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم نعم فقال آمنت بما جئت به ثم أتى قومه فأسلموا جميعا قال ابن عباس فما سمعنا بوافد قوم أفضل من ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه * ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم طارق بن عبد الله المحاربي وقومه قدموا المدينة يمتارون تمرا فلقيهم النبي صلى الله عليه وسلم لما دنوا من حيطانها ونخلها ولم يعرفوه فاشترى منهم جملا أحمر بتمر وانطلق به قال طارق فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها قلنا ما صنعنا والله ما بعنا جملنا ممن نعرفه ولا أخذنا له ثمنا فقالت امرأة كانت معنا لا تلاوموا لقد رأيت وجه رجل لا يغدركم ما رأيت أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه وأقبل رجل فقال أنا رسول رسول الله إليكم هذا تمركم فكلوا واشبعوا واكتالوا واستوفوا فأكلنا حتى شبعنا واكتلنا واستوفينا ثم دخلنا المدينة فلما دخلنا المسجد اذا هو قائم على المنبر يخطب الناس فأدركنا من خطبته وهو يقول تصدقوا

فَإِنَّ ٱلصَّدَقَةَ خَيْرٌ لَكُمْ ٱلْيَدُ ٱلْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ ٱلْيَدِ ٱلسُّفْلَى *وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللّٰهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ تُجِيبَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا قَدْ سَاقُوا مَعَهُمْ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمُ ٱلَّتِي
فَرَضَ ٱللّٰهُ عَلَيْهِمْ فَسُرَّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بِهِمْ وَأَكْرَمَ مَنْزِلَتَهُمْ وَأَمَرَ بِلَالًا
أَنْ يُحْسِنَ ضِيَافَتَهُمْ ثُمَّ جَاؤُا رَسُولَ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوَدِّعُونَهُ فَأَمَرَ بِلَالًا
فَأَجَازَهُمْ بِأَرْفَعِ مَا كَانَ يُجِيزُ بِهِ ٱلْوُفُودَ قَالَ هَلْ بَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَالُوا غُلَامٌ خَلَّفْنَاهُ
عَلَى رِحَالِنَا هُوَ أَحْدَثُنَا سِنًّا قَالَ أَرْسِلُوهُ إِلَيْنَا فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ وَٱللّٰهِ
مَا أَخْرَجَنِي مِنْ بِلَادِي إِلَّا أَنْ تَسْأَلَ ٱللّٰهَ أَنْ يَغْفِرَ لِي وَأَنْ يَرْحَمَنِي وَأَنْ يَجْعَلَ
غِنَايَ فِي قَلْبِي فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ٱللّٰهُمَّ ٱغْفِرْ لَهُ وَٱرْحَمْهُ وَٱجْعَلْ غِنَاهُ فِي
قَلْبِهِ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِمَا أَمَرَ بِهِ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ثُمَّ ٱنْطَلَقُوا رَاجِعِينَ إِلَى أَهْلِهِمْ ثُمَّ وَافَوْا
رَسُولَ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِنًى سَنَةَ عَشْرٍ فَقَالَ مَا فَعَلَ ٱلْغُلَامُ قَالُوا يَا رَسُولَ
ٱللّٰهِ مَا رَأَيْنَا مِثْلَهُ قَطُّ وَلَا حُدِّثْنَا بِأَقْنَعَ مِنْهُ بِمَا رَزَقَهُ ٱللّٰهُ لَوْ أَنَّ ٱلنَّاسَ ٱقْتَسَمُوا
ٱلدُّنْيَا مَا نَظَرَ نَحْوَهَا وَلَا ٱلْتَفَتَ إِلَيْهَا۞وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ بَنِي سَعْدِ
هُذَيْمٍ رَوَى ٱلْوَاقِدِيُّ عَنِ ٱبْنِ ٱلنُّعْمَانِ عَنْ أَبِيهِ مِنْ سَعْدِ هُذَيْمٍ قَالَ قَدِمْتُ عَلَى
رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَافِدًا فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِي فَبَايَعْنَاهُ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ثُمَّ ٱنْصَرَفْنَا إِلَى رِحَالِنَا وَقَدْ خَلَّفْنَا أَصْغَرَنَا فَبَعَثَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فِي طَلَبِنَا
فَأُتِيَ بِنَا إِلَيْهِ فَتَقَدَّمَ صَاحِبُنَا إِلَيْهِ فَبَايَعَهُ عَلَى ٱلْإِسْلَامِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ إِنَّهُ
أَصْغَرُنَا وَخَادِمُنَا فَقَالَ أَصْغَرُ ٱلْقَوْمِ خَادِمُهُمْ بَارَكَ ٱللّٰهُ عَلَيْكَ قَالَ فَكَانَ وَٱللّٰهِ
خَيْرَنَا وَأَقْرَأَنَا بِدُعَاءِ رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ أَمَّرَهُ عَلَيْنَا فَكَانَ يَؤُمُّنَا

فَرَجَعْنَا إِلَى قَوْمِنَا فَرَزَقَهُمُ ٱللّٰهُ ٱلْإِسْلَامَ ۞ وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ بَنِي فَزَارَةَ لَمَّا رَجَعَ مِنْ تَبُوكَ بِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا وَهُمْ مُسْنِتُونَ عَلَى رِكَابٍ عِجَافٍ فَسَأَلَهُمْ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عَنْ بِلَادِهِمْ فَقَالَ أَحَدُهُمْ يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ أَسْنَتَتْ بِلَادُنَا وَهَلَكَتْ مَوَاشِينَا وَأَجْدَبَ جَنَابُنَا وَغَرِثَ عِيَالُنَا فَادْعُ رَبَّكَ يُغِيثُنَا فَصَعِدَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْمِنْبَرَ وَدَعَا لَهُمْ * وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ بَنِي أَسَدٍ عَشَرَةُ رَهْطٍ وَرَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ فَقَالَ مُتَكَلِّمُهُمْ يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ إِنَّا شَهِدْنَا أَنَّ ٱللّٰهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَجِئْنَاكَ وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيْنَا بَعْثًا فَأَنْزَلَ ٱللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ «يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ ٱللّٰهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» * وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ بَهْرَاءَ مِنَ ٱلْيَمَنِ وَكَانُوا ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَلَمَّا ٱنْتَهَوْا إِلَى بَابِ ٱلْمِقْدَادِ رَحَّبَ بِهِمْ وَقَدَّمَ لَهُمْ جَفْنَةً مِنْ حَيْسٍ فَأَكَلُوا مِنْهَا حَتَّى نَهِلُوا وَرُدَّتِ ٱلْقَصْعَةُ وَفِيهَا شَيْءٌ فَجُمِعَ فِي قَصْعَةٍ صَغِيرَةٍ وَأَرْسَلَ بِهَا إِلَى رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ فَأَصَابَ مِنْهَا هُوَ وَمَنْ مَعَهُ فِي ٱلْبَيْتِ حَتَّى نَهِلُوا ثُمَّ أَكَلُوا مِنْهَا هُمْ وَٱلضَّيْفُ مَا أَقَامُوا يُرَدِّدُونَ ذٰلِكَ عَلَيْهِمْ وَمَا تَغِيضُ حَتَّى جَعَلُوا يَقُولُونَ يَا أَبَا مَعْبَدٍ إِنَّكَ تُنْهِلُنَا مِنْ أَحَبِّ ٱلطَّعَامِ إِلَيْنَا وَمَا كُنَّا نَقْدِرُ عَلَى مِثْلِ هٰذَا إِلَّا فِي ٱلْحِينِ فَأَخْبَرَهُمْ أَبُو مَعْبَدٍ بِخَبَرِ رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا وَرَدَّهَا وَأَنَّ هٰذِهِ بَرَكَةُ أَصَابِعِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فَجَعَلَ ٱلْقَوْمُ يَقُولُونَ نَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ ٱللّٰهِ وَٱزْدَادُوا يَقِينًا وَتَعَلَّمُوا

ٱلْفَرَائِضَ وَأَقَامُوا أَيَّامًا ثُمَّ وَدَّعُوا رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَ لَهُمْ بِجَوَائِزَ وَانْصَرَفُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ * وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ عُذْرَةَ وَكَانُوا ٱثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا فَرَحَّبَ بِهِمْ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فَأَسْلَمُوا وَبَشَّرَهُمْ بِفَتْحِ ٱلشَّأْمِ وَهَرَبِ هِرَقْلَ ثُمَّ ٱنْصَرَفُوا وَقَدْ أُجِيزُوا * وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ بَلِيٍّ فَأَسْلَمُوا فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي هَدَاكُمْ لِلْإِسْلَامِ فَكُلُّ مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ ٱلْإِسْلَامِ فَهُوَ فِي ٱلنَّارِ ثُمَّ وَدَّعُوا رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنْ أَجَازَهُمْ * وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ بَنِي مُرَّةَ وَكَانُوا ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَقَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كَيْفَ ٱلْبِلَادُ فَقَالُوا وَٱللهِ إِنَّا لَمُسْنِتُونَ فَٱدْعُ ٱللهَ لَنَا فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱللَّهُمَّ ٱسْقِهِمُ ٱلْغَيْثَ ثُمَّ أَقَامُوا أَيَّامًا وَرَجَعُوا بِٱلْجَائِزَةِ فَوَجَدُوا بِلَادَهُمْ قَدْ أُمْطِرَتْ فِي ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي دَعَا لَهُمْ فِيهِ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ خَوْلَانَ وَكَانُوا عَشَرَةً فَقَالُوا يَا رَسُولَ ٱللهِ نَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِٱللهِ مُصَدِّقُونَ بِرَسُولِهِ وَقَدْ ضَرَبْنَا إِلَيْكَ آبَاطَ ٱلْإِبِلِ وَرَكِبْنَا حُزُونَ ٱلْأَرْضِ وَسُهُولَهَا وَٱلْمِنَّةُ لِلهِ وَلِرَسُولِهِ وَقَدِمْنَا زَائِرِينَ لَكَ فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ مَسِيرِكُمْ إِلَيَّ فَإِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ خَطْوَةٍ خَطَاهَا بَعِيرُ أَحَدِكُمْ حَسَنَةً وَأَمَّا قَوْلُكُمْ زَائِرِينَ لَكَ فَإِنَّهُ مَنْ زَارَنِي بِٱلْمَدِينَةِ كَانَ فِي جِوَارِي يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ثُمَّ عَلَّمَهُمْ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فَرَائِضَ ٱلدِّينِ وَأَمَرَهُمْ بِٱلْوَفَاءِ بِٱلْعَهْدِ وَأَدَاءِ ٱلْأَمَانَةِ وَحُسْنِ ٱلْجِوَارِ وَأَنْ لَا يَظْلِمُوا أَحَدًا ثُمَّ أَجَازَهُمْ وَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ وَهَدَمُوا ٱلصَّنَمَ ٱلَّذِي كَانُوا يَعْبُدُونَهُ * وَقَدِمَ عَلَيْهِ

صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ مُحَارِبٍ وَكَانُوا أَغْلَظَ ٱلْعَرَبِ وَأَفَظَّهُمْ عَلَيْهِ أَيَّامَ عَرْضِهِ
عَلَى ٱلْقَبَائِلِ يَدْعُوهُمْ إِلَى ٱللهِ فَجَاءَهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ فَأَسْلَمُوا ثُمَّ
ٱنْصَرَفُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ * وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ صُدَاءَ وَكَانُوا خَمْسَةَ
عَشَرَ رَجُلًا فَبَايَعُوهُ عَلَى ٱلْإِسْلَامِ وَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ فَفَشَا فِيهِمُ ٱلْإِسْلَامُ * وَقَدِمَ
عَلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ غَسَّانَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ فَأَسْلَمُوا فَأَجَازَهُمْ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ
وَٱلسَّلَامُ بِجَوَائِزَ وَٱنْصَرَفُوا رَاجِعِينَ * وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ سَلَامَانَ
سَبْعَةُ نَفَرٍ فَأَسْلَمُوا وَشَكَوْا إِلَيْهِ جَدْبَ بِلَادِهِمْ فَدَعَا لَهُمْ ثُمَّ وَدَّعُوهُ وَأَمَرَ لَهُمْ بِٱلْجَوَائِزِ
وَرَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ فَوَجَدُوهَا قَدْ أُمْطِرَتْ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي دَعَا لَهُمْ فِيهِ رَسُولُ
ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ بَنِي عَبْسٍ فَقَالُوا
يَا رَسُولَ ٱللهِ قَدِمَ عَلَيْنَا قُرَّاؤُنَا وَأَخْبَرُونَا أَنْ لَا إِسْلَامَ لِمَنْ لَا هِجْرَةَ لَهُ وَلَنَا
أَمْوَالٌ وَمَوَاشٍ فَإِنْ كَانَ لَا إِسْلَامَ لِمَنْ لَا هِجْرَةَ لَهُ بِعْنَاهَا وَهَاجَرْنَا فَقَالَ عَلَيْهِ
ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ٱتَّقُوا ٱللهَ حَيْثُ كُنْتُمْ فَلَنْ يَلِتَكُمْ مِنْ عَمَلِكُمْ شَيْئًا وَمَعْنَى
يَلِتَكُمْ يَنْقُصكُمْ * وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ غَامِدٍ عَشَرَةٌ فَأَقَرُّوا
بِٱلْإِسْلَامِ وَكَتَبَ لَهُمْ كِتَابًا فِيهِ شَرَائِعُ ٱلْإِسْلَامِ وَأَمَرَ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَعَلَّمَهُمُ
قُرْآنًا وَأَجَازَهُمْ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وَٱنْصَرَفُوا * وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَفْدُ ٱلْأَزْدِ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ سُوَيْدٍ ٱلْأَزْدِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي
قَالَ وَفَدْتُ سَابِعَ سَبْعَةٍ مِنْ قَوْمِي عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا دَخَلْنَا
عَلَيْهِ وَكَلَّمْنَاهُ أَعْجَبَهُ مَا رَأَى مِنْ سَمْتِنَا وَزِيِّنَا فَقَالَ مَا أَنْتُمْ قُلْنَا مُؤْمِنُونَ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ

ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ وَقَالَ إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً فَمَا حَقِيقَةُ قَوْلِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ
قُلْنَا خَمسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً خَمسٌ مِنْهَا أَمَرَتْنَا رُسُلُكَ أَنْ نُؤْمِنَ بِهَا وَخَمسٌ أَمَرَتْنَا أَنْ
نَعْمَلَ بِهَا وَخَمسٌ تَخَلَّقْنَا بِهَا فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ فَنَحْنُ عَلَيْهَا إِلَّا أَنْ تَكْرَهَ مِنْهَا شَيْئًا فَقَالَ صَلَّى
ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا ٱلْخَمسُ ٱلَّتِي أَمَرَتْكُمْ بِهَا رُسُلِي قُلْنَا أَمَرَتْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِٱللهِ وَمَلَائِكَتِهِ
وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَٱلْبَعْثِ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ قَالَ وَمَا ٱلْخَمسُ ٱلَّتِي أَمَرَتْكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهَا قُلْنَا
أَمَرَتْنَا أَنْ نَقُولَ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَنُقِيمَ ٱلصَّلَاةَ وَنُؤْتِيَ ٱلزَّكَاةَ وَنَصُومَ رَمَضَانَ وَنَحُجَّ
ٱلْبَيْتَ إِنِ ٱسْتَطَعْنَا إِلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ وَمَا ٱلْخَمسُ ٱلَّتِي تَخَلَّقْتُمْ بِهَا فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ قُلْنَا
ٱلشُّكْرُ عِنْدَ ٱلرَّخَاءِ وَٱلصَّبْرُ عِنْدَ ٱلْبَلَاءِ وَٱلرِّضَا بِمُرِّ ٱلْقَضَاءِ وَٱلصِّدْقُ فِي مَوَاطِنِ
ٱللِّقَاءِ وَتَرْكُ ٱلشَّمَاتَةِ بِٱلْأَعْدَاءِ فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُكَمَاءُ عُلَمَاءُ كَادُوا مِنْ
فِقْهِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ ثُمَّ قَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَزِيدُكُمْ خَمْسًا فَتَتِمُّ لَكُمْ
عِشْرُونَ خَصْلَةً إِنْ كُنْتُمْ كَمَا تَقُولُونَ فَلَا تَجْمَعُوا مَا لَا تَأْكُلُونَ وَلَا تَبْنُوا مَا لَا
تَسْكُنُونَ وَلَا تَنَافَسُوا فِي شَيْءٍ أَنْتُمْ عَنْهُ غَدًا زَائِلُونَ وَٱتَّقُوا ٱللهَ ٱلَّذِي إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
وَعَلَيْهِ تُعْرَضُونَ وَٱرْغَبُوا فِيمَا عَلَيْهِ تَقْدَمُونَ وَفِيهِ تَخْلُدُونَ فَٱنْصَرَفُوا وَقَدْ حَفِظُوا
وَصِيَّتَهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وَعَمِلُوا بِهَا رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ * وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى
ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ بَنِي ٱلْمُنْتَفِقِ قَالَ عَاصِمُ بْنُ لَقِيطٍ إِنَّ لَقِيطَ بْنَ عَامِرٍ خَرَجَ وَافِدًا
عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ نَهِيكُ بْنُ عَاصِمِ
ٱبْنِ مَالِكِ بْنِ ٱلْمُنْتَفِقِ قَالَ فَوَافَيْنَاهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ ٱنْصَرَفَ مِنْ صَلَاةِ
ٱلْغَدَاةِ فَقَامَ فِي ٱلنَّاسِ خَطِيبًا فَقَالَ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَلَا إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكُمْ صَوْتِي

مُنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ لِتَسْمَعُوا الْيَوْمَ أَلَا فَهَلْ مِنِ امْرِئٍ بَعَثَهُ قَوْمُهُ فَقَالُوا لَهُ اعْلَمْ لَنَا مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ أَلَا ثُمَّ لَعَلَّهُ يُلْهِيهِ حَدِيثُ نَفْسِهِ أَوْ حَدِيثُ صَاحِبِهِ أَلَا وَإِنِّي مَسْؤُلٌ هَلْ بَلَّغْتُ أَلَا اسْمَعُوا تَعِيشُوا الْحَدِيثَ وَفِيهِ ذِكْرُ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَفِيهِ ثُمَّ قَالَ قُلْتُ يَارَسُولَ اللَّهِ عَلَى مَ أُبَايِعُكَ فَبَسَطَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ وَقَالَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَأَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا الْحَدِيثَ * وَقَدِمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ النَّخَعِ وَهُمْ آخِرُ الْوُفُودِ فِي مِائَتَيْ رَجُلٍ فَنَزَلُوا دَارَ الْأَضْيَافِ ثُمَّ جَاؤُا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقِرِّينَ بِالْإِسْلَامِ وَقَدْ كَانُوا بَايَعُوا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ زُرَارَةُ ابْنُ عَمْرٍو يَارَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُ فِي سَفَرِي هٰذَا عَجَبًا قَالَ وَمَارَأَيْتَ قَالَ رَأَيْتُ أَتَانًا تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا وَلَدَتْ جَدْيًا أَسْفَعَ أَحْوَى فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ تَرَكْتَ لَكَ مُصِرَّةً عَلَى حَمْلٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَإِنَّهَا قَدْ وَلَدَتْ غُلَامًا وَهُوَ ابْنُكَ قَالَ يَارَسُولَ اللَّهِ مَابَالُهُ أَسْفَعَ أَحْوَى قَالَ ادْنُ مِنِّي فَدَنَا مِنْهُ قَالَ هَلْ بِكَ مِنْ بَرَصٍ تَكْتُمُهُ قَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا مَاعَلِمَ بِهِ أَحَدٌ وَلَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ غَيْرُكَ قَالَ فَهُوَ ذٰلِكَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَأَيْتُ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ عَلَيْهِ قُرْطَانِ وَدُمْلُجَانِ وَمَسَكَتَانِ قَالَ ذٰلِكَ مُلْكُ الْعَرَبِ رَجَعَ إِلَى أَحْسَنِ زِيِّهِ وَبَهْجَتِهِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَأَيْتُ عَجُوزًا شَمْطَاءَ خَرَجَتْ مِنَ الْأَرْضِ قَالَ تِلْكَ بَقِيَّةُ الدُّنْيَا قَالَ وَرَأَيْتُ نَارًا خَرَجَتْ مِنَ الْأَرْضِ فَحَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنٍ لِي يُقَالُ لَهُ عَمْرٌو قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ فِتْنَةٌ تَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَالَ

يا رسول الله وما الفتنة قال يقتل الناس إمامهم وخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصابعه يحسب المسيء فيها أنه محسن ويكون دم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء إن مات ابنك أدركتك الفتنة وإن مت أنت أدركها ابنك قال يا رسول الله ادع الله أن لا أدركها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركها فمات فبقي ابنه فكان ممن خلع عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه *

المقصد الثالث

فيما فضله الله تعالى به من كمال خلقته وجمال صورته وأخلاقه الزكية وأوصافه المرضية وما تدعو ضرورة حياته إليه وهو يشتمل على شمائله الشريفة صلى الله عليه وسلم وفيه أربعة فصول

الفصل الاول

في كمال خلقته وجمال صورته صلى الله عليه وسلم

إعلم أن من تمام الإيمان به صلى الله عليه وسلم الإيمان بأن الله تعالى قد جعل خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده خلق آدمي مثله قال الأبوصيري:

فهو الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم

منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

قال القرطبي لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما أطاقت أعيننا رؤيته صلى الله عليه وسلم * ﴿فأما وجهه الشريف﴾

صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ رَوَى ٱلشَّيْخَانِ عَنِ ٱلْبَرَاءِ قَالَ كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ ٱلنَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا. وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّ ٱلشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ. وَسُئِلَ ٱلْبَرَاءُ أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ٱلسَّيْفِ فَقَالَ لَا بَلْ مِثْلَ ٱلْقَمَرِ رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ٱلسَّيْفِ فَقَالَ لَا بَلْ مِثْلَ ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ وَكَانَ مُسْتَدِيرًا. وَعَنْ جَابِرِ ٱبْنِ سَمُرَةَ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ أَيْ مُقْمِرَةٍ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَإِلَى ٱلْقَمَرِ فَلَهُوَ فِي عَيْنَيَّ أَحْسَنُ مِنَ ٱلْقَمَرِ. وَرَوَى ٱلتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّهُ نَعَتَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَمْ يَكُنْ بِٱلْمُطَهَّمِ وَلَا ٱلْمُكَلْثَمِ وَكَانَ فِي وَجْهِهِ تَدْوِيرٌ. وَٱلْمُطَهَّمُ ٱلْكَثِيرُ ٱلسِّمَنِ وَٱلْمُكَلْثَمُ ٱلْمُدَوَّرُ ٱلْوَجْهِ أَيْ لَمْ يَكُنْ شَدِيدَ تَدْوِيرِ ٱلْوَجْهِ بَلْ فِي وَجْهِهِ تَدْوِيرٌ قَلِيلٌ. وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسِيلَ ٱلْخَدَّيْنِ. وَٱلْخَدُّ ٱلْأَسِيلُ هُوَ مَا فِيهِ ٱسْتِطَالَةٌ غَيْرُ مُرْتَفِعِ ٱلْوَجْنَةِ. وَأَخْرَجَ ٱلْبُخَارِيُّ عَنْ كَعْبِ ٱبْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ ٱسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ وَكُنَّا نَعْرِفُ ذٰلِكَ مِنْهُ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ تَبْرُقُ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ. وَفِي حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عِنْدَ ٱلطَّبَرَانِيِّ ٱلْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَجْهٍ مِثْلِ شِقَّةِ ٱلْقَمَرِ فَهٰذَا مَحْمُولٌ عَلَى

صِفَتِهِ عِنْدَ ٱلإِلْتِفَاتِ . وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ كَانَ وَجْهُ رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّهُ دَارَةُ قَمَرٍ . وَرَوَى ٱلْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي إِسْحٰقَ ٱلْهَمْدَانِيِّ عَنِ ٱمْرَأَةٍ مِنْ هَمْدَانَ قَالَتْ حَجَجْتُ مَعَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لَهَا شَبِّهِيهِ قَالَتْ كَٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ . وَرَوَى ٱلدَّارِمِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ قُلْتُ لِلرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ صِفِي لِي رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ لَوْ رَأَيْتَهُ قُلْتَ ٱلشَّمْسُ طَالِعَةٌ . وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي ٱلطُّفَيْلِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ صِفْ لَنَا رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحَ ٱلْوَجْهِ وَكَانَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إِذَا سُرَّ فَكَأَنَّ وَجْهَهُ ٱلْمِرْآةُ وَكَأَنَّ ٱلْجُدُرَ تُرَى فِي وَجْهِهِ . وَفِي حَدِيثِ ٱبْنِ أَبِي هَالَةَ يَتَلَأْلَأُ وَجْهُهُ تَلَأْلُؤَ ٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ ﴿ وَأَمَّا بَصَرُهُ ٱلشَّرِيفُ ﴾ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ وَصَفَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ٱلْعَزِيزِ بِقَوْلِهِ «مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَى» وَرَوَى ٱلْبُخَارِيُّ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وَٱلْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَرَى بِٱللَّيْلِ فِي ٱلظُّلْمَةِ كَمَا يَرَى بِٱلنَّهَارِ فِي ٱلضَّوْءِ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِي هٰهُنَا فَوَٱللَّهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ رُكُوعُكُمْ وَلَا سُجُودُكُمْ إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَعِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ رِوَايَةِ أَنَسٍ أَنَّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي إِمَامُكُمْ فَلَا تَسْبِقُونِي بِٱلرُّكُوعِ وَٱلسُّجُودِ فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ أَمَامِي وَمِنْ خَلْفِي . وَعَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « ٱلَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّاجِدِينَ » قَالَ كَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ يَرَى مَنْ خَلْفَهُ مِنَ ٱلصُّفُوفِ كَمَا يَرَى مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَذَكَرَ ٱلْقَاضِي عِيَاضٌ فِي ٱلشِّفَاءِ أَنَّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَرَى فِي ٱلثُّرَيَّا أَحَدَ عَشَرَ نَجْمًا وَعِنْدَ ٱلسُّهَيْلِيِّ ٱثْنَيْ عَشَرَ. وَفِي حَدِيثِ ٱبْنِ أَبِي هَالَةَ وَإِذَا ٱلْتَفَتَ ٱلْتَفَتَ جَمِيعًا خَافِضَ ٱلطَّرْفِ نَظَرُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ جُلُّ نَظَرِهِ ٱلْمُلَاحَظَةُ وَهِيَ مُفَاعَلَةٌ مِنَ ٱللَّحْظِ وَهُوَ ٱلنَّظَرُ بِشِقِّ ٱلْعَيْنِ ٱلَّذِي يَلِي ٱلصُّدْغَ. وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَظِيمَ ٱلْعَيْنَيْنِ أَهْدَبَ ٱلْأَشْفَارِ مُشْرَبَ ٱلْعَيْنِ بِحُمْرَةٍ رَوَاهُ ٱلْبَيْهَقِيُّ. وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَلِيعَ ٱلْفَمِ أَشْكَلَ ٱلْعَيْنَيْنِ مَنْهُوسَ ٱلْقَدَمَيْنِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَٱلشُّكْلَةُ ٱلْحُمْرَةُ تَكُونُ فِي بَيَاضِ ٱلْعَيْنِ وَهُوَ مَحْمُودٌ مَحْبُوبٌ وَأَمَّا ٱلشُّهْلَةُ فَإِنَّهَا حُمْرَةٌ فِي سَوَادِهَا. وَعِنْدَ ٱلتِّرْمِذِيِّ فِي حَدِيثٍ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ نَعَتَ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَانَ فِي وَجْهِهِ تَدْوِيرٌ أَبْيَضُ مُشْرَبٌ أَدْعَجُ ٱلْعَيْنَيْنِ أَهْدَبُ ٱلْأَشْفَارِ وَهِيَ شَعَرُ ٱلْعَيْنِ. وَعِنْدَهُ أَيْضًا عَنْ عَلِيٍّ قَالَ كَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْوَدَ ٱلْحَدَقَةِ أَهْدَبَ ٱلْأَشْفَارِ. وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَعَثَنِي ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ٱلْيَمَنِ فَرَآنِي حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ ٱلْيَهُودِ فَقَالَ لِي صِفْ أَبَا ٱلْقَاسِمِ فَقُلْتُ لَيْسَ بِٱلطَّوِيلِ ٱلْبَائِنِ وَلَا بِٱلْقَصِيرِ ٱلْحَدِيثَ وَفِيهِ قَالَ عَلِيٌّ ثُمَّ سَكَتُّ فَقَالَ ٱلْحَبْرُ وَمَاذَا قُلْتُ هٰذَا مَا يَحْضُرُنِي قَالَ ٱلْحَبْرُ فِي عَيْنَيْهِ حُمْرَةٌ حَسَنُ ٱللِّحْيَةِ ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ هٰذِهِ وَٱللَّهِ صِفَتُهُ قَالَ ٱلْحَبْرُ فَإِنِّي أَجِدُ هٰذِهِ ٱلصِّفَةَ فِي سِفْرِ آبَائِي وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَّهُ رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَى

ٱلنَّاسِ كَافَّةً *(وَأَمَّا سَمْعُهُ ٱلشَّرِيفُ) فَقَدْ قَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ ٱلسَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ لَيْسَ فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدٌ لِلهِ تَعَالَى رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ. وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ بَيْنَمَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَصْحَابِهِ إِذْ قَالَ لَهُمْ تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ قَالُوا مَا نَسْمَعُ مِنْ شَيْءٍ قَالَ إِنِّي لَأَسْمَعُ أَطِيطَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا تُلَامُ أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ. وَٱلْأَطِيطُ ٱلصَّوْتُ *(وَأَمَّا جَبِينُهُ ٱلْكَرِيمُ) فَقَدْ كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاضِحَ ٱلْجَبِينِ مَقْرُونَ ٱلْحَاجِبَيْنِ بِهٰذَا وَصَفَهُ عَلِيٌّ فَقَالَ مَقْرُونُ ٱلْحَاجِبَيْنِ صَلْتُ ٱلْجَبِينِ أَيْ وَاضِحُهُ وَعِنْدَ ٱلْبَيْهَقِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنَ ٱلصَّحَابَةِ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا رَجُلٌ حَسَنُ ٱلْجِسْمِ عَظِيمُ ٱلْجَبْهَةِ دَقِيقُ ٱلْحَاجِبَيْنِ. وَقَالَ ٱبْنُ أَبِي هَالَةَ أَزَجُّ ٱلْحَوَاجِبِ وَفُسِّرَ بِٱلْمُقَوَّسِ ٱلطَّوِيلِ ٱلْوَافِرِ ٱلشَّعَرِ ثُمَّ قَالَ سَوَابِغُ مِنْ غَيْرِ قَرَنٍ بَيْنَهُمَا عِرْقٌ يُدِرُّهُ ٱلْغَضَبُ. وَعَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ قَالَ أَوْحَى ٱللهُ تَعَالَى إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٱسْمَعْ وَأَطِعْ يَا ٱبْنَ ٱلطَّاهِرَةِ ٱلْبِكْرِ ٱلْبَتُولِ إِنِّي خَلَقْتُكَ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ فَجَعَلْتُكَ آيَةً لِلْعَالَمِينَ فَإِيَّايَ فَٱعْبُدْ وَعَلَيَّ فَتَوَكَّلْ فَسِّرْ لِأَهْلِ سُورَانَ إِنِّي أَنَا ٱللهُ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا أَزُولُ صَدِّقُوا ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ صَاحِبَ ٱلْجَمَلِ وَٱلْمِدْرَعَةِ وَٱلْعِمَامَةِ وَٱلنَّعْلَيْنِ وَٱلْهِرَاوَةِ ٱلْجَعْدَ ٱلرَّأْسِ ٱلصَّلْتَ ٱلْجَبِينِ ٱلْمَقْرُونَ ٱلْحَاجِبَيْنِ ٱلْأَهْدَبَ ٱلْأَشْفَارِ ٱلْأَدْعَجَ ٱلْعَيْنَيْنِ ٱلْأَنْجَلَ ٱلْعَيْنَيْنِ ٱلْأَقْنَى ٱلْأَنْفِ ٱلْوَاضِحَ ٱلْخَدَّيْنِ ٱلْكَثَّ ٱللِّحْيَةِ عَرَقُهُ فِي وَجْهِهِ كَٱللُّؤْلُؤِ وَرِيحُ ٱلْمِسْكِ يَنْفَحُ

مِنْهُ كَأَنَّ عُنُقَهُ إِبْرِيقُ فِضَّةٍ الْحَدِيثَ . وَالْأَنْجَلُ الْوَاسِعُ شَقِّ الْعَيْنِ وَالْقَرَنُ بِالتَّحْرِيكِ الْتِقَاءُ الْحَاجِبَيْنِ. قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ وَالصَّحِيحُ فِي صِفَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ حَوَاجِبَهُ سَوَابِغُ مِنْ غَيْرِ قَرَنٍ كَمَا وَصَفَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ ابْنُ أَبِي هَالَةَ . وَالْقَنَى فِي الْأَنْفِ طُولُهُ وَرِقَّةُ أَرْنَبَتِهِ مَعَ حَدَبٍ قَلِيلٍ فِي وَسَطِهِ * وَقَدْ وَصَفَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ وَغَيْرُهُ بِأَنَّهُ كَانَ عَظِيمَ الْهَامَةِ أَيِ الرَّأْسِ . وَقَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ضَخْمُ الرَّأْسِ . وَقَالَ أَنَسٌ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ضَخْمَ الْكَرَادِيسِ وَهِيَ رُؤُوسُ الْعِظَامِ وَقَالَ فِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ جَلِيلَ الْمُشَاشِ وَالْكَتَدِ وَفُسِّرَ بِرُؤُوسِ الْعِظَامِ كَالرُّكْبَتَيْنِ وَالْمِرْفَقَيْنِ وَالْمَنْكِبَيْنِ أَيْ عَظِيمَهَا. وَالْكَتَدُ مُجْتَمَعُ الْكَتِفَيْنِ * وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دَقِيقَ الْعِرْنِينِ أَيْ أَعْلَى الْأَنْفِ كَمَا وَصَفَهُ بِهِ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَوَصَفَهُ أَيْضًا بِأَقْنَى الْأَنْفِ وَفُسِّرَ بِالسَّائِلِ الْمُرْتَفِعِ الْوَسَطِ . وَقَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ أَقْنَى الْعِرْنِينِ لَهُ نُورٌ يَعْلُوهُ يَحْسَبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشَمَّ . وَالْأَشَمُّ الطَّوِيلُ قَصَبَةِ الْأَنْفِ * (وَأَمَّا فَمُهُ الشَّرِيفُ) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ ضَلِيعَ الْفَمِ . وَقَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتَتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ يَعْنِي لِسَعَةِ فَمِهِ وَالْعَرَبُ تَمْدَحُ بِهِ وَتَذُمُّ بِصِغَرِ الْفَمِ . وَوَصَفَهُ ابْنُ أَبِي هَالَةَ فَقَالَ أَشْنَبَ مُفَلَّجَ الْأَسْنَانِ . وَالشَّنَبُ رَوْنَقُ الْأَسْنَانِ وَمَاؤُهَا وَمُفَلَّجُ الْأَسْنَانِ أَيْ مُتَفَرِّقُهَا . وَقَالَ عَلِيٌّ مُبَلَّجُ الثَّنَايَا وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ بَرَّاقُ الثَّنَايَا . وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْلَجَ الثَّنِيَّتَيْنِ إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَرَوَى

الطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ عِبَادِ اللهِ شَفَتَيْنِ وَأَلْطَفَهُمْ خَتْمَ فَمٍ . وَعَنْ أَبِي قِرْصَافَةَ قَالَ بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَأُمِّي وَخَالَتِي فَلَمَّا رَجَعْنَا قَالَتْ لِي أُمِّي وَخَالَتِي يَا بُنَيَّ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هٰذَا الرَّجُلِ أَحْسَنَ وَجْهاً وَلَا أَنْقَى ثَوْباً وَلَا أَلْيَنَ كَلَاماً وَرَأَيْنَا كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ *﴿وَأَمَّا رِيقُهُ الشَّرِيفُ﴾* صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفِي الصَّحِيحِ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُوا أَنْ يُعْطَاهَا قَالَ أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَالُوا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ قَالَ فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ . وَمَجَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بِئْرٍ فَفَاحَ مِنْهَا رَائِحَةُ الْمِسْكِ وَبَصَقَ فِي بِئْرٍ فِي دَارِ أَنَسٍ فَلَمْ يَكُنْ بِالْمَدِينَةِ بِئْرٌ أَعْذَبَ مِنْهَا . وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ يَدْعُو بِرُضَعَائِهِ وَرُضَعَاءِ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَيَتْفُلُ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَيَقُولُ لِلْأُمَّهَاتِ لَا تُرْضِعْنَهُمْ إِلَى اللَّيْلِ فَكَانَ رِيقُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجْزِيهِمْ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ . وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ عُمَيْرَةُ بِنْتُ مَسْعُودٍ هِيَ وَأَخَوَاتُهَا يُبَايِعْنَهُ وَهُنَّ خَمْسٌ فَوَجَدْنَهُ يَأْكُلُ قَدِيداً فَمَضَغَ لَهُنَّ قَدِيدَةً فَمَضَغْنَهَا كُلُّ وَاحِدَةٍ قِطْعَةً فَلَقِينَ اللهَ وَمَا وُجِدَ لِأَفْوَاهِهِنَّ خُلُوفٌ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ . وَالْخُلُوفُ تَغَيُّرُ رَائِحَةِ الْفَمِ . وَمَسَحَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ بَعْدَ أَنْ نَفَثَ فِيهَا مِنْ رِيقِهِ عَلَى ظَهْرِ عُتْبَةَ وَبَطْنِهِ وَكَانَ بِهِ شَرًى فَمَا كَانَ يُشَمُّ أَطْيَبُ مِنْهُ رَائِحَةً . وَأَعْطَى

الْحسن لسانه وكان قد اشتد ظمؤه فمصه حتى روي ﴿وأما فصاحة لسانه﴾ صلى الله عليه وسلم فكان أفصح خلق الله وأعذبهم كلاما حتى كأن كلامه يأخذ بالقلوب قالت عائشة رضي الله عنها ما كان صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه وكان يعيد الكلمة ثلاثا لتفهم عنه وكان يقول أنا أفصح العرب وإن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم. وقال عمر بن الخطاب يا رسول الله ما لك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا قال كانت لغة إسماعيل قد درست فجاءني بها جبريل فحفظنيها رواه أبو نعيم. وعن علي رضي الله عنه قال قلنا يا نبي الله نحن بنو أب واحد ونشأنا في بلد واحد وإنك تكلم العرب بلسان ما نفهم أكثره فقال إن الله عز وجل أدبني فأحسن تأديبي ونشأت في بني سعد بن بكر. وقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك قال أدبني ربي ونشأت في بني سعد. وأما ما يروى أنا أفصح من نطق بالضاد فقال ابن كثير لا أصل له لكن معناه صحيح * وقد جمع الناس من كلامه صلى الله عليه وسلم المفرد الموجز البديع الذي لم يسبق إليه دواوين وفي كتاب الشفاء للقاضي عياض من ذلك ما يشفي الغليل كقوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب، وقوله عليه الصلاة والسلام أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، السعيد من وعظ بغيره، ومما لم يذكره رحمه الله قوله عليه الصلاة والسلام إنما الأعمال بالنيات رواه الشيخان، ليس للعامل من عمله إلا ما نواه، نية

ٱلْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ رَوَاهُ ٱلطَّبَرَانِيُّ . يَا خَيْلَ ٱللهِ ارْكَبِي رَوَاهُ ٱلشَّيْخَانِ . أَلْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ ٱلْحَجَرُ رَوَاهُ ٱلشَّيْخَانِ وَٱلْعَاهِرُ ٱلزَّانِي ، كُلُّ ٱلصَّيْدِ فِي جَوْفِ ٱلْفَرَا رَوَاهُ ٱلرَّامَهُرْمُزِيُّ وَٱلْفَرَا حِمَارُ ٱلْوَحْشِ ، أَلْحَرْبُ خَدْعَةٌ رَوَاهُ ٱلشَّيْخَانِ ، إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ ٱلدِّمَنِ ٱلْمَرْأَةَ ٱلْحَسْنَاءَ فِي ٱلْمَنْبَتِ ٱلسُّوءِ رَوَاهُ ٱلرَّامَهُرْمُزِيُّ وَٱلدِّمَنُ جَمْعُ دِمْنَةٍ وَهِيَ ٱلْبَعْرُ ، أَلْأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ أَيْ إِنَّهُمْ بِطَانَتُهُ وَمَوْضِعُ سِرِّهِ ، لَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ رَوَاهُ ٱلْإِمَامُ أَحْمَدُ وَٱبْنُ مَاجَه ، لَيْسَ ٱلشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ ٱلنَّاسَ إِنَّمَا ٱلشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ رَوَاهُ ٱبْنُ حِبَّانَ ، لَيْسَ ٱلشَّدِيدُ بِٱلصُّرَعَةِ إِنَّمَا ٱلشَّدِيدُ ٱلَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ ٱلْغَضَبِ رَوَاهُ ٱلشَّيْخَانِ ، لَيْسَ ٱلْخَبَرُ كَٱلْمُعَايَنَةِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ ، أَلْمَجَالِسُ بِٱلْأَمَانَةِ رَوَاهُ ٱلْعُقَيْلِيُّ ، أَلْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِٱلْمَنْطِقِ رَوَاهُ ٱبْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرُهُ ، تَرْكُ ٱلشَّرِّ صَدَقَةٌ ، أَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ ٱلْبُخْلِ رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ ، لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ أَيْ لَا يَجْرِي فِيهَا خِلَافٌ وَلَا نِزَاعٌ ، أَلْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، أَلْيَمِينُ ٱلْفَاجِرَةُ تَدَعُ ٱلدِّيَارَ بَلَاقِعَ رَوَاهُ فِي مُسْنَدِ ٱلْفِرْدَوْسِ ، سَيِّدُ ٱلْقَوْمِ خَادِمُهُمْ رَوَاهُ أَبُو عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلسُّلَمِيُّ ، فَضْلُ ٱلْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ ٱلْعِبَادَةِ رَوَاهُ ٱلطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ ، أَلْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا ٱلْخَيْرُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَفِي لَفْظٍ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا ٱلْخَيْرُ ، أَعْجَلُ ٱلْأَشْيَاءِ عُقُوبَةً ٱلْبَغْيُ ، إِنَّ مِنَ ٱلْبَيَانِ لَسِحْرًا وَإِنَّ مِنَ ٱلْعِلْمِ جَهْلًا وَإِنَّ مِنَ ٱلشِّعْرِ حِكَمًا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، أَلصِّحَّةُ وَٱلْفَرَاغُ نِعْمَتَانِ رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ ، إِسْتَعِينُوا عَلَى ٱلْحَاجَاتِ بِٱلْكِتْمَانِ فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ رَوَاهُ ٱلطَّبَرَانِيُّ ، أَلْمَكْرُ وَٱلْخَدِيعَةُ فِي ٱلنَّارِ رَوَاهُ ٱلدَّيْلَمِيُّ ، مَنْ

غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا رَوَاهُ مُسْلِمٌ، أَلْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ، أَلنَّدَمُ تَوْبَةٌ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ رَوَاهُ الْعَسْكَرِيُّ، حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ، أَلْعَارِيَةُ مُؤَدَّاةٌ وَالْمِنْحَةُ مَرْدُودَةٌ وَالدَّيْنُ مَقْضِيٌّ وَالزَّعِيمُ غَارِمٌ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ، سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ كَذَا رُوِيَ فِي عِدَّةِ رِوَايَاتٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ وَمَعْنَاهُ كَمَا قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ عَظُمَ ذٰلِكَ عِنْدَهُ وَكَبُرَ لَدَيْهِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ رَضِيَ وَأَثَابَ، قُتِلَ صَبْرًا رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ، لَيْسَ الْمَسْؤُولُ بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ، لَا تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ أَدَبًا رَوَاهُ أَحْمَدُ أَيْ لَا تَدَعْ تَأْدِيبَهُمْ وَجَمْعَهُمْ عَلَى طَاعَةِ اللّٰهِ يُقَالُ شَقَّ الْعَصَا إِذَا فَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَلَيْسَ الْمُرَادُ الضَّرْبَ بِالْعَصَا وَلٰكِنَّهُ جَعَلَهُ مَثَلًا، إِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالْحَبَطُ انْتِفَاخُ الْبَطْنِ مِنْ كَثْرَةِ الْأَكْلِ حَتَّى يَنْتَفِخَ فَيَمُوتَ أَوْ يُلِمُّ أَيْ يَقْرُبُ مِنَ الْهَلَاكِ وَهُوَ مَثَلٌ لِلْمُنْهَمِكِ فِي جَمْعِ الدُّنْيَا الْمَانِعِ مِنْ إِخْرَاجِهَا فِي وَجْهِهَا، خَيْرُ الْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنٍ نَائِمَةٍ وَمَعْنَاهُ عَيْنُ مَاءٍ تَجْرِي لَيْلًا وَنَهَارًا وَصَاحِبُهَا نَائِمٌ، خَيْرُ مَالِ الْمَرْءِ مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ أَوْ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ وَمَعْنَى مَأْمُورَةٌ كَثِيرَةُ النِّتَاجِ وَسِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ أَيْ طَرِيقَةٌ مُصْطَفَّةٌ مِنَ النَّخْلِ، مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَغَيْرُهُ، إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَسَعُوهُمْ بِأَخْلَاقِكُمْ رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَغَيْرُهُ، أَلْخُلُقُ السَّيِّئُ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ، إِنَّ هٰذَا الدِّينَ مَتِينٌ

فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ وَلَا تُبَغِّضْ لِنَفْسِكَ عِبَادَةَ ٱللهِ فَإِنَّ ٱلْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى رَوَاهُ ٱلْبَزَّارُ وَغَيْرُهُ وَٱلْمُنْبَتُّ ٱلْمُنْقَطِعُ وَٱلْمُرَادُ بِهِ ٱلَّذِي يَعْسِفُ ٱلرِّكَابَ وَيَحْمِلُهَا عَلَى مَا لَا تُطِيقُ رَجَاءَ ٱلْإِسْرَاعِ فَيَنْقَطِعُ ظَهْرُهُ فَلَا هُوَ قَطَعَ ٱلْأَرْضَ ٱلَّتِي أَرَادَ وَلَا أَبْقَى ظَهْرَهُ سَالِمًا ، إِنَّ ٱلدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ ٱلدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ ، أَلْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ ٱلْمَوْتِ وَٱلْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى ٱللهِ ٱلْأَمَانِيَّ رَوَاهُ ٱلْحَاكِمُ ، مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ فَدَعْهُ رَوَاهُ ٱلطَّبَرَانِيُّ ، تُنْكَحُ ٱلْمَرْأَةُ لِجَمَالِهَا وَمَالِهَا وَدِينِهَا وَحَسَبِهَا فَعَلَيْكَ بِذَاتِ ٱلدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَتَرِبَتْ لَصِقَتْ بِٱلتُّرَابِ أَيِ ٱفْتَقَرَتْ إِذَا خَالَفَتْ ، أَلشِّتَاءُ رَبِيعُ ٱلْمُؤْمِنِ قَصُرَ نَهَارُهُ فَصَامَهُ وَطَالَ لَيْلُهُ فَقَامَهُ رَوَاهُ ٱلْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ ، أَلْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ وَكَنْزٌ لَا يَفْنَى رَوَاهُ ٱلطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ ، مَا خَابَ مَنِ ٱسْتَخَارَ وَلَا نَدِمَ مَنِ ٱسْتَشَارَ وَلَا عَالَ مَنِ ٱقْتَصَدَ رَوَاهُ ٱلطَّبَرَانِيُّ ، أَلْإِقْتِصَادُ فِي ٱلنَّفَقَةِ نِصْفُ ٱلْمَعِيشَةِ وَٱلتَّوَدُّدُ إِلَى ٱلنَّاسِ نِصْفُ ٱلْعَقْلِ وَحُسْنُ ٱلسُّؤَالِ نِصْفُ ٱلْعِلْمِ رَوَاهُ ٱلْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ ، لَا عَقْلَ كَٱلتَّدْبِيرِ وَلَا وَرَعَ كَٱلْكَفِّ وَلَا حَسَبَ كَحُسْنِ ٱلْخُلُقِ رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ ، أَلْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَٱلْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا حَرَّمَ ٱللهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، أَلتَّدْبِيرُ نِصْفُ ٱلْمَعِيشَةِ وَٱلتَّوَدُّدُ نِصْفُ ٱلْعَقْلِ وَٱلْهَمُّ نِصْفُ ٱلْهَرَمِ وَقِلَّةُ ٱلْعِيَالِ أَحَدُ ٱلْيَسَارَيْنِ رَوَاهُ ٱلدَّيْلَمِيُّ ، أَدِّ ٱلْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ٱئْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ ، أَلرَّضَاعُ يُغَيِّرُ ٱلطِّبَاعَ رَوَاهُ أَبُو ٱلشَّيْخِ ، لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ رَوَاهُ ٱلْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ ،

أَلنِّسَاءُ حَبَائِلُ ٱلشَّيْطَانِ رَوَاهُ فِي مُسْنَدِ ٱلْفِرْدَوْسِ، حُسْنُ ٱلْعَهْدِ مِنَ ٱلْإِيمَانِ رَوَاهُ ٱلْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ جَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَى رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عِنْدِي فَقَالَ لَهَا مَنْ أَنْتِ فَقَالَتْ جَثَّامَةُ ٱلْمُزَنِيَّةُ قَالَ أَنْتِ حَسَّانَةُ كَيْفَ أَنْتُمْ كَيْفَ حَالُكُمْ كَيْفَ كُنْتُمْ قَالَتْ بِخَيْرٍ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَلَمَّا خَرَجَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ ٱللَّهِ تُقْبِلُ عَلَى هٰذِهِ ٱلْعَجُوزِ هٰذَا ٱلْإِقْبَالَ قَالَ إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ وَإِنَّ حُسْنَ ٱلْعَهْدِ مِنَ ٱلْإِيمَانِ، جَمَالُ ٱلرَّجُلِ فَصَاحَةُ لِسَانِهِ رَوَاهُ ٱلْقُضَاعِيُّ، مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا رَوَاهُ ٱلطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ، لَا فَقْرَ أَشَدُّ مِنَ ٱلْجَهْلِ وَلَا مَالَ أَعَزُّ مِنَ ٱلْعَقْلِ وَلَا وَحْشَةَ أَشَدُّ مِنَ ٱلْعُجْبِ رَوَاهُ ٱبْنُ مَاجَه، أَلذَّنْبُ لَا يُنْسَى وَٱلْبِرُّ لَا يَبْلَى وَٱلدَّيَّانُ لَا يَمُوتُ فَكُنْ كَمَا شِئْتَ رَوَاهُ فِي مُسْنَدِ ٱلْفِرْدَوْسِ، مَا جُمِعَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَحْسَنَ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ رَوَاهُ ٱلْعَسْكَرِيُّ، إِلْتَمِسُوا ٱلرِّزْقَ فِي خَبَايَا ٱلْأَرْضِ رَوَاهُ ٱبْنُ أَبِي شُرَيْحٍ وَٱلْمُرَادُ ٱلزَّرْعُ، كُنْ فِي ٱلدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ ٱلْقُبُورِ رَوَاهُ ٱلْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ، صَنَائِعُ ٱلْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ ٱلسُّوءِ وَصَدَقَةُ ٱلسِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ ٱلرَّبِّ وَصِلَةُ ٱلرَّحِمِ تَزِيدُ فِي ٱلْعُمْرِ رَوَاهُ ٱلطَّبَرَانِيُّ، أَلْعَفْوُ لَا يَزِيدُ ٱلْعَبْدَ إِلَّا عِزًّا وَٱلتَّوَاضُعُ لَا يَزِيدُهُ إِلَّا رِفْعَةً وَمَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ، أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ ٱلْغِنَى رَوَاهُ ٱلْأَرْبَعَةُ عَنْ عَائِشَةَ، أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَٱلْحَاكِمُ عَنْ شَكَلٍ، أَلدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ

يأْكُلُ منها البَرُّ والفاجرُ والآخرةُ وعدٌ صادقٌ يحكمُ فيها ملكٌ عادلٌ يحقُّ الحقَّ ويبطلُ الباطلَ فكونوا أبناءَ الآخرةِ ولا تكونوا أبناءَ الدنيا فإنَّ كلَّ أمٍّ يتبعها ولدُها رواه أبو نعيمٍ « أخسرُ الناسِ صفقةً منْ أذهبَ آخرتَه بدنيا غيرِه » ورواه ابنُ النجارِ من حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عامرٍ أخسرُ الناسِ صفقةً رجلٌ أخلقَ يديْهِ في آمالِه ولمْ تساعدْهُ الأيامُ على أمنيَّتِهِ فخرجَ منَ الدنيا بغيرِ زادٍ وقدمَ على اللهِ بغيرِ حجةٍ « إنَّ من كنوزِ البرِّ كتمانَ المصائبِ » « اليمينُ حنثٌ أوْ ندمٌ » رواه أبو يعلى وغيرُه « لا تظهرِ الشماتةَ بأخيكَ يعافيهِ اللهُ ويبتليكَ » رواه الترمذيُّ وغيرُه « جفَّ القلمُ بما أنتَ لاقٍ » قاله لأبي هريرةَ « اليومَ الرهانُ وغداً السباقُ والغايةُ الجنةُ والهالكُ منْ دخلَ النارَ » « منْ ضمنَ لي ما بينَ لحييْهِ وما بينَ رجليْهِ ضمنتُ له على اللهِ الجنةَ » رواه البخاريُّ وغيرُه « فهذا وأشباهُه مما يعسرُ استقصاؤُه يدلُّكَ على أنَّه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قدْ رقيَ منَ الفصاحةِ وجوامعِ الكلمِ درجةً لا يقاسُ بها غيرُه وحازَ مرتبةً لا يقدرُ فيها قدرُه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ * ومما عُدَّ منْ وجوهِ بلاغتِه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّه جمعَ متفرقاتِ الشرائعِ وقواعدَ الإسلامِ في أربعةِ أحاديثَ وهي حديثُ: إنما الأعمالُ بالنياتِ رواه الشيخانِ « وحديثُ الحلالُ بيِّنٌ والحرامُ بيِّنٌ رواه مسلمٌ » وحديثُ البيِّنةُ على المدَّعي واليمينُ على منْ أنكرَ « وحديثُ لا يكملُ إيمانُ المرءِ حتى يحبَّ لأخيهِ ما يحبُّ لنفسِه رواه الشيخانِ » فالحديثُ الأولُ يشتملُ على ربعِ العباداتِ والحديثُ الثاني يشتملُ على ربعِ المعاملاتِ والحديثُ الثالثُ

يَشْتَمِلُ عَلَى رُبُعِ الْحُكُومَاتِ وَفَصْلِ الْخُصُومَاتِ وَالْحَدِيثُ الرَّابِعُ يَشْتَمِلُ عَلَى رُبُعِ الْآدَابِ وَالْمُنَاصَفَاتِ وَيَدْخُلُ تَحْتَهُ التَّحْذِيرُ مِنَ الْجِنَايَاتِ قَالَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ * وَقَدْ كَانَ مِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُكَلِّمَ كُلَّ ذِي لُغَةٍ بَلِيغَةٍ بِلُغَتِهِ عَلَى اخْتِلَافِ لُغَاتِ الْعَرَبِ وَتَرْكِيبِ أَلْفَاظِهَا وَأَسَالِيبِ كَلِمِهَا وَكَانَ أَحَدُهُمْ لَا يَتَجَاوَزُ لُغَتَهُ وَإِنْ سَمِعَ لُغَةَ غَيْرِهِ فَكَالْعَجَمِيَّةِ يَسْمَعُهَا الْعَرَبِيُّ وَمَا ذَلِكَ مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بِقُوَّةٍ إِلَهِيَّةٍ وَمَوْهِبَةٍ رَبَّانِيَّةٍ لِأَنَّهُ بُعِثَ إِلَى الْكَافَّةِ طُرًّا وَإِلَى الْخَلِيقَةِ سُودًا وَحُمْرًا وَلَا يُوجَدُ غَالِبًا مُتَكَلِّمٌ بِغَيْرِ لُغَتِهِ إِلَّا قَاصِرًا نَازِلًا عَنْ صَاحِبِ الْأَصَالَةِ بِتِلْكَ اللُّغَةِ إِلَّا نَبِيَّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ يَتَكَلَّمُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ أَفْصَحَ مِنْهَا بِلُغَةِ نَفْسِهَا وَجَدِيرٌ بِهِ ذَلِكَ فَقَدْ أُوتِيَ فِي سَائِرِ الْقُوَى الْبَشَرِيَّةِ الْمَحْمُودَةِ زِيَادَةً عَلَى سَائِرِ النَّاسِ مَا لَا يَضْبِطُهُ قِيَاسٌ * ﴿وَأَمَّا صَوْتُهُ الشَّرِيفُ﴾ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا قَطُّ إِلَّا بَعَثَهُ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الصَّوْتِ حَتَّى بَعَثَ اللهُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَهُ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الصَّوْتِ . وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ . وَقَدْ كَانَ صَوْتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَبْلُغُ حَيْثُ لَا يَبْلُغُهُ صَوْتُ غَيْرِهِ فَعَنِ الْبَرَاءِ قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَسْمَعَ الْعَوَاتِقَ فِي خُدُورِهِنَّ . قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا جَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ لِلنَّاسِ اجْلِسُوا فَسَمِعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَهُوَ فِي بَنِي غَنْمٍ فَجَلَسَ فِي مَكَانِهِ . وَقَالَ

عَبْدُ ٱلرَّحْمنِ بْنُ مُعَاذٍ ٱلتَّيْمِيُّ خَطَبَنَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِنًى فَفَتَحَ ٱللهُ أَسْمَاعَنَا حَتَّى إِنْ كُنَّا لَنَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَنَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا • وَعَنْ أُمِّ هَانِئٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا قَالَتْ كُنَّا نَسْمَعُ قِرَاءَةَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَوْفِ ٱللَّيْلِ عِنْدَ ٱلْكَعْبَةِ وَأَنَا عَلَى عَرِيشِي * (وَأَمَّا ضَحِكُهُ) صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنِ ٱلْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا مَا رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ • وَٱللَّهَوَاتُ جَمْعُ لَهَاةٍ وَهِيَ ٱللَّحْمَةُ ٱلَّتِي بِأَعْلَى ٱلْحَنْجَرَةِ مِنْ أَقْصَى ٱلْفَمِ • وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فِي قِصَّةِ ٱلْمُوَاقِعِ أَهْلَهُ فِي رَمَضَانَ فَضَحِكَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ • وَٱلنَّوَاجِذُ ٱلْأَضْرَاسُ • وَقَالَ ٱبْنُ أَبِي هَالَةَ جُلُّ ضَحِكِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلتَّبَسُّمُ وَيَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبِّ ٱلْغَمَامِ قَالَ ٱلْحَافِظُ ٱبْنُ حَجَرٍ وَٱلَّذِي يَظْهَرُ مِنْ مَجْمُوعِ ٱلْأَحَادِيثِ أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي مُعْظَمِ أَحْوَالِهِ لَا يَزِيدُ عَلَى ٱلتَّبَسُّمِ وَرُبَّمَا زَادَ عَلَى ذٰلِكَ فَضَحِكَ • قَالَ ٱبْنُ بَطَّالٍ وَٱلَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُقْتَدَى بِهِ مِنْ أَفْعَالِهِ مَا وَاظَبَ عَلَيْهِ مِنْ ذٰلِكَ • وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ وَإِذَا ضَحِكَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَلَأْلَأُ فِي ٱلْجُدُرِ أَيْ يُشْرِقُ نُورُهُ عَلَيْهِ إِشْرَاقًا كَإِشْرَاقِ ٱلشَّمْسِ عَلَيْهَا • وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِجِبْرِيلَ لَمْ يَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا حَتَّى يَرْتَفِعَ عَنْهُ بَلْ كَانَ إِذَا خَطَبَ أَوْ ذَكَرَ ٱلسَّاعَةَ ٱشْتَدَّ غَضَبُهُ وَعَلَا صَوْتُهُ كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ * وَكَانَ بُكَاؤُهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مِنْ جِنْسِ ضَحِكِهِ لَمْ يَكُنْ بِشَهِيقٍ

وَرَفْعِ صَوْتٍ كَمَا لَمْ يَكُنْ ضِحْكُهُ بِقَهْقَهَةٍ وَلٰكِنْ تَدْمَعُ عَيْنَاهُ حَتَّى تَهْمُلَانِ وَيُسْمَعُ لِصَدْرِهِ أَزِيزٌ يَبْكِي رَحْمَةً لِمَيِّتٍ وَخَوْفًا عَلَى أُمَّتِهِ وَشَفَقَةً وَمِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَأَحْيَانًا فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ . وَقَدْ حَفِظَهُ اللّٰهُ تَعَالَى مِنَ التَّثَاؤُبِ وَمَا تَثَاءَبَ نَبِيٌّ قَطُّ * ﴿وَأَمَّا يَدُهُ الشَّرِيفَةُ﴾ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ وَصَفَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ بِأَنَّهُ كَانَ شَثْنَ الْكَفَّيْنِ أَيْ غَلِيظَ أَصَابِعِهِمَا وَبِأَنَّهُ عَبْلُ الذِّرَاعَيْنِ رَحْبُ الْكَفَّيْنِ وَقَدْ مَسَحَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَدَّ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا وَرِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُونَةِ عَطَّارٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَقَالَ وَائِلُ بْنُ حُجْرٍ لَقَدْ كُنْتُ أُصَافِحُ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ يَمَسُّ جِلْدِي جِلْدَهُ فَأَتَعَرَّفُهُ بَعْدُ فِي يَدِي وَإِنَّهُ لَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ . وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْأَسْوَدِ نَاوَلَنِي رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ . وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ مَا مَسِسْتُ حَرِيرًا وَلَا دِيبَاجًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ كَانَتْ كَفُّهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُمْتَلِئَةً لَحْمًا غَيْرَ أَنَّهَا مَعَ ضَخَامَتِهَا كَانَتْ لَيِّنَةً . وَعَنْ مُعَاذٍ قَالَ رَدِفَنِي رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ فِي سَفَرٍ فَمَا مَسِسْتُ شَيْئًا قَطُّ أَلْيَنَ مِنْ جِلْدِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَأُصِيبَ عَائِذُ بْنُ عَمْرٍو فِي وَجْهِهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَسَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ وَصَدْرِهِ فَسَلَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّمَ بِيَدِهِ عَنْ وَجْهِهِ وَصَدْرِهِ ثُمَّ دَعَا لَهُ فَكَانَ أَثَرُ يَدِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى مُنْتَهَى مَا مَسَحَ مِنْ صَدْرِهِ غُرَّةً سَائِلَةً كَغُرَّةِ الْفَرَسِ رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ . وَمَسَحَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَ مَدْلُوكٍ أَبِي سُفْيَانَ

فَكَانَ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ يَدُهُ أَسْوَدَ وَشَابَ مَا سِوَى ذَلِكَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ • وَعَنْ أَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ مَسَحَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِيَدِهِ عَلَى رَأْسِي وَلِحْيَتِي ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ جَمِّلْهُ قَالَ الرَّاوِي عَنْهُ فَبَلَغَ بِضْعًا وَمِائَةَ سَنَةٍ وَمَا فِي لِحْيَتِهِ بَيَاضٌ وَلَقَدْ كَانَ مُنْبَسِطَ الْوَجْهِ وَلَمْ يَنْقَبِضْ وَجْهُهُ حَتَّى مَاتَ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ • وَمَسَحَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَأْسَ حَنْظَلَةَ بْنِ حِذْيَمٍ بِيَدِهِ وَقَالَ لَهُ بُورِكَ فِيكَ فَكَانَ يُؤْتَى بِالشَّاةِ الْوَارِمِ ضَرْعُهَا وَالْبَعِيرِ وَالْإِنْسَانِ بِهِ الْوَرَمُ فَيَتْفُلُ فِي يَدِهِ وَيَمْسَحُ بِصَلْعَتِهِ ثُمَّ يَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ عَلَى أَثَرِ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَمْسَحُهُ ثُمَّ يَمْسَحُ مَوْضِعَ الْوَرَمِ فَيَذْهَبُ الْوَرَمُ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ • وَقَدْ جَاءَ فِي عِدَّةِ أَحَادِيثَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ فَعَنْ أَنَسٍ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ • قَالَ الطَّبَرِيُّ وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْإِبْطَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ مُتَغَيِّرُ اللَّوْنِ غَيْرَهُ • وَعَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي حَرِيشٍ قَالَ ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَالَ عَلَيَّ مِنْ عَرَقِ إِبْطِهِ مِثْلُ رِيحِ الْمِسْكِ رَوَاهُ الْبَزَّارُ * وَوَصَفَهُ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فَقَالَ ذُو مَسْرُبَةٍ وَفُسِّرَ بِخَيْطِ الشَّعَرِ بَيْنَ الصَّدْرِ وَالسُّرَّةِ وَعِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ لَهُ شَعَرَاتٌ مِنْ لَبَّتِهِ إِلَى سُرَّتِهِ تَجْرِي كَالْقَضِيبِ لَيْسَ عَلَى صَدْرِهِ وَلَا عَلَى بَطْنِهِ غَيْرُهَا • وَوَصَفَتْ بَطْنَهُ أُمُّ هَانِئٍ فَقَالَتْ مَا رَأَيْتُ بَطْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا ذَكَرْتُ الْقَرَاطِيسَ الْمَثْنِيَّ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ * وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْيَضَ كَأَنَّمَا صِيغَ مِنْ فِضَّةٍ رَجِلَ الشَّعَرِ مُفَاضَ الْبَطْنِ عَظِيمَ مُشَاشِ الْمَنْكِبَيْنِ

وَمُفَاضُ ٱلْبَطْنِ وَاسِعُهُ وَٱلْمُشَاشُ رُؤُسُ ٱلْعِظَامِ * وَأَخْرَجَ ٱلْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ مُحَرِّشٍ ٱلْكَعْبِيِّ قَالَ اعْتَمَرَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ ٱلْجِعْرَانَةِ لَيْلًا فَنَظَرْتُ إِلَى ظَهْرِهِ كَأَنَّهُ سَبِيكَةُ فِضَّةٍ • وَرَوَى ٱلْبُخَارِيُّ كَانَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعِيدَ مَا بَيْنَ ٱلْمَنْكِبَيْنِ • وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَحْبَ ٱلصَّدْرِ * ﴿وَأَمَّا قَلْبُهُ ٱلشَّرِيفُ﴾ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ صَحَّ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ شَقَّهُ وَٱسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً فَقَالَ لَهُ هٰذَا حَظُّ ٱلشَّيْطَانِ مِنْكَ ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ لَأَمَهُ فَأَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ قَالَ أَنَسٌ فَلَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ٱلْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَهٰذَا ٱلشَّقُّ رُوِيَ أَنَّهُ وَقَعَ لَهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مَرَّاتٍ * ﴿وَأَمَّا جِمَاعُهُ﴾ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ كَانَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي ٱلسَّاعَةِ ٱلْوَاحِدَةِ مِنَ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ قَالَ ٱلرَّاوِي قُلْتُ لِأَنَسٍ أَوَكَانَ يُطِيقُهُ قَالَ كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ • وَعَنْ مُعَاذٍ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ وَعَنْ مُجَاهِدٍ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ رِجَالِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ وَعَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا يُعْطَى ٱلْمُؤْمِنُ فِي ٱلْجَنَّةِ قُوَّةَ كَذَا وَكَذَا فِي ٱلْجِمَاعِ قُلْتُ يَا رَسُولَ ٱللَّهِ أَوَيُطِيقُ ذٰلِكَ قَالَ يُعْطَى قُوَّةَ مِائَةٍ • وَقَدْ حَفِظَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى مِنَ ٱلْاِحْتِلَامِ فَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ مَا ٱحْتَلَمَ نَبِيٌّ قَطُّ وَإِنَّمَا ٱلْاِحْتِلَامُ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ رَوَاهُ ٱلطَّبَرَانِيُّ * ﴿وَأَمَّا قَدَمُهُ ٱلشَّرِيفُ﴾ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ وَصَفَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ بِأَنَّهُ كَانَ شَثْنَ ٱلْقَدَمَيْنِ أَيْ غَلِيظَ أَصَابِعِهِمَا • وَعَنْ مَيْمُونَةَ بِنْتِ كَرْدَمٍ قَالَتْ رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا نَسِيتُ طُولَ إِصْبَعِ قَدَمَيْهِ ٱلسَّبَّابَةِ عَلَى سَائِرِ أَصَابِعِهِ رَوَاهُ ٱلْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ • وَقَالَ ٱبْنُ

أَبِي هَالَةَ خُمْصَانُ الْأَخْمَصَيْنِ مَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ. وَالْأَخْمَصُ مِنَ الْقَدَمِ الْمَوْضِعُ الَّذِي لَا يَلْصَقُ بِالْأَرْضِ مِنْهَا عِنْدَ الْوَطْءِ وَالْخُمْصَانُ الْبَالِغُ مِنْهُ وَمَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ أَيْ مَلْسَاوَتَانِ لَيِّنَتَانِ لَيْسَ فِيهِمَا تَكَسُّرٌ وَلَا شُقَاقٌ. وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ الْبَشَرِ قَدَمًا * ﴿وَأَمَّا طُولُهُ الشَّرِيفُ﴾ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا قَصِيرٌ وَلَا طَوِيلٌ وَهُوَ إِلَى الطُّولِ أَقْرَبُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ. وَوَصَفَهُ غَيْرُهُ بِأَنَّهُ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ وَالْمُرَادُ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ الْمُفْرِطُ فِي الطُّولِ مَعَ اضْطِرَابِ الْقَامَةِ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ أَطْوَلُ مِنَ الْمَرْبُوعِ وَأَقْصَرُ مِنَ الْمُشَذَّبِ. وَالْمُشَذَّبُ الْبَائِنُ الطُّولِ فِي نَحَافَةٍ وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ لَمْ يَكُنْ بِالطَّوِيلِ الْمُمَّغِطِ أَيِ الْمُتَنَاهِي الطُّولِ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ وَكَانَ يُنْسَبُ إِلَى الرَّبْعَةِ إِذَا مَشَى وَحْدَهُ وَلَمْ يَكُنْ عَلَى حَالٍ يُمَاشِيهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُنْسَبُ إِلَى الطُّولِ إِلَّا طَالَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَرُبَّمَا اكْتَنَفَهُ الرَّجُلَانِ الطَّوِيلَانِ فَيَطُولُهُمَا فَإِذَا فَارَقَاهُ نُسِبَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الرَّبْعَةِ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ وَزَادَ ابْنُ سَبُعٍ فِي الْخَصَائِصِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا جَلَسَ يَكُونُ كَتِفُهُ أَعْلَى مِنْ جَمِيعِ الْجَالِسِينَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَوَصَفَهُ ابْنُ أَبِي هَالَةَ بِأَنَّهُ بَادِنٌ مُتَمَاسِكٌ أَيْ مُعْتَدِلُ الْخَلْقِ كَأَنَّ أَعْضَاءَهُ يُمْسِكُ بَعْضُهَا بَعْضًا * ﴿وَأَمَّا شَعْرُهُ الشَّرِيفُ﴾ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ قَتَادَةَ قَالَ سَأَلْتُ أَنَسًا عَنْ شَعْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ فَقَالَ شَعْرٌ بَيْنَ شَعْرَيْنِ لَا رَجِلٌ وَلَا سَبْطٌ وَلَا جَعْدٌ وَلَا قَطِطٌ كَانَ بَيْنَ أُذُنَيْهِ وَعَاتِقِهِ وَفِي رِوَايَةٍ كَانَ رَجِلًا لَيْسَ بِالسَّبِطِ وَلَا الْجَعْدِ بَيْنَ أُذُنَيْهِ وَعَاتِقِهِ وَفِي أُخْرَى إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا • وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كَانَ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَعْرٌ فَوْقَ الْجُمَّةِ وَدُونَ الْوَفْرَةِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ كَانَ إِلَى أُذُنَيْهِ وَفِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ يَضْرِبُ إِلَى مَنْكِبَيْهِ وَفِي حَدِيثِ أَبِي رِمْثَةَ يَبْلُغُ إِلَى كَتِفَيْهِ وَفِي رِوَايَةٍ مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَّةٍ أَحْسَنَ مِنْهُ. وَالْجُمَّةُ هِيَ الشَّعْرُ الَّذِي نَزَلَ إِلَى الْمَنْكِبَيْنِ وَالْوَفْرَةُ مَا نَزَلَ إِلَى شَحْمَةِ الْأُذُنَيْنِ وَاللِّمَّةُ الَّتِي أَلَمَّتْ بِالْمَنْكِبَيْنِ • قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَالْجَمْعُ بَيْنَ هٰذِهِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ مَا يَلِي الْأُذُنَ هُوَ الَّذِي يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ وَمَا خَلْفَهُ هُوَ الَّذِي يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ قَالَ وَقِيلَ بَلْ ذٰلِكَ لِاخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ فَإِذَا غَفَلَ عَنْ تَقْصِيرِهَا بَلَغَتِ الْمَنْكِبَ وَإِذَا قَصَّرَهَا كَانَتْ إِلَى أَنْصَافِ الْأُذُنَيْنِ فَكَانَتْ تَطُولُ وَتَقْصُرُ بِحَسَبِ ذٰلِكَ • وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْدِلُ شَعْرَهُ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرِقُونَ رُؤُسَهُمْ وَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسْدِلُونَ رُؤُسَهُمْ وَكَانَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ ثُمَّ فَرَقَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ نَحْوُهُ وَسَدْلُ الشَّعْرِ إِرْسَالُهُ وَالْمُرَادُ هُنَا إِرْسَالُهُ عَلَى الْجَبِينِ وَاتِّخَاذُهُ كَالْقُصَّةِ وَأَمَّا الْفَرْقُ فَهُوَ فَرْقُ الشَّعْرِ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ قَالَ الْعُلَمَاءُ وَالْفَرْقُ سُنَّةٌ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي رَجَعَ إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحِيحُ جَوَازُ الْفَرْقِ وَالسَّدْلِ لٰكِنَّ الْفَرْقَ أَفْضَلُ • وَالْقُصَّةُ شَعْرُ

النَّاصِيَةِ يُقَصُّ حَوْلَ الْجَبْهَةِ. وَعَنْ أُمِّ هَانِئٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ وَلَهُ أَرْبَعُ غَدَائِرَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَالْغَدَائِرُ هِيَ الذَّوَائِبُ وَاحِدَتُهَا غَدِيرَةٌ. وَفِي مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ كَانَ فِي لِحْيَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَعَرَاتٌ بِيضٌ وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَهُ لَمْ يَرَ مِنَ الشَّيْبِ إِلَّا قَلِيلًا وَفِي أُخْرَى لَهُ لَوْ شِئْتُ أَنْ أَعُدَّ شَمَطَاتٍ كُنَّ فِي رَأْسِهِ وَلَمْ يَخْضِبْ وَعِنْدَهُ أَيْضًا لَمْ يَخْضِبْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّمَا كَانَ الْبَيَاضُ فِي عَنْفَقَتِهِ وَفِي الصُّدْغَيْنِ وَفِي الرَّأْسِ نُبَذًا أَيْ شَعَرَاتٍ مُتَفَرِّقَةً. وَعَنْ أَنَسٍ مَا كَانَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ إِلَّا سَبْعَ عَشْرَةَ أَوْ ثَمَانَ عَشْرَةَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ. وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ نَحْوُ عِشْرِينَ. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْبُغُ بِالصُّفْرَةِ قَالَ النَّوَوِيُّ الْمُخْتَارُ أَنَّهُ صَبَغَ فِي وَقْتٍ وَتَرَكَهُ فِي مُعْظَمِ الْأَوْقَاتِ فَأَخْبَرَ كُلٌّ بِمَا رَأَى وَهُوَ صَادِقٌ. وَعَنْ أَنَسٍ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ دَهْنَ رَأْسِهِ وَتَسْرِيحَ لِحْيَتِهِ رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ. وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْحَلَّاقُ يَحْلِقُهُ وَأَطَافَ بِهِ أَصْحَابُهُ فَمَا يُرِيدُونَ أَنْ تَقَعَ شَعْرَةٌ إِلَّا فِي يَدِ رَجُلٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَلَمْ يُرْوَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَلَقَ رَأْسَهُ الشَّرِيفَ فِي غَيْرِ نُسُكِ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ فَتَكُونُ تَبْقِيَةُ الشَّعْرِ فِي الرَّأْسِ سُنَّةً وَمُنْكِرُهَا مَعَ عِلْمِهِ يَجِبُ تَأْدِيبُهُ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ التَّبْقِيَةَ يُبَاحُ لَهُ إِزَالَتُهُ. وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ قُلْتُ لِعَبِيدَةَ عِنْدَنَا مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَبْنَاهُ مِنْ قِبَلِ أَنَسٍ قَالَ لَأَنْ تَكُونَ عِنْدِي شَعْرَةٌ مِنْهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُ مِنْ لِحْيَتِهِ مِنْ عَرْضِهَا وَطُولِهَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَرَوَى

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُصُّ شَارِبَهُ * وَأَمَّا الْعَانَةُ فَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَتَنَوَّرُ وَكَانَ إِذَا كَثُرَ شَعْرُهُ حَلَقَهُ. وَفِي حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا طَلَى بَدَأَ بِعَانَتِهِ وَطَلَاهَا بِالنُّورَةِ وَسَائِرَ جَسَدِهِ أَهْلُهُ. وَحَدِيثُ دُخُولِهِ الْحَمَّامَ مَوْضُوعٌ * وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ مُرْسَلِ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَحِبُّ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ أَظْفَارِهِ وَشَارِبِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُفَارِقُ سِوَاكَهُ وَمُشْطَهُ وَكَانَ يَنْظُرُ فِي الْمِرْآةِ إِذَا سَرَّحَ لِحْيَتَهُ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ لَهُ مُكْحُلَةٌ يَكْتَحِلُ مِنْهَا كُلَّ لَيْلَةٍ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ ثَلَاثَةً فِي هٰذِهِ وَثَلَاثَةً فِي هٰذِهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ وَزَادَ أَحْمَدُ يَكْتَحِلُ بِالْإِثْمِدِ. وَالْإِثْمِدُ حَجَرُ الْكُحْلِ أَسْوَدُ يَضْرِبُ إِلَى حُمْرَةٍ. وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ أَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَطَيَّبُ قَالَتْ نَعَمْ بِذِكَارَةِ الطِّيبِ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ وَالذِّكَارَةُ جَمْعُ ذَكَرٍ مَا يَصْلُحُ لِلرِّجَالِ وَهُوَ مَا لَا لَوْنَ لَهُ * ﴿وَأَمَّا مَشْيُهُ الشَّرِيفُ﴾ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ تَكَفُّؤًا كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ وَالتَّكَفُّؤُ الْمَيْلُ إِلَى سَنَنِ الْمَشْيِ وَالصَّبَبُ الْمَكَانُ الْمُنْحَدِرُ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ إِذَا وَطِئَ بِقَدَمِهِ وَطِئَ بِكُلِّهَا. وَعَنْهُ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي مَشْيِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّمَا الْأَرْضُ تُطْوَى لَهُ إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا وَهُوَ غَيْرُ مُكْتَرِثٍ رَوَاهُ

ٱلتِّرْمِذِيُّ . وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَى مَشَى مُجْتَمِعًا أَيْ قَوِيَّ ٱلْأَعْضَاءِ غَيْرَ مُسْتَرْخٍ فِي ٱلْمَشْيِ . وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَى تَقَلَّعَ . وَقَالَ ٱبْنُ أَبِي هَالَةَ إِذَا زَالَ زَالَ تَقَلُّعًا يَخْطُو تَكَفِّيًا وَيَمْشِي هَوْنًا ذَرِيعَ ٱلْمِشْيَةِ إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ . قَالَ ٱبْنُ ٱلْقَيِّمِ ٱلتَّقَلُّعُ ٱلْإِرْتِفَاعُ مِنَ ٱلْأَرْضِ بِجُمْلَتِهِ كَحَالِ ٱلْمُنْحَطِّ فِي ٱلصَّبَبِ وَهِيَ مِشْيَةُ أُولِي ٱلْعَزْمِ وَٱلْهِمَّةِ وَٱلشَّجَاعَةِ وَهِيَ أَعْدَلُ ٱلْمِشْيَاتِ وَأَرْوَحُهَا لِلْأَعْضَاءِ . وَأَمَّا مَشْيُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَصْحَابِهِ فَكَانُوا يَمْشُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ خَلْفَهُمْ وَيَقُولُ خَلُّوا ظَهْرِي لِلْمَلَائِكَةِ . وَمَشَى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ مَرَّةً فَجُرِحَتْ إِصْبَعُهُ وَسَالَ مِنْهَا ٱلدَّمُ فَقَالَ هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ وَفِي سَبِيلِ ٱللهِ مَا لَقِيتِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظِلٌّ فِي شَمْسٍ وَلَا قَمَرٍ رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ ٱلْحَكِيمُ . قَالَ ٱبْنُ سَبُعٍ كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُورًا فَكَانَ إِذَا مَشَى بِٱلشَّمْسِ أَوِ ٱلْقَمَرِ لَا يَظْهَرُ لَهُ ظِلٌّ . ﴿ وَأَمَّا لَوْنُهُ ٱلشَّرِيفُ ﴾ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ وَصَفَهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جُمْهُورُ أَصْحَابِهِ بِٱلْبَيَاضِ فَمِنْ عِبَارَاتِهِمْ كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحًا ، كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحَ ٱلْوَجْهِ ، مَا أَنْسَى شِدَّةَ بَيَاضِ وَجْهِهِ مَعَ شِدَّةِ سَوَادِ شَعْرِهِ رَوَى هٰذَا ٱلطَّبَرَانِيُّ عَنْ أَبِي ٱلطُّفَيْلِ وَفِي شِعْرِ أَبِي طَالِبٍ :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى ٱلْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ ٱلْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

وَقَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ ٱللهُ وَجْهَهُ أَبْيَضُ مُشْرَبٌ بِحُمْرَةٍ ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَزْهَرُ ٱللَّوْنِ ، وَفِي رِوَايَةِ ٱلْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ لَيْسَ بِأَبْيَضَ أَمْهَقَ . وَعَنْ أَنَسٍ كَانَ

رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْيَضَ بَيَاضُهُ إِلَى ٱلسُّمْرَةِ قَالَ ٱلْبَيْهَقِيُّ يُقَالُ إِنَّ
ٱلْمُشْرَبَ مِنْهُ بِحُمْرَةٍ وَإِلَى ٱلسُّمْرَةِ مَا ضَحَى لِلشَّمْسِ وَٱلرِّيحِ أَيْ كَٱلْوَجْهِ وَٱلْعُنُقِ
وَأَمَّا مَا تَحْتَ ٱلثِّيَابِ فَهُوَ ٱلْأَزْهَرُ ٱلْأَبْيَضُ * ﴿وَأَمَّا طِيبُ رِيحِهِ وَعَرَقِهِ وَفَضَلَاتِهِ﴾
صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ كَانَتِ ٱلرَّائِحَةُ ٱلطَّيِّبَةُ صِفَتَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ لَمْ
يَمَسَّ طِيبًا قَالَ أَنَسٌ مَا شَمِمْتُ رِيحًا قَطُّ وَلَا مِسْكًا وَلَا عَنْبَرًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ
رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهُ ٱلْإِمَامُ أَحْمَدُ • وَعَنْ أُمِّ عَاصِمٍ ٱمْرَأَةِ
عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ ٱلسَّلَمِيِّ قَالَتْ كُنَّا عِنْدَ عُتْبَةَ أَرْبَعَ نِسْوَةٍ فَمَا مِنَّا ٱمْرَأَةٌ إِلَّا وَهِيَ
تَجْتَهِدُ فِي ٱلطِّيبِ لِتَكُونَ أَطْيَبَ مِنْ صَاحِبَتِهَا وَلَا يَمَسُّ عُتْبَةُ ٱلطِّيبَ إِلَّا أَنْ يَمَسَّ
دُهْنًا يَمْسَحُ بِهِ لِحْيَتَهُ وَلَهُوَ أَطْيَبُ رِيحًا مِنَّا وَكَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى ٱلنَّاسِ قَالُوا مَا شَمِمْنَا
رِيحًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ عُتْبَةَ فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا إِنَّا لَنَجْتَهِدُ فِي ٱلطِّيبِ وَلَأَنْتَ أَطْيَبُ
رِيحًا مِنَّا فَمِمَّ ذٰلِكَ فَقَالَ أَخَذَنِي ٱلشَّرَى عَلَى عَهْدِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَأَتَيْتُهُ فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ ذٰلِكَ فَأَمَرَنِي أَنْ أَتَجَرَّدَ فَتَجَرَّدْتُ وَقَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَلْقَيْتُ
ثَوْبِي عَلَى فَرْجِي فَنَفَثَ فِي يَدِهِ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرِي وَبَطْنِي بِيَدِهِ فَعَبِقَ بِي هٰذَا ٱلطِّيبُ
مِنْ يَوْمِئِذٍ رَوَاهُ ٱلطَّبَرَانِيُّ وَرَوَى أَيْضًا قِصَّةَ ٱلَّذِي ٱسْتَعَانَ بِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَى تَجْهِيزِ ٱبْنَتِهِ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَٱسْتَدْعَى بِقَارُورَةٍ فَسَلَتَ لَهُ فِيهَا مِنْ عَرَقِهِ
وَقَالَ مُرْهَا فَلْتَطَيَّبْ بِهِ فَكَانَتْ إِذَا تَطَيَّبَتْ بِهِ شَمَّ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ ذٰلِكَ ٱلطِّيبَ
فَسُمُّوا بَيْتَ ٱلْمُطَيَّبِينَ • وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا
مَرَّ فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ ٱلْمَدِينَةِ وَجَدُوا مِنْهُ رَائِحَةَ ٱلطِّيبِ وَقَالُوا مَرَّ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى

ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هٰذَا ٱلطَّرِيقِ رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَغَيْرُهُ وَرُوِيَ نَحْوُهُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ . وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ ٱلنَّاسِ وَجْهًا وَأَنْوَرَهُمْ لَوْنًا لَمْ يَصِفْهُ وَاصِفٌ قَطُّ إِلَّا شَبَّهَ وَجْهَهُ بِٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ وَكَانَ عَرَقُهُ فِي وَجْهِهِ مِثْلَ ٱللُّؤْلُؤِ أَطْيَبَ مِنَ ٱلْمِسْكِ ٱلْأَذْفَرِ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ . وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عِنْدَنَا فَعَرِقَ وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ ٱلْعَرَقَ فِيهَا فَٱسْتَيْقَظَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا هٰذَا ٱلَّذِي تَصْنَعِينَ قَالَتْ هٰذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا وَهُوَ أَطْيَبُ ٱلطِّيبِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ قَالَ ٱلْقَاضِي عِيَاضٌ كَانَتْ مَحْرَمًا لَهُ مِنْ قِبَلِ ٱلرَّضَاعِ . وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسَحَ خَدَّهُ قَالَ فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُونَةِ عَطَّارٍ قَالَ غَيْرُهُ مَسَّهَا بِطِيبٍ أَمْ لَمْ يَمَسَّهَا يُصَافِحُ ٱلْمُصَافِحَ فَيَظَلُّ يَوْمَهُ يَجِدُ رِيحَهَا وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ ٱلصَّبِيِّ فَيُعْرَفُ مِنْ بَيْنِ ٱلصِّبْيَانِ بِرِيحِهَا . وَقَدْ وَرَدَ مِمَّا عَزَاهُ ٱلْقَاضِي عِيَاضٌ لِلْأَخْبَارِ بِيِّنٍ وَمَنْ أَلَّفَ فِي ٱلشَّمَائِلِ ٱلْكَرِيمَةِ أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَغَوَّطَ ٱنْشَقَّتِ ٱلْأَرْضُ وَٱبْتَلَعَتْ بَوْلَهُ وَغَائِطَهُ وَفَاحَتْ لِذٰلِكَ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ . وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قَالَ حَجَمَ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُلَامٌ لِبَعْضِ قُرَيْشٍ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ حِجَامَتِهِ أَخَذَ ٱلدَّمَ فَذَهَبَ بِهِ مِنْ وَرَاءِ ٱلْحَائِطِ فَنَظَرَ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَمْ يَرَ أَحَدًا فَحَسَى دَمَهُ حَتَّى فَرَغَ ثُمَّ أَقْبَلَ فَنَظَرَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ وَيْحَكَ مَا صَنَعْتَ بِٱلدَّمِ قَالَ قُلْتُ غَيَّبْتُهُ مِنْ وَرَاءِ ٱلْحَائِطِ قَالَ أَيْنَ غَيَّبْتَهُ قُلْتُ يَا رَسُولَ ٱللهِ نَفِسْتُ عَلَى دَمِكَ

أَنْ أُهْرِيقَهُ فِي ٱلْأَرْضِ فَهُوَ فِي بَطْنِي فَقَالَ اُذْهَبْ فَقَدْ أَحْرَزْتَ نَفْسَكَ مِنَ ٱلنَّارِ. وَلَمَّا جُرِحَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَصَّ جُرْحَهُ مَالِكٌ وَالِدُ أَبِي سَعِيدٍ ٱلْخُدْرِيِّ حَتَّى أَنْقَاهُ وَلَاحَ أَبْيَضَ فَقَالَ مُجَّهُ فَقَالَ لَا وَٱللهِ لَا أَمُجُّهُ أَبَدًا ثُمَّ ٱزْدَرَدَهُ فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هٰذَا فَٱسْتُشْهِدَ. وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلزُّبَيْرِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قَالَ ٱحْتَجَمَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَانِي ٱلدَّمَ فَقَالَ اُذْهَبْ فَغَيِّبْهُ فَذَهَبْتُ فَشَرِبْتُهُ فَأَتَيْتُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا صَنَعْتَ قُلْتُ غَيَّبْتُهُ قَالَ لَعَلَّكَ شَرِبْتَهُ قُلْتُ شَرِبْتُهُ فَقَالَ وَيْلٌ لَكَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَوَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ وَفِي رِوَايَةٍ زِيَادَةُ وَلَا تَمَسُّكَ ٱلنَّارُ. وَعَنْ أُمِّ أَيْمَنَ قَالَتْ قَامَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ ٱللَّيْلِ إِلَى فَخَّارَةٍ فِي جَانِبِ ٱلْبَيْتِ فَبَالَ فِيهَا فَقُمْتُ مِنَ ٱللَّيْلِ وَأَنَا عَطْشَانَةٌ فَشَرِبْتُ مَا فِيهَا وَأَنَا لَا أَشْعُرُ فَلَمَّا أَصْبَحَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَا أُمَّ أَيْمَنَ قُومِي فَأَهْرِيقِي مَا فِي تِلْكَ ٱلْفَخَّارَةِ فَقُلْتُ قَدْ وَٱللهِ شَرِبْتُ مَا فِيهَا قَالَتْ فَضَحِكَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَا وَٱللهِ لَا يَيْجَعَنَّ بَطْنُكِ أَبَدًا. وَفِي هٰذِهِ ٱلْأَحَادِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى طَهَارَةِ بَوْلِهِ وَدَمِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ شَيْخُ ٱلْإِسْلَامِ ٱبْنُ حَجَرٍ قَدْ تَكَاثَرَتِ ٱلْأَدِلَّةُ عَلَى طَهَارَةِ فَضَلَاتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَدَّ ٱلْأَئِمَّةُ ذٰلِكَ فِي خَصَائِصِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَقَلَ ٱلنَّوَوِيُّ عَنِ ٱلْقَاضِي حُسَيْنٍ أَنَّ ٱلْأَصَحَّ ٱلْقَطْعُ بِطَهَارَةِ ٱلْجَمِيعِ وَبِهٰذَا قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ كَمَا قَالَهُ ٱلْعَيْنِيُّ، وَكَانَ أَكْثَرُ أَحْوَالِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْبَوْلُ عَنْ قُعُودٍ

وَبَالَ قَائِمًا لِبَيَانِ الْجَوَازِ • وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ الْخَلَاءَ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ. وَالْخُبُثُ ذُكْرَانُ الشَّيَاطِينِ وَالْخَبَائِثُ إِنَاثُهَا • وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ لَمْ يَرْفَعْ ثَوْبَهُ حَتَّى يَدْنُوَ مِنَ الْأَرْضِ • وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلَاءِ قَالَ غُفْرَانَكَ وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ كَانَ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي الْأَذَى وَعَافَانِي • وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْغَائِطَ فَلَا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلَا يُوَلِّهَا ظَهْرَهُ وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَفِيهِ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَنْجَى بِالْمَاءِ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَنْجَى بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ *

الفصل الثاني

فِيمَا أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الزَّكِيَّةِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ كَمَا أَحْسَنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ وَعِنْدَ مُسْلِمٍ فِي حَدِيثِ دُعَاءِ الْإِفْتِتَاحِ وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ * وَلَمَّا اجْتَمَعَ فِيهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خِصَالِ الْكَمَالِ مَا لَا يُحِيطُ بِهِ حَدٌّ وَلَا يَحْصُرُهُ عَدٌّ أَثْنَى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ فَقَالَ « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » وَحُسْنُ الْخُلُقِ مَلَكَةٌ نَفْسَانِيَّةٌ يَسْهُلُ عَلَى الْمُتَّصِفِ بِهَا الْإِتْيَانُ بِالْأَفْعَالِ الْجَمِيلَةِ وَإِنَّمَا كَانَ خُلُقُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَظِيمًا

لِاجْتِمَاعِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فِيهِ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّ اللهَ تَعَالَى بَعَثَنِي بِتَمَامِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَكَمَالِ مَحَاسِنِ الْأَفْعَالِ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَفِي رِوَايَةِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الْمُوَطَّإِ بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ. قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كَانَ خُلُقُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ فَكَمَا أَنَّ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ لَا تَتَنَاهَى كَذَلِكَ أَوْصَافُهُ الْجَمِيلَةُ الدَّالَّةُ عَلَى خُلُقِهِ الْعَظِيمِ لَا تَتَنَاهَى إِذْ فِي كُلِّ حَالَةٍ مِنْ أَحْوَالِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَجَدَّدُ لَهُ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الشِّيَمِ وَمَا يُفِيضُهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ مَعَارِفِهِ وَعُلُومِهِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ تَعَالَى فَإِذًا التَّعَرُّضُ لِحَصْرِ جُزْئِيَّاتِ أَخْلَاقِهِ الْجَمِيلَةِ تَعَرُّضٌ لِمَا لَيْسَ مِنْ مَقْدُورِ الْإِنْسَانِ وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْبُولًا عَلَى الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ فِي أَصْلِ خِلْقَتِهِ الزَّكِيَّةِ النَّقِيَّةِ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ ذَلِكَ بِرِيَاضَةِ نَفْسٍ بَلْ بِجُودٍ إِلٰهِيٍّ وَلِهَذَا لَمْ تَزَلْ تُشْرِقُ أَنْوَارُ الْمَعَارِفِ فِي قَلْبِهِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْغَايَةِ الْعُلْيَا وَالْمَقَامِ الْأَسْنَى وَأَصْلُ هَذِهِ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ كَمَالُ الْعَقْلِ لِأَنَّ بِهِ تُقْتَبَسُ الْفَضَائِلُ وَتُجْتَنَبُ الرَّذَائِلُ وَهُوَ أَمْرٌ رُوحَانِيٌّ بِهِ تُدْرِكُ النَّفْسُ الْعُلُومَ الضَّرُورِيَّةَ وَالنَّظَرِيَّةَ. وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كَمَالِ الْعَقْلِ فِي الْغَايَةِ الْقُصْوَى الَّتِي لَمْ يَبْلُغْهَا بَشَرٌ سِوَاهُ. قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ قَرَأْتُ فِي أَحَدٍ وَسَبْعِينَ كِتَابًا فَوَجَدْتُ فِي جَمِيعِهَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُعْطِ جَمِيعَ النَّاسِ مِنْ بَدْءِ الدُّنْيَا إِلَى انْقِضَائِهَا مِنَ الْعَقْلِ فِي جَنْبِ عَقْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا كَحَبَّةِ رَمْلٍ مِنْ جَمِيعِ رِمَالِ الدُّنْيَا وَأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْجَحُ النَّاسِ عَقْلًا وَأَفْضَلُهُمْ رَأْيًا رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ وَابْنُ عَسَاكِرَ. وَفِي عَوَارِفِ

ٱلْمَعَارِفِ عَنْ بَعْضِهِمُ ٱللُّبُّ وَٱلْعَقْلُ مِائَةُ جُزْءٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ فِي ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجُزْءٌ فِي سَائِرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ • وَمَنْ تَأَمَّلَ حُسْنَ تَدْبِيرِهِ لِلْعَرَبِ ٱلَّذِينَ هُمْ كَٱلْوَحْشِ ٱلشَّارِدِ مَعَ ٱلطَّبْعِ ٱلْمُتَنَافِرِ ٱلْمُتَبَاعِدِ وَكَيْفَ سَاسَهُمْ وَٱحْتَمَلَ جَفَاهُمْ وَصَبَرَ عَلَى أَذَاهُمْ إِلَى أَنِ ٱنْقَادُوا إِلَيْهِ وَٱجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وَقَاتَلُوا دُونَهُ أَهْلِيهِمْ وَآبَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَٱخْتَارُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَهَجَرُوا فِي رِضَاهُ أَوْطَانَهُمْ وَأَحِبَّاءَهُمْ مِنْ غَيْرِ مُمَارَسَةٍ سَبَقَتْ لَهُ وَلَا مُطَالَعَةِ كُتُبٍ يَتَعَلَّمُ مِنْهَا سِيَرَ ٱلْمَاضِينَ تَحَقَّقَ أَنَّهُ أَعْقَلُ ٱلْعَالَمِينَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * وَلَمَّا كَانَ عَقْلُهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أَوْسَعَ ٱلْعُقُولِ لَاجَرَمَ ٱتَّسَعَتْ أَخْلَاقُ نَفْسِهِ ٱلْكَرِيمَةِ ٱتِّسَاعًا لَا يَضِيقُ عَنْ شَيْءٍ • فَمِنْ ذٰلِكَ ٱتِّسَاعُ خُلُقِهِ ٱلْعَظِيمِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ٱلْحِلْمِ وَٱلْعَفْوِ مَعَ ٱلْقُدْرَةِ وَصَبْرُهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عَلَى مَا يَكْرَهُ وَحَسْبُكَ صَبْرُهُ وَعَفْوُهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عَنِ ٱلْكَافِرِينَ بِهِ ٱلْمُقَاتِلِينَ لَهُ ٱلْمُحَارِبِينَ لَهُ فِي أَشَدِّ مَا نَالُوهُ مِنْهُ مِنَ ٱلْجِرَاحِ وَٱلْجُهْدِ بِحَيْثُ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ وَشُجَّ وَجْهُهُ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى صَارَ ٱلدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ ٱلشَّرِيفِ حَتَّى شَقَّ ذٰلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ شَدِيدًا وَقَالُوا لَوْ دَعَوْتَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَلٰكِنْ بُعِثْتُ دَاعِيًا وَرَحْمَةً ٱللّٰهُمَّ ٱغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَفِي رِوَايَةٍ ٱهْدِ قَوْمِي * وَقَدْ وَقَعَ لَهُ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ غَضِبَ لِأَسْبَابٍ مُخْتَلِفَةٍ مَرْجِعُهَا إِلَى أَنَّ ذٰلِكَ كَانَ فِي أَمْرِ ٱللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَصَبْرُهُ وَعَفْوُهُ إِنَّمَا كَانَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِنَفْسِهِ ٱلشَّرِيفَةِ • وَقَدْ رَوَى ٱلْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ عَنْ زَيْدِ بْنِ سَعْنَةَ وَهُوَ أَجَلُّ أَحْبَارِ ٱلْيَهُودِ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا أَنَّهُ قَالَ لَمْ يَبْقَ مِنْ عَلَامَاتِ ٱلنُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ

عَرَفْتُهُ فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا ٱثْنَتَيْنِ لَمْ أُخْبُرْهُمَا مِنْهُ يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ وَلَا تَزِيدُهُ شِدَّةُ ٱلْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا فَكُنْتُ أَتَلَطَّفُ لَهُ لِأَنْ أُخَالِطَهُ فَأَعْرِفَ حِلْمَهُ وَجَهْلَهُ فَٱبْتَعْتُ مِنْهُ تَمْرًا إِلَى أَجَلٍ فَأَعْطَيْتُهُ ٱلثَّمَنَ فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَحِلِّ ٱلْأَجَلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ أَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ وَرِدَائِهِ وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ غَلِيظٍ ثُمَّ قُلْتُ أَلَا تَقْضِينِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي فَوَٱللّٰهِ إِنَّكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ مُطُلٌ فَقَالَ عُمَرُ أَيْ عَدُوَّ ٱللّٰهِ أَتَقُولُ لِرَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَسْمَعُ فَوَٱللّٰهِ لَوْلَا مَا أُحَاذِرُ فَوْتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي رَأْسَكَ وَرَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سُكُونٍ وَتُؤَدَةٍ وَتَبَسُّمٍ ثُمَّ قَالَ أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هٰذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ ٱلْأَدَاءِ وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ ٱلتَّقَاضِي ٱذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَٱقْضِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مَكَانَ مَا رُعْتَهُ فَفَعَلَ فَقُلْتُ يَا عُمَرُ كُلُّ عَلَامَاتِ ٱلنُّبُوَّةِ قَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا ٱثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبُرْهُمَا فَقَدِ ٱخْتَبَرْتُهُمَا أُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِٱللّٰهِ رَبًّا وَبِٱلْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا. وَرَوَى ٱلْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ كُنْتُ أَمْشِي مَعَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ ٱلْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِهِ وَقَدْ أَثَّرَتْ فِيهِ حَاشِيَةُ ٱلْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ ٱللّٰهِ ٱلَّذِي عِنْدَكَ فَٱلْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهَا لَمْ يَكُنِ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا يَجْزِي بِٱلسَّيِّئَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَلٰكِنْ يَعْفُو

وَيَصفحُ. وعَنْ عَائِشَةَ أَيضاً أَنَّ رجلاً اسْتأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ فَلَمَّا رَآهُ قَالَ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ ٱللهِ حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهِدْتِينِي فَحَّاشًا انَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ ٱللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ رَوَاهُ الْبخاريُّ قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ هٰذَا الرَّجُلُ هُوَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ الْأَحْمَقُ الْمُطَاعُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَوَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ أَيْضاً مِثْلُ هٰذِهِ الْقِصَّةِ مَعَ مَخْرَمَةَ بْنِ نَوْفَلٍ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ لَمْ يَكُنْ عُيَيْنَةُ وَٱللهُ أَعْلَمُ حِينَئِذٍ أَسْلَمَ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْدَهُ أُمُورٌ تَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ إِيمَانِهِ وَمَا لَعَنَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْلِماً بِذِكْرِ اسْمِهِ أَيْ بِصَرِيحِهِ وَمَا ضَرَبَ بِيَدِهِ شَيْئاً قَطُّ إِلَّا أَنْ يَضْرِبَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَلَا سُئِلَ شَيْئاً قَطُّ فَمَنَعَهُ إِلَّا أَنْ يُسْأَلَ مَأْثَماً وَمَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ ٱللهِ فَيَكُونُ لِلّٰهِ يَنْتَقِمُ رَوَاهُ الْحَاكِمُ * وَمِمَّا رُوِيَ مِنِ اتِّسَاعِ خُلُقِهِ وَحِلْمِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتِّسَاعُ خُلُقِهِ لِلْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُؤْذُونَهُ إِذَا غَابَ وَيَتَمَلَّقُونَ لَهُ إِذَا حَضَرَ وَذٰلِكَ مِمَّا تَنْفِرُ مِنْهُ النُّفُوسُ الْبَشَرِيَّةُ حَتَّى تُؤَيِّدَهَا الْعِنَايَةُ الرَّبَّانِيَّةُ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كُلَّمَا أُذِنَ لَهُ فِي التَّشْدِيدِ عَلَيْهِمْ فَتَحَ لَهُمْ بَاباً مِنَ الرَّحْمَةِ * وَلَمْ يُؤَاخِذْ لَبِيدَ بْنَ الْأَعْصَمِ إِذْ سَحَرَهُ وَعَفَا عَنِ الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي سَمَّتْهُ فِي الشَّاةِ عَلَى الصَّحِيحِ * وَمِنِ اتِّسَاعِ خُلُقِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَاضُعُهُ وَحُسْنُ عِشْرَتِهِ

مَعَ أَهْلِهِ وَخَدَمِهِ وَأَصْحَابِهِ وَحَسْبُكَ مِنْ تَوَاضُعِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ خَيَّرَهُ رَبُّهُ تَعَالَى بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا أَوْ نَبِيًّا عَبْدًا فَاخْتَارَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا فَأَعْطَاهُ اللّٰهُ بِتَوَاضُعِهِ أَنْ جَعَلَهُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَأَوَّلَ شَافِعٍ وَأَوَّلَ مُشَفَّعٍ فَلَمْ يَأْكُلْ مُتَّكِئًا بَعْدَ ذٰلِكَ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ اللّٰهِ وَرَسُولُهُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَمِنْ تَوَاضُعِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ لَا يَنْهَرُ خَادِمًا قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ خَدَمْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ وَلَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَهُ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ وَكَذٰلِكَ كَانَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ عَبِيدِهِ وَإِمَائِهِ مَا ضَرَبَ مِنْهُمْ أَحَدًا قَطُّ وَهٰذَا أَمْرٌ لَا تَتَّسِعُ لَهُ الطِّبَاعُ الْبَشَرِيَّةُ لَوْلَا التَّأْيِيدَاتُ الرَّبَّانِيَّةُ. وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا مَا ضَرَبَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللّٰهِ تَعَالَى فَيَنْتَقِمَ لِلّٰهِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَسُئِلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَلَا فِي بَيْتِهِ قَالَتْ أَلْيَنَ النَّاسِ بَسَّامًا ضَحَّاكًا لَمْ يُرَ قَطُّ مَادًّا رِجْلَيْهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ. وَعَنْهَا مَا كَانَ أَحَدٌ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا دَعَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْأَصْحَابِ إِلَّا قَالَ لَبَّيْكَ. وَرَوَى عَنْهَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ كَانَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ وَيَخْصِفُ

نعله ويرقع دلوه ويفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه وهذا يتعين حمله على أوقات فإنه ثبت أنه كان له خدم فتارة يكون بنفسه وتارة بغيره وتارة بالمشاركة * وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويردف خلفه وركب يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف رواه الترمذي * وعن قيس بن سعد رضي الله عنهما قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أراد الانصراف قرب اليه سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة وركب عليه الصلاة والسلام ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت فقال إما أن تركب وإما أن تنصرف وفي رواية اركب أمامي فصاحب الدابة أولى بمقدمها رواه أبو داود وغيره . وأردف صلى الله عليه وسلم بعض نسائه وأردف معاذ بن جبل وأردف أسامة بن زيد ولما قدم صلى الله عليه وسلم مكة استقبله أغلمة بني عبد المطلب فحمل واحدا بين يديه وآخر خلفه * وذكر الطبري في مختصر السيرة النبوية أنه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا عريا إلى قباء وأبو هريرة معه قال يا أبا هريرة أأحملك فقال ما شئت يا رسول الله قال اركب فوثب أبو هريرة ليركب فلم يقدر فاستمسك برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا معا ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أبا هريرة أأحملك فقال ما شئت يا رسول الله فقال اركب فلم يقدر أبو هريرة على ذلك فتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم قال يا أبا هريرة أأحملك فقال لا والذي بعثك بالحق لا رميتك

ثَالِثًا . وَذَكَرَ الْمُحِبُّ الطَّبَرِيُّ أَيْضًا أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ فِي سَفَرٍ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِإِصْلَاحِ شَاةٍ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ عَلَيَّ ذَبْحُهَا وَقَالَ آخَرُ يَا رَسُولَ اللهِ عَلَيَّ سَلْخُهَا وَقَالَ آخَرُ يَا رَسُولَ اللهِ عَلَيَّ طَبْخُهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيَّ جَمْعُ الْحَطَبِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ نَكْفِيكَ الْعَمَلَ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ تَكْفُونِي وَلَكِنْ أَكْرَهُ أَنْ أَتَمَيَّزَ عَلَيْكُمْ وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَكْرَهُ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرَاهُ مُتَمَيِّزًا بَيْنَ أَصْحَابِهِ . وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ وَفَدَ وَفْدُ النَّجَاشِيِّ فَقَامَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْدُمُهُمْ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ نَكْفِيكَ قَالَ إِنَّهُمْ كَانُوا لِأَصْحَابِنَا مُكْرِمِينَ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أُكَافِئَهُمْ . وَجَاءَتْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْرَأَةٌ كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ فَقَالَتْ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً فَقَالَ اجْلِسِي فِي أَيِّ سِكَكِ الْمَدِينَةِ شِئْتِ أَجْلِسْ إِلَيْكِ حَتَّى أَقْضِيَ حَاجَتَكِ فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا . وَقَالَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ أَبِي الْحَمْسَاءِ بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ فَنَسِيتُ فَذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلَاثٍ وَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ فَقَالَ لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ أَنَا هٰهُنَا مُنْذُ ثَلَاثٍ أَنْتَظِرُكَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَقَالَ ابْنُ أَبِي أَوْفَى كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ الْحَاجَةَ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ إِنْ كَانَتِ الْأَمَةُ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ فَتَنْطَلِقُ بِهِ فِي حَاجَتِهَا . وَدَخَلَ الْحَسَنُ وَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي قَدْ سَجَدَ فَرَكِبَ عَلَى ظَهْرِهِ فَأَبْطَأَ فِي سُجُودِهِ حَتَّى

نَزَلَ الْحَسَنُ فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ أَطَلْتَ سُجُودَكَ قَالَ إِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعْجِلَهُ أَيْ جَعَلَنِي كَالرَّاحِلَةِ فَرَكِبَ عَلَى ظَهْرِي * وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَعُودُ الْمَرْضَى وَيَشْهَدُ الْجَنَازَةَ وَحَجَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَحْلٍ رَثٍّ وَعَلَيْهِ قَطِيفَةٌ لَا تُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ فَقَالَ اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا لَا رِيَاءَ فِيهِ وَلَا سُمْعَةَ. وَكَانَ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ جَاءَ خَدَمُ الْمَدِينَةِ بِآنِيَتِهِمْ فِيهَا الْمَاءُ فَمَا يُؤْتَى بِإِنَاءٍ إِلَّا غَمَسَ يَدَهُ فِيهِ فَرُبَّمَا جَاؤُهُ بِالْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ فَيَغْمِسُ يَدَهُ فِيهَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ * وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَسَنَ الْعِشْرَةِ مَعَ أَزْوَاجِهِ وَكَانَ يَنَامُ مَعَهُنَّ قَالَ النَّوَوِيُّ وَهُوَ ظَاهِرُ فِعْلِهِ الَّذِي وَاظَبَ عَلَيْهِ مَعَ مُوَاظَبَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ فَيَنَامُ مَعَ إِحْدَاهُنَّ فَإِذَا أَرَادَ الْقِيَامَ لِوَظِيفَتِهِ قَامَ وَتَرَكَهَا فَيَجْمَعُ بَيْنَ وَظِيفَتِهِ وَأَدَاءِ حَقِّهَا الْمَنْدُوبِ وَعِشْرَتِهَا بِالْمَعْرُوفِ. وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُسَرِّبُ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بَنَاتِ الْأَنْصَارِ يَلْعَبْنَ مَعَهَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَإِذَا شَرِبَتْ مِنَ الْإِنَاءِ أَخَذَهُ فَوَضَعَ فَمَهُ عَلَى مَوْضِعِ فَمِهَا وَشَرِبَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَإِذَا تَعَرَّقَتْ عَرْقًا وَهُوَ الْعَظْمُ الَّذِي عَلَيْهِ اللَّحْمُ أَخَذَهُ فَوَضَعَ فَمَهُ عَلَى مَوْضِعِ فَمِهَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا وَكَانَ يَتَّكِئُ فِي حِجْرِهَا وَيُقَبِّلُهَا وَهُوَ صَائِمٌ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَكَانَ يُرِيهَا الْحَبَشَةَ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ وَهِيَ مُتَّكِئَةٌ عَلَى مَنْكِبِهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَرُوِيَ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَابَقَهَا فَسَبَقَتْهُ ثُمَّ سَابَقَهَا فَسَبَقَتْهُ ثُمَّ سَابَقَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَسَبَقَهَا وَقَالَ هَذِهِ بِتِلْكَ. وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُمْ كَانُوا يَوْمًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إِذْ أُتِيَ بِصَحْفَةِ خُبْزٍ وَلَحْمٍ مِنْ بَيْتِ

أُمِّ سَلَمَةَ فَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ضَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَوَضَعَ نَبِيُّ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَضَعْنَا أَيْدِيَنَا فَأَكَلْنَا وَعَائِشَةُ تَصْنَعُ طَعَامًا عَجَّلَتْهُ وَقَدْ رَأَتِ ٱلصَّحْفَةَ ٱلَّتِي أُتِيَ بِهَا فَلَمَّا فَرَغَتْ مِنْ طَعَامِهَا جَاءَتْ بِهِ فَوَضَعَتْهُ وَرَفَعَتْ صُحْفَةَ أُمِّ سَلَمَةَ فَكَسَرَتْهَا فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُوا بِسْمِ ٱللهِ غَارَتْ أُمُّكُمْ ثُمَّ أَعْطَى صَحْفَتَهَا أُمَّ سَلَمَةَ وَقَالَ طَعَامٌ مَكَانَ طَعَامٍ وَإِنَاءٌ مَكَانَ إِنَاءٍ رَوَاهُ ٱلطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ. وَوَقَعَ مِثْلُ ذٰلِكَ مِنْهَا مَعَ صَفِيَّةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا أَتَيْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَزِيرَةٍ طَبَخْتُهَا لَهُ وَقُلْتُ لِسَوْدَةَ وَٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا كُلِي فَأَبَتْ فَقُلْتُ لَهَا كُلِي فَأَبَتْ فَقُلْتُ لَهَا لَتَأْكُلِينَ أَوْ لَأُلَطِّخَنَّ بِهَا وَجْهَكِ فَأَبَتْ فَوَضَعْتُ يَدِي فِي ٱلْخَزِيرَةِ فَلَطَخْتُ بِهَا وَجْهَهَا فَضَحِكَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَ فَخِذَهُ لَهَا وَقَالَ لِسَوْدَةَ ٱلْطَخِي وَجْهَهَا فَلَطَخَتْ بِهَا وَجْهِي فَضَحِكَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَٱلْخَزِيرَةُ لَحْمٌ يُقَطَّعُ صِغَارًا وَيُصَبُّ عَلَيْهِ مَاءٌ كَثِيرٌ فَإِذَا نَضِجَ ذُرَّ عَلَيْهِ ٱلدَّقِيقُ * وَبِٱلْجُمْلَةِ فَمَنْ تَأَمَّلَ سِيرَتَهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مَعَ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ ٱلْفُقَرَاءِ وَٱلْأَيْتَامِ وَٱلْأَرَامِلِ وَٱلْأَضْيَافِ وَٱلْمَسَاكِينِ عَلِمَ أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ بَلَغَ مِنْ رِقَّةِ ٱلْقَلْبِ وَلِينِهِ ٱلْغَايَةَ ٱلَّتِي لَا مَدَى وَرَاءَهَا لِمَخْلُوقٍ وَأَنَّهُ كَانَ يُشَدِّدُ فِي حُدُودِ ٱللهِ وَحُقُوقِهِ وَدِينِهِ حَتَّى قَطَعَ يَدَ ٱلسَّارِقِ إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ * وَقَدْ كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبَاسِطُ أَصْحَابَهُ وَكَانَ رَجُلٌ يُسَمَّى زُهَيْرًا يُهَادِي ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَوْجُودِ ٱلْبَادِيَةِ بِمَا يَسْتَطْرِفُ مِنْهَا وَكَانَ

صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُهَادِيهِ وَيُكَافِيهِ بِمَوْجُودِ ٱلْحَاضِرَةِ وَبِمَا يُسْتَطْرَفُ مِنْهَا وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ زُهَيْرٌ بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حَاضِرَتُهُ وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهُ فَمَشَى صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا إِلَى ٱلسُّوقِ فَوَجَدَهُ قَائِمًا فَجَاءَهُ مِنْ قِبَلِ ظَهْرِهِ وَضَمَّهُ بِيَدَيْهِ إِلَى صَدْرِهِ فَأَحَسَّ زُهَيْرٌ بِأَنَّهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَجَعَلْتُ أَمْسَحُ ظَهْرِي فِي صَدْرِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهِ فَجَعَلَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ يَشْتَرِي ٱلْعَبْدَ قَالَ لَهُ زُهَيْرٌ يَا رَسُولَ ٱللهِ إِذًا تَجِدُنِي كَاسِدًا فَقَالَ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ عِنْدَ ٱللهِ غَالٍ * وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُهْدِي لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْعُكَّةَ مِنَ ٱلسَّمْنِ وَٱلْعَسَلِ فَإِذَا جَاءَ صَاحِبُهُ يَتَقَاضَاهُ جَاءَ بِهِ إِلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ أَعْطِ هٰذَا حَقَّ مَتَاعِهِ فَمَا يَزِيدُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنْ يَتَبَسَّمَ وَيَأْمُرُ بِهِ فَيُعْطَى * وَكَانَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يَمْزَحُ وَلَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا كَمَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ وَقَدْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ كَانَ فِيهِ بَلَهٌ يَا رَسُولَ ٱللهِ ٱحْمِلْنِي فَقَالَ أَحْمِلُكَ عَلَى ٱبْنِ ٱلنَّاقَةِ فَقَالَ يَا رَسُولَ ٱللهِ مَا عَسَى يُغْنِي عَنِّي ٱبْنُ ٱلنَّاقَةِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيْحَكَ وَهَلْ يَلِدُ ٱلْجَمَلَ إِلَّا ٱلنَّاقَةُ رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ * وَرَوَى ٱلتِّرْمِذِيُّ عَنِ ٱلْحَسَنِ أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَجُوزٌ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ ٱللهِ ٱدْعُ ٱللهَ لِي أَنْ يُدْخِلَنِي ٱلْجَنَّةَ فَقَالَ يَا أُمَّ فُلَانٍ إِنَّ ٱلْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا عَجُوزٌ قَالَ فَوَلَّتْ تَبْكِي فَقَالَ أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى يَقُولُ «إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا» * وَكَانَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يُمَازِحُ أَصْحَابَهُ وَيُخَالِطُهُمْ وَيُحَادِثُهُمْ وَيُؤْنِسُهُمْ

وَيَأْخُذُ مَعَهُمْ فِي تَدْبِيرِ أُمُورِهِمْ وَيُدَاعِبُ صِبْيَانَهُمْ وَيُجْلِسُهُمْ فِي حِجْرِهِ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالُوا يَا رَسُولَ ٱللَّهِ إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا قَالَ إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا . وَقَالَ أَنَسٌ كَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ ٱلنَّاسِ خُلُقًا وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ وَكَانَ لَهُ نُغَرٌ يَلْعَبُ بِهِ فَمَاتَ فَدَخَلَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَرَآهُ حَزِينًا فَقَالَ مَا شَأْنُهُ قَالُوا مَاتَ نُغَرُهُ فَقَالَ يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ ٱلنُّغَيْرُ رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ . وَٱلنُّغَيْرُ تَصْغِيرُ نُغَرٍ طَائِرٌ صَغِيرٌ كَٱلْعُصْفُورِ . وَمَجَّ مَجَّةً مِنْ مَاءٍ فِي وَجْهِ مَحْمُودِ بْنِ ٱلرَّبِيعِ وَهُوَ ٱبْنُ خَمْسِ سِنِينَ يُمَازِحُهُ بِهَا . وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ رَبِيبَتُهُ زَيْنَبُ بِنْتُ أُمِّ سَلَمَةَ وَهُوَ فِي مُغْتَسَلِهِ فَنَفَخَ ٱلْمَاءَ فِي وَجْهِهَا فَكَانَ مَاءُ ٱلشَّبَابِ ثَابِتًا فِي وَجْهِهَا ظَاهِرًا فِي رَوْنَقِهَا وَهِيَ عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ * وَكَانَ قَدْ أُلْقِيَ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ ٱلدُّعَابَةِ ٱلْمَهَابَةُ وَلَقَدْ جَاءَ إِلَيْهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَخَذَتْهُ رِعْدَةٌ شَدِيدَةٌ وَمَهَابَةٌ فَقَالَ لَهُ هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ وَلَا جَبَّارٍ إِنَّمَا أَنَا ٱبْنُ ٱمْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَأْكُلُ ٱلْقَدِيدَ بِمَكَّةَ فَنَطَقَ ٱلرَّجُلُ بِحَاجَتِهِ فَقَامَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا أَلَا فَتَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَكُونُوا عِبَادَ ٱللَّهِ إِخْوَانًا . وَلَمَّا رَأَتْهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قَيْلَةُ بِنْتُ مَخْرَمَةَ فِي ٱلْمَسْجِدِ وَهُوَ قَاعِدٌ ٱلْقُرْفُصَاءَ أُرْعِدَتْ مِنَ ٱلْفَرَقِ أَيِ ٱلْخَوْفِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ ٱلْعَاصِ قَالَ صَحِبْتُ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مَلَأْتُ عَيْنَيَّ مِنْهُ قَطُّ حَيَاءً مِنْهُ وَتَعْظِيمًا لَهُ وَلَوْ قِيلَ لِي صِفْهُ لَمَا قَدَرْتُ * وَقَدْ كَانَتْ مَجَالِسُهُ

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ مَعَ أَصْحَابِهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ مجَالِسَ تَذْكِيرٍ بِٱللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَتَرْغِيبٍ وَتَرْهِيبٍ إِمَّا بِتِلَاوَةِ ٱلْقُرْآنِ أَوْ بِمَا آتَاهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَتَعْلِيمِ مَا يَنْفَعُ فِي ٱلدِّينِ كَمَا أَمَرَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُذَكِّرَ وَيَعِظَ وَيَقُصَّ وَأَنْ يَدْعُوَ إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَأَنْ يُبَشِّرَ وَيُنْذِرَ فَلِذَٰلِكَ كَانَتْ تِلْكَ ٱلْمَجَالِسُ تُوجِبُ لِأَصْحَابِهِ رِقَّةَ ٱلْقُلُوبِ وَٱلزُّهْدَ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلرَّغْبَةَ فِي ٱلْآخِرَةِ رَوَى أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ ٱللَّهِ مَا لَنَا إِذَا كُنَّا عِنْدَكَ رَقَّتْ قُلُوبُنَا وَزَهِدْنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَكُنَّا مِنْ أَهْلِ ٱلْآخِرَةِ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا أَهْلَنَا وَشَمِمْنَا أَوْلَادَنَا وَأَنْكَرْنَا أَنْفُسَنَا فَقَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ أَنَّكُمْ إِذَا خَرَجْتُمْ مِنْ عِنْدِي كُنْتُمْ عَلَى حَالِكُمْ ذَٰلِكَ لَزَارَتْكُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ فِي بُيُوتِكُمْ. وَقَوْلُهُ عَافَسْنَا أَيْ عَالَجْنَا أَهْلَنَا وَلَاعَبْنَاهُمْ* وَمِنْ تَوَاضُعِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَا عَابَ ذَوَاقًا قَطُّ وَلَا عَابَ طَعَامًا قَطُّ إِنِ ٱشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ رَوَاهُ ٱلشَّيْخَانِ هٰذَا إِنْ كَانَ ٱلطَّعَامُ مُبَاحًا أَمَّا ٱلْحَرَامُ فَكَانَ يَعِيبُهُ وَيَذُمُّهُ وَيَنْهَى عَنْهُ* وَمِنْ تَوَاضُعِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَّابٌ رَاتِبٌ. وَمَا خُيِّرَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا ٱخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ ٱلنَّاسِ مِنْهُ* ﴿وَأَمَّا حَيَاؤُهُ﴾ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَسْبُكَ مَا فِي ٱلْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ٱلْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ ٱلْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا وَقَالَ ٱلْقَاضِي عِيَاضٌ رُوِيَ عَنْهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ حَيَائِهِ لَا يُثْبِتُ بَصَرَهُ فِي وَجْهِ

أَحَدٍ. وَالْحَيَاءُ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ وَهُوَ مِنَ الْإِيمَانِ كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ * ﴿وَأَمَّا خَوْفُهُ﴾ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَتْقَاكُمْ لِلهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَرَوَى أَيْضًا قَوْلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا. وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ. وَالْمِرْجَلُ الْقِدْرُ وَأَزِيزُهَا غَلَيَانُهَا * ﴿وَأَمَّا مَا رُوِيَ عَنْ شَجَاعَتِهِ وَقُوَّتِهِ وَنَجْدَتِهِ﴾ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ النَّاسِ لَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاجِعًا قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَاسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ وَالسَّيْفُ فِي عُنُقِهِ وَهُوَ يَقُولُ لَنْ تُرَاعُوا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَزِعُوا مَرَّةً فَرَكِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ كَانَ يَقْطِفُ أَوْ فِيهِ قِطَافٌ فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ وَجَدْنَا فَرَسَكُمْ هٰذَا بَحْرًا فَكَانَ بَعْدُ لَا يُجَارَى. يُقَالُ قَطَفَ الْفَرَسُ فِي مَشْيِهِ إِذَا تَضَايَقَ خَطْوُهُ وَالْبَحْرُ الْوَاسِعُ الْجَرْيِ. وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ مَا رَأَيْتُ أَشْجَعَ وَلَا أَنْجَدَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحٰقَ فِي كِتَابِهِ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ كَانَ بِمَكَّةَ رَجُلٌ شَدِيدُ الْقُوَّةِ يُحْسِنُ الصِّرَاعَ وَكَانَ النَّاسُ يَأْتُونَهُ مِنَ الْبِلَادِ لِلْمُصَارَعَةِ فَيَصْرَعُهُمْ فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي شِعْبٍ مِنْ شِعَابِ

مَكَّةَ إِذْ لَقِيَهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ يَا رُكَانَةُ أَلَا تَتَّقِي ٱللهَ وَتَقْبَلُ مَا أَدْعُوكَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ رُكَانَةُ يَا مُحَمَّدُ هَلْ مِنْ شَاهِدٍ يَدُلُّ عَلَى صِدْقِكَ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ صَرَعْتُكَ أَتُؤْمِنُ بِٱللهِ وَرَسُولِهِ قَالَ نَعَمْ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ لَهُ تَهَيَّأْ لِلْمُصَارَعَةِ قَالَ تَهَيَّأْتُ فَدَنَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَهُ ثُمَّ صَرَعَهُ فَتَعَجَّبَ رُكَانَةُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ سَأَلَهُ ٱلْإِقَالَةَ وَٱلْعَوْدَ فَفَعَلَ بِهِ ثَانِيًا وَثَالِثًا فَوَقَفَ رُكَانَةُ مُتَعَجِّبًا وَقَالَ إِنَّ شَأْنَكَ لَعَجِيبٌ وَرَوَاهُ ٱلْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ رُكَانَةَ ٱلْمُصَارِعِ • وَقَدْ صَارَعَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَةً غَيْرَ رُكَانَةَ مِنْهُمْ أَبُو ٱلْأَسْوَدِ ٱلْجُمَحِيُّ كَمَا قَالَهُ ٱلسُّهَيْلِيُّ وَرَوَاهُ ٱلْبَيْهَقِيُّ وَكَانَ شَدِيدًا بَلَغَ مِنْ شِدَّتِهِ أَنَّهُ كَانَ يَقِفُ عَلَى جِلْدِ ٱلْبَقَرَةِ وَيُجَاذِبُ أَطْرَافَهُ عَشَرَةٌ لِيَنْزِعُوهُ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ فَيَتَفَرَّى ٱلْجِلْدُ وَلَمْ يَتَزَحْزَحْ عَنْهُ فَدَعَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ٱلْمُصَارَعَةِ وَقَالَ إِنْ صَرَعْتَنِي آمَنْتُ بِكَ فَصَرَعَهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُؤْمِنْ • وَفِي ٱلْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ ٱلْبَرَاءِ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ قَيْسٍ أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَقَالَ لَكِنْ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَفِرَّ كَانَ هَوَازِنُ رُمَاةً وَإِنَّا لَمَّا حَمَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱنْكَشَفُوا فَأَكْبَبْنَا عَلَى ٱلْمَغَانِمِ فَٱسْتُقْبِلْنَا بِٱلسِّهَامِ وَفَرَّتِ ٱلْأَعْرَابُ وَمَنْ تَعَلَّمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَقَدْ رَأَيْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَتِهِ ٱلْبَيْضَاءِ وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ ٱلْحَارِثِ آخِذٌ بِزِمَامِهَا وَٱلنَّبِيُّ يَقُولُ:

أَنَا ٱلنَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ٱبْنُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبْ

وَهٰذَا فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنَ ٱلشَّجَاعَةِ ٱلتَّامَّةِ لِأَنَّهُ فِي مِثْلِ هٰذَا ٱلْيَوْمِ فِي حَوْمَةِ ٱلْوَغَى

وَقَدِ ٱنْكَشَفَ عَنْهُ جَيْشُهُ وَهُوَ مَعَ هٰذَا عَلَى بَغْلَةٍ لَيْسَتْ بِسَرِيعَةِ ٱلْجَرْيِ وَلَا تَصْلُحُ لِكَرٍّ وَلَا فَرٍّ وَلَا هَرَبٍ وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ يَرْكُضُهَا إِلَى وُجُوهِهِمْ وَيُنَوِّهُ بِٱسْمِهِ لِيَعْرِفَهُ مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ صَلَوَاتُ ٱللّٰهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ. وَفِي حَدِيثٍ كُنَّا إِذَا ٱحْمَرَّ ٱلْبَأْسُ ٱتَّقَيْنَا بِرَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * ﴿وَأَمَّا سَخَاؤُهُ وَجُودُهُ﴾ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ كَانَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ ٱلنَّاسِ وَأَشْجَعَ ٱلنَّاسِ وَأَجْوَدَ ٱلنَّاسِ رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَمَا سُئِلَ رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخَافُ ٱلْفَقْرَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَرَوَى أَيْضًا أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ قَالَ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَانِي وَإِنَّهُ لَمِنْ أَبْغَضِ ٱلنَّاسِ إِلَيَّ فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ ٱلنَّاسِ إِلَيَّ قَالَ ٱبْنُ شِهَابٍ أَعْطَاهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ مِائَةً مِنَ ٱلْغَنَمِ ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً وَفِي مَغَازِي ٱلْوَاقِدِيِّ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَى صَفْوَانَ يَوْمَئِذٍ وَادِيًا مَمْلُوءًا إِبِلًا وَنَعَمًا فَقَالَ صَفْوَانُ أَشْهَدُ مَا طَابَتْ بِهٰذَا إِلَّا نَفْسُ نَبِيٍّ وَإِنَّمَا أَعْطَاهُ ذٰلِكَ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عَلِمَ أَنَّ دَاءَهُ لَا يَزُولُ إِلَّا بِهٰذَا ٱلدَّوَاءِ وَهُوَ ٱلْإِحْسَانُ فَعَالَجَهُ بِهِ حَتَّى بَرَأَ مِنْ دَاءِ ٱلْكُفْرِ وَأَسْلَمَ. وَكَانَ عَلِيٌّ كَرَّمَ ٱللّٰهُ وَجْهَهُ إِذَا وَصَفَ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَانَ أَجْوَدَ ٱلنَّاسِ كَفًّا وَأَصْدَقَ ٱلنَّاسِ لَهْجَةً. وَرُوِيَ عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا أَنَا أَجْوَدُ بَنِي آدَمَ فَهُوَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَا رَيْبٍ أَجْوَدُ ٱلنَّاسِ عَلَى ٱلْإِطْلَاقِ كَمَا أَنَّهُ أَفْضَلُهُمْ وَأَعْلَمُهُمْ وَأَشْجَعُهُمْ وَأَكْمَلُهُمْ فِي جَمِيعِ ٱلْأَوْصَافِ ٱلْحَمِيدَةِ. قَالَ جَابِرٌ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ

مَا سُئِلَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ لَا رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَيْ مَا طُلِبَ مِنْهُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ ٱلدُّنْيَا فَمَنَعَهُ قَالَ ٱلْحَافِظُ ٱبْنُ حَجَرٍ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ أَعْطَاهُ إِنْ كَانَ ٱلْعَطَاءُ سَائِغًا وَإِلَّا سَكَتَ كَمَا قَالَ ٱبْنُ ٱلْحَنَفِيَّةِ كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُئِلَ فَأَرَادَ أَنْ يَفْعَلَ قَالَ نَعَمْ وَإِذَا لَمْ يُرِدْ أَنْ يَفْعَلَ سَكَتَ. وَرَوَى ٱلتِّرْمِذِيُّ أَنَّهُ حُمِلَ إِلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَوُضِعَتْ عَلَى حَصِيرٍ ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا يَقْسِمُهَا فَمَا رَدَّ سَائِلًا حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا قَالَ وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ مَا عِنْدِي شَيْءٌ وَلٰكِنِ ٱبْتَعْ عَلَيَّ فَإِذَا جَاءَنَا شَيْءٌ قَضَيْنَاهُ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ مَا كَلَّفَكَ ٱللهُ مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ فَكَرِهَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ ٱلْأَنْصَارِ يَا رَسُولَ ٱللهِ أَنْفِقْ وَلَا تَخَفْ مِنْ ذِي ٱلْعَرْشِ إِقْلَالًا فَتَبَسَّمَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعُرِفَ ٱلْبِشْرُ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ بِهٰذَا أُمِرْتُ. وَذَكَرَ ٱبْنُ فَارِسٍ فِي كِتَابِهِ فِي أَسْمَاءِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ جَاءَتْهُ ٱمْرَأَةٌ وَأَنْشَدَتْ شِعْرًا تُذَكِّرُهُ أَيَّامَ رَضَاعَتِهِ فِي هَوَازِنَ فَرَدَّ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذُوا وَأَعْطَاهُمْ عَطَاءً كَثِيرًا حَتَّى قُوِّمَ مَا أَعْطَاهُمْ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمَ فَكَانَ خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ أَلْفٍ قَالَ ٱبْنُ دِحْيَةَ وَهٰذَا نِهَايَةُ ٱلْجُودِ ٱلَّذِي لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ فِي ٱلْوُجُودِ. وَفِي ٱلْبُخَارِيِّ أُتِيَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَالٍ مِنَ ٱلْبَحْرَيْنِ فَقَالَ ٱنْثُرُوهُ يَعْنِي صُبُّوهُ فِي ٱلْمَسْجِدِ وَكَانَ أَكْثَرَ مَالٍ أُتِيَ بِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ فَلَمَّا قَضَى ٱلصَّلَاةَ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ فَمَا كَانَ يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِذْ جَاءَهُ ٱلْعَبَّاسُ فَقَالَ أَعْطِنِي فَأَعْطَاهُ مَا ٱسْتَطَاعَ حَمْلَهُ فَمَا قَامَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وَثَمَّ مِنْهَا دِرْهَمٌ وَرَوَى ٱبْنُ أَبِي

شَيْبَةَ أَنَّهُ كَانَ مِائَةَ أَلْفٍ أَرْسَلَ بِهِ الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ مِنْ خَرَاجِ الْبَحْرَيْنِ قَالَ وَهُوَ أَوَّلُ مَالٍ حُمِلَ إِلَيْهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ • وَسَايَرَهُ جَابِرٌ عَلَى جَمَلٍ لَهُ فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِعْنِي جَمَلَكَ فَقَالَ هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَقَالَ بَلْ بِعْنِيهِ فَبَاعَهُ إِيَّاهُ وَأَمَرَ بِلَالاً أَنْ يَنْقُدَهُ ثَمَنَهُ فَنَقَدَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اذْهَبْ بِالثَّمَنِ وَالْجَمَلِ بَارَكَ اللّٰهُ لَكَ فِيهِمَا مُكَافَأَةً لِقَوْلِهِ بَلْ هُوَ لَكَ فَأَعْطَاهُ الثَّمَنَ وَرَدَّ عَلَيْهِ الْجَمَلَ وَزَادَهُ الدُّعَاءَ بِالْبَرَكَةِ فِيهِمَا وَحَدِيثُهُ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَغَيْرِهِمَا * وَقَدْ كَانَ جُودُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كُلُّهُ لِلّٰهِ وَفِي ابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ كَانَ يَبْذُلُ الْمَالَ تَارَةً لِفَقِيرٍ أَوْ مُحْتَاجٍ وَتَارَةً يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ تَعَالَى وَتَارَةً يَتَأَلَّفُ بِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ مَنْ يَقْوَى الْإِسْلَامُ بِإِسْلَامِهِ وَكَانَ يُؤْثِرُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَوْلَادِهِ فَيُعْطِي عَطَاءً يَعْجَزُ عَنْهُ الْمُلُوكُ مِثْلُ كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَيَعِيشُ فِي نَفْسِهِ عَيْشَ الْفُقَرَاءِ فَيَأْتِي عَلَيْهِ الشَّهْرُ وَالشَّهْرَانِ لَا يُوقَدُ فِي بَيْتِهِ نَارٌ وَرُبَّمَا رَبَطَ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِهِ الشَّرِيفَةِ مِنَ الْجُوعِ • وَكَانَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَتَاهُ سَبْيٌ فَشَكَتْ إِلَيْهِ فَاطِمَةُ مَا تَلْقَى مِنْ خِدْمَةِ الْبَيْتِ وَطَلَبَتْ مِنْهُ خَادِمًا يَكْفِيهَا مَؤُنَةَ بَيْتِهَا فَأَمَرَهَا أَنْ تَسْتَعِينَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ وَقَالَ لَا أُعْطِيكِ وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَطْوِي بُطُونُهُمْ مِنَ الْجُوعِ • وَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللّٰهِ أَكْسُوكَ هٰذِهِ فَأَخَذَهَا صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فَلَبِسَهَا فَرَآهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ مَا أَحْسَنَ هٰذِهِ فَاكْسُنِيهَا فَقَالَ نَعَمْ فَلَمَّا قَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَامَهُ أَصْحَابُهُ قَالُوا مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعَهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ * وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَائِرِ صِفَاتِ الْكَمَالِ أَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَأَكْمَلُهُمْ فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ *

الفصل الثالث

فِيمَا تَدْعُو ضَرُورَتُهُ إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غِذَائِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَنْكَحِهِ وَمَا يَلْحَقُ بِذَلِكَ وَفِيهِ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ

النوع الاول

فِي عَيْشِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ

اِعْلَمْ أَنَّ الشِّبَعَ بِدْعَةٌ ظَهَرَتْ بَعْدَ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ غَلَبَتِ الْآدَمِيَّ نَفْسُهُ فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ لَوْ سَمِعَ بُقْرَاطُ بِهَذِهِ الْقِسْمَةِ لَعَجِبَ مِنْ هَذِهِ الْحِكْمَةِ . قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَعَنْ وَالِدَيْهَا لَمْ يَمْتَلِئْ جَوْفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِبَعًا قَطُّ وَإِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ لَا يَسْأَلُهُمْ طَعَامًا وَلَا يَتَشَهَّاهُ إِنْ أَطْعَمُوهُ أَكَلَ وَمَا أَطْعَمُوهُ قَبِلَ وَمَا سَقَوْهُ شَرِبَ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعًا حَتَّى قُبِضَ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ . وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبِيتُ اللَّيَالِيَ الْمُتَتَابِعَةَ وَأَهْلُهُ طَاوِيًا لَا يَجِدُونَ عَشَاءً وَإِنَّمَا كَانَ خُبْزُهُمُ الشَّعِيرَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَفِي صَحِيحِ

مُسْلِمٍ مَاشَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ يَوْمَيْنِ مِنْ خُبْزِ الْبُرِّ إِلَّا وَأَحَدُهُمَا تَمْرٌ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ خَرَجَ تَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَمْلَأْ بَطْنَهُ فِي يَوْمٍ مِنْ طَعَامَيْنِ كَانَ إِذَا شَبِعَ مِنَ التَّمْرِ لَمْ يَشْبَعْ مِنَ الشَّعِيرِ وَإِذَا شَبِعَ مِنَ الشَّعِيرِ لَمْ يَشْبَعْ مِنَ التَّمْرِ. وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ خَطَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ وَاللهِ مَا أَمْسَى فِي آلِ مُحَمَّدٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ وَإِنَّهَا لَتِسْعَةُ أَبْيَاتٍ وَاللهِ مَا قَالَهَا اسْتِقْلَالًا لِرِزْقِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ تَتَأَسَّى بِهِ أُمَّتُهُ رَوَاهُ الدِّمْيَاطِيُّ فِي السِّيرَةِ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ كَانَ يُعْجِبُ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الدُّنْيَا ثَلَاثَةٌ الطِّيبُ وَالنِّسَاءُ وَالطَّعَامُ فَأَصَابَ اثْنَيْنِ وَلَمْ يُصِبْ وَاحِدَةً أَصَابَ النِّسَاءَ وَالطِّيبَ وَلَمْ يُصِبِ الطَّعَامَ ذَكَرَهُ الدِّمْيَاطِيُّ أَيْضًا. وَفِي الشَّمَائِلِ لِلتِّرْمِذِيِّ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلَأُ بَطْنَهُ. وَالدَّقَلُ رَدِيءُ التَّمْرِ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إِنْ كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ نَمْكُثُ شَهْرًا مَا نَسْتَوْقِدُ بِنَارٍ إِنْ هُوَ إِلَّا الْمَاءُ وَالتَّمْرُ. وَقَالَ عُتْبَةُ ابْنُ غَزْوَانَ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لَسَابِعُ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ السَّمُرِ حَتَّى تَقَرَّحَتْ أَشْدَاقُنَا. وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تَقُولُ لِعُرْوَةَ وَاللهِ يَا ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثَلَاثَةُ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَارٌ قَالَ قُلْتُ يَا خَالَةُ فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ قَالَتِ الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى

رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَلْبَانِهَا فَيَسْقِينَاهُ رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. وَعَنْ عَائِشَةَ أَيْضًا قَالَتْ لَقَدْ مَاتَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا شَبِعَ مِنْ خُبْزٍ وَزَيْتٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَقَالَ أَنَسٌ مَا أَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَغِيفًا مُرَقَّقًا حَتَّى لَحِقَ بِٱللهِ وَلَا رَأَى شَاةً سَمِيطًا بِعَيْنِهِ حَتَّى لَحِقَ بِٱللهِ رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ. وَٱلْمُرَقَّقُ ٱلْمُلَيَّنُ كَخُبْزِ ٱلْحُوَّارَى وَهُوَ ٱلْخَالِصُ ٱلَّذِي يُنْخَلُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى وَٱلسَّمِيطُ هُوَ ٱلَّذِي أُزِيلَ شَعْرُهُ بِٱلْمَاءِ ٱلسَّخِنِ وَشُوِيَ بِجِلْدِهِ وَهُوَ مِنْ فِعْلِ ٱلْمُتَرَفِّهِينَ. وَعَنْ أَبِي حَازِمٍ أَنَّهُ سَأَلَ سَهْلًا هَلْ رَأَيْتُمْ فِي زَمَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلنَّقِيَّ قَالَ لَا فَقُلْتُ كُنْتُمْ تَنْخُلُونَ ٱلشَّعِيرَ قَالَ لَا وَلَٰكِنْ كُنَّا نَنْفُخُهُ رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ هَلْ كَانَتْ لَكُمْ فِي عَهْدِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَاخِلُ فَقَالَ مَا رَأَى ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْخُلًا مِنْ حِينِ ٱبْتَعَثَهُ ٱللهُ حَتَّى قَبَضَهُ ٱللهُ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ تُوُفِّيَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. وَعَنْ عَائِشَةَ أَيْضًا قَالَتْ تُوُفِّيَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي ثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ رَوَاهُ ٱلشَّيْخَانِ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَٰذِهِ ٱلسَّاعَةَ قَالَا ٱلْجُوعُ يَا رَسُولَ ٱللهِ قَالَ وَأَنَا وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرَجَنِي ٱلَّذِي أَخْرَجَكُمَا فَأَتَى بِهِمَا رَجُلًا مِنَ ٱلْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ فَلَمَّا

رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ مَرْحَباً وَأَهْلاً فَقَالَ لَهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْنَ فُلاَنٌ قَالَتْ ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا الْمَاءَ إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبَيْهِ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمُ أَضْيَافاً مِنِّي قَالَ فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ فَقَالَ كُلُوا وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ فَذَبَحَ لَهُمْ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ. وَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ نَافِعٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى مَنْزِلِهِ فَأُخْرِجَ إِلَيْهِ فِلَقٌ مِنْ خُبْزٍ فَقَالَ مَا مِنْ أُدْمٍ فَقَالُوا لاَ إِلاَّ شَيْءٌ مِنْ خَلٍّ قَالَ نِعْمَ الأُدْمُ الْخَلُّ قَالَ جَابِرٌ فَمَا زِلْتُ أُحِبُّ الْخَلَّ مُنْذُ سَمِعْتُهَا مِنْ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ طَلْحَةُ فَمَا زِلْتُ أُحِبُّ الْخَلَّ مُنْذُ سَمِعْتُهَا مِنْ جَابِرٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ بُجَيْرٍ قَالَ أَصَابَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُوعٌ يَوْماً فَعَمَدَ إِلَى حَجَرٍ فَوَضَعَهُ عَلَى بَطْنِهِ ثُمَّ قَالَ أَلاَ رُبَّ نَفْسٍ طَاعِمَةٍ نَاعِمَةٍ فِي الدُّنْيَا جَائِعَةٌ عَارِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ رُبَّ مُكْرِمٍ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَهَا مُهِينٌ أَلاَ رُبَّ مُهِينٍ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَهَا مُكْرِمٌ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا. وَعَنْ أَنَسٍ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجُوعَ وَرَفَعْنَا عَنْ بُطُونِنَا عَنْ حَجَرٍ حَجَرٍ فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَطْنِهِ عَنْ حَجَرَيْنِ. وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لَقَدْ أُخِفْتُ

فِي اللهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مَالِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ أَحَدٌ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ * وَقَدِ اسْتُشْكِلَ كَوْنُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ كَانُوا يَطْوُونَ الْأَيَّامَ جُوعًا مَعَ مَا ثَبَتَ أَنَّهُ كَانَ يَرْفَعُ لِأَهْلِهِ قُوتَ سَنَةٍ وَأَنَّهُ قَسَمَ بَيْنَ أَرْبَعَةِ أَنْفُسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ أَلْفَ بَعِيرٍ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنَّهُ سَاقَ فِي عُمْرَتِهِ مِائَةَ بَدَنَةٍ فَنَحَرَهَا وَأَطْعَمَهَا الْمَسَاكِينَ وَأَنَّهُ أَمَرَ لِأَعْرَابِيٍّ بِقَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ وَغَيْرِ ذَٰلِكَ مَعَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَطَلْحَةَ وَغَيْرِهِمْ مَعَ بَذْلِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَدْ أَمَرَ بِالصَّدَقَةِ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ بِجَمِيعِ مَالِهِ وَعُمَرُ بِنِصْفِهِ وَحَثَّ عَلَى تَجْهِيزِ جَيْشِ الْعُسْرَةِ فَجَهَّزَهُمْ عُثْمَانُ بِأَلْفِ بَعِيرٍ إِلَى غَيْرِ ذَٰلِكَ وَأَجَابَ عَنْهُ الطَّبَرِيُّ كَمَا حَكَاهُ فِي فَتْحِ الْبَارِي بِأَنَّ ذَٰلِكَ كَانَ مِنْهُمْ فِي حَالَةٍ دُونَ حَالَةٍ لَا لِعَوَزٍ وَضِيقٍ بَلْ تَارَةً لِلْإِيثَارِ وَتَارَةً لِكَرَاهِيَةِ الشِّبَعِ وَكَثْرَةِ الْأَكْلِ نَعَمْ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْتَارُ ذَٰلِكَ مَعَ إِمْكَانِ حُصُولِ التَّوَسُّعِ وَالتَّبَسُّطِ فِي الدُّنْيَا لَهُ كَمَا أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا قُلْتُ لَا يَا رَبِّ وَلَٰكِنْ أَشْبَعُ يَوْمًا وَأَجُوعُ يَوْمًا فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وَحَمِدْتُكَ . وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَجِبْرِيلُ عَلَى الصَّفَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا جِبْرِيلُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَمْسَى لِآلِ مُحَمَّدٍ

سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفزعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله القيامة أن تقوم قال لا ولكن أمر إسرافيل فنزل إليك حين سمع كلامك فأتاه إسرافيل عليهما الصلاة والسلام فقال إن الله سمع ما ذكرت فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض وأمرني أن أعرض عليك إن شئت أن أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت فإن شئت نبيا ملكا وإن شئت نبيا عبدا فأومأ إليه جبريل أن تواضع فقال بل نبيا عبدا ثلاثا رواه الطبراني بإسناد حسن *

واعلم أنه لم يكن من عادته الكريمة صلى الله عليه وسلم حبس نفسه الشريفة على نوع واحد من الأغذية لا يتعداه إلى سواه فإن ذلك يضر بالطبيعة جدا ولو أنه أفضل الأغذية بل كان صلى الله عليه وسلم يأكل ما جرت عادة أهل بلده بأكله من اللحم والفاكهة والخبز والتمر وغيره فأكل صلى الله عليه وسلم الحلوى والعسل وكان يحبهما رواه البخاري وغيره وفي فقه اللغة للثعالبي أن حلوى النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يحبها هي المجيع وهي تمر يعجن بلبن حكاه في فتح الباري. ولم يصح ورود أنه عليه الصلاة والسلام رأى السكر وعن عبد الله بن سلام قال قدمت عير فيها جمل لعثمان بن عفان عليه دقيق حوارى وسمن وعسل فأتى بها النبي صلى الله عليه وسلم فدعا فيها بالبركة ثم دعا ببرمة فنصبت على النار وجعل فيها من العسل والدقيق والسمن ثم عصد حتى نضج أو كاد ينضج ثم أنزل فقال صلى الله عليه وسلم كلوا هذا شيء تسميه فارس الخبيص.

وأكل عليه الصلاة والسلام لحم الضأن وعن أبي رافع أنه أهديت له شاة فجعلها في قدر فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا أبا رافع قال شاة أهديت لنا يارسول الله فطبختها في القدر قال ناولني الذراع ياأبا رافع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع فناولته الذراع الآخر فقال ناولني الذراع الآخر فقلت يارسول الله إنما للشاة ذراعان فقال له صلى الله عليه وسلم أما إنك لو سكت لناولتني ذراعا فذراعا ما سكت ثم دعا بماء فمضمض فاه وغسل أطراف أصابعه ثم قام فصلى رواه الإمام أحمد وغيره. وقالت عائشة ما كانت الذراع أحب اللحم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه كان لا يجد اللحم إلا غبا وكان يعجل إليها لأنها أعجلها نضجا رواه الترمذي. وكذلك كان صلى الله عليه وسلم يحب لحم الرقبة فعن ضباعة بنت الزبير أنها ذبحت في بيتها شاة فأرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أطعمينا من شاتكم فقالت ما بقي عندنا إلا الرقبة وإني لأستحيي أن أرسل بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الرسول فأخبره فقال ارجع إليها فقل لها أرسلي بها فإنها هادية الشاة وأقرب الشاة إلى الخير وأبعدها من الأذى. وكان عليه الصلاة والسلام ينهش اللحم وفي البخاري أنه عليه الصلاة والسلام احتز من كتف شاة في يده فدعي إلى الصلاة فألقاها والسكين التي يحتز بها ثم قام إلى الصلاة ولم يتوضأ.

وأكل صلى الله عليه وسلم الشوي فعن أم سلمة رضي الله عنها أنها قربت إلى النبي صلى الله عليه وسلم جنبا مشويا فأكل منه ثم قام إلى الصلاة وما

تَوَضَّأَ رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ. وَأَكَلَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ٱلْقَدِيدَ كَمَا فِي حَدِيثٍ فِي ٱلسُّنَنِ عَنْ رَجُلٍ قَالَ ذَبَحْتُ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاةً وَنَحْنُ مُسَافِرُونَ فَقَالَ أَصْلِحْ لَحْمَهَا فَلَمْ أَزَلْ أُطْعِمُهُ مِنْهُ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ. وَأَكَلَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مِنَ ٱلْكَبِدِ ٱلْمَشْوِيَّةِ. وَأَكَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَحْمَ ٱلدَّجَاجِ رَوَاهُ ٱلشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا. وَأَكَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَحْمَ حِمَارِ ٱلْوَحْشِ رَوَاهُ ٱلشَّيْخَانِ. وَأَكَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَحْمَ ٱلْجَمَلِ سَفَرًا وَحَضَرًا. وَأَكَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَحْمَ ٱلْأَرْنَبِ رَوَاهُ ٱلشَّيْخَانِ. وَأَكَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ دَوَابِّ ٱلْبَحْرِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَأَكَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلثَّرِيدَ وَهُوَ أَنْ يُثْرَدَ ٱلْخُبْزُ بِمَرَقِ ٱللَّحْمِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَهُ ٱللَّحْمُ وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا قَالَ أَحَبُّ ٱلطَّعَامِ إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلثَّرِيدُ مِنَ ٱلْخُبْزِ وَٱلثَّرِيدُ مِنَ ٱلْحَيْسِ. وَأَكَلَهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بِٱلسَّمْنِ. وَأَكَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْخُبْزَ بِٱلزَّيْتِ. وَأَكَلَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ٱلدُّبَّاءَ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ وَكَانَ يَتَتَبَّعُهَا مِنْ حَوَالَيِ ٱلْقَصْعَةِ قَالَ أَنَسٌ فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ ٱلدُّبَّاءَ مِنْ يَوْمِئِذٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ قَالَ ٱلنَّوَوِيُّ فِيهِ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ تُحَبَّ ٱلدُّبَّاءُ وَكَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ كَانَ يُحِبُّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَكَذَلِكَ أَكَلَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ٱلسِّلْقَ مَطْبُوخًا بِٱلشَّعِيرِ رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ وَكَانُوا يَصُبُّونَ لَهُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ زَيْتٍ وَشَيْئًا مِنَ ٱلْفُلْفُلِ وَٱلتَّوَابِلِ وَهِيَ أَبْزَارُ ٱلطَّعَامِ. وَأَكَلَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ٱلْخَزِيرَةَ وَهِيَ مَا يُتَّخَذُ مِنَ ٱلدَّقِيقِ عَلَى هَيْئَةِ ٱلْعَصِيدَةِ لَكِنَّهُ أَرَقُّ مِنْهَا قَالَهُ ٱلطَّبَرِيُّ. وَأَكَلَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْأَقِطَ وَهُوَ جُبْنُ ٱللَّبَنِ ٱلْمُسْتَخْرَجِ

زبده. وأكل عليه الصلاة والسلام الرطب والتمر والبسر رواه مسلم وغيره. وأكل الكباث رواه مسلم وهو النضيج من تمر الأراك. وأما الجبن ففي السنن من حديث ابن عمر قال أتي النبي صلى الله عليه وسلم بجبنة في تبوك فدعا بسكين فسمى وقطع رواه أبو داود. وكان صلى الله عليه وسلم يأكل البطيخ بالرطب ويقول يكسر حر هذا برد هذا وبرد هذا حر هذا رواه أبو داود وغيره. وروى الطبراني من حديث عبد الله بن جعفر قال رأيت في يمين النبي صلى الله عليه وسلم قثاء وفي شماله رطبا وهو يأكل من ذا مرة ومن ذا مرة. وعن أنس رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرطب والخربز رواه أبو نعيم وهو نوع من البطيخ الأصفر. وكان عليه الصلاة والسلام يأكل التمر بالزبد ويحبه. وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن بالتمر الأطيبين رواه أحمد. وكان صلى الله عليه وسلم يأكل الخبز مأدوما ما وجد له إداما فتارة يأدمه باللحم ويقول هو سيد الطعام لأهل الدنيا والآخرة وتارة بالبطيخ وتارة بالتمر فإنه وضع تمرة على كسرة من خبز الشعير وقال هذه إدام هذه رواه أبو داود وغيره وتارة بالخل ويقول نعم الأدم الخل رواه مسلم. وكان عليه الصلاة والسلام يأكل من فاكهة بلده عند مجيئها ولا يحتمي عنها وهذا من أكبر أسباب الصحة روى ابن عباس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل العنب خرطا. أما البصل فروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عن البصل فقالت إن آخر طعام أكله رسول الله صلى الله عليه

وَسَلَّمَ فِيهِ بَصَلٌ أَيْ مَطْبُوخٌ. وَثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهُ مَنَعَ آكِلَهُ مِنْ دُخُولِ الْمَسْجِدِ. وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتْرُكُ الثُّومَ دَائِمًا لِأَنَّهُ يَتَوَقَّعُ مَجِيءَ الْمَلَائِكَةِ وَالْوَحْيِ كُلَّ سَاعَةٍ * وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَأْكُلُ بِأَصَابِعِهِ الثَّلَاثِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَلْعَقُ أَصَابِعَهُ إِذَا فَرَغَ ثَلَاثًا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ وَيَلْعَقُ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يَمْسَحَهَا. وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ بِأَصَابِعِهِ الثَّلَاثِ بِالْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا وَالْوُسْطَى ثُمَّ رَأَيْتُهُ يَلْعَقُ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ قَبْلَ أَنْ يَمْسَحَهَا الْوُسْطَى ثُمَّ الَّتِي تَلِيهَا ثُمَّ الْإِبْهَامَ. وَأَكَلَ أَيْضًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسٍ. وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَأْكُلُ مُتَّكِئًا كَمَا صَحَّ أَنَّهُ قَالَ لَا آكُلُ مُتَّكِئًا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ أَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ وَآكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ. وَأُهْدِيَتْ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاةٌ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ يَأْكُلُ فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ مَا هٰذِهِ الْجِلْسَةُ فَقَالَ إِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَنِي كَرِيمًا وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ الْمُسْتَحَبُّ فِي صِفَةِ الْجُلُوسِ لِلْأَكْلِ أَنْ يَكُونَ جَاثِيًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَظُهُورِ قَدَمَيْهِ أَوْ يَنْصِبَ الرِّجْلَ الْيُمْنَى وَيَجْلِسَ عَلَى الْيُسْرَى. وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا وَضَعَ يَدَهُ فِي الطَّعَامِ يُسَمِّي اللهَ تَعَالَى وَكَانَ يَحْمَدُ اللهَ فِي آخِرِهِ فَيَقُولُ الْحَمْدُ لِلّٰهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ غَيْرَ مُوَدَّعٍ وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ التَّيَامُنَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَا غُلَامُ سَمِّ اللهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ

مِمَّا يَلِيكَ . وَقُرِّبَ إِلَيْهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامٌ فَقَالُوا أَلَا نَأْتِيكَ بِوَضُوءٍ فَقَالَ إِنَّمَا أُمِرْتُ بِالْوُضُوءِ إِذَا قُمْتُ إِلَى ٱلصَّلَاةِ رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ . وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ أَنَّهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قَالَ بَرَكَةُ ٱلطَّعَامِ ٱلْوُضُوءُ قَبْلَهُ وَٱلْوُضُوءُ بَعْدَهُ فَيُحْمَلُ ٱلْوُضُوءُ ٱلْأَوَّلُ عَلَى ٱلشَّرْعِيِّ وَٱلثَّانِي عَلَى ٱللُّغَوِيِّ . وَلَمْ يَكُنْ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ طَعَامًا حَارًّا فَقَدْ أُتِيَ بِصَحْفَةٍ تَفُورُ فَقَالَ إِنَّ ٱللَّهَ لَمْ يُطْعِمْنَا نَارًا رَوَاهُ ٱلطَّبَرَانِيُّ . وَعَنْ أَنَسٍ كَانَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ ٱلْكَيَّ وَٱلطَّعَامَ ٱلْحَارَّ وَيَقُولُ عَلَيْكُمْ بِالْبَارِدِ فَإِنَّهُ ذُو بَرَكَةٍ أَلَا وَإِنَّ ٱلْحَارَّ لَا بَرَكَةَ فِيهِ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي ٱلْحِلْيَةِ * وَلَمْ يَأْكُلْ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خِوَانٍ وَلَا أَكَلَ خُبْزًا مُرَقَّقًا رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ . وَٱلْخِوَانُ ٱلْمَائِدَةُ مَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا طَعَامٌ وَأَمَّا ٱلسُّفْرَةُ فَاشْتَهَرَتْ لِمَا يُوضَعُ عَلَيْهِ ٱلطَّعَامُ . وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قَدَحٌ مِنْ خَشَبٍ مُضَبَّبٌ بِحَدِيدٍ قَالَ أَنَسٌ لَقَدْ سَقَيْتُهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بِهَذَا ٱلْقَدَحِ ٱلشَّرَابَ كُلَّهُ ٱلْمَاءَ وَٱلنَّبِيذَ وَٱلْعَسَلَ وَفِي ٱلْبُخَارِيِّ أَنَّهُ كَانَ قَدِ ٱنْصَدَعَ فَسَلْسَلَهُ أَنَسٌ بِفِضَّةٍ . وَهَذَا ٱلنَّبِيذُ هُوَ مَاءٌ يُطْرَحُ فِيهِ ٱلتَّمْرُ يُحَلِّيهِ وَلَهُ نَفْعٌ عَظِيمٌ فِي زِيَادَةِ ٱلْقُوَّةِ وَلَمْ يَكُنْ يَشْرَبُهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ خَوْفًا مِنْ تَغَيُّرِهِ إِلَى ٱلْإِسْكَارِ * ﴿ وَأَمَّا شُرْبُهُ ﴾ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ كَانَ يُسْتَعْذَبُ لَهُ ٱلْمَاءُ أَيْ يُطْلَبُ لَهُ ٱلْمَاءُ ٱلْحُلْوُ . قَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ يُسْتَعْذَبُ لَهُ ٱلْمَاءُ مِنْ بُيُوتِ ٱلسُّقْيَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يَشْرَبُ ٱلْعَسَلَ ٱلْمَمْزُوجَ بِالْمَاءِ ٱلْبَارِدِ . وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا كَانَ أَحَبَّ ٱلشَّرَابِ إِلَيْهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْحُلْوُ ٱلْبَارِدُ رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ وَيُحْتَمَلُ أَنْ تُرِيدَ بِهِ ٱلْمَاءَ ٱلْمَمْزُوجَ

بالعسل أو الذي نقع فيه التمر والزبيب. وكان ينبذ له أول الليل ويشرب إذا أصبح يومه ذلك والليلة التي تجيء والغد إلى العصر فإن بقي شيء سقاه الخادم أو أمر به فصب رواه مسلم. وكان عليه الصلاة والسلام يشرب اللبن خالصاً تارة وتارة مشوباً بالماء البارد. وعن جابر أنه صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الأنصار ومعه صاحب له فسلم فرد الرجل وهو يحول الماء في حائطه فقال صلى الله عليه وسلم إن كان عندك ماء بات في شنه وإلا كرعنا فقال عندي ماء بات في شن فانطلق إلى العريش فسكب في قدح ماء ثم حلب عليه من داجن فشرب عليه الصلاة والسلام رواه البخاري * قال ابن القيم ولم يكن صلى الله عليه وسلم يشرب على طعامه لئلا يفسده ولا سيما إن كان الماء حاراً أو بارداً فإنه رديء جداً. وكان عليه الصلاة والسلام يشرب قاعداً وكان ذلك عادته صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وروى أيضاً أنه نهى عن الشرب قائماً وفي حديث عن علي رضي الله عنه عند البخاري أنه شرب وهو قائم ثم قال إن ناساً يكرهون الشرب قائماً وإن النبي صلى الله عليه وسلم صنع مثل ما صنعت فالنهي محمول على كراهة التنزيه وشربه صلى الله عليه وسلم قائماً لبيان الجواز * وكان صلى الله عليه وسلم يتنفس في الشراب ثلاثاً ويقول إنه أروى وأمرأ وأبرأ رواه مسلم. ومعنى تنفسه إبانة القدح عن فيه وتنفسه خارجه ثم يعود إلى الشراب. وروى الطبراني عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يشرب في ثلاثة أنفاس إذا أدنى الإناء إلى فيه سمى الله تعالى فإذا أخره حمد الله

يَفْعَلُ ذٰلِكَ ثَلَاثًا * وَكَانَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دُعِيَ لِطَعَامٍ وَتَبِعَهُ أَحَدٌ أَعْلَمَ بِهِ رَبَّ ٱلْمَنْزِلِ قَالَ فَيَقُولُ إِنَّ هٰذَا تَبِعَنَا فَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ * وَكَانَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يُكَرِّرُ عَلَى أَضْيَافِهِ وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمُ ٱلْأَكْلَ مِرَارًا ۔ وَكَانَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إِذَا أَكَلَ مَعَ قَوْمٍ كَانَ آخِرَهُمْ أَكْلًا رَوَاهُ ٱلْبَيْهَقِيُّ * وَكَانَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إِذَا أَكَلَ عِنْدَ قَوْمٍ لَمْ يَخْرُجْ حَتَّى يَدْعُوَ لَهُمْ فَدَعَا فِي مَنْزِلِ عَبْدِ ٱللّٰهِ بْنِ بُسْرٍ فَقَالَ ٱللّٰهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ وَٱغْفِرْ لَهُمْ وَٱرْحَمْهُمْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ ۔ وَدَعَا فِي مَنْزِلِ سَعْدٍ فَقَالَ أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ ٱلصَّائِمُونَ وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ ٱلْأَبْرَارُ وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ۔ وَسَقَاهُ آخَرُ لَبَنًا فَقَالَ ٱللّٰهُمَّ مَتِّعْهُ بِشَبَابِهِ فَمَرَّتْ عَلَيْهِ ثَمَانُونَ سَنَةً لَمْ يَرَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ رَوَاهُ ٱبْنُ ٱلسُّنِّيِّ *

النوع الثاني

فِي لِبَاسِهِ وَفِرَاشِهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كَانَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَجَوَّزُ مِنَ ٱللِّبَاسِ يَعْنِي يَتَوَسَّعُ فَلَا يُضَيِّقُ بِٱلْإِقْتِصَارِ عَلَى صِنْفٍ بِعَيْنِهِ وَلَا بِطَلَبِ ٱلنَّفِيسِ ٱلْغَالِي بَلْ يَسْتَعْمِلُ مَا تَيَسَّرَ ۔ وَكَانَتْ سِيرَتُهُ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَلْبَسِهِ أَتَمَّ وَأَنْفَعَ لِلْبَدَنِ وَأَخَفَّ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَمْ تَكُنْ عِمَامَتُهُ بِٱلْكَبِيرَةِ ٱلَّتِي يُؤْذِي حَمْلُهَا وَلَا بِٱلصَّغِيرَةِ ٱلَّتِي تَقْصُرُ عَنْ وِقَايَةِ ٱلرَّأْسِ مِنَ ٱلْحَرِّ وَٱلْبَرْدِ وَكَذٰلِكَ ٱلْأَرْدِيَةُ وَٱلْأُزُرُ أَخَفُّ عَلَى ٱلْبَدَنِ مِنْ غَيْرِهَا ۔ وَلَمْ يَكُنْ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطَوِّلُ أَكْمَامَهُ وَيُوَسِّعُهَا بَلْ كَانَ كُمُّهُ إِلَى ٱلرُّسْغِ وَهُوَ

مُنْتَهَى الْكَفِّ عِنْدَ الْمَفْصِلِ • وَكَانَ ذَيْلُ قَمِيصِهِ وَرِدَائِهِ إِلَى أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ لَمْ يَتَجَاوَزِ الْكَعْبَيْنِ * أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنِ الْأَشْعَثِ بْنِ سُلَيْمٍ قَالَ سَمِعْتُ عَمَّتِي تُحَدِّثُ عَنْ عَمِّهَا قَالَ بَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِالْمَدِينَةِ إِذَا إِنْسَانٌ خَلْفِي يَقُولُ ارْفَعْ إِزَارَكَ فَإِنَّهُ أَنْقَى وَأَبْقَى فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّمَا هِيَ بُرْدَةٌ قَالَ أَمَا لَكَ فِيَّ أُسْوَةٌ فَنَظَرْتُ فَإِذَا إِزَارُهُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ * وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عِمَامَةٌ تُسَمَّى السَّحَابَ وَيَلْبَسُ تَحْتَهَا الْقَلَانِسَ اللَّاطِئَةَ • وَالْقَلَانِسُ جَمْعُ قَلَنْسُوَةٍ وَهِيَ غِشَاءٌ مُبَطَّنٌ يَسْتُرُ الرَّأْسَ • وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ • وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ دَخَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ وَعَلَى رَأْسِهِ الْمِغْفَرُ وَهُوَ زَرَدٌ يُنْسَجُ مِنَ الدِّرْعِ عَلَى قَدْرِ الرَّأْسِ وَيُجْمَعُ بَيْنَهُمَا بِأَنَّ الْعِمَامَةَ كَانَتْ فَوْقَ الْمِغْفَرِ • وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَمُّ يُدِيرُ كَوْرَ عِمَامَتِهِ وَيَغْرِسُهَا مِنْ وَرَائِهِ وَيُرْخِي لَهَا ذُؤَابَةً بَيْنَ كَتِفَيْهِ رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي كِتَابِ أَخْلَاقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ • وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ عَمَّمَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعِمَامَةٍ سَدَلَ طَرَفَهَا عَلَى مَنْكِبِي وَقَالَ إِنَّ اللهَ أَمَدَّنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ بِمَلَائِكَةٍ مُعَمَّمِينَ هٰذِهِ الْعِمَّةَ وَقَالَ إِنَّ الْعِمَامَةَ حَاجِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ * وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ لَهُ كُمَّةٌ بَيْضَاءُ رَوَاهُ الدِّمْيَاطِيُّ • وَالْكُمَّةُ الْقَلَنْسُوَةُ • وَعَنْ أَبِي كَبْشَةَ

ٱلْأَنْمَارِيِّ قَالَ كَانَتْ كِمَامُ وَفِي رِوَايَةٍ أَكِمَّةُ أَصْحَابِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُطْحًا رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ وَهِيَ جَمْعُ كِمَّةٍ ٱلْقَلَنْسُوَةُ يَعْنِي أَنَّهَا كَانَتْ مُنْبَطِحَةً غَيْرَ مُنْتَصِبَةٍ * وَكَانَ أَحَبَّ ٱلثِّيَابِ إِلَيْهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْقَمِيصُ رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا. وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَتَيْتُ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَهْطٍ مِنْ مُزَيْنَةَ لِنُبَايِعَهُ وَإِنَّ قَمِيصَهُ لَمُطْلَقُ ٱلْأَزْرَارِ أَوْ قَالَ زِرُّ قَمِيصِهِ مُطْلَقٌ قَالَ فَأَدْخَلْتُ يَدِي فِي جَيْبِ قَمِيصِهِ فَمَسِسْتُ ٱلْخَاتَمَ رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ. وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ أَحَبَّ ٱلثِّيَابِ إِلَى رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُهُ ٱلْحِبَرَةُ رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ . وَٱلْحِبَرَةُ ضَرْبٌ مِنَ ٱلْبُرُودِ فِيهِ حُمْرَةٌ * وَعَنْ أَبِي رِمْثَةَ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدَانِ أَخْضَرَانِ رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ . وَعَنْ أَبِي يَعْلَى عَنْ أَبِيهِ قَالَ رَأَيْتُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطُوفُ بِٱلْبَيْتِ مُضْطَبِعًا بِبُرْدٍ أَخْضَرَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. وَعَنِ ٱلْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبِسَ جُبَّةً رُومِيَّةً ضَيِّقَةَ ٱلْكُمَّيْنِ رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ. وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَتَيْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ * وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُ ٱلصُّوفَ وَكَانَ لَهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِسَاءٌ مُلَبَّدٌ يَلْبَسُهُ وَيَقُولُ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ أَلْبَسُ كَمَا يَلْبَسُ ٱلْعَبْدُ رَوَاهُ ٱلشَّيْخَانِ. وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَأَيْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِلَى ٱلْقَمَرِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ فَإِذَا هُوَ أَحْسَنُ عِنْدِي مِنَ ٱلْقَمَرِ

رواه الدارمي والترمذي ● وعن أبي جحيفة قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء كأني أنظر إلى بريق ساقيه ● وعن البراء بن عازب قال ما رأيت أحداً من الناس أحسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواهما الترمذي ● وفي رواية البخاري ومسلم رأيته صلى الله عليه وسلم في حلة حمراء لم أر شيئاً قط أحسن منه ● وفي رواية لأبي داود ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ● واللمة شعر الرأس دون الجمة ● وفي رواية النسائي ما رأيت رجلاً أحسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ● والحلة إزار ورداء ولا تكون حلة إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة ﴿وأما صفة إزاره﴾ صلى الله عليه وسلم فعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري قال أخرجت إلينا عائشة كساء وإزاراً غليظاً فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين رواه البخاري وفي رواية كساء ملبداً قال ابن الأثير أي مرقعاً وقيل الملبد الذي ثخن وسطه وصفق حتى صار يشبه اللبد ● وعن عائشة أيضاً قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود رواه مسلم والمرط كساء من صوف أو خز يؤتزر به ● قال النووي والصواب الذي رواه الجمهور وضبطه المتقنون بالحاء المهملة أي عليه صور رحال الإبل ولا بأس بهذه الصورة وإنما يحرم تصوير الحيوان ● وعن عروة أن طول رداء النبي صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر ● وعنه أيضاً أن ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي

كَانَ يَخْرُجُ فِيهِ إِلَى الْوَفْدِ رِدَاءٌ أَخْضَرُ فِي طُولِ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ وَعَرْضُهُ ذِرَاعَانِ وَشِبْرٌ. وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هِلَالٍ قَالَ رَأَيْتُ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بُرْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حِبَرَةٍ لَهُ حَاشِيَتَانِ. وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ إِزَارٌ يَتَقَعْقَعُ. وَعَنْ يَزِيدَ ابْنِ أَبِي حَبِيبٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُرْخِي الْإِزَارَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَيَرْفَعُهُ مِنْ وَرَائِهِ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتَزِرُ تَحْتَ سُرَّتِهِ وَتَبْدُو سُرَّتُهُ وَرَأَيْتُ عُمَرَ يَأْتَزِرُ فَوْقَ سُرَّتِهِ رَوَاهَا كُلَّهَا الدِّمْيَاطِيُّ. وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا أَخْرَجَتْ جُبَّةَ طَيَالِسَةٍ كِسْرَوَانِيَّةٍ لَهَا لِبْنَةُ دِيبَاجٍ وَفَرْجَاهَا مَكْفُوفَانِ بِالدِّيبَاجِ وَقَالَتْ هٰذِهِ جُبَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ فَلَمَّا قُبِضَتْ قَبَضْتُهَا وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُهَا فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى وَنَسْتَشْفِي بِهَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَقَوْلُهُ جُبَّةُ طَيَالِسَةٍ بِإِضَافَةِ جُبَّةٍ إِلَى طَيَالِسَةٍ وَكِسْرَوَانِيَّةٌ نِسْبَةٌ إِلَى كِسْرَى وَلِبْنَةٌ رُقْعَةٌ مِنْ جَيْبِ الْقَمِيصِ * وَلَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَبْدُو مِنْهُ إِلَّا طَيِّبٌ كَانَ آيَةُ ذٰلِكَ فِي بَدَنِهِ الشَّرِيفِ أَنَّهُ لَا يَتَّسِخُ لَهُ ثَوْبٌ قِيلَ وَلَمْ يَقْمَلْ ثَوْبُهُ. وَنَقَلَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ أَنَّ الذُّبَابَ لَا يَقَعُ عَلَى ثِيَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ لَا يَمْتَصُّ دَمَهُ الْبَعُوضُ * وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُكْثِرُ الْقِنَاعَ وَفِي رِوَايَةٍ يُكْثِرُ التَّقَنُّعَ. قَالَ الْعِرَاقِيُّ التَّقَنُّعُ تَغْطِيَةُ الرَّأْسِ بِطَرَفِ الْعِمَامَةِ أَوْ بِرِدَاءٍ أَوْ نَحْوِ ذٰلِكَ * ﴿وَأَمَّا الْخَاتَمُ﴾ فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ

عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتماً من ورق فكان في يده ثم كان في يد أبي بكر ثم كان في يد عمر ثم كان في يد عثمان رضي الله عنهم حتى وقع في بئر أريس. وفي الصحيحين أيضاً عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة فيه فص حبشي وكان يجعل فصه مما يلي كفه. وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي فقيل له إنهم لا يقبلون كتاباً إلا بختم فصاغ خاتماً ونقش عليه محمد رسول الله وإنما لبسه أبو بكر لأجل ولايته فإنه كان يحتاج إليه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحتاج إليه وكذلك عمر وعثمان رضي الله عنهم. وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتماً من ذهب فجعله في يمينه وجعل فصه مما يلي باطن كفه فاتخذ الناس خواتيم الذهب قال فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فألقاه ونهى عن التختم بالذهب * وأما فص خاتمه عليه الصلاة والسلام فعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتماً من فضة فصه منه أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما. وفي صحيح مسلم أن خاتمه صلى الله عليه وسلم كان فصه حبشياً أي من جزع أو عقيق ومعدنهما بالحبشة واليمن * وأما نقش خاتمه عليه الصلاة والسلام ففي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع خاتماً من ورق نقش فيه محمد رسول الله وقال للناس إني اتخذت خاتماً من فضة ونقشت فيه محمد رسول الله فلا ينقش أحد على نقشه. وفي رواية البخاري

وَالتِّرْمِذِيّ وَكَانَ نَقْشُ الْخَاتَمِ ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ مُحَمَّدٌ سَطْرٌ وَرَسُولُ سَطْرٌ وَاللهُ سَطْرٌ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ خَاتَمُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هٰذِهِ وَأَشَارَ إِلَى الْخِنْصَرِ مِنْ يَدِهِ الْيُسْرَى. وَعَنْ حَمَّادِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ رَأَيْتُ ابْنَ أَبِي رَافِعٍ يَتَخَتَّمُ فِي يَمِينِهِ وَقَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَتَّمُ فِي يَمِينِهِ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَتَخَتَّمُ وَرُبَّمَا خَرَجَ وَفِي خَاتَمِهِ خَيْطٌ مَرْبُوطٌ يَسْتَذْكِرُ بِهِ الشَّيْءَ رَوَاهُ ابْنُ عَدِيّ وَغَيْرُهُ. ﴿وَأَمَّا السَّرَاوِيلُ﴾ فَقَدْ جَزَمَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَلْبَسْهَا لٰكِنْ قَدْ وَرَدَ فِي حَدِيثٍ عِنْدَ أَبِي يَعْلَى الْمَوْصِلِيّ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ دَخَلْتُ السُّوقَ يَوْمًا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَلَسَ إِلَى الْبَزَّازِينَ فَاشْتَرَى سَرَاوِيلَ بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ وَكَانَ لِأَهْلِ السُّوقِ وَزَّانٌ يَزِنُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّزِنْ وَأَرْجِحْ فَقَالَ الْوَزَّانُ إِنَّ هٰذِهِ الْكَلِمَةَ مَا سَمِعْتُهَا مِنْ أَحَدٍ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ لَهُ كَفَى بِكَ مِنَ الْوَهْنِ وَالْجَفَاءِ فِي دِينِكَ أَنْ لَا تَعْرِفَ نَبِيَّكَ فَطَرَحَ الْمِيزَانَ وَوَثَبَ إِلَى يَدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ أَنْ يُقَبِّلَهَا فَجَذَبَ يَدَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ وَقَالَ يَا هٰذَا إِنَّمَا تَفْعَلُ هٰذَا الْأَعَاجِمُ بِمُلُوكِهَا وَلَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ فَوَزَنَ فَأَرْجَحَ وَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّرَاوِيلَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَذَهَبْتُ لِأَحْمِلَهُ عَنْهُ فَقَالَ صَاحِبُ الشَّيْءِ أَحَقُّ بِشَيْئِهِ أَنْ يَحْمِلَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ضَعِيفًا يَعْجِزُ عَنْهُ فَيُعِينُهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ فَإِنَّكَ لَتَلْبَسُ السَّرَاوِيلَ فَقَالَ أَجَلْ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ وَبِاللَّيْلِ

وَالنَّهَارِ فَإِنِّي أُمِرْتُ بِالسَّتْرِ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَسْتَتِرُ مِنْهُ وَقَدْ صَحَّ شِرَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلسَّرَاوِيلِ *(وَأَمَّا الْخُفُّ)* فَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ بُرَيْدَةَ أَنَّ النَّجَاشِيَّ أَهْدَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُفَّيْنِ أَسْوَدَيْنِ سَاذَجَيْنِ فَلَبِسَهُمَا ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَيْهِمَا. وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ أَهْدَى دِحْيَةُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُفَّيْنِ فَلَبِسَهُمَا *(وَأَمَّا نَعْلُهُ)* صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ نَعْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَهُمَا قِبَالَانِ. وَالْقِبَالَانِ تَثْنِيَةُ قِبَالٍ وَهُوَ زِمَامُ النَّعْلِ وَهُوَ السَّيْرُ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ الْإِصْبَعَيْنِ. وَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ جُرَيْجٍ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِ عُمَرَ رَأَيْتُكَ تَلْبَسُ النِّعَالَ السِّبْتِيَّةَ قَالَ إِنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبَسُ النِّعَالَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَعْرٌ وَيَتَوَضَّأُ فِيهَا فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَلْبَسَهَا. وَعَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي نَعْلَيْنِ مَخْصُوفَتَيْنِ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ التَّيَمُّنَ مَا اسْتَطَاعَ فِي تَرَجُّلِهِ وَتَنَعُّلِهِ وَطُهُورِهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَأَفْرَدَ تِمْثَالَ نَعْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّأْلِيفِ غَيْرُ وَاحِدٍ وَمِنْ بَعْضِ مَا ذُكِرَ مِنْ فَضْلِهَا وَجُرِّبَ مِنْ نَفْعِهَا وَبَرَكَتِهَا مَا ذَكَرَهُ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَجِيدِ وَكَانَ شَيْخًا صَالِحًا قَالَ حَذَوْتُ هٰذَا الْمِثَالَ لِبَعْضِ الطَّلَبَةِ فَجَاءَنِي يَوْمًا فَقَالَ لِي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ مِنْ بَرَكَةِ هٰذَا النَّعْلِ عَجَبًا أَصَابَ زَوْجَتِي وَجَعٌ شَدِيدٌ كَادَ يُهْلِكُهَا فَجَعَلْتُ النَّعْلَ عَلَى مَوْضِعِ الْوَجَعِ وَقُلْتُ اللّٰهُمَّ أَرِنِي بَرَكَةَ صَاحِبِ هٰذَا النَّعْلِ فَشَفَاهَا اللهُ لِلْحِينِ. وَمِمَّنْ أَفْرَدَ التِّمْثَالَ الشَّرِيفَ بِالتَّأْلِيفِ أَبُو إِسْحَقَ السُّلَمِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ الْمَشْهُورُ بِابْنِ الْحَاجِّ قَالَ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ مُحَمَّدٍ وَمِمَّا جُرِّبَ

مِنْ بَرَكَتِهِ أَنَّهُ مَنْ أَمْسَكَهُ عِنْدَهُ مُتَبَرِّكًا بِهِ كَانَ لَهُ أَمَانًا مِنْ بَغْيِ الْبُغَاةِ وَغَلَبَةِ الْعُدَاةِ وَحِرْزًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ وَعَيْنِ كُلِّ حَاسِدٍ وَإِنْ أَمْسَكَتْهُ الْمَرْأَةُ الْحَامِلُ بِيَمِينِهَا وَقَدِ اشْتَدَّ عَلَيْهَا الطَّلْقُ تَيَسَّرَ أَمْرُهَا بِحَوْلِ اللهِ تَعَالَى وَقُوَّتِهِ. وَلِأَبِي بَكْرٍ الْقُرْطُبِيِّ رَحِمَهُ اللهُ :

وَنَعْلٍ خَضَعْنَا هَيْبَةً لِبَهَائِهَا ... وَإِنَّا مَتَى نَخْضَعْ لَهَا أَبَدًا نَعْلُ

فَضَعْهَا عَلَى أَعْلَى الْمَفَارِقِ إِنَّهَا ... حَقِيقَتُهَا تَاجٌ وَصُورَتُهَا نَعْلُ

بِأَخْمَصِ خَيْرِ الْخَلْقِ حَازَتْ مَزِيَّةً ... عَلَى التَّاجِ حَتَّى بَاهَتِ الْمَفْرِقَ الرِّجْلُ

طَرِيقُ الْهُدَى عَنْهَا اسْتَنَارَتْ لِمُبْصِرٍ ... وَإِنَّ بِحَارَ الْجُودِ مِنْ فَيْضِهَا حُلُّوا

سَلَوْنَا وَلٰكِنْ عَنْ سِوَاهَا وَإِنَّمَا ... نَهِيمُ بِمَعْنَاهَا الْغَرِيبِ وَمَا نَسْلُو

فَمَا شَاقَنَا مُذْ رَاقَنَا رَسْمُ عِزِّهَا ... حَمِيمٌ وَلَا مَالٌ كَرِيمٌ وَلَا نَسْلُ

شِفَاءٌ لِذِي سُقْمٍ رَجَاءٌ لِبَائِسٍ ... أَمَانٌ لِذِي خَوْفٍ كَذَا يُحْسَبُ الْفَضْلُ

﴿وَأَمَّا فِرَاشُهُ﴾ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَخَذَ مِنْ ذٰلِكَ بِمَا تَدْعُو ضَرُورَتُهُ إِلَيْهِ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا إِنَّمَا كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ أَدَمًا حَشْوُهُ لِيفٌ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِهَا قَالَتْ دَخَلَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَرَأَتْ فِرَاشَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطِيفَةً مَثْنِيَّةً فَبَعَثَتْ إِلَيَّ بِفِرَاشٍ حَشْوُهُ الصُّوفُ فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا هٰذَا يَا عَائِشَةُ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ فُلَانَةُ الْأَنْصَارِيَّةُ دَخَلَتْ فَرَأَتْ فِرَاشَكَ فَبَعَثَتْ إِلَيَّ بِهٰذَا فَقَالَ رُدِّيهِ يَا عَائِشَةُ

فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة. وروى الطبراني عن عبد الله بن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في غرفة كأنها بيت حمام وهو نائم على حصير قد أثر بجنبه فبكيت فقال ما يبكيك يا عبد الله قلت يا رسول الله كسرى وقيصر يطؤن على الخز والديباج والحرير وأنت نائم على هذا الحصير قد أثر في جنبك فقال لا تبك يا عبد الله فإن لهم الدنيا ولنا الآخرة. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير قال فجلست فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره وإذا الحصير قد أثر في جنبه وإذا بقبضة من الشعير نحو الصاع وإذا إهاب معلق فابتدرت عيناي فقال ما يبكيك يا ابن الخطاب فقلت يا نبي الله وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك وهذه خزائنك لا أرى فيها إلا ما أرى وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار وأنت نبي الله وصفوته وهذه خزائنه قال يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا رواه ابن ماجه بإسناد صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولفظه قال عمر رضي الله عنه استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه في مشربة وإنه لمضطجع على خصفة وإن بعضه لعلى التراب وتحت رأسه وسادة محشوة ليفا وإن فوق رأسه لإهاب عطين وفي ناحية المشربة قرظ فسلمت عليه وجلست فقلت أنت نبي الله وصفوته وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير فقال أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الدنيا وهي وشيكة الانقطاع

وَإِنَّا قَوْمٌ أُخِّرَتْ لَنَا طَيِّبَاتُنَا فِي آخِرَتِنَا. وَالْمَشْرُبَةُ الْغُرْفَةُ يُصْعَدُ إِلَيْهَا بِدَرَجَةٍ وَالْخَصَفَةُ وِعَاءٌ مِنْ خُوصٍ لِلتَّمْرِ وَالْإِهَابُ الْجِلْدُ وَالْعَطِينُ الْمُنْتِنُ وَالْقَرَظُ وَرَقُ السَّلَمِ الَّذِي يُدْبَغُ بِهِ وَرِوَايَةُ الْإِهَابُ وَالْعَطِينُ بِدُونِ أَلِفٍ مَعَ كَوْنِهِمَا مَنْصُوبَيْنِ عَلَى لُغَةِ رَبِيعَةَ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كَانَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيرٌ مُرَمَّلٌ بِالْبَرْدِيِّ عَلَيْهِ كِسَاءٌ أَسْوَدُ وَقَدْ حَشَوْنَاهُ بِالْبَرْدِيِّ فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَلَيْهِ فَإِذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَائِمٌ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَآهُمَا اسْتَوَى جَالِسًا فَنَظَرَا فَإِذَا أَثَرُ السَّرِيرِ فِي جَنْبِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَا يَا رَسُولَ اللهِ مَا تُؤْذِيكَ خُشُونَةُ مَا نَرَى مِنْ فِرَاشِكَ وَسَرِيرِكَ وَهٰذَا كِسْرَى وَقَيْصَرُ عَلَى فُرُشِ الدِّيبَاجِ وَالْحَرِيرِ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا تَقُولَا هٰذَا فَإِنَّ فِرَاشَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ فِي النَّارِ وَإِنَّ فِرَاشِي وَسَرِيرِي عَاقِبَتُهُ إِلَى الْجَنَّةِ رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ. وَالْمُرَمَّلُ الْمَنْسُوجُ وَالْبَرْدِيُّ نَبَاتٌ. وَمَا عَابَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُضْطَجَعًا قَطُّ إِنْ فُرِشَ لَهُ اضْطَجَعَ وَإِلَّا اضْطَجَعَ عَلَى الْأَرْضِ. وَتَغَطَّى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللِّحَافِ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا أَتَانِي جِبْرِيلُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِ عَائِشَةَ *

النوع الثالث

فِي سِيرَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي نِكَاحِهِ

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ. وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ فَضَلْتُ عَلَى ٱلنَّاسِ بِأَرْبَعٍ بِٱلسَّمَاحَةِ وَٱلشَّجَاعَةِ وَكَثْرَةِ ٱلْجِمَاعِ وَشِدَّةِ ٱلْبَطْشِ رَوَاهُ ٱلطَّبَرَانِيُّ. وَقَالَ أَنَسٌ كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي ٱلسَّاعَةِ ٱلْوَاحِدَةِ مِنَ ٱللَّيْلِ وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ قَالَ قَتَادَةُ قُلْتُ لِأَنَسٍ أَوَ كَانَ يُطِيقُهُ قَالَ كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ. وَعَنْ طَاوُسٍ وَمُجَاهِدٍ أُعْطِيَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا فِي ٱلْجِمَاعِ رَوَاهُ ٱبْنُ سَعِيدٍ وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قُوَّةَ بِضْعٍ وَأَرْبَعِينَ رَجُلًا كُلُّ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ رَوَاهُ ٱلْحَارِثُ ٱبْنُ أَبِي أُسَامَةَ وَعِنْدَ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَفَعَهُ إِنَّ ٱلرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةٍ فِي ٱلْأَكْلِ وَٱلشُّرْبِ وَٱلْجِمَاعِ وَٱلشَّهْوَةِ. وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ مَرْفُوعًا أَتَانِي جِبْرِيلُ بِقِدْرٍ فَأَكَلْتُ مِنْهَا فَأُعْطِيتُ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا فِي ٱلْجِمَاعِ رَوَاهُ ٱبْنُ سَعْدٍ. وَلَمَّا كَانَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مِمَّنْ أُقْدِرَ عَلَى ٱلْقُوَّةِ فِي ٱلْجِمَاعِ وَأُعْطِيَ ٱلْكَثِيرَ مِنْهُ أُبِيحَ لَهُ مِنْ عَدَدِ ٱلْحَرَائِرِ مَا لَمْ يُبَحْ لِغَيْرِهِ قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا تَزَوَّجُوا فَإِنَّ أَفْضَلَ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً يُشِيرُ إِلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ *

النوع الرابع

فِي نَوْمِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كَانَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يَنَامُ أَوَّلَ ٱللَّيْلِ وَيَسْتَيْقِظُ فِي أَوَّلِ ٱلنِّصْفِ ٱلثَّانِي فَيَقُومُ فَيَسْتَاكُ وَيَتَوَضَّأُ وَلَمْ يَكُنْ يَأْخُذُ مِنَ ٱلنَّوْمِ فَوْقَ ٱلْقَدْرِ ٱلْمُحْتَاجِ وَلَا يَمْنَعُ نَفْسَهُ مِنَ ٱلْقَدْرِ ٱلْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ مِنْهُ وَكَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنَامُ عَلَى جَنْبِهِ ٱلْأَيْمَنِ

ذاكراً الله تعالى حتى تغلبه عيناه غير ممتلئ البطن من الطعام والشراب. وكان عليه الصلاة والسلام ينام على الفراش تارة وعلى النطع تارة وعلى الحصير تارة وعلى الأرض تارة. والنطع من جلد. وكان فراشه أدما حشوه ليف وكان له مسح ينام عليه والمسح فراش خشن * وكان صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه وضع كفه تحت خده الأيمن وقال رب قني عذابك يوم تبعث عبادك وفي رواية يوم تجمع عبادك. وقال أبو قتادة كان عليه الصلاة والسلام إذا عرس بليل اضطجع على شقه الأيمن وإذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعه ووضع رأسه على كفه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان عليه الصلاة والسلام إذا نام نفخ. وعن حذيفة رضي الله عنه قال كان عليه الصلاة والسلام إذا أوى إلى فراشه قال باسمك اللهم أموت وأحيا. وقالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يجمع كفيه فينفث فيهما ويقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ويبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يصنع ذلك ثلاث مرات. وقال أنس رضي الله عنه كان عليه الصلاة والسلام إذا أوى إلى فراشه قال الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي روى ذلك الترمذي. وقد كان عليه الصلاة والسلام تنام عيناه ولا ينام قلبه رواه البخاري من حديث عائشة قاله لها عليه الصلاة والسلام لما قالت له أتنام قبل أن توتر *

المقصد الرابع

فِي مُعْجِزَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الدَّالَّةِ عَلَى ثُبُوتِ نُبُوَّتِهِ وَصِدْقِ رِسَالَتِهِ وَمَا خُصَّ بِهِ مِنْ خَصَائِصِ آيَاتِهِ وَبَدَائِعِ كَرَامَاتِهِ وَفِيهِ فَصْلَانِ

الفصل الاول

فِي مُعْجِزَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إِعْلَمْ أَنَّ دَلَائِلَ نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَةٌ وَالْأَخْبَارَ بِظُهُورِ مُعْجِزَاتِهِ شَهِيرَةٌ فَمِنْ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا وُجِدَ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَسَائِرِ كُتُبِ اللهِ الْمُنَزَّلَةِ مِنْ ذِكْرِهِ وَنَعْتِهِ وَخُرُوجِهِ بِأَرْضِ الْعَرَبِ وَمَا خَرَجَ بَيْنَ يَدَيْ أَيَّامِ مَوْلِدِهِ وَمَبْعَثِهِ مِنَ الْأُمُورِ الْغَرِيبَةِ الْقَادِحَةِ فِي سُلْطَانِ الْكُفْرِ الْمُوهِنَةِ لِكَلِمَتِهِمْ الْمُؤَيِّدَةِ لِشَأْنِ الْعَرَبِ الْمُنَوِّهَةِ بِذِكْرِهِمْ كَقِصَّةِ الْفِيلِ وَمَا أَحَلَّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَصْحَابِهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَالنَّكَالِ، وَخُمُودِ نَارِ فَارِسَ، وَسُقُوطِ شُرُفَاتِ إِيوَانِ كِسْرَى، وَغَيْضِ مَاءِ بُحَيْرَةِ سَاوَه، وَرُؤْيَا الْمُوبَذَانِ، وَمَا سُمِعَ مِنَ الْهَوَاتِفِ الصَّارِخَةِ بِنُعُوتِهِ وَأَوْصَافِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَانْتِكَاسِ الْأَصْنَامِ الْمَعْبُودَةِ وَخُرُورِهَا لِوَجْهِهَا مِنْ غَيْرِ دَافِعٍ لَهَا مِنْ أَمْكِنَتِهَا، إِلَى سَائِرِ مَا رُوِيَ وَنُقِلَ فِي الْأَخْبَارِ الْمَشْهُورَةِ مِنْ ظُهُورِ الْعَجَائِبِ فِي وِلَادَتِهِ وَأَيَّامِ حَضَانَتِهِ وَبَعْدَهَا إِلَى أَنْ بَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى نَبِيًّا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَسْتَمِيلُ بِهِ الْقُلُوبَ مِنْ مَالٍ فَيُطْمَعَ فِيهِ وَلَا قُوَّةٍ فَيَقْهَرَ بِهَا الرِّجَالَ وَلَا أَعْوَانٍ عَلَى الرَّأْيِ الَّذِي أَظْهَرَهُ

وَٱلدِّينِ ٱلَّذِي دَعَا إِلَيْهِ وَكَانُوا يَجْتَمِعُونَ عَلَى عِبَادَةِ ٱلْأَصْنَامِ وَتَعْظِيمِ ٱلْأَزْلَامِ مُقِيمِينَ عَلَى عَادَةِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ فِي ٱلْعُصْبَةِ وَٱلْحَمِيَّةِ وَٱلتَّعَادِي وَٱلتَّبَاغِي وَسَفْكِ ٱلدِّمَاءِ وَشَنِّ ٱلْغَارَاتِ لَا تَجْمَعُهُمْ أُلْفَةُ دِينٍ وَلَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ سُوءِ أَفْعَالِهِمْ نَظَرٌ فِي عَاقِبَةٍ وَلَا خَوْفُ عُقُوبَةٍ وَلَا لَائِمَةٍ فَأَلَّفَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَجَمَعَ كَلِمَتَهُمْ حَتَّى ٱتَّفَقَتِ ٱلْآرَاءُ وَتَنَاصَرَتِ ٱلْقُلُوبُ وَتَرَادَفَتِ ٱلْأَيْدِي فَصَارُوا إِلْبًا وَاحِدًا فِي نُصْرَتِهِ وَعُنُقًا وَاحِدًا إِلَى طَلْعَتِهِ وَهَجَرُوا بِلَادَهُمْ وَأَوْطَانَهُمْ وَجَفَوْا قَوْمَهُمْ وَعَشَائِرَهُمْ فِي مَحَبَّتِهِ وَبَذَلُوا مُهَجَهُمْ وَأَرْوَاحَهُمْ فِي نُصْرَتِهِ وَنَصَبُوا وُجُوهَهُمْ لِوَقْعِ ٱلسُّيُوفِ فِي إِعْزَازِ كَلِمَتِهِ بِلَا دُنْيَا بَسَطَهَا لَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ أَفَاضَهَا عَلَيْهِمْ وَلَا غَرَضٍ فِي ٱلْعَاجِلِ أَطْمَعَهُمْ فِي نَيْلِهِ يَرْجُونَهُ أَوْ أَمْرٍ مِنْ مُهِمَّاتِ ٱلدُّنْيَا يَحُوزُونَهُ بَلْ كَانَ مِنْ شَأْنِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَجْعَلَ ٱلْغَنِيَّ فَقِيرًا وَٱلشَّرِيفَ أُسْوَةَ ٱلْوَضِيعِ فَهَلْ يَلْتَئِمُ مِثْلُ هٰذِهِ ٱلْأُمُورِ أَوْ يَتَّفِقُ مَجْمُوعُهَا لِأَحَدٍ هٰذِهِ سَبِيلُهُ مِنْ قِبَلِ ٱلْإِخْتِيَارِ ٱلْعَقْلِيِّ وَٱلتَّدْبِيرِ ٱلْفِكْرِيِّ لَا وَٱلَّذِي بَعَثَهُ بِٱلْحَقِّ وَسَخَّرَ لَهُ هٰذِهِ ٱلْأُمُورَ مَا يَرْتَابُ عَاقِلٌ فِي شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ إِلٰهِيٌّ وَشَيْءٌ غَالِبٌ سَمَاوِيٌّ نَاقِضٌ لِلْعَادَاتِ تَعْجِزُ عَنْ بُلُوغِهِ قُوَى ٱلْبَشَرِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿فَمِنْ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ أَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أُمِّيًّا لَا يَخُطُّ كِتَابًا بِيَدِهِ وَلَا يَقْرَؤُهُ وُلِدَ فِي قَوْمٍ أُمِّيِّينَ وَنَشَأَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ فِي بَلَدٍ لَيْسَ بِهَا عَالِمٌ يَعْرِفُ أَخْبَارَ ٱلْمَاضِينَ وَلَمْ يَخْرُجْ فِي سَفَرٍ ضَارِبًا إِلَى عَالِمٍ فَيَعْكُفُ عَلَيْهِ فَجَاءَهُمْ بِأَخْبَارِ ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنْجِيلِ وَٱلْأُمَمِ

الْمَاضِيَةِ وَقَدْ كَانَ ذَهَبَتْ مَعَالِمُ تِلْكَ الْكُتُبِ وَدَرَسَتْ وَحُرِّفَتْ عَنْ مَوَاضِعِهَا وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِهَا وَأَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِصَحِيحِهَا وَسَقِيمِهَا إِلَّا الْقَلِيلُ. ثُمَّ حَاجَّ كُلَّ فَرِيقٍ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ الْمُخَالِفَةِ لَهُ بِمَا لَوِ احْتَشَدَ لَهُ حُذَّاقُ الْمُتَكَلِّمِينَ وَجَهَابِذَةُ النُّقَّادِ الْمُتَفَنِّنِينَ لَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُمْ نَقْضُ ذَلِكَ وَهَذَا أَدَلُّ شَيْءٍ عَلَى أَنَّهُ أَمْرٌ جَاءَهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى * ﴿وَمِنْ ذَلِكَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ﴾ فَقَدْ تَحَدَّى بِمَا فِيهِ مِنَ الْإِعْجَازِ وَدَعَاهُمْ إِلَى مُعَارَضَتِهِ وَالْإِتْيَانِ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فَنَكَلُوا عَنْهُ وَعَجَزُوا عَنِ الْإِتْيَانِ بِشَيْءٍ مِنْهُ. قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِنَّ الَّذِي أَوْرَدَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْعَرَبِ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي أَعْجَزَهُمْ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ أَعْجَبُ فِي الْآيَةِ وَأَوْضَحُ فِي الدَّلَالَةِ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ لِأَنَّهُ أَتَى أَهْلَ الْبَلَاغَةِ وَأَرْبَابَ الْفَصَاحَةِ وَرُؤَسَاءَ الْبَيَانِ وَالْمُتَقَدِّمِينَ فِي اللَّسَنِ بِكَلَامٍ مَفْهُومِ الْمَعْنَى عِنْدَهُمْ فَكَانَ عَجْزُهُمْ عَنْهُ أَعْجَبَ مِنْ عَجْزِ مَنْ شَاهَدَ الْمَسِيحَ عِنْدَ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَطْمَعُونَ فِيهِ وَلَا فِي إِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ وَلَا يَتَعَاطَوْنَ عِلْمَهُ وَقُرَيْشٌ كَانَتْ تَتَعَاطَى الْكَلَامَ الْفَصِيحَ وَالْبَلَاغَةَ وَالْخَطَابَةَ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْعَجْزَ عَنْهُ إِنَّمَا كَانَ لِيَصِيرَ عَلَمًا عَلَى رِسَالَتِهِ وَصِحَّةِ نُبُوَّتِهِ وَهَذِهِ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ وَبُرْهَانٌ وَاضِحٌ. قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عُقَلَاءِ الرِّجَالِ عِنْدَ أَهْلِ زَمَانِهِ بَلْ هُوَ أَعْقَلُ خَلْقِ اللهِ تَعَالَى عَلَى الْإِطْلَاقِ وَقَدْ قَطَعَ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُمْ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِ مَا تَحَدَّاهُمْ بِهِ فَقَالَ «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا» فَلَوْلَا عِلْمُهُ بِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَّامِ الْغُيُوبِ

وَأَنَّهُ لا يَقَعُ فِيما أَخْبَرَ عَنْهُ خُلْفٌ وَإِلَّا لَمْ يَأْذَنْ لَهُ عَقْلُهُ أَنْ يَقْطَعَ الْقَوْلَ فِي شَيْءٍ بِأَنَّهُ لا يَكُونُ وَهُوَ يَكُونُ انْتَهَى وَهذا مِنْ أَحْسَنِ ما يُقالُ فِي هذا الْمَجالِ وَأَبْدَعِهِ وَأَكْمَلِهِ وَأَبْيَنِهِ فَإِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نادى عَلَيْهِمْ بِالْعَجْزِ قَبْلَ الْمُعارَضَةِ وَبِالتَّقْصِيرِ عَنْ بُلُوغِ الْغَرَضِ فِي الْمُناقَضَةِ صارِخًا بِهِمْ عَلى رُؤُوسِ الأَشْهادِ وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْهُمُ الإِلْمامَ بِهِ مَعَ تَوَفُّرِ الدَّواعِي وَتَظاهُرِ الاجْتِهادِ فَقالَ وَكانَ بِما أَلْقَى إِلَيْهِمْ مِنَ الأَخْبارِ عَلِيمًا خَبِيرًا «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا» فَرَضِيَتْ هِمَمُهُمُ السَّرِيَّةُ وَأَنْفُسُهُمُ الشَّرِيفَةُ الأَبِيَّةُ بِسَفْكِ الدِّماءِ وَهَتْكِ الْحُرَمِ لِعَجْزِهِمْ وَقَدْ وَرَدَ مِنَ الأَخْبارِ فِي قِراءَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ ما نَزَلَ عَلَيْهِ عَلى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كانُوا مِنْ أَهْلِ الْفَصاحَةِ وَالْبَلاغَةِ وَإِقْرارِهِمْ بِإِعْجازِهِ جُمَلٌ كَثِيرَةٌ مِنْها ما رُوِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ قالَ حُدِّثْتُ أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ قالَ ذاتَ يَوْمٍ وَهُوَ جالِسٌ فِي نادِي قُرَيْشٍ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحْدَهُ فِي الْمَسْجِدِ يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَلا أَقُومُ إِلى هذا فَأَعْرِضُ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ أَنْ يَقْبَلَ مِنَّا بَعْضَها وَيَكُفَّ عَنَّا قالُوا بَلى يا أَبا الْوَلِيدِ فَقامَ عُتْبَةُ فَجَلَسَ إِلى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِيما قالَهُ عُتْبَةُ وَفِيما عَرَضَ عَلَيْهِ مِنَ الْمالِ وَغَيْرِ ذلِكَ فَلَمَّا فَرَغَ قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفَرَغْتَ يا أَبا الْوَلِيدِ قالَ نَعَمْ قالَ فَاسْمَعْ مِنِّي قالَ أَفْعَلُ فَقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ» فَمَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يقرؤها عليه فلما سمعها عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجد فيها ثم قال سمعت يا أبا الوليد قال سمعت فأنت وذاك فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس إليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال إني والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة يا معشر قريش أطيعوني خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ قال فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة قرأ «بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم» حتى بلغ «فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود» فأمسكت فمه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب رواه البيهقي وغيره.

وعن عكرمة في قصة الوليد بن المغيرة وكان زعيم قريش في الفصاحة أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اقرأ علي فقرأ عليه «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء» إلى آخر الآية قال أعد فأعاد صلى الله عليه وسلم فقال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر ثم قال لقومه والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا أعلم برجزه ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق

أَسفَلَهُ وَإِنَّهُ لَيَعلُو وَلَا يُعلَى • وَفِي خَبَرِ الْآخَرِينَ جَمَعَ قُرَيشًا عِندَ حُضُورِ الْمَوسِمِ وَقَالَ إِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ تَرِدُ فَأَجمِعُوا فِيهِ رَأْيًا لَا يُكَذِّبُ بَعضُكُم بَعضًا فَقَالُوا نَقُولُ كَاهِنٌ قَالَ وَاللّٰهِ مَا هُوَ بِكَاهِنٍ مَا هُوَ بِزَمزَمَتِهِ وَلَا سَجعِهِ قَالُوا مَجنُونٌ قَالَ مَا هُوَ بِمَجنُونٍ وَلَا بِخَنقِهِ وَلَا بِوَسوَسَتِهِ قَالُوا فَنَقُولُ شَاعِرٌ قَالَ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ قَد عَرَفنَا الشِّعرَ كُلَّهُ رَجَزَهُ وَهَزَجَهُ وَقَرِيضَهُ وَمَبسُوطَهُ وَمَقبُوضَهُ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ قَالُوا فَنَقُولُ سَاحِرٌ قَالَ مَا هُوَ بِسَاحِرٍ وَلَا نَفثِهِ وَلَا عَقدِهِ قَالُوا فَمَا نَقُولُ قَالَ فَمَا أَنتُم قَائِلُونَ مِن هٰذَا شَيئًا إِلَّا وَأَنَا أَعرِفُ أَنَّهُ بَاطِلٌ رَوَاهُ ابنُ إِسحٰقَ وَالْبَيهَقِيُّ • وَلَمَّا أَسلَمَ فِتيَانُ بَنِي سَلِمَةَ قَالَ عَمرُو بنُ الْجَمُوحِ لِابنِهِ أَخبِرنِي مَا سَمِعتَ مِن كَلَامِ هٰذَا الرَّجُلِ فَقَرَأَ عَلَيهِ «الْحَمدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» إِلَى أَن بَلَغَ «الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ» فَقَالَ مَا أَحسَنَ هٰذَا وَأَجمَلَهُ أَوَكُلُّ كَلَامِهِ مِثلُ هٰذَا قَالَ يَا أَبَتِ وَأَحسَنُ مِن هٰذَا • قَالَ بَعضُهُم إِنَّ هٰذَا الْقُرآنَ لَو وُجِدَ مَكتُوبًا فِي مُصحَفٍ فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرضِ وَلَم يُعلَم مَن وَضَعَهُ هُنَاكَ لَشَهِدَتِ الْعُقُولُ السَّلِيمَةُ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِن عِندِ اللّٰهِ وَأَنَّ الْبَشَرَ لَا قُدرَةَ لَهُم عَلَى تَأْلِيفِ مِثلِ ذٰلِكَ فَكَيفَ إِذَا جَاءَ عَلَى يَدِ أَصدَقِ الْخَلقِ وَأَبَرِّهِم وَأَتقَاهُم وَقَالَ إِنَّهُ كَلَامُ اللّٰهِ وَتَحَدَّى الْخَلقَ كُلَّهُم أَن يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثلِهِ فَعَجَزُوا فَكَيفَ يَبقَى مَعَ هٰذَا شَكٌّ وَقَد قَالَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى «قُل لَئِنِ اجتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثلِ هٰذَا الْقُرآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثلِهِ وَلَو كَانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهِيرًا» فَلَم يَقدِر أَحَدٌ أَن يَأْتِيَ بِمِثلِ هٰذَا الْقُرآنِ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَلَا بَعدَهُ عَلَى نَظمِهِ وَتَأْلِيفِهِ وَعُذُوبَةِ مَنطِقِهِ وَصِحَّةِ مَعَانِيهِ وَمَا فِيهِ

مِنَ ٱلْأَمْثَالِ وَٱلْأَشْيَاءِ ٱلَّتِي دَلَّتْ عَلَى ٱلْبَعْثِ وَآيَاتِهِ وَٱلْإِنْبَاءِ بِمَا كَانَ وَيَكُونُ وَمَا فِيهِ مِنَ ٱلْأَمْرِ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَٱلْإِمْتِنَاعِ مِنْ إِرَاقَةِ ٱلدِّمَاءِ وَصِلَةِ ٱلْأَرْحَامِ إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ فَكَيْفَ يَقْدِرُ عَلَى ذٰلِكَ أَحَدٌ وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ ٱلْعَرَبُ ٱلْفُصَحَاءُ وَٱلْخُطَبَاءُ وَٱلْبُلَغَاءُ وَٱلشُّعَرَاءُ وَٱلْفُهَمَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهَا وَهُوَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مُدَّةِ مَا عَرَفُوهُ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ وَأَدَاءِ رِسَالَتِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا يُحْسِنُ نَظْمَ كِتَابٍ وَلَا عَقْدَ حِسَابٍ وَلَا يُنْشِدُ شِعْرًا وَلَا يَحْفَظُ خَبَرًا وَلَا يَرْوِي أَثَرًا حَتَّى أَكْرَمَهُ ٱللّٰهُ بِٱلْوَحْيِ ٱلْمُنَزَّلِ وَٱلْكِتَابِ ٱلْمُفَصَّلِ فَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَحَاجَّهُمْ بِهِ قَالَ ٱللّٰهُ تَعَالَى «قُلْ لَوْ شَاءَ ٱللّٰهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» وَشَهِدَ لَهُ فِي كِتَابِهِ بِذٰلِكَ فَقَالَ تَعَالَى «وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ» وَأَمَّا مَا عَدَا ٱلْقُرْآنَ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كَنَبْعِ ٱلْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، وَتَكْثِيرِ ٱلطَّعَامِ بِبَرَكَتِهِ، وَٱنْشِقَاقِ ٱلْقَمَرِ، وَنُطْقِ ٱلْجَمَادِ، فَمِنْهُ مَا وَقَعَ ٱلتَّحَدِّي بِهِ وَمِنْهُ مَا وَقَعَ دَالًّا عَلَى صِدْقِهِ مِنْ غَيْرِ سَبْقِ تَحَدٍّ وَمَجْمُوعُ ذٰلِكَ يُفِيدُ ٱلْقَطْعَ بِأَنَّهُ ظَهَرَ عَلَى يَدِهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَوَارِقِ ٱلْعَادَاتِ شَيْءٌ كَثِيرٌ مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ ٱلْمُعْجِزَاتِ ٱلنَّبَوِيَّةِ قَدِ ٱشْتَهَرَ وَرَوَاهُ ٱلْعَدَدُ ٱلْكَثِيرُ وَٱلْجَمُّ ٱلْغَفِيرُ. وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ مُعْجِزَاتِهِ وَبَاهِرَ آيَاتِهِ وَكَرَامَاتِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وَجَدْتَهَا شَامِلَةً لِلْعُلْوِيِّ وَٱلسُّفْلِيِّ وَٱلصَّامِتِ وَٱلنَّاطِقِ وَٱلسَّاكِنِ وَٱلْمُتَحَرِّكِ وَٱلْمَائِعِ وَٱلْجَامِدِ وَٱلسَّابِقِ وَٱللَّاحِقِ وَٱلْغَائِبِ وَٱلْحَاضِرِ وَٱلْبَاطِنِ وَٱلظَّاهِرِ وَٱلْعَاجِلِ وَٱلْآجِلِ إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا لَوْ عُدَّ لَطَالَ

كالرمي بالشهب الثواقب، ومنع الشياطين من استراق السمع، وتسليم الحجر والشجر عليه صلى الله عليه وسلم وشهادتها له بالرسالة ومخاطبتها له بالسيادة، وحنين الجذع، ونبع الماء من كفه، وانشقاق القمر، ورد العين بعد العور، ونطق البعير والذئب، وكالنور المتوارث من آدم إلى جبهة أبيه وما سوى ذلك من المعجزات التي تداولتها الرواة مما لو أعملنا أنفسنا في حصرها لفني المدى في ذكرها ولو بالغ الأولون والآخرون في إحصاء مناقبه لعجزوا عن استقصاء ما حباه الكريم من مواهبه صلى الله عليه وسلم وهو باب فسيح المجال منيع المنال لكنني أنبه من ذلك على نبذة يسيرة فأقول: ﴿أما معجزة انشقاق القمر﴾ فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز «اقتربت الساعة وانشق القمر» والمراد وقوع انشقاقه ويؤيده قوله تعالى بعد ذلك «وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر» واعلم أن القمر لم ينشق لأحد غير نبينا صلى الله عليه وسلم وهو من أمهات معجزاته عليه الصلاة والسلام وقد أجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه لأجله صلى الله عليه وسلم فإن كفار قريش لما كذبوه ولم يصدقوه طلبوا منه آية تدل على صدقه في دعواه فأعطاه الله تعالى هذه الآية العظيمة التي لا قدرة لبشر على إيجادها دالة على صدقه عليه الصلاة والسلام في دعواه الوحدانية لله تعالى. قال الخطابي انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء وذلك أنه ظهر في ملكوت السموات خارجاً عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة فلذلك صار البرهان

بِهِ أَظْهَرَ. فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ هٰذَا سِحْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ قَالَ فَقَالُوا انْظُرُوا مَا يَأْتِيكُمْ بِهِ السُّفَّارُ فَإِنَّ مُحَمَّدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ قَالَ فَجَاءَ السُّفَّارُ فَأَخْبَرُوهُمْ بِذٰلِكَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَمَّا اجْتَمَعَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمُ الْوَلِيدُ ابْنُ الْمُغِيرَةِ وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ وَالنَّضْرُ ابْنُ الْحَارِثِ وَنُظَرَاؤُهُمْ فَقَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَشُقَّ لَنَا الْقَمَرَ فِرْقَتَيْنِ فَسَأَلَ رَبَّهُ فَانْشَقَّ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ. وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مُخْتَصَرًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِلَفْظِ إِنَّ الْقَمَرَ انْشَقَّ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ شِقَّتَيْنِ حَتَّى رَأَوْا حِرَاءَ بَيْنَهُمَا. وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةً فَوْقَ الْجَبَلِ وَفِرْقَةً دُونَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْهَدُوا. وَفِي التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ» قَالَ قَدْ كَانَ ذٰلِكَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْشَقَّ فِلْقَتَيْنِ فِلْقَةً دُونَ الْجَبَلِ وَفِلْقَةً خَلْفَ الْجَبَلِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْهَدُوا. وَعِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةً عَلَى هٰذَا الْجَبَلِ وَفِرْقَةً

عَلَى هٰذَا الْجَبَلِ فَقَالُوا سَحَرَنَا مُحَمَّدٌ فَقَالُوا إِنْ كَانَ سَحَرَنَا فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ . قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ قَدْ رُوِيَ هٰذَا الْحَدِيثُ يَعْنِي حَدِيثَ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ عَنْ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَرَوَى ذٰلِكَ عَنْهُمْ أَمْثَالُهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ ثُمَّ نَقَلَهُ عَنْهُمُ الْجَمُّ الْغَفِيرُ إِلَى أَنِ انْتَهَى إِلَيْنَا وَتَأَيَّدَ بِالْآيَةِ الْكَرِيمَةِ اهـ . وَقَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ السُّبْكِيِّ فِي شَرْحِهِ لِمُخْتَصَرِ ابْنِ الْحَاجِبِ وَالصَّحِيحُ عِنْدِي أَنَّ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مُتَوَاتِرٌ مَنْصُوصٌ عَلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ مَرْوِيٌّ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا وَلَهُ طُرُقٌ شَتَّى بِحَيْثُ لَا يُمْتَرَى فِي تَوَاتُرِهِ * ﴿وَأَمَّا رَدُّ الشَّمْسِ لَهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ فَرُوِيَ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُوحَى إِلَيْهِ وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ فَلَمْ يُصَلِّ الْعَصْرَ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَلَّيْتَ يَا عَلِيُّ قَالَ لَا فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ فِي طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ فَارْدُدْ عَلَيْهِ الشَّمْسَ قَالَتْ أَسْمَاءُ فَرَأَيْتُهَا غَرَبَتْ ثُمَّ رَأَيْتُهَا طَلَعَتْ بَعْدَمَا غَرَبَتْ وَوَقَعَتْ عَلَى الْجِبَالِ وَالْأَرْضِ وَذٰلِكَ بِالصَّهْبَاءِ فِي خَيْبَرَ حَكَاهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي الشِّفَاءِ عَنِ الطَّحَاوِيِّ وَرَوَاهُ عَنْهَا الطَّبَرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ وَأَخْرَجَهُ عَنْهَا ابْنُ مَنْدَهْ وَابْنُ شَاهِينٍ وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَرْدُويَهْ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ . وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ الشَّمْسَ فَتَأَخَّرَتْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ . وَذَكَرَ الْقَاضِي عِيَاضٌ عَنِ ابْنِ إِسْحٰقَ أَنَّهُ لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ قَوْمَهُ بِالرُّفْقَةِ

وَالْعَلَامَةِ الَّتِي فِي الْعِيرِ قَالُوا مَتَى تَجِيءُ قَالَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ فَلَمَّا كَانَ ذٰلِكَ الْيَوْمُ أَشْرَفَتْ قُرَيْشٌ يَنْتَظِرُونَ وَقَدْ وَلَّى النَّهَارُ وَلَمْ تَجِئْ فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَزِيدَ لَهُ فِي النَّهَارِ سَاعَةً وَحُبِسَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ. وَكَذَا رُوِيَ حَبْسُ الشَّمْسِ لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا يَوْمَ الْخَنْدَقِ حِينَ شُغِلَ عَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ فَيَكُونُ حَبْسُ الشَّمْسِ مَخْصُوصًا بِنَبِيِّنَا وَيُوشَعَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَمَا ذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي الْإِكْمَالِ وَنَقَلَهُ عَنْهُ النَّوَوِيُّ وَالْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ وَمُغْلَطَايْ وَأَقَرُّوهُ * ﴿وَأَمَّا مَا رُوِيَ مِنْ طَاعَاتِ الْجَمَادَاتِ وَتَكْلِيمِهَا لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ بِالتَّسْبِيحِ وَالسَّلَامِ وَنَحْوِ ذٰلِكَ مِمَّا وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ فَمِنْهَا تَسْبِيحُ الطَّعَامِ وَالْحَصَى فِي كَفِّهِ الشَّرِيفِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ قَالَ تَنَاوَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعَ حَصَيَاتٍ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حَنِينًا ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ فَسَبَّحْنَ ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فِي يَدِ عُمَرَ فَسَبَّحْنَ ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فِي يَدِ عُثْمَانَ فَسَبَّحْنَ رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَالطَّبَرَانِيُّ وَفِي رِوَايَةِ الطَّبَرَانِيِّ فَسَمِعَ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَيْنَا فَلَمْ يُسَبِّحْنَ مَعَ أَحَدٍ مِنَّا. وَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ كُنَّا نَأْكُلُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّعَامَ وَنَحْنُ نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ. وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ مَرِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ بِطَبَقٍ فِيهِ رُمَّانٌ وَعِنَبٌ فَأَكَلَ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَبَّحَ رَوَاهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي الشِّفَاءِ * وَمِنْ ذٰلِكَ تَسْلِيمُ الْحَجَرِ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَّجَ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ. وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي هٰذَا الْحَجَرِ فَقِيلَ هُوَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ وَقِيلَ حَجَرٌ غَيْرُهُ بِزُقَاقٍ يُعْرَفُ بِهِ بِمَكَّةَ وَالنَّاسُ يَتَبَرَّكُونَ بِلَمْسِهِ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ يُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّمَا اجْتَازَ بِهِ. وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ فَخَرَجْنَا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا فَمَا اسْتَقْبَلَهُ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا اسْتَقْبَلَنِي جِبْرِيلُ بِالرِّسَالَةِ جَعَلْتُ لَا أَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَأَبُو نُعَيْمٍ * وَمِنْ ذٰلِكَ تَأْمِينُ أُسْكُفَّةِ الْبَابِ وَحَوَائِطِ الْبَيْتِ عَلَى دُعَائِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَا أَبَا الْفَضْلِ لَا تَرِمْ مَنْزِلَكَ أَنْتَ وَبَنُوكَ غَدًا حَتَّى آتِيَكُمْ فَإِنَّ لِي فِيكُمْ حَاجَةً فَانْتَظَرُوهُ حَتَّى جَاءَ بَعْدَمَا أَضْحَى فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ قَالَ كَيْفَ أَصْبَحْتُمْ قَالُوا أَصْبَحْنَا بِخَيْرٍ بِحَمْدِ اللّٰهِ فَقَالَ لَهُمْ تَقَارَبُوا فَتَقَارَبُوا يَزْحَفُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى إِذَا أَمْكَنُوهُ اشْتَمَلَ عَلَيْهِمْ بِمُلَاءَتِهِ فَقَالَ يَا رَبِّ هٰذَا عَمِّي وَصِنْوُ أَبِي وَهٰؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَاسْتُرْهُمْ مِنَ النَّارِ كَسَتْرِي إِيَّاهُمْ بِمُلَاءَتِي هٰذِهِ فَأَمَّنَتْ أُسْكُفَّةُ الْبَابِ وَحَوَائِطُ الْبَيْتِ فَقَالَتْ آمِينَ آمِينَ آمِينَ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ * وَمِنْ ذٰلِكَ كَلَامُهُ لِلْجَبَلِ وَكَلَامُ الْجَبَلِ لَهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّٰهُ

عَنْهُ قَالَ صعدَ ٱلنَّبيُّ صلَّى ٱللهُ عليْهِ وَسلَّمَ وأَبُو بكْرٍ وعُمرُ وعُثْمَانُ أُحدًا فرَجَفَ بِهِمْ فضرَبَهُ ٱلنَّبيُّ صلَّى ٱللهُ عليْهِ وَسلَّمَ برِجْلِهِ وقَالَ ٱثْبُتْ أُحُدُ فإِنَّمَا عليْكَ نبيٌّ وَصدِّيقٌ وشَهيدَانِ رَوَاهُ ٱلْبخَارِيُّ وغَيْرُهُ . وأُحدٌ جبلٌ بِٱلْمدِينَةِ وهُوَ ٱلَّذي قالَ فيهِ صلَّى ٱللهُ عليْهِ وَسلَّمَ أُحدٌ جبلٌ يحِبُّنَا ونُحِبُّهُ رَوَاهُ ٱلْبخَارِيُّ ومُسْلِمٌ ورُوِيَ تعدُّدُ ٱلْقِصَّةِ في جبَلِ ثَبِيرٍ وجبَلِ حرَاءٍ بمكَّةَ . ولمَّا طلَبتْهُ عليْهِ ٱلصَّلَاةُ وٱلسَّلَامُ قُرَيْشٌ قالَ لهُ ثَبِيرٌ ٱهْبِطْ يارسُولَ ٱللهِ فإِنِّي أَخافُ أَنْ يقْتلُوكَ علَى ظهْرِي فيُعذِّبَنِي ٱللهُ تعَالَى فقَالَ لهُ حرَاءٌ إِلَيَّ يارسُولَ ٱللهِ رَوَاهُ في ٱلشِّفَاءِ . وحرَاءٌ مقَابِلُ ثَبِيرٍ وَٱلْوَادِي بينَهُمَا * ومِنْ ذلِكَ كلَامُ ٱلشَّجَرِ لهُ وسلَامُهَا عليْهِ وطَوَاعِيَتُهَا لهُ وشهَادَتُهَا لهُ بِٱلرِّسَالَةِ صلَّى ٱللهُ عليْهِ وَسلَّمَ تقدَّمَ أَنَّهُ صلَّى ٱللهُ عليْهِ وَسلَّمَ لمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ جعَلَ لا يمُرُّ بحجَرٍ ولَا شجَرٍ إِلَّا قالَ ٱلسَّلَامُ عليْكَ يارسُولَ ٱللهِ . وأَخْرَجَ ٱلْإِمَامُ أَحمدُ عنْ طلْحَةَ بْنِ نافِعٍ قالَ جاءَ جبْرِيلُ إِلَى رسُولِ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عليْهِ وَسلَّمَ وَهُوَ جالِسٌ حزِينٌ قدْ خُضِبَ بِٱلدِّمَاءِ ضرَبَهُ بعْضُ أَهْلِ مكَّةَ فقَالَ لهُ مَا لكَ فقَالَ لهُ رسُولُ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عليْهِ وَسلَّمَ فعَلَ بِي هؤُلَاءِ وفعَلُوا فقَالَ لهُ جبْرِيلُ أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيَكَ آيَةً فقَالَ نعَمْ فنَظَرَ إِلَى شجَرَةٍ مِنْ وَرَاءِ ٱلْوَادِي فقَالَ ٱدْعُ تِلْكَ ٱلشَّجَرَةَ فدَعَاهَا قالَ فجَاءَتْ تمْشِي حتَّى قامَتْ بيْنَ يدَيْهِ فقَالَ مُرْهَا فلْتَرْجِعْ إِلَى مكَانِهَا فأَمَرَهَا فرَجَعَتْ إِلَى مكَانِهَا فقَالَ رسُولُ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عليْهِ وَسلَّمَ حسْبِي حسْبِي . وأَخْرَجَ ٱلْحَاكِمُ عنِ ٱبْنِ عمَرَ رضِيَ ٱللهُ عنْهُمَا قالَ كُنَّا معَ ٱلنَّبيِّ صلَّى ٱللهُ عليْهِ وَسلَّمَ فأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ فلَمَّا دنَا منْهُ قالَ لهُ رسُولُ ٱللهِ صلَّى ٱللهُ عليْهِ وَسلَّمَ أَيْنَ ترِيدُ قالَ

إِلَى أَهْلِي قَالَ هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ قَالَ هَلْ لَكَ مِنْ شَاهِدٍ عَلَى مَا تَقُولُ قَالَ
رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةُ فَدَعَاهَا رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَهِيَ بِشَاطِئِ ٱلْوَادِي فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ ٱلْأَرْضَ خَدًّا فَقَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ
فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا فَشَهِدَتْ ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا رَوَاهُ ٱلْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ . وَقَوْلُهُ
تَخُدُّ أَيْ تَشُقُّ ٱلْأَرْضَ . وَعَنْ بُرَيْدَةَ سَأَلَ أَعْرَابِيٌّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
آيَةً فَقَالَ لَهُ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْ لِتِلْكَ ٱلشَّجَرَةِ رَسُولُ ٱللَّهِ
يَدْعُوكِ قَالَ فَمَالَتِ ٱلشَّجَرَةُ عَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ شِمَالِهَا وَبَيْنَ يَدَيْهَا وَخَلْفِهَا فَتَقَطَّعَتْ
عُرُوقُهَا ثُمَّ جَاءَتْ تَخُدُّ ٱلْأَرْضَ تَجُرُّ عُرُوقَهَا مُغْبَرَّةً حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ
ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتِ ٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ ٱللَّهِ فَقَالَ ٱلْأَعْرَابِيُّ مُرْهَا
فَلْتَرْجِعْ إِلَى مَنْبَتِهَا فَرَجَعَتْ فَدَلَّتْ عُرُوقَهَا فِي ذَٰلِكَ ٱلْمَوْضِعِ فَاسْتَقَرَّتْ فَقَالَ
ٱلْأَعْرَابِيُّ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَسْجُدَ لَكَ قَالَ لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ
ٱلْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا رَوَاهُ فِي ٱلشِّفَاءِ . وَعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ
جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بِمَ أَعْرِفُ أَنَّكَ رَسُولُ ٱللَّهِ
قَالَ إِنْ دَعَوْتُ هَٰذَا ٱلْعِذْقَ مِنْ هَٰذِهِ ٱلنَّخْلَةِ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ فَدَعَاهُ رَسُولُ
ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ ٱلنَّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ إِلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ ٱرْجِعْ فَعَادَ فَأَسْلَمَ ٱلْأَعْرَابِيُّ رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ . وَفِي حَدِيثِ
يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ ٱلثَّقَفِيِّ ثُمَّ سِرْنَا حَتَّى نَزَلْنَا مَنْزِلًا فَنَامَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَتْ

شَجَرَةٌ تَشُقُّ الْأَرْضَ حَتَّى غَشِيَتْهُ ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ هِيَ شَجَرَةٌ اسْتَأْذَنَتْ رَبَّهَا فِي أَنْ تُسَلِّمَ عَلَيَّ فَأَذِنَ لَهَا رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ. وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَحَ فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْضِي حَاجَتَهُ فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ فَإِذَا شَجَرَتَانِ فِي شَاطِئِ الْوَادِي فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى إِحْدَاهُمَا فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ ثُمَّ فَعَلَ بِالْأُخْرَى كَذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ بَيْنَهُمَا قَالَ الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى فَالْتَأَمَتَا. وَمِنْ ذَلِكَ حَنِينُ الْجِذْعِ شَوْقًا إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ آيَةٌ كُبْرَى مِنْ أَكْبَرِ الْآيَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا أَعْطَى اللَّهُ تَعَالَى نَبِيًّا مَا أَعْطَى نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ لَهُ أَعْطَى عِيسَى إِحْيَاءَ الْمَوْتَى قَالَ أَعْطَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنِينَ الْجِذْعِ حَتَّى سُمِعَ صَوْتُهُ فَهِيَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ حَدِيثُ حَنِينِ الْجِذْعِ مَشْهُورٌ مُنْتَشِرٌ وَالْخَبَرُ بِهِ مُتَوَاتِرٌ أَخْرَجَهُ أَهْلُ الصَّحِيحِ وَرَوَاهُ مِنَ الصَّحَابَةِ بِضْعَةَ عَشَرَ مِنْهُمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، وَبُرَيْدَةُ، وَأُمُّ سَلَمَةَ، وَالْمُطَّلِبُ

ابْنُ أَبِي وَدَاعَةَ اهـ وَالْقِصَّةُ وَاحِدَةٌ وَإِنْ تَغَايَرَتْ بَعْضُ أَلْفَاظِهَا وَهِيَ أَنَّ مَسْجِدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعِ نَخْلٍ فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا فَصُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ ثَلَاثَ دَرَجَاتٍ لِيَسْمَعَ النَّاسُ خُطْبَتَهُ لَمَّا كَثُرُوا فَلَمَّا قَعَدَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَارَ الْجِذْعُ حَتَّى تَصَدَّعَ وَانْشَقَّ • وَفِي رِوَايَةٍ فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَمَّهَا إِلَيْهِ فَجَعَلَتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يَشْكِي • وَفِي رِوَايَةٍ سَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ • وَفِي رِوَايَةٍ اضْطَرَبَتْ تِلْكَ السَّارِيَةُ كَحَنِينِ النَّاقَةِ الْخَلُوجِ وَهِيَ الَّتِي انْتُزِعَ مِنْهَا وَلَدُهَا • وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ أَنَّهُ سَمِعَ الْخَشَبَةَ تَحِنُّ حَنِينَ الْوَالِهِ فَمَا زَالَتْ تَحِنُّ حَتَّى نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمِنْبَرِ فَمَشَى إِلَيْهَا فَاحْتَضَنَهَا فَسَكَتَتْ • وَفِي رِوَايَةٍ جَأَرَ الْجِذْعُ كَجُؤَارِ الثَّوْرِ حُزْنًا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى ارْتَجَّ الْمَسْجِدُ لِجُؤَارِهِ فَنَزَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمِنْبَرِ فَالْتَزَمَهُ وَهُوَ يَخُورُ فَلَمَّا الْتَزَمَهُ سَكَتَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَمْ أَلْتَزِمْهُ لَمَا زَالَ هٰكَذَا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ حُزْنًا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدُفِنَ • وَفِي حَدِيثِ بُرَيْدَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ إِنْ شِئْتَ أَرُدُّكَ إِلَى الْحَائِطِ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ تَنْبُتُ لَكَ عُرُوقُكَ وَيَكْمُلُ خَلْقُكَ وَيُجَدَّدُ لَكَ خُوصٌ وَثَمَرَةٌ وَإِنْ شِئْتَ أَغْرِسُكَ فِي الْجَنَّةِ فَتَأْكُلُ أَوْلِيَاءُ اللهِ مِنْ ثَمَرِكَ ثُمَّ أَصْغَى لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَسْمَعَ مَا يَقُولُ فَقَالَ بَلْ تَغْرِسُنِي فِي الْجَنَّةِ فَيَأْكُلُ مِنِّي

أَوْلِيَاءُ ٱللّٰهِ وَأَكُونُ فِي مَكَانٍ لَا أَبْلَى فِيهِ فَسَمِعَهُ مَنْ يَلِيهِ فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ فَعَلْتُ ثُمَّ قَالَ ٱخْتَارَ دَارَ ٱلْبَقَاءِ عَلَى دَارِ ٱلْفَنَاءِ . وَقَدْ رُوِيَ حَدِيثُ حَنِينِ ٱلْجِذْعِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ ٱلصَّحَابَةِ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ تُفِيدُ ٱلْقَطْعَ بِوُقُوعِ ذٰلِكَ وَقَالَ ٱلْعَلَّامَةُ ٱلتَّاجُ بْنُ ٱلسُّبْكِيِّ ٱلصَّحِيحُ عِنْدِي أَنَّ حَنِينَ ٱلْجِذْعِ مُتَوَاتِرٌ . وَقَالَ ٱلْحَافِظُ ٱبْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ ٱلْبَارِي حَنِينُ ٱلْجِذْعِ وَٱنْشِقَاقُ ٱلْقَمَرِ نُقِلَ كُلٌّ مِنْهُمَا نَقْلًا مُسْتَفِيضًا يُفِيدُ ٱلْقَطْعَ عِنْدَ مَنْ يَطَّلِعُ عَلَى طُرُقِ ٱلْحَدِيثِ . وَقَالَ ٱلْبَيْهَقِيُّ قِصَّةُ حَنِينِ ٱلْجِذْعِ مِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلظَّاهِرَةِ ٱلَّتِي حَمَلَهَا ٱلْخَلَفُ عَنِ ٱلسَّلَفِ . قَالَ أَبُو ٱلْقَاسِمِ ٱلْبَغَوِيُّ كَانَ ٱلْحَسَنُ إِذَا حَدَّثَ بِهٰذَا ٱلْحَدِيثِ بَكَى ثُمَّ قَالَ يَا عِبَادَ ٱللّٰهِ ٱلْخَشَبَةُ تَحِنُّ إِلَى رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَوْقًا إِلَيْهِ لِمَكَانِهِ مِنَ ٱللّٰهِ فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَيْهِ ﴿وَأَمَّا كَلَامُ ٱلْحَيَوَانَاتِ وَطَاعَتُهَا لَهُ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ فَمِنْهَا سُجُودُ ٱلْجَمَلِ وَشَكْوَاهُ إِلَيْهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ أَهْلُ بَيْتٍ مِنَ ٱلْأَنْصَارِ لَهُمْ جَمَلٌ يَسْنُونَ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ ٱسْتَصْعَبَ عَلَيْهِمْ فَمَنَعَهُمْ ظَهْرَهُ وَإِنَّ ٱلْأَنْصَارَ جَاؤُا إِلَى رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا إِنَّهُ كَانَ لَنَا جَمَلٌ نَسْنِي عَلَيْهِ وَإِنَّهُ ٱسْتَصْعَبَ عَلَيْنَا وَمَنَعَنَا ظَهْرَهُ وَقَدْ عَطِشَ ٱلنَّخْلُ وَٱلزَّرْعُ فَقَالَ رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ قُومُوا فَقَامُوا فَدَخَلَ ٱلْحَائِطَ وَٱلْجَمَلُ فِي نَاحِيَةٍ فَمَشَى رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ فَقَالَتِ ٱلْأَنْصَارُ يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ قَدْ صَارَ مِثْلَ ٱلْكَلْبِ ٱلْكَلِبِ وَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ صَوْلَتَهُ فَقَالَ رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ بَأْسٌ فَلَمَّا نَظَرَ ٱلْجَمَلُ إِلَى رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ أَقْبَلَ نَحْوَهُ حَتَّى خَرَّ سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَاصِيَتِهِ أَذَلَّ مَا كَانَ قَطُّ حَتَّى أَدْخَلَهُ فِي الْعَمَلِ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ يَا رَسُولَ اللهِ هٰذِهِ بَهِيمَةٌ لَا تَعْقِلُ تَسْجُدُ لَكَ وَنَحْنُ نَعْقِلُ فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لَوْ صَلَحَ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ. وَالْحَائِطُ هُوَ الْبُسْتَانُ وَقَوْلُهُ نَسْنِي أَيْ نَسْقِي عَلَيْهِ. وَفِي حَدِيثِ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ الثَّقَفِيِّ بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ مَرَرْنَا بِبَعِيرٍ يُسْنَى عَلَيْهِ فَلَمَّا رَآهُ الْبَعِيرُ جَرْجَرَ فَوَضَعَ جِرَانَهُ فَوَقَفَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَيْنَ صَاحِبُ هٰذَا الْبَعِيرِ فَجَاءَهُ فَقَالَ بِعْنِيهِ فَقَالَ بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّهُ لِأَهْلِ بَيْتٍ مَا لَهُمْ مَعِيشَةٌ غَيْرُهُ فَقَالَ أَمَا إِذْ ذَكَرْتَ هٰذَا مِنْ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ شَكَا كَثْرَةَ الْعَمَلِ وَقِلَّةَ الْعَلَفِ فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ. وَالْجِرَانُ مُقَدَّمُ عُنُقِ الْبَعِيرِ مِنْ مَذْبَحِهِ إِلَى مَنْحَرِهِ. وَأَخْرَجَ ابْنُ شَاهِينَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ حَائِطَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَنَ ثُمَّ قَالَ مَنْ رَبُّ هٰذَا الْجَمَلِ لِمَنْ هٰذَا الْجَمَلُ فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ هٰذَا لِي يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ أَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هٰذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ قَالَ فِي الْمَصَابِيحِ وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ. وَذِفْرَاهُ تَثْنِيَةُ ذِفْرَى وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَعْرَقُ مِنْ قَفَا

الْبَعِيرِ عِنْدَ أُذُنِهِ * وَمِنْهَا سُجُودُ الْغَنَمِ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
قَالَ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَائِطًا لِلْأَنْصَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ
وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَفِي الْحَائِطِ غَنَمٌ فَسَجَدَتْ لَهُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللهِ
نَحْنُ أَحَقُّ بِالسُّجُودِ لَكَ مِنْ هٰذِهِ الْغَنَمِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنْبَغِي
لِأَحَدٍ أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ ، وَذَكَرَ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي الشِّفَاءِ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآمَنَ بِهِ وَهُوَ عَلَى بَعْضِ حُصُونِ خَيْبَرَ وَكَانَ فِي غَنَمٍ يَرْعَاهَا
لَهُمْ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ لِي بِالْغَنَمِ قَالَ احْصِبْ وُجُوهَهَا فَإِنَّ اللهَ سَيُؤَدِّي
عَنْكَ أَمَانَتَكَ وَيَرُدُّهَا إِلَى أَهْلِهَا فَفَعَلَ فَسَارَتْ كُلُّ شَاةٍ حَتَّى دَخَلَتْ إِلَى أَهْلِهَا *
وَمِنْهَا قِصَّةُ كَلَامِ الذِّئْبِ وَشَهَادَتِهِ لَهُ بِالرِّسَالَةِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهَا كَثِيرٌ
مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ عَدَا الذِّئْبُ عَلَى شَاةٍ
فَأَخَذَهَا فَطَلَبَهُ الرَّاعِي فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ فَأَقْعَى الذِّئْبُ عَلَى ذَنَبِهِ وَقَالَ أَلَا تَتَّقِي اللهَ
تَنْزِعُ مِنِّي رِزْقًا سَاقَهُ اللهُ إِلَيَّ فَقَالَ الرَّاعِي يَا عَجَبًا ذِئْبٌ مُقْعٍ عَلَى ذَنَبِهِ يُكَلِّمُنِي
بِكَلَامِ الْإِنْسِ فَقَالَ الذِّئْبُ أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذٰلِكَ مُحَمَّدٌ بِيَثْرِبَ يُخْبِرُ
النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ قَالَ فَأَقْبَلَ الرَّاعِي يَسُوقُ غَنَمَهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَزَوَاهَا
إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَأَمَرَ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنُودِيَ بِالصَّلَاةِ جَامِعَةً ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ أَخْبِرْهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ
رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَفِي بَعْضِ الطُّرُقِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ
الذِّئْبُ أَنْتَ أَعْجَبُ مِنِّي وَاقِفًا عَلَى غَنَمِكَ وَتَرَكْتَ نَبِيًّا لَمْ يَبْعَثِ اللهُ قَطُّ أَعْظَمَ

مِنهُ عِندَهُ قَدراً قَدْ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ ٱلْجَنَّةِ وَأَشْرَفَ أَهْلُهَا عَلَى أَصْحَابِهِ يَنْظُرُونَ قِتَالَهُمْ وَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ إِلَّا هٰذَا ٱلشِّعْبُ فَتَكُونُ فِي جُنْدِ ٱللهِ قَالَ ٱلرَّاعِي مَنْ لِي بِغَنَمِي قَالَ ٱلذِّئْبُ أَنَا أَرْعَاهَا حَتَّى تَرْجِعَ فَأَسْلَمَ ٱلرَّجُلُ إِلَيْهِ غَنَمَهُ وَمَضَى وَذَكَرَ قِصَّتَهُ وَإِسْلَامَهُ وَوُجُودَهُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَاتِلُ فَقَالَ لَهُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُدْ إِلَى غَنَمِكَ تَجِدْهَا بِوَفْرِهَا فَوَجَدَهَا كَذٰلِكَ وَذَبَحَ لِلذِّئْبِ شَاةً مِنْهَا. وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي سُنَنِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ جَاءَ ٱلذِّئْبُ فَأَقْعَى بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعَلَ يُبَصْبِصُ بِذَنَبِهِ فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هٰذَا وَافِدُ ٱلذِّئَابِ جَاءَ يَسْأَلُكُمْ أَنْ تَجْعَلُوا لَهُ مِنْ أَمْوَالِكُمْ شَيْئاً قَالُوا وَٱللهِ لَا نَفْعَلُ وَأَخَذَ رَجُلٌ مِنَ ٱلْقَوْمِ حَجَراً رَمَاهُ بِهِ فَأَدْبَرَ ٱلذِّئْبُ وَلَهُ عُوَاءٌ فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلذِّئْبُ وَمَا ٱلذِّئْبُ. وَرَوَى ٱبْنُ وَهْبٍ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَصَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ وَجَدَا ذِئْباً أَخَذَ ظَبْياً فَدَخَلَ ٱلظَّبْيُ ٱلْحَرَمَ فَٱنْصَرَفَ ٱلذِّئْبُ فَعَجِبَا مِنْ ذٰلِكَ فَقَالَ ٱلذِّئْبُ أَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ بِٱلْمَدِينَةِ يَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَتَدْعُونَهُ إِلَى ٱلنَّارِ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ وَٱللَّاتِ وَٱلْعُزَّى لَئِنْ ذَكَرْتَ هٰذَا بِمَكَّةَ لَتَتْرُكَنَّهَا خُلُوفاً أَيْ فَاسِدَةً * وَمِنْ ذٰلِكَ حَدِيثُ ٱلضَّبِّ ذَكَرَهُ ٱلْقَاضِي عِيَاضٌ فِي ٱلشِّفَاءِ وَقَدْ رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي مَحْفِلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ قَدْ صَادَ ضَبّاً جَعَلَهُ فِي كُمِّهِ لِيَذْهَبَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ فَيَشْوِيَهُ وَيَأْكُلَهُ فَلَمَّا رَأَى ٱلْجَمَاعَةَ قَالَ مَنْ هٰذَا قَالُوا نَبِيُّ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْرَجَ ٱلضَّبَّ مِنْ كُمِّهِ وَقَالَ

وَاللاَّتِ وَالْعُزَّى لاَ آمَنْتُ بِكَ أَوْ يُؤْمِنَ هٰذَا الضَّبُّ وَطَرَحَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا ضَبُّ فَأَجَابَهُ بِلِسَانٍ مُبِينٍ يَسْمَعُهُ الْقَوْمُ جَمِيعًا لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا زَيْنَ مَنْ وَافَى الْقِيَامَةَ قَالَ مَنْ تَعْبُدُ قَالَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ عَرْشُهُ وَفِي الْأَرْضِ سُلْطَانُهُ وَفِي الْبَحْرِ سَبِيلُهُ وَفِي الْجَنَّةِ رَحْمَتُهُ وَفِي النَّارِ عِقَابُهُ قَالَ فَمَنْ أَنَا قَالَ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ صَدَّقَكَ وَخَابَ مَنْ كَذَّبَكَ فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ * وَمِنْ ذٰلِكَ حَدِيثُ الْغَزَالَةِ رَوَاهُ كَثِيرٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ مِنْ طُرُقٍ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا قَالَتْ بَيْنَمَا رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَحْرَاءَ مِنَ الْأَرْضِ إِذَا هَاتِفٌ يَهْتِفُ يَا رَسُولَ اللّٰهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَالْتَفَتَ فَإِذَا ظَبْيَةٌ مَشْدُودَةٌ فِي وِثَاقٍ وَأَعْرَابِيٌّ مُنْجَدِلٌ فِي شَمْلَةٍ نَائِمٌ فِي الشَّمْسِ فَقَالَ مَا حَاجَتُكِ قَالَتْ صَادَنِي هٰذَا الْأَعْرَابِيُّ وَلِي خِشْفَانِ فِي ذٰلِكَ الْجَبَلِ فَأَطْلِقْنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأُرْضِعَهُمَا وَأَرْجِعَ قَالَ وَتَفْعَلِينَ قَالَتْ عَذَّبَنِي اللّٰهُ عَذَابَ الْعَشَّارِ إِنْ لَمْ أَعُدْ فَأَطْلَقَهَا فَذَهَبَتْ وَرَجَعَتْ فَأَوْثَقَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْتَبَهَ الْأَعْرَابِيُّ وَقَالَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ أَلَكَ حَاجَةٌ قَالَ تُطْلِقُ هٰذِهِ الظَّبْيَةَ فَأَطْلَقَهَا فَخَرَجَتْ تَعْدُو فِي الصَّحْرَاءِ فَرَحًا وَهِيَ تَضْرِبُ بِرِجْلَيْهَا الْأَرْضَ وَتَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللّٰهِ .

وَمِنْ ذٰلِكَ دَاجِنُ الْبُيُوتِ وَهُوَ مَا أَلِفَهَا مِنَ الْحَيَوَانِ كَالطَّيْرِ وَالشَّاةِ وَغَيْرِهِمَا رَوَى قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا وَعَنْ وَالِدَيْهَا قَالَتْ كَانَ عِنْدَنَا دَاجِنٌ فَإِذَا كَانَ عِنْدَنَا رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَّ وَثَبَتَ مَكَانَهُ فَلَمْ

يجيء ولم يذهب وإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وذكره القاضي عياض بسنده ﴿وأما نبع الماء الطهور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم﴾ وهو أشرف المياه فقد روى أحاديثه جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود وابن عباس ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضؤا منه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم قال راويه فقلنا لأنس كم كنتم قال كنا ثلاثمائة. وعن أنس أيضا قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال المسلمون يا رسول الله عطشت دوابنا وإبلنا فقال هل من فضلة ماء فجاء رجل في شن بشيء فقال هاتوا صحفة فصب الماء ثم وضع راحته في الماء قال فرأيتها تخلل عيونا بين أصابعه قال فسقينا إبلنا ودوابنا وتزودنا فقال أكتفيتم فقالوا نعم اكتفينا يا نبي الله فرفع يده فارتفع الماء رواه ابن شاهين. وأخرج البيهقي عن أنس أيضا قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى قباء فأتي من بعض بيوتهم بقدح صغير فأدخل يده فلم يسعه القدح فأدخل أصابعه الأربعة ولم يستطع أن يدخل إبهامه ثم قال للقوم هلموا إلى الشراب قال أنس بصر عيني ينبع الماء من بين أصابعه فلم يزل القوم يردون القدح حتى رووا منه جميعا. وأما حديث جابر ففي الصحيحين وغيرهما عنه قال عطش الناس يوم الحديبية وكان رسول الله

صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ يَتَوَضَّأُ مِنْهَا وَجَهَشَ ٱلنَّاسُ نَحْوَهُ فَقَالَ مَا لَكُمْ فَقَالُوا يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ مَا عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ بِهِ وَلَا نَشْرَبُهُ إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي ٱلرَّكْوَةِ فَجَعَلَ ٱلْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ ٱلْعُيُونِ فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا قَالَ رَاوِيهِ قُلْتُ كَمْ كُنْتُمْ قَالَ جَابِرٌ لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً. وَٱلرَّكْوَةُ إِنَاءٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدٍ يُشْرَبُ فِيهِ وَٱلْجَهْشُ أَنْ يَفْزَعَ ٱلْإِنْسَانُ إِلَى غَيْرِهِ. وَفِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ ٱلطَّوِيلِ فِي ذِكْرِ غَزْوَةِ بُوَاطٍ قَالَ لِي رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا جَابِرُ نَادِ ٱلْوَضُوءَ وَذَكَرَ ٱلْحَدِيثَ بِطُولِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ إِلَّا قَطْرَةً فِي عَزْلَاءِ شَجْبٍ فَأُتِيَ بِهِ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَمَزَهُ وَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ وَقَالَ نَادِ بِجَفْنَةِ ٱلرَّكْبِ فَأُتِيتُ بِهَا فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَذَكَرَ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَسَطَ يَدَهُ فِي ٱلْجَفْنَةِ وَفَرَّقَ أَصَابِعَهُ وَصَبَّ عَلَيْهِ جَابِرٌ فَقَالَ بِسْمِ ٱللّٰهِ فَرَأَيْتُ ٱلْمَاءَ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ثُمَّ فَارَتِ ٱلْجَفْنَةُ وَٱسْتَدَارَتْ حَتَّى ٱمْتَلَأَتْ وَأَمَرَ ٱلنَّاسَ بِٱلِاسْتِقَاءِ فَٱسْتَقَوْا حَتَّى رَوُوا فَقُلْتُ هَلْ بَقِيَ مِنْ أَحَدٍ لَهُ حَاجَةٌ فَرَفَعَ رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ مِنَ ٱلْجَفْنَةِ وَهِيَ مَلْأَى. وَٱلْعَزْلَاءُ فَمُ ٱلْقِرْبَةِ ٱلْأَسْفَلُ وَٱلشَّجْبُ ٱلسِّقَاءُ ٱلَّذِي أَخْلَقَ وَبَلِيَ وَصَارَ شَنًّا وَٱلْجَفْنَةُ إِنَاءٌ يُشْبِعُ عَشَرَةً فَأَكْثَرَ. وَأَمَّا حَدِيثُ ٱبْنِ مَسْعُودٍ فَفِي ٱلصَّحِيحِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱطْلُبُوا مَنْ مَعَهُ فَضْلُ مَاءٍ فَأُتِيَ بِمَاءٍ فَصَبَّهُ فِي إِنَاءٍ ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ فَجَعَلَ ٱلْمَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَعَنِ ٱبْنِ

عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما قالَ دعا النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بلالاً فطلبَ الماءَ فقالَ لا واللهِ ما وجدتُ الماءَ قالَ فهلْ مِنْ شنٍّ فأتاهُ بشنٍّ فبسطَ كفَّهُ فيهِ فانبعثَتْ تحتَ يدِهِ عينٌ فكانَ ابنُ مسعودٍ يشربُ وغيرُهُ يتوضَّأُ رواهُ الدارميُّ وغيرُهُ.

قالَ القرطبيُّ قصَّةُ نبعِ الماءِ منْ بينِ أصابعِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قدْ تكرَّرتْ منهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في عدَّةِ مواطنَ في مشاهدَ عظيمةٍ ووردتْ منْ طرقٍ كثيرةٍ يفيدُ مجموعُها العلمَ القطعيَّ المستفادَ منَ التواترِ المعنويِّ ولمْ يُسْمَعْ بمثلِ هذهِ المعجزةِ عنْ غيرِ نبيِّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حيثُ نبعَ الماءُ منْ بينِ عصبِهِ ولحمِهِ ودمِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ المزنيُّ نبعُ الماءِ منْ بينِ أصابعِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أبلغُ في المعجزةِ منْ نبعِ الماءِ منَ الحجرِ حيثُ ضربَهُ موسى عليهِ الصلاةُ والسلامُ بالعصا فتفجَّرتْ منهُ المياهُ لأنَّ خروجَ الماءِ منَ الحجارةِ معهودٌ بخلافِ خروجِ الماءِ منْ بينِ اللحمِ والدمِ. ومنْ ذلكَ تفجيرُ الماءِ ببركتِهِ وانبعاثُهُ بمسِّهِ ودعوتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ روى مسلمٌ في صحيحِهِ عنْ معاذٍ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ لهمْ إنَّكمْ ستأتونَ غداً إنْ شاءَ اللهُ تعالى عينَ تبوكَ وإنَّكمْ لنْ تأتوها حتَّى يُضْحِيَ النهارُ فمنْ جاءَها فلا يمسَّ منْ مائِها شيئاً حتَّى آتيَ قالَ فجئناها وقدْ سبقَ إليها رجلانِ والعينُ مثلُ الشِّراكِ تبضُّ بشيءٍ منْ ماءٍ فسألَهما رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هلْ مسستُما منْ مائِها شيئاً قالا نعمْ فسبَّهما وقالَ لهما ما شاءَ اللهُ أنْ يقولَ ثمَّ غرفوا منَ العينِ قليلاً قليلاً حتَّى اجتمعَ في شيءٍ ثمَّ غسلَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بهِ وجهَهُ ويديهِ ثمَّ أعادَهُ فيها فجرتِ العينُ بماءٍ كثيرٍ فاستقى

ٱلنَّاسُ ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يَا مُعَاذُ يُوشِكُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ
تَرَى مَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا أَيْ بَسَاتِينَ وَعُمْرَانًا وَزَادَ فِي ٱلشِّفَاءِ عَنِ ٱبْنِ إِسْحٰقَ
فَٱنْخَرَقَ مِنَ ٱلْمَاءِ مَا لَهُ حِسٌّ كَحِسِّ ٱلصَّوَاعِقِ • وَفِي ٱلْبُخَارِيِّ فِي غَزْوَةِ ٱلْحُدَيْبِيَةِ
مِنْ حَدِيثِ ٱلْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّهُمْ نَزَلُوا بِأَقْصَى ٱلْحُدَيْبِيَةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلِ ٱلْمَاءِ
يَتَبَرَّضُهُ ٱلنَّاسُ تَبَرُّضًا فَلَمْ يَلْبَثْهُ ٱلنَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ وَشُكِيَ إِلَى رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى
ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْعَطَشُ فَٱنْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ فَوَٱللّٰهِ
مَازَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِٱلرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ • وَقَوْلُهُ يَتَبَرَّضُهُ ٱلنَّاسُ تَبَرُّضًا أَيْ
يَأْخُذُونَهُ قَلِيلًا قَلِيلًا وَمَعْنَى يَجِيشُ يَفُورُ مَاؤُهُ وَيَرْتَفِعُ • وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ صَلَّى ٱللّٰهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ فَتَمَضْمَضَ وَمَجَّ فِي بِئْرِ ٱلْحُدَيْبِيَةِ مِنْ فَمِهِ فَجَاشَتْ بِٱلْمَاءِ • وَعَنْ
عُرْوَةَ أَنَّهُ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ فِي ٱلدَّلْوِ وَمَضْمَضَ فَاهُ ثُمَّ مَجَّ فِيهِ وَأَمَرَ أَنْ
يُصَبَّ فِي ٱلْبِئْرِ وَنَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ وَأَلْقَاهُ فِي ٱلْبِئْرِ وَدَعَا ٱللّٰهَ تَعَالَى فَفَارَتْ
بِٱلْمَاءِ حَتَّى جَعَلُوا يَغْتَرِفُونَ بِأَيْدِيهِمْ مِنْهَا وَهُمْ جُلُوسٌ عَلَى شَفَتِهَا وَفِي ٱلصَّحِيحَيْنِ
عَنْ عِمْرَانَ ٱبْنِ ٱلْحُصَيْنِ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ قَالَ كُنَّا مَعَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ
فَٱشْتَكَى إِلَيْهِ ٱلنَّاسُ مِنَ ٱلْعَطَشِ فَنَزَلَ فَدَعَا فُلَانًا وَٱسْمُهُ أَبُو رَجَاءٍ وَدَعَا عَلِيًّا
فَقَالَ ٱذْهَبَا فَٱبْتَغِيَا ٱلْمَاءَ فَٱنْطَلَقَا فَتَلَقَّيَا ٱمْرَأَةً بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ أَيْ قِرْبَتَيْنِ مِنْ مَاءٍ
فَجَاآ بِهَا إِلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَٱسْتَنْزَلُوهَا عَنْ بَعِيرِهَا وَدَعَا ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللّٰهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِنَاءٍ فَفَرَّغَ فِيهِ مِنْ أَفْوَاهِ ٱلْمَزَادَتَيْنِ وَأَوْكَأَ أَفْوَاهَهُمَا وَأَطْلَقَ ٱلْعَزَالِي
وَهِيَ مَصَابُّ ٱلْمَاءِ وَنُودِيَ فِي ٱلنَّاسِ ٱسْقُوا وَٱسْتَقُوا فَسَقَى مَنْ سَقَى وَٱسْتَقَى مَنْ شَاءَ

وَهِيَ قَائِمَةٌ تَنْظُرُ إِلَى مَا يُفْعَلُ بِمَائِهَا وَايْمُ ٱللّٰهِ لَقَدْ أُقْلِعَ عَنْهَا وَإِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْنَا أَنَّهَا أَشَدُّ مِلْئَةً مِنْهَا حِينَ ٱبْتَدَأَ فِيهَا فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱجْمَعُوا لَهَا فَجَمَعُوا لَهَا مِنْ بَيْنِ عَجْوَةٍ وَدَقِيقَةٍ وَسَوِيقَةٍ حَتَّى جَمَعُوا لَهَا طَعَامًا فَجَعَلُوهُ فِي ثَوْبٍ وَحَمَلُوهَا عَلَى بَعِيرِهَا وَوَضَعُوا ٱلثَّوْبَ بَيْنَ يَدَيْهَا قَالَ لَهَا تَعْلَمِينَ مَا رَزِئْنَا مِنْ مَائِكِ شَيْئًا وَلٰكِنَّ ٱللّٰهَ هُوَ ٱلَّذِي سَقَانَا فَأَتَتْ أَهْلَهَا فَقَالَتْ ٱلْعَجَبَ لَقِيَنِي رَجُلَانِ فَذَهَبَا بِي إِلَى هٰذَا ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي يُقَالُ لَهُ ٱلصَّابِي فَفَعَلَ كَذَا وَكَذَا فَوَٱللّٰهِ إِنَّهُ لَأَسْحَرُ ٱلنَّاسِ كُلِّهِمْ أَوْ إِنَّهُ لَرَسُولُ ٱللّٰهِ حَقًّا ثُمَّ أَسْلَمَتْ هِيَ وَقَوْمُهَا. وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّكُمْ تَسِيرُونَ عَشِيَّتَكُمْ وَلَيْلَتَكُمْ وَتَأْتُونَ ٱلْمَاءَ غَدًا إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ تَعَالَى فَٱنْطَلَقَ ٱلنَّاسُ لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ فَبَيْنَمَا رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ حَتَّى ٱبْهَارَّ ٱللَّيْلُ أَيِ ٱبْيَضَّ فَمَالَ عَنِ ٱلطَّرِيقِ فَوَضَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ ٱحْفَظُوا عَلَيْنَا صَلَاتَنَا فَكَانَ أَوَّلَ مَنِ ٱسْتَيْقَظَ رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَٱلشَّمْسُ فِي ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ ٱرْكَبُوا فَرَكِبْنَا فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا ٱرْتَفَعَتِ ٱلشَّمْسُ نَزَلَ ثُمَّ دَعَا بِمِيضَأَةٍ كَانَتْ مَعِي فِيهَا شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا وُضُوءًا وَبَقِيَ شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ ثُمَّ قَالَ ٱحْفَظْ عَلَيْنَا مِيضَأَتَكَ فَسَيَكُونُ لَهَا نَبَأٌ ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٌ بِٱلصَّلَاةِ فَصَلَّى رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ صَلَّى ٱلْغَدَاةَ وَرَكِبَ وَرَكِبْنَا مَعَهُ فَٱنْتَهَيْنَا إِلَى ٱلنَّاسِ حِينَ ٱشْتَدَّ ٱلنَّهَارُ وَحَمِيَ كُلُّ شَيْءٍ وَهُمْ يَقُولُونَ يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ هَلَكْنَا وَعَطِشْنَا فَقَالَ لَا هُلْكَ عَلَيْكُمْ وَدَعَا بِٱلْمِيضَأَةِ فَجَعَلَ يَصُبُّ وَأَبُو قَتَادَةَ يَسْقِيهِمْ فَلَمْ يَعْدُ أَنْ رَأَى ٱلنَّاسُ مَاءً فِي ٱلْمِيضَأَةِ فَتَكَابُّوا

عَلَيْهَا فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسِنُوا ٱلْمَلْءَ كُلُّكُمْ سَيَرْوَى
قَالَ فَفَعَلُوا فَجَعَلَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُبُّ وَأَسْقِيهِمْ حَتَّى مَا بَقِيَ
غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ صَبَّ ثُمَّ قَالَ لِي ٱشْرَبْ فَقُلْتُ لَا
أَشْرَبُ حَتَّى تَشْرَبَ فَقَالَ إِنَّ سَاقِيَ ٱلْقَوْمِ آخِرُهُمْ قَالَ فَشَرِبْتُ وَشَرِبَ ٱلْحَدِيثَ
رَوَاهُ مُسْلِمٌ • وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ أَصَابَتِ ٱلنَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَبَيْنَا ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ يَا رَسُولَ
ٱللهِ هَلَكَ ٱلْمَالُ وَجَاعَ ٱلْعِيَالُ فَٱدْعُ ٱللهَ لَنَا فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَى فِي ٱلسَّمَاءِ قَزَعَةً
فَوَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا وَضَعَهُمَا حَتَّى ثَارَ ٱلسَّحَابُ أَمْثَالَ ٱلْجِبَالِ ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ
مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ ٱلْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ وَمِنَ ٱلْغَدِ وَمِنْ بَعْدِ
ٱلْغَدِ حَتَّى ٱلْجُمُعَةِ ٱلْأُخْرَى وَقَامَ ذَلِكَ ٱلْأَعْرَابِيُّ أَوْ غَيْرُهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ ٱللهِ تَهَدَّمَ
ٱلْبِنَاءُ وَغَرِقَ ٱلْمَالُ فَٱدْعُ ٱللهَ لَنَا فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ ٱللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا فَمَا يُشِيرُ
إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ ٱلسَّحَابِ إِلَّا ٱنْفَرَجَتْ وَصَارَتِ ٱلْمَدِينَةُ مِثْلَ ٱلْجَوْبَةِ وَسَالَ
ٱلْوَادِي قَنَاةُ شَهْرًا وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا حَدَّثَ بِٱلْجَوْدِ • وَٱلْجَوْبَةُ ٱلْحُفْرَةُ
ٱلْمُسْتَدِيرَةُ ٱلْوَاسِعَةُ أَيْ حَتَّى صَارَ ٱلْغَيْمُ وَٱلسَّحَابُ مُحِيطًا بِآفَاقِ ٱلْمَدِينَةِ وَٱلْجَوْدُ
ٱلْمَطَرُ ٱلْوَاسِعُ ٱلْغَزِيرُ • وَعَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ
ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ حَدِّثْنَا عَنْ سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ قَالَ عُمَرُ خَرَجْنَا إِلَى تَبُوكَ فِي
قَيْظٍ شَدِيدٍ فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا أَصَابَنَا عَطَشٌ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّ رِقَابَنَا سَتَنْقَطِعُ حَتَّى إِنْ كَانَ
ٱلرَّجُلُ لَيَذْهَبُ يَلْتَمِسُ ٱلرَّجُلَ فَلَا يَرْجِعُ حَتَّى يَظُنَّ أَنَّ رَقَبَتَهُ سَتَنْقَطِعُ حَتَّى إِنْ كَانَ
ٱلرَّجُلُ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ فَيَعْصِرُ فَرْثَهُ فَيَشْرَبُهُ وَيَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَى كَبِدِهِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ

يَا رَسُولَ ٱللهِ إِنَّ ٱللهَ قَدْ عَوَّدَكَ فِي ٱلدُّعَاءِ خَيْرًا فَٱدْعُ ٱللهَ لَنَا قَالَ أَتُحِبُّونَ ذٰلِكَ قَالَ نَعَمْ فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَرْجِعْهُمَا حَتَّى قَالَتِ ٱلسَّمَاءُ فَٱنْسَكَبَتْ فَمَلَؤُا مَا مَعَهُمْ مِنْ آنِيَةٍ ثُمَّ ذَهَبْنَا نَنْظُرُ فَلَمْ نَجِدْهَا تُجَاوِزُ ٱلْعَسْكَرَ أَخْرَجَهُ ٱلْبَيْهَقِيُّ وَشَيْخُهُ ٱبْنُ بِشْرَانَ وَفِي مِصْبَاحِ ٱلظَّلَامِ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَالَ كُنْتُ مَعَ ٱبْنِ أَخِي يَعْنِي ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذِي ٱلْمَجَازِ فَأَدْرَكَنِي ٱلْعَطَشُ فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ يَا ٱبْنَ أَخِي عَطِشْتُ وَمَا قُلْتُ لَهُ ذٰلِكَ وَأَنَا أَرَى عِنْدَهُ شَيْئًا إِلَّا ٱلْجَزَعَ فَثَنَى وَرِكَهُ ثُمَّ نَزَلَ وَقَالَ يَا عَمِّ أَعَطِشْتَ فَقُلْتُ نَعَمْ فَأَهْوَى بِعَقِبِهِ إِلَى ٱلْأَرْضِ فَإِذَا بِٱلْمَاءِ فَقَالَ ٱشْرَبْ يَا عَمِّ فَشَرِبْتُ وَكَذَا رَوَاهُ ٱبْنُ سَعْدٍ وَٱبْنُ عَسَاكِرَ *

وَمِنْ ذٰلِكَ تَكْثِيرُ ٱلطَّعَامِ ٱلْقَلِيلِ بِبَرَكَتِهِ وَدُعَائِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فِي غَزْوَةِ ٱلْخَنْدَقِ قَالَ فَٱنْكَفَأْتُ إِلَى ٱمْرَأَتِي فَقُلْتُ هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمَصًا شَدِيدًا فَأَخْرَجَتْ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا وَطَحَنَتِ ٱلشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا ٱللَّحْمَ فِي ٱلْبُرْمَةِ ثُمَّ جِئْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ ٱللهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا وَطَحَنَّا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ فَصَاحَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَهْلَ ٱلْخَنْدَقِ إِنَّ جَابِرًا صَنَعَ سُؤْرًا فَحَيَّهَلًا بِكُمْ فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلَا يُخْبَزَنَّ عَجِينُكُمْ حَتَّى أَجِيءَ ثُمَّ جَاءَ فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ ثُمَّ قَالَ ٱدْعِي خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ وَٱقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوهَا وَهُمْ أَلْفٌ فَأُقْسِمُ بِٱللهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى

تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ . وَقَوْلُهُ دَاجِنٌ يَعْنِي سَمِينَةً وَالسُّؤْرُ هُنَا الطَّعَامُ وَحَيَّهَلًا بِكُمْ أَيْ هَلُمُّوا مُسْرِعِينَ وَاقْدَحِي أَيِ اغْرِفِي وَتَغِطُّ أَيْ تَغْلِي . وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَعِيفًا أَعْرِفُ فِيهِ الْجُوعَ فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ فَقَالَتْ نَعَمْ فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا فَلَفَّتِ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ يَدِي وَلَاثَتْنِي بِبَعْضِهِ أَيْ أَدَارَتْ بَعْضَ الْخِمَارِ عَلَى رَأْسِي مَرَّتَيْنِ كَالْعَمَائِمِ ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَهَبْتُ بِهِ فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ لِطَعَامٍ قُلْتُ نَعَمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ مَعَهُ قُومُوا فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى أَتَيْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ فَقَالَتِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا عِنْدَكِ فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفُتَّ وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً فَآدَمَتْهُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ قَالَ ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا ثُمَّ قَالَ ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ ثُمَّ لِعَشَرَةٍ فَأَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا

وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلاً رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ ثُمَّ أَكَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلُ الْبَيْتِ وَتَرَكُوا سُؤْرًا أَيْ بَقِيَّةً وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ هَلْ نَقَصَ مِنْهَا شَيْءٌ وَفِي رِوَايَةِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنْ أَنَسٍ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ إِنَّمَا هُوَ قُرْصٌ فَقَالَ إِنَّ اللهَ سَيُبَارِكُ فِيهِ وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ مُبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ فَقَالَ هَلْ مِنْ سَمْنٍ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ قَدْ كَانَ فِي الْعُكَّةِ شَيْءٌ فَجَاءَ بِهَا فَجَعَلَا يَعْصِرَانِهَا حَتَّى خَرَجَ ثُمَّ مَسَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْصَ فَانْتَفَخَ وَقَالَ بِسْمِ اللهِ فَلَمْ يَزَلْ يَصْنَعُ ذَلِكَ وَالْقُرْصُ يَنْتَفِخُ حَتَّى رَأَيْتُ الْقُرْصَ فِي الْجَفْنَةِ يَتَّسِعُ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ ثُمَّ ادْعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ فَقَالَ نَعَمْ فَدَعَا بِنِطَعٍ فَبُسِطَ ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكِسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ شَيْءٌ يَسِيرٌ فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَرَكَةِ ثُمَّ قَالَ خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلَؤُهُ قَالَ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ فَيُحْجَزَ عَنِ الْجَنَّةِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرُوسًا بِزَيْنَبَ فَعَمَدَتْ أُمِّي أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى تَمْرٍ وَسَمْنٍ وَأَقِطٍ فَصَنَعَتْ حَيْسًا فَجَعَلَتْهُ فِي تَوْرٍ فَقَالَتْ يَا أَنَسُ اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْ بَعَثَتْ بِهَذَا إِلَيْكَ أُمِّي وَهِيَ تُقْرِئُكَ

ٱلسَّلَامَ فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ضَعْهُ ثُمَّ قَالَ ٱذْهَبْ فَٱدْعُ لِي فُلَانًا وَفُلَانًا رِجَالًا سَمَّاهُمْ وَٱدْعُ لِي مَنْ لَقِيتَ فَدَعَوْتُ مَنْ سَمَّى وَمَنْ لَقِيتُ فَرَجَعْتُ فَإِذَا ٱلْبَيْتُ غَاصٌّ بِأَهْلِهِ قِيلَ لِأَنَسٍ عَدَدَ كَمْ كَانُوا قَالَ زُهَاءَ ثَلَاثِمِائَةٍ فَرَأَيْتُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى تِلْكَ ٱلْحَيْسَةِ وَتَكَلَّمَ بِمَا شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى ثُمَّ جَعَلَ يَدْعُو عَشَرَةً عَشَرَةً يَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَقُولُ لَهُمُ ٱذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللهِ وَلْيَأْكُلْ كُلُّ رَجُلٍ مِمَّا يَلِيهِ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا فَخَرَجَتْ طَائِفَةٌ بَعْدَ طَائِفَةٍ حَتَّى أَكَلُوا كُلُّهُمْ قَالَ لِي يَا أَنَسُ ٱرْفَعْ فَرَفَعْتُ فَمَا أَدْرِي حِينَ وَضَعْتُ كَانَ أَكْثَرَ أَمْ حِينَ رَفَعْتُ رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. وَٱلْأَقِطُ لَبَنٌ مُجَفَّفٌ وَٱلْحَيْسُ ٱلطَّعَامُ ٱلْمُتَّخَذُ مِنَ ٱلتَّمْرِ وَٱلسَّمْنِ وَٱلْأَقِطِ وَٱلتَّوْرُ إِنَاءٌ مِنْ صُفْرٍ أَوْ حِجَارَةٍ. وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ إِنَّ أُمَّ مَالِكٍ كَانَتْ تُهْدِي لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عُكَّةٍ لَهَا سَمْنًا فَيَأْتِيهَا بَنُوهَا فَيَسْأَلُونَهَا ٱلْأُدْمَ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ فَتَعْمِدُ إِلَى ٱلَّتِي كَانَتْ تُهْدِي فِيهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَجِدُ فِيهَا سَمْنًا فَمَا زَالَ يُقِيمُ لَهَا أُدْمَ بَيْتِهَا حَتَّى عَصَرَتْهُ فَأَتَتِ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَعَصَرْتِيهَا قَالَتْ نَعَمْ قَالَ لَوْ تَرَكْتِيهَا مَا زَالَ قَائِمًا رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَعَنْ جَابِرٍ أَيْضًا أَنَّ رَجُلًا أَتَى ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَطْعِمُهُ فَأَطْعَمَهُ شَطْرَ وَسْقٍ مِنْ شَعِيرٍ فَمَا زَالَ يَأْكُلُ مِنْهُ وَٱمْرَأَتُهُ وَضَيْفُهُ حَتَّى كَالَهُ فَأَتَى ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ وَلَقَامَ بِكُمْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا. وَعَنْ أَبِي ٱلْعَلَاءِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ قَالَ كُنَّا مَعَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَتَدَاوَلُ مِنْ قَصْعَةٍ مِنْ غُدْوَةٍ حَتَّى ٱللَّيْلِ يَقُومُ عَشَرَةٌ وَيَقْعُدُ عَشَرَةٌ قُلْنَا

فَمَا كَانَتْ تُمَدُّ قَالَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَعْجَبُ مَا كَانَتْ تُمَدُّ إِلَّا مِنْ هٰهُنَا وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ ۔ وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً وَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ عُجِنَ صَاعٌ وَصُنِعَتْ شَاةٌ فَشُوِيَ سَوَادُ بَطْنِهَا قَالَ وَايْمُ اللّٰهِ مَا مِنَ الثَّلَاثِينَ وَمِائَةٍ إِلَّا وَقَدْ حَزَّ لَهُ حُزَّةً مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا قَصْعَتَيْنِ فَأَكَلْنَا أَجْمَعُونَ وَفَضَلَ فِي الْقَصْعَتَيْنِ فَحَمَلْتُهُ عَلَى الْبَعِيرِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ۔ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ أَمَرَنِي رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَدْعُوَ أَهْلَ الصُّفَّةِ فَتَتَبَّعْتُهُمْ حَتَّى جَمَعْتُهُمْ فَوُضِعَتْ بَيْنَ أَيْدِينَا صَحْفَةٌ فَأَكَلْنَا مَا شِئْنَا وَفَرَغْنَا وَهِيَ مِثْلُهَا حِينَ وُضِعَتْ إِلَّا أَنَّ فِيهَا أَثَرَ الْأَصَابِعِ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ ۔ وَعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ جَمَعَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَكَانُوا أَرْبَعِينَ مِنْهُمْ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ الْجَذَعَةَ وَيَشْرَبُونَ الْفَرْقَ فَصَنَعَ لَهُمْ مُدًّا مِنْ طَعَامٍ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ كَمَا هُوَ ثُمَّ دَعَا بِعُسٍّ فَشَرِبُوا حَتَّى رَوُوا وَبَقِيَ كَأَنَّهُ لَمْ يُشْرَبْ مِنْهُ شَيْءٌ رَوَاهُ فِي الشِّفَاءِ ۔ وَالْجَذَعَةُ مِنَ الضَّأْنِ مَا أَتَى عَلَيْهَا ثَمَانِيَةُ أَشْهُرٍ أَوْ تِسْعَةٌ وَالْفَرْقُ إِنَاءٌ يَسَعُ اثْنَيْ عَشَرَ صَاعًا وَالْعُسُّ قَدَحٌ مِنْ خَشَبٍ يُرْوِي الثَّلَاثَةَ وَالْأَرْبَعَةَ ✲ وَمِنْ ذٰلِكَ إِبْرَاءُ ذَوِي الْعَاهَاتِ وَإِحْيَاءُ الْمَوْتَى وَكَلَامُهُمْ وَكَلَامُ الصِّبْيَانِ وَشَهَادَتُهُمْ لَهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنُّبُوَّةِ ✲ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ أَنَّهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا رَجُلًا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَالَ لَا أُومِنُ بِكَ حَتَّى تُحْيِيَ لِي ابْنَتِي فَقَالَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرِنِي قَبْرَهَا فَأَرَاهُ إِيَّاهُ فَقَالَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا فُلَانَةُ فَقَالَتْ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ فَقَالَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتُحِبِّينَ

أَنْ تَرْجِعِي إِلَى ٱلدُّنْيَا فَقَالَتْ لَا وَٱللهِ يَا رَسُولَ ٱللهِ إِنِّي وَجَدْتُ ٱللهَ خَيْرًا لِي مِنْ أَبَوَيَّ وَوَجَدْتُ ٱلْآخِرَةَ خَيْرًا لِي مِنَ ٱلدُّنْيَا • وَرَوَى ٱلطَّبَرَانِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ ٱلْحَجُونَ كَئِيبًا حَزِينًا فَأَقَامَ بِهِ مَا شَاءَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ رَجَعَ مَسْرُورًا قَالَ سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَأَحْيَا لِي أُمِّي فَآمَنَتْ بِي ثُمَّ رَدَّهَا وَكَذَا رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ أَيْضًا إِحْيَاءُ أَبَوَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى آمَنَا بِهِ رَوَاهُ ٱلسُّهَيْلِيُّ وَٱلْخَطِيبُ • وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ شَابًّا مِنَ ٱلْأَنْصَارِ تُوُفِّيَ وَلَهُ أُمٌّ عَجُوزٌ عَمْيَاءُ فَسَجَّيْنَاهُ وَعَزَّيْنَاهَا فَقَالَتْ مَاتَ ٱبْنِي قُلْنَا نَعَمْ قَالَتْ أَللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي هَاجَرْتُ إِلَيْكَ وَإِلَى نَبِيِّكَ رَجَاءَ أَنْ تُعِينَنِي عَلَى كُلِّ شِدَّةٍ فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَيَّ هٰذِهِ ٱلْمُصِيبَةَ فَمَا بَرِحْنَا أَنْ كَشَفَ ٱلثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ فَطَعِمَ وَطَعِمْنَا رَوَاهُ ٱلْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ • وَعَنِ ٱلنُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ كَانَ زَيْدُ بْنُ خَارِجَةَ مِنْ سَرَوَاتِ ٱلْأَنْصَارِ فَبَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ ٱلْمَدِينَةِ بَيْنَ ٱلظُّهْرِ وَٱلْعَصْرِ إِذْ خَرَّ فَتُوُفِّيَ فَأُعْلِمَتِ ٱلْأَنْصَارُ بِهِ وَأَتَوْهُ فَٱحْتَمَلُوهُ إِلَى بَيْتِهِ فَسَجَّوْهُ كِسَاءً وَبُرْدَيْنِ وَفِي ٱلْبَيْتِ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ ٱلْأَنْصَارِ يَبْكِينَ عَلَيْهِ وَرِجَالٌ مِنْ رِجَالِهِمْ فَمَكَثَ عَلَى حَالِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ ٱلْمَغْرِبِ وَٱلْعِشَاءِ ٱلْآخِرَةِ سَمِعُوا صَوْتَ قَائِلٍ يَقُولُ أَنْصِتُوا أَنْصِتُوا فَنَظَرُوا فَإِذَا ٱلصَّوْتُ مِنْ تَحْتِ ٱلثِّيَابِ فَحَسَرُوا عَنْ وَجْهِهِ وَصَدْرِهِ فَإِذَا ٱلْقَائِلُ يَقُولُ عَلَى لِسَانِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ ٱلنَّبِيُّ ٱلْأُمِّيُّ خَاتَمُ ٱلنَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ كَانَ ذٰلِكَ فِي ٱلْكِتَابِ ٱلْأَوَّلِ ثُمَّ قَالَ صَدَقَ صَدَقَ ثُمَّ قَالَ هٰذَا رَسُولُ ٱللهِ ٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ وَرَحْمَةُ ٱللهِ وَبَرَكَاتُهُ رَوَاهُ أَبُو بَكْرِ ٱبْنُ أَبِي ٱلدُّنْيَا فِي

كِتَابِ مَنْ عَاشَ بَعْدَ الْمَوْتِ. وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ أَنَّ جَابِرًا ذَبَحَ شَاةً وَطَبَخَهَا وَثَرَدَ فِي جَفْنَةٍ وَأَتَى بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَكَلَ الْقَوْمُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهُمْ كُلُوا وَلَا تَكْسِرُوا عَظْمًا ثُمَّ جَمَعَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْعِظَامَ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا ثُمَّ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ فَإِذَا الشَّاةُ قَدْ قَامَتْ تَنْفُضُ أُذُنَيْهَا. وَعَنْ مُعَيْقِيبٍ الْيَمَانِيِّ قَالَ حَجَجْتُ حَجَّةَ الْوَدَاعِ فَدَخَلْتُ دَارًا بِمَكَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَأَيْتُ مِنْهُ عَجَبًا جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْيَمَامَةِ بِغُلَامٍ يَوْمَ وُلِدَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا غُلَامُ مَنْ أَنَا فَقَالَ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ صَدَقْتَ بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ ثُمَّ إِنَّ الْغُلَامَ لَمْ يَتَكَلَّمْ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى شَبَّ فَكُنَّا نُسَمِّيهِ مُبَارَكَ الْيَمَامَةِ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ. وَعَنْ فَهْدِ بْنِ عَطِيَّةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِصَبِيٍّ قَدْ شَبَّ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ فَقَالَ مَنْ أَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ بِابْنٍ لَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنِي بِهِ جُنُونٌ وَإِنَّهُ لَيَأْخُذُهُ عِنْدَ غَدَائِنَا وَعَشَائِنَا فَمَسَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدْرَهُ فَثَعَّ ثَعَّةً وَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ مِثْلُ الْجَرْوِ الْأَسْوَدِ يَسْعَى رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ. وَقَوْلُهُ ثَعَّ أَيْ قَاءَ وَأُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْنَتِهِ فَأُتِيَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي امْرَأَةً أُحِبُّهَا وَأَخْشَى إِنْ رَأَتْنِي تَقْذَرْنِي فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ وَرَدَّهَا إِلَى مَوْضِعِهَا وَقَالَ اللَّهُمَّ اكْسُهُ جَمَالًا فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ وَأَحَدَّهُمَا نَظَرًا وَكَانَتْ لَا تَرْمَدُ

إِذَا رَمِدَتِ ٱلْأُخْرَى. وَفِي ٱلْبُخَارِيِّ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا إِنَّهُ يَا رَسُولَ ٱللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ قَالَ فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ عَنْ إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ فَأَرْسَلَنِي ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجِئْتُ بِهِ أَقُودُهُ أَرْمَدَ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ وَعِنْدَ ٱلطَّبَرَانِيِّ عَنْ عَلِيٍّ فَمَا ٱشْتَكَيْتُهُمَا حَتَّى ٱلسَّاعَةِ قَالَ وَدَعَا لِي رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُ ٱلْحَرَّ وَٱلْقَرَّ قَالَ فَمَا ٱشْتَكَيْتُهُمَا حَتَّى يَوْمِي هٰذَا. وَأُصِيبَ سَلَمَةُ يَوْمَ خَيْبَرَ بِضَرْبَةٍ فِي سَاقِهِ فَنَفَثَ فِيهَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ نَفَثَاتٍ فَمَا ٱشْتَكَاهَا قَطُّ رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ. وَنَفَثَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْ فُدَيْكٍ وَكَانَتَا مُبْيَضَّتَيْنِ لَا يُبْصِرُ بِهِمَا شَيْئًا وَكَانَ وَقَعَ عَلَى بَيْضِ حَيَّةٍ فَكَانَ يُدْخِلُ ٱلْخَيْطَ فِي ٱلْإِبْرَةِ وَإِنَّهُ لَابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً وَإِنَّ عَيْنَيْهِ لَمُبْيَضَّتَانِ رَوَاهُ ٱبْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرُهُ *

الفصل الثاني

فِيمَا خَصَّهُ ٱللهُ تَعَالَى بِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ ٱلْمُعْجِزَاتِ وَشَرَّفَهُ بِهِ عَلَى سَائِرِ ٱلْأَنْبِيَاءِ مِنَ ٱلْكَرَامَاتِ وَٱلْآيَاتِ ٱلْبَيِّنَاتِ

إِعْلَمْ أَنَّ ٱللهَ تَعَالَى قَدْ خَصَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَشْيَاءَ لَمْ يُعْطِهَا لِنَبِيٍّ قَبْلَهُ وَمَا خُصَّ نَبِيٌّ بِشَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ كَانَ لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلُهُ فَإِنَّهُ أُوتِيَ جَوَامِعَ ٱلْكَلِمِ وَكَانَ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ ٱلرُّوحِ وَٱلْجَسَدِ وَغَيْرُهُ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا إِلَّا فِي حَالِ نُبُوَّتِهِ وَزَمَانِ رِسَالَتِهِ وَلَمَّا أُعْطِيَ هٰذِهِ ٱلْمَنْزِلَةَ عَلِمْنَا أَنَّهُ

صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْمُمِدُّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ كَامِلٍ مَبْعُوثٍ وَيَرْحَمُ ٱللهُ شَرَفَ ٱلدِّينِ ٱلْأَبُوصِيرِيَّ حَيْثُ قَالَ:

وَكُلُّ آيٍ أَتَى ٱلرُّسْلُ ٱلْكِرَامُ بِهَا ... فَإِنَّمَا ٱتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ

فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا ... يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي ٱلظُّلَمِ

قَالَ ٱلْعَلَّامَةُ ٱبْنُ مَرْزُوقٍ يَعْنِي أَنَّ كُلَّ مُعْجِزَةٍ أَتَى بِهَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ فَإِنَّمَا ٱتَّصَلَتْ بِهِ مِنْ نُورِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّا آدَمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فَٱلْمَقْصُودُ مِنْ خَلْقِهِ خَلْقُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صُلْبِهِ فَسَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ٱلْمَقْصُودُ وَآدَمُ ٱلْوَسِيلَةُ. وَأَمَّا سُجُودُ ٱلْمَلَائِكَةِ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فَقَدْ قَالَ ٱلْإِمَامُ فَخْرُ ٱلدِّينِ فِي تَفْسِيرِهِ إِنَّ ٱلْمَلَائِكَةَ أُمِرُوا بِٱلسُّجُودِ لِآدَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لِأَجْلِ أَنَّ نُورَ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي جَبْهَتِهِ. وَقَالَ ٱلْإِمَامُ سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ هَذَا ٱلتَّشْرِيفُ ٱلَّذِي شَرَّفَ ٱللهُ تَعَالَى بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ «إِنَّ ٱللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ» ٱلْآيَةَ أَتَمُّ وَأَجْمَعُ مِنْ تَشْرِيفِ آدَمَ بِأَمْرِ ٱلْمَلَائِكَةِ بِٱلسُّجُودِ لَهُ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ٱللهُ تَعَالَى مَعَ ٱلْمَلَائِكَةِ فِي ذَلِكَ ٱلتَّشْرِيفِ فَتَشْرِيفٌ يَصْدُرُ عَنْهُ تَعَالَى وَعَنِ ٱلْمَلَائِكَةِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ أَبْلَغُ مِنْ تَشْرِيفٍ تَخْتَصُّ بِهِ ٱلْمَلَائِكَةُ. وَأَمَّا تَعْلِيمُ آدَمَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُثِّلَتْ لِي أُمَّتِي فِي ٱلْمَاءِ وَٱلطِّينِ وَعُلِّمْتُ ٱلْأَسْمَاءَ كُلَّهَا كَمَا عُلِّمَ آدَمُ ٱلْأَسْمَاءَ كُلَّهَا أَخْرَجَهُ ٱلدَّيْلَمِيُّ عَنْ أَبِي رَافِعٍ * وَأَمَّا إِدْرِيسُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فَرَفَعَهُ ٱللهُ مَكَانًا عَلِيًّا وَأَعْطَى سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْمِعْرَاجَ وَرُفِعَ إِلَى مَكَانٍ لَمْ يُرْفَعْ

إِلَيْهِ غَيْرُهُ *وَأَمَّا نُوحٌ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فَنَجَّاهُ ٱللهُ تَعَالَى وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنَ ٱلْغَرَقِ وَنَجَّاهُ مِنَ ٱلْخَسْفِ وَأُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمْ تَهْلِكْ أُمَّتُهُ بِعَذَابٍ مِنَ ٱلسَّمَاءِ قَالَ ٱللهُ تَعَالَى «وَمَا كَانَ ٱللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ». وَفِي تَفْسِيرِ ٱلْفَخْرِ ٱلرَّازِيِّ أَكْرَمَ ٱللهُ نُوحًا بِأَنْ أَمْسَكَ سَفِينَتَهُ عَلَى ٱلْمَاءِ وَفَعَلَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمَ مِنْهُ رُوِيَ أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلَى شَطِّ مَاءٍ وَقَعَدَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ فَقَالَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَادْعُ ذٰلِكَ ٱلْحَجَرَ ٱلَّذِي فِي ٱلْجَانِبِ ٱلْآخَرِ فَلْيَسْبَحْ وَلَا يَغْرَقْ فَأَشَارَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فَٱنْقَلَعَ ٱلْحَجَرُ مِنْ مَكَانِهِ وَسَبَحَ حَتَّى صَارَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَهِدَ لَهُ بِٱلرِّسَالَةِ فَقَالَ لَهُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْفِيكَ هٰذَا فَقَالَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَكَانِهِ *وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ ٱلْخَلِيلُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فَكَانَتْ عَلَيْهِ نَارُ نَمْرُوذَ بَرْدًا وَسَلَامًا فَأُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظِيرَ ذٰلِكَ إِطْفَاءَ نَارِ ٱلْحَرْبِ عَنْهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وَنَاهِيكَ بِنَارٍ حَطَبُهَا ٱلسُّيُوفُ وَوَهَجُهَا ٱلْحُتُوفُ وَمُوقِدُهَا ٱلْحَسَدُ وَمَطْلَبُهَا ٱلرُّوحُ وَٱلْجَسَدُ قَالَ ٱللهُ تَعَالَى «كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللهُ» وَرَوَى ٱلنَّسَائِيُّ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ حَاطِبٍ قَالَ كُنْتُ طِفْلًا فَٱنْصَبَّتِ ٱلْقِدْرُ عَلَيَّ وَٱحْتَرَقَ جِلْدِي كُلُّهُ فَحَمَلَنِي أَبِي إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَفَلَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فِي جِلْدِي وَمَسَحَ بِيَدِهِ عَلَى ٱلْمُحْتَرِقِ وَقَالَ أَذْهِبِ ٱلْبَاسَ رَبَّ ٱلنَّاسِ فَصِرْتُ صَحِيحًا لَا بَأْسَ بِي *وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مِنْ مَقَامِ ٱلْخُلَّةِ فَقَدْ أُعْطِيَهُ نَبِيُّنَا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وَزَادَ بِمَقَامِ ٱلْمَحَبَّةِ وَقَدْ رُوِيَ فِي حَدِيثِ ٱلشَّفَاعَةِ أَنَّ

الْخَلِيلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّخَذَكَ اللَّهُ خَلِيلاً فَاشْفَعْ لَنَا قَالَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلاً مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ أَنَا لَهَا أَنَا لَهَا وَهٰذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ نَبِيَّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ خَلِيلاً مَعَ رَفْعِ الْحِجَابِ وَكَشْفِ الْغِطَاءِ وَلَوْ كَانَ خَلِيلاً مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ لَاعْتَذَرَ كَمَا اعْتَذَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ • وَمِمَّا أُعْطِيَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ انْفِرَادُهُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْحِيدِهِ وَكَسْرُ الْأَصْنَامِ وَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَسْرَهَا بِقَضِيبٍ لَيْسَ مِمَّا يَكْسِرُ إِلَّا بِقُدْرَةٍ إِلٰهِيَّةٍ حِينَمَا دَخَلَ مَكَّةَ وَحَوْلَ الْبَيْتِ ثَلَثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ صَنَماً فَجَعَلَ يَطْعَنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ «قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً» حَتَّى سَقَطَتْ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ • وَمِمَّا أُعْطِيَهُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَاءُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ قُرَيْشاً لَمَّا بَنَتِ الْبَيْتَ بَعْدَ تَهَدُّمِهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا وَضْعُ الْحَجَرِ تَنَافَسُوا عَلَى الْفَخْرِ ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يُحَكِّمُوا أَوَّلَ دَاخِلٍ فَاتَّفَقَ دُخُولُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا هٰذَا الْأَمِينُ فَحَكَّمُوهُ فِي ذٰلِكَ فَأَمَرَ بِبَسْطِ ثَوْبٍ وَوَضَعَ الْحَجَرَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ يَرْفَعُ كُلُّ بَطْنٍ بِطَرَفٍ فَرَفَعُوهُ جَمِيعاً ثُمَّ أَخَذَهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَهُ فِي مَوْضِعِهِ فَادَّخَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ ذٰلِكَ الْمَقَامَ لِيَكُونَ مَنْقَبَةً لَهُ عَلَى مَدَى الْأَيَّامِ * وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ قَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً غَيْرَ نَاطِقَةٍ فَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنِينَ الْجِذْعِ

وَقَدْ مَرَّتْ قِصَّتُهُ. وَحَكَى الْإِمَامُ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ أَبُو جَهْلٍ أَنْ يَرْمِيَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْحَجَرِ رَأَى عَلَى كَتِفَيْهِ ثُعْبَانَيْنِ فَانْصَرَفَ مَرْعُوبًا. وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْيَدِ الْبَيْضَاءِ وَكَانَ بَيَاضُهَا يَغْشِي الْبَصَرَ فَأُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ نُورًا يَنْتَقِلُ فِي أَصْلَابِ الْآبَاءِ وَبُطُونِ الْأُمَّهَاتِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنِ انْتَقَلَ إِلَى عَبْدِ اللهِ أَبِيهِ وَأَعْطَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانِ وَقَدْ صَلَّى مَعَهُ الْعِشَاءَ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ مَطِيرَةٍ عُرْجُونًا وَقَالَ انْطَلِقْ بِهِ فَإِنَّهُ سَيُضِيءُ لَكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ عَشْرًا وَمِنْ خَلْفِكَ عَشْرًا فَإِذَا دَخَلْتَ بَيْتَكَ فَسَتَرَى سَوَادًا فَاضْرِبْهُ حَتَّى يَخْرُجَ فَإِنَّهُ الشَّيْطَانُ فَانْطَلَقَ فَأَضَاءَ لَهُ الْعُرْجُونُ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ وَوَجَدَ السَّوَادَ وَضَرَبَهُ حَتَّى خَرَجَ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ. وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَاجَةٍ حَتَّى ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةٌ وَهِيَ لَيْلَةٌ شَدِيدَةُ الظُّلْمَةِ ثُمَّ خَرَجَا وَبِيَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَصًا فَأَضَاءَتْ لَهُمَا عَصَا أَحَدِهِمَا فَمَشَيَا فِي ضَوْئِهَا حَتَّى إِذَا افْتَرَقَتْ بِهِمَا الطَّرِيقُ أَضَاءَتْ لِلْآخَرِ عَصَاهُ فَمَشَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي ضَوْءِ عَصَاهُ حَتَّى بَلَغَ هَدْيَهُ وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِنَحْوِهِ فِي الصَّحِيحِ. وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ وَالْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ عَنْ حَمْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَتَفَرَّقْنَا فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ فَأَضَاءَتْ أَصَابِعِي حَتَّى جَمَعُوا عَلَيْهَا ظَهْرَهُمْ وَمَا هَلَكَ مِنْهُمْ وَإِنَّ أَصَابِعِي لَتُنِيرُ. وَمِمَّا أُعْطِيَهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

انفلاق البحر له وقد أعطي نبينا صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر كما مر فموسى تصرف في عالم الأرض وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تصرف في عالم السماء والفرق بينهما واضح قال ابن المنير وذكر ابن حبيب أن بين السماء والأرض بحرا يسمى المكفوف يكون بحر الأرض بالنسبة إليه كالقطرة من البحر المحيط قال فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا صلى الله عليه وسلم حتى جاوزه يعني ليلة الإسراء قال وهذا أعظم من انفلاق البحر لموسى عليه الصلاة والسلام. ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام إجابة دعائه وقد أعطي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يحصى. ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام تفجير الماء له من الحجارة وقد أعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن الماء تفجر من بين أصابعه وهذا أبلغ لأن الحجر من جنس الأرض التي ينبع منها الماء ولم تجر العادة بنبع الماء من اللحم. ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام الكلام وقد أعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثله ليلة الإسراء وزيادة الدنو أيضا كان مقام المناجاة في حق نبينا صلى الله عليه وسلم فوق السماوات العلا وسدرة المنتهى والمستوى وحجب النور والرفرف ومقام المناجاة لموسى عليه الصلاة والسلام طور سينا * ومما أعطيه هارون عليه الصلاة والسلام فصاحة اللسان وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم من الفصاحة والبلاغة بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل * وأما ما أعطيه يوسف عليه الصلاة والسلام من شطر الحسن فقد أعطي نبينا محمد صلى الله

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحُسْنَ كُلَّهُ وَسَتَأْتِي الإِشَارَةُ إِلَى ذٰلِكَ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى فِي مَقْصِدِ الْإِسْرَاءِ وَمَنْ تَأَمَّلَ مَا نُقِلَ مِنْ صِفَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَبَيَّنَ لَهُ مِنْ ذٰلِكَ التَّفْصِيلِ التَّفْضِيلُ لَهُ عَلَى كُلِّ مَشْهُورٍ بِالْحُسْنِ فِي كُلِّ جِيلٍ. وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ يُوسُفُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا فَالَّذِي نُقِلَ عَنْهُ مِنْ ذٰلِكَ ثَلَاثُ مَنَامَاتٍ أَحَدُهَا حِينَ رَأَى أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالثَّانِي مَنَامُ صَاحِبَيِ السِّجْنِ وَالثَّالِثُ مَنَامُ الْمَلِكِ وَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذٰلِكَ مَا لَا يَدْخُلُهُ الْحَصْرُ وَمَنْ تَصَفَّحَ الْأَخْبَارَ وَتَتَبَّعَ الْآثَارَ وَجَدَ مِنْ ذٰلِكَ الْعَجَبَ الْعُجَابَ وَسَتَأْتِي نُبْذَةٌ مِنْ ذٰلِكَ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى * وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ دَاوُدُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ تَلْيِينِ الْحَدِيدِ لَهُ فَكَانَ إِذَا مَسَحَ الْحَدِيدَ لَانَ فَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْعُودَ الْيَابِسَ اخْضَرَّ فِي يَدِهِ وَأَوْرَقَ. وَمَسَحَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاةَ أُمِّ مَعْبَدٍ الْجَرْبَاءَ فَبَرَأَتْ وَدَرَّتْ * وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ كَلَامِ الطَّيْرِ وَتَسْخِيرِ الشَّيَاطِينِ وَالرِّيحِ وَالْمُلْكِ الَّذِي لَمْ يُعْطَهُ أَحَدٌ مِنْ بَعْدِهِ فَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذٰلِكَ وَزِيَادَةً أَمَّا مَنْطِقُ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ فَنَبِيُّنَا صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلَّمَهُ الْحَجَرُ وَسَبَّحَ فِي كَفِّهِ الْحَصَى وَهُوَ جَمَادٌ وَكَلَّمَهُ ذِرَاعُ الشَّاةِ الْمَسْمُومَةِ وَكَلَّمَهُ الظَّبْيُ وَشَكَى إِلَيْهِ الْبَعِيرُ. وَرُوِيَ أَنَّ طَيْرًا فُجِعَ بِوَلَدِهِ فَجَعَلَ يُرَفْرِفُ عَلَى رَأْسِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُكَلِّمُهُ فَيَقُولُ أَيُّكُمْ فَجَعَ هٰذَا بِوَلَدِهِ فَقَالَ رَجُلٌ أَنَا فَقَالَ ارْدُدْ وَلَدَهُ ذَكَرَهُ الرَّازِيُّ وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. وَقِصَّةُ كَلَامِ الذِّئْبِ مَشْهُورَةٌ. وَأَمَّا الرِّيحُ الَّتِي كَانَتْ غُدُوُّهَا شَهْرٌ

وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ تَحْمِلُهُ حَيْثُ أَرَادَ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ فَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْبُرَاقَ ٱلَّذِي هُوَ أَسْرَعُ مِنَ ٱلرِّيحِ بَلْ أَسْرَعُ مِنَ ٱلْبَرْقِ ٱلْخَاطِفِ فَحَمَلَهُ مِنَ ٱلْفَرْشِ إِلَى ٱلْعَرْشِ فِي سَاعَةٍ زَمَانِيَّةٍ وَأَقَلُّ مَسَافَةِ ذَٰلِكَ سَبْعَةُ آلَافِ سَنَةٍ وَتِلْكَ مَسَافَةُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَأَمَّا إِلَى ٱلْمُسْتَوَى وَإِلَى ٱلرَّفْرَفِ فَذَٰلِكَ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا ٱللَّهُ تَعَالَى وَأَيْضًا فَالرِّيحُ سُخِّرَتْ لِسُلَيْمَانَ لِتَحْمِلَهُ إِلَى نَوَاحِي ٱلْأَرْضِ وَنَبِيُّنَا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زُوِيَتْ لَهُ ٱلْأَرْضُ أَيْ جُمِعَتْ حَتَّى رَأَى مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَفَرْقٌ بَيْنَ مَنْ يَسْعَى إِلَى ٱلْأَرْضِ وَبَيْنَ مَنْ تَسْعَى لَهُ ٱلْأَرْضُ.

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ مِنْ تَسْخِيرِ ٱلشَّيَاطِينِ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ شَيْطَانًا ٱعْتَرَضَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي ٱلصَّلَاةِ فَأَمْكَنَهُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَرَبَطَهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي ٱلْمَسْجِدِ وَخَيْرٌ مِمَّا أُوتِيَهُ سُلَيْمَانُ مِنْ ذَٰلِكَ إِيمَانُ ٱلْجِنِّ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَأَمَّا عَدُّ ٱلْجِنِّ مِنْ جُنُودِ سُلَيْمَانَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ ٱلْجِنِّ» فَخَيْرٌ مِنْهُ عَدُّ ٱلْمَلَائِكَةِ جِبْرِيلَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ جُمْلَةِ أَجْنَادِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بِٱعْتِبَارِ ٱلْجِهَادِ وَبِٱعْتِبَارِ تَكْثِيرِ ٱلسَّوَادِ عَلَى طَرِيقِ ٱلْأَجْنَادِ.

وَأَمَّا عَدُّ ٱلطَّيْرِ مِنْ جُمْلَةِ أَجْنَادِهِ فَأَعْجَبُ مِنْهُ حَمَامَةُ ٱلْغَارِ وَتَوْكِيرُهَا فِي ٱلسَّاعَةِ ٱلْوَاحِدَةِ وَحِمَايَتُهَا لَهُ مِنْ عَدُوِّهِ وَٱلْغَرَضُ مِنِ ٱسْتِكْثَارِ ٱلْجُنْدِ إِنَّمَا هُوَ ٱلْحِمَايَةُ وَقَدْ حَصَلَتْ بِأَيْسَرِ شَيْءٍ. وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ مِنَ ٱلْمُلْكِ فَنَبِيُّنَا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُيِّرَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا أَوْ نَبِيًّا عَبْدًا فَٱخْتَارَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا * وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ عِيسَى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مِنْ إِبْرَاءِ ٱلْأَكْمَهِ

وَالْأَبْرَصِ وَإِحْيَاءُ الْمَوْتَى فَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ رَدَّ الْعَيْنَ إِلَى مَكَانِهَا بَعْدَمَا سَقَطَتْ فَعَادَتْ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ . وَفِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ لِلْبَيْهَقِيِّ قِصَّةُ الرَّجُلِ الَّذِي قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا أُومِنُ بِكَ حَتَّى تُحْيِيَ لِي ابْنَتِي فَأَتَى صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْرَهَا فَقَالَ يَا فُلَانَةُ فَقَالَتْ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ الْحَدِيثَ وَقَدْ سَبَّحَ الْحَصَى فِي كَفِّهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَنَّ الْجِذْعُ لِفِرَاقِهِ وَذٰلِكَ أَبْلَغُ مِنْ تَكْلِيمِ الْمَوْتَى لِأَنَّ هٰذَا مِنْ جِنْسِ مَا لَا يَتَكَلَّمُ . وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ مَا يُخْفِيهِ النَّاسُ فِي بُيُوتِهِمْ فَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذٰلِكَ مَا لَا يُحْصَى وَسَيَأْتِي مِنْهُ مَا يَكْفِي وَيَشْفِي إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى . وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ رَفْعِهِ إِلَى السَّمَاءِ فَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذٰلِكَ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ وَزَادَ فِي التَّرَقِّي لِمَزِيدِ الدَّرَجَاتِ وَسَمَاعِ الْمُنَاجَاةِ وَالْحُظْوَةِ فِي الْحَضْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ بِالْمُشَاهَدَاتِ . وَقَدْ خُصَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَصَائِصِ التَّكْرِيمِ بِمَا لَمْ يُعْطَهُ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقَدْ رَوَى جَابِرٌ عَنْهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ قَبْلِي كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ حَيْثُ كَانَ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَفِي رِوَايَةٍ وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَفِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ

وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ فَاُخْتَرْتُهَا لِأُمَّتِي فَهِيَ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا. وَفِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ زِيَادَةُ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ لِمُسْلِمٍ زِيَادَةُ جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ خُزَيْمَةَ وَالنَّسَائِيِّ زِيَادَةُ وَأُعْطِيتُ هٰذِهِ الْآيَاتِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ يُشِيرُ إِلَى مَا حَطَّهُ اللهُ تَعَالَى عَنْ أُمَّتِهِ مِنَ الْإِصْرِ وَتَحْمِيلِ مَا لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ وَرَفْعِ الْخَطَإِ وَالنِّسْيَانِ وَمَعْنَى الْإِصْرِ الْأَمْرُ الثَّقِيلُ. وَفِي حَدِيثٍ لِأَحْمَدَ زِيَادَةُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ وَسُمِّيتُ أَحْمَدَ وَجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الْأُمَمِ. وَعِنْدَ الْبَزَّارِ زِيَادَةُ غُفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَمَا تَأَخَّرَ وَأُعْطِيتُ الْكَوْثَرَ وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ لَصَاحِبُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَهُ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ. وَلَهُ أَيْضًا زِيَادَةُ كَانَ شَيْطَانِي كَافِرًا فَأَعَانَنِي اللهُ عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ وَيُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ أَكْثَرُ مِنْ ذٰلِكَ لِمَنْ أَمْعَنَ التَّتَبُّعَ. وَذَكَرَ أَبُو سَعِيدٍ النِّيسَابُورِيُّ فِي كِتَابِ شَرَفِ الْمُصْطَفَى أَنَّ عَدَدَ الَّذِي خُصَّ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتُّونَ خَصْلَةً. وَذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُوتِيَ ثَلَاثَةَ آلَافِ مُعْجِزَةٍ وَخُصُوصِيَّةٍ * أَمَّا خَصَائِصُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهِيَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ (الْقِسْمُ الْأَوَّلُ) مَا اُخْتُصَّ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ لِيَكُونَ أَجْرُهُ بِهَا أَعْظَمَ: فَاُخْتُصَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوُجُوبِ صَلَاةِ الضُّحَى، وَالْوِتْرِ، وَرَكْعَتَيِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ اللَّيْلِ، وَالسِّوَاكِ، وَالْأُضْحِيَةِ، وَالْمُشَاوَرَةِ، وَمُصَابَرَةِ الْعَدُوِّ وَإِنْ كَثُرَ عَدَدُهُمْ، وَتَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ إِذَا رَآهُ وَلَا يَسْقُطُ بِالْخَوْفِ، وَقَضَاءِ دَيْنِ مَنْ مَاتَ مُسْلِمًا مُعْسِرًا، وَتَخْيِيرِ نِسَائِهِ فِي فِرَاقِهِ

وَامْسَاكِهِنَّ بَعْدَ أَنِ اخْتَرْنَهُ وَتَرْكِ التَّزَوُّجِ عَلَيْهِنَّ وَالتَّبَدُّلِ بِهِنَّ مُكَافَأَةً لَهُنَّ ثُمَّ نُسِخَ ذٰلِكَ لِتَكُونَ الْمِنَّةُ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِنَّ، وَإِتْمَامِ كُلِّ تَطَوُّعٍ شَرَعَ فِيهِ، وَلُزُومِ أَدَاءِ فَرْضِ الصَّلَاةِ بِلَا خَلَلٍ لَا يُبْطِلُهَا، وَعَدَمِ سُقُوطِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَسَائِرِ الْأَحْكَامِ عَنْهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَمَا كَانَ يُؤْخَذُ عَنِ الدُّنْيَا حَالَةَ الْوَحْيِ، وَاسْتِغْفَارِهِ اللّٰهَ سَبْعِينَ مَرَّةً حِينَمَا كَانَ يُغَانُ عَلَى قَلْبِهِ وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ وَالْمُرَادُ بِهٰذَا الْغَيْنِ عَلَى الْقَلْبِ سَهْوُهُ عَنْ مُدَاوَمَةِ الذِّكْرِ وَمُشَاهَدَةِ الْحَقِّ بِمَا كَانَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُفِعَ إِلَيْهِ مِنْ مُقَاسَاةِ الْبَشَرِ وَسِيَاسَةِ الْأُمَّةِ وَقِيلَ غَيْرُ ذٰلِكَ ٭ وَعَنْ أَبِي الْحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ فَسَأَلْتُهُ عَنْ هٰذَا الْحَدِيثِ إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي فَقَالَ لِي يَا مُبَارَكُ ذٰلِكَ غَيْنُ الْأَنْوَارِ لَا غَيْنُ الْأَغْيَارِ ٭ ﴿الْقِسْمُ الثَّانِي﴾ فِيمَا اخْتَصَّ بِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْهِ فَاخْتَصَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَحْرِيمِ الزَّكَاةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وَتَحْرِيمِ الصَّدَقَةِ عَلَيْهِ، وَتَحْرِيمِ مَا لَهُ رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ كَثُومٍ وَبَصَلٍ لِتَوَقُّعِ مَجِيءِ الْمَلَائِكَةِ وَالْوَحْيِ، وَتَحْرِيمِ الْأَكْلِ مُتَّكِئًا، وَتَحْرِيمِ الْكِتَابَةِ وَالشِّعْرِ أَيِ التَّوَصُّلِ إِلَيْهِمَا، وَتَحْرِيمِ نَزْعِ لَامَتِهِ أَيْ آلَةِ حَرْبِهِ إِذَا لَبِسَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ أَوْ يَحْكُمَ اللّٰهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ، وَتَحْرِيمِ الْمَنِّ لِيَسْتَكْثِرَ قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى «وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ» أَيْ لَا تُعْطِ شَيْئًا لِتُعْطَى أَكْثَرَ مِنْهُ بَلْ أَعْطِ لِرَبِّكَ وَاقْصِدْ بِهِ وَجْهَهُ، وَتَحْرِيمِ مَدِّ الْعَيْنِ إِلَى مَا مُتِّعَ بِهِ النَّاسُ اسْتِحْسَانًا لَهُ وَتَمَنِّيًا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُهُ، وَتَحْرِيمِ خَائِنَةِ الْأَعْيُنِ وَهِيَ الْإِيمَاءُ إِلَى مُبَاحٍ مِنْ قَتْلٍ أَوْ ضَرْبٍ عَلَى خِلَافِ مَا يُشْعِرُ بِهِ

الْحَالُ، وَتَحْرِيمِ نِكَاحِ مَنْ لَمْ تُهَاجِرْ، وَتَحْرِيمِ إِمْسَاكِ مَنْ كَرِهَتْهُ، وَتَحْرِيمِ نِكَاحِ الْكِتَابِيَّةِ، وَتَحْرِيمِ نِكَاحِ الْأَمَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَتَحْرِيمِ الْإِغَارَةِ إِذَا سَمِعَ التَّكْبِيرَ*

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ) فِيمَا اخْتَصَّ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُبَاحَاتِ وَمُعْظَمُهَا لَمْ يَفْعَلْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاخْتَصَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِبَاحَةِ الْمُكْثِ فِي الْمَسْجِدِ جُنُبًا، وَأَنَّهُ لَا يَنْتَقِضُ وُضُوؤُهُ بِالنَّوْمِ مُضْطَجِعًا، وَنِكَاحِ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِ نِسْوَةٍ، وَالنِّكَاحِ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ، وَالنِّكَاحِ بِغَيْرِ رِضَا الْمَرْأَةِ فَلَوْ رَغِبَ فِي نِكَاحِ امْرَأَةٍ خَلِيَّةٍ لَزِمَهَا الْإِجَابَةُ وَحَرُمَ عَلَى غَيْرِهِ خِطْبَتُهَا، وَالنِّكَاحِ بِلَا وَلِيٍّ وَلَا شُهُودٍ، وَجَعْلِهِ عِتْقَ أَمَتِهِ صَفِيَّةَ صَدَاقَهَا، وَحِلِّ الْجَمْعِ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا وَخَالَتِهَا وَأَنَّ لَهُ أَنْ يَصْطَفِيَ مَا شَاءَ مِنَ الْمَغْنَمِ قَبْلَ الْقِسْمَةِ مِنْ جَارِيَةٍ وَغَيْرِهَا، وَالْقِتَالِ بِمَكَّةَ وَالْقَتْلِ بِهَا، وَجَوَازِ دُخُولِ مَكَّةَ بِغَيْرِ إِحْرَامٍ، وَأَنَّهُ يَقْضِي بِعِلْمِهِ وَيَقْضِي لِنَفْسِهِ وَلِوَلَدِهِ، وَيَشْهَدُ لِنَفْسِهِ وَلِوَلَدِهِ، وَلَا يُكْرَهُ لَهُ الْفَتْوَى وَالْقَضَاءُ فِي حَالِ الْغَضَبِ لِأَنَّهُ لَا يَقُولُ فِي الْغَضَبِ إِلَّا كَمَا يَقُولُ فِي الرِّضَا، وَأَنَّهُ يَدْعُو لِمَنْ شَاءَ بِلَفْظِ الصَّلَاةِ وَلَيْسَ لَنَا أَنْ نُصَلِّيَ إِلَّا عَلَى نَبِيٍّ أَوْ مَلَكٍ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْطِعُ الْأَرْضَ قَبْلَ فَتْحِهَا لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَلَّكَهُ الْأَرْضَ كُلَّهَا وَأَفْتَى الْغَزَالِيُّ بِكُفْرِ مَنْ عَارَضَ أَوْلَادَ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ فِيمَا أَقْطَعَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُقْطِعُ أَرْضَ الْجَنَّةِ فَأَرْضُ الدُّنْيَا أَوْلَى *

(الْقِسْمُ الرَّابِعُ) فِيمَا اخْتَصَّ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْكَرَامَاتِ إِخْتَصَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ أَوَّلُ النَّبِيِّينَ خَلْقًا، وَأَنَّهُ كَانَ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ

وَالْجَسَدِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أُخِذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقُ، وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَالَ بَلَى يَوْمَ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ رَوَاهُ الْقَطَّانُ، وَأَنَّ آدَمَ وَجَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ خُلِقُوا لِأَجْلِهِ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ اسْمَهُ الشَّرِيفَ عَلَى الْعَرْشِ وَعَلَى كُلِّ سَمَاءٍ وَعَلَى الْجِنَانِ وَمَا فِيهَا رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى النَّبِيِّينَ آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَيَنْصُرُوهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ»، وَأَنَّهُ وَقَعَ التَّبْشِيرُ بِهِ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِي نَسَبِهِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ سِفَاحٌ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ، وَأَنَّهُ نُكِّسَتِ الْأَصْنَامُ لِمَوْلِدِهِ رَوَاهُ الْخَرَائِطِيُّ وَغَيْرُهُ، وَأَنَّهُ وُلِدَ مَخْتُونًا مَقْطُوعَ السُّرَّةِ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَأَنَّهُ خَرَجَ نَظِيفًا مَا بِهِ قَذَرٌ رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ، وَأَنَّهُ وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ سَاجِدًا رَافِعًا إِصْبَعَيْهِ كَالْمُتَضَرِّعِ الْمُبْتَهِلِ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ، وَأَنَّهُ رَأَتْ أُمُّهُ عِنْدَ وِلَادَتِهِ نُورًا خَرَجَ مِنْهَا أَضَاءَ لَهُ قُصُورُ الشَّأْمِ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَأَنَّ مَهْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَحَرَّكُ بِتَحْرِيكِ الْمَلَائِكَةِ ذَكَرَهُ ابْنُ سَبُعٍ فِي الْخَصَائِصِ، وَأَنَّ الْقَمَرَ كَانَ يُحَدِّثُهُ وَهُوَ فِي مَهْدِهِ وَيَمِيلُ حَيْثُ أَشَارَ إِلَيْهِ رَوَاهُ صَاحِبُ النُّطْقِ الْمَفْهُومِ، وَأَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ رَوَاهُ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ، وَأَنَّهُ ظَلَّلَتْهُ الْغَمَامَةُ فِي الْحَرِّ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ وَغَيْرُهُ، وَأَنَّهُ مَالَ إِلَيْهِ فَيْءُ الشَّجَرَةِ إِذْ سَبَقَ إِلَيْهِ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ، وَأَنَّهُ شُقَّ صَدْرُهُ الشَّرِيفُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ، وَأَنَّهُ غَطَّهُ جِبْرِيلُ عِنْدَ ابْتِدَاءِ الْوَحْيِ ثَلَاثَ غَطَّاتٍ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ فِي الْقُرْآنِ عُضْوًا

عُضْوًا فَذَكَرَ قَلْبَهُ بِقَوْلِهِ «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى» وَقَوْلِهِ «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ» وَلِسَانَهُ بِقَوْلِهِ «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى» وَقَوْلِهِ «فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ» وَبَصَرَهُ بِقَوْلِهِ «مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى» وَوَجْهَهُ بِقَوْلِهِ «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ» وَيَدَهُ وَعُنُقَهُ بِقَوْلِهِ «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ» وَظَهْرَهُ وَصَدْرَهُ بِقَوْلِهِ «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ» وَأَنَّهُ اشْتُقَّ اسْمُهُ مِنِ اسْمِ اللَّهِ الْمَحْمُودِ قَالَ حَسَّانُ:

وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

وَأَنَّهُ سُمِّيَ أَحْمَدَ وَلَمْ يُسَمَّ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَبِيتُ جَائِعًا وَيُصْبِحُ طَاعِمًا يُطْعِمُهُ رَبُّهُ وَيَسْقِيهِ، وَأَنَّهُ كَانَ يَرَى مِنْ خَلْفِهِ كَمَا يَرَى مِنْ أَمَامِهِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَأَنَّهُ كَانَ يَرَى فِي اللَّيْلِ فِي الظُّلْمَةِ كَمَا يَرَى بِالنَّهَارِ وَالضَّوْءِ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ، وَأَنَّ رِيقَهُ كَانَ يُعْذِبُ الْمَاءَ الْمِلْحَ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ، وَأَنَّ رِيقَهُ كَانَ يُجْزِي الرَّضِيعَ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا مَشَى فِي الصَّخْرِ غَاصَتْ قَدَمَاهُ فِيهِ، وَأَنَّ إِبْطَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا شَعَرَ عَلَيْهِ قَالَهُ الْقُرْطُبِيُّ وَكَانَ أَبْيَضَ غَيْرَ مُتَغَيِّرِ اللَّوْنِ كَمَا ذَكَرَهُ الطَّبَرِيُّ وَغَيْرُهُ، وَأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَبْلُغُ صَوْتُهُ وَسَمْعُهُ مَا لَا يَبْلُغُ صَوْتُ غَيْرِهِ وَلَا سَمْعُهُ، وَأَنَّهُ كَانَ تَنَامُ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَأَنَّهُ مَا تَثَاءَبَ قَطُّ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرُهُ وَأَخْرَجَ الْخَطَّابِيُّ مَا تَثَاءَبَ نَبِيٌّ قَطُّ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا احْتَلَمَ قَطُّ وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَأَنَّ عَرَقَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ

أَطْيَبَ مِنَ الْمِسْكِ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ وَغَيْرُهُ، وَأَنَّهُ إِذَا مَشَى مَعَ الطَّوِيلِ طَالَهُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ، وَأَنَّهُ لَمْ يَقَعْ لَهُ ظِلٌّ عَلَى الْأَرْضِ وَلَا رُئِيَ لَهُ ظِلٌّ فِي شَمْسٍ وَلَا قَمَرٍ لِأَنَّهُ نُورٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ لَمْ يَقَعْ عَلَى ثِيَابِهِ ذُبَابٌ قَطُّ، وَأَنَّهُ لَا يَمْتَصُّ دَمَهُ الْبَعُوضُ، قَالَهُمَا الْفَخْرُ الرَّازِيُّ، وَأَنَّهُ مَا آذَاهُ الْقَمْلُ قَالَهُ ابْنُ سَبُعٍ وَغَيْرُهُ، وَأَنَّ الْكَهَنَةَ انْقَطَعُوا عِنْدَ مَبْعَثِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا انْقَطَعَ اسْتِرَاقُ السَّمْعِ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِالْبُرَاقِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ مُسْرَجًا مُلْجَمًا قِيلَ وَكَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَرْكَبُهُ عُرْيَانًا، وَأَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَعُرِجَ بِهِ إِلَى الْمَحَلِّ الْأَعْلَى وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ الْكُبْرَى وَحَفِظَهُ فِي الْمِعْرَاجِ حَتَّى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى وَأَحْضَرَ الْأَنْبِيَاءَ لَهُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَصَلَّى بِهِمْ وَبِالْمَلَائِكَةِ إِمَامًا وَأَطْلَعَهُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَأَنَّهُ رَأَى اللهَ تَعَالَى بِعَيْنَيْهِ وَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ الْكَلَامِ وَالرُّؤْيَةِ وَكَلَّمَهُ تَعَالَى فِي الرَّفِيعِ الْأَعْلَى وَكَلَّمَ مُوسَى بِالْجَبَلِ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسِيرُ مَعَهُ حَيْثُ سَارَ يَمْشُونَ خَلْفَ ظَهْرِهِ وَقَاتَلَتْ مَعَهُ كَمَا مَرَّ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَحُنَيْنٍ، وَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُصَلِّيَ وَنُسَلِّمَ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِآيَةِ «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ» وَأَنَّهُ أُوتِيَ الْكِتَابَ الْعَزِيزَ وَهُوَ أُمِّيٌّ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ وَلَا اشْتَغَلَ بِمُدَارَسَةٍ، وَأَنَّ اللهَ حَفِظَ كِتَابَهُ الْمُنَزَّلَ عَلَيْهِ وَهُوَ الْقُرْآنُ مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّحْرِيفِ قَالَ تَعَالَى «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» وَقَالَ تَعَالَى «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» أَيْ

مِنَ ٱلتَّحْرِيفِ وَٱلزِّيَادَةِ وَٱلنُّقْصَانِ فَلَوْ حَاوَلَ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَهُ بِحَرْفٍ أَوْ نُقْطَةٍ لَقَالَ لَهُ أَهْلُ ٱلدُّنْيَا هٰذَا كَذَّابٌ حَتَّىٰ إِنَّ ٱلشَّيْخَ ٱلْمَهِيبَ لَوِ ٱتَّفَقَ لَهُ تَغْيِيرٌ فِي حَرْفٍ مِنْهُ لَقَالَ ٱلصِّبْيَانُ كُلُّهُمْ أَخْطَأْتَ أَيُّهَا ٱلشَّيْخُ وَصَوَابُهُ كَذَا وَلَمْ يَتَّفِقْ ذٰلِكَ لِغَيْرِهِ مِنَ ٱلْكُتُبِ فَإِنَّهُ لَا كِتَابَ إِلَّا وَقَدْ دَخَلَهُ ٱلتَّصْحِيفُ وَٱلتَّحْرِيفُ وَٱلتَّغْيِيرُ سِوَاهُ مَعَ أَنَّ دَوَاعِيَ ٱلْمَلَاحِدَةِ وَٱلْيَهُودِ وَٱلنَّصَارَىٰ مُتَوَفِّرَةٌ عَلَىٰ إِبْطَالِهِ وَإِفْسَادِهِ، وَأَنَّ كِتَابَهُ يَشْتَمِلُ عَلَىٰ مَا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ جَمِيعُ ٱلْكُتُبِ، وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ يَسَّرَ حِفْظَهُ لِمُتَعَلِّمِيهِ قَالَ تَعَالَىٰ «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ» فَحِفْظُهُ مُيَسَّرٌ لِلْغِلْمَانِ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ وَسَائِرُ ٱلْأُمَمِ لَا يَحْفَظُ كُتُبَهَا ٱلْوَاحِدُ مِنْهُمْ فَكَيْفَ بِٱلْجَمِّ ٱلْغَفِيرِ، وَأَنَّهُ نَزَلَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ تَسْهِيلًا عَلَيْنَا وَتَيْسِيرًا، وَأَنَّهُ آيَةٌ بَاقِيَةٌ مَا بَقِيَتِ ٱلدُّنْيَا، وَأَنَّهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خُصَّ بِآيَةِ ٱلْكُرْسِيِّ وَبِٱلْمُفَصَّلِ وَبِٱلْمَثَانِي وَبِٱلسَّبْعِ ٱلطِّوَالِ أَمَّا ٱلْمُفَصَّلُ فَآخِرُهُ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ وَفِي أَوَّلِهِ خِلَافٌ وَرَجَّحَ ٱلنَّوَوِيُّ أَنَّهُ سُورَةُ ٱلْحُجُرَاتِ وَٱلْمَثَانِي هِيَ سُورَةُ ٱلْفَاتِحَةِ رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَٱلسَّبْعُ ٱلطِّوَالُ أَوَّلُهَا ٱلْبَقَرَةُ وَآخِرُهَا ٱلْأَنْفَالُ، وَأَنَّهُ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُعْطِيَ مَفَاتِيحَ ٱلْخَزَائِنِ قَالَ بَعْضُهُمْ وَهِيَ خَزَائِنُ أَجْنَاسِ ٱلْعَالَمِ لِيُخْرِجَ لَهُمْ بِقَدْرِ مَا يَطْلُبُونَهُ لِذَوَاتِهِمْ فَكُلُّ مَا ظَهَرَ مِنْ رِزْقِ ٱلْعَالَمِ فَإِنَّ ٱلِاسْمَ ٱلْإِلٰهِيَّ لَا يُعْطِيهِ إِلَّا عَنْ يَدِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمَفَاتِيحُ كَمَا ٱخْتَصَّ تَعَالَىٰ بِمَفَاتِيحِ ٱلْغَيْبِ فَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَأَعْطَىٰ هٰذَا ٱلسَّيِّدَ ٱلْكَرِيمَ مَنْزِلَةَ ٱلِاخْتِصَاصِ بِإِعْطَائِهِ مَفَاتِيحَ ٱلْخَزَائِنِ، وَأَنَّهُ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُوتِيَ جَوَامِعَ ٱلْكَلِمِ، وَأَنَّهُ صَلَّى ٱللّٰهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِثَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، فَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ وَغَيْرِهِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ وَفِي رِوَايَةٍ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَنَصْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَإِحْلَالِ الْغَنَائِمِ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ، وَجَعْلِ الْأَرْضِ لَهُ وَلِأُمَّتِهِ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَنَّ مُعْجِزَتَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُسْتَمِرَّةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمُعْجِزَاتُ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ انْقَرَضَتْ لِوَقْتِهَا فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا خَبَرُهَا وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ لَمْ تَزَلْ حُجَّتُهُ قَاهِرَةً وَمُعَارَضَتُهُ مُمْتَنِعَةً، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ مُعْجِزَةً، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَنَّ شَرْعَهُ مُؤَيَّدٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَنَاسِخٌ لِجَمِيعِ شَرَائِعِ النَّبِيِّينَ. وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ أَدْرَكَهُ الْأَنْبِيَاءُ لَوَجَبَ عَلَيْهِمُ اتِّبَاعُهُ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرْسِلَ إِلَى الْجِنِّ اتِّفَاقًا، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرْسِلَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ فِي إِحْدَى الْقَوْلَيْنِ وَرَجَّحَهُ السُّبْكِيُّ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرْسِلَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَاطَبَ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ بِأَسْمَائِهِمْ فِي الْقُرْآنِ فَقَالَ يَا آدَمُ يَا نُوحُ يَا إِبْرَاهِيمُ يَا دَاوُدُ يَا زَكَرِيَّا يَا يَحْيَى يَا عِيسَى وَلَمْ يُخَاطِبْهُ هُوَ فِيهِ إِلَّا بِيَا أَيُّهَا الرَّسُولُ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ نِدَاءَهُ بِاسْمِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا» أَيْ لَا تَجْعَلُوا نِدَاءَهُ وَتَسْمِيَتَهُ كَنِدَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا بِاسْمِهِ وَرَفْعِ الصَّوْتِ بِهِ وَلَٰكِنْ قُولُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَعَ

ٱلتَّوْقِيرِ وَٱلتَّوَاضُعِ وَخَفْضِ ٱلصَّوْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْرُمُ ٱلْجَهْرُ لَهُ بِٱلْقَوْلِ قَالَ تَعَالَى «يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ»، وَأَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْرُمُ نِدَاؤُهُ مِنْ وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ قَالَ ٱللهُ تَعَالَى «إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ»، وَأَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَبِيبُ ٱللهِ تَعَالَى وَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ ٱلْمَحَبَّةِ وَٱلْخُلَّةِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى أَقْسَمَ عَلَى رِسَالَتِهِ وَبِحَيَاتِهِ وَبِبَلَدِهِ وَعَصْرِهِ، وَأَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلِّمَ بِجَمِيعِ أَصْنَافِ ٱلْوَحْيِ، وَأَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَبَطَ عَلَيْهِ إِسْرَافِيلُ وَلَمْ يَهْبِطْ عَلَى نَبِيٍّ قَبْلَهُ أَخْرَجَ ٱلطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ ٱبْنِ عُمَرَ سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَقَدْ هَبَطَ عَلَيَّ مَلَكٌ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَا هَبَطَ عَلَى نَبِيٍّ قَبْلِي وَلَا يَهْبِطُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي وَهُوَ إِسْرَافِيلُ فَقَالَ أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ إِلَيْكَ أَمَرَنِي أَنْ أُخَيِّرَكَ إِنْ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا فَنَظَرْتُ إِلَى جِبْرِيلَ فَأَوْمَأَ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعْ فَلَوْ أَنِّي قُلْتُ نَبِيًّا مَلِكًا لَصَارَتِ ٱلْجِبَالُ مَعِي ذَهَبًا، وَأَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِلَفْظِ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَبِيَدِي لِوَاءُ ٱلْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ ٱللهُ تَعَالَى «لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ» قَالَ ٱلْبَيْضَاوِيُّ جَمِيعَ مَا فَرَطَ مِنْكَ مِمَّا يَصِحُّ أَنْ تُعَاتَبَ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْرَمُ ٱلْخَلْقِ عَلَى ٱللهِ فَهُوَ أَفْضَلُ

مِنْ كُلِّ الْمُرْسَلِينَ وَجَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْلَمَ قَرِينُهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْخَطَأُ وَلَا النِّسْيَانُ، وَأَنَّ الْمَيِّتَ يُسْأَلُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَبْرِهِ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرُمَ نِكَاحُ أَزْوَاجِهِ مِنْ بَعْدِهِ قَالَ تَعَالَى «وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ» أَيْ هُنَّ فِي الْحُرْمَةِ كَالْأُمَّهَاتِ حَرُمَ نِكَاحُهُنَّ عَلَيْهِمْ بَعْدَهُ تَكْرِمَةً لَهُ وَخُصُوصِيَّةً، وَأَنَّهُ يَحْرُمُ رُؤْيَةُ أَشْخَاصِ أَزْوَاجِهِ فِي الْأُزُرِ وَكَذَا كَشْفُ وُجُوهِهِنَّ وَأَكُفِّهِنَّ لِلشَّهَادَةِ وَغَيْرِهَا، وَأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُقْسَمَ عَلَى اللَّهِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْأَوْلِيَاءِ، وَأَنَّ أَوْلَادَ بَنَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُنْسَبُونَ إِلَيْهِ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْحَسَنِ إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَأَنَّ كُلَّ نَسَبٍ وَسَبَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا سَبَبَهُ وَنَسَبَهُ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ يَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا سَبَبِي وَنَسَبِي وَالنَّسَبُ بِالْوِلَادَةِ وَالسَّبَبُ بِالزَّوَاجِ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ التَّزَوُّجُ عَلَى بَنَاتِهِ لِأَنَّ ذَلِكَ يُؤْذِيهِ وَأَذِيَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَامٌ بِالْاتِّفَاقِ فَعَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ وَعِنْدَهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِذَلِكَ فَاطِمَةُ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ إِنَّ قَوْمَكَ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّكَ لَا تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ وَهَذَا عَلِيٌّ نَاكِحٌ ابْنَةَ أَبِي جَهْلٍ قَالَ الْمِسْوَرُ فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعْتُهُ حِينَ تَشَهَّدَ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ فَحَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي وَإِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ بَضْعَةٌ مِنِّي وَإِنَّمَا أَكْرَهُ أَنْ يَفْتِنُوهَا وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَا تَجْتَمِعُ

بِنْتُ رَسُولِ اللهِ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَبَدًا قَالَ فَتَرَكَ عَلِيٌّ الْخِطْبَةَ أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا عَنِ الْمِسْوَرِ أَيْضًا فَإِنَّ ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي يَرِيبُنِي مَا رَابَهَا وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا، وَأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَجْتَهِدُ أَحَدٌ فِي مِحْرَابِ صَلَّى إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً، وَأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ رَآهُ بِالْمَنَامِ فَقَدْ رَآهُ حَقًّا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِهِ وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ أَوْ فَكَأَنَّمَا رَآنِي فِي الْيَقَظَةِ وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي وَفِي رِوَايَةِ أَبِي قَتَادَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ أَيْضًا مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ وَلَهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِي، وَأَنَّ التَّسَمِّيَ بِاسْمِهِ نَافِعٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يُوقَفُ عَبْدَانِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى فَيُؤْمَرُ بِهِمَا إِلَى الْجَنَّةِ فَيَقُولَانِ رَبَّنَا بِمَ اسْتَأْهَلْنَا الْجَنَّةَ وَلَمْ نَعْمَلْ عَمَلًا تُجَازِينَا بِهِ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى ادْخُلَا الْجَنَّةَ فَإِنِّي آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا يَدْخُلَ النَّارَ مَنِ اسْمُهُ أَحْمَدُ وَلَا مُحَمَّدٌ، وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ نُبَيْطِ بْنِ شَرِيطٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللهُ تَعَالَى وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أُعَذِّبُ أَحَدًا تَسَمَّى بِاسْمِكَ فِي النَّارِ. وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ مَا مِنْ مَائِدَةٍ وُضِعَتْ فَحَضَرَ عَلَيْهَا مَنِ اسْمُهُ أَحْمَدُ أَوْ مُحَمَّدٌ إِلَّا قَدَّسَ اللهُ ذَلِكَ الْمَنْزِلَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ رَوَاهُ أَبُو مَنْصُورٍ الدَّيْلَمِيُّ. وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَكَنَّى بِكُنْيَةِ أَبِي الْقَاسِمِ سَوَاءٌ كَانَ اسْمُهُ مُحَمَّدًا أَمْ لَا عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَجَوَّزَهُ مَالِكٌ. وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ الْغُسْلُ لِقِرَاءَةِ حَدِيثِهِ وَالتَّطَيُّبُ

ولا ترفع عنده الأصوات بل تخفض كما في حياته إذا تكلم فإن كلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه الشريف وأن يقرأ على مكان مرتفع قال مطرف كان الناس إذا أتوا مالكا رحمه الله خرجت إليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل فإن قالوا المسائل خرج إليهم في الوقت وإن قالوا الحديث دخل مغتسله فاغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا وتعمم ولبس ساجه والساج الطيلسان وتلقى له منصة فيخرج يجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث قال ابن أبي أويس فقيل له في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنا ويقال إنه أخذ ذلك عن سعيد بن المسيب وقد كره قتادة ومالك وجماعة التحديث على غير طهارة حتى كان الأعمش إذا كان على غيرها تيمم ولا شك أن حرمته عليه الصلاة والسلام وتعظيمه وتوقيره بعد مماته وعند ذكره وذكر حديثه وسماع اسمه وسيرته كما كان في حياته. ويكره لقارىء حديثه صلى الله عليه وسلم أن يقوم لأحد وحسبك ما وقع لمالك رحمه الله في لسع العقرب له سبع عشرة مرة وهو لم يتحرك وتحمله للسعها توقيرا لجناب حديثه عليه الصلاة والسلام. ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام أنه تثبت الصحبة لمن اجتمع به لحظة بخلاف التابعي مع الصحابي فلا تثبت إلا بطول الاجتماع

معه على الصحيح عند أهل الأصول والفرق عظم منصب النبوة ونورها فبمجرد ما يقع بصره على الأعرابي الجلف ينطق بالحكمة، وأن أصحابه كلهم عدول قال الله تعالى خطابا للموجودين حينئذ «وكذلك جعلناكم أمة وسطا» أي عدولا وقال عليه الصلاة والسلام لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه. وقال عليه الصلاة والسلام خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام أن المصلي يخاطبه بقوله السلام عليك أيها النبي ولا يخاطب غيره، وأنه كان يجب على من دعاه وهو في الصلاة أن يجيبه، وأن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره فمن كذب عليه لم تقبل روايته أبدا وإن تاب، وأنه صلى الله عليه وسلم معصوم من الذنوب كبيرها وصغيرها عمدها وسهوها وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأنه لا يجوز عليه الجنون ولا الإغماء الطويل الزمن ولا العمى لأنها نقص وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأن من سبه أو انتقصه قتل ذكره القاضي عياض في الشفاء وغيره واستدلوا له بالكتاب والسنة والإجماع وقال الخطابي لا أعلم أحدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله إذا كان مسلما ومذهب المالكية يقتل حدا لا ردة ولا تقبل توبته ولا عذره إن ادعى سهوا أو غلطا ومذهب الشافعية أن ذلك ردة تخرج من الإسلام إلى الكفر فهو مرتد كافر قطعا لا نزاع في ذلك عند الجمهور من أئمتنا والمرتد يستتاب فإن تاب

وَإِلاَّ قُتِلَ. وَمِنْ خَصَائِصِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَنَّهُ كَانَ يَخُصُّ مَنْ شَاءَ بِمَا شَاءَ مِنَ الأَحْكَامِ كَجَعْلِهِ شَهَادَةَ خُزَيْمَةَ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ فَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْتَرَى مِنْ أَعْرَابِيٍّ فَرَساً فَجَحَدَهُ الأَعْرَابِيُّ فَجَاءَ خُزَيْمَةُ فَقَالَ يَا أَعْرَابِيُّ أَنَا أَشْهَدُ عَلَيْكَ أَنَّكَ بِعْتَهُ فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ إِنْ شَهِدَ عَلَيَّ خُزَيْمَةُ فَأَعْطِنِي الثَّمَنَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا خُزَيْمَةُ إِنَّا لَمْ نُشْهِدْكَ كَيْفَ تَشْهَدُ قَالَ أَنَا أُصَدِّقُكَ عَلَى خَبَرِ السَّمَاءِ أَلاَ أُصَدِّقُكَ عَلَى خَبَرِ ذَا الأَعْرَابِيِّ فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْدِلُ شَهَادَتَهُ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ فَلَمْ يَكُنْ فِي الإِسْلاَمِ مَنْ تَعْدِلُ شَهَادَتُهُ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ إِلاَّ خُزَيْمَةُ. وَمِنْ ذَلِكَ تَرْخِيصُهُ فِي النِّيَاحَةِ لِأُمِّ عَطِيَّةَ رَوَى مُسْلِمٌ عَنْهَا قَالَتْ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ «يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئاً وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ» قَالَتْ كَانَ مِنْهُ النِّيَاحَةُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِلاَّ آلَ فُلاَنٍ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَسْعَدُونِي فِي الجَاهِلِيَّةِ فَلاَ بُدَّ لِي مِنْ أَنْ أُسْعِدَهُمْ فَقَالَ إِلاَّ آلَ فُلاَنٍ. وَمِنْ ذَلِكَ تَرْكُ الإِحْدَادِ لِأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ قَالَتْ لَمَّا أُصِيبَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسَلَّبِي ثَلاَثاً ثُمَّ اصْنَعِي مَا شِئْتِ. وَقَوْلُهُ تَسَلَّبِي أَيِ الْبَسِي ثَوْبَ الحِدَادِ وَهُوَ السِّلاَبُ وَتَسَلَّبَتِ المَرْأَةُ إِذَا لَبِسَتْهُ وَهُوَ ثَوْبٌ أَسْوَدُ تُغَطِّي بِهِ المُحِدُّ رَأْسَهَا. وَمِنْ ذَلِكَ الأُضْحِيَةُ بِالْعَنَاقِ لِأَبِي بُرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ. وَالْعَنَاقُ الأُنْثَى مِنْ وَلَدِ المَعْزِ قَبْلَ اسْتِكْمَالِهَا الحَوْلَ. وَمِنْ ذَلِكَ إِنْكَاحُ ذَلِكَ الرَّجُلِ بِمَا مَعَهُ مِنَ القُرْآنِ فَقَدْ زَوَّجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

امرأة على سورة من القرآن وقال لا تكون لأحد بعدك مهرا، وأنه صلى الله عليه وسلم كان يوعك كما يوعك رجلان لمضاعفة الأجر. والوعك أذى الحمى ووجعها في البدن، وأن جبريل عليه السلام أرسل إليه ثلاثة أيام في مرضه يسأله عن حاله ذكره البيهقي وغيره، وأنه عليه الصلاة والسلام صلى عليه الناس أفواجا أفواجا بغير إمام وبغير دعاء الجنازة المعروف ذكره البيهقي وغيره، وترك بلا دفن ثلاثة أيام كما سيأتي، وفرش له في لحده قطيفة والأمران مكروهان في حقنا، وأظلمت الأرض بعد موته صلى الله عليه وسلم، وأنه لا يبلى جسده الشريف صلى الله عليه وسلم وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام رواه أبو داود وغيره، وأنه صلى الله عليه وسلم لا يورث وكذلك الأنبياء لا يورثون لما رواه النسائي من حديث الزبير مرفوعا إنا معاشر الأنبياء لا نورث، وأنه صلى الله عليه وسلم حي في قبره يصلي فيه بأذان وإقامة وكذلك الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ولهذا قيل لا عدة على أزواجه وقد حكى ابن النجار وغيره أن الأذان ترك في أيام الحرة ثلاثة أيام وخرج الناس وسعيد بن المسيب في المسجد قال سعيد فاستوحشت فدنوت إلى القبر فلما حضرت الظهر سمعت الأذان في القبر فصليت الظهر ثم مضى ذلك الأذان والإقامة في القبر لكل صلاة حتى مضت الثلاث ليال، وأنه وكل بقبره صلى الله عليه وسلم ملك يبلغه صلاة المصلين عليه رواه الإمام أحمد وغيره وصححه الحاكم بلفظ إن لله ملائكة سياحين في

الأرض يبلغوني عن أمتي السلام وعند الأصبهاني عن عمار إن لله ملكاً أعطاه سمع العباد كلهم فما من أحد يصلي علي إلا أبلغنيها، وأنه تعرض أعمال أمته صلى الله عليه وسلم عليه ويستغفر لهم روى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب ليس من يوم إلا وتعرض على النبي صلى الله عليه وسلم أعمال أمته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم، وأن منبره صلى الله عليه وسلم على حوضه كما في الحديث وفي رواية ومنبري على ترعة من ترع الجنة. وأصل الترعة الروضة على المكان المرتفع خاصة فإن كانت في المطمئن فهي روضة ولم يختلف أحد من العلماء أنه على ظاهره وأنه حق محسوس موجود فإن القدرة صالحة لا عجز فيها وكل ما أخبر به الصادق صلى الله عليه وسلم من أمور الغيب فالإيمان به واجب، وأن ما بين منبره وقبره صلى الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة رواه البخاري بلفظ ما بين بيتي ومنبري، وأنه صلى الله عليه وسلم أول من ينشق عنه القبر وفي رواية مسلم أنا أول من تنشق عنه الأرض وهو صلى الله عليه وسلم أول من يفيق من الصعقة وأول من يجوز على الصراط رواه البخاري، وأنه صلى الله عليه وسلم يحشر في سبعين ألفاً من الملائكة كما روي عن كعب الأحبار ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألف ملك يحفون بقبره عليه الصلاة والسلام يضربون بأجنحتهم حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط سبعون ألف ملك حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة يوقرونه صلى الله عليه وسلم، وأنه يحشر راكب البراق رواه الحافظ السلفي،

وَأَنَّهُ يُكْسَى فِي الْمَوْقِفِ أَعْظَمَ الْحُلَلِ مِنَ الْجَنَّةِ لَا يَقُومُ لَهَا الْبَشَرُ وَرَوَاهُ كَعْبُ ابْنُ مَالِكٍ بِلَفْظِ يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ وَيَكْسُونِي رَبِّي حُلَّةً خَضْرَاءَ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ عَلَى يَمِينِ الْعَرْشِ مَقَامًا لَا يَقُومُهُ غَيْرُهُ يَغْبِطُهُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطَى الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ قَالَ مُجَاهِدٌ هُوَ جُلُوسُهُ عَلَى الْعَرْشِ وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ عَلَى الْكُرْسِيِّ ذَكَرَهُمَا الْبَغَوِيُّ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطَى الشَّفَاعَةَ الْعُظْمَى فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ حِينَ يَفْزَعُونَ إِلَيْهِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطَى الشَّفَاعَةَ فِي إِدْخَالِ قَوْمٍ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطَى الشَّفَاعَةَ فِي رَفْعِ دَرَجَاتِ نَاسٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَهُ رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَكْثَرُ النَّاسِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ أَيْضًا قَوْلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِزِيَادَةٍ فِيهِ قَالَ فَيَقُومُ الْخَازِنُ فَيَقُولُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ وَلَا أَقُومُ لِأَحَدٍ بَعْدَكَ، وَأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حِلَقَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللهُ لِي فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ يَسِيلُ فِي

حوضه مجراه على الدر والياقوت وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج، ومنها الوسيلة وهي أعلى درجة في الجنة * (وأما خصائص أمته صلى الله عليه وسلم وزادها شرفاً) فاعلم أن الله جعل أمته صلى الله عليه وسلم خير أمة أخرجت للناس وجعلهم ورثة الأنبياء وأعطاهم الاجتهاد في الأحكام فيحكمون بما أدى إليه اجتهادهم وكل من دخل في زمان هذه الأمة بعد نبيها كعيسى عليه السلام فإنه لا يحكم في العالم إلا بما شرعه محمد صلى الله عليه وسلم فهو تابع لنبينا عليهما الصلاة والسلام وكذلك من يقول من العلماء بنبوة الخضر عليه السلام وأنه باق إلى اليوم فإنه تابع لأحكام هذه الملة وكذلك إلياس على ما صححه أبو عبد الله القرطبي أنه حي أيضاً وليس في الرسل من يتبعه رسول إلا نبينا صلى الله عليه وسلم وكفى بهذا شرفاً لهذه الأمة المحمدية * وقد خص الله تعالى هذه الأمة الشريفة بخصائص لم يؤتها أمة قبلهم أبان بها فضلهم والأخبار والآثار ناطقة بذلك خرج أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن موسى لما نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد فيها ذكر هذه الأمة قال يا رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون فاجعلها أمتي قال تلك أمة أحمد قال يا رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤونها ظاهراً فاجعلها أمتي قال تلك أمة أحمد قال يا رب إني أجد في الألواح أمة يأكلون الفيء فاجعلها أمتي قال تلك أمة أحمد قال يا رب إني أجد في الألواح أمة يجعلون

ٱلصَّدَقَةَ فِي بُطُونِهِمْ يُؤْجَرُونَ عَلَيْهَا فَٱجْعَلْهَا أُمَّتِي قَالَ تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ يَا رَبِّ
إِنِّي أَجِدُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ أُمَّةً إِذَا هَمَّ أَحَدُهُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً
وَاحِدَةً وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ فَٱجْعَلْهَا أُمَّتِي قَالَ تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ
قَالَ يَا رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ أُمَّةً إِذَا هَمَّ أَحَدُهُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ
لَهُ وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً فَٱجْعَلْهَا أُمَّتِي قَالَ تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ يَا رَبِّ
إِنِّي أَجِدُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ أُمَّةً يُؤْتَوْنَ ٱلْعِلْمَ ٱلْأَوَّلَ وَٱلْعِلْمَ ٱلْآخِرَ فَيَقْتُلُونَ ٱلْمَسِيحَ
ٱلدَّجَّالَ فَٱجْعَلْهَا أُمَّتِي قَالَ تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ يَا رَبِّ فَٱجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةِ
أَحْمَدَ فَأُعْطِيَ عِنْدَ ذَٰلِكَ خَصْلَتَيْنِ فَقَالَ يَا مُوسَى إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ
بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ قَالَ قَدْ رَضِيتُ يَا رَبِّ.
وَفِي كِتَابِ ٱلنُّطْقِ ٱلْمَفْهُومِ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَفَعَهُ قَالَ مُوسَى يَا رَبِّ فَهَلْ فِي ٱلْأُمَمِ
أَكْرَمُ عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِي ظَلَّلْتَ عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنْزَلْتَ عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَى
فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَا مُوسَى أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ فَضْلَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَى سَائِرِ ٱلْأُمَمِ
كَفَضْلِي عَلَى جَمِيعِ خَلْقِي قَالَ يَا رَبِّ فَأَرِنِيهِمْ قَالَ لَنْ تَرَاهُمْ وَلَٰكِنْ أُسْمِعُكَ
كَلَامَهُمْ فَنَادَاهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَى فَأَجَابُوا كُلُّهُمْ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ لَبَّيْكَ ٱللَّهُمَّ لَبَّيْكَ فَقَالَ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صَلَاتِي عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي وَعَفْوِي سَبَقَ عَذَابِي
ٱسْتَجَبْتُ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُونِي فَمَنْ لَقِيَنِي مِنْكُمْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا
رَسُولُ ٱللَّهِ غَفَرْتُ لَهُ ذُنُوبَهُ قَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرَادَ ٱللَّهُ أَنْ يَمُنَّ عَلَيَّ بِذَٰلِكَ
فَقَالَ «وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا» أَيْ أُمَّتَكَ حَتَّى أَسْمَعْنَا مُوسَى كَلَامَهُمْ.

وَفِي الْحِلْيَةِ لِأَبِي نُعَيمٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى نَبِيِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ لَقِيَنِي وَهُوَ جَاحِدٌ بِأَحْمَدَ أَدْخَلْتُهُ النَّارَ قَالَ يَا رَبِّ وَمَنْ أَحْمَدُ قَالَ مَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْهُ كَتَبْتُ اسْمَهُ مَعَ اسْمِي فِي الْعَرْشِ قَبْلَ أَنْ أَخْلُقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ إِنَّ الْجَنَّةَ مُحَرَّمَةٌ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِي حَتَّى يَدْخُلَهَا هُوَ وَأُمَّتُهُ قَالَ وَمَنْ أُمَّتُهُ قَالَ الْحَمَّادُونَ يَحْمَدُونَ صُعُوداً وَهُبُوطاً وَعَلَى كُلِّ حَالٍ يَشُدُّونَ أَوْسَاطَهُمْ وَيُطَهِّرُونَ أَطْرَافَهُمْ صَائِمُونَ بِالنَّهَارِ رُهْبَانٌ بِاللَّيْلِ أَقْبَلُ مِنْهُمُ الْيَسِيرَ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ قَالَ اجْعَلْنِي نَبِيَّ تِلْكَ الْأُمَّةِ قَالَ نَبِيُّهَا مِنْهَا قَالَ اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةِ ذٰلِكَ النَّبِيِّ قَالَ اسْتَقْدَمْتَ وَاسْتَأْخَرَ وَلٰكِنْ سَأَجْمَعُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فِي دَارِ الْجَلَالِ. وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى شَعْيَا إِنِّي بَاعِثٌ نَبِيّاً أُمِّيّاً أَفْتَحُ بِهِ آذَاناً صُمّاً وَقُلُوباً غُلْفاً وَأَعْيُناً عُمْياً مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ وَمُهَاجَرُهُ طَيْبَةُ وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ عَبْدِي الْمُتَوَكِّلُ الْمُصْطَفَى الْمَرْفُوعُ الْحَبِيبُ الْمُنْتَخَبُ الْمُخْتَارُ لَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلٰكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ وَيَغْفِرُ رَحِيماً بِالْمُؤْمِنِينَ يَبْكِي لِلْبَهِيمَةِ الْمُثْقَلَةِ وَلِلْيَتِيمِ فِي حِجْرِ الْأَرْمَلَةِ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا مُتَزَيِّنٍ بِالْفُحْشِ وَلَا قَوَّالٍ لِلْخَنَا لَوْ يَمُرُّ إِلَى جَنْبِ السِّرَاجِ لَمْ يُطْفِئْهُ مِنْ سَكِينَتِهِ وَلَوْ يَمْشِي عَلَى الْقَصَبِ الرَّعْرَاعِ أَيِ الطَّوِيلِ لَمْ يُسْمَعْ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ أَبْعَثُهُ مُبَشِّراً وَنَذِيراً إِلَى أَنْ قَالَ وَأَجْعَلُ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ أَمْراً بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْياً عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَوْحِيداً لِي وَإِيمَاناً بِي وَإِخْلَاصاً لِي وَتَصْدِيقاً

لَمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلِي وَهُمْ رُعَاةُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ طُوبَى لِتِلْكَ الْقُلُوبِ وَالْوُجُوهِ وَالْأَرْوَاحِ الَّتِي أَخْلَصَتْ لِي أُلْهِمُهُمُ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ وَالتَّحْمِيدَ وَالتَّوْحِيدَ فِي مَسَاجِدِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ وَمَضَاجِعِهِمْ وَمُتَقَلَّبِهِمْ وَمَثْوَاهُمْ وَيَصُفُّونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ حَوْلَ عَرْشِي هُمْ أَوْلِيَائِي وَأَنْصَارِي أَنْتَقِمُ بِهِمْ مِنْ أَعْدَائِي عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ يُصَلُّونَ لِي قِيَامًا وَقُعُودًا وَرُكَّعًا وَسُجُودًا وَيَخْرُجُونَ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي أُلُوفًا وَيُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِي صُفُوفًا أَخْتِمُ بِكِتَابِهِمُ الْكُتُبَ وَبِشَرِيعَتِهِمُ الشَّرَائِعَ وَبِدِينِهِمُ الْأَدْيَانَ فَمَنْ أَدْرَكَهُمْ فَلَمْ يُؤْمِنْ بِكِتَابِهِمْ وَيَدْخُلْ فِي دِينِهِمْ وَشَرِيعَتِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَهُوَ مِنِّي بَرِيءٌ وَأَجْعَلُهُمْ أَفْضَلَ الْأُمَمِ وَأَجْعَلُهُمْ أُمَّةً وَسَطًا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ إِذَا غَضِبُوا هَلَّلُونِي وَإِذَا تَنَازَعُوا سَبَّحُونِي يُطَهِّرُونَ الْوُجُوهَ وَالْأَطْرَافَ وَيَشُدُّونَ الثِّيَابَ إِلَى الْأَنْصَافِ وَيُهَلِّلُونَ عَلَى التِّلَالِ وَالْأَشْرَافِ قُرْبَانُهُمْ دِمَاؤُهُمْ وَأَنَاجِيلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ رُهْبَانًا بِاللَّيْلِ لُيُوثًا بِالنَّهَارِ طُوبَى لِمَنْ كَانَ مَعَهُمْ وَعَلَى دِينِهِمْ وَمِنْهَاجِهِمْ وَشَرِيعَتِهِمْ وَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ وَأَنَا ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ * وَمِنْ خَصَائِصِهَا الْجُمُعَةُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا اللَّهُ لَهُ فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ الْيَهُودُ غَدًا وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ * وَمِنْ خَصَائِصِهِمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفَعَ عَنْهُمُ الْإِصْرَ الَّذِي كَانَ عَلَى الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ» أَيْ وَيُخَفِّفُ عَنْهُمْ

مَا كُلِّفُوا بِهِ مِنَ ٱلتَّكَالِيفِ ٱلشَّاقَّةِ كَتَعْيِينِ ٱلْقِصَاصِ فِي ٱلْعَمْدِ وَٱلْخَطَإِ وَقَطْعِ ٱلْأَعْضَاءِ ٱلْخَاطِئَةِ وَقَطْعِ مَوْضِعِ ٱلنَّجَاسَةِ وَقَتْلِ ٱلنَّفْسِ فِي ٱلتَّوْبَةِ وَقَدْ كَانَ ٱلرَّجُلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يُذْنِبُ ٱلذَّنْبَ فَيُصْبِحُ قَدْ كُتِبَ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ أَنَّ كَفَّارَتَهُ أَنْ تَنْزِعَ عَيْنَيْكَ فَيَنْزِعُهُمَا وَأَصْلُ ٱلْإِصْرِ ٱلثِّقَلُ ٱلَّذِي يَأْصِرُ صَاحِبَهُ أَيْ يَحْبِسُهُ مِنَ ٱلْحَرَاكِ لِثِقَلِهِ. وَمِنْهَا أَنَّ ٱللهَ أَحَلَّ لَهُمْ كَثِيرًا مِمَّا شَدَّدَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْهِمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» أَيْ ضِيقٍ بِتَكْلِيفٍ مَا ٱشْتَدَّ ٱلْقِيَامُ بِهِ عَلَيْهِمْ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ ٱلْحَرَجُ مَا كَانَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ ٱلْإِصْرِ وَٱلشَّدَائِدِ وَضَعَهُ ٱللهُ عَنْ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ. وَمِنْهَا أَنَّ ٱللهَ تَعَالَى رَفَعَ عَنْهُمُ ٱلْمُؤَاخَذَةَ بِٱلْخَطَإِ وَٱلنِّسْيَانِ وَمَا ٱسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ وَحَدِيثِ ٱلنَّفْسِ وَقَدْ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِذَا نَسُوا شَيْئًا مِمَّا أُمِرُوا بِهِ أَوْ أَخْطَؤُوا عُجِّلَتْ لَهُمُ ٱلْعُقُوبَةُ فَحُرِّمَ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنْ مَطْعَمٍ أَوْ مَشْرَبٍ عَلَى حَسَبِ ذٰلِكَ ٱلذَّنْبِ قَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ ٱللهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي ٱلْخَطَأَ وَٱلنِّسْيَانَ وَمَا ٱسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ رَوَاهُ ٱلْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ. وَمِنْهَا أَنَّ ٱلْإِسْلَامَ وَصْفٌ خَاصٌّ بِهِمْ لَا يُشْرِكُهُمْ فِيهِ غَيْرُهُمْ إِلَّا ٱلْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى «هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ» «وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا»[1]. وَمِنْهَا أَنَّ شَرِيعَتَهُمْ أَكْمَلُ مِنْ جَمِيعِ شَرَائِعِ ٱلْأُمَمِ ٱلْمُتَقَدِّمَةِ وَهٰذَا مِمَّا لَا يَحْتَاجُ لِبَيَانِهِ لِوُضُوحِهِ وَٱنْظُرْ إِلَى شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فَقَدْ كَانَتْ شَرِيعَةَ جَلَالٍ وَقَهْرٍ أُمِرُوا بِقَتْلِ نُفُوسِهِمْ وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّحُومُ وَذَوَاتُ ٱلظُّفُرِ وَغَيْرُهَا

(١) انظروا آخر الكتاب صفحة ٧٤

مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الْغَنَائِمُ وَعُجِّلَ لَهُمْ مِنَ الْعُقُوبَاتِ مَا عُجِّلَ وَحُمِّلُوا مِنَ الْآصَارِ وَالْأَغْلَالِ مَا لَمْ يَحْمِلْهُ غَيْرُهُمْ وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَعْظَمِ خَلْقِ اللهِ تَعَالَى هَيْبَةً وَوَقَارًا وَأَشَدِّهِمْ بَأْسًا وَغَضَبًا للهِ تَعَالَى وَبَطْشًا بِأَعْدَاءِ اللهِ فَكَانَ لَا يُسْتَطَاعُ النَّظَرُ إِلَيْهِ وَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ فِي مَظْهَرِ الْجَمَالِ وَكَانَتْ شَرِيعَتُهُ شَرِيعَةَ فَضْلٍ وَإِحْسَانٍ وَكَانَ لَا يُقَاتِلُ وَلَا يُحَارِبُ وَلَيْسَ فِي شَرِيعَتِهِ قِتَالٌ أَلْبَتَّةَ وَالنَّصَارَى يَحْرُمُ عَلَيْهِمْ فِي دِينِهِمُ الْقِتَالُ وَهُمْ بِهِ عُصَاةٌ فَإِنَّ الْإِنْجِيلَ يَأْمُرُ فِيهِ بِقَوْلِهِ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ فَأَدِرْ لَهُ خَدَّكَ الْأَيْسَرَ وَمَنْ نَازَعَكَ ثَوْبَكَ فَأَعْطِهِ رِدَاءَكَ وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلًا فَامْشِ مَعَهُ مِيلَيْنِ وَنَحْوُ هٰذَا وَأَمَّا نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ مَظْهَرَ الْكَمَالِ الْجَامِعِ لِتِلْكَ الْقُوَّةِ وَالْعَدْلِ وَالشِّدَّةِ فِي اللهِ وَاللِّينِ وَالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ فَشَرِيعَتُهُ أَكْمَلُ الشَّرَائِعِ وَأُمَّتُهُ أَكْمَلُ الْأُمَمِ وَأَحْوَالُهُمْ وَمَقَامَاتُهُمْ أَكْمَلُ الْأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ وَلِذٰلِكَ تَأْتِي شَرِيعَتُهُ بِالْعَدْلِ فَرْضًا وَبِالْفَضْلِ نَدْبًا وَبِالشِّدَّةِ فِي مَوْضِعِ الشِّدَّةِ وَبِاللِّينِ فِي مَوْضِعِ اللِّينِ فَيَذْكُرُ الظُّلْمَ وَيُحَرِّمُهُ وَالْعَدْلَ وَيَأْمُرُ بِهِ وَالْفَضْلَ وَيَنْدُبُ إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا» فَهٰذَا عَدْلٌ «فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ» فَهٰذَا فَضْلٌ «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» فَهٰذَا تَحْرِيمٌ لِلظُّلْمِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ» هٰذَا إِيجَابٌ لِلْعَدْلِ وَتَحْرِيمٌ لِلظُّلْمِ «وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ» نَدْبٌ إِلَى الْفَضْلِ وَكَذٰلِكَ تَحْرِيمُ مَا حَرَّمَ عَلَى هٰذِهِ الْأُمَّةِ صِيَانَةً وَحَمِيَّةً حَرَّمَ عَلَيْهِمْ كُلَّ خَبِيثٍ وَضَارٍّ وَأَحَلَّ لَهُمْ كُلَّ طَيِّبٍ وَنَافِعٍ فَتَحْرِيمُهُ عَلَيْهِمْ رَحْمَةٌ

وَعَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ لَمْ يَخْلُ مِنْ عُقُوبَةٍ وَهَدَاهُمْ لِمَا ضَلَّتْ عَنْهُ الْأُمَمُ قَبْلَهُمْ كَيَوْمِ الْجُمُعَةِ وَوَهَبَ لَهُمْ مِنْ عِلْمِهِ وَحِلْمِهِ وَجَعَلَهُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ وَكَمَّلَ لَهُمْ مِنَ الْمَحَاسِنِ مَا فَرَّقَهُ فِي الْأُمَمِ كَمَا كَمَّلَ لِنَبِيِّهِمْ مِنَ الْمَحَاسِنِ مَا فَرَّقَهُ فِي الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ وَكَمَا كَمَّلَ فِي كِتَابِهِمْ مِنَ الْمَحَاسِنِ مَا فَرَّقَهُ فِي الْكُتُبِ قَبْلَهُ وَكَذَلِكَ فِي شَرِيعَتِهِ فَهَذِهِ الْأُمَّةُ هُمُ الْمُجْتَبَوْنَ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى «هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ»، وَمِنْهَا أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقَامَهُمْ فِي ذَلِكَ مَقَامَ الرُّسُلِ الشَّاهِدِينَ عَلَى أُمَمِهِمْ، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ لَا يَجْتَمِعُونَ عَلَى ضَلَالَةٍ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ فِي حَدِيثٍ سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا تَجْتَمِعَ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ فَأَعْطَانِيهَا، وَمِنْهَا أَنَّ إِجْمَاعَهُمْ حُجَّةٌ وَأَنَّ اخْتِلَافَهُمْ رَحْمَةٌ وَكَانَ اخْتِلَافُ مَنْ قَبْلَهُمْ عَذَابًا، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ أَقَلُّ الْأُمَمِ عَمَلًا وَأَكْثَرُهُمْ أَجْرًا وَأَقْصَرُهُمْ أَعْمَارًا وَأُوتُوا الْعِلْمَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ، وَأَنَّهُمْ آخِرُ الْأُمَمِ فَافْتَضَحَتِ الْأُمَمُ عِنْدَهُمْ وَلَمْ يَفْتَضِحُوا، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ أُوتُوا الْإِسْنَادَ وَهُوَ خَصِيصَةٌ فَاضِلَةٌ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَسُنَّةٌ بَالِغَةٌ مِنَ السُّنَنِ الْمُؤَكَّدَةِ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمِ بْنِ الْمُظَفَّرِ إِنَّ اللهَ قَدْ أَكْرَمَ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَشَرَّفَهَا وَفَضَّلَهَا بِالْإِسْنَادِ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ كُلِّهَا قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا إِسْنَادٌ إِنَّمَا هُوَ صُحُفٌ فِي أَيْدِيهِمْ وَقَدْ خَلَطُوا بِكُتُبِهِمْ أَخْبَارَهُمْ فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ تَمْيِيزٌ بَيْنَ مَا نَزَلَ مِنَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَبَيْنَ مَا أَلْحَقُوهُ بِكُتُبِهِمْ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي أَخَذُوهَا عَنْ غَيْرِ الثِّقَاةِ وَهَذِهِ الْأُمَّةُ الشَّرِيفَةُ زَادَهَا اللهُ شَرَفًا بِنَبِيِّهَا إِنَّمَا تَنُصُّ الْحَدِيثَ عَنِ الثِّقَةِ الْمَعْرُوفِ فِي زَمَانِهِ بِالصِّدْقِ

وَالأَمَانَةِ عَنْ مِثْلِهِ حَتَّى تَتَنَاهَى أَخْبَارُهُمْ ثُمَّ يَبْحَثُونَ أَشَدَّ البَحْثِ حَتَّى يَعْرِفُوا الأَحْفَظَ فَالأَحْفَظَ وَالأَضْبَطَ فَالأَضْبَطَ وَالأَطْوَلَ مُجَالَسَةً بِمَنْ فَوْقَهُ مِمَّنْ كَانَ أَقْصَرَ مُجَالَسَةً ثُمَّ يَكْتُبُونَ الحَدِيثَ مِنْ عِشْرِينَ وَجْهًا وَأَكْثَرَ حَتَّى يُهَذِّبُوهُ مِنَ الغَلَطِ وَالزَّلَلِ وَيَضْبِطُوا حُرُوفَهُ وَيَعُدُّوهُ عَدًّا فَهَذَا مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ اخْتُصُّوا فِي الآخِرَةِ بِأَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُمُ الأَرْضُ مِنَ الأُمَمِ رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا بِلَفْظِ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الأَرْضُ عَنِّي وَعَنْ أُمَّتِي وَلَا فَخْرَ، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ رَوَاهُ البُخَارِيُّ، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي المَوْقِفِ عَلَى مَكَانٍ عَالٍ رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ عَنْ جَابِرٍ مَرْفُوعًا بِلَفْظِ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى كَوْمٍ مُشْرِفِينَ عَلَى الخَلَائِقِ مَا مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا وَدَّ أَنَّهُ مِنَّا وَمَا مِنْ نَبِيٍّ كَذَّبَهُ قَوْمُهُ إِلَّا وَنَحْنُ نَشْهَدُ لَهُ أَنَّهُ بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ وَفِي رِوَايَةٍ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ سَائِرِ الأُمَمِ رَوَى الطَّبَرَانِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُرِّمَتِ الجَنَّةُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ حَتَّى أَدْخُلَهَا وَحُرِّمَتْ عَلَى الأُمَمِ حَتَّى تَدْخُلَهَا أُمَّتِي، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالبَزَّارُ، وَمِنْهَا أَنَّ نُورَهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَمِنْهَا أَنَّ لَهُمْ مَا سَعَوْا وَمَا يُسْعَى لَهُمْ وَلَيْسَ لِمَنْ قَبْلَهُمْ إِلَّا مَا سَعَى وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» فَهِيَ مَخْصُوصَةٌ بِالكَافِرِ

وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَلَهُ مَا سَعَى غَيْرُهُ وَذَكَرَ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ الْقَطَّانِ الْعَسْقَلَانِيُّ أَنَّ وُصُولَ ثَوَابِ الْقِرَاءَةِ إِلَى الْمَيِّتِ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ أَجْنَبِيٍّ هُوَ الصَّحِيحُ كَمَا تَنْفَعُهُ الصَّدَقَةُ وَالدُّعَاءُ وَالْإِسْتِغْفَارُ بِالْإِجْمَاعِ. وَأَمَّا إِهْدَاءُ الْقِرَاءَةِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَكَى ابْنُ الْقَيِّمِ أَنَّ مِنَ الْفُقَهَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ مَنِ اسْتَحَبَّهُ وَإِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَنِيًّا عَنْ ذٰلِكَ فَإِنَّ لَهُ مِثْلَ أَجْرِ كُلِّ مَنْ عَمِلَ خَيْرًا مِنْ أُمَّتِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِ الْعَامِلِ شَيْءٌ. قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَا مِنْ خَيْرٍ يَعْمَلُهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْلٌ فِيهِ. قَالَ الْمَرَاغِي فِي تَحْقِيقِ النُّصْرَةِ فَجَمِيعُ حَسَنَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ فِي صَحَائِفِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زِيَادَةً عَلَى مَا لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مَعَ مُضَاعَفَةٍ لَا يَحْصُرُهَا إِلَّا اللهُ تَعَالَى لِأَنَّ كُلَّ مُهْتَدٍ وَعَامِلٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَحْصُلُ لَهُ أَجْرٌ وَيَتَجَدَّدُ لِشَيْخِهِ مِثْلُ ذٰلِكَ الْأَجْرِ وَلِشَيْخِ شَيْخِهِ مِثْلَاهُ وَالشَّيْخِ الثَّالِثِ أَرْبَعَةٌ وَلِلرَّابِعِ ثَمَانِيَةٌ وَهٰكَذَا تُضْعَفُ كُلُّ مَرْتَبَةٍ بِعَدَدِ الْأُجُورِ الْحَاصِلَةِ بَعْدَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِهٰذَا تَعْلَمُ تَفْضِيلَ السَّلَفِ عَلَى الْخَلَفِ فَإِذَا فَرَضْتَ الْمَرَاتِبَ عَشَرَةً بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَجْرِ أَلْفٌ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ فَإِذَا اهْتَدَى بِالْعَاشِرِ حَادِي عَشَرَ صَارَ أَجْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْفَيْنِ وَثَمَانِيَةً وَأَرْبَعِينَ وَهٰكَذَا كُلَّمَا ازْدَادَ وَاحِدٌ يَتَضَاعَفُ مَا كَانَ قَبْلَهُ أَبَدًا كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ اهـ وَبِهٰذَا يُجَابُ عَنِ اسْتِشْكَالِ دُعَاءِ الْقَارِئِ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِزِيَادَةِ التَّشْرِيفِ مَعَ الْعِلْمِ بِكَمَالِهِ عَلَيْهِ

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي سَائِرِ أَنْوَاعِ الشَّرَفِ فَكَأَنَّ الدَّاعِيَ لَحَظَ أَنَّ قَبُولَ قِرَاءَتِهِ يَتَضَمَّنُ لِمُعَلِّمِهِ نَظِيرَ أَجْرِهِ وَهٰكَذَا حَتَّى يَكُونَ لِلْمُعَلِّمِ الْأَوَّلِ وَهُوَ الشَّارِعُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَظِيرُ جَمِيعِ ذٰلِكَ * وَبِالْجُمْلَةِ فَقَدِ اخْتَصَّ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِفَضَائِلَ لَا تُحْصَى وَمَنَاقِبَ لَا تُسْتَقْصَى وَكَذٰلِكَ أُمَّتُهُ تَكْرِمَةً لَهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وَذٰلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»

المقصد الخامس

فِي تَخْصِيصِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِخَصَائِصِ الْمِعْرَاجِ وَالْإِسْرَا وَتَعْمِيمِهِ بِعُمُومِ لَطَائِفِ التَّكْرِيمِ فِي حَضْرَةِ التَّقْرِيبِ بِالْمُكَالَمَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ الْكُبْرَى

إِعْلَمْ أَنَّ قِصَّةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ مِنْ أَشْهَرِ الْمُعْجِزَاتِ. وَأَظْهَرِ الْبَرَاهِينِ الْبَيِّنَاتِ وَأَقْوَى الْحُجَجِ الْمُحْكَمَاتِ. وَأَصْدَقِ الْأَنْبَاءِ وَأَعْظَمِ الْآيَاتِ. وَالْحَقُّ أَنَّهُ إِسْرَاءٌ وَاحِدٌ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ يَقَظَةً فِي الْقِصَّةِ كُلِّهَا وَإِلَى هٰذَا ذَهَبَ الْجُمْهُورُ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَتَوَارَدَتْ عَلَيْهِ ظَوَاهِرُ الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ وَلَا يَنْبَغِي الْعُدُولُ عَنْهُ وَالْإِسْرَاءُ بِالْجِسْمِ إِلَى تِلْكَ الْحَضَرَاتِ الْعَلِيَّةِ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ سِوَاهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَالْمَعَارِيجُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ عَشَرَةٌ سَبْعَةٌ إِلَى السَّمٰوَاتِ وَالثَّامِنُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَالتَّاسِعُ إِلَى الْمُسْتَوَى الَّذِي سَمِعَ فِيهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ فِي تَصَارِيفِ الْأَقْدَارِ وَالْعَاشِرُ إِلَى الْعَرْشِ وَالرَّفْرَفِ وَالرُّؤْيَةِ وَسَمَاعِ الْخِطَابِ بِالْمُكَافَحَةِ وَالْكَشْفِ الْحَقِيقِيِّ. وَقَدْ وَرَدَ حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ عَدَّ مِنْهُمْ

في الأصل ستة وعشرين ثم قال وبالجملة فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون
وأعرض عنه الزنادقة الملحدون يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم
نوره ولو كره الكافرون. وقد روى البخاري عن قتادة عن أنس بن مالك
ابن صعصعة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به فقال بينما
أنا نائم في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا إذ أتاني آت فشق ما بين هذه
إلى هذه أي من ثغرة نحره إلى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب
مملوءة إيمانا فغسل ثم حشي ثم أعيد (وفي رواية له ففرج صدري ثم غسله
بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه في صدري
ثم أطبقه) ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض قال أنس هو البراق
يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه (فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء
الدنيا وساق البخاري الحديث بطوله وسيأتي سرده بعد ذكر صلاة النبي صلى
الله عليه وسلم بالأنبياء في بيت المقدس ووصف المعراج الذي أتي به إليه
صلى الله عليه وسلم فصعد منه إلى السماء) وأخرج الترمذي عن أنس بن مالك
رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به
مسرجا ملجما فاستصعب عليه فقال له جبريل عليه السلام ما حملك على هذا وفي
رواية أما تستحي ما ركبك خلق قط أكرم على الله منه فارفض عرقا. وفي
حديث ابن مسعود إذا أتى على جبل ارتفعت رجلاه وإذا هبط ارتفعت يداه
وفي رواية لابن سعد له جناحان وعن ابن عباس في صفته له خد كخد الإنسان

وَعُرْفٌ كَعُرْفِ ٱلْفَرَسِ وَقَوَائِمُ كَٱلْإِبِلِ وَأَظْلَافٌ وَذَنَبٌ كَٱلْبَقَرِ وَكَانَ صَدْرُهُ يَاقُوتَةً حَمْرَاءَ • وَكَانَ ٱلَّذِي أَمْسَكَ بِرِكَابِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيلُ وَبِزِمَامِهِ مِيكَائِيلُ رَوَاهُ ٱبْنُ سَعْدٍ * وَقَدْ رَوَى ٱلْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ أَنَّهُ أَوَّلُ مَا أُسْرِيَ بِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِأَرْضٍ ذَاتِ نَخْلٍ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ أَنْزِلْ فَصَلِّ فَصَلَّى فَقَالَ صَلَّيْتَ بِيَثْرِبَ ثُمَّ مَرَّ بِأَرْضٍ بَيْضَاءَ فَقَالَ أَنْزِلْ فَصَلِّ فَصَلَّى فَقَالَ صَلَّيْتَ بِمَدْيَنَ ثُمَّ مَرَّ بِبَيْتِ لَحْمٍ فَقَالَ أَنْزِلْ فَصَلِّ فَنَزَلَ فَصَلَّى فَقَالَ صَلَّيْتَ حَيْثُ وُلِدَ عِيسَى • وَرَوَى ٱلْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَنَسٍ لَمَّا جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بِٱلْبُرَاقِ إِلَيْهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَأَنَّمَا أَصَرَّتْ أُذُنَيْهَا فَقَالَ لَهَا جِبْرِيلُ مَهْ يَا بُرَاقُ فَوَٱللَّهِ مَا رَكِبَكِ مِثْلُهُ فَسَارَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا هُوَ بِعَجُوزٍ عَلَى جَنْبِ ٱلطَّرِيقِ فَقَالَ مَا هٰذَا يَا جِبْرِيلُ قَالَ سِرْ يَا مُحَمَّدُ فَسَارَ مَا شَاءَ ٱللَّهُ أَنْ يَسِيرَ فَإِذَا هُوَ بِشَيْخٍ يَدْعُوهُ مُتَنَحِّيًا عَنِ ٱلطَّرِيقِ يَقُولُ هَلُمَّ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ سِرْ وَأَنَّهُ مَرَّ بِجَمَاعَةٍ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا ٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَوَّلُ ٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا آخِرُ ٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَاشِرُ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ ٱرْدُدْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامَ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ أَمَّا ٱلْعَجُوزُ ٱلَّتِي رَأَيْتَ جَانِبَ ٱلطَّرِيقِ فَلَمْ يَبْقَ مِنَ ٱلدُّنْيَا إِلَّا مَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِ تِلْكَ ٱلْعَجُوزِ وَٱلَّذِي دَعَاكَ إِبْلِيسُ وَٱلْعَجُوزُ ٱلدُّنْيَا أَمَا لَوْ أَجَبْتَهَا لَٱخْتَارَتْ أُمَّتُكَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سَلَّمُوا عَلَيْكَ فَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ • وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ مَرَّ بِمُوسَى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وَهُوَ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَلَا مَانِعَ أَنَّ ٱلْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ

يُصلّون في قبورهم لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون. وفي حديث أبي هريرة عند
الطبراني والبزار أنه عليه الصلاة والسلام مرّ على قوم يزرعون ويحصدون
في يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال لجبريل عليه السلام ما هذا قال هؤلاء
المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف وما أنفقوا
من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم أتى على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر
كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال ما هذا
يا جبريل قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤسهم عن الصلاة المكتوبة. ثم أتى على
قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام يأكلون
الضريع والزقوم ورضف جهنم فقال ما هؤلاء قال هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة
أموالهم وما ظلمهم الله وما ربك بظلام للعبيد. ثم أتى على قوم بين أيديهم
لحم نضيج في قدر ولحم نيء في قدر خبيث فجعلوا يأكلون من النيء الخبيث
ويدعون النضيج فقال ما هؤلاء يا جبريل قال جبريل هذا الرجل من أمتك تكون
عنده المرأة الحلال الطيب فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة
تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتي رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح. ثم
أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال
ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس لا يقدر على
أدائها وهو يريد أن يحمل عليها. ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم
بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك

شَيْءٌ قَالَ مَاهٰذَا يَا جِبْرِيلُ قَالَ هٰؤُلَاءِ خُطَبَاءُ الْفِتْنَةِ) قَالَ ثُمَّ أَتَى عَلَى جُحْرٍ صَغِيرٍ يَخْرُجُ مِنْهُ ثَوْرٌ عَظِيمٌ فَجَعَلَ الثَّوْرُ يُرِيدُ أَنْ يَرْجِعَ مِنْ حَيْثُ خَرَجَ فَلَا يَسْتَطِيعُ فَقَالَ مَاهٰذَا يَا جِبْرِيلُ قَالَ هٰذَا الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ ثُمَّ يَنْدَمُ عَلَيْهَا فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرُدَّهَا. ثُمَّ أَتَى عَلَى وَادٍ فَوَجَدَ فِيهِ رِيحًا طَيِّبَةً بَارِدَةً وَرِيحَ مِسْكٍ وَسَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ مَا هٰذَا يَا جِبْرِيلُ قَالَ هٰذَا صَوْتُ الْجَنَّةِ تَقُولُ رَبِّ آتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي فَقَدْ كَثُرَتْ غُرَفِي وَإِسْتَبْرَقِي وَحَرِيرِي وَسُنْدُسِي وَعَبْقَرِيِّي وَلُؤْلُؤِي وَمَرْجَانِي وَفِضَّتِي وَذَهَبِي وَأَكْوَابِي وَصِحَافِي وَأَبَارِيقِي وَمَرَاكِبِي وَعَسَلِي وَمَائِي وَلَبَنِي وَخَمْرِي فَآتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي قَالَ لَكِ كُلُّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ وَمُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ وَمَنْ آمَنَ بِي وَبِرُسُلِي وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَمْ يُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِي أَنْدَادًا وَمَنْ خَشِيَنِي فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ سَأَلَنِي فَقَدْ أَعْطَيْتُهُ وَمَنْ أَقْرَضَنِي جَازَيْتُهُ وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيَّ كَفَيْتُهُ إِنَّنِي أَنَا اللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا لَا أُخْلِفُ الْمِيعَادَ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ وَتَبَارَكَ اللّٰهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ قَالَتْ قَدْ رَضِيتُ. ثُمَّ أَتَى عَلَى وَادٍ فَسَمِعَ صَوْتًا مُنْكَرًا وَوَجَدَ رِيحًا مُنْتِنَةً فَقَالَ مَاهٰذَا يَا جِبْرِيلُ قَالَ هٰذَا صَوْتُ جَهَنَّمَ تَقُولُ رَبِّ آتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي فَقَدْ كَثُرَتْ سَلَاسِلِي وَأَغْلَالِي وَسَعِيرِي وَحَمِيمِي وَضَرِيعِي وَغَسَّاقِي وَعَذَابِي وَقَدْ بَعُدَ قَعْرِي وَاشْتَدَّ حَرِّي فَآتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي قَالَ لَكِ كُلُّ مُشْرِكٍ وَمُشْرِكَةٍ وَكَافِرٍ وَكَافِرَةٍ وَكُلُّ جَبَّارٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ قَالَتْ قَدْ رَضِيتُ فَسَارَ حَتَّى أَتَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ. وَفِي رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ دَعَانِي دَاعٍ عَنْ يَمِينِي انْظُرْنِي أَسْأَلْكَ فَلَمْ أُجِبْهُ ثُمَّ دَعَانِي آخَرُ عَنْ يَسَارِي كَذٰلِكَ فَلَمْ أُجِبْهُ

وَفِيهِ إِذَا امْرَأَةٌ حَاسِرَةٌ عَنْ ذِرَاعَيْهَا وَعَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ خَلَقَهَا اللهُ تَعَالَى فَقَالَتْ يَا مُحَمَّدُ انْظُرْنِي أَسْأَلُكَ فَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَيْهَا وَفِيهِ أَنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لَهُ أَمَّا الدَّاعِي الْأَوَّلُ فَهُوَ دَاعِي الْيَهُودِ وَلَوْ أَجَبْتَهُ لَتَهَوَّدَتْ أُمَّتُكَ وَأَمَّا الثَّانِي فَدَاعِي النَّصَارَى وَلَوْ أَجَبْتَهُ لَتَنَصَّرَتْ أُمَّتُكَ وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَالدُّنْيَا * وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّهُ رَأَى أَخْوِنَةً عَلَيْهَا لَحْمٌ طَيِّبٌ لَيْسَ عَلَيْهَا أَحَدٌ وَأُخْرَى عَلَيْهَا لَحْمٌ نَتِنٌ عَلَيْهَا نَاسٌ يَأْكُلُونَ قَالَ جِبْرِيلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتْرُكُونَ الْحَلَالَ وَيَأْكُلُونَ الْحَرَامَ وَفِيهِ أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ بُطُونُهُمْ أَمْثَالُ الْبُيُوتِ كُلَّمَا نَهَضَ أَحَدُهُمْ خَرَّ وَأَنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لَهُ هُمْ أَكَلَةُ الرِّبَا وَأَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ مَشَافِرُهُمْ كَالْإِبِلِ يَلْتَقِمُونَ جَمْرًا فَيَخْرُجُ مِنْ أَسَافِلِهِمْ وَأَنَّ جِبْرِيلَ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا وَأَنَّهُ مَرَّ بِنِسَاءٍ تَعَلَّقْنَ بِثُدِيِّهِنَّ وَأَنَّهُنَّ الزَّوَانِي وَأَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ يُقْطَعُ مِنْ جُنُوبِهِمُ اللَّحْمُ فَيُطْعَمُونَ وَأَنَّهُمُ الْغَمَّازُونَ اللَّمَّازُونَ وَفِيهِ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ أَوْثَقْتُ دَابَّتِي بِالْحَلْقَةِ الَّتِي كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ تَرْبِطُهَا فِيهَا فَدَخَلْتُ أَنَا وَجِبْرِيلُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَصَلَّى كُلٌّ وَاحِدٍ مِنَّا رَكْعَتَيْنِ • وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ أَيِ اخْتَرْتَ اللَّبَنَ الَّذِي عَلَيْهِ بُنِيَتِ الْخِلْقَةُ وَقَالَ النَّوَوِيُّ الْمُرَادُ بِالْفِطْرَةِ هُنَا الْإِسْلَامُ وَالْإِسْتِقَامَةُ • وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ نَحْوُهُ وَزَادَ ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَعَرَفْتُ النَّبِيِّينَ مَا بَيْنَ قَائِمٍ وَرَاكِعٍ وَسَاجِدٍ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ فَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَقُمْنَا صُفُوفًا نَنْتَظِرُ مَنْ يَؤُمُّنَا فَأَخَذَ بِيَدِي جِبْرِيلُ فَقَدَّمَنِي فَصَلَّيْتُ بِهِمْ •

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي أُمَامَةَ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَتَدَافَعُوا حَتَّى قَدَّمُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ *وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ثُمَّ أَتَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَنَزَلَ فَرَبَطَ فَرَسَهُ إِلَى صَخْرَةٍ ثُمَّ دَخَلَ فَصَلَّى مَعَ الْمَلَائِكَةِ فَلَمَّا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ قَالُوا يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا مَعَكَ قَالَ هَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ قَالُوا وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قَالُوا حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَخَلِيفَةٍ فَنِعْمَ الْأَخُ وَنِعْمَ الْخَلِيفَةُ ثُمَّ لَقُوا أَرْوَاحَ الْأَنْبِيَاءِ فَأَثْنَوْا عَلَى رَبِّهِمْ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اتَّخَذَنِي خَلِيلًا وَأَعْطَانِي مُلْكًا عَظِيمًا وَجَعَلَنِي أُمَّةً قَانِتًا يُؤْتَمُّ بِي وَأَنْقَذَنِي مِنَ النَّارِ وَجَعَلَهَا عَلَيَّ بَرْدًا وَسَلَامًا ۔ ثُمَّ إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَلَّمَنِي تَكْلِيمًا وَاصْطَفَانِي وَأَنْزَلَ عَلَيَّ التَّوْرَاةَ وَجَعَلَ هَلَاكَ فِرْعَوْنَ وَنَجَاةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى يَدِي وَجَعَلَ مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ۔ ثُمَّ إِنَّ دَاوُدَ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِي مُلْكًا عَظِيمًا وَعَلَّمَنِي الزَّبُورَ وَأَلَانَ لِي الْحَدِيدَ وَسَخَّرَ لِي الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ مَعِي وَالطَّيْرَ وَآتَانِي الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ۔ ثُمَّ إِنَّ سُلَيْمَانَ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَخَّرَ لِي الرِّيَاحَ وَسَخَّرَ لِي الشَّيَاطِينَ يَعْمَلُونَ مَا شِئْتُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَعَلَّمَنِي مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَآتَانِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَسَخَّرَ لِي جُنُودَ الشَّيَاطِينِ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالطَّيْرِ وَآتَانِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي وَجَعَلَ مُلْكِي مُلْكًا طَيِّبًا لَيْسَ فِيهِ حِسَابٌ ۔ ثُمَّ إِنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنِي كَلِمَتَهُ وَجَعَلَنِي مِثْلَ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَعَلَّمَنِي الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ

وَالْإِنْجِيلَ وَجَعَلَنِي أَخْلُقُ أَيْ أُصَوِّرُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ
طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَجَعَلَنِي أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ
وَرَفَعَنِي وَطَهَّرَنِي وَأَعَاذَنِي وَأُمِّي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْنَا سَبِيلٌ.
وَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ فَقَالَ كُلُّكُمْ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ وَأَنَا
أُثْنِي عَلَى رَبِّي الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَكَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا
وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْفُرْقَانَ فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَجَعَلَ أُمَّتِي خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
وَجَعَلَ أُمَّتِي أُمَّةً وَسَطًا وَجَعَلَ أُمَّتِي هُمُ الْأَوَّلُونَ وَهُمُ الْآخِرُونَ وَشَرَحَ لِي
صَدْرِي وَوَضَعَ عَنِّي وِزْرِي وَرَفَعَ لِي ذِكْرِي وَجَعَلَنِي فَاتِحًا وَخَاتِمًا فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ
بِهٰذَا فَضَلَكُمْ مُحَمَّدٌ. ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ عُرِجَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا
وَمِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ وَذَكَرَهُ فِي الشِّفَاءِ مُخْتَصَرًا * وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ فِي
تَفْسِيرِهِ عَنْ أَنَسٍ فَلَمَّا بَلَغَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَبَلَغَ الْمَكَانَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بَابُ مُحَمَّدٍ
أَتَى إِلَى الْحَجَرِ الَّذِي بِهِ فَغَمَزَهُ جِبْرِيلُ بِإِصْبَعِهِ فَثَقَبَهُ ثُمَّ رَبَطَهَا ثُمَّ صَعِدَ فَلَمَّا
اسْتَوَيَا فِي سَرْحَةِ الْمَسْجِدِ أَيْ فِنَائِهِ قَالَ جِبْرِيلُ يَا مُحَمَّدُ هَلْ سَأَلْتَ رَبَّكَ أَنْ
يُرِيَكَ الْحُورَ الْعِينَ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَانْطَلِقْ إِلَى أُولَئِكَ النِّسْوَةِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِنَّ قَالَ
فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِنَّ فَرَدَدْنَ عَلَيَّ السَّلَامَ فَقُلْتُ لِمَنْ أَنْتُنَّ فَقُلْنَ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ نِسَاءُ
قَوْمٍ أَبْرَارٍ نُقُوا فَلَمْ يَدْرَنُوا وَأَقَامُوا فَلَمْ يَظْعَنُوا وَخُلِّدُوا فَلَمْ يَمُوتُوا قَالَ ثُمَّ انْصَرَفْتُ
فَلَمْ أَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى اجْتَمَعَ نَاسٌ كَثِيرٌ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ
قَالَ فَقُمْنَا صُفُوفًا نَنْتَظِرُ مَنْ يَؤُمُّنَا فَأَخَذَ بِيَدِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

فقدمني فصليت بهم فلما انصرفت قال لي جبريل أتدري من صلى خلفك قلت لا قال صلى خلفك كل نبي بعثه الله . قال القاضي عياض والأظهر أن صلاته بهم في بيت المقدس كانت قبل العروج وقال ابن كثير صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج وبعده فإن في الحديث ما يدل على ذلك ولا مانع منه * ووقع في بعض طرق الحديث أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء في السموات *وروى ابن إسحاق أنه عليه الصلاة والسلام قال لما فرغت مما كان في بيت المقدس أتي بالمعراج ولم أر قط شيئا أحسن منه وهو الذي يمد إليه الميت عينيه إذا احتضر فأصعدني صاحبي فيه حتى انتهى إلى باب من أبواب السماء وفي رواية كعب فوضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب حتى عرج هو وجبريل وفي كتاب شرف المصطفى أنه أتي بالمعراج من جنة الفردوس وأنه منضد باللؤلؤ عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة . وفي حديث البخاري الذي تقدم صدره عن قتادة عن أنس بن مالك فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم قال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى

وَعِيسَى فَسَلَّمْ عَلَيْهِمَا فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا ثُمَّ قَالَا مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَٰذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ قَالَ هَٰذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَٰذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا إِدْرِيسُ قَالَ هَٰذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَٰذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ قَالَ هَٰذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَٰذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى قَالَ هَٰذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى قِيلَ لَهُ وَمَا يُبْكِيكَ قَالَ أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي. ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ هَٰذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ وَمَنْ

مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ هٰذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ قَالَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ فَقَالَ مَرْحَبًا بِالْإِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ . ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبِقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيلَةِ قَالَ هٰذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ فَقُلْتُ مَا هٰذَا يَا جِبْرِيلُ قَالَ أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ . ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ . ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ . ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَاةُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ بِمَ أُمِرْتَ قُلْتُ أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ وَإِنِّي وَاللّٰهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ قَالَ سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ وَلٰكِنْ أَرْضَى

وَأُسَلِّمُ قَالَ فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَانِي مُنَادٍ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي * وَفِي الْبُخَارِيِّ فِي الصَّلَاةِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ حِينَ خَلَصَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى فَقَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْإِبْنِ الصَّالِحِ قُلْتُ لِجِبْرِيلَ مَنْ هٰذَا قَالَ هٰذَا آدَمُ وَهٰذِهِ الْأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَالْأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ عَنْ شِمَالِهِ بَكَى. وَالْأَسْوِدَةُ جَمْعُ سَوَادٍ هِيَ الْأَشْخَاصُ وَالنَّسَمُ جَمْعُ نَسَمَةٍ وَهِيَ الرُّوحُ. وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ. وَفِيهِ فِي السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ. وَفِي حَدِيثِ الْبَيْهَقِيِّ وَغَيْرِهِ فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللهُ قَدْ فَضَلَ النَّاسَ بِالْحُسْنِ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى غَيْرِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الصَّوْتِ وَكَانَ نَبِيُّكُمْ أَحْسَنَهُمْ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُمْ صَوْتًا * وَوَقَعَ فِي غَيْرِ رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ هُنَا زِيَادَةٌ. فَمِنْهَا مَا وَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ فِي دَلَائِلِهِ ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ سَانِدٌ ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ كَأَحْسَنِ الرِّجَالِ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قَوْمِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ وَإِذَا بِأُمَّتِي شَطْرَيْنِ

شَطْرٌ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بِيضٌ كَأَنَّهُمُ الْقَرَاطِيسُ وَشَطْرٌ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ رُمْدَةٌ قَالَ فَدَخَلْتُ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ وَدَخَلَ مَعِي الَّذِينَ عَلَيْهِمُ الثِّيَابُ الْبِيضُ وَحُجِبَ الْآخَرُونَ الَّذِينَ عَلَيْهِمُ الثِّيَابُ الرُّمْدَةُ فَصَلَّيْتُ أَنَا وَمَنْ مَعِي فِي الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ . وَفِي رِوَايَةِ الطَّبَرَانِيِّ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ أَشْمَطَ جَالِسًا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ عَلَى كُرْسِيٍّ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ جُلُوسٌ بِيضُ الْوُجُوهِ أَمْثَالُ الْقَرَاطِيسِ وَقَوْمٌ فِي أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ فَدَخَلُوا نَهَرًا فَاغْتَسَلُوا فِيهِ فَخَرَجُوا وَقَدْ خَلَصَ مِنْ أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ ثُمَّ دَخَلُوا نَهَرًا آخَرَ فَاغْتَسَلُوا فِيهِ فَخَرَجُوا وَقَدْ خَلَصَ مِنْ أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ ثُمَّ دَخَلُوا نَهَرًا آخَرَ فَاغْتَسَلُوا فِيهِ فَخَرَجُوا وَقَدْ خَلَصَتْ أَلْوَانُهُمْ وَصَارَتْ مِثْلَ أَلْوَانِ الْبِيضِ الْوُجُوهِ فَقَالَ مَنْ هٰذَا وَمَنْ هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ وَمَا هٰذِهِ الْأَنْهَارُ الَّتِي دَخَلُوا فِيهَا وَقَدْ صَفَتْ أَلْوَانُهُمْ قَالَ هٰذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ أَوَّلُ مَنْ شَمِطَ عَلَى الْأَرْضِ وَأَمَّا هٰؤُلَاءِ الْبِيضُ الْوُجُوهِ فَقَوْمٌ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ وَأَمَّا هٰؤُلَاءِ النَّفَرُ الَّذِينَ فِي أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ فَقَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا فَتَابُوا فَتَابَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَأَمَّا الْأَنْهَارُ فَأَوَّلُهَا رَحْمَةُ اللّٰهِ وَالثَّانِي نِعْمَةُ اللّٰهِ وَالثَّالِثُ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * وَعَنْ عَبْدِ اللّٰهِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَاقٍ رَبَّكَ اللَّيْلَةَ وَإِنَّ أُمَّتَكَ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَضْعَفُهَا فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ حَاجَتُكَ فِي أُمَّتِكَ فَافْعَلْ * وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَعْدَ أَنْ رَأَى إِبْرَاهِيمَ قَالَ ثُمَّ انْطَلَقَ بِي عَلَى ظَهْرِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى نَهَرٍ عَلَيْهِ خِيَامُ الْيَاقُوتِ وَاللُّؤْلُؤِ وَالزَّبَرْجَدِ وَعَلَيْهِ طَيْرٌ أَخْضَرُ أَنْعَمُ

طَيْرٍ رَأَيْتُ قَالَ جِبْرِيلُ هٰذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ فَإِذَا فِيهِ آنِيَةُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ يَجْرِي عَلَى رَضْرَاضٍ مِنَ الْيَاقُوتِ وَالزُّمُرُّدِ مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ قَالَ فَأَخَذْتُ مِنْ آنِيَتِهِ فَاغْتَرَفْتُ مِنْ ذٰلِكَ الْمَاءِ فَشَرِبْتُ فَإِذَا هُوَ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَشَدُّ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ وَإِذَا طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ فَقَالَ جِبْرِيلُ هٰذَا الْكَوْثَرُ. وَقَدْ وَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ. وَالْجَنَابِذُ الْقِبَابُ * وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ قَالَ ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا كُلُّ وَرَقَةٍ مِنْهَا تُغَطِّي هٰذِهِ الْأُمَّةَ وَإِذَا فِيهَا عَيْنٌ تَجْرِي يُقَالُ لَهَا السَّلْسَبِيلُ فَيَنْشَقُّ مِنْهَا نَهْرَانِ أَحَدُهُمَا الْكَوْثَرُ وَالْآخَرُ يُقَالُ لَهُ الرَّحْمَةُ فَاغْتَسَلْتُ فِيهِ فَغُفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَمَا تَأَخَّرَ ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى الْجَنَّةِ فَاسْتَقْبَلَتْنِي جَارِيَةٌ فَقُلْتُ لَهَا لِمَنْ أَنْتِ يَا جَارِيَةُ قَالَتْ لِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَفِيهِ وَإِذَا رُمَّانُهَا كَأَنَّهُ الدِّلَاءُ عِظَماً وَإِذَا طَيْرُهَا كَأَنَّهُ الْبُخْتُ ثُمَّ عُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ فَإِذَا فِيهَا غَضَبُ اللّٰهِ وَرِجْزُهُ وَنِقْمَتُهُ لَوْ طُرِحَتْ فِيهَا الْحِجَارَةُ وَالْحَدِيدُ لَأَكَلَتْهَا ثُمَّ أُغْلِقَتْ دُونِي * وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ فِي الصَّلَاةِ ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ الْحَدِيثَ. وَالْمُسْتَوَى الْمَصْعَدُ وَصَرِيفُ الْأَقْلَامِ تَصْوِيتُهَا حَالَةَ الْكِتَابَةِ وَالْمُرَادُ مَا تَكْتُبُهُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ أَقْضِيَةِ اللّٰهِ تَعَالَى * وَذَكَرَ أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ غَالِبٍ فِيمَا تَكَلَّمَ فِيهِ عَلَى أَحَادِيثِ الْحُجُبِ السَّبْعِينَ وَالسَّبْعِمِائَةِ

وَالسَّبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ وَعَزَاهَا لِأَبِي الرَّبِيعِ ابْنِ سَبْعٍ فِي شِفَاءِ الصُّدُورِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مَبْدَأَ حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ أَتَانِي جِبْرِيلُ وَكَانَ السَّفِيرَ بِي إِلَى رَبِّي إِلَى أَنِ انْتَهَى إِلَى مَقَامٍ ثُمَّ وَقَفَ عِنْدَ ذَلِكَ فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ يَتْرُكُ الْخَلِيلُ خَلِيلَهُ فَقَالَ إِنْ تَجَاوَزْتُهُ احْتَرَقْتُ بِالنُّورِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا جِبْرِيلُ هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ إِلَى رَبِّكَ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ سَلِ اللهَ فِي أَنْ أَبْسُطَ جَنَاحِي عَلَى الصِّرَاطِ لِأُمَّتِكَ حَتَّى يَجُوزُوا عَلَيْهِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ زُجَّ بِي فِي النُّورِ زَجًّا فَخَرَقَ بِي سَبْعُونَ أَلْفَ حِجَابٍ لَيْسَ فِيهَا حِجَابٌ يُشْبِهُ حِجَابًا وَانْقَطَعَ عَنِّي حِسُّ كُلِّ مَلَكٍ وَإِنْسِيٍّ فَلَحِقَنِي عِنْدَ ذَلِكَ اسْتِيحَاشٌ فَعِنْدَ ذَلِكَ نَادَانِي مُنَادٍ بِلُغَةِ أَبِي بَكْرٍ قِفْ إِنَّ رَبَّكَ يُصَلِّي فَبَيْنَمَا أَنَا أَتَفَكَّرُ فِي ذَلِكَ أَقُولُ هَلْ سَبَقَنِي أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا النِّدَاءُ مِنَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى ادْنُ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ ادْنُ يَا أَحْمَدُ ادْنُ يَا مُحَمَّدُ لِيَدْنُ الْحَبِيبُ فَأَدْنَانِي رَبِّي حَتَّى كُنْتُ كَمَا قَالَ تَعَالَى «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» قَالَ وَسَأَلَنِي رَبِّي فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُجِيبَهُ فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ بِلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَحْدِيدٍ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَأَوْرَثَنِي عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَعَلَّمَنِي عُلُومًا شَتَّى فَعِلْمٌ أَخَذَ عَلَيَّ كِتْمَانَهُ إِذْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى حَمْلِهِ أَحَدٌ غَيْرِي وَعِلْمٌ خَيَّرَنِي فِيهِ وَعَلَّمَنِي الْقُرْآنَ فَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُذَكِّرُنِي بِهِ وَعِلْمٌ أَمَرَنِي بِتَبْلِيغِهِ إِلَى الْعَامِّ وَالْخَاصِّ مِنْ أُمَّتِي وَلَقَدْ عَاجَلْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي آيَةٍ نَزَلَ عَلَيَّ بِهَا فَعَاتَبَنِي رَبِّي وَأَنْزَلَ عَلَيَّ «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ

مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا » ثُمَّ قُلْتُ أَللّٰهُمَّ إِنَّهُ لَمَّا لَحِقَنِي
أَسْتِيحَاشٌ قَبْلَ قُدُومِي عَلَيْكَ سَمِعْتُ مُنَادِيًا يُنَادِي بِلُغَةٍ تُشْبِهُ لُغَةَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ
لِي قِفْ إِنَّ رَبَّكَ يُصَلِّي فَعَجِبْتُ مِنْ هَاتَيْنِ هَلْ سَبَقَنِي أَبُو بَكْرٍ إِلَى هٰذَا الْمَقَامِ
وَإِنَّ رَبِّي لَغَنِيٌّ عَنْ أَنْ يُصَلِّيَ قَالَ فَنَادَانِي أَنَا الْغَنِيُّ عَنْ أَنْ أُصَلِّيَ لِأَحَدٍ وَإِنَّمَا
أَقُولُ سُبْحَانِي سُبْحَانِي سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي اقْرَأْ يَا مُحَمَّدُ «هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ
وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا»
فَصَلَاتِي رَحْمَةٌ لَكَ وَلِأُمَّتِكَ وَأَمَّا أَمْرُ صَاحِبِكَ يَا مُحَمَّدُ فَإِنَّ أَخَاكَ مُوسَى كَانَ
أُنْسُهُ بِالْعَصَا فَلَمَّا أَرَدْنَا كَلَامَهُ قُلْنَا وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ
وَشُغِلَ بِذِكْرِ الْعَصَا عَنْ عَظِيمِ الْهَيْبَةِ وَكَذٰلِكَ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ لَمَّا كَانَ أُنْسُكَ
بِصَاحِبِكَ أَبِي بَكْرٍ وَأَنَّكَ خُلِقْتَ أَنْتَ وَهُوَ مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ وَهُوَ أَنِيسُكَ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ خَلَقْنَا مَلَكًا عَلَى صُورَتِهِ يُنَادِيكَ بِلُغَتِهِ لِيَزُولَ عَنْكَ الْإِسْتِيحَاشُ
لِئَلَّا يَلْحَقَكَ مِنْ عَظِيمِ الْهَيْبَةِ مَا يَقْطَعُكَ عَنْ فَهْمِ مَا يُرَادُ مِنْكَ ثُمَّ قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى
وَأَيْنَ حَاجَةُ جِبْرِيلَ فَقُلْتُ أَللّٰهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ قَدْ أَجَبْتُهُ فِيمَا سَأَلَ
وَلٰكِنْ فِي مَنْ أَحَبَّكَ وَصَحِبَكَ • وَفِي رِوَايَةٍ فَتَقَدَّمْتُ وَجِبْرِيلُ عَلَى أَثَرِي حَتَّى
انْتَهَى بِي إِلَى حِجَابِ فِرَاشِ الذَّهَبِ فَحَرَّكَ الْحِجَابَ فَقِيلَ مَنْ هٰذَا قَالَ أَنَا جِبْرِيلُ
وَمَعِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ الْمَلَكُ أَللّٰهُ أَكْبَرُ فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ تَحْتِ
الْحِجَابِ فَاحْتَمَلَنِي فَوَضَعَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ فِي أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ وَغِلَظُ الْحِجَابِ
مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ فَقَالَ لِي تَقَدَّمْ يَا مُحَمَّدُ فَمَضَيْتُ فَانْطَلَقَ بِي الْمَلَكُ فِي أَسْرَعِ

مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ إِلَى حِجَابِ اللُّؤْلُؤِ فَحَرَّكَ الْحِجَابَ فَقَالَ الْمَلَكُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ
مَنْ هٰذَا قَالَ أَنَا فُلَانٌ صَاحِبُ حِجَابِ الذَّهَبِ وَهٰذَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولُ
رَبِّ الْعِزَّةِ مَعِي فَقَالَ الْمَلَكُ اللّٰهُ أَكْبَرُ فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ تَحْتِ الْحِجَابِ فَاحْتَمَلَنِي
حَتَّى وَضَعَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمْ أَزَلْ كَذٰلِكَ مِنْ حِجَابٍ إِلَى حِجَابٍ حَتَّى جَاوَزْتُ سَبْعِينَ
حِجَابًا غِلَظُ كُلِّ حِجَابٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ثُمَّ دُلِّيَ لِي رَفْرَفٌ أَخْضَرُ تَغْلِبُ
خُضْرَتُهُ ضَوْءَ الشَّمْسِ فَالْتَمَعَ بَصَرِي وَوُضِعْتُ عَلَى ذٰلِكَ الرَّفْرَفِ ثُمَّ احْتُمِلْتُ
حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى الْعَرْشِ فَأَبْصَرْتُ أَمْرًا عَظِيمًا لَا تَنَالُهُ الْأَلْسُنُ ثُمَّ دُلِّيَ لِي قَطْرَةٌ
مِنَ الْعَرْشِ فَوَقَعَتْ عَلَى لِسَانِي فَمَا ذَاقَ الذَّائِقُونَ شَيْئًا قَطُّ أَحْلَى مِنْهَا فَأَنْبَأَنِي اللّٰهُ
بِهَا نَبَأَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَنَوَّرَ قَلْبِي وَغَشِيَ نُورُ عَرْشِهِ بَصَرِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا فَجَعَلْتُ
أَرَى بِقَلْبِي وَلَا أَرَى بِعَيْنِي وَرَأَيْتُ مِنْ خَلْفِي وَمِنْ بَيْنِ كَتِفَيَّ كَمَا رَأَيْتُ أَمَامِي
الْحَدِيثَ رَوَاهُ وَالَّذِي قَبْلَهُ فِي كِتَابِ شِفَاءِ الصُّدُورِ كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ غَالِبٍ.
وَالرَّفْرَفُ الْبِسَاطُ. وَاعْلَمْ أَنَّ مَا ذُكِرَ فِي هٰذَا الْمَحَلِّ الرَّفِيعِ مِنَ الْحُجُبِ فَهُوَ فِي حَقِّ
الْمَخْلُوقِ لَا فِي حَقِّ الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ فَاللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنَزَّهٌ عَمَّا يَحْجُبُهُ * وَعَنِ ابْنِ
عَبَّاسٍ وَعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ وَغَيْرِهِمْ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنِهِ بِلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَشْبِيهٍ * وَلَمَّا رَجَعَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
سَفَرِ الْإِسْرَاءِ مَرَّ فِي بَعْضِ طَرِيقِهِ بِعِيرٍ لِقُرَيْشٍ تَحْمِلُ طَعَامًا فِيهَا جَمَلٌ عَلَيْهِ غِرَارَتَانِ
غِرَارَةٌ سَوْدَاءُ وَغِرَارَةٌ بَيْضَاءُ فَلَمَّا حَاذَى الْعِيرَ نَفَرَتْ مِنْهُ وَاسْتَدَارَتْ وَصُرِعَ
ذٰلِكَ الْجَمَلُ وَفِي رِوَايَةٍ وَمَرَّ بِعِيرٍ قَدْ أَضَلُّوا بَعِيرًا لَهُمْ قَدْ جَمَعَهُ فُلَانٌ قَالَ صَلَّى اللّٰهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ هٰذَا صَوْتُ مُحَمَّدٍ ثُمَّ أَتَى مَكَّةَ قَبْلَ الصُّبْحِ وَأَخْبَرَ قَوْمَهُ بِمَا رَأَى وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ مِنْ آيَةِ مَا أَقُولُ لَكُمْ أَنِّي مَرَرْتُ بِعِيرِكُمْ فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ أَضَلُّوا بَعِيرًا لَهُمْ فَجَمَعَهُ فُلَانٌ وَإِنَّ مَسِيرَهُمْ يَنْزِلُونَ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا وَيَأْتُونَكُمْ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا يَقْدُمُهُمْ جَمَلٌ آدَمُ عَلَيْهِ مِسْحٌ أَسْوَدُ وَغِرَارَتَانِ فَلَمَّا كَانَ ذٰلِكَ الْيَوْمُ أَشْرَفَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبٌ مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ أَقْبَلَتِ الْعِيرُ يَقْدُمُهُمْ ذٰلِكَ الْجَمَلُ الَّذِي وَصَفَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ٠ وَفِي رِوَايَةٍ سَأَلُوهُ آيَةً فَأَخْبَرَهُمْ بِقُدُومِ الْعِيرِ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ فَلَمَّا كَانَ ذٰلِكَ الْيَوْمُ لَمْ يَقْدَمُوا حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرُبَ فَدَعَا اللّٰهَ تَعَالَى فَحَبَسَ الشَّمْسَ حَتَّى قَدِمُوا كَمَا وَصَفَ ٠ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا أَنَّهُ سَعَى رِجَالٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ فَقَالُوا هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَالَ وَقَدْ كَانَ ذٰلِكَ قَالُوا نَعَمْ قَالَ لَئِنْ قَالَ ذٰلِكَ لَقَدْ صَدَقَ قَالُوا تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَقَالَ نَعَمْ إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذٰلِكَ أُصَدِّقُهُ فِي خَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ فَلِذٰلِكَ سُمِّيَ الصِّدِّيقَ رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَابْنُ إِسْحٰقَ وَزَادَ ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللّٰهِ أَحَدَّثْتَ هٰؤُلَاءِ أَنَّكَ جِئْتَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ اللَّيْلَةَ قَالَ نَعَمْ فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللّٰهِ صِفْهُ لِي فَإِنِّي قَدْ جِئْتُهُ قَالَ الْحَسَنُ فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرُفِعَ لِي الْمَسْجِدُ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ فَجَعَلَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصِفُهُ لِأَبِي بَكْرٍ فَيَقُولُ

أَبُو بَكْرٍ صَدَقْتَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ ٱللهِ كُلَّمَا وَصَفَ لَهُ مِنْهُ شَيْئاً. وَقَوْلُ أَبِي بَكْرٍ صِفْهُ لِي لَمْ يَكُنْ عَنْ شَكٍّ فَإِنَّهُ صَدَّقَهُ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَلٰكِنَّهُ أَرَادَ إِظْهَارَ صِدْقِهِ لِقَوْمِهِ. وَفِي رِوَايَةِ ٱلْبُخَارِيِّ فَجَلَّى ٱللهُ لِي بَيْتَ ٱلْمَقْدِسِ أَيْ كَشَفَ ٱلْحُجُبَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ حَتَّى رَأَيْتُهُ. وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ فَسَأَلُونِي عَنْ أَشْيَاءَ لَمْ أُثْبِتْهَا فَكُرِبْتُ كَرْباً شَدِيداً لَمْ أُكْرَبْ مِثْلَهُ قَطُّ فَرَفَعَهُ ٱللهُ إِلَيَّ أَنْظُرُ إِلَيْهِ. مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ. وَفِي حَدِيثِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ فَجِيءَ بِٱلْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ حَتَّى وُضِعَ عِنْدَ دَارِ عَقِيلٍ فَنَعَتُّهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ. وَهٰذَا أَبْلَغُ فِي ٱلْمُعْجِزَةِ وَلَا ٱسْتِحَالَةَ فِيهِ فَقَدْ أُحْضِرَ عَرْشُ بَلْقِيسَ بِطَرْفَةِ عَيْنٍ. وَفِي حَدِيثِ أُمِّ هَانِئٍ أَنَّهُمْ قَالُوا كَمْ لِلْمَسْجِدِ مِنْ بَابٍ قَالَ وَلَمْ أَكُنْ عَدَدْتُهَا قَالَ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَأَعُدُّهَا بَاباً بَاباً. وَفِي كَلَامِ بَعْضِ أَهْلِ ٱلْإِشَارَاتِ لَمَّا كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَرَةَ شَجَرَةِ ٱلْكَوْنِ وَدُرَّةَ صَدَفَةِ ٱلْوُجُودِ وَسِرَّ مَعْنَى كَلِمَةِ كُنْ وَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ عَرْضِ هٰذِهِ ٱلثَّمَرَةِ بَيْنَ يَدَيْ مُثْمِرِهَا وَرَفْعِهَا إِلَى حَضْرَةِ قُدْسِهِ وَٱلطَّوَافِ بِهَا عَلَى نُدْمَانِ حَضْرَتِهِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ أَعَزَّ خُدَّامِ ٱلْمَلِكِ عَلَيْهِ فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ قَادِماً وَافَاهُ عَلَى فِرَاشِهِ نَائِماً فَقَالَ لَهُ قُمْ يَا نَائِمُ فَقَدْ هُيِّئَتْ لَكَ ٱلْغَنَائِمُ قَالَ يَا جِبْرِيلُ إِلَى أَيْنَ قَالَ يَا مُحَمَّدُ ٱرْفَعِ ٱلْأَيْنَ مِنَ ٱلْبَيْنِ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ ٱلْقِدَمِ أُرْسِلْتُ إِلَيْكَ لِأَكُونَ مِنْ جُمْلَةِ ٱلْخَدَمِ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ مُرَادُ ٱلْإِرَادَةِ ٱلْكُلُّ مُرَادٌ لِأَجْلِكَ وَأَنْتَ مُرَادٌ لِأَجْلِهِ أَنْتَ صَفْوَةُ كَأْسِ ٱلْمَحَبَّةِ أَنْتَ دُرَّةُ هٰذِهِ ٱلصَّدَفَةِ أَنْتَ شَمْسُ ٱلْمَعَارِفِ أَنْتَ بَدْرُ ٱللَّطَائِفِ مَا مُهِّدَتِ ٱلدَّارُ إِلَّا لِأَجْلِكَ مَا حُمِيَ هٰذَا ٱلْحِمَى إِلَّا لِوَصْلِكَ

مَارُوِّقَ كَأْسُ الْمَحَبَّةِ إِلاَّ لِشُرْبِكَ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَاجِبْرِيلُ فَالْكَرِيمُ يَدْعُونِي إِلَيْهِ فَمَا الَّذِي يَفْعَلُ بِي قَالَ لِيَغْفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ يَاجِبْرِيلُ هٰذَا لِي فَمَا لِعِيَالِي وَأَطْفَالِي قَالَ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى قَالَ يَاجِبْرِيلُ الْآنَ طَابَ قَلْبِي هَا أَنَا ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي ثُمَّ قَالَ جِبْرِيلُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّمَا جِيءَ بِي إِلَيْكَ اللَّيْلَةَ لِأَكُونَ خَادِمَ دَوْلَتِكَ وَحَاجِبَ حَاشِيَتِكَ وَحَامِلَ غَاشِيَتِكَ وَجِيءَ بِالْمَرْكُوبِ إِلَيْكَ لِإِظْهَارِ كَرَامَتِكَ لِأَنَّ مِنْ عَادَةِ الْمُلُوكِ إِذَا اسْتَزَارُوا حَبِيبًا أَوِ اسْتَدْعَوْا قَرِيبًا وَأَرَادُوا ظُهُورَ إِكْرَامِهِ وَاحْتِرَامِهِ أَرْسَلُوا أَخَصَّ خُدَّامِهِمْ وَأَعَزَّ نُوَّابِهِمْ لِنَقْلِ أَقْدَامِهِمْ فَجِئْنَاكَ عَلَى رَسْمِ عَادَةِ الْمُلُوكِ وَآدَابِ السُّلُوكِ وَمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ يَصِلُ إِلَيْهِ بِالْخُطَا فَقَدْ وَقَعَ فِي الْخَطَا وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ مَحْجُوبٌ بِالْغِطَا فَقَدْ حُرِمَ الْعَطَا * وَلِبَعْضِ أَهْلِ الْإِشَارَاتِ أَيْضًا كَأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مُحَمَّدُ قَدْ أَعْطَيْتُكَ نُورًا تَنْظُرُ بِهِ جَمَالِي وَسَمْعًا تَسْمَعُ بِهِ كَلَامِي يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أُعَرِّفُكَ بِلِسَانِ الْحَالِ مَعْنَى عُرُوجِكَ إِلَيَّ يَا مُحَمَّدُ أَرْسَلْتُكَ إِلَى النَّاسِ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَالشَّاهِدُ مُطَالَبٌ بِحَقِيقَةِ مَا يَشْهَدُ بِهِ فَأُرِيكَ جَنَّتِي لِتُشَاهِدَ مَا أَعْدَدْتُ فِيهَا لِأَوْلِيَائِي وَأُرِيكَ نَارِي لِتُشَاهِدَ مَا أَعْدَدْتُ فِيهَا لِأَعْدَائِي ثُمَّ أُشْهِدُكَ جَلَالِي وَأَكْشِفُ لَكَ عَنْ جَمَالِي لِتَعْلَمَ أَنِّي مُنَزَّهٌ فِي كَمَالِي عَنِ الشَّبِيهِ وَالنَّظِيرِ وَالْوَزِيرِ وَالْمُشِيرِ فَرَآهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنُّورِ الَّذِي قَوَّاهُ مِنْ غَيْرِ إِدْرَاكٍ وَلَا إِحَاطَةٍ فَرْدًا صَمَدًا لَا فِي شَيْءٍ وَلَا مِنْ شَيْءٍ وَلَا قَائِمًا بِشَيْءٍ وَلَا عَلَى شَيْءٍ وَلَا مُفْتَقِرًا إِلَى شَيْءٍ لَيْسَ

كمثله شيء فلما كلمه شفاهاً وشاهده كفاحاً قيل له يا محمد لا بد لهذه الخلوة من سر لا يذاع ورمز لا يشاع فأوحى إلى عبده ما أوحى فكان سراً من سر لم يقف عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولما انتهى إلى العرش تمسك العرش بأذياله وناداه بلسان حاله يا محمد أنت في صفاء وقتك آمن من مقتك أشهدك جمال أحديته وأطلعك على جلال صمديته وأنا الظمآن إليه اللهفان عليه المتحير فيه لا أدري من أي وجه آتيه جعلني أعظم خلقه فكنت أعظمهم منه هيبة وأكثرهم فيه حيرة وأشدهم منه خوفاً يا محمد خلقني فكنت أرعد لهيبة جلاله فكتب على قائمتي لا إله إلا الله فازددت لهيبة اسمه ارتعاداً وارتعاشاً فكتب محمد رسول الله فسكن لذلك قلقي وهدأ روعي فكان اسمك لقاحاً القلبي وطمأنينة لسري فهذه بركة اسمك علي فكيف إذا وقع جميل نظرك إلي يا محمد أنت المرسل رحمة للعالمين ولا بد لي من نصيب من هذه الرحمة ونصيبي يا حبيبي أن تشهد لي بالبراءة مما نسبه أهل الزور إلي وتقوله أهل الغرور علي زعموا أني أسع من لا مثيل له وأحيط بمن لا كيفية له يا محمد من لا حد لذاته ولا عد لصفاته كيف يكون مفتقراً إلي أو محمولاً علي إذا كان الرحمن اسمه والاستواء صفته وصفته متصلة بذاته فكيف يتصل بي أو ينفصل عني يا محمد وعزته لست بالقريب منه وصلاً ولا بالبعيد منه فصلاً ولا بالمطيق له حملاً أوجدني منه رحمة وفضلاً ولو محقني لكان حقاً منه وعدلاً يا محمد أنا محمول قدرته ومعمول حكمته * فأجاب لسان حال رسول الله صلى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّهَا الْعَرْشُ إِلَيْكَ عَنِّي أَنَا مَشْغُولٌ عَنْكَ فَلَا تُكَدِّرْ عَلَيَّ صَفْوَتِي وَلَا تُشَوِّشْ عَلَيَّ خَلْوَتِي فَمَا أَعَارَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ طَرْفًا وَلَا أَقْرَأَهُ مِنْ مَسْطُورِ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ حَرْفًا ☆

المقصد السادس

فِي بَعْضِ مَا وَرَدَ فِي آيِ التَّنْزِيلِ مِنْ عِظَمِ قَدْرِهِ وَرِفْعَةِ ذِكْرِهِ وَشَهَادَتِهِ تَعَالَى لَهُ بِصِدْقِ نُبُوَّتِهِ وَقَسَمِهِ عَلَى تَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَوُجُوبِ طَاعَتِهِ وَأَخْذِهِ تَعَالَى لَهُ الْمِيثَاقَ عَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ إِنْ أَدْرَكُوهُ وَلَيَنْصُرُنَّهُ وَالتَّنْوِيهِ بِهِ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ كَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَفِيهِ عَشَرَةُ أَنْوَاعٍ

النوع الاول

فِي آيَاتٍ تَتَضَمَّنُ عِظَمَ قَدْرِهِ وَرِفْعَةَ ذِكْرِهِ وَجَلِيلَ مَرْتَبَتِهِ وَعُلُوَّ دَرَجَتِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَتَشْرِيفَ مَنْزِلَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ اللهُ تَعَالَى «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ» قَالَ الْمُفَسِّرُونَ يَعْنِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلَّمَهُ بِلَا وَاسِطَةٍ وَلَيْسَ نَصًّا فِي اخْتِصَاصِ مُوسَى بِالْكَلَامِ وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ تَعَالَى كَلَّمَ نَبِيَّنَا أَيْضًا ٭ وَقَوْلُهُ تَعَالَى «وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ» يَعْنِي مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَفَعَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ بِالذَّاتِ فِي الْمِعْرَاجِ وَبِالسِّيَادَةِ عَلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ وَبِالْمُعْجِزَاتِ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أُوتِيَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ مَا لَمْ يُؤْتَهُ نَبِيٌّ قَبْلَهُ قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ وَفِي هَذَا الْإِبْهَامِ مِنْ

تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس. وقد بينت هذه الآية وكذا قوله تعالى «ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض» أن مراتب الرسل والأنبياء متفاوتة. قال بعض أهل العلم فيما حكاه القاضي عياض والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك ثلاثة أحوال أن تكون آياته ومعجزاته أظهر وأشهر أو تكون أمته أزكى وأكثر أو يكون في ذاته أفضل وأظهر وفضله في ذاته راجع إلى ما خصه الله تعالى به من كرامته وتفضيله بكلام أو خلة أو رؤية أو ما شاء الله من ألطافه وتحف ولايته واختصاصه. فلا مرية أن آيات نبينا صلى الله عليه وسلم ومعجزاته أظهر وأبهر وأكثر وأبقى وأقوى ومنصبه أعلى ودولته أعظم وأوفر وذاته أفضل وأطهر وخصوصياته على جميع الأنبياء أشهر من أن تذكر فدرجته أرفع من درجات جميع المرسلين وذاته أزكى وأفضل من سائر المخلوقين. وتأمل حديث الشفاعة في المحشر وانتهائها إليه وانفراده هناك بالسؤدد كما قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة رواه ابن ماجه. وفي حديث أنس عند الترمذي أنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر قال الفخر الرازي في المعالم إنه تعالى وصف الأنبياء بالأوصاف الحميدة ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم «أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده» وقد أتى بجميع ما أتوا به من الخصال الحميدة فقد اجتمع فيه ما كان مفرقا فيهم فيكون أفضل منهم، وإن دعوته

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَصَلَتْ إِلَى أَكْثَرِ بِلَادِ الْعَالَمِ بِخِلَافِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ
فَظَهَرَ أَنَّ انْتِفَاعَ أَهْلِ الدُّنْيَا بِدَعْوَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْمَلُ مِنَ انْتِفَاعِ
سَائِرِ الْأُمَمِ بِدَعْوَةِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ مِنْ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ.
وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ آدَمُ
فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي. وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ أَنَا سَيِّدُ
النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهٰذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمِنْ كُلِّ
أَوْلَادِهِ. وَلَمْ يَقُلْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ عُجْبًا وَافْتِخَارًا عَلَى مَنْ دُونَهُ
حَاشَاهُ اللهُ مِنْ ذٰلِكَ وَإِنَّمَا قَالَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِظْهَارًا لِنِعْمَةِ اللهِ تَعَالَى
عَلَيْهِ وَإِعْلَامًا لِلْأُمَّةِ بِقَدْرِ إِمَامِهِمْ وَمَتْبُوعِهِمْ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ لَدَيْهِ
تَعَالَى لِتَعْرِفَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِ فَذٰلِكَ فَرَحٌ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ كَمَا قَالَ
تَعَالَى «قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا». وَقَالَ اللهُ تَعَالَى «وَرَفَعْنَا لَكَ
ذِكْرَكَ» رَوَى ابْنُ خُزَيْمَةَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ تَدْرِي كَيْفَ رَفَعْتُ
ذِكْرَكَ قُلْتُ اللهُ أَعْلَمُ قَالَ إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي وَذَكَرَهُ الطَّبَرَانِيُّ وَصَحَّحَهُ
ابْنُ حِبَّانَ. وَعَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ ابْنِ أَبِي
نَجِيحٍ مَعْنَاهُ لَا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
رَسُولُ اللهِ قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ يَعْنِي وَاللهُ أَعْلَمُ ذِكْرَهُ عِنْدَ الْإِيمَانِ بِاللهِ

وَالْأَذَانِ قَالَ وَيحْتَمِلُ ذِكْرُهُ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْكِتَابِ وَعِنْدَ الْعَمَلِ بِالطَّاعَةِ وَالْوُقُوفِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ آدَمَ رَفَعَهُ بِالنُّبُوَّةِ . وَعَنِ ابْنِ عَطَاءٍ جَعَلْتُكَ ذِكْرًا مِنْ ذِكْرِي فَمَنْ ذَكَرَكَ ذَكَرَنِي. وَعَنْهُ أَيْضًا جَعَلْتُ تَمَامَ الْإِيمَانِ بِذِكْرِكَ مَعِي. قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ وَأَيُّ رَفْعٍ مِثْلُ أَنْ قَرَنَ اسْمَهُ بِاسْمِهِ فِي كَلِمَتَيِ الشَّهَادَةِ وَجَعَلَ طَاعَتَهُ طَاعَتَهُ يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» «وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ» «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ» «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ». وَقَالَ قَتَادَةُ وَرَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلَيْسَ خَطِيبٌ وَلَا مُتَشَهِّدٌ وَلَا صَاحِبُ صَلَاةٍ إِلَّا يَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . فَهُوَ مَذْكُورٌ مَعَهُ فِي الشَّهَادَةِ وَالتَّشَهُّدِ وَمَقْرُونٌ ذِكْرُهُ بِذِكْرِهِ فِي الْقُرْآنِ وَالْخُطَبِ وَالْأَذَانِ وَيُؤَذَّنُ بِاسْمِهِ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ . وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَ آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْهِنْدِ اسْتَوْحَشَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَنَادَى بِالْأَذَانِ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ مَرَّتَيْنِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَرَّتَيْنِ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ مَرَّتَيْنِ الْحَدِيثَ، وَكَتَبَ اسْمَهُ الشَّرِيفَ عَلَى الْعَرْشِ وَعَلَى كُلِّ سَمَاءٍ وَعَلَى الْجِنَانِ وَمَا فِيهَا رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ وَأَخْرَجَ الْبَزَّارُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ مَا مَرَرْتُ بِسَمَاءٍ إِلَّا وَجَدْتُ اسْمِي فِيهَا مَكْتُوبًا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ . وَفِي الْحِلْيَةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ عَلَيْهَا وَرَقَةٌ إِلَّا مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ

ٱللَّهِ ، وَشَقَّ ٱسْمَهُ ٱلْكَرِيمَ مِنِ ٱسْمِهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ حَسَّانُ :

وَشَقَّ لَهُ مِنِ ٱسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذُو ٱلْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهٰذَا مُحَمَّدُ

وَسَمَّاهُ مِنْ أَسْمَائِهِ ٱلْحُسْنَى بِنَحْوِ سَبْعِينَ ٱسْمًا ، وَصَلَّى عَلَيْهِ فِي مَلَائِكَتِهِ وَأَمَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِٱلصَّلَاةِ عَلَيْهِ فَقَالَ تَعَالَى « إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » فَأَخْبَرَ عِبَادَهُ بِمَنْزِلَةِ نَبِيِّهِ عِنْدَهُ فِي ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَى بِأَنَّهُ يُثْنِي عَلَيْهِ عِنْدَ ٱلْمَلَائِكَةِ وَأَنَّ ٱلْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَيْهِ ثُمَّ أَمَرَ ٱلْعَالَمَ ٱلسُّفْلِيَّ بِٱلصَّلَاةِ وَٱلتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ فَيَجْتَمِعُ ٱلثَّنَاءُ عَلَيْهِ مِنَ ٱللَّهِ وَأَهْلِ ٱلْعَالَمِينَ ٱلْعُلْوِيِّ وَٱلسُّفْلِيِّ جَمِيعًا وَغَيْرُ ذٰلِكَ مِنْ وُجُوهِ رِفْعَةِ ذِكْرِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * وَقَالَ تَعَالَى « طٰهٰ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لِتَشْقَى » ذَكَرُوا فِي سَبَبِ نُزُولِهَا أَقْوَالًا أَحَدُهَا أَنَّ أَبَا جَهْلٍ وَٱلْوَلِيدَ بْنَ ٱلْمُغِيرَةِ وَمُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ قَالُوا لِرَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّكَ تَشْقَى حَيْثُ تَرَكْتَ دِينَ آبَائِكَ فَقَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ بُعِثْتُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَأَنْزَلَ ٱللَّهُ تَعَالَى هٰذِهِ ٱلْآيَةَ رَدًّا عَلَيْهِمْ وَتَعْرِيفًا لَهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ دِينَ ٱلْإِسْلَامِ وَٱلْقُرْآنَ هُوَ ٱلسُّلَّمُ إِلَى نَيْلِ كُلِّ فَوْزٍ وَٱلسَّبَبُ فِي إِدْرَاكِ كُلِّ سَعَادَةٍ وَمَا فِيهِ ٱلْكَفَرَةُ هُوَ ٱلشَّقَاوَةُ بِعَيْنِهَا ، وَثَانِيهَا أَنَّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى بِٱللَّيْلِ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ فَإِنَّ لَهَا عَلَيْكَ حَقًّا أَيْ مَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ لِتُنْهِكَ نَفْسَكَ بِٱلْعِبَادَةِ وَتُذِيقَهَا ٱلْمَشَقَّةَ ٱلْعَظِيمَةَ وَمَا بُعِثْتُ إِلَّا بِٱلْحَنِيفِيَّةِ ٱلسَّمْحَةِ . وَمَعْنَى طٰهٰ يَا رَجُلُ قَالَهُ ٱبْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ * وَقَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ

الْكَوْثَرَ» قَالَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ فِي هٰذِهِ السُّورَةِ كَثِيرٌ مِنَ الْفَوَائِدِ مِنْهَا أَنَّهَا كَالْمُتَمِّمَةِ لِمَا قَبْلَهَا مِنَ السُّوَرِ وَذٰلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ سُورَةَ الضُّحَى فِي مَدْحِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفْصِيلِ أَحْوَالِهِ فَذَكَرَ فِي أَوَّلِهَا ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ تَتَعَلَّقُ بِنُبُوَّتِهِ وَهِيَ قَوْلُهُ «مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى» ثُمَّ خَتَمَهَا كَذٰلِكَ بِأَحْوَالٍ ثَلَاثَةٍ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا» أَيْ عَنْ عِلْمِ الْحِكَمِ وَالْأَحْكَامِ «فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى» ثُمَّ ذَكَرَ فِي سُورَةِ أَلَمْ نَشْرَحْ أَنَّهُ تَعَالَى شَرَّفَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ وَهِيَ «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ» أَيْ أَلَمْ نَفْسَحْهُ حَتَّى وَسِعَ مُنَاجَاةَ الْحَقِّ وَدَعْوَةَ الْخَلْقِ «وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ» أَيْ عَنَاءَكَ الثَّقِيلَ «الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» وَهٰكَذَا سُورَةً سُورَةً حَتَّى قَالَ «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ» أَيْ أَعْطَيْنَاكَ هٰذِهِ الْمَنَاقِبَ الْمُتَكَاثِرَةَ الَّتِي كُلٌّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا أَعْظَمُ مِنْ مُلْكِ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا وَإِذْ أَنْعَمْنَا عَلَيْكَ بِهٰذِهِ النِّعَمِ فَاشْتَغِلْ بِطَاعَتِنَا وَلَا تُبَالِ بِقَوْلِهِمْ. ثُمَّ إِنَّ الْإِشْتِغَالَ بِالْعِبَادَةِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِالنَّفْسِ وَهُوَ قَوْلُهُ «فَصَلِّ لِرَبِّكَ» وَإِمَّا بِالْمَالِ وَهُوَ قَوْلُهُ «وَانْحَرْ» وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ» كَيْفَ ذَكَرَهُ بِلَفْظِ الْمَاضِي وَلَمْ يَقُلْ سَنُعْطِيكَ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ هٰذَا الْإِعْطَاءَ حَصَلَ فِي الزَّمَانِ الْمَاضِي قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ كَانَ فِي الزَّمَانِ الْمَاضِي عَزِيزًا مَرْعِيَّ الْجَانِبِ أَشْرَفُ مِمَّنْ سَيَصِيرُ كَذٰلِكَ كَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ يَا مُحَمَّدُ قَدْ هَيَّأْنَا أَسْبَابَ

سعادتك قبل دخولك في هذا الوجود فكيف أمرك بعد وجودك واشتغالك بعبوديتنا يا أيها العبد الكريم إنا لم نعطك هذا الفضل العظيم لأجل طاعتك وإنما اخترناك بمجرد فضلنا وإحساننا من غير موجب . واختلف المفسرون في تفسير الكوثر على وجوه منها أنه نهر في الجنة وهذا هو المشهور المستفيض عند السلف والخلف روى أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طينه مسك أذفر رواه البخاري . وفي صحيح مسلم من حديث أنس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما يضحكك أضحك الله سنك يا رسول الله قال أنزلت علي آنفا سورة فقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر» ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي فيقول ما تدري ما أحدث بعدك وهو تفسير صريح منه صلى الله عليه وسلم بأن المراد بالكوثر هنا الحوض فالمصير إليه أولى وهو المشهور فسبحان من أعطاه هذه الفضائل العظيمة وشرفه بهذه الخصال العميمة وحباه ما أفاضه عليه من نعمه الجسيمة * وقد جرت عادة الله مع أنبيائه عليهم الصلاة والسلام أن يناديهم بأسمائهم الأعلام نحو

«يَا آدَمُ اسْكُنْ» «يَا نُوحُ اهْبِطْ» «يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ» «يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ» وَأَمَّا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَادَاهُ بِالْوَصْفِ الشَّرِيفِ مِنَ الْإِنْبَاءِ وَالْإِرْسَالِ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

فَدَعَا جَمِيعَ الرُّسْلِ كُلًّا بِاسْمِهِ ... وَدَعَاكَ وَحْدَكَ بِالرَّسُولِ وَبِالنَّبِيّ

قَالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ وَلَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ أَنَّ السَّيِّدَ إِذَا دَعَا عَبِيدَهُ بِأَفْضَلِ مَا أَوْجَدَ لَهُمْ مِنَ الْأَوْصَافِ الْعَلِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِ السَّنِيَّةِ وَدَعَا آخَرِينَ بِأَسْمَائِهِمُ الْأَعْلَامِ الَّتِي لَا تُشْعِرُ بِوَصْفٍ مِنَ الْأَوْصَافِ وَلَا بِخُلُقٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ أَنَّ مَنْزِلَةَ مَنْ دَعَاهُ بِأَفْضَلِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَوْصَافِ أَعَزُّ عَلَيْهِ وَأَقْرَبُ إِلَيْهِ مِمَّنْ دَعَاهُ بِاسْمِهِ الْعَلَمِ وَهٰذَا مَعْلُومٌ بِالْعُرْفِ أَنَّ مَنْ دُعِيَ بِأَفْضَلِ أَوْصَافِهِ وَأَخْلَاقِهِ كَانَ ذٰلِكَ مُبَالَغَةً فِي تَعْظِيمِهِ وَاحْتِرَامِهِ * وَانْظُرْ مَا فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» مِنْ ذِكْرِ الرَّبِّ وَإِضَافَتِهِ إِلَى كَافِ خِطَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا فِي ذٰلِكَ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى شَرَفِهِ وَاخْتِصَاصِهِ بِخِطَابِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَبِالْجُمْلَةِ فَقَدْ تَضَمَّنَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ مِنَ التَّصْرِيحِ بِجَلِيلِ رُتْبَتِهِ وَعَظِيمِ قَدْرِهِ وَعُلُوِّ مَنْصِبِهِ وَرِفْعَةِ ذِكْرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَقْضِي بِأَنَّهُ اسْتَوْلَى عَلَى أَقْصَى دَرَجَاتِ التَّكْرِيمِ * وَيَكْفِي إِخْبَارُهُ تَعَالَى بِالْعَفْوِ عَنْهُ مُلَاطَفَةً قَبْلَ ذِكْرِ الْعِتَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ» وَتَقْدِيمُ ذِكْرِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ تَعْظِيمًا لَهُ مَعَ تَأَخُّرِهِ عَنْهُمْ فِي الزَّمَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ» وَإِخْبَارُهُ تَعَالَى بِتَمَنِّي أَهْلِ النَّارِ

طَاعَتَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا ٱللهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَ» وَهٰذَا بَحْرٌ لَا يَنْفَدُ وَقَطْرٌ لَا يُعَدُّ *

النوع الثاني

فِي أَخْذِ ٱلْمِيثَاقِ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ٱلنَّبِيِّينَ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ إِنْ أَدْرَكُوهُ وَلَيَنْصُرُنَّهُ

قَالَ ٱللهُ تَعَالَى «وَإِذْ أَخَذَ ٱللهُ مِيثَاقَ ٱلنَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ» ٱلْآيَةَ. وَعَنْ عَلِيِّ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ وَٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ مَا بَعَثَ ٱللهُ نَبِيًّا مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ ٱلْمِيثَاقَ لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ حَيٌّ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ تَعَالَى أَخَذَ ٱلْمِيثَاقَ مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَأُمَمِهِمْ وَٱسْتَغْنَى بِذِكْرِهِمْ عَنْ ذِكْرِ ٱلْأُمَمِ. قَالَ ٱلسُّبْكِيُّ فِي هٰذِهِ ٱلْآيَةِ أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى تَقْدِيرِ مَجِيئِهِمْ فِي زَمَانِهِ يَكُونُ مُرْسَلًا إِلَيْهِمْ فَتَكُونُ نُبُوَّتُهُ وَرِسَالَتُهُ عَامَّةً لِجَمِيعِ ٱلْخَلْقِ مِنْ زَمَنِ آدَمَ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ وَتَكُونُ ٱلْأَنْبِيَاءُ وَأُمَمُهُمْ كُلُّهُمْ مِنْ أُمَّتِهِ وَيَكُونُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «بُعِثْتُ إِلَى ٱلنَّاسِ كَافَّةً» لَا يَخْتَصُّ بِهِ ٱلنَّاسُ فِي زَمَانِهِ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ بَلْ يَتَنَاوَلُ مَنْ قَبْلَهُمْ أَيْضًا وَإِنَّمَا أَخَذَ ٱلْمَوَاثِيقَ عَلَى ٱلْأَنْبِيَاءِ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ ٱلْمُقَدَّمُ عَلَيْهِمْ وَأَنَّهُ نَبِيُّهُمْ وَرَسُولُهُمْ فَٱلنَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيُّ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَلِهٰذَا ظَهَرَ ذٰلِكَ فِي ٱلْآخِرَةِ جَمِيعُ ٱلْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ لِوَائِهِ وَفِي ٱلدُّنْيَا

كَذٰلِكَ لَيْلَةَ ٱلْإِسْرَاءِ صَلَّى بِهِمْ وَلَوِ ٱتَّفَقَ مَجِيئُهُ فِي زَمَنِ آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَجَبَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أُمَمِهِمُ ٱتِّبَاعُهُ وَٱلْإِيمَانُ بِهِ وَنُصْرَتُهُ وَبِذٰلِكَ أَخَذَ ٱللّٰهُ ٱلْمِيثَاقَ عَلَيْهِمْ فَنُبُوَّتُهُ عَلَيْهِمْ وَرِسَالَتُهُ إِلَيْهِمْ مَعْنًى حَاصِلٌ لَهُ وَإِنَّمَا أَمْرُهُ يَتَوَقَّفُ عَلَى ٱجْتِمَاعِهِمْ مَعَهُ فَتَأَخُّرُ ذٰلِكَ ٱلْأَمْرِ رَاجِعٌ إِلَى وُجُودِهِمْ لَا إِلَى عَدَمِ ٱتِّصَافِهِمْ بِمَا يَقْتَضِيهِ وَفَرْقٌ بَيْنَ تَوَقُّفِ ٱلْفِعْلِ عَلَى قُبُولِ ٱلْمَحَلِّ وَتَوَقُّفِهِ عَلَى أَهْلِيَّةِ ٱلْفَاعِلِ فَهٰهُنَا لَا تَوَقُّفَ مِنْ جِهَةِ ٱلْفَاعِلِ وَلَا مِنْ جِهَةِ ذَاتِهِ ٱلشَّرِيفَةِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةِ وُجُودِ ٱلْعَصْرِ ٱلْمُشْتَمِلِ عَلَيْهِ فَلَوْ وُجِدَ فِي عَصْرِهِمْ لَزِمَهُمُ ٱتِّبَاعُهُ بِلَا شَكٍّ وَلِهٰذَا يَأْتِي عِيسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فِي آخِرِ ٱلزَّمَانِ عَلَى شَرِيعَتِهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ نَبِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى حَالِهِ لَا كَمَا يَظُنُّ بَعْضُ ٱلنَّاسِ أَنَّهُ يَأْتِي وَاحِدًا مِنْ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ نَعَمْ هُوَ وَاحِدٌ مِنْ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ لِمَا قُلْنَا مِنِ ٱتِّبَاعِهِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّمَا يَحْكُمُ بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِٱلْقُرْآنِ وَٱلسُّنَّةِ وَكُلُّ مَا فِيهِمَا مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ فَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِهِ كَمَا يَتَعَلَّقُ بِسَائِرِ ٱلْأُمَّةِ وَكَذٰلِكَ لَوْ بُعِثَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي زَمَانِهِ أَوْ فِي زَمَانِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ وَنُوحٍ وَآدَمَ كَانُوا مُسْتَمِرِّينَ عَلَى نُبُوَّتِهِمْ وَرِسَالَتِهِمْ إِلَى أُمَمِهِمْ وَٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيٌّ عَلَيْهِمْ وَرَسُولٌ إِلَى جَمِيعِهِمْ فَنُبُوَّتُهُ وَرِسَالَتُهُ أَعَمُّ وَأَشْمَلُ وَأَعْظَمُ وَتَتَّفِقُ مَعَ شَرَائِعِهِمْ فِي ٱلْأُصُولِ لِأَنَّهَا لَا تَخْتَلِفُ وَتُقَدَّمُ شَرِيعَتُهُ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا عَسَاهُ يَقَعُ ٱلْإِخْتِلَافُ فِيهِ مِنَ ٱلْفُرُوعِ وَبِهٰذَا بَانَ لَنَا مَعْنَى حَدِيثَيْنِ كَانَا خَفِيَا عَنَّا أَحَدُهُمَا قَوْلُهُ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِثْتُ إِلَى ٱلنَّاسِ

كَافَّةً كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ مِنْ زَمَانِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَبَانَ أَنَّهُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ أَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَالثَّانِي قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ بِالْعِلْمِ فَبَانَ أَنَّهُ زَائِدٌ عَلَى ذٰلِكَ *

النوع الثالث

فِي وَصْفِهِ تَعَالَى لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالشَّهَادَةِ وَشَهَادَتِهِ لَهُ بِالرِّسَالَةِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عِنْدَ بِنَاءِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ «رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» فَاسْتَجَابَ اللهُ تَعَالَى دُعَاءَهُمَا وَبَعَثَ فِي أَهْلِ مَكَّةَ مِنْهُمْ رَسُولًا بِهٰذِهِ الصِّفَةِ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ الَّذِي دَعَا مَعَ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِهٰذَا الدُّعَاءِ وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُرَادُ مِنْ هٰذِهِ الْآيَةِ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةُ عِيسَى قَالُوا أَرَادَ بِالدَّعْوَةِ هٰذِهِ الْآيَةَ وَبِشَارَةُ عِيسَى هِيَ مَا ذُكِرَ فِي سُورَةِ الصَّفِّ مِنْ قَوْلِهِ «وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» وَإِنَّمَا دَعَا إِبْرَاهِيمُ بِهٰذَا الدُّعَاءِ بِمَكَّةَ لِذُرِّيَّتِهِ الَّذِينَ كَانُوا بِهَا وَمَا حَوْلَهَا وَلَمْ يَبْعَثِ اللهُ تَعَالَى إِلَى مَنْ بِمَكَّةَ إِلَّا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدِ امْتَنَّ اللهُ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

ببعث هذا النبي منهم على هذه الصفة فقال تعالى « لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب » الآية فليس لله منة على المؤمنين أعظم من إرساله محمداً صلى الله عليه وسلم يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم . وإنما كانت النعمة على هذه الأمة بإرساله أعظم النعم لأن النعمة به صلى الله عليه وسلم تمت بها مصالح الدنيا والآخرة وكمل بسببها دين الله الذي رضيه لعباده . وقوله « من أنفسهم » يعني أنه بشر مثلهم وإنما امتاز عليهم بالوحي وقرئ في الشواذ « أنفسهم » يعني من أشرفهم لأنه من بني هاشم وبنو هاشم أفضل قريش وقريش أفضل العرب والعرب أفضل من غيرهم . وقال تعالى « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » والمراد بالأميين العرب تنبيهاً لهم على قدر هذه النعمة وعظمها حيث كانوا أميين لا كتاب لهم وليس عندهم شيء من آثار النبوة كما عند أهل الكتاب فمنّ الله تعالى عليهم بهذا الرسول وبهذا الكتاب حتى صاروا أفضل الأمم وأعلمهم وعرفوا ضلالة من ضل قبلهم من الأمم . وفي كونه عليه الصلاة والسلام منهم فائدتان إحداهما أن هذا الرسول كان أيضاً أمياً كأمية المبعوث إليهم لم يقرأ كتاباً قط ولم يخطه بيمينه كما قال تعالى « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك » ولا خرج عن ديار قومه فأقام عند غيرهم حتى تعلم منهم بل لم يزل أمياً بين أمة أمية لا يكتب

وَلَا يَقْرَأُ حَتَّى بَلَغَ الْأَرْبَعِينَ مِنْ عُمُرِهِ ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ بِهَذَا الْكِتَابِ الْمُبِينِ وَهَذِهِ الشَّرِيعَةِ الْبَاهِرَةِ وَهَذَا الدِّينِ الْقَيِّمِ الَّذِي اعْتَرَفَ حُذَّاقُ أَهْلِ الْأَرْضِ وَنُظَّارُهَا أَنَّهُ لَمْ يَقْرَعِ الْعَالَمَ نَامُوسٌ أَعْظَمُ مِنْهُ وَفِي هَذَا بُرْهَانٌ عَظِيمٌ عَلَى صِدْقِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الْمَبْعُوثَ مِنْهُمْ وَهُمُ الْأُمِّيُّونَ خُصُوصًا أَهْلَ مَكَّةَ يَعْرِفُونَ نَسَبَهُ وَشَرَفَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعِفَّتَهُ وَأَنَّهُ نَشَأَ بَيْنَهُمْ مَعْرُوفًا بِذَلِكَ وَأَنَّهُ لَمْ يَكْذِبْ قَطُّ فَكَيْفَ كَانَ يَدَعُ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ يَفْتَرِي الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا هُوَ الْبَاطِلُ وَلِهَذَا سَأَلَ هِرَقْلُ عَنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ وَاسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا ادَّعَاهُ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى خِطَابًا لَهُمْ «فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ» وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا قَالَ وَاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ مَا كَذَبْتَ قَطُّ فَنَتَّهِمَكَ الْيَوْمَ وَلَكِنْ إِنْ نَتَّبِعْكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ . وَعَنْ مُقَاتِلٍ كَانَ الْحَارِثُ بْنُ عَامِرٍ يُكَذِّبُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَلَانِيَةِ فَإِذَا خَلَا مَعَ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ مَا مُحَمَّدٌ مِنْ أَهْلِ الْكَذِبِ وَيُرْوَى أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا إِذَا رَأَوْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالُوا إِنَّهُ لَنَبِيٌّ . وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ أَبُو جَهْلٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّا لَا نُكَذِّبُكَ وَلَكِنْ نُكَذِّبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يُنْكِرُونَهُ مَعَ الْعِلْمِ بِصِحَّتِهِ . وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ لَقِيَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَافَحَهُ فَقِيلَ لَهُ أَتُصَافِحُهُ فَقَالَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَلَكِنْ مَتَى كُنَّا تَبَعًا لِبَنِي عَبْدِ مَنَافٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ . وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ مَمْلُوءٌ بِالْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ

هٰذَا ٱلرَّسُولِ ٱلْكَرِيمِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ وَكَيْفَ يَلِيقُ بِكَمَالِ ٱللّٰهِ أَنْ يُقِرَّ مَنْ يَكْذِبُ عَلَيْهِ أَعْظَمَ ٱلْكَذِبِ وَيُخْبِرُ عَنْهُ بِخِلَافِ مَا هُوَ ٱلْأَمْرُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَنْصُرُهُ عَلَى ذٰلِكَ وَيُؤَيِّدُهُ وَيُعْلِي كَلِمَتَهُ وَيَرْفَعُ شَأْنَهُ وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُ وَيُهْلِكُ عَدُوَّهُ وَيُظْهِرُ عَلَى يَدِهِ مِنَ ٱلْآيَاتِ وَٱلْبَرَاهِينِ وَٱلْأَدِلَّةِ مَا يَضْعُفُ عَنْ مِثْلِهِ قُوَى ٱلْبَشَرِ وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ كَاذِبٌ عَلَيْهِ مُفْتَرٍ سَاعٍ فِي ٱلْأَرْضِ بِٱلْفَسَادِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ شَهَادَتَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَقُدْرَتَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَحِكْمَتَهُ وَعِزَّتَهُ وَكَمَالَهُ ٱلْمُقَدَّسَ يَأْبَى ذٰلِكَ كُلَّ ٱلْإِبَاءِ وَمَنْ ظَنَّ ذٰلِكَ بِهِ وَجَوَّزَهُ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنْ أَبْعَدِ ٱلْخَلْقِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَإِذَا تَدَبَّرْتَ ٱلْقُرْآنَ رَأَيْتَهُ يُنَادِي عَلَى ذٰلِكَ وَيُبْدِيهِ وَيُعِيدُهُ لِمَنْ لَهُ فَهْمٌ وَقَلْبٌ وَاعٍ عَلَى ٱللّٰهِ تَعَالَى قَالَ ٱللّٰهُ تَعَالَى «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ» وَقَالَ تَعَالَى لِمَنْ طَلَبَ آيَةً تَدُلُّ عَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ «أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ قُلْ كَفَى بِٱللّٰهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱلْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِٱللّٰهِ أُولٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ» فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِي أَنْزَلَهُ يَكْفِي مِنْ كُلِّ آيَةٍ فَفِيهِ ٱلْحُجَّةُ وَٱلدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّهُ مِنَ ٱللّٰهِ وَأَنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرْسَلَ بِهِ رَسُولَهُ وَفِيهِ بَيَانُ مَا يُوجِبُ لِمَنِ ٱتَّبَعَهُ ٱلسَّعَادَةَ وَيُنَجِّيهِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ثُمَّ قَالَ «قُلْ كَفَى بِٱللّٰهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ» فَإِذَا كَانَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَالِمًا بِجَمِيعِ ٱلْأَشْيَاءِ كَانَتْ شَهَادَتُهُ أَصْدَقَ شَهَادَةٍ

وَأَعْدَلِهَا فَإِنَّهَا شَهَادَةٌ بِعِلْمٍ تَامٍّ مُحِيطٍ بِالْمَشْهُودِ بِهِ. وَقَالَ تَعَالَى «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا» فَكَأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ يَا أَيُّهَا الْمُشَرَّفُ مِنْ قِبَلِنَا إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا بِوَحْدَانِيَّتِنَا وَمُشَاهِدًا كَمَالَ فَرْدَانِيَّتِنَا تُبَشِّرُ عِبَادَنَا عَنَّا وَتُحَذِّرُهُمْ مُخَالَفَةَ أَمْرِنَا وَتُعَلِّمُهُمْ مَوَاضِعَ الْخَوْفِ مِنَّا وَدَاعِيًا الْخَلْقَ إِلَيْنَا وَسِرَاجًا يَسْتَضِيئُونَ بِكَ وَشَمْسًا تَبْسُطُ شُعَاعَكَ عَلَى جَمِيعِ مَنْ صَدَّقَكَ وَآمَنَ بِكَ وَلَا يَصِلُ إِلَيْنَا إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ وَخَدَمَكَ وَقَدَّمَكَ فَبَشِّرْهُ بِفَضْلِنَا وَطَوْلِنَا عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانِنَا إِلَيْهِمْ وَلَمَّا كَانَ اللَّهُ قَدْ جَعَلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شَاهِدًا عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ وَالشَّاهِدُ لَا يَكُونُ مُدَّعِيًا فَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسْئَلَةِ الْوَحْدَانِيَّةِ مُدَّعِيًا لَهَا لِأَنَّ الْمُدَّعِيَ مَنْ يَقُولُ شَيْئًا عَلَى خِلَافِ الظَّاهِرِ وَالْوَحْدَانِيَّةُ أَظْهَرُ مِنَ الشَّمْسِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ ادَّعَى النُّبُوَّةَ فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ شَاهِدًا لَهُ فِي مُجَازَاةِ كَوْنِهِ شَاهِدًا لَهُ تَعَالَى فَقَالَ سُبْحَانَهُ «وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ» وَمِنْ هٰذَا قَوْلُهُ تَعَالَى «وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» فَاسْتَشْهَدَ عَلَى رِسَالَتِهِ بِشَهَادَةِ اللَّهِ لَهُ وَكَذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى «قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» وَقَوْلُهُ «لٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا» وَقَوْلُهُ «وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ» وَقَوْلُهُ «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» فَهٰذَا كُلُّهُ مِنْهُ تَعَالَى شَهَادَةٌ لِرَسُولِهِ قَدْ أَظْهَرَهَا وَبَيَّنَهَا وَبَيَّنَ صِحَّتَهَا غَايَةَ الْبَيَانِ بِحَيْثُ قَطَعَ الْعُذْرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ وَأَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ

بكونه سبحانه شاهداً لرسوله. وقال تعالى «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً» فيظهر ظهورين ظهوراً بالحجة والبيان وظهوراً بالنصر والغلبة والتأييد حتى يظهر على مخالفيه ويكون منصوراً. ومن شهادته تعالى أيضاً ما أودعه في قلوب عباده من التصديق الجازم واليقين الثابت والطمأنينة بكلامه ووحيه فإن الله تعالى فطر القلوب على قبول الحق والانقياد له والطمأنينة والسكون إليه ومحبته وفطرها على بغض الكذب والباطل والنفور عنه وعدم السكون إليه ولو بقيت الفطرة على حالها لما آثرت على الحق سواه ولما سكنت إلا إليه ولا اطمأنت إلا به ولا أحبت غيره ولهذا ندب الحق سبحانه إلى تدبر القرآن فإن كل من تدبره أوجب له علماً ضرورياً ويقيناً جازماً أنه حق بل أحق كل حق وأصدق كل صدق قال تعالى «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها» فلو رفعت الأقفال عن القلوب لباشرتها حقائق القرآن واستنارت فيها مصابيح الإيمان وعلمت علماً ضرورياً كسائر الأمور الوجدانية كاللذة والألم أنه من عند الله تكلم به حقاً وبلغه رسوله جبريل عليه السلام إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهذا الشاهد في القلب من أعظم الشواهد انتهى ملخصاً من مدارج السالكين * وقال تعالى «قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً» ففي هذه الآية دلالة على أنه صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى كافة الثقلين * وقال تعالى «قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً» وعن أبي هريرة رضي

اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ وَلَا يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ وَمَاتَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَفِي هٰذَا الْحَدِيثِ نَسْخُ الْمِلَلِ كُلِّهَا بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ *وَقَالَ تَعَالَى «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ» الْآيَةَ خَاطَبَ تَعَالَى أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِأَنَّهُ قَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا خَاتَمَ النَّبِيِّينَ الَّذِي لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ وَلَا رَسُولَ بَلْ هُوَ الْمُعَقِّبُ لِجَمِيعِهِمْ وَلِهٰذَا قَالَ تَعَالَى «عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ» أَيْ بَعْدَ مُدَّةٍ مُتَطَاوِلَةٍ مَا بَيْنَ إِرْسَالِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِرْسَالِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي مِقْدَارِ هٰذِهِ الْفَتْرَةِ قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ وَالْمَشْهُورُ أَنَّهَا سِتُّمِائَةِ سَنَةٍ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ لِأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ *وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَطُمُوسٍ مِنَ السُّبُلِ وَتَغَيُّرِ الْأَدْيَانِ وَكَثْرَةِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالنِّيرَانِ وَالصُّلْبَانِ فَكَانَتِ النِّعْمَةُ بِهِ أَتَمَّ وَالنَّفْعُ بِهِ أَعَمَّ . وَفِي حَدِيثٍ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مَرْفُوعًا إِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَجَمَهُمْ وَعَرَبَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَفِي لَفْظِ مُسْلِمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَكَانَ الدِّينُ قَدِ الْتَبَسَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ حَتَّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَدَى بِهِ الْخَلَائِقَ وَأَخْرَجَهُمُ اللهُ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَتَرَكَهُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ وَالشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ *وَقَالَ تَعَالَى «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ

حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ» أَيْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ عَنَتُكُمْ أَيْ إِثْمُكُمْ بِالشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي قَالَ الْحَسَنُ عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ تَدْخُلُوا النَّارَ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَمِنْ حِرْصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا أَنَّهُ لَمْ يُخَاطِبْنَا بِمَا يُرِيدُ إِبْلَاغَهُ إِلَيْنَا وَفَهْمَنَا إِيَّاهُ عَلَى قَدْرِ مَنْزِلَتِهِ بَلْ عَلَى قَدْرِ مَنْزِلَتِنَا قَالَ تَعَالَى «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ» وَلَا رَحْمَةَ مَعَ التَّكْلِيفِ بِمَا لَا يُفْهَمُ وَلِذَلِكَ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا مَا يَضْرِبُ الْمَثَلَ بِالْمَحْسُوسِ لِيَحْصُلَ الْفَهْمُ وَمَنْ تَتَبَّعَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ رَأَى مِنْ ذَلِكَ الْعَجَبَ الْعُجَابَ. وَلَمَّا سَاوَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ النَّاسِ فِي حِرْصِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى إِسْلَامِهِمْ خَصَّ الْمُؤْمِنِينَ بِرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ لَهُمْ * وَقَالَ تَعَالَى «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ» قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ زَيَّنَ اللهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِزِينَةِ الرَّحْمَةِ فَكَانَ كَوْنُهُ رَحْمَةً وَجَمِيعُ شَمَائِلِهِ وَصِفَاتِهِ رَحْمَةً عَلَى الْخَلْقِ فَمَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ رَحْمَتِهِ فَهُوَ النَّاجِي فِي الدَّارَيْنِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَالْوَاصِلُ فِيهِمَا إِلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَحْمَةً لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ لِأَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ إِذَا كُذِّبَ أَهْلَكَ اللهُ مَنْ كَذَّبَهُ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُخِّرَ مَنْ كَذَّبَهُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ إِلَى الْقِيَامَةِ وَأَمَّا مَنْ صَدَّقَهُ فَلَهُ الرَّحْمَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَقَالَ السَّمَرْقَنْدِيُّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ يَعْنِي الْجِنَّ وَالْإِنْسَ. وَقِيلَ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ لِلْمُؤْمِنِ رَحْمَةٌ بِالْهِدَايَةِ وَرَحْمَةٌ لِلْمُنَافِقِ بِالْأَمَانِ مِنَ الْقَتْلِ وَرَحْمَةٌ لِلْكَافِرِ بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ فَذَاتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَحْمَةٌ تَعُمُّ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ قَالَ اللهُ تَعَالَى «وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ» وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ . وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ الْأَنْبِيَاءُ خُلِقُوا كُلُّهُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ وَنَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَيْنُ الرَّحْمَةِ . وَفِي الشِّفَاءِ لِلْقَاضِي عِيَاضٍ حُكِيَ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِجِبْرِيلَ هَلْ أَصَابَكَ مِنْ هٰذِهِ الرَّحْمَةِ شَيْءٌ قَالَ نَعَمْ كُنْتُ أَخْشَى الْعَاقِبَةَ فَأَمِنْتُ بِثَنَاءِ اللهِ تَعَالَى عَلَيَّ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ «ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ» ☆ وَقَالَ تَعَالَى «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلٰكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ» هٰذِهِ الْآيَةُ نَصٌّ فِي أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ فَلَا رَسُولَ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى لِأَنَّ مَقَامَ الرِّسَالَةِ أَخَصُّ مِنْ مَقَامِ النُّبُوَّةِ فَإِنَّ كُلَّ رَسُولٍ نَبِيٌّ وَلَا يَنْعَكِسُ وَبِذٰلِكَ وَرَدَتِ الْأَحَادِيثُ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدِ انْقَطَعَتْ فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيَّ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ . وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ فَكَانَ مَنْ دَخَلَهَا فَنَظَرَ إِلَيْهَا قَالَ مَا أَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ هٰذِهِ اللَّبِنَةِ فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ خُتِمَ بِيَ الْأَنْبِيَاءُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا . وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ . وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ وَرَسُولُهُ فِي السُّنَّةِ الْمُتَوَاتِرَةِ عَنْهُ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنِ ادَّعَى هٰذَا الْمَقَامَ بَعْدَهُ فَهُوَ كَذَّابٌ أَفَّاكٌ دَجَّالٌ ضَالٌّ مُضِلٌّ وَلَوْ تَحَذْلَقَ وَتَشَعْبَذَ وَأَتَى بِأَنْوَاعِ السِّحْرِ وَالطَّلَاسِمِ وَالنِّيرَنْجِيَّاتِ فَكُلُّهَا مُحَالٌ وَضَلَالٌ وَلَا يَقْدَحُ فِي هٰذَا نُزُولُ عِيسَى

عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بَعْدَهُ لِأَنَّهُ إِذَا نَزَلَ كَانَ عَلَى دِينِ نَبِيِّنَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْهَاجِهِ فَنَبِيُّنَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ آخِرُ مَنْ نُبِّئَ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ *

النوع الرابع

فِي ٱلتَّنْوِيهِ بِرِسَالَتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ٱلْكُتُبِ ٱلسَّالِفَةِ كَالتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنْجِيلِ قَالَ ٱللهُ تَعَالَى «ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنْجِيلِ» وَهٰذَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ صِدْقِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مَكْتُوبًا لَكَانَ ذِكْرُ هٰذَا ٱلْكَلَامِ مِنْ أَعْظَمِ ٱلْمُنَفِّرَاتِ لِلْيَهُودِ وَٱلنَّصَارَى عَنْ قَبُولِ قَوْلِهِ لِأَنَّ ٱلْإِصْرَارَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَٱلْبُهْتَانِ مِنْ أَعْظَمِ ٱلْمُنَفِّرَاتِ وَٱلْعَاقِلُ لَا يَسْعَى فِيمَا يُوجِبُ نُقْصَانَ حَالِهِ وَيُنَفِّرُ ٱلنَّاسَ عَنْ قَبُولِ مَقَالِهِ فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هٰذَا دَلَّ عَلَى أَنَّ ذٰلِكَ ٱلنَّعْتَ كَانَ مَذْكُورًا فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنْجِيلِ وَذٰلِكَ مِنْ أَعْظَمِ ٱلدَّلَائِلِ عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لٰكِنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَابِ كَمَا قَالَ ٱللهُ تَعَالَى «يَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» «وَيُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ» وَإِلَّا فَهُمْ قَاتَلَهُمُ ٱللهُ قَدْ عَرَفُوا مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا عَرَفُوا أَبْنَاءَهُمْ وَوَجَدُوهُ مَكْتُوبًا فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنْجِيلِ لٰكِنَّهُمْ حَرَّفُوهُمَا وَبَدَّلُوهُمَا لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ فَدَلَائِلُ نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِتَابَيْهِمَا بَعْدَ تَحْرِيفِهِمَا طَافِحَةٌ وَأَعْلَامُ شَرَائِعِهِ وَرِسَالَتِهِ فِيهِمَا لَائِحَةٌ وَكَيْفَ يُغْنِي عَنْهُمْ إِنْكَارُهُمْ وَهٰذَا ٱسْمُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بالسريانية «مشفح» فمشفح محمد بغير شك فإنهم يقولون شفحا لاها إذا أرادوا أن يقولوا الحمد لله وإذا كان الحمد شفحا فمشفح محمد ولأن الصفات التي أقروا بها هي وفاق لأحواله وزمانه ومخرجه ومبعثه وشريعته صلى الله عليه وسلم فليدلونا على من هذه الصفات له ومن خرجت له الأمم من بين يديه وانقادت له واستجابت لدعوته ومن صاحب الجمل الذي هلكت بابل وأصنامها به على أنا لو لم نأت بهذه الأنباء والقصص من كتبهم ألم يكن فيما أودع الله عز وجل القرآن دليل على ذلك وفي تركهم جحد ذلك وإنكاره وهو يقرعهم به دليل على اعترافهم له فإنه يقول «الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل» ويقول حكاية عن المسيح «إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد» ويقول «يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون» ويقول «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» وكانوا يقولون لمخالفيهم عند القتال هذا نبي قد أظل مولده ويذكرون من صفته ما يجدونه في كتابهم «فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به» حسدا وخوفا على الرياسة «فلعنة الله على الكافرين» * وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى اتباعه وتصديقه فكيف يجوز أن يحتج بباطل من الحجج ثم يحيل ذلك على ما عندهم وما في أيديهم ويقول من علامة نبوتي وصدقي أنكم تجدونني عندكم مكتوبا وهم لا يجدونه كما ذكرا أوليس ذلك مما يزيدهم

عَنْهُ بُعْدًا وَقَدْ كَانَ غَنِيًّا عَنْ أَنْ يَدْعُوَهُمْ بِمَا يُنَفِّرُهُمْ وَكَمْ أَسْلَمَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَائِهِمْ كَعَبْدِ ٱللهِ بْنِ سَلَامٍ وَتَمِيمٍ ٱلدَّارِيِّ وَكَعْبٍ وَقَدْ وَقَفُوا مِنْهُ عَلَى مِثْلِ هٰذِهِ ٱلدَّعَاوِي وَقَدْ رَوَى ٱبْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ عَنْ عَبْدِ ٱللهِ ٱبْنِ سَلَامٍ أَنَّهُ لَمَّا سَمِعَ بِمَخْرَجِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ خَرَجَ فَلَقِيَهُ فَقَالَ لَهُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ ٱبْنُ سَلَامٍ عَالِمُ أَهْلِ يَثْرِبَ قَالَ نَعَمْ قَالَ نَاشَدْتُكَ بِٱللهِ ٱلَّذِي أَنْزَلَ ٱلتَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى هَلْ تَجِدُ صِفَتِي فِي كِتَابِ ٱللهِ قَالَ ٱنْسُبْ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ فَٱرْتَجَّ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ «قُلْ هُوَ ٱللهُ أَحَدٌ ٱللهُ ٱلصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» فَقَالَ ٱبْنُ سَلَامٍ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ ٱللهِ وَأَنَّ ٱللهَ مُظْهِرُكَ وَمُظْهِرُ دِينِكَ عَلَى ٱلْأَدْيَانِ وَإِنِّي لَأَجِدُ صِفَتَكَ فِي كِتَابِ ٱللهِ: يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ ٱلْمُتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي ٱلْأَسْوَاقِ وَلَا يَجْزِي بِٱلسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا وَلٰكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ وَلَنْ يَقْبِضَهُ ٱللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ ٱلْمِلَّةَ ٱلْعَوْجَاءَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَيَفْتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا. وَقَوْلُهُ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ مُوَافِقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ ٱللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ». وَرَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ ٱلْعَاصِ بِزِيَادَةِ وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ وَرَوَاهُ ٱلْبَيْهَقِيُّ عَنْ أُمِّ ٱلدَّرْدَاءِ عَنْ كَعْبٍ بِزِيَادَةِ يُعِينُ ٱلْمَظْلُومَ وَيَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يُسْتَضْعَفَ. وَعِنْدَ ٱبْنِ إِسْحٰقَ وَلَا صَخِبٌ فِي ٱلْأَسْوَاقِ وَلَا مُتَزَيِّنٌ بِٱلْفُحْشِ وَلَا قَوَّالٌ لِلْخَنَا

أُسَدِّدُهُ بِكُلِّ جَمِيلٍ وَأَهَبُ لَهُ كُلَّ خُلُقٍ كَرِيمٍ ثُمَّ أَجْعَلُ السَّكِينَةَ لِبَاسَهُ وَالْبِرَّ شِعَارَهُ وَالتَّقْوَى ضَمِيرَهُ وَالْحِكْمَةَ مَعْقُولَهُ وَالصِّدْقَ وَالْوَفَاءَ طَبِيعَتَهُ وَالْعَفْوَ وَالْمَعْرُوفَ خُلُقَهُ وَالْعَدْلَ سِيرَتَهُ وَالْحَقَّ شَرِيعَتَهُ وَالْهُدَى إِمَامَهُ وَالْإِسْلَامَ مِلَّتَهُ وَأَحْمَدَ اسْمَهُ أَهْدِي بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ وَأُعَلِّمُ بِهِ بَعْدَ الْجَهَالَةِ وَأَرْفَعُ بِهِ بَعْدَ الْخَمَالَةِ وَأُسَمِّي بِهِ بَعْدَ النَّكِرَةِ وَأُكْثِرُ بِهِ بَعْدَ الْقِلَّةِ وَأُغْنِي بِهِ بَعْدَ الْعَيْلَةِ وَأَجْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْفُرْقَةِ وَأُؤَلِّفُ بِهِ بَيْنَ قُلُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَهْوَاءٍ مُتَشَتِّتَةٍ وَأُمَمٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَأَجْعَلُ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ * وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَدِمَ الْجَارُودُ فَأَسْلَمَ وَقَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَقَدْ وَجَدْتُ وَصْفَكَ فِي الْإِنْجِيلِ وَلَقَدْ بَشَّرَ بِكَ ابْنُ الْبَتُولِ . وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ قَالَ لَمَّا أُمِرَ إِبْرَاهِيمُ بِإِخْرَاجِ هَاجَرَ حُمِلَ عَلَى الْبُرَاقِ فَكَانَ لَا يَمُرُّ بِأَرْضٍ عَذْبَةٍ سَهْلَةٍ إِلَّا قَالَ أَنْزِلُ هَهُنَا يَا جِبْرِيلُ فَيَقُولُ لَا حَتَّى أَتَى مَكَّةَ فَقَالَ جِبْرِيلُ انْزِلْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ حَيْثُ لَا ضَرْعَ وَلَا زَرْعَ قَالَ نَعَمْ هَهُنَا يَخْرُجُ النَّبِيُّ الَّذِي مِنْ ذُرِّيَّةِ ابْنِكَ الَّذِي تَتِمُّ بِهِ الْكَلِمَةُ الْعُلْيَا * وَفِي التَّوْرَاةِ مِمَّا اخْتَارُوهُ بَعْدَ الْحَذْفِ وَالتَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ مِمَّا ذَكَرَهُ ابْنُ ظَفَرٍ فِي الْبِشْرِ وَابْنُ قُتَيْبَةَ فِي أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ: تَجَلَّى اللَّهُ مِنْ سِينَا وَأَشْرَقَ مِنْ سَاعِيرَ وَاسْتَعْلَنَ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ فَسِينَا هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَسَاعِيرُ هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي ظَهَرَتْ فِيهِ نُبُوَّةُ عِيسَى وَجِبَالُ فَارَانَ وَهُوَ اسْمٌ عِبْرَانِيٌّ جِبَالُ بَنِي هَاشِمٍ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَنَّثُ أَيْ يَتَعَبَّدُ فِي أَحَدِهَا وَفِيهِ فَاتِحَةُ الْوَحْيِ وَهُوَ أَحَدُ ثَلَاثَةِ جِبَالٍ أَحَدُهَا أَبُو قُبَيْسٍ وَالْمُقَابِلُ لَهُ قُعَيْقِعَانُ إِلَى بَطْنِ

الْوَادِي وَالثَّالِثُ الشَّرْقِيُّ فَارَانُ وَمُنْفَتَحُهُ الَّذِي يَلِي قُعَيْقِعَانَ إِلَى بَطْنِ الْوَادِي هُوَ شِعْبُ بَنِي هَاشِمٍ وَفِيهِ وُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَحَدِ الأَقْوَالِ. قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَلَيْسَ بِهَذَا غُمُوضٌ لِأَنَّ تَجَلِّيَ اللَّهِ مِنْ سِينَا إِنْزَالُهُ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِطُورِ سِينَا وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ إِشْرَاقُهُ مِنْ سَاعِيرَ إِنْزَالُهُ الْإِنْجِيلَ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَكَانَ الْمَسِيحُ يَسْكُنُ مِنْ سَاعِيرَ أَرْضَ الْجَلِيلِ بِقَرْيَةٍ تُدْعَى نَاصِرَةَ وَبِاسْمِهَا سُمِّيَ مَنِ اتَّبَعَهُ نَصَارَى فَكَمَا وَجَبَ أَنْ يَكُونَ إِشْرَاقُهُ مِنْ سَاعِيرَ إِنْزَالَهُ عَلَى الْمَسِيحِ الْإِنْجِيلَ فَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ اسْتِعْلَانُهُ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ إِنْزَالَهُ الْقُرْآنَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ جِبَالُ مَكَّةَ وَلَيْسَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ اخْتِلَافٌ فِي أَنَّ فَارَانَ هِيَ مَكَّةُ وَإِنِ ادُّعِيَ أَنَّهَا غَيْرُ مَكَّةَ قُلْنَا أَلَيْسَ فِي التَّوْرَاةِ إِنَّ اللَّهَ أَسْكَنَ هَاجَرَ وَإِسْمَاعِيلَ فَارَانَ وَقُلْنَا دُلُّونَا عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي اسْتَعْلَنَ اللَّهُ مِنْهُ وَاسْمُهُ فَارَانُ وَالنَّبِيِّ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ بَعْدَ الْمَسِيحِ أَوَلَيْسَ اسْتَعْلَنَ وَعَلَنَ بِمَعْنًى وَاحِدٍ وَهُوَ مَا ظَهَرَ وَانْكَشَفَ فَهَلْ تَعْلَمُونَ دِينًا ظَهَرَ ظُهُورَ الْإِسْلَامِ وَفَشَا فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا فُشُوَّهُ * وَفِي التَّوْرَاةِ أَيْضًا مِمَّا ذَكَرَهُ ابْنُ ظَفَرٍ خِطَابًا لِمُوسَى وَالْمُرَادُ بِهِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ لِمِيقَاتِ رَبِّهِ الَّذِينَ أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ خُصُوصًا ثُمَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ عُمُومًا: وَاللَّهُ رَبُّكَ يُقِيمُ نَبِيًّا مِنْ إِخْوَتِكَ فَاسْتَمِعْ لَهُ كَالَّذِي سَمِعْتَ رَبَّكَ فِي حُورِيتَ يَوْمَ الْاجْتِمَاعِ حِينَ قُلْتَ لَا أَعُودُ أَسْمَعُ صَوْتَ اللَّهِ رَبِّي لِئَلَّا أَمُوتَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَ مَا قَالُوا وَسَأُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِثْلَكَ مِنْ إِخْوَتِهِمْ وَأَجْعَلُ كَلَامِي

فِي فَمِهِ فَيَقُولُ لَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ أَمَرْتُهُ بِهِ وَأَيُّمَا رَجُلٍ لَمْ يُطِعْ مَنْ تَكَلَّمَ بِاسْمِي فَإِنِّي أَنْتَقِمُ مِنْهُ . قَالَ وَفِي هٰذَا الْكَلَامِ أَدِلَّةٌ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَوْلُهُ نَبِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِمْ وَمُوسَى وَقَوْمُهُ مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ وَإِخْوَتُهُمْ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَلَوْ كَانَ هٰذَا النَّبِيُّ الْمَوْعُودُ بِهِ مِنْ بَنِي إِسْحٰقَ لَكَانَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لَا مِنْ إِخْوَتِهِمْ وَأَمَّا قَوْلُهُ نَبِيًّا مِثْلَكَ فَقَدْ قَالَ فِي التَّوْرَاةِ مِثْلُ مُوسَى لَا يَقُومُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبَدًا فَذَهَبَتِ الْيَهُودُ إِلَى أَنَّ هٰذَا النَّبِيَّ الْمَوْعُودَ بِهِ هُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ وَذٰلِكَ بَاطِلٌ لِأَنَّ يُوشَعَ لَمْ يَكُنْ كُفُؤًا لِمُوسَى عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَلْ كَانَ خَادِمًا لَهُ فِي حَيَاتِهِ وَمُؤَكِّدًا لِدَعْوَتِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ كُفُؤُ مُوسَى لِأَنَّهُ مَاثَلَهُ فِي نَصْبِ الدَّعْوَةِ وَالتَّحَدِّي بِالْمُعْجِزَةِ وَشَرْعِ الْأَحْكَامِ وَإِجْرَاءِ النَّسْخِ عَلَى الشَّرَائِعِ السَّالِفَةِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى أَجْعَلُ كَلَامِي فِي فَمِهِ فَإِنَّهُ وَاضِحٌ فِي أَنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ مَعْنَاهُ أُوحِي إِلَيْهِ بِكَلَامِي فَيَنْطِقُ بِهِ عَلَى نَحْوِ مَا سَمِعَهُ وَلَا أُنْزِلُ عَلَيْهِ صُحُفًا وَلَا أَلْوَاحًا لِأَنَّهُ أُمِّيٌّ لَا يُحْسِنُ أَنْ يَقْرَأَ الْمَكْتُوبَ * وَفِي الْإِنْجِيلِ مِمَّا ذَكَرَهُ ابْنُ ظَغْرَبَكَ فِي الدُّرِّ الْمُنَظَّمِ قَالَ يُوحَنَّا فِي إِنْجِيلِهِ عَنِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَالَ : أَنَا أَطْلُبُ لَكُمْ مِنَ الْأَبِ أَنْ يُعْطِيَكُمْ فَارِقْلِيطَ آخَرَ يَثْبُتُ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي لَنْ يُطِيقَ الْعَالَمُ أَنْ يَقْتُلُوهُ وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ ظَفَرٍ بِلَفْظِ : إِنْ أَحْبَبْتُمُونِي فَاحْفَظُوا وَصِيَّتِي وَأَنَا أَطْلُبُ إِلَى أَبِي فَيُعْطِيكُمْ فَارِقْلِيطَ آخَرَ يَكُونُ مَعَكُمُ الدَّهْرَ كُلَّهُ . قَالَ فَهٰذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّ اللّٰهَ سَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ وَيَنُوبُ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَةِ رَبِّهِ

وَسِيَاسَةِ خَلْقِهِ مَنَابَهُ وَتَكُونُ شَرِيعَتُهُ بَاقِيَةً مُخَلَّدَةً أَبَدًا فَهَلْ هٰذَا إِلَّا مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * وَقَدِ ٱخْتَلَفَ ٱلنَّصَارَى فِي تَفْسِيرِ (ٱلْفَارِقْلِيطِ) فَقِيلَ هُوَ ٱلْحَامِدُ وَقِيلَ ٱلْمُخَلِّصُ فَإِنْ وَافَقْنَاهُمْ عَلَى أَنَّهُ ٱلْمُخَلِّصُ أَفْضَى بِنَا ٱلْأَمْرُ إِلَى أَنَّ ٱلْمُخَلِّصَ رَسُولٌ يَأْتِي بِخَلَاصِ ٱلْعَالَمِ وَذٰلِكَ مِنْ غَرَضِنَا لِأَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ مُخَلِّصٌ لِأُمَّتِهِ مِنَ ٱلْكُفْرِ وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُ ٱلْمَسِيحِ فِي ٱلْإِنْجِيلِ: إِنِّي جِئْتُ لِخَلَاصِ ٱلْعَالَمِ. فَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ ٱلْمَسِيحَ هُوَ ٱلَّذِي وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ مُخَلِّصُ ٱلْعَالَمِ وَهُوَ ٱلَّذِي سَأَلَ ٱلْأَبَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ فَارِقْلِيطَ آخَرَ فَفِي مُقْتَضَى ٱللَّفْظِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ فَارِقْلِيطُ أَوَّلُ حَتَّى يَأْتِيَ فَارِقْلِيطُ آخَرُ وَإِنْ قُلْنَا مَعَهُمْ إِنَّ مَعْنَاهُ ٱلْحَامِدُ فَأَيُّ لَفْظٍ أَقْرَبُ إِلَى أَحْمَدَ وَمُحَمَّدٍ مِنْ هٰذَا. قَالَ ٱبْنُ ظَفَرٍ وَفِي ٱلْإِنْجِيلِ مِمَّا تَرْجَمُوهُ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ٱلْفَارِقْلِيطَ ٱلرَّسُولُ فَإِنَّهُ قَالَ: إِنَّ هٰذَا ٱلْكَلَامَ ٱلَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ هُوَ لِي بَلِ ٱلْأَبُ ٱلَّذِي أَرْسَلَنِي بِهٰذَا ٱلْكَلَامِ لَكُمْ وَأَمَّا ٱلْفَارِقْلِيطُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ ٱلَّذِي يُرْسِلُهُ أَبِي بِٱسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ يُذَكِّرُكُمْ كُلَّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ فَهَلْ بَعْدَ هٰذَا بَيَانٌ أَلَيْسَ هٰذَا صَرِيحًا فِي أَنَّ ٱلْفَارِقْلِيطَ رَسُولٌ يُرْسِلُهُ ٱللهُ وَهُوَ رُوحُ ٱلْقُدُسِ وَهُوَ يُصَدِّقُ بِٱلْمَسِيحِ وَيُظْهِرُ ٱسْمَهُ أَنَّهُ رَسُولٌ حَقٌّ مِنَ ٱللهِ وَلَيْسَ بِإِلٰهٍ وَهُوَ يُعَلِّمُ ٱلْخَلْقَ كُلَّ شَيْءٍ وَيُذَكِّرُهُمْ كُلَّ مَا قَالَهُ ٱلْمَسِيحُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لَهُمْ وَكُلَّ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِ ٱللهِ وَأَمَّا قَوْلُهُ أَبِي فَهٰذِهِ ٱللَّفْظَةُ مُبَدَّلَةٌ مُحَرَّفَةٌ وَلَيْسَتْ مُنْكَرَةَ ٱلِاسْتِعْمَالِ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْكِتَابَيْنِ إِشَارَةً إِلَى ٱلرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِأَنَّهَا عِنْدَهُمْ لَفْظَةُ تَعْظِيمٍ يُخَاطِبُ بِهَا ٱلْمُتَعَلِّمُ مُعَلِّمَهُ ٱلَّذِي يَسْتَمِدُّ مِنْهُ

الْعِلْمِ وَمِنَ الْمَشْهُورِ مُخَاطَبَةُ النَّصَارَى عُظَمَاءَ دِينِهِمْ بِالْآبَاءِ الرُّوحَانِيَّةِ وَلَمْ تَزَلْ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَبَنُو عِيصُو يَقُولُونَ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ بِسُوءِ فَهْمِهِمْ عَنِ اللهِ تَعَالَى وَأَمَّا قَوْلُهُ يُرْسِلُهُ بِاسْمِي فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى شَهَادَةِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ بِالصِّدْقِ وَالرِّسَالَةِ وَمَا تَضَمَّنَهُ الْقُرْآنُ مِنْ مَدْحِهِ وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا افْتُرِيَ فِي أَمْرِهِ * وَفِي تَرْجَمَةٍ أُخْرَى لِلْإِنْجِيلِ أَنَّهُ قَالَ: الْفَارَقْلِيطُ إِذَا جَاءَ وَبَّخَ الْعَالَمَ عَلَى الْخَطِيئَةِ وَلَا يَقُولُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ مَا يَسْمَعُ يُكَلِّمُهُمْ بِهِ وَيَسُوسُهُمْ بِالْحَقِّ وَيُخْبِرُهُمْ الْحَوَادِثَ وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ ظُغُرْبِكْ بِلَفْظِ: فَإِذَا جَاءَ رُوحُ الْحَقِّ لَيْسَ يَنْطِقُ مِنْ عِنْدِهِ بَلْ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ مِنَ اللهِ وَيُخْبِرُهُمْ بِكُلِّ مَا يَأْتِي وَهُوَ يُمَجِّدُنِي لِأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا هُوَ لِي وَيُخْبِرُكُمْ» فَقَوْلُهُ لَيْسَ يَنْطِقُ مِنْ عِنْدِهِ وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى وَلَا يَقُولُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ بَلْ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ أَيْ مِنَ اللهِ الَّذِي أَرْسَلَهُ وَهَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي صِفَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى» وَقَوْلُهُ وَهُوَ يُمَجِّدُنِي فَلَمْ يُمَجِّدْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَقَّ تَمْجِيدِهِ إِلَّا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ وَبَرَّأَهُ وَبَرَّأَ أُمَّهُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِمَا وَأَمَرَ بِذَلِكَ. قَالَ ابْنُ ظَفَرٍ فَمَنْ ذَا الَّذِي وَبَّخَ الْعُلَمَاءَ عَلَى كِتْمَانِ الْحَقِّ وَتَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَبَيْعِ الدِّينِ بِالثَّمَنِ الْبَخْسِ وَمَنِ الَّذِي أَنْذَرَ بِالْحَوَادِثِ وَأَخْبَرَ بِالْغُيُوبِ إِلَّا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * وَفِي الدَّلَائِلِ لِلْبَيْهَقِيِّ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْعَاصِ الْأُمَوِيِّ قَالَ بُعِثْتُ أَنَا وَرَجُلٌ آخَرُ إِلَى هِرَقْلَ صَاحِبِ الرُّومِ نَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَأَنَّهُ

أرسل إليهم ليلاً قال فدخلنا عليه فدعا بشيء كهيئة الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها أبواب ففتح واستخرج حريرة سوداء فنشرها فإذا فيها صورة حمراء وإذا رجل ضخم العينين عظيم الإليتين لم أر مثل طول عنقه وإذا له ضفيرتان أحسن ما خلق الله تعالى قال أتعرفون هذا قلنا لا قال هذا آدم عليه السلام ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة سوداء وإذا فيها صورة بيضاء فإذا رجل أحمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية فقال أتعرفون هذا قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام ثم فتح باباً آخر وأخرج حريرة فإذا فيها صورة بيضاء وإذا فيها والله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتعرفون هذا قلنا نعم محمد رسول الله ونبينا والله إنه أي هرقل قام قائماً ثم جلس وقال إنه لهو فقلنا نعم إنه لهو كأنك تنظر إليه فأمسك ساعة ينظر إليها ثم قال أما والله إنه لآخر البيوت ولكن عجلته لكم لأنظر ما عندكم الحديث وفيه ذكر صور الأنبياء إبراهيم وموسى وعيسى وسليمان وغيرهم قال فقلنا له من أين لك هذه الصور فقال إن آدم سأل ربه أن يريه الأنبياء من ولده فأنزل عليه صورهم فكانت في خزانة آدم عليه الصلاة والسلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها إلى دانيال * وفي زبور داود عليه السلام من مزمور أربعة وأربعين: فاضت النعمة من شفتيك من أجل هذا بارك الله إلى الأبد تقلد أيها الجبار سيفك فإن شرائعك وسنتك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونة وجميع الأمم يخرون تحتك. فهذا المزمور ينوه بمحمد صلى الله عليه

وسلم فالنعمة التي فاضت من شفتيه هو القول الذي يقوله وهو الكتاب الذي
أنزل عليه والسنة التي سنها وفي قوله تقلد سيفك أيها الجبار دلالة على أنه النبي
العربي إذ ليس يتقلد السيوف أمة من الأمم إلا العرب وكلهم يتقلدونها على
عواتقهم وفي قوله فإن شرائعك وسنتك نص صريح على أنه صاحب شريعة
وسنة وأنها تقوم بسيفه والجبار الذي يجبر الخلق بالسيف على الحق ويصرفهم
عن الكفر جبرا * وعن وهب بن منبه قال قرأت في بعض الكتب القديمة
قال الله : وعزتي وجلالي لأنزلن على جبال العرب نورا يملأ ما بين المشرق
والمغرب ولأخرجن من ولد إسماعيل نبيا عربيا أميا يؤمن به عدد نجوم السماء
ونبات الأرض كلهم يؤمن بي ربا وبه رسولا ويكفرون بملل آبائهم ويفرون منها
قال موسى سبحانك وتقدست أسماؤك لقد كرمت هذا النبي وشرفته قال الله
يا موسى إني أنتقم من عدوه في الدنيا وفي الآخرة وأظهر دعوته على كل
دعوة وأذل من خالف شريعته وبالعدل زينته وللقسط أخرجته وعزتي
لأستنقذن به أمما من النار فتحت الدنيا بإبراهيم وختمتها بمحمد مثل كتابه
الذي يجيء به فاعقلوه يا بني إسرائيل كمثل السقاء المملوء لبنا يمخض فيخرج
زبدا بكتابه أختم الكتب وبشريعته أختم الشرائع فمن أدركه ولم
يؤمن به ولم يدخل في شريعته فهو من الله بريء أجعل أمته يبنون في مشارق
الأرض ومغاربها مساجد إذا ذكر اسمي فيها ذكر اسم ذلك النبي معي
لا يزول ذكره من الدنيا حتى تزول ذكره ابن ظفر رحمه الله تعالى وغيره

النوع الخامس

فِي آيَاتٍ تَتَضَمَّنُ إِقْسَامَهُ تَعَالَى عَلَى تَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ وَثُبُوتِ مَا أَوْحَى إِلَيْهِ مِنْ آيَاتِهِ وَعُلُوِّ رُتْبَتِهِ الرَّفِيعَةِ وَمَكَانَتِهِ وَفِيهِ خَمْسَةُ فُصُولٍ

﴿الْفَصْلُ الْأَوَّلُ فِي قَسَمِهِ تَعَالَى عَلَى مَا خَصَّهُ بِهِ مِنَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ وَالْفَضْلِ الْعَمِيمِ﴾

قَالَ اللهُ تَعَالَى «نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» قِيلَ إِنَّ نٓ لَوْحٌ مِنْ نُورٍ تَكْتُبُ فِيهِ الْمَلَائِكَةُ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ اللهُ وَلَقَدْ سُئِلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنْ خُلُقِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ فَكَانَ كَلَامُهُ مُطَابِقًا لِلْقُرْآنِ تَفْصِيلًا وَتَبْيِينًا وَعُلُومُهُ عُلُومَ الْقُرْآنِ وَإِرَادَتُهُ وَأَعْمَالُهُ مَا أَوْجَبَهُ وَنَدَبَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ وَإِعْرَاضُهُ وَتَرْكُهُ لِمَا مَنَعَ مِنْهُ الْقُرْآنُ وَرَغْبَتُهُ فِيمَا رَغَّبَ فِيهِ وَزُهْدُهُ فِيمَا زَهَّدَ فِيهِ وَكَرَاهَتُهُ لِمَا كَرِهَهُ وَمَحَبَّتُهُ لِمَا أَحَبَّهُ وَسَعْيُهُ فِي تَنْفِيذِ أَوَامِرِهِ فَتَرْجَمَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا الْكَمَالَ مَعْرِفَتِهَا بِالْقُرْآنِ وَبِالرَّسُولِ وَحُسْنِ تَعْبِيرِهَا عَنْ هٰذَا كُلِّهِ بِقَوْلِهَا كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ * وَلَمَّا وَصَفَهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ عَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ قَالَ «فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ» أَيْ فَسَتَرَى يَا مُحَمَّدُ وَسَيَرَى الْمُشْرِكُونَ عَاقِبَةَ أَمْرِكَ فَإِنَّكَ تَصِيرُ مُعَظَّمًا وَيَصِيرُونَ أَذِلَّاءَ مَغْلُوبِينَ وَتَسْتَوْلِي عَلَيْهِمْ *

﴿الْفَصْلُ الثَّانِي فِي قَسَمِهِ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ وَأَظْهَرَهُ مِنْ قَدْرِهِ الْعَلِيِّ لَدَيْهِ﴾

قَالَ تَعَالَى «وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى» تَأَمَّلْ مُطَابَقَةَ

هذا القسم وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل للمقسم عليه وهو نور الوحي الذي وافاه صلى الله عليه وسلم بعد احتباسه عنه حتى قال أعداؤه ودع محمداً ربه فنفى سبحانه أن يكون ودع نبيه أو قلاه فالتوديع الترك والقلى البغض أي ما تركك منذ اعتنى بك ولا أبغضك منذ أحبك «وللآخرة خير لك من الأولى» هذا يعم أحواله صلى الله عليه وسلم ويدل على أن كل حالة يرقيه إليها هي خير له مما قبلها كما أن الدار الآخرة هي خير له مما قبلها ثم وعده صلى الله عليه وسلم بما تقر به عينه وينشرح به صدره وهو أن يعطيه فيرضى وهذا يعم ما يعطيه من القرآن والهدى ونشر دعوته وإعلاء كلمته على أعدائه في مدة حياته وأيام خلفائه ومن بعدهم وما يعطيه في موقف القيامة من الشفاعة والمقام المحمود وما يعطيه في الجنة من الوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر وبالجملة فقد دلت هذه الآية على أنه تعالى يعطيه عليه الصلاة والسلام كل ما يرضيه * ثم ذكره سبحانه بنعمه عليه وأمره أن يقابلها بما يليق بها من الشكر فقال تعالى «ألم يجدك يتيماً فآوى» إلى آخر السورة *

﴿ الفصل الثالث في قسمه تعالى على تصديقه وتنزيهه عن الهوى في نطقه ﴾

قال تعالى «والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى» أقسم تعالى بالنجم على براءة رسوله مما نسبه إليه أعداؤه من الضلال والغي. قال ابن عباس أقسم بالثريا إذا سقطت وغابت * وتأمل قوله تعالى «ما ضل صاحبكم» ولم يقل محمد تأكيداً لإقامة الحجة عليهم بأنه صاحبهم وهم

أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِهِ وَبِحَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ وَأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ بِكَذِبٍ وَلَا غَيٍّ وَلَا ضَلَالٍ وَلَا يَنْقِمُونَ عَلَيْهِ أَمْرًا وَاحِدًا وَقَدْ نَبَّهَ تَعَالَى عَلَى هٰذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ «أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ» ثُمَّ نَزَّهَ نُطْقَ رَسُولِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَنْ يَصْدُرَ عَنْ هَوًى فَقَالَ تَعَالَى «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى» وَذَكَرَ الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ قَالَ كَانَ جِبْرِيلُ يَنْزِلُ عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسُّنَّةِ كَمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ يُعَلِّمُهُ إِيَّاهَا * ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ وَصْفِ مَنْ عَلَّمَهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْيَ وَالْقُرْآنَ فَقَالَ «عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى» وَهُوَ جِبْرِيلُ وَلَا شَكَّ أَنَّ مَدْحَ الْمُعَلِّمِ مَدْحٌ لِلْمُتَعَلِّمِ وَهٰذَا نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى «ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ» ثُمَّ قَالَ تَعَالَى «فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى» فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ تَصْدِيقِ فُؤَادِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَأَتْهُ عَيْنَاهُ وَأَنَّ الْقَلْبَ صَدَّقَ الْعَيْنَ وَلَيْسَ كَمَنْ رَأَى شَيْئًا عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ بِهِ فَكَذَّبَ فُؤَادُهُ بَصَرَهُ بَلْ مَا رَآهُ بِبَصَرِهِ صَدَّقَهُ الْفُؤَادُ وَعَلِمَ أَنَّهُ كَذٰلِكَ وَقَالَ تَعَالَى «فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِي الْكُنَّسِ» إِلَى قَوْلِهِ «وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ» أَيْ لَا أُقْسِمُ إِذِ الْأَمْرُ أَوْضَحُ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى قَسَمٍ وَفِيهِ أَقْوَالٌ أُخْرَى أَنَّهُ أَيِ الْقُرْآنَ قَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَهُوَ هُنَا جِبْرِيلُ وَأَمَّا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ فِي سُورَةِ الْحَاقَّةِ فَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَضَافَهُ إِلَى الرَّسُولِ الْمَلَكِيِّ تَارَةً وَإِلَى الْبَشَرِيِّ أُخْرَى وَإِضَافَتُهُ إِلَيْهِمَا إِضَافَةُ تَبْلِيغٍ لَا إِضَافَةُ إِنْشَاءٍ مِنْ عِنْدِهِمَا وَلَفْظُ الرَّسُولِ يَدُلُّ عَلَى ذٰلِكَ فَإِنَّ الرَّسُولَ هُوَ الَّذِي يُبَلِّغُ كَلَامَ مَنْ أَرْسَلَهُ فَهٰذَا

صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ كَلَامُ مَنْ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ وَمُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجِبْرِيلُ تَلَقَّاهُ عَنِ ٱللَّهِ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَقَّاهُ عَنْ جِبْرِيلَ وَقَدْ وَصَفَ ٱللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ٱلْمَلَكِيَّ فِي هَٰذِهِ ٱلسُّورَةِ بِأَنَّهُ كَرِيمٌ يُعْطِي أَفْضَلَ ٱلْعَطَايَا وَهِيَ ٱلْعِلْمُ وَٱلْمَعْرِفَةُ وَٱلْهِدَايَةُ وَٱلْبِرُّ وَٱلْإِرْشَادُ وَهَٰذَا غَايَةُ ٱلْكَرَمِ «وَذِي قُوَّةٍ» كَمَا قَالَ فِي ٱلنَّجْمِ عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَى فَيَمْنَعُ بِقُوَّتِهِ ٱلشَّيَاطِينَ أَنْ يَدْنُوا مِنْهُ وَأَنْ يَزِيدُوا فِيهِ أَوْ يَنْقُصُوا مِنْهُ وَرُوِيَ أَنَّهُ رَفَعَ قُرَيَـاتِ قَوْمِ لُوطٍ ٱلْأَرْبَعَ عَلَى قَوَادِمِ جَنَاحِهِ حَتَّى سَمِعَ أَهْلُ ٱلسَّمَاءِ نُبَاحَ كِلَابِهَا وَأَصْوَاتَ بَنِيهَا «عِنْدَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ» أَيْ مُتَمَكِّنِ ٱلْمَنْزِلَةِ وَهَٰذِهِ ٱلْعِنْدِيَّةُ عِنْدِيَّةُ ٱلْإِكْرَامِ وَٱلتَّشْرِيفِ وَٱلتَّعْظِيمِ «مُطَاعٍ» فِي مَلَائِكَةِ ٱللَّهِ تَعَالَى ٱلْمُقَرَّبِينَ يَصْدُرُونَ عَنْ أَمْرِهِ وَيَرْجِعُونَ إِلَى رَأْيِهِ «ثَمَّ» هُنَاكَ «أَمِينٍ» عَلَى وَحْيِ ٱللَّهِ وَرِسَالَتِهِ فَقَدْ عَصَمَهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْخِيَانَةِ وَٱلزَّلَلِ فَهَٰذِهِ خَمْسُ صِفَاتٍ تَتَضَمَّنُ تَزْكِيَةَ سَنَدِ ٱلْقُرْآنِ وَأَنَّهُ سَمَاعُ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جِبْرِيلَ وَسَمَاعُ جِبْرِيلَ مِنْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ فَنَاهِيكَ بِهَٰذَا ٱلسَّنَدِ عُلُوًّا وَجَلَالَةً فَقَدْ تَوَلَّى ٱللَّهُ تَزْكِيَتَهُ بِنَفْسِهِ. ثُمَّ نَزَّهَ رَسُولَهُ ٱلْبَشَرِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزَكَّاهُ مِمَّا يَقُولُ فِيهِ أَعْدَاؤُهُ فَقَالَ «وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ» وَهَٰذَا أَمْرٌ يَعْلَمُونَهُ وَلَا يَشُكُّونَ فِيهِ وَإِنْ قَالُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ خِلَافَهُ فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ رُؤْيَتِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بِقَوْلِهِ «وَلَقَدْ رَآهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ» وَهَٰذَا يَتَضَمَّنُ أَنَّهُ مَلَكٌ مَوْجُودٌ فِي ٱلْخَارِجِ يُرَى بِٱلْعِيَانِ وَيُدْرَكُ بِٱلْبَصَرِ «وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ» قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ لَيْسَ بِبَخِيلٍ بِمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ وَأَجْمَعَ ٱلْمُفَسِّرُونَ

عَلَى أَنَّ الْغَيْبَ هٰهُنَا الْقُرْآنُ وَالْوَحْيُ وَقُرِئَ «بِظَنِينٍ» وَمَعْنَاهُ الْمُتَّهَمُ وَالْمَعْنَى وَمَا
هٰذَا الرَّسُولُ وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْقُرْآنِ بِمُتَّهَمٍ بَلْ هُوَ أَمِينٌ فِيهِ
لَا يَزِيدُ فِيهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ ☆ وَقَالَ تَعَالَى «فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» الْآيَةَ أَقْسَمَ تَعَالَى بِالْأَشْيَاءِ كُلِّهَا مَا يُبْصَرُ مِنْهَا وَمَا
لَا يُبْصَرُ وَهٰذَا أَعَمُّ قَسَمٍ وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ يَعُمُّ الْعُلْوِيَّاتِ وَالسُّفْلِيَّاتِ وَالدُّنْيَا
وَالْآخِرَةَ وَمَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى فَذٰلِكَ كُلُّهُ دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ صَلَّى اللّٰهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ تَعَالَى وَأَنَّهُ حَقٌّ ثَابِتٌ كَمَا أَنَّ سَائِرَ
الْمَوْجُودَاتِ مَا يُرَى مِنْهَا وَمَا لَا يُرَى حَقٌّ كَمَا قَالَ تَعَالَى «فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ» فَكَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ إِنَّهُ حَقٌّ كَمَا أَنَّ
مَا تُشَاهِدُونَهُ مِنَ الْخَلْقِ وَمَا لَا تُشَاهِدُونَهُ حَقٌّ مَوْجُودٌ وَيَكْفِي الْإِنْسَانَ مِنْ
جَمِيعِ مَا يُبْصِرُهُ وَمَا لَا يُبْصِرُهُ نَفْسُهُ وَمَبْدَأُ خَلْقِهِ وَنَشْأَتُهُ وَمَا يُشَاهِدُهُ مِنْ أَحْوَالِهِ
ظَاهِرًا أَوْ بَاطِنًا فَفِي ذٰلِكَ أَبْيَنُ دَلَالَةٍ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ الرَّبِّ وَثُبُوتِ صِفَاتِهِ وَصِدْقِ
مَا أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ لَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ ذٰلِكَ حَقِيقَةً لَمْ تُخَالِطْ
بَشَاشَةُ الْإِيمَانِ قَلْبَهُ . ثُمَّ أَقَامَ سُبْحَانَهُ الْبُرْهَانَ الْقَاطِعَ عَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ وَأَنَّهُ
لَمْ يَتَقَوَّلْ عَلَيْهِ فِيمَا قَالَهُ وَأَنَّهُ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْهِ وَافْتَرَى لَمَا أَقَرَّهُ وَلَعَاجَلَهُ بِالْإِهْلَاكِ
فَإِنَّ كَمَالَ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ يَأْبَى أَنْ يُقِرَّ مَنْ تَقَوَّلَ عَلَيْهِ وَافْتَرَى عَلَيْهِ وَأَضَلَّ
عِبَادَهُ وَاسْتَبَاحَ دِمَاءَ مَنْ كَذَّبَهُ وَحَرِيمَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَكَيْفَ يَلِيقُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ
وَأَقْدَرِ الْقَادِرِينَ أَنْ يُقِرَّ عَلَى ذٰلِكَ بَلْ كَيْفَ يَلِيقُ بِهِ أَنْ يُؤَيِّدَهُ وَيَنْصُرَهُ وَيُعْلِيَهُ

وَيُظْهِرَهُ وَيُظَفِّرَهُ بِهِمْ فَيَسْفِكَ دِمَاءَهُمْ وَيَسْتَبِيحَ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَبِلَادَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ قَائِلًا إِنَّ اللّٰهَ أَمَرَنِي بِذٰلِكَ وَأَبَاحَهُ لِي بَلْ كَيْفَ يَلِيقُ بِهِ أَنْ يُصَدِّقَهُ بِأَنْوَاعِ التَّصْدِيقِ كُلِّهَا فَيُصَدِّقُهُ بِإِقْرَارِهِ وَبِالْآيَاتِ الْمُسْتَلْزِمَةِ لِصِدْقِهِ ثُمَّ يُصَدِّقُهُ بِأَنْوَاعِهَا كُلِّهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا فَكُلُّ آيَةٍ عَلَى انْفِرَادِهَا مُصَدِّقَةٌ لَهُ ثُمَّ يُقِيمُ الدَّلَائِلَ الْقَاطِعَةَ عَلَى أَنَّ هٰذَا قَوْلُهُ وَكَلَامُهُ فَيَشْهَدُ لَهُ بِإِقْرَارِهِ وَفِعْلِهِ وَقَوْلِهِ فَمِنْ أَعْظَمِ الْمُحَالِ وَأَبْطَلِ الْبَاطِلِ وَأَبْيَنِ الْبُهْتَانِ أَنْ يَجُوزَ عَلَى أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ أَنْ يَفْعَلَ ذٰلِكَ وَالْمُرَادُ بِالرَّسُولِ الْكَرِيمِ هُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * وَمِنْ ذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» قِيلَ هُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ وَقِيلَ الْكِتَابُ الَّذِي بِأَيْدِي الْمَلَائِكَةِ وَقِيلَ الْمُصْحَفُ وَرَجَّحَهُ ابْنُ الرِّفْعَةِ *

﴿الْفَصْلُ الرَّابِعُ فِي قَسَمِهِ تَعَالَى عَلَى تَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾

قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى «يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» الْآيَةَ قَالَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ يَا مُحَمَّدُ • وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَسَمٌ أَقْسَمَ اللّٰهُ تَعَالَى بِهِ وَهُوَ مِنْ أَسْمَائِهِ • ثُمَّ قَالَ «وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» وَهُوَ رَدٌّ عَلَى الْكُفَّارِ حَيْثُ قَالُوا لَسْتَ مُرْسَلًا فَأَقْسَمَ اللّٰهُ بِاسْمِهِ وَكِتَابِهِ إِنَّهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ بِوَحْيِهِ إِلَى عِبَادِهِ وَعَلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ مِنْ إِيمَانِهِ أَيْ طَرِيقٍ لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ وَلَا عُدُولَ عَنِ الْحَقِّ قَالَ النَّقَّاشُ لَمْ يُقْسِمِ اللّٰهُ تَعَالَى لِأَحَدٍ مِنْ أَنْبِيَائِهِ بِالرِّسَالَةِ فِي كِتَابِهِ إِلَّا لَهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ *

﴿ الفصل الخامس في قسمه بحياته صلى الله عليه وسلم وعصره وبلده ﴾

قال الله تعالى «لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون» العمر هو العمر ويفتح في القسم ويعمهون يتحيرون وفي المخاطب قولان أحدهما أن الملائكة قالته للوط عليه الصلاة والسلام والثاني أن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه تعالى أقسم بحياته وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض قال ابن عباس ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره قال الله تعالى «لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون» يقول وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا إنهم لفي سكرتهم يعمهون رواه ابن جرير ورواه البغوي في تفسيره بلفظ وما أقسم الله بحياة أحد إلا بحياته صلى الله عليه وسلم وما أقسم بحياة أحد غيره وذلك يدل على أنه أكرم خلق الله على الله * وقال تعالى «لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد» الآية أقسم تعالى بالبلد الأمين وهو مكة أم القرى وهو بلده عليه الصلاة والسلام وقيده بحلوله فيه إظهارا لمزيد فضله وإشعارا بأن شرف المكان بشرف أهله قاله البيضاوي ثم أقسم بالوالد وما ولد وهو فيما قيل إبراهيم وإسماعيل وما ولد محمد صلى الله عليه وسلم وقوله وأنت حل بهذا البلد هو من الحلول فيتضمن إقسامه تعالى ببلده المشتمل على عبده ورسوله فهو خير البقاع واشتمل على خير العباد فقد جعل الله تعالى بيته هدى للناس ونبيه إماما وهاديا لهم وذلك من أعظم نعمه وإحسانه إلى خلقه ولا يخفى

مَا فِي قَسَمِهِ تَعَالَى بِبَلَدِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ زِيَادَةِ ٱلتَّعْظِيمِ . وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ ٱللهِ لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ ٱللهِ أَنْ أَقْسَمَ بِحَيَاتِكَ دُونَ سَائِرِ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَهُ أَنْ أَقْسَمَ بِبَلَدِكَ فَقَالَ «لَا أُقْسِمُ بِهٰذَا ٱلْبَلَدِ» قِيلَ مَكَّةُ وَقِيلَ ٱلْمَدِينَةُ ☆ وَقَالَ تَعَالَى «وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ» وَفِي تَفْسِيرِ ٱلْفَخْرِ ٱلرَّازِيِّ وَٱلْبَيْضَاوِيِّ وَغَيْرِهِمَا أَنَّهُ أَقْسَمَ بِزَمَانِ ٱلرَّسُولِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلرَّازِيُّ وَٱحْتَجُّوا لَهُ بِقَوْلِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مَثَلُ رَجُلٍ ٱسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ مِنَ ٱلْفَجْرِ إِلَى ٱلظُّهْرِ بِقِيرَاطٍ فَعَمِلَتِ ٱلْيَهُودُ ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ مِنَ ٱلظُّهْرِ إِلَى ٱلْعَصْرِ بِقِيرَاطٍ فَعَمِلَتِ ٱلنَّصَارَى ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ مِنَ ٱلْعَصْرِ إِلَى ٱلْمَغْرِبِ بِقِيرَاطَيْنِ فَعَمِلْتُمْ فَغَضِبَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَارَى وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلُّ أَجْرًا فَقَالَ ٱللهُ تَعَالَى وَهَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ شَيْئًا قَالُوا لَا قَالَ فَذٰلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ فَكُنْتُمْ أَقَلَّ عَمَلًا وَأَكْثَرَ أَجْرًا رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ قَالُوا فَهٰذَا ٱلْحَدِيثُ دَلَّ عَلَى أَنَّ ٱلْعَصْرَ هُوَ عَصْرُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلَّذِي هُوَ فِيهِ فَيَكُونُ عَلَى هٰذَا أَقْسَمَ تَعَالَى بِزَمَانِهِ فِي هٰذِهِ ٱلْآيَةِ وَبِمَكَانِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «وَأَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا ٱلْبَلَدِ» وَبِعُمْرِهِ فِي قَوْلِهِ «لَعَمْرُكَ» وَذٰلِكَ كُلُّهُ كَٱلظَّرْفِ فَكَيْفَ حَالُ ٱلْمَظْرُوفِ قَالَ وَوَجْهُ ٱلْقَسَمِ كَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ مَا أَعْظَمَ خُسْرَانَهُمْ إِذْ أَعْرَضُوا عَنْكَ فَٱنْظُرْ شِدَّةَ ٱعْتِنَاءِ ٱلْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي شَأْنِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْلَمْ أَنَّهُ أَحَبُّ خَلْقِ ٱللهِ إِلَى ٱللهِ ☆

النوع السادس

فِي وَصفِهِ تعالَى لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالنُّورِ وَالسِّرَاجِ الْمُنِيرِ

إِعلَمْ أَنَّ اللَّهَ تعالَى قَدْ وَصَفَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنُّورِ فِي قَوْلِهِ تعالَى «قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ» وَقِيلَ الْمُرَادُ الْقُرْآنُ وَوَصَفَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيْضاً بِالسِّرَاجِ الْمُنِيرِ فِي قَوْلِهِ تعالَى «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً» وَالْمُرَادُ كَوْنُهُ هَادِياً مُبِيناً كَالسِّرَاجِ الَّذِي يُرِي الطَّرِيقَ وَيُبَيِّنُ الْهُدَى وَالرَّشَادَ فَبَيَانُهُ أَقْوَى وَأَتَمُّ وَأَنْفَعُ مِنْ نُورِ الشَّمْسِ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ نَفْسُهُ الْقُدْسِيَّةُ أَعْظَمَ فِي النُّورَانِيَّةِ مِنَ الشَّمْسِ فَكَمَا أَنَّ الشَّمْسَ فِي عَالَمِ الْأَجْسَامِ تُفِيدُ النُّورَ لِغَيْرِهَا وَلَا تَسْتَفِيدُ مِنْ غَيْرِهَا فَكَذَا نَفْسُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُفِيدُ الْأَنْوَارَ الْعَقْلِيَّةَ لِسَائِرِ الْأَنْفُسِ الْبَشَرِيَّةِ وَكَذَلِكَ وَصَفَ اللَّهُ الشَّمْسَ بِأَنَّهَا سِرَاجٌ حَيْثُ قَالَ «وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً» * وَكَمَا وَصَفَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِأَنَّهُ نُورٌ وَصَفَ نَفْسَهُ الْمُقَدَّسَةَ بِذَلِكَ فَقَالَ «اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» فَلَيْسَ فِيهِمَا إِلَّا اللَّهُ وَنُورُهُ الْمُقَدَّسُ هُوَ سِرُّ الْوُجُودِ وَالْحَيَاةِ وَالْجَمَالِ وَالْكَمَالِ وَهُوَ الَّذِي أَشْرَقَ عَلَى الْعَالَمِ فَأَشْرَقَ عَلَى الْعَوَالِمِ الرُّوحَانِيَّةِ وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ فَصَارَتْ سُرُجاً مُنِيرَةً يَسْتَمِدُّ مِنْهَا مَنْ دُونَهَا بِجُودِ اللَّهِ ثُمَّ سَرَى النُّورُ إِلَى عَالَمِ النُّفُوسِ الْإِنْسَانِيَّةِ ثُمَّ طَرَحَتْهُ النُّفُوسُ عَلَى صَفَحَاتِ الْجُسُومِ فَلَيْسَ فِي الْوُجُودِ إِلَّا نُورُ اللَّهِ السَّارِي

إِلَى ٱلشَّيْءِ مِنْهُ بِقَدْرِ قَبُولِهِ وَوُسْعِ ٱسْتِعْدَادِهِ وَرَحْبِ تَلَقِّيهِ وَقَوْلُهُ « مَثَلُ نُورِهِ » أَيْ مَثَلُ هُدَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَعَنْ مُقَاتِلٍ أَيْ مَثَلُ ٱلْإِيمَانِ فِي قَلْبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ فَٱلْمِشْكَاةُ نَظِيرُ صُلْبِ عَبْدِ ٱللهِ وَٱلزُّجَاجَةُ نَظِيرُ جَسَدِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَٱلْمِصْبَاحُ نَظِيرُ ٱلْإِيمَانِ وَٱلنُّبُوَّةِ فِي قَلْبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَعَنْ غَيْرِهِ ٱلْمِشْكَاةُ نَظِيرُ إِبْرَاهِيمَ وَٱلزُّجَاجَةُ نَظِيرُ إِسْمَاعِيلَ وَٱلْمِصْبَاحُ جَسَدُ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ وَٱلشَّجَرَةُ ٱلنُّبُوَّةُ وَٱلرِّسَالَةُ *

النوع السابع

فِي آيَاتٍ تَتَضَمَّنُ وُجُوبَ طَاعَتِهِ وَٱتِّبَاعِ سُنَّتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ ٱللهُ تَعَالَى « يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَرَسُولَهُ » وَقَالَ ٱللهُ تَعَالَى « وَأَطِيعُوا ٱللهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » وَقَالَ تَعَالَى « قُلْ أَطِيعُوا ٱللهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَافِرِينَ » قَالَ ٱلْقَاضِي عِيَاضٌ فَجَعَلَ طَاعَتَهُ طَاعَةَ رَسُولِهِ وَقَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ وَوَعَدَ عَلَى ذٰلِكَ بِجَزِيلِ ٱلثَّوَابِ وَأَوْعَدَ عَلَى مُخَالَفَتِهِ بِسُوءِ ٱلْعِقَابِ وَقَالَ تَعَالَى « مَنْ يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللهَ » يَعْنِي مَنْ أَطَاعَ ٱلرَّسُولَ لِكَوْنِهِ رَسُولًا مُبَلِّغًا إِلَى ٱلْخَلْقِ أَحْكَامَ ٱللهِ فَهُوَ فِي ٱلْحَقِيقَةِ مَا أَطَاعَ إِلَّا ٱللهَ وَذٰلِكَ فِي ٱلْحَقِيقَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِتَوْفِيقِ ٱللهِ « وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا » فَإِنَّ مَنْ أَعْمَاهُ ٱللهُ عَنِ ٱلرُّشْدِ وَأَضَلَّهُ عَنِ ٱلطَّرِيقِ فَإِنَّ أَحَدًا مِنْ خَلْقِ ٱللهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى إِرْشَادِهِ وَهٰذِهِ ٱلْآيَةُ مِنْ أَقْوَى ٱلْأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّ ٱلرَّسُولَ مَعْصُومٌ

فِي جَمِيعِ ٱلْأَوَامِرِ وَٱلنَّوَاهِي وَفِي كُلِّ مَا يُبَلِّغُهُ عَنِ ٱللهِ لِأَنَّهُ لَوْ أَخْطَأَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا لَمْ تَكُنْ طَاعَتُهُ طَاعَةً لِلهِ تَعَالَى وَأَيْضاً وَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَعْصُوماً فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ لِأَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ بِمُتَابَعَتِهِ فِي قَوْلِهِ «وَٱتَّبِعُوهُ» وَٱلْمُتَابَعَةُ عِبَارَةٌ عَنِ ٱلْإِتْيَانِ بِمِثْلِ فِعْلِ ٱلْغَيْرِ فَثَبَتَ أَنَّ ٱلْإِنْقِيَادَ لَهُ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ إِلَّا مَا خَصَّهُ ٱلدَّلِيلُ بِهِ طَاعَةٌ لَهُ وَٱنْقِيَادٌ لِحُكْمِ ٱللهِ تَعَالَى قَالَ ٱللهُ تَعَالَى «وَمَنْ يُطِعِ ٱللهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَٱلصَّالِحِينَ» ٱلْآيَةَ وَهٰذَا عَامٌّ فِي ٱلْمُطِيعِينَ لِلهِ مِنْ أَصْحَابِ ٱلرَّسُولِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَقَدْ ذَكَرُوا فِي سَبَبِ نُزُولِ هٰذِهِ ٱلْآيَةِ أَنَّ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ شَدِيدَ ٱلْحُبِّ لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلِيلَ ٱلصَّبْرِ عَنْهُ فَأَتَاهُ يَوْماً وَقَدْ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَنَحَلَ جِسْمُهُ وَعُرِفَ ٱلْحُزْنُ فِي وَجْهِهِ فَسَأَلَهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ ٱللهِ مَا بِي وَجَعٌ غَيْرَ أَنِّي إِذَا لَمْ أَرَكَ ٱشْتَقْتُكَ وَٱسْتَوْحَشْتُ وَحْشَةً عَظِيمَةً حَتَّى أَلْقَاكَ فَذَكَرْتُ ٱلْآخِرَةَ بِحَيْثُ لَا أَرَاكَ هُنَاكَ لِأَنِّي إِنْ دَخَلْتُ ٱلْجَنَّةَ فَأَنْتَ تَكُونُ فِي دَرَجَاتِ ٱلنَّبِيِّينَ وَإِنْ أَنَا لَمْ أَدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ فَحِينَئِذٍ لَا أَرَاكَ أَبَداً فَنَزَلَتْ هٰذِهِ ٱلْآيَةُ وَذَكَرَ ٱبْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ ٱللهِ مَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُفَارِقَكَ فَإِنَّكَ لَوْ قَدْ مُتَّ لَرُفِعْتَ فَوْقَنَا وَلَمْ نَرَكَ فَأَنْزَلَ ٱللهُ ٱلْآيَةَ. وَذَكَرَ عَنْ عِكْرِمَةَ مُرْسَلاً قَالَ أَتَى فَتًى لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ ٱللهِ إِنَّ لَنَا مِنْكَ نَظْرَةً فِي ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ لَا نَرَاكَ فَإِنَّكَ فِي ٱلْجَنَّةِ فِي ٱلدَّرَجَاتِ ٱلْعُلَى فَأَنْزَلَ ٱللهُ هٰذِهِ ٱلْآيَةَ فَقَالَ

لَهُ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ. قَالَ الْمُحَقِّقُونَ لَا تُنْكَرُ صِحَّةُ هٰذِهِ الرِّوَايَاتِ إِلَّا أَنَّ سَبَبَ نُزُولِ هٰذِهِ الْآيَةِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ شَيْئًا أَعْظَمَ مِنْ ذٰلِكَ وَهُوَ الْحَثُّ عَلَى الطَّاعَةِ وَالتَّرْغِيبُ فِيهَا فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ خُصُوصَ السَّبَبِ لَا يَقْدَحُ فِي عُمُومِ اللَّفْظِ فَهٰذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي حَقِّ جَمِيعِ الْمُكَلَّفِينَ وَهُوَ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَطَاعَ اللّٰهَ وَأَطَاعَ الرَّسُولَ فَقَدْ فَازَ بِالدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ فِي الْمَرَاتِبِ الشَّرِيفَةِ عِنْدَهُ تَعَالَى وَقَدْ ثَبَتَ وَصَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ وَثَبَتَ عَنْهُ أَيْضًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا نَزَلْتُمْ مَنْزِلًا إِلَّا وَهُمْ مَعَكُمْ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ ۞ وَقَالَ تَعَالَى «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» وَهٰذِهِ الْآيَةُ الشَّرِيفَةُ تُسَمَّى آيَةَ الْمَحَبَّةِ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ ادَّعَى قَوْمٌ مَحَبَّةَ اللّٰهِ فَأَنْزَلَ اللّٰهُ هٰذِهِ الْآيَةَ إِشَارَةً إِلَى دَلِيلِ الْمَحَبَّةِ وَثَمَرَتِهَا وَفَائِدَتِهَا فَدَلِيلُهَا وَعَلَامَتُهَا اتِّبَاعُ الرَّسُولِ وَفَائِدَتُهَا وَثَمَرَتُهَا مَحَبَّةُ الْمُرْسِلِ لَكُمْ فَمَا لَمْ تَحْصُلِ الْمُتَابَعَةُ فَلَا مَحَبَّةَ لَكُمْ حَاصِلَةٌ وَمَحَبَّتُهُ لَكُمْ مُنْتَفِيَةٌ وَيَسْتَحِيلُ ثُبُوتُ مَحَبَّتِهِمْ لِلّٰهِ وَثُبُوتُ مَحَبَّةِ اللّٰهِ لَهُمْ بِدُونِ الْمُتَابَعَةِ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مُتَابَعَةَ الرَّسُولِ هِيَ حُبُّ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَطَاعَةُ أَمْرِهِ وَلَا يَكْفِي ذٰلِكَ فِي الْعُبُودِيَّةِ حَتَّى يَكُونَ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَمَتَى كَانَ شَيْءٌ عِنْدَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُمَا فَهٰذَا هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ لِصَاحِبِهِ أَلْبَتَّةَ وَلَا يَهْدِيهِ اللّٰهُ قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى «قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ

تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين» فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله أو مرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله أو خوف أحد منهم أو رجاءه أو التوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه أو معاملة أحد منهم على معاملة الله ورسوله فهو ممن ليس الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وإن قال بلسانه فهو كذب منه وإخبار بما ليس هو عليه انتهى ملخصاً من كتاب مدارج السالكين * وقال تعالى «فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون» أي إلى الصراط المستقيم فجعل رجاء الاهتداء أثر الأمرين الإيمان بالرسول واتباعه تنبيهاً على أن من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو في الضلالة فكل ما أتى به الرسول عليه الصلاة والسلام يجب علينا اتباعه إلا ما خصه الدليل به * وقال تعالى «فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا» يعني القرآن فالإيمان به صلى الله عليه وسلم واجب متعين على كل أحد لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه قال تعالى «ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا» أي ومن لم يؤمن بالله ورسوله فهو من الكافرين وإنا أعتدنا للكافرين سعيرا * وقال تعالى «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم» الآية معناها فوربك ولا مزيدة للتأكيد لمعنى القسم ولا يؤمنون جواب القسم أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة

ٱلْمُقَدَّسَةِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَحَدٌ حَتَّى يُحَكِّمَ ٱلرَّسُولَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ وَيَرْضَى بِجَمِيعِ مَا حَكَمَ بِهِ وَيَنْقَادَ لَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا سَوَاءٌ كَانَ ٱلْحُكْمُ بِمَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ أَوْ يُخَالِفُهَا كَمَا وَرَدَ فِي ٱلْحَدِيثِ وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ وَهٰذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ ٱلرَّسُولِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا وَعَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ حُصُولِ ٱلرِّضَا بِحُكْمِهِ فِي ٱلْقَلْبِ وَذٰلِكَ بِأَنْ يَحْصُلَ ٱلْجَزْمُ وَٱلتَّيَقُّنُ فِي ٱلْقَلْبِ بِأَنَّ ٱلَّذِي يَحْكُمُ بِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هُوَ ٱلْحَقُّ وَٱلصِّدْقُ فَلَا بُدَّ مِنَ ٱلْإِنْقِيَادِ لَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا

ٱلنَّوْعُ ٱلثَّامِنُ

فِيمَا يَتَضَمَّنُ ٱلْأَدَبَ مَعَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ ٱللهُ تَعَالَى «يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ ٱللهِ وَرَسُولِهِ» قَالَ مُجَاهِدٌ لَا تَفْتَاتُوا عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ حَتَّى يَقْضِيَهُ ٱللهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِهِ وَٱنْظُرْ أَدَبَ ٱلصِّدِّيقِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ مَعَهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فِي ٱلصَّلَاةِ أَنْ تَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ كَيْفَ تَأَخَّرَ فَقَالَ مَا كَانَ لِٱبْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَيْفَ أَوْرَثَهُ ٱللهُ مَقَامَهُ وَٱلْإِمَامَةَ بَعْدَهُ. وَقَالَ ٱلضَّحَّاكُ لَا تَقْضُوا أَمْرًا دُونَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ غَيْرُهُ لَا تَأْمُرُوا حَتَّى يَأْمُرَ وَلَا تَنْهَوْا حَتَّى يَنْهَى * فَمِنَ ٱلْأَدَبِ أَنْ لَا يُتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِأَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ وَلَا إِذْنٍ وَلَا تَصَرُّفٍ حَتَّى يَأْمُرَ هُوَ وَيَنْهَى وَيَأْذَنَ كَمَا أَمَرَ ٱللهُ

تَعَالَى بِذَٰلِكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْآيَةِ وَهَٰذَا بَاقٍ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ لَمْ يُنْسَخْ فَٱلتَّقَدُّمُ بَيْنَ يَدَيْ
سُنَّتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ كَٱلتَّقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي حَيَاتِهِ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا عِنْدَ ذِي عَقْلٍ سَلِيمٍ *
وَمِنَ ٱلْأَدَبِ مَعَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا تُرْفَعَ ٱلْأَصْوَاتُ فَوْقَ صَوْتِهِ كَمَا
قَالَ تَعَالَى «يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا
لَهُ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ» قَالَ ٱلرَّازِيُّ أَفَادَ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ ٱلْمُؤْمِنُ
عِنْدَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا يَتَكَلَّمُ ٱلْعَبْدُ عِنْدَ سَيِّدِهِ أَيْ بَلْ يَكُونُ صَوْتُهُ
دُونَ صَوْتِهِ مَعَ سَيِّدِهِ . وَإِذَا كَانَ رَفْعُ ٱلْأَصْوَاتِ فَوْقَ صَوْتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مُوجِبًا لِحُبُوطِ ٱلْأَعْمَالِ فَمَا ٱلظَّنُّ بِرَفْعِ ٱلْآرَاءِ وَنَتَائِجِ ٱلْأَفْكَارِ عَلَى سُنَّتِهِ وَمَا
جَاءَ بِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا نَزَلَتْ هَٰذِهِ ٱلْآيَةُ قَالَ وَٱللهِ
يَا رَسُولَ ٱللهِ لَا أُكَلِّمُكَ إِلَّا كَأَخِي ٱلسِّرَارِ أَيِ ٱلْكَلَامِ ٱلْخَفِيِّ ٱلَّذِي يُرَادُ
كَتْمُهُ وَأَنَّ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا حَدَّثَهُ حَدَّثَهُ كَأَخِي ٱلسِّرَارِ مَا كَانَ
يُسْمِعُ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَهُ بَعْدَ هَٰذِهِ ٱلْآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ . وَرُوِيَ
أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ نَاظَرَ مَالِكًا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فِي هَٰذَا ٱلْمَسْجِدِ فَإِنَّ ٱللهَ عَزَّ
وَجَلَّ أَدَّبَ قَوْمًا فَقَالَ «لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ» وَمَدَحَ قَوْمًا فَقَالَ
«إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ ٱللهِ» ٱلْآيَةَ وَذَمَّ قَوْمًا فَقَالَ «إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ» ٱلْآيَةَ وَإِنَّ حُرْمَتَهُ مَيْتًا كَحُرْمَتِهِ حَيًّا فَاسْتَكَانَ لَهَا
أَبُو جَعْفَرٍ * وَمِنَ ٱلْأَدَبِ مَعَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا يُجْعَلَ دُعَاؤُهُ كَدُعَاءِ

بَعْضِنَا بعْضًا قَالَ تَعَالَى «لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا» وَفِيهِ قَوْلَانِ لِلْمُفَسِّرِينَ أَحَدُهُمَا لَا تَدْعُوهُ بِاسْمِهِ كَمَا يَدْعُو بَعْضُكُمْ بَعْضًا بَلْ قُولُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَعَ التَّوْقِيرِ وَالتَّوَاضُعِ الثَّانِي أَنَّ الْمَعْنَى لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَهُ لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ دُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا إِنْ شَاءَ الْمَدْعُوُّ أَجَابَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ بَلْ إِذَا دَعَاكُمْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ بُدٌّ مِنْ إِجَابَتِهِ وَلَمْ يَسَعْكُمُ التَّخَلُّفُ عَنْهَا أَلْبَتَّةَ فَإِنَّ الْمُبَادَرَةَ إِلَى إِجَابَتِهِ وَاجِبَةٌ وَالْمُرَاجَعَةَ بِغَيْرِ إِذْنِهِ مُحَرَّمَةٌ * وَمِنَ الْأَدَبِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ مِنْ خُطْبَةٍ أَوْ جِهَادٍ أَوْ رِبَاطٍ لَمْ يَذْهَبْ أَحَدٌ مَذْهَبًا فِي حَاجَةٍ لَهُ حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ» * وَمِنَ الْأَدَبِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَا يُسْتَشْكَلُ قَوْلُهُ بَلْ تُسْتَشْكَلُ الْآرَاءُ بِقَوْلِهِ وَلَا يُعَارَضُ نَصُّهُ بِقِيَاسٍ بَلْ تُهْدَرُ الْأَقْيِسَةُ وَتُلْقَى لِنُصُوصِهِ وَلَا يُحَرَّفُ كَلَامُهُ عَنْ حَقِيقَتِهِ لِخَيَالٍ مُخَالِفٍ تُسَمِّيهِ أَصْحَابُهُ مَعْقُولًا نَعَمْ هُوَ مَجْهُولٌ وَعَنِ الصَّوَابِ مَعْزُولٌ وَلَا يَتَوَقَّفُ قَبُولُ مَا جَاءَ بِهِ عَلَى مُوَافَقَةِ أَحَدٍ فَكُلُّ هَذَا مِنْ قِلَّةِ الْأَدَبِ مَعَهُ وَهُوَ عَيْنُ الْجُرْأَةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * وَرَأْسُ الْأَدَبِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَالُ التَّسْلِيمِ لَهُ وَالْانْقِيَادِ لِأَمْرِهِ وَتَلَقِّي خَبَرِهِ بِالْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ دُونَ أَنْ يُحَمِّلَهُ مُعَارَضَةَ خَيَالٍ بَاطِلٍ عَلَى أَنْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِ آرَاءَ الرِّجَالِ فَيُوَحِّدُ التَّحْكِيمَ وَالتَّسْلِيمَ وَالْانْقِيَادَ لِلرَّسُولِ كَمَا وَحَّدَ الْمُرْسِلَ بِالْعِبَادَةِ فَهُمَا تَوْحِيدَانِ لَا نَجَاةَ إِلَّا بِهِمَا . وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ بِالْآيَاتِ الْمُرْشِدَةِ إِلَى الْأَدَبِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ *

النوع التاسع

في آيات تتضمن رده تعالى بنفسه المقدسة على عدوه صلى الله عليه وسلم ترفيعا لشأنه

قال الله تعالى «ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون» لما قال المشركون «يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون» أجاب تعالى عنه عدوه بنفسه من غير واسطة وهكذا سنة الأحباب فإن الحبيب إذا سمع من يسب حبيبه تولى بنفسه جوابه فهنا تولى الحق سبحانه وتعالى جوابهم بنفسه منتصرا له لأن نصرته تعالى له أتم من نصرته وأرفع لمنزلته فأقسم تعالى بما أقسم به من عظيم آياته على تنزيه رسوله مما افترت به عليه أعداؤه الكفرة وتكذيبهم له بقوله «ما أنت بنعمة ربك بمجنون» وسيعلم أعداؤه المكذبون له أيهم المفتون هو أو هم في الدنيا ويزداد علمهم به في البرزخ وينكشف ويظهر كل الظهور في الآخرة بحيث يتساوى الخلق كلهم في العلم به صلى الله عليه وسلم وقال تعالى «وما صاحبكم بمجنون» ولما رأى العاصي بن وائل السهمي النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاصي قالوا من ذا الذي كنت تحدث معه قال ذلك الأبتر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة فرد الله تعالى عليه وتولى

جَوَابَهُ بِقَوْلِهِ «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» أَيْ عَدُوَّكَ وَمُبْغِضَكَ هُوَ الذَّلِيلُ الْحَقِيرُ. وَلَمَّا قَالُوا «أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» قَالَ تَعَالَى «بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ». وَلَمَّا قَالُوا «لَسْتَ مُرْسَلًا» أَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَقَالَ «يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» وَلَمَّا قَالُوا «أَإِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ» رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ فَقَالَ «بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ» فَصَدَّقَهُ ثُمَّ ذَكَرَ وَعِيدَ خُصَمَائِهِ فَقَالَ «إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ» وَلَمَّا قَالُوا «أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ» رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ «وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ». وَلَمَّا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ قَوْلَهُمْ «إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ» كَذَّبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ «فَقَدْ جَاؤُا ظُلْمًا وَزُورًا». وَقَالَ رَدًّا لِقَوْلِهِمْ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ «قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ». وَلَمَّا قَالُوا يُلْقِيهِ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ الْآيَةَ». وَلَمَّا تَلَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الْأَوَّلِينَ قَالَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ «لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» قَالَ اللَّهُ تَعَالَى تَكْذِيبًا لَهُمْ «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا». وَلَمَّا قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ «إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ» قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ» تَسْلِيَةً لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَلَمَّا قَالُوا مُحَمَّدٌ قَلَاهُ رَبُّهُ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ «مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى». وَلَمَّا قَالُوا «مَا لِهَذَا

ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ» قَالَ ٱللهُ تَعَالَى «وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ» وَلَمَّا حَسَدَتْهُ أَعْدَاءُ ٱللهِ ٱلْيَهُودُ عَلَى كَثْرَةِ ٱلنِّكَاحِ وَٱلزَّوْجَاتِ وَقَالُوا مَا هِمَّتُهُ إِلَّا ٱلنِّكَاحُ رَدَّ ٱللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ عَنْ رَسُولِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ «أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ ٱللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً». وَلَمَّا ٱسْتَبْعَدُوا أَنْ يَبْعَثَ ٱللهُ رَسُولاً مِنَ ٱلْبَشَرِ بِقَوْلِهِمُ ٱلَّذِي حَكَاهُ ٱللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ «وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ ٱلْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ ٱللهُ بَشَراً رَسُولاً» وَجَهِلُوا أَنَّ ٱلتَّجَانُسَ يُورِثُ ٱلتَّآنُسَ وَأَنَّ ٱلتَّخَالُفَ يُورِثُ ٱلتَّبَايُنَ قَالَ ٱللهُ تَعَالَى «قُلْ لَوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً» أَيْ لَوْ كَانُوا مَلَائِكَةً لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُمْ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ لَكِنْ لَمَّا كَانَ أَهْلُ ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْبَشَرِ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُمْ مِنَ ٱلْبَشَرِ وَقَدْ كَانَتِ ٱلْأَنْبِيَاءُ إِنَّمَا يُدَافِعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَيَرُدُّونَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ كَقَوْلِ نُوحٍ «يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ» وَقَوْلِ هُودٍ «يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ» ☆

النوع العاشر

فِي إِزَالَةِ ٱلشُّبُهَاتِ عَنْ آيَاتٍ وَرَدَتْ فِي حَقِّهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مُتَشَابِهَاتٍ

قَالَ ٱللهُ تَعَالَى «وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى» إِعْلَمْ أَنَّهُ قَدِ ٱتَّفَقَ ٱلْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا ضَلَّ لَحْظَةً وَاحِدَةً قَطُّ قَالَ فِي ٱلشِّفَاءِ وَٱلصَّوَابُ أَنَّ ٱلْأَنْبِيَاءَ

معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكيك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والإيمان بل على إشراق أنوار المعارف ونفحات ألطاف السعادة ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحداً نبيء واصطفي ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل * واختلف في تفسير هذه الآية قال ابن عباس وجماعة ووجدك ضالاً عن معالم النبوة ويؤيده قوله تعالى « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان » أي ما كنت تدري قبل الوحي أن تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان قاله السمرقندي . قال بكر القاضي ولا الإيمان الذي هو الفرائض والأحكام وقد كان عليه الصلاة والسلام قبل مؤمناً بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فازداد بالتكليف إيماناً . وذكر الإمام فخر الدين أنه صلى الله عليه وسلم قال ضللت عن جدي عبد المطلب وأنا صبي حتى كاد الجوع يقتلني فهداني الله . وعن علي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد ثم ما هممت بعدهما بشيء حتى أكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى غنماً بأعلى مكة لو حفظت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت حتى أتيت أول دار من دور أهل مكة سمعت عزفاً بالدفوف والمزامير فجلست أنظر إليهم وضرب الله على أذني فنمت فما أيقظني

إلا مسُّ الشمسِ ثم قلتُ ليلةً أُخرى مثل ذلك فضرب الله على أُذني فما أيقظني إلا مسُّ الشمسِ ثم ما هممتُ بعدهما بسوءٍ حتى أكرمني الله برسالته * وأما قوله تعالى «ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك» فقد اختلف في تفسيره فقيل المراد منه تخفيف أعباء النبوة التي يثقل الظهر القيام بأمرها وحفظ موجباتها والمحافظة على حقوقها فسهل الله ذلك عليه وحط عنه ثقلها بأن يسرها عليه حتى تيسرت له. وقيل الوزر ما كان يكرهه من تغييرهم لسنة الخليل عليه الصلاة والسلام وكان لا يقدر على منعهم إلى أن قواه الله تعالى وقال له اتبع ملة إبراهيم ومعنى أنقض أعيى وأثقل * وأما قوله تعالى «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» فقال ابن عباس أي إنك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب أن لو كان وقيل المراد أمته صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالذنب ترك الأولى كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين. وقال السبكي قد تأملتها يعني الآية مع ما قبلها وما بعدها فوجدتها لا تحتمل إلا وجها واحدا وهو تشريف النبي صلى الله عليه وسلم من غير أن يكون هناك ذنب. وقد سبقه ابن عطية فقال وإنما المعنى التشريف بهذا الحكم ولم تكن ذنوب ألبتة. كيف يتخيل خلاف ذلك وأحواله عليه السلام منقسمة إلى قول وفعل أما القول فقال تعالى «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى» وأما الفعل فإجماع الصحابة على اتباعه والتأسي به في كل ما يفعله من قليل أو كثير أو صغير أو كبير لم يكن عندهم في ذلك توقف ولا بحث حتى أعماله في السر والخلوة يحرصون على

الْعِلْمِ بِهَا وَعَلَى اتِّبَاعِهَا عَلِمَ بِهِمْ أَوْ لَمْ يَعْلَمْ وَمَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ الصَّحَابَةِ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ أَنْ يَخْطُرَ بِبَالِهِ خِلَافُ ذَٰلِكَ. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ» فَإِنَّمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِتَقْوَى تُوجِبُ اسْتِدَامَةَ الْحُضُورِ وَقِيلَ الْمُرَادُ دُمْ عَلَى التَّقْوَى وَقِيلَ الْخِطَابُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُرَادُ أُمَّتُهُ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى «إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» وَلَمْ يَقُلْ بِمَا تَعْمَلُ * وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى «فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ» فَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ مَا عَلَيْهِ الْكُفَّارُ فِي أَمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنِسْبَتِهِ إِلَى مَا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ مَعَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْكَمَالِ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَالْخُلُقِ الْعَظِيمِ أَتْبَعَهُ بِمَا يُقَوِّي قَلْبَهُ وَيَدْعُوهُ إِلَى التَّشْدِيدِ مَعَ قَوْمِهِ وَقَوَّى قَلْبَهُ بِذَٰلِكَ مَعَ قِلَّةِ الْعَدَدِ وَكَثْرَةِ الْكُفَّارِ فَإِنَّ هَٰذِهِ السُّورَةَ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ فَقَالَ «فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ» وَالْمُرَادُ رُؤَسَاءُ الْكُفَّارِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَذَٰلِكَ أَنَّهُمْ دَعَوْهُ إِلَى دِينِهِمْ فَنَهَاهُ اللَّهُ أَنْ يُطِيعَهُمْ وَهَٰذَا مِنَ اللَّهِ تَهْيِيجٌ لِلتَّشْدِيدِ فِي مُخَالَفَتِهِمْ * وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى «فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ» الْآيَةَ فَقَالَ قَوْمٌ الْمُخَاطَبُ بِهِ غَيْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ آخَرُونَ الْمُخَاطَبُ بِهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الظَّاهِرِ وَالْمُرَادُ غَيْرُهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ» وَأَمْثَالُهُ كَثِيرَةٌ أَوْ يَكُونُ عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ لَا إِمْكَانِ وُقُوعِ الشَّكِّ لَهُ وَلِذَٰلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهِ لَا أَشُكُّ وَلَا أَسْأَلُ * وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ

بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» أَيْ فِي أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ذٰلِكَ * وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى «وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ» فَقَدْ أَمَرَهُ اللّٰهُ بِالْتِزَامِ الصَّبْرِ عَلَى إِعْرَاضِ قَوْمِهِ وَأَنْ لَا يَضِيقَ صَدْرُهُ عِنْدَ ذٰلِكَ فَيُقَارِبَ حَالَ الْجَاهِلِ بِشِدَّةِ التَّحَسُّرِ وَقِيلَ الْخِطَابُ لِأُمَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَيْ فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْجَاهِلِينَ وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ * وَكَذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى «وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ» فَالْمُرَادُ غَيْرُهُ كَمَا قَالَ «إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا» وَقَوْلُهُ تَعَالَى «إِنْ يَشَإِ اللّٰهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ» «وَلَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ» وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ فَالْمُرَادُ غَيْرُهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى «وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ» فَلَيْسَ بِمَعْنَى قَوْلِهِ «وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ» وَإِنَّمَا الْمَعْنَى لَمِنَ الْغَافِلِينَ عَنْ قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ لَمْ تَخْطُرْ بِبَالِكَ وَلَمْ تَقْرَعْ سَمْعَكَ قَطُّ فَلَمْ تَعْلَمْهَا إِلَّا بِوَحْيِنَا * وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى «وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ» الْآيَةَ فَمَعْنَاهُ يَسْتَخِفَّنَّكَ بِغَضَبٍ يَحْمِلُكَ عَلَى تَرْكِ الْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ وَالنَّزْغُ أَدْنَى حَرَكَةٍ تَكُونُ كَمَا قَالَهُ الزَّجَّاجُ * وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ» الْآيَةَ فَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهَا مَا عَلَيْهِ جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ التَّمَنِّيَ الْمُرَادُ بِهِ هُنَا التِّلَاوَةُ وَإِلْقَاءُ الشَّيْطَانِ فِيهَا إِشْغَالُهُ بِخَوَاطِرَ وَأَذْكَارٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا لِلتَّالِي حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهِ الْوَهْمُ وَالنِّسْيَانُ فِيمَا تَلَاهُ أَوْ يُدْخِلَ غَيْرَ ذٰلِكَ عَلَى أَفْهَامِ السَّامِعِينَ مِنَ التَّحْرِيفِ وَسُوءِ التَّأْوِيلِ مَا يُزِيلُهُ اللّٰهُ وَيَنْسَخُهُ وَيَكْشِفُ لَبْسَهُ وَيُحْكِمُ آيَاتِهِ * وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى «عَبَسَ وَتَوَلَّى

أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى» الْآيَاتِ فَلَيْسَ فِيهَا إِثْبَاتُ ذَنْبٍ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَفِعْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا فَعَلَ وَتَصَدِّيهِ لِذَلِكَ الْكَافِرِ كَانَ طَاعَةً لِلَّهِ وَتَبْلِيغًا عَنْهُ وَاسْتِئْلَافًا لَهُ كَمَا شَرَعَهُ اللَّهُ لَهُ لَا مَعْصِيَةً وَلَا مُخَالَفَةً لَهُ تَعَالَى وَمَا قَصَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ إِعْلَامٌ بِحَالِ الرَّجُلَيْنِ وَتَوْهِينُ أَمْرِ الْكَافِرِ عِنْدَهُ وَالْإِشَارَةُ إِلَى الْإِعْرَاضِ عَنْهُ بِقَوْلِهِ «وَمَا عَلَيْكَ أَنْ لَا يَزَّكَّى» أَيْ لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ فِي أَنْ لَا يَتَزَكَّى بِالْإِسْلَامِ أَيْ لَا يَبْلُغَنَّ بِكَ الْحِرْصُ عَلَى إِسْلَامِهِمْ أَنْ تُعْرِضَ عَمَّنْ أَسْلَمَ بِالْإِشْتِغَالِ بِدَعْوَتِهِمْ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ * وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى «عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ» الْآيَةَ فَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مِسْعَرٍ عَنْ عَوْنٍ قَالَ هَلْ سَمِعْتُمْ بِمُعَاتَبَةٍ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا بَدَأَ بِالْعَفْوِ قَبْلَ الْمُعَاتَبَةِ وَكَذَا قَالَ غَيْرُهُ وَقَالَ قَتَادَةُ عَاتَبَهُ اللَّهُ كَمَا تَسْمَعُونَ ثُمَّ أَنْزَلَ الَّتِي فِي سُورَةِ النُّورِ فَرَخَّصَ لَهُ فِي أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ إِنْ شَاءَ فَقَالَ تَعَالَى «فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ» فَفَوَّضَ الْأَمْرَ إِلَى رَأْيِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ اثْنَتَانِ فَعَلَهُمَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِمَا بِشَيْءٍ إِذْنُهُ لِلْمُنَافِقِينَ وَأَخْذُهُ الْفِدَاءَ مِنَ الْأَسْرَى فَعَاتَبَهُ اللَّهُ كَمَا تَسْمَعُونَ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى مُبَالَغَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي تَوْقِيرِهِ وَتَعْظِيمِهِ كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِغَيْرِهِ إِذَا كَانَ عَظِيمًا عِنْدَهُ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ مَا جَوَابُكَ عَنْ كَلَامِي وَعَافَاكَ اللَّهُ أَلَا عَرَفْتَ حَقِّي فَلَا يَكُونُ غَرَضُهُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ إِلَّا زِيَادَةَ التَّبْجِيلِ وَالتَّعْظِيمِ. وَأَمَّا الْجَوَابُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى «لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ» فَذَهَبَ نَاسٌ إِلَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاتَبٌ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَحَاشَاهُ

مِنْ ذلكَ بَلْ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخَيَّرًا فَلَمَّا أَذِنَ لَهُمْ أَعْلَمَهُ اللهُ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ لَقَعَدُوا لِنِفَاقِهِمْ وَأَنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِي الْإِذْنِ لَهُمْ * وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي أَسَارَى بَدْرٍ «مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ» إِلَى قَوْلِهِ «عَظِيمٌ» فَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا هَزَمَ اللهُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ وَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ وَأُسِرَ سَبْعُونَ اسْتَشَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَلِيًّا فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا نَبِيَّ اللهِ هٰؤُلَاءِ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ وَالْإِخْوَانُ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمُ الْفِدْيَةَ فَيَكُونُ مَا أَخَذْنَاهُ مِنْهُمْ قُوَّةً لَنَا عَلَى الْكُفَّارِ وَعَسَى أَنْ يَهْدِيَهُمُ اللهُ فَيَكُونُوا لَنَا عَضُدًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ قَالَ قُلْتُ وَاللهِ مَا أَرَى مَا رَأَى أَبُو بَكْرٍ وَلٰكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَنِي مِنْ فُلَانٍ قَرِيبٍ لِعُمَرَ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ وَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ وَتُمَكِّنَ حَمْزَةَ مِنْ فُلَانٍ أَخِيهِ يَعْنِي الْعَبَّاسَ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ حَتَّى يَعْلَمَ اللهُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي قُلُوبِنَا هَوَادَةٌ أَيْ مَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ فَهَوِيَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا هَوِيَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ فَأَخَذَ مِنْهُمُ الْفِدَاءَ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ غَدَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا هُوَ قَاعِدٌ وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَهُمَا يَبْكِيَانِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي مَا يُبْكِيكَ أَنْتَ وَصَاحِبَكَ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ تَبَاكَيْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَى أَصْحَابِكَ مِنَ الْفِدَاءِ لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُكُمْ أَدْنَى مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ لِشَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُ

فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى «مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ إلى قَوْلِهِ «عَظِيمٌ» وَقَوْلُهُ حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ أَيْ يُكْثِرَ الْقَتْلَ وَيُبَالِغَ فِيهِ حَتَّى يَذِلَّ الْكُفْرُ وَيَقِلَّ حِزْبُهُ وَيَعِزَّ الْإِسْلَامُ وَيَسْتَوْلِيَ أَهْلُهُ وَلَيْسَ فِي هٰذَا إِلْزَامُ ذَنْبٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ فِيهِ بَيَانُ مَا خُصَّ بِهِ وَفُضِّلَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ مَا كَانَ هٰذَا لِنَبِيٍّ غَيْرِكَ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تُحَلَّ لِنَبِيٍّ قَبْلِي ✡ وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى «تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا» فَقِيلَ الْمُرَادُ بِالْخِطَابِ مَنْ أَرَادَ ذٰلِكَ مِنْهُمْ وَتَجَرَّدَ غَرَضُهُ لِعَرَضِ الدُّنْيَا وَحْدَهُ وَالْإِسْتِكْثَارِ مِنْهَا وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهٰذَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا عِلْيَةَ أَصْحَابِهِ بَلْ قَدْ رُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ أَنَّهَا نَزَلَتْ حِينَ انْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ بَدْرٍ وَاشْتَغَلَ النَّاسُ بِالسَّلَبِ وَجَمْعِ الْغَنَائِمِ عَنِ الْقِتَالِ حَتَّى خَشِيَ عُمَرُ أَنْ يَعْطِفَ عَلَيْهِمُ الْعَدُوُّ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى «لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ» فَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَى هٰذِهِ الْآيَةِ فَقِيلَ مَعْنَاهَا لَوْلَا أَنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنْ لَا أُعَذِّبَ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ النَّهْيِ لَعَذَّبْتُكُمْ فَهٰذَا يَنْفِي أَنْ يَكُونَ أَمْرُ الْأَسْرَى مَعْصِيَةً وَقِيلَ لَوْلَا إِيمَانُكُمْ بِالْقُرْآنِ وَهُوَ الْكِتَابُ السَّابِقُ فَاسْتَوْجَبْتُمْ بِهِ الصَّفْحَ لَعُوقِبْتُمْ عَلَى الْغَنَائِمِ وَقِيلَ لَوْلَا أَنَّهُ سَبَقَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ أَنَّهَا حَلَالٌ لَكُمْ لَعُوقِبْتُمْ وَهٰذَا كُلُّهُ يَنْفِي الذَّنْبَ وَالْمَعْصِيَةَ لِأَنَّ مَنْ فَعَلَ مَا أُحِلَّ لَهُ لَمْ يَعْصِ قَالَ اللهُ تَعَالَى «فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا» قَالَ الْقَاضِي بَكْرُ بْنُ الْعَلَاءِ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هٰذِهِ الْآيَةِ أَنَّ تَأْوِيلَهُ وَافَقَ مَا كُتِبَ لَهُ مِنْ إِحْلَالِ

الْغَنَائِمِ وَالْفِدَاءِ فَهٰذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِعْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَأْنِ الْأَسَارَى كَانَ عَلَى تَأْوِيلٍ وَبَصِيرَةٍ فَلَمْ يُنْكِرْهُ اللّٰهُ عَلَيْهِ لٰكِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى أَرَادَ لِعِظَمِ أَمْرِ بَدْرٍ وَكَثْرَةِ أَسْرَاهَا إِظْهَارَ نِعْمَتِهِ وَتَأْكِيدَ مِنَّتِهِ بِتَعْرِيفِهِمْ مَا كَتَبَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مِنْ حِلِّ ذٰلِكَ لَا عَلَى وَجْهِ عِتَابٍ أَوْ إِنْكَارٍ * وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى «وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ» الْآيَةَ فَالْمَعْنَى لَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَارَبْتَ أَنْ تَمِيلَ إِلَى اتِّبَاعِ مُرَادِهِمْ لٰكِنْ أَدْرَكَتْكَ عِصْمَتُنَا فَمُنِعْتَ أَنْ تَقْرُبَ فَضْلًا عَنْ أَنْ تَرْكَنَ إِلَيْهِمْ وَهُوَ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا هَمَّ بِإِجَابَتِهِمْ مَعَ قُوَّةِ الدَّوَاعِي إِلَيْهَا فَالْعِصْمَةُ بِتَوْفِيقِ اللّٰهِ وَحِفْظِهِ * وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ» فَالْمَعْنَى لَوِ افْتَرَى عَلَيْنَا بِشَيْءٍ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ وَقَطَعْنَا نِيَاطَ قَلْبِهِ وَأَهْلَكْنَاهُ وَقَدْ أَعَاذَهُ اللّٰهُ مِنَ التَّقَوُّلِ عَلَيْهِ * وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى «مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ» فَقِيلَ مَعْنَاهُ مَا كُنْتَ تَدْرِي الْإِيمَانَ عَلَى التَّفْصِيلِ الَّذِي شُرِعَ لَكَ فِي الْقُرْآنِ وَقَدِ اشْتَهَرَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُوَحِّدُ اللّٰهَ وَيُبْغِضُ الْأَوْثَانَ وَيَحُجُّ وَيَعْتَمِرُ ، وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ عَبَدْتَ وَثَنًا قَطُّ قَالَ لَا قِيلَ فَهَلْ شَرِبْتَ خَمْرًا قَطُّ قَالَ لَا وَمَا زِلْتُ أَعْرِفُ أَنَّ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ كُفْرٌ وَمَا كُنْتُ أَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ . وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ يَزَالُوا عَلَى بَقَايَا مِنْ دِينِ إِسْمَاعِيلَ كَحَجِّ الْبَيْتِ وَالْخِتَانِ وَالْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ وَكَانَ عَلَيْهِ

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا يَقْرُبُ الْأَوْثَانَ وَيَعِيبُهَا وَلَا يَعْرِفُ شَرَائِعَ اللهِ الَّتِي شَرَعَهَا لِعِبَادِهِ عَلَى لِسَانِهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى «مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ» ☆

المقصد السابع

فِي وُجُوبِ مَحَبَّتِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَالْاِهْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ وَفَرْضِ مَحَبَّةِ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَحُكْمِ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ ثَلَاثَةُ فُصُولٍ

﴿ الْفَصْلُ الْأَوَّلُ فِي وُجُوبِ مَحَبَّتِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَالْاِهْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ ﴾

اِعْلَمْ أَنَّ مَحَبَّةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِيَ الْمَنْزِلَةُ الَّتِي يَتَنَافَسُ فِيهَا الْمُتَنَافِسُونَ وَإِلَيْهَا يَشْخَصُ الْعَامِلُونَ وَعَلَيْهَا يَتَفَانَى الْمُحِبُّونَ وَبِرَوْحِ نَسِيمِهَا يَتَرَوَّحُ الْعَابِدُونَ فَهِيَ قُوتُ الْقُلُوبِ وَغِذَاءُ الْأَرْوَاحِ وَقُرَّةُ الْعُيُونِ وَهِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي مَنْ حُرِمَهَا فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْوَاتِ وَالنُّورُ الَّذِي مَنْ فَقَدَهُ فَهُوَ فِي بِحَارِ الظُّلُمَاتِ وَهِيَ رُوحُ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ • وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ يُحِبُّ مَنْ مَنَحَهُ فِي دُنْيَاهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ مَعْرُوفًا فَانِيًا مُنْقَطِعًا أَوِ اسْتَنْقَذَهُ مِنْ مَهْلَكَةٍ أَوْ مَضَرَّةٍ لَا تَدُومُ فَمَا بَالُكَ بِمَنْ مَنَحَهُ مِنَحًا لَا تَبِيدُ وَلَا تَزُولُ وَوَقَاهُ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ مَا لَا يَفْنَى وَلَا يَحُولُ وَإِذَا كَانَ الْمَرْءُ يُحِبُّ غَيْرَهُ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ صُورَةٍ جَمِيلَةٍ وَسِيرَةٍ حَمِيدَةٍ فَكَيْفَ بِهَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ وَالرَّسُولِ الْعَظِيمِ الْجَامِعِ لِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَالتَّكْرِيمِ الْمَانِحِ لَنَا جَوَامِعَ الْمَكَارِمِ وَالْفَضْلِ الْعَمِيمِ فَقَدْ مَنَحَنَا اللهُ بِهِ مِنَحَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَسْبَغَ عَلَيْنَا نِعَمَهُ بَاطِنَةً وَظَاهِرَةً فَاسْتَحَقَّ أَنْ

يَكُونَ حَظُّهُ مِنْ مَحَبَّتِنَا لَهُ أَوْفَى وَأَزْكَى مِنْ مَحَبَّتِنَا لِأَنْفُسِنَا وَأَوْلَادِنَا وَأَهْلِينَا وَأَمْوَالِنَا وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ بَلْ لَوْ كَانَ فِي مَنْبَتِ كُلِّ شَعْرَةٍ مِنَّا مَحَبَّةٌ تَامَّةٌ لَهُ صَلَوَاتُ ٱللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَٰلِكَ بَعْضَ مَا يَسْتَحِقُّهُ عَلَيْنَا • وَقَدْ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَفِي صَحِيحِ ٱبْنِ خُزَيْمَةَ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ • وَفِي كَلَامِ ٱلْقَاضِي عِيَاضٍ أَنَّ ذَٰلِكَ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ ٱلْإِيمَانِ لِأَنَّهُ حَمَلَ ٱلْمَحَبَّةَ عَلَى مَعْنَى التَّعْظِيمِ وَٱلْإِجْلَالِ وَقَالَ غَيْرُهُ ٱعْتِقَادُ ٱلْأَعْظَمِيَّةِ لَيْسَ مُسْتَلْزِمًا لِلْمَحَبَّةِ إِذْ قَدْ يَجِدُ ٱلْإِنْسَانُ إِعْظَامَ شَيْءٍ مَعَ خُلُوِّهِ مِنْ مَحَبَّتِهِ فَعَلَى هَٰذَا مَنْ لَمْ يَجِدْ مِنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكَ ٱلْمَيْلَ لَمْ يَكْمُلْ إِيمَانُهُ وَإِلَى هَٰذَا يُومِىءُ قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي ٱلْحَدِيثِ ٱلَّذِي رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ فِي ٱلْأَيْمَانِ وَٱلنُّذُورِ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأَنْتَ يَا رَسُولَ ٱللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي ٱلَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ فَقَالَ عُمَرُ وَٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي ٱلَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ فَقَالَ لَهُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْآنَ يَا عُمَرُ فَهَٰذِهِ ٱلْمَحَبَّةُ لَيْسَتْ بِٱعْتِقَادِ ٱلْأَعْظَمِيَّةِ فَقَطْ فَإِنَّهَا كَانَتْ حَاصِلَةً لِعُمَرَ قَبْلَ ذَٰلِكَ قَطْعًا ✲ وَمِنْ عَلَامَاتِ ٱلْحُبِّ ٱلْمَذْكُورِ لِرَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَعْرِضَ ٱلْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ لَوْ خُيِّرَ بَيْنَ فَقْدِ غَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِهِ وَفَقْدِ رُؤْيَةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَوْ كَانَتْ مُمْكِنَةً فَإِنْ كَانَ فَقْدُهَا أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ فَقْدِ شَيْءٍ مِنْ أَغْرَاضِهِ فَقَدِ ٱتَّصَفَ بِٱلْأَحَبِّيَّةِ

ٱلْمَذْكُورَةِ لِرَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ لَا فَلَا . قَالَ ٱلْقُرْطُبِيُّ كُلُّ مَنْ آمَنَ بِٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيمَانًا صَحِيحًا لَا يَخْلُو عَنْ وُجْدَانِ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ ٱلْمَحَبَّةِ ٱلرَّاجِحَةِ غَيْرَ أَنَّهُمْ مُتَفَاوِتُونَ فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْ تِلْكَ ٱلْمَرْتَبَةِ بِٱلْحَظِّ ٱلْأَوْفَى وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ بِٱلْحَظِّ ٱلْأَدْنَى كَمَنْ كَانَ مُسْتَغْرِقًا فِي ٱلشَّهَوَاتِ مَحْجُوبًا بِٱلْغَفَلَاتِ فِي أَكْثَرِ ٱلْأَوْقَاتِ لَٰكِنَّ ٱلْكَثِيرَ مِنْهُمْ إِذَا ذُكِرَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱشْتَاقَ إِلَى رُؤْيَتِهِ بِحَيْثُ يُؤْثِرُهَا عَلَى أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَيَبْذِلُ نَفْسَهُ فِي ٱلْأُمُورِ ٱلْخَطِيرَةِ وَيَجِدُ رُجْحَانَ ذَٰلِكَ مِنْ نَفْسِهِ وُجْدَانًا لَا تَرَدُّدَ فِيهِ وَقَدْ شُوهِدَ مِنْ هَٰذَا ٱلْجِنْسِ مَنْ يُؤْثِرُ زِيَارَةَ قَبْرِهِ وَرُؤْيَةَ مَوَاضِعِ آثَارِهِ عَلَى جَمِيعِ مَا ذُكِرَ لِمَا وَقَرَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ مَحَبَّتِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ أَنَّ ذَٰلِكَ سَرِيعُ ٱلزَّوَالِ لِتَوَالِي ٱلْغَفَلَاتِ اهـ فَكُلُّ مُسْلِمٍ فِي قَلْبِهِ مَحَبَّةُ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ إِذْ لَا يَدْخُلُ فِي ٱلْإِسْلَامِ إِلَّا بِهَا وَٱلنَّاسُ مُتَفَاوِتُونَ فِي مَحَبَّتِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَسَبِ ٱسْتِحْضَارِ مَا وَصَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ جِهَتِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مِنَ ٱلنَّفْعِ ٱلشَّامِلِ لِخَيْرِ ٱلدَّارَيْنِ وَٱلْغَفْلَةِ عَنْ ذَٰلِكَ وَلَا شَكَّ أَنَّ حَظَّ ٱلصَّحَابَةِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فِي هَٰذَا ٱلْمَعْنَى أَتَمُّ لِأَنَّ هَٰذَا ثَمَرَةُ ٱلْمَعْرِفَةِ وَهُمْ بِهَا أَعْلَمُ . وَقَدْ رَوَى ٱبْنُ إِسْحٰقَ أَنَّ ٱمْرَأَةً مِنَ ٱلْأَنْصَارِ قُتِلَ أَبُوهَا وَأَخُوهَا وَزَوْجُهَا يَوْمَ أُحُدٍ مَعَ رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ مَا فَعَلَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا خَيْرًا هُوَ بِحَمْدِ ٱللَّهِ كَمَا تُحِبِّينَ فَقَالَتْ أَرُونِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ أَيْ صَغِيرَةٌ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبَّ

إِلَيْنَا مِنْ أَمْوَالِنَا وَأَوْلَادِنَا وَآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَمِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ عَلَى الظَّمَإِ. وَلَمَّا أَخْرَجَ أَهْلُ مَكَّةَ زَيْدَ بْنَ الدَّثِنَةِ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ قَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ يَا زَيْدُ أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا الْآنَ عِنْدَنَا نَضْرِبُ عُنُقَهُ وَأَنَّكَ فِي أَهْلِكَ فَقَالَ زَيْدٌ وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ وَإِنِّي جَالِسٌ فِي أَهْلِي فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا. قَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» فِي ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ شَدِيدَ الْحُبِّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلِيلَ الصَّبْرِ عَنْهُ فَأَتَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ يُعْرَفُ الْحُزْنُ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا غَيَّرَ لَوْنَكَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بِي مَرَضٌ وَلَا وَجَعٌ غَيْرَ أَنِّي إِذَا لَمْ أَرَكَ اسْتَوْحَشْتُ وَحْشَةً شَدِيدَةً حَتَّى أَلْقَاكَ ثُمَّ ذَكَرْتُ الْآخِرَةَ فَأَخَافُ أَنْ لَا أَرَاكَ لِأَنَّكَ تُرْفَعُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَإِنِّي إِنْ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فِي مَنْزِلَةٍ أَدْنَى مِنْ مَنْزِلَتِكَ وَإِنْ لَمْ أَدْخُلِ الْجَنَّةَ لَا أَرَاكَ أَبَدًا فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَكَذَا ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ. وَعَنْ عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ قَالَ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَمَالِي وَوَلَدِي وَأَهْلِي وَلَوْلَا أَنِّي آتِيكَ فَأَرَاكَ لَرَأَيْتُ أَنْ أَمُوتَ وَبَكَى الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَبْكَاكَ قَالَ بَكَيْتُ أَنْ ذَكَرْتُ أَنَّكَ سَتَمُوتُ

وَنَمُوتُ فَتُرْفَعُ مَعَ ٱلنَّبِيِّينَ وَنَكُونُ نَحْنُ إِنْ دَخَلْنَا ٱلْجَنَّةَ دُونَكَ فَلَمْ يُحِرِ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ بِمَعْنَى أَيْ لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ بِقَوْلٍ فَأَنْزَلَ ٱللّٰهُ ٱلْآيَةَ وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَنَّ هٰذَا ٱلْأَنْصَارِيَّ هُوَ عَبْدُ ٱللّٰهِ بْنُ زَيْدٍ ٱلَّذِي رَأَى ٱلْأَذَانَ وَذَكَرَ أَيْضًا أَنَّ عَبْدَ ٱللّٰهِ بْنَ زَيْدٍ هٰذَا كَانَ يَعْمَلُ فِي جَنَّةٍ لَهُ فَأَتَاهُ ٱبْنُهُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تُوُفِّيَ فَقَالَ ٱللّٰهُمَّ أَذْهِبْ بَصَرِي حَتَّى لَا أَرَى بَعْدَ حَبِيبِي مُحَمَّدٍ أَحَدًا فَكُفَّ بَصَرُهُ ۞ وَبِٱلْجُمْلَةِ فَلَا حَيَاةَ لِلْقَلْبِ إِلَّا بِمَحَبَّةِ ٱللّٰهِ تَعَالَى وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ ٱلْمُحِبِّينَ ٱلَّذِينَ قَرَّتْ أَعْيُنُهُمْ بِحَبِيبِهِمْ وَسَكَنَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهِ وَٱطْمَأَنَّتْ قُلُوبُهُمْ بِهِ وَٱسْتَأْنَسُوا بِقُرْبِهِ وَتَنَعَّمُوا بِمَحَبَّتِهِ فَفِي ٱلْقَلْبِ طَاقَةٌ لَا يَسُدُّهَا إِلَّا مَحَبَّةُ ٱللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ لَمْ يَظْفَرْ بِذٰلِكَ فَحَيَاتُهُ كُلُّهَا هُمُومٌ وَغُمُومٌ وَآلَامٌ وَحَسَرَاتٌ قَالَ صَاحِبُ ٱلْمَدَارِجِ وَلَنْ يَصِلَ ٱلْعَبْدُ إِلَى هٰذِهِ ٱلْمَنْزِلَةِ ٱلْعَلِيَّةِ وَٱلْمَرْتَبَةِ ٱلسَّنِيَّةِ حَتَّى يَعْرِفَ ٱللّٰهَ وَيَهْتَدِيَ إِلَيْهِ بِطَرِيقٍ تُوَصِّلُهُ إِلَيْهِ وَيَخْرِقَ ظُلُمَاتِ ٱلطَّبْعِ بِأَشِعَّةِ ٱلْبَصِيرَةِ فَيَقُومَ بِقَلْبِهِ شَاهِدٌ مِنْ شَوَاهِدِ ٱلْآخِرَةِ فَيَنْجَذِبَ إِلَيْهَا بِكُلِّيَّتِهِ وَيَزْهَدَ فِي ٱلتَّعَلُّقَاتِ ٱلْفَانِيَةِ وَيَدْأَبَ فِي تَصْحِيحِ ٱلتَّوْبَةِ وَٱلْقِيَامِ بِٱلْمَأْمُورَاتِ ٱلظَّاهِرَةِ وَٱلْبَاطِنَةِ وَتَرْكِ ٱلْمَنْهِيَّاتِ ٱلظَّاهِرَةِ وَٱلْبَاطِنَةِ ثُمَّ يَقُومَ حَارِسًا عَلَى قَلْبِهِ فَلَا يُسَامِحُهُ بِخَطْرَةٍ يَكْرَهُهَا ٱللّٰهُ تَعَالَى وَلَا بِخَطْرَةِ فُضُولٍ لَا تَنْفَعُهُ فَيَصْفُو لِذٰلِكَ قَلْبُهُ بِذِكْرِ رَبِّهِ وَمَحَبَّتِهِ وَٱلْإِنَابَةِ إِلَيْهِ فَحِينَئِذٍ يَجْتَمِعُ قَلْبُهُ وَخَوَاطِرُهُ وَحَدِيثُ نَفْسِهِ عَلَى إِرَادَةِ رَبِّهِ وَطَلَبِهِ وَٱلشَّوْقِ إِلَيْهِ فَإِذَا صَدَقَ فِي ذٰلِكَ رُزِقَ مَحَبَّةَ ٱلرَّسُولِ وَٱسْتَوْلَتْ

رُوحَانِيَّتُهُ عَلَى قَلْبِهِ فَيَجْعَلُهُ إِمَامَهُ وَأُسْتَاذَهُ وَمُعَلِّمَهُ وَشَيْخَهُ وَقُدْوَتَهُ كَمَا جَعَلَهُ اللهُ نَبِيَّهُ وَرَسُولَهُ وَهَادِيَهُ فَيُطَالِعُ سِيرَتَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَبَادِئَ أُمُورِهِ وَكَيْفِيَّةَ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ وَيَعْرِفُ صِفَاتِهِ وَأَخْلَاقَهُ وَآدَابَهُ وَحَرَكَاتِهِ وَسُكُونَهُ وَيَقَظَتَهُ وَمَنَامَهُ وَعِبَادَتَهُ وَمُعَاشَرَتَهُ لِأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ إِلَى غَيْرِ ذَٰلِكَ مِمَّا مَنَحَهُ اللهُ تَعَالَى حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ مَعَهُ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ * وَلِمَحَبَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَامَاتٌ * أَعْظَمُهَا الْإِقْتِدَاءُ بِهِ وَاسْتِعْمَالُ سُنَّتِهِ وَسُلُوكُ طَرِيقَتِهِ وَالْإِهْتِدَاءُ بِهَدْيِهِ وَسِيرَتِهِ وَالْوُقُوفُ عَلَى مَا حَدَّهُ لَنَا مِنْ شَرِيعَتِهِ قَالَ اللهُ تَعَالَى «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ» فَجَعَلَ تَعَالَى مُتَابَعَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيَةَ مَحَبَّةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ وَجَعَلَ جَزَاءَ الْعَبْدِ عَلَى حُسْنِ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ مَحَبَّةَ اللهِ تَعَالَى إِيَّاهُ وَبِحَسَبِ هَٰذَا الْإِتِّبَاعِ تَحْصُلُ الْمَحَبَّةُ وَالْمَحْبُوبِيَّةُ مَعًا وَلَا يَتِمُّ الْأَمْرُ إِلَّا بِهِمَا فَلَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ تُحِبَّ اللهَ فَقَطْ بَلِ الشَّأْنُ أَنْ يُحِبَّكَ اللهُ وَلَا يُحِبُّكَ إِلَّا إِذَا اتَّبَعْتَ حَبِيبَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَصَدَّقْتَهُ خَبَرًا وَأَطَعْتَهُ أَمْرًا وَأَجَبْتَهُ دَعْوَةً وَآثَرْتَهُ طَوْعًا وَفَنِيتَ عَنْ حُكْمِ غَيْرِهِ بِحُكْمِهِ وَعَنْ مَحَبَّةِ غَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ بِمَحَبَّتِهِ وَعَنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ بِطَاعَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَذَٰلِكَ فَلَا تَتَعَنَّ فَلَسْتَ عَلَى شَيْءٍ وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ تَعَالَى «فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ» أَيِ الشَّأْنُ فِي أَنَّ اللهَ يُحِبُّكُمْ لَا فِي أَنَّكُمْ تُحِبُّونَهُ وَهَٰذَا لَا يَنَالُونَهُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ الْحَبِيبِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ * وَقَالَ الْمُحَاسِبِيُّ عَلَامَةُ حُبِّ الْعَبْدِ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ اتِّبَاعُ مَرْضَاةِ اللهِ وَالتَّمَسُّكُ بِسُنَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا ذَاقَ الْعَبْدُ حَلَاوَةَ

ٱلْإِيمَانِ وَوَجَدَ طَعْمَهُ ظَهَرَتْ ثَمَرَةُ ذَٰلِكَ عَلَى جَوَارِحِهِ وَلِسَانِهِ فَٱسْتَحْلَى ٱللِّسَانُ ذِكْرَ ٱللَّهِ تَعَالَى وَمَا وَالَاهُ وَأَسْرَعَتِ ٱلْجَوَارِحُ إِلَى طَاعَةِ ٱللَّهِ فَحِينَئِذٍ يَدْخُلُ حُبُّ ٱلْإِيمَانِ بِٱلْقَلْبِ كَمَا يَدْخُلُ حُبُّ ٱلْمَاءِ ٱلْبَارِدِ ٱلشَّدِيدِ بَرْدُهُ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلشَّدِيدِ ٱلْحَرِّ لِلظَّمْآنِ ٱلشَّدِيدِ ٱلْعَطَشِ فَيَرْتَفِعُ عَنْهُ تَعَبُ ٱلطَّاعَةِ لِٱسْتِلْذَاذِهِ بِهَا بَلْ تَبْقَى ٱلطَّاعَاتُ غِذَاءً لِقَلْبِهِ وَسُرُورًا لَهُ وَقُرَّةَ عَيْنٍ فِي حَقِّهِ وَنَعِيمًا لِرُوحِهِ يَلْتَذُّ بِهَا أَعْظَمَ مِنَ ٱللَّذَّاتِ ٱلْجِسْمَانِيَّةِ فَلَا يَجِدُ فِي أَوْرَادِ ٱلْعِبَادَةِ كُلْفَةً. وَفِي ٱلتِّرْمِذِيِّ عَنْ أَنَسٍ عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ أَحْيَى سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي ٱلْجَنَّةِ. وَعَنِ ٱبْنِ عَطَاءٍ مَنْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ آدَابَ ٱلسُّنَّةِ نَوَّرَ ٱللَّهُ قَلْبَهُ بِنُورِ ٱلْمَعْرِفَةِ وَلَا مَقَامَ أَشْرَفُ مِنْ مَقَامِ مُتَابَعَةِ ٱلْحَبِيبِ فِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ. وَقَالَ أَبُو إِسْحَٰقَ ٱلرَّقِّيُّ مِنْ أَقْرَانِ ٱلْجُنَيْدِ عَلَامَةُ مَحَبَّةِ ٱللَّهِ إِيثَارُ طَاعَتِهِ وَمُتَابَعَةُ نَبِيِّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَعَنْ غَيْرِهِ لَا يَظْهَرُ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ مِنْ نُورِ ٱلْإِيمَانِ إِلَّا بِٱتِّبَاعِ ٱلسُّنَّةِ وَمُجَانَبَةِ ٱلْبِدْعَةِ فَأَمَّا مَنْ أَعْرَضَ عَنِ ٱلْكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ وَلَمْ يَتَلَقَّ ٱلْعِلْمَ مِنْ مِشْكَاةِ ٱلرَّسُولِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بِدَعْوَاهُ عِلْمًا لَدُنِّيًّا أُوتِيَهُ فَهُوَ مِنْ لَدُنِ ٱلنَّفْسِ وَٱلشَّيْطَانِ وَإِنَّمَا يُعْرَفُ كَوْنُ ٱلْعِلْمِ لَدُنِّيًّا رَحْمَانِيًّا بِمُوَافَقَتِهِ لِمَا جَاءَ بِهِ ٱلرَّسُولُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى وَٱلْعِلْمُ ٱللَّدُنِّيُّ ٱلرَّحْمَانِيُّ هُوَ ثَمَرَةُ ٱلْعُبُودِيَّةِ وَٱلْمُتَابَعَةِ لِهَٰذَا ٱلنَّبِيِّ ٱلْكَرِيمِ عَلَيْهِ أَزْكَى ٱلصَّلَاةِ وَأَتَمُّ ٱلتَّسْلِيمِ وَبِهِ يَحْصُلُ ٱلْفَهْمُ فِي ٱلْكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ بِأَمْرٍ يَخْتَصُّ بِهِ صَاحِبُهُ كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَقَدْ سُئِلَ هَلْ خَصَّكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ دُونَ ٱلنَّاسِ

فقال لا إلا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه فهذا هو العلم اللدني الحقيقي فاتباع هذا النبي الكريم حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور ورياض النفوس ولذة الأرواح وأنس المستوحشين ودليل المتحيرين *﴿ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم﴾* أن يرضى مدعيها بما شرعه حتى لا يجد في نفسه حرجاً مما قضى قال الله تعالى «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً» فسلب اسم الإيمان عمن وجد في صدره حرجاً من قضائه ولم يسلم له قال تاج الدين بن عطاء الله أذاقنا الله حلاوة مشربه في هذه الآية دلالة على أن الإيمان الحقيقي لا يحصل إلا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه قولاً وفعلاً وأخذاً وتركاً وحباً وبغضاً ثم إنه سبحانه لم يكتف بنفي الإيمان عمن لم يحكم أو حكم ووجد الحرج في نفسه حتى أقسم على ذلك بالربوبية الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم رأفة وعناية وتخصيصاً ورعاية لأنه لم يقل فلا والرب إنما قال « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » ففي ذلك تأكيد بالقسم وتأكيد في القسم علماً منه سبحانه بما النفوس منطوية عليه من حب الغلبة ووجود النصرة سواء كان الحق عليها أو لها وفي ذلك إظهار لعنايته برسوله صلى الله عليه وسلم إذ جعل حكمه حكمه وقضاءه قضاءه فأوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لأمره ولم يقبل منهم الإيمان بإلهيته حتى يذعنوا لأحكام رسوله صلى الله عليه وسلم لأنه كما وصفه ربه «وما

يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى» فحكمه حكم الله وقضاؤه قضاء الله كما قال «إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ» وأكد ذلك بقوله «يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» وفي الآية إشارة أخرى إلى تعظيم قدره وتفخيم أمره صلى الله عليه وسلم وهي قوله تعالى «وَرَبِّكَ» فأضاف نفسه إليه كما قال في الآية الأخرى «كهيعص ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا» فأضاف الحق سبحانه نفسه إلى محمد صلى الله عليه وسلم وأضاف زكريا إليه ليعلم العباد فرق ما بين المنزلتين وتفاوت الرتبتين. ثم إنه تعالى لم يكتف بالتحكيم بالظاهر فيكونوا به مؤمنين بل اشترط فقدان الحرج وهو الضيق من نفوسهم في أحكامه صلى الله عليه وسلم سواء كان الحكم بما يوافق أهواءهم أو يخالفها وإنما تضيق النفوس لفقدان الأنوار ووجود الأغيار فعنه يكون الحرج وهو الضيق والمؤمنون ليسوا كذلك إذ نور الإيمان ملأ قلوبهم فاتسعت وانشرحت فكانت واسعة بنور الواسع العليم ممدودة بوجود فضله العظيم مهيأة لواردات أحكامه مفوضة له في نقضه وإبرامه. وقال سهل بن عبد الله من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم عليه في جميع أحواله ويرى نفسه في ملكه لم يذق حلاوة سنته لأنه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ☆

(ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم) نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق بأخلاقه في الجود والإيثار والحلم والصبر والتواضع وغيرها فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الإيمان ومن وجدها استلذ الطاعات

وَتحمّلَ الْمَشَاقِّ فِي الدِّينِ وَآثَرَ ذَٰلِكَ عَلَىٰ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ * ﴿وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ ٱلتَّسَلِّي عَنِ ٱلْمَصَائِبِ فَإِنَّ ٱلْمُحِبَّ يَجِدُ فِي لَذَّةِ ٱلْمَحَبَّةِ مَا يُنْسِيهِ ٱلْمَصَائِبَ وَلَا يَجِدُ مِنْ مَسِّهَا مَا يَجِدُ غَيْرُهُ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ قَدِ ٱكْتَسَىٰ طَبِيعَةً ثَانِيَةً لَيْسَتْ طَبِيعَةَ ٱلْخَلْقِ بَلْ يَقْوَىٰ سُلْطَانُ ٱلْمَحَبَّةِ حَتَّىٰ يَلْتَذَّ بِكَثِيرٍ مِنَ ٱلْمَصَائِبِ أَعْظَمَ مِنَ ٱلْتِذَاذِ ٱلْخَلِيِّ بِحُظُوظِهِ وَشَهَوَاتِهِ * ﴿وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ كَثْرَةُ ذِكْرِهِ فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ * ﴿وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْظِيمُهُ عِنْدَ ذِكْرِهِ وَإِظْهَارُ ٱلْخُشُوعِ وَٱلْخُضُوعِ وَٱلْإِنْكِسَارِ مَعَ سَمَاعِ ٱسْمِهِ فَكُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا خَضَعَ لَهُ كَمَا كَانَ كَثِيرٌ مِنَ ٱلصَّحَابَةِ بَعْدَهُ إِذَا ذَكَرُوهُ خَشَعُوا وَٱقْشَعَرَّتْ جُلُودُهُمْ وَبَكَوْا وَكَذَٰلِكَ كَانَ كَثِيرٌ مِنَ ٱلتَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ يَفْعَلُونَ ذَٰلِكَ مَحَبَّةً لَهُ وَشَوْقًا إِلَيْهِ وَتَهَيُّبًا وَتَوْقِيرًا. قَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ ٱلتُّجِيبِيُّ وَاجِبٌ عَلَىٰ كُلِّ مُؤْمِنٍ مَتَىٰ ذَكَرَهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ ذُكِرَ عِنْدَهُ أَنْ يَخْضَعَ وَيَخْشَعَ وَيَتَوَقَّرَ وَيَسْكُنَ مِنْ حَرَكَتِهِ وَيَأْخُذَ فِي هَيْبَتِهِ وَإِجْلَالِهِ بِمَا كَانَ يَأْخُذُ بِهِ نَفْسَهُ لَوْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَتَأَدَّبَ بِمَا أَدَّبَنَا ٱللَّهُ بِهِ . وَكَانَ أَيُّوبُ ٱلسَّخْتِيَانِيُّ إِذَا ذُكِرَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ بَكَىٰ حَتَّىٰ نَرْحَمَهُ. وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ كَثِيرَ ٱلدُّعَابَةِ وَٱلتَّبَسُّمِ فَإِذَا ذُكِرَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱصْفَرَّ لَوْنُهُ. وَكَانَ عَبْدُ ٱلرَّحْمَٰنِ بْنُ ٱلْقَاسِمِ إِذَا ذُكِرَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُنْظَرُ إِلَىٰ لَوْنِهِ كَأَنَّهُ قَدْ نُزِفَ مِنْهُ ٱلدَّمُ وَقَدْ جَفَّ لِسَانُهُ فِي فَمِهِ هَيْبَةً لِرَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكَانَ عَبْدُ ٱللَّهِ بْنُ ٱلزُّبَيْرِ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ

النَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بَكَى حَتَّى لَا يَبْقَى فِي عَيْنَيْهِ دُمُوعٌ. وَكَانَ ٱلزُّهْرِيُّ مِنْ أَهْنَإِ ٱلنَّاسِ وَأَقْرَبِهِمْ. فَإِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فَكَأَنَّكَ مَا عَرَفْتَهُ وَلَا عَرَفَكَ * وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ سُلَيْمٍ مِنَ ٱلْمُتَعَبِّدِينَ ٱلْمُجْتَهِدِينَ فَإِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بَكَى فَلَا يَزَالُ يَبْكِي حَتَّى يَقُومَ ٱلنَّاسُ عَنْهُ وَيَتْرُكُوهُ. وَكَانَ قَتَادَةُ إِذَا سَمِعَ ٱلْحَدِيثَ أَخَذَهُ ٱلْبُكَاءُ وَٱلْعَوِيلُ وَٱلزَّوِيلُ أَي ٱلْقَلَقُ وَٱلِانْزِعَاجُ أَشَارَ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْقَاضِي عِيَاضٌ * ﴿ وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ﴾ كَثْرَةُ ٱلشَّوْقِ إِلَى لِقَائِهِ وَقَدْ كَانَتِ ٱلصَّحَابَةُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ إِذَا ٱشْتَدَّ بِهِمُ ٱلشَّوْقُ وَأَزْعَجَتْهُمْ لَوَاعِجُ ٱلْمَحَبَّةِ قَصَدُوا رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَٱسْتَشْفَوْا بِمُشَاهَدَتِهِ وَتَلَذَّذُوا بِٱلْجُلُوسِ مَعَهُ وَٱلنَّظَرِ إِلَيْهِ وَٱلتَّبَرُّكِ بِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ. وَعَنْ عَبْدَةَ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ وَهُوَ مِنَ ٱلتَّابِعِينَ قَالَتْ مَا كَانَ خَالِدٌ يَأْوِي إِلَى فِرَاشٍ إِلَّا وَهُوَ يَذْكُرُ مِنْ شَوْقِهِ إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَإِلَى أَصْحَابِهِ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ يُسَمِّيهِمْ وَيَقُولُ هُمْ أَصْلِي وَفَصْلِي وَإِلَيْهِمْ يَحِنُّ قَلْبِي طَالَ شَوْقِي إِلَيْهِمْ فَعَجِّلْ رَبِّ قَبْضِي إِلَيْكَ حَتَّى يَغْلِبَهُ ٱلنَّوْمُ. وَلَمَّا ٱحْتُضِرَ بِلَالٌ نَادَتِ ٱمْرَأَتُهُ وَاحَرَبَاهُ فَقَالَ وَاطَرَبَاهُ غَدًا أَلْقَى ٱلْأَحِبَّهْ مُحَمَّدًا وَصَحْبَهْ * ﴿ وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ﴾ حُبُّ ٱلْقُرْآنِ ٱلَّذِي أَتَى بِهِ وَهَدَى بِهِ وَٱهْتَدَى بِهِ وَتَخَلَّقَ بِهِ وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَا عِنْدَكَ وَعِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ مَحَبَّةِ ٱللهِ وَرَسُولِهِ فَٱنْظُرْ مَحَبَّةَ ٱلْقُرْآنِ مِنْ قَلْبِكَ وَٱلْتِذَاذَكَ بِسَمَاعِهِ هَلْ هُوَ أَعْظَمُ مِنِ ٱلْتِذَاذِ أَصْحَابِ ٱلْمَلَاهِي وَٱلْغِنَى ٱلْمُطْرِبِ بِسَمَاعِهِمْ.

وَيُرْوَى أَنَّ عثمَانَ بنَ عفَّانَ قَالَ لَوْطَهرَتْ قُلُوبنَا لَمَاشَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ ٱللهِ ۔ وَقَالَ ٱلنَّبيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ مَسعُودٍ ٱقْرَأْ عَلَيَّ قَالَ أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ فَقَالَ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي فَٱسْتَفْتَحَ وَقَرَأَ سُورَةَ ٱلنِّسَاءِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا» قَالَ حَسْبُكَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا عَيْنَا رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَذْرِفَانِ مِنَ ٱلْبُكَاءِ رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَهٰذَا يَجِدُهُ مَنْ سَمِعَ ٱلْكِتَابَ ٱلْعَزِيزَ بِأُذُنِ قَلْبِهِ قَالَ ٱللهُ تَعَالَى «وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ ٱلْحَقِّ» ۔ وَقَدْ كَانَ ٱبْنُ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا رُبَّمَا مَرَّ بِآيَةٍ فِي وِرْدِهِ فَتَخْنُقُهُ ٱلْعَبْرَةُ وَيَسْقُطُ وَيَلْزَمُ ٱلْبَيْتَ ٱلْيَوْمَ وَٱلْيَوْمَيْنِ حَتَّى يُعَادَ وَيُحْسَبَ مَرِيضًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلرَّجُلَ ذَوْقُهُ وَوَجْدُهُ وَطَرَبُهُ وَنَشَاتُهُ فِي سَمَاعِ ٱلْأَبْيَاتِ دُونَ سَمَاعِ ٱلْآيَاتِ وَفِي سَمَاعِ ٱلْأَلْحَانِ دُونَ سَمَاعِ ٱلْقُرْآنِ فَٱعْلَمْ أَنَّ هٰذَا مِنْ أَقْوَى ٱلْأَدِلَّةِ عَلَى فَرَاغِ قَلْبِهِ مِنْ مَحَبَّةِ ٱللهِ وَرَسُولِهِ رَزَقَنَا ٱللهُ حَلَاوَةَ مَحَبَّتِهِ بِمَنِّهِ وَرَحْمَتِهِ *

﴿وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ مَحَبَّةُ سُنَّتِهِ وَقِرَاءَةُ حَدِيثِهِ فَإِنَّ مَنْ دَخَلَتْ حَلَاوَةُ ٱلْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ إِذَا سَمِعَ كَلِمَةً مِنْ كَلَامِ ٱللهِ تَعَالَى أَوْ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشَرَّبَتْهَا رُوحُهُ وَقَلْبُهُ وَنَفْسُهُ *

﴿وَمِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ أَنْ يَلْتَذَّ مُحِبُّهُ بِذِكْرِهِ ٱلشَّرِيفِ وَيَطْرَبَ عِنْدَ سَمَاعِ ٱسْمِهِ ٱلْمُنِيفِ وَقَدْ يُوجِبُ لَهُ ذٰلِكَ سُكْرًا يَسْتَغْرِقُ قَلْبَهُ وَرُوحَهُ وَسَمْعَهُ * فَمَنِ ٱتَّصَفَ بِهٰذِهِ ٱلْعَلَامَاتِ فَهُوَ كَامِلُ ٱلْمَحَبَّةِ لِلّٰهِ وَرَسُولِهِ

وَمَنْ خَالَفَ بَعْضَهَا فَهُوَ نَاقِصُ الْمَحَبَّةِ وَلَا يَخْرُجُ عَنِ اسْمِهَا بِدَلِيلِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِلَّذِي حَدَّهُ فِي الْخَمْرِ لَمَّا لَعَنَهُ بَعْضُهُمْ وَقَالَ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَلْعَنْهُ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مَعَ وُجُودِ مَا صَدَرَ مِنْهُ ﴿تَنْبِيهٌ﴾ الْمَحَبَّةُ أَرْفَعُ مِنَ الْخُلَّةِ وَقِيلَ بِالْعَكْسِ وَقِيلَ هُمَا سَوَاءٌ وَنَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ حَبِيبُ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ وَإِنِ اشْتَهَرَ هُوَ بِالْحَبِيبِ وَإِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْخَلِيلِ وَقَدْ وَقَعَ الْإِجْمَاعُ عَلَى فَضْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ بَلْ هُوَ أَفْضَلُ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْإِطْلَاقِ ☆

﴿الْفَصْلُ الثَّانِي فِي حُكْمِ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» قِيلَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ وَلِذَلِكَ يُقَالُ لَهُ شَهْرُ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ مَعْنَى صَلَاةِ اللَّهِ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ مَلَائِكَتِهِ وَمَعْنَى صَلَاةِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ الدُّعَاءُ قَالَ فِي فَتْحِ الْبَارِي وَهَذَا أَوْلَى الْأَقْوَالِ فَيَكُونُ مَعْنَى صَلَاةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ثَنَاءَهُ وَتَعْظِيمَهُ وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ طَلَبُ ذَلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَالْمُرَادُ طَلَبُ الزِّيَادَةِ لَا طَلَبُ أَصْلِ الصَّلَاةِ. وَحَكَى الْقَاضِي عِيَاضٌ عَنْ بَكْرٍ الْقُشَيْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّهِ تَشْرِيفٌ وَزِيَادَةُ تَكْرِمَةٍ وَعَلَى مَنْ دُونَ النَّبِيِّ رَحْمَةٌ وَبِهَذَا يَظْهَرُ الْفَرْقُ بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ «إِنَّ اللَّهَ

وملائكته يصلون على النبي» وقال قبل ذلك في السورة المذكورة «هو الذي يصلي عليكم وملائكته» ومن المعلوم أن القدر الذي يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم من ذلك أرفع مما يليق بغيره والإجماع منعقد على أن في هذه الآية من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم والتنويه به ما ليس في غيرها * وقال الحليمي معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه فمعنى قولنا اللهم صل على محمد عظم محمداً والمراد تعظيمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته وفي الآخرة بإجزال مثوبته وتشفيعه في أمته وإبداء فضيلته بالمقام المحمود وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى «صلوا عليه» ادعوا ربكم بالصلاة عليه والمقصود بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم التقرب إلى الله تعالى بامتثال أمره تعالى وقضاء بعض حق النبي صلى الله عليه وسلم علينا* قال ابن عبد السلام ليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة له فإن مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله أمرنا بمكافأة من أحسن إلينا فإن عجزنا عنها كافأناه بالدعاء فأرشدنا الله لما علم عجزنا عن مكافأة نبينا إلى الصلاة عليه* وقال ابن العربي فائدة الصلاة عليه ترجع إلى الذي يصلي عليه لدلالة ذلك على نصوح العقيدة وخلوص النية وإظهار المحبة والمداومة على الطاعة واحترام الواسطة الكريمة صلى الله عليه وسلم *واختلف في حكم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم على أقوال: أحدها تجب في القعود آخر الصلاة بين التشهد وسلام التحلل قاله الإمام الشافعي رضي الله عنه ومن تبعه الثاني أنها تجب

فِي ٱلْجُمْلَةِ بِغَيْرِ حَصْرٍ لٰكِنْ أَقَلُّ مَا يَحْصُلُ بِهِ ٱلْإِجْزَاءُ مَرَّةٌ «ٱلثَّالِثُ» يَجِبُ ٱلْإِكْثَارُ مِنْهَا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بِعَدَدٍ قَالَهُ أَبُو بَكْرِ ابْنُ بُكَيْرٍ مِنَ ٱلْمَالِكِيَّةِ «ٱلرَّابِعُ» تَجِبُ كُلَّمَا ذُكِرَ وَهُوَ قَوْلُ كَثِيرِينَ مِنَ ٱلْحَنَفِيَّةِ وَٱلشَّافِعِيَّةِ وَٱلْمَالِكِيَّةِ وَٱسْتَدَلُّوا بِحَدِيثِ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ فَمَاتَ فَدَخَلَ ٱلنَّارَ فَأَبْعَدَهُ ٱللّٰهُ وَحَدِيثِ رَغِمَ أَنْفُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ وَحَدِيثِ شَقِيَ عَبْدٌ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ «ٱلْخَامِسُ» فِي كُلِّ مَجْلِسٍ مَرَّةً وَلَوْ تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «ٱلسَّادِسُ» فِي كُلِّ دُعَاءٍ حَكَاهُمَا ٱلزَّمَخْشَرِيُّ «ٱلسَّابِعُ» أَنَّهَا مِنَ ٱلْمُسْتَحَبَّاتِ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ جَرِيرٍ ٱلطَّبَرِيِّ «ٱلثَّامِنُ» تَجِبُ فِي ٱلْعُمْرِ مَرَّةً فِي ٱلصَّلَاةِ أَوْ غَيْرِهَا قَالَهُ أَبُو بَكْرٍ ٱلرَّازِيُّ مِنَ ٱلْحَنَفِيَّةِ «ٱلتَّاسِعُ» تَجِبُ فِي ٱلصَّلَاةِ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينِ ٱلْمَحَلِّ وَنُقِلَ ذٰلِكَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ٱلْبَاقِرِ «ٱلْعَاشِرُ» تَجِبُ فِي ٱلتَّشَهُّدِ ٱلْأَوَّلِ وَٱلْأَخِيرِ وَهُوَ قَوْلُ ٱلشَّعْبِيِّ وَإِسْحٰقَ بْنِ رَاهْوَيْهِ *وَأَمَّا صِفَةُ ٱلصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ فَقَالَ أَلَا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً إِنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقُلْنَا يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ قَالَ قُولُوا: ٱللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ٱللّٰهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَٱلتِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَٱلنَّسَائِيُّ وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِلَفْظِ لَمَّا نَزَلَتْ «إِنَّ ٱللّٰهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»

قُلْنَا يَا رَسُولَ ٱللهِ فَكَيْفَ ٱلصَّلَاةُ عَلَيْكَ قَالَ قُولُوا : أَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ * وَعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ ٱلسَّاعِدِيِّ أَنَّهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ ٱللهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ قَالَ قُولُوا: أَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ رَوَاهُ ٱلْإِمَامُ أَحْمَدُ * وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ٱلْأَنْصَارِيِّ قَالَ أَتَانَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ أَمَرَنَا ٱللهُ أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ قَالَ فَسَكَتَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُولُوا: أَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي ٱلْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ وَٱلسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ رَوَاهُ مَالِكٌ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا * فَإِنْ قُلْتَ مَا مَوْقِعُ ٱلتَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ مَعَ أَنَّ ٱلْمُقَرَّرَ أَنَّ ٱلْمُشَبَّهَ دُونَ ٱلْمُشَبَّهِ بِهِ وَٱلْوَاقِعُ هُنَا عَكْسُهُ لِأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحْدَهُ أَفْضَلُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَمِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ وَلَا سِيَّمَا وَقَدْ أُضِيفَ إِلَيْهِ آلُ مُحَمَّدٍ وَقَضِيَّةُ كَوْنِهِ أَفْضَلَ أَنْ تَكُونَ ٱلصَّلَاةُ ٱلْمَطْلُوبَةُ لَهُ أَفْضَلَ مِنْ كُلِّ صَلَاةٍ حَصَلَتْ أَوْ تَحْصُلُ لِغَيْرِهِ فَقَدْ أَجَابَ ٱلْعُلَمَاءُ عَنْهُ بِأَجْوِبَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا أَنَّ قَوْلَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ مَقْطُوعٌ عَنِ

التَّشْبِيهِ فَيَكُونُ التَّشْبِيهُ مُتَعَلِّقًا بِقَوْلِهِ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَنُقِلَ هٰذَا عَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . وَمِنْهَا أَنَّ كَوْنَ الْمُشَبَّهِ دُونَ الْمُشَبَّهِ بِهِ لَيْسَ مُطَّرِدًا بَلْ قَدْ يَكُونُ التَّشْبِيهُ بِالْمِثْلِ بَلْ بِالدُّونِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ » وَأَيْنَ يَقَعُ نُورُ الْمِشْكَاةِ مِنْ نُورِهِ تَعَالَى . وَقَالَ النَّوَوِيُّ أَحْسَنُ الْأَجْوِبَةِ مَا نُسِبَ إِلَى الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ التَّشْبِيهَ لِأَصْلِ الصَّلَاةِ بِأَصْلِ الصَّلَاةِ أَوْ لِلْمَجْمُوعِ بِالْمَجْمُوعِ . وَمِمَّا يُعْزَى لِلْعَارِفِ الرَّبَّانِيِّ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمَرْجَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ وَسِرُّ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَكَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَلَمْ يَقُلْ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى مُوسَى لِأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ التَّجَلِّي لَهُ بِالْجَلَالِ فَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا وَالْخَلِيلُ إِبْرَاهِيمُ كَانَ التَّجَلِّي لَهُ بِالْجَمَالِ لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ وَالْخُلَّةَ مِنْ آثَارِ التَّجَلِّي بِالْجَمَالِ فَلِهٰذَا أَمَرَهُمْ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَنْ يُصَلُّوا عَلَيْهِ كَمَا صَلَّى عَلَى إِبْرَاهِيمَ لِيَسْأَلُوا لَهُ التَّجَلِّي بِالْجَمَالِ وَهٰذَا لَا يَقْتَضِي التَّسْوِيَةَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلِيلِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَمَرَهُمْ أَنْ يَسْأَلُوا لَهُ التَّجَلِّيَ بِالْوَصْفِ الَّذِي تَجَلَّى بِهِ لِلْخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَالَّذِي يَقْتَضِيهِ الْحَدِيثُ الْمُشَارَكَةُ فِي الْوَصْفِ الَّذِي هُوَ التَّجَلِّي بِالْجَمَالِ وَلَا يَقْتَضِي التَّسْوِيَةَ فِي الْمَقَامَيْنِ وَلَا فِي الرُّتْبَتَيْنِ فَإِنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ يَتَجَلَّى بِالْجَمَالِ لِشَخْصَيْنِ بِحَسَبِ مَقَامَيْهِمَا وَإِنِ اشْتَرَكَا فِي وَصْفِ التَّجَلِّي بِالْجَمَالِ فَيَتَجَلَّى لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِحَسَبِ مَقَامِهِ عِنْدَهُ وَرُتْبَتِهِ مِنْهُ وَمَكَانَتِهِ فَيَتَجَلَّى لِلْخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْجَمَالِ بِحَسَبِ مَقَامِهِ وَيَتَجَلَّى لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَمَالِ بِحَسَبِ مَقَامِهِ

فَعلى هذا يفهم الْحديث اه وَالْمراد بآل مُحمَّد في هذا الْحديث من حرمت عليهم الصَّدَقَة كما نص عليه الشَّافعي واختاره الْجمهور وقيل أزواجه صلَّى الله عليه وسلَّم وذرِّيته وقيل جميع الأُمَّة أُمَّة الإجابة وقيل الأتقياء منهم. وهذه أفضل كيفيات الصَّلاة عليه صلَّى الله عليه وسلَّم لأنَّه لا يختار لنفسه إلا الأشرف الأفضل ويترتب على ذلك أنَّه لو حلف أن يصلي على النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أفضل الصَّلاة فطريق البرِّ أن يأتي بذلك هكذا صوَّبه النَّووي وقيل يبرُّ إذا قال كلما ذكره الذَّاكرون وكلَّما غفل عن ذكره الغافلون لذكر الشَّافعي رضي الله عنه هذه الْكيفية في خطبة الرِّسالة له. وقال الْقاضي حسين في طريق الْبرِّ أن يقول اللَّهمَّ صلِّ على محمد كما هو أهله ويستحقه ولو جمع بينها فقال ما في الْحديث وأضاف إليه أثر الشَّافعي وما قاله الْقاضي لكان أشمل ولو قيل إنَّه يعمد إلى جميع ما اشتملت عليه الرِّوايات الثَّابتة فيستعمل منها ذكرًا يحصل به الْبرُّ لكان حسنًا * وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال إذا تشهَّد أحدكم في الصَّلاة فليقل اللَّهمَّ صلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد وارحم محمَّدًا وآل محمَّد كما صلَّيت وباركت وترحَّمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنَّك حميد مجيد رواه الْحاكم * وعن سلامة الْكندي أنَّ عليًّا رضي الله عنه كان يعلِّم النَّاس الصَّلاة على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فيقول: اللَّهمَّ داحي الْمدحوَّات وبارئ الْمسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمَّد عبدك ورسولك

الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ وَالدَّامِغِ لِجَيْشَاتِ
الْأَبَاطِيلِ كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ بِأَمْرِكَ بِطَاعَتِكَ مُسْتَوْفِزًا فِي مَرْضَاتِكَ وَاعِيًا
لِوَحْيِكَ حَافِظًا لِعَهْدِكَ مَاضِيًا عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسًا لِقَابِسٍ آلَاءُ
اللّٰهِ تَصِلُ بِأَهْلِهِ أَسْبَابَهُ بِهِ هُدِيَتِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالْإِثْمِ وَأَبْهَجَ
مُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ وَنَائِرَاتِ الْأَحْكَامِ وَمُنِيرَاتِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ أَمِينُكَ
الْمَأْمُونُ وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً
وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً أَللّٰهُمَّ افْسَحْ لَهُ فِي عَدْنِكَ وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ
فَضْلِكَ مُهَنَّئَاتٍ لَهُ غَيْرَ مُكَدَّرَاتٍ مِنْ فَوْزِ ثَوَابِكَ الْمَحْلُولِ وَجَزِيلِ عَطَائِكَ
الْمَعْلُولِ أَللّٰهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ النَّاسِ بِنَاءَهُ وَأَكْرِمْ مَثْوَاهُ لَدَيْكَ وَنُزُلَهُ وَأَتْمِمْ
لَهُ نُورَهُ وَاجْزِهِ مِنِ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ
وَخُطَّةٍ فَصْلٍ وَبُرْهَانٍ عَظِيمٍ ه وَمَعْنَى دَاحِي بَاسِطٌ وَالْمَدْحُوَّاتُ الْأَرَضُونَ
وَبَارِئُ خَالِقٌ وَالْمَسْمُوكَاتُ أَيِ الْمَرْفُوعَاتُ يَعْنِي السَّمٰوَاتِ وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ
زَوَائِدُهَا وَالْفَاتِحُ لِمَا أُغْلِقَ أَيْ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْخَاتِمُ لِمَا سَبَقَ أَيْ مِنَ النُّبُوَّةِ
وَالرِّسَالَةِ وَالدَّامِغُ الدَّافِعُ وَالْمُزِيلُ وَجَيْشَاتُ الْأَبَاطِيلِ ارْتِفَاعَاتُهَا وَاضْطَلَعَ
قَوِيَ وَالْمُسْتَوْفِزُ الْمُسْتَعْجِلُ وَأَوْرَى أَنَارَ وَالْقَبَسُ أَصْلُهُ الشُّعْلَةُ مِنَ النَّارِ
وَالْقَابِسُ طَالِبُ الْإِقْتِبَاسِ وَالْمُرَادُ هُنَا طَالِبُ نُورِ الْحَقِّ وَالْهِدَايَةِ وَآلَاءُ اللّٰهِ نِعَمُهُ
وَأَبْهَجَ أَنَارَ وَالْأَعْلَامُ الْعَلَامَاتُ الَّتِي يُهْتَدَى بِهَا وَالنَّائِرَاتُ الْمُضِيئَاتُ وَالْمَحْلُولُ
الَّذِي يُحَلُّ فِيهِ وَهُوَ الْجَنَّةُ وَالْمَعْلُولُ مِنَ الْعَلَلِ وَهُوَ الشُّرْبُ بَعْدَ الشُّرْبِ وَمَثْوَاهُ

مُقَامُهُ وَالنُّزُلُ مَا يُعَدُّ لِإِكْرَامِ الضَّيْفِ إِذَا نَزَلَ وَالْخُطَّةُ الْأَمْرُ وَالشَّأْنُ الْجَزْلُ وَالْفَصْلُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ * وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَحْسِنُوا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ لَعَلَّ ذَلِكَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ فَقَالُوا لَهُ عَلِّمْنَا قَالَ قُولُوا اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ إِمَامِ الْخَيْرِ وَرَسُولِ الرَّحْمَةِ اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَغْبِطُهُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ . وَعَنْ رُوَيْفِعِ ابْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَقَالَ اللَّهُمَّ أَنْزِلْهُ الْمَقْعَدَ الصِّدْقَ الْمُقَرَّبَ عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى إِذَا صَلَّى عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَأَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَذُرِّيَّتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَعَنْ طَاوُسٍ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ الْكُبْرَى وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ الْعُلْيَا وَأَعْطِهِ سُؤْلَهُ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى كَمَا آتَيْتَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى * وَأَمَّا الْمَوَاطِنُ الَّتِي تُشْرَعُ فِيهَا الصَّلَاةُ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمِنْهَا : التَّشَهُّدُ

الْأَخِيرُ وَهِيَ وَاجِبَةٌ فِيهِ. وَمِنْهَا التَّشَهُّدُ الْأَوَّلُ وَهِيَ سُنَّةٌ فِيهِ وَأَقَلُّهَا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ. وَمِنْهَا خُطْبَتَا الْجُمُعَةِ وَغَيْرِهَا فَلَا تَصِحُّ خُطْبَتَا الْجُمُعَةِ إِلَّا بِهَا. وَمِنْهَا عَقِبَ إِجَابَةِ الْمُؤَذِّنِ لِمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ. وَقَوْلُهُ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ أَيْ وَجَبَتْ وَقِيلَ غَشِيَتْهُ وَنَزَلَتْ بِهِ. وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَمِنْهَا أَوَّلُ الدُّعَاءِ وَأَوْسَطُهُ وَآخِرُهُ لِمَا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَجْعَلُونِي كَقَدَحِ الرَّاكِبِ يَمْلَأُ قَدَحَهُ ثُمَّ يَضَعُهُ وَيَرْفَعُ مَتَاعَهُ فَإِنِ احْتَاجَ إِلَى شَرَابٍ شَرِبَهُ أَوِ الْوُضُوءِ تَوَضَّأَ وَإِلَّا أَهْرَاقَهُ وَلَكِنِ اجْعَلُونِي فِي أَوَّلِ الدُّعَاءِ وَأَوْسَطِهِ وَآخِرِهِ. وَمِنْهَا وَهُوَ مِنْ آكَدِهَا عَقِبَ دُعَاءِ الْقُنُوتِ لِمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الْوِتْرِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ

فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ وَصَلَّى ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ. وَمِنْهَا أَثْنَاءَ تَكْبِيرَاتِ ٱلْعِيدَيْنِ رُوِيَ ذَٰلِكَ عَنِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وَمِنْهَا عِنْدَ دُخُولِ ٱلْمَسْجِدِ وَٱلْخُرُوجِ مِنْهُ لِمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ فَاطِمَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ ٱلْمَسْجِدَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَٱفْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَإِذَا خَرَجَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَٱفْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ. وَمِنْهَا فِي صَلَاةِ ٱلْجَنَازَةِ فَإِنَّ ٱلسُّنَّةَ أَنْ يَقْرَأَ ٱلْفَاتِحَةَ بَعْدَ إِحْدَى ٱلتَّكْبِيرَاتِ وَبَعْدَ ٱلْأُولَى أَوْلَى وَأَنْ يُصَلِّيَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ٱلثَّانِيَةِ وَيَدْعُوَ لِلْمَيِّتِ بَعْدَ ٱلثَّالِثَةِ وَيَقُولَ بَعْدَ ٱلرَّابِعَةِ ٱللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ وَفِي ذَٰلِكَ حَدِيثٌ رَوَاهُ ٱلشَّافِعِيُّ وَٱلنَّسَائِيُّ. وَمِنْهَا عِنْدَ ٱلتَّلْبِيَةِ أَيْ بَعْدَ ٱلْفَرَاغِ مِنْهَا. وَمِنْهَا عِنْدَ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةِ. وَمِنْهَا عِنْدَ ٱلْإِجْتِمَاعِ وَٱلتَّفَرُّقِ لِمَا رَوَى ٱلتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا ٱللَّهَ فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ. وَٱلتِّرَةُ ٱلنَّقْصُ أَوِ ٱلتَّبِعَةُ أَوِ ٱلْحَسْرَةُ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ مَا مِنْ قَوْمٍ يَقْعُدُونَ ثُمَّ يَقُومُونَ وَلَا يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً وَإِنْ دَخَلُوا ٱلْجَنَّةَ لِمَا يَرَوْنَ مِنَ ٱلثَّوَابِ لِمَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ. وَمِنْهَا عِنْدَ ٱلصَّبَاحِ وَٱلْمَسَاءِ لِمَا رَوَى ٱلطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ٱلدَّرْدَاءِ عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْرًا وَحِينَ يُمْسِي عَشْرًا أَدْرَكَتْهُ

شَفَاعَتِي يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ. وَمِنْهَا عِنْدَ ٱلْوُضُوءِ لِحَدِيثِ ٱبْنِ مَاجَه عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَمِنْهَا عِنْدَ نِسْيَانِ ٱلشَّيْءِ لِحَدِيثِ أَنَسٍ عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَسِيتُمْ شَيْئًا فَصَلُّوا عَلَيَّ تَذْكُرُوهُ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ تَعَالَى رَوَاهُ أَبُو مُوسَى ٱلْمَدِينِيُّ. وَمِنْهَا بَعْدَ ٱلْعُطَاسِ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو مُوسَى ٱلْمَدِينِيُّ وَجَمَاعَةٌ. وَمِنْهَا عِنْدَ زِيَارَةِ قَبْرِهِ ٱلشَّرِيفِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ ٱللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامَ وَرَوَى ٱبْنُ عَسَاكِرَ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ. وَوَرَدَ ٱلْأَمْرُ بِٱلْإِكْثَارِ مِنْهَا يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ وَلَيْلَتَهَا فَعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ ٱلثَّقَفِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ ٱلْجُمُعَةِ فِيهِ خَلَقَ ٱللَّهُ آدَمَ وَفِيهِ قُبِضَ وَفِيهِ ٱلنَّفْخَةُ وَفِيهِ ٱلصَّعْقَةُ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ ٱلصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ قَالُوا يَا رَسُولَ ٱللَّهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ أَيْ بَلِيتَ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ عَلَى ٱلْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ ٱلْأَنْبِيَاءِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ وَصَحَّحَهُ ٱبْنُ خُزَيْمَةَ وَغَيْرُهُ. وَقَدْ رَوَى ٱلْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْأَمْرَ بِٱلْإِكْثَارِ مِنَ ٱلصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ ٱلْجُمُعَةِ وَيَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ. فَإِنْ قُلْتَ مَا ٱلْحِكْمَةُ فِي خُصُوصِيَّةِ ٱلْإِكْثَارِ مِنَ ٱلصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ وَلَيْلَتَهَا أَجَابَ ٱبْنُ ٱلْقَيِّمِ بِأَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدُ ٱلْأَنَامِ وَيَوْمُ ٱلْجُمُعَةِ سَيِّدُ ٱلْأَيَّامِ فَلِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ فِيهِ

مَزِيَّةٌ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ مَعَ حِكْمَةٍ أُخْرَى وَهِيَ أَنَّ كُلَّ خَيْرٍ نَالَتْهُ أُمَّتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَإِنَّمَا نَالَتْهُ عَلَى يَدِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَمَعَ اللهُ لِأُمَّتِهِ بَيْنَ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعْظَمُ كَرَامَةٍ تَحْصُلُ لَهُمْ إِنَّمَا تَحْصُلُ لَهُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَإِنَّ فِيهِ بَعْثَهُمْ إِلَى مَنَازِلِهِمْ وَقُصُورِهِمْ فِي الْجَنَّةِ وَهُوَ يَوْمُ الْمَزِيدِ لَهُمْ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ وَهُوَ يَوْمُ عِيدِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمٌ فِيهِ يُسْعِفُهُمُ اللهُ تَعَالَى بِطَلِبَاتِهِمْ وَحَوَائِجِهِمْ وَلَا يَرُدُّ سَائِلَهُمْ وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا عَرَفُوهُ وَحَصَلَ لَهُمْ بِسَبَبِهِ وَعَلَى يَدِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمِنْ شُكْرِهِ وَحَمْدِهِ وَأَدَاءِ الْقَلِيلِ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُكْثِرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَلَيْلَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * وَأَمَّا فَضِيلَةُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ وَرَدَ التَّصْرِيحُ بِهَا فِي أَحَادِيثَ قَوِيَّةٍ أَمْثَلُهَا مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا * وَعَنْ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي فَقَالَ مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَرَفَعَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ * وَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالسُّرُورُ يُرَى فِي وَجْهِهِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا لَنَرَى السُّرُورَ فِي وَجْهِكَ فَقَالَ إِنَّهُ أَتَانِي الْمَلَكُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَمَا يُرْضِيكَ أَنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ إِنَّهُ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا قَالَ بَلَى رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ * وَعَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ

صلاةً لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي فليقلل عبدٌ من ذلك أو ليكثر رواه الإمام أحمد وغيره. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاةً صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة فليقلل عبدٌ من ذلك أو ليكثر رواه الإمام أحمد. وعن أبيّ بن كعب قال يا رسول الله إني أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي قال ما شئت قلت الربع قال ما شئت وإن زدت فهو خيرٌ لك قلت فالنصف قال ما شئت وإن زدت فهو خيرٌ لك قلت فالثلثين قال ما شئت وإن زدت فهو خيرٌ لك قلت أجعل لك صلاتي كلها قال إذاً تكفى همك ويغفر ذنبك رواه الترمذي* قال النووي ويكره إفراد الصلاة عن السلام واستدل بورود الأمر بهما معاً في قوله تعالى «إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً». وقال في فتح الباري إنه يكره أن يفرد الصلاة ولا يسلم أصلاً أما لو صلى في وقت وسلم في وقت آخر فإنه يكون ممتثلاً *

(الفصل الثالث في ذكر محبة أصحابه عليه الصلاة والسلام وآله وقرابته وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين)

قال الطبراني اعلم أن الله تعالى لما اصطفى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم على جميع من سواه وخصه بما عمه به من فضله الباهر وحباه أعلى مراتبه من انتمى إليه نسباً أو نسبةً ورفع من انطوى عليه نصرةً وصحبةً وألزم مودة قرباه كافة بريته وفرض محبة جملة أهل بيته المعظم وذريته فقال تعالى «قل لا أسألكم

عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» وَيُرْوَى أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللّٰهِ مَنْ قَرَابَتُكَ هٰؤُلَاءِ قَالَ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَابْنَاهُمَا وَقَالَ تَعَالَى «إِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» * وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي الْمُرَادِ بِأَهْلِ الْبَيْتِ فِي هٰذِهِ الْآيَةِ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عِكْرِمَةَ * وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي بَيْتِهِ إِذْ جَاءَتْ فَاطِمَةُ بِبُرْمَةٍ فِيهَا خَزِيرَةٌ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ بِهَا فَقَالَ ادْعِي زَوْجَكِ وَابْنَيْكِ قَالَتْ فَجَاءَ عَلِيٌّ وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تِلْكَ الْخَزِيرَةِ وَتَحْتَهُ كِسَاءٌ قَالَتْ وَأَنَا فِي الْحُجْرَةِ أُصَلِّي فَأَنْزَلَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ هٰذِهِ الْآيَةَ «إِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» قَالَتْ فَأَخَذَ فَضْلَ الْكِسَاءِ وَغَشَّاهُمْ بِهِ ثُمَّ أَخْرَجَ يَدَهُ فَأَلْوَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ اللّٰهُمَّ هٰؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَحَامَّتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا قَالَتْ فَأَدْخَلْتُ رَأْسِي مِنَ الْبَيْتِ فَقُلْتُ وَأَنَا مَعَكُمْ يَا رَسُولَ اللّٰهِ فَقَالَ إِنَّكِ إِلَى خَيْرٍ إِنَّكِ إِلَى خَيْرٍ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالْخَزِيرَةُ لَحْمٌ يُقْطَعُ صِغَارًا وَيُصَبُّ عَلَيْهِ مَاءٌ كَثِيرٌ فَإِذَا نَضِجَ ذُرَّ عَلَيْهِ الدَّقِيقُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ لَحْمٌ فَهِيَ عَصِيدَةٌ وَالْكِسَاءُ مِرْطٌ مِنْ شَعَرٍ وَالْمِرْطُ هُوَ كُلُّ ثَوْبٍ غَيْرِ مَخِيطٍ وَحَامَّتِي أَيْ خَاصَّتِي * وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَتْ هٰذِهِ الْآيَةُ فِي خَمْسَةٍ فِيَّ وَفِي عَلِيٍّ وَحَسَنٍ وَحُسَيْنٍ وَفَاطِمَةَ «إِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ

وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» * وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطِيباً فَحَمِدَ ٱللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَأُجِيبَهُ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ ٱلْهُدَى وَٱلنُّورُ فَتَمَسَّكُوا بِكِتَابِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَخُذُوا بِهِ وَحَثَّ فِيهِ وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ ٱللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقِيلَ لِزَيْدٍ مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ بَلَى إِنَّ نِسَاءَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلٰكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ ٱلصَّدَقَةَ قِيلَ مَنْ هُمْ قَالَ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ ٱلْعَبَّاسِ قِيلَ كُلُّ هٰؤُلَاءِ حُرِمَ ٱلصَّدَقَةَ قَالَ نَعَمْ خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ. وَٱلثَّقَلُ كُلُّ شَيْءٍ نَفِيسٍ مَصُونٍ. وَلَا يَشُكُّ مَنْ تَدَبَّرَ ٱلْقُرْآنَ ٱلْعَظِيمَ أَنَّ نِسَاءَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَاخِلَاتٌ فِي ٱلْآيَةِ ٱلْكَرِيمَةِ فَإِنَّ سِيَاقَ ٱلْكَلَامِ مَعَهُنَّ وَهٰذَا ٱخْتِيَارُ ٱبْنِ عَطِيَّةَ بَعْدَ نَقْلِ أَنَّ ٱلْجُمْهُورَ عَلَى أَنَّهُمْ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَٱلْحَسَنُ وَٱلْحُسَيْنُ * وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ ٱلثَّقَلَيْنِ كِتَابَ ٱللهِ وَعِتْرَتِي كِتَابُ ٱللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ ٱلسَّمَاءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي وَإِنَّ ٱللَّطِيفَ ٱلْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ ٱلْحَوْضَ فَٱنْظُرُوا بِمَاذَا تَخْلُفُونِي فِيهِمَا. وَعِتْرَةُ ٱلرَّجُلِ أَهْلُهُ وَأَقَارِبُهُ * وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱرْقُبُوا مُحَمَّداً فِي أَهْلِ بَيْتِهِ رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ. وَٱلْمُرَاقَبَةُ لِلشَّيْءِ ٱلْمُحَافَظَةُ عَلَيْهِ يَقُولُ ٱحْفَظُوهُمْ وَلَا تُؤْذُوهُمْ * وَقَالَ أَيْضاً لَقَرَابَةُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي * وَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحِبُّوا ٱللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ ٱللهِ وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي بِحُبِّي رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ * وَفِي ٱلْمَنَاقِبِ لِأَحْمَدَ مَنْ أَبْغَضَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ فَهُوَ مُنَافِقٌ * وَفِي ٱلْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَلِيٍّ أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَفِي لَفْظٍ آخَرَ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى وَلَمَّا كَانَ هَارُونُ إِنَّمَا كَانَ خَلِيفَةً فِي حَيَاةِ مُوسَى دَلَّ ذٰلِكَ عَلَى تَخْصِيصِ خِلَافَةِ عَلِيٍّ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَيَاتِهِ وَأَمَّا حَدِيثُ ٱلتِّرْمِذِيِّ وَٱلنَّسَائِيِّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ فَقَدْ قَالَ ٱلشَّافِعِيُّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ يَعْنِي بِذٰلِكَ وَلَاءَ ٱلْإِسْلَامِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى «ذٰلِكَ بِأَنَّ ٱللهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ ٱلْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ» * وَرُوِيَ أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ آذَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي أَخْرَجَهُ ٱلْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَخْرَجَ ٱلْمُخَلِّصُ ٱلذَّهَبِيُّ مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحَبَّنِي وَقَدْ ذَكَرَ ٱلنَّقَّاشُ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى «إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمٰنُ وُدًّا» نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ ٱلْحَنَفِيَّةِ لَا تَجِدُ مُؤْمِنًا إِلَّا وَهُوَ يُحِبُّ عَلِيًّا وَأَهْلَ بَيْتِهِ * وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا كَانَتْ فَاطِمَةُ أَحَبَّ ٱلنَّاسِ إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزَوْجُهَا أَحَبَّ ٱلرِّجَالِ إِلَيْهِ رَوَاهُ ٱلتِّرْمِذِيُّ * وَفِي ٱلْبُخَارِيِّ إِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي. وَٱلْبَضْعَةُ قِطْعَةُ ٱللَّحْمِ وَٱسْتَدَلَّ بِهِ ٱلسُّهَيْلِيُّ عَلَى أَنَّ مَنْ سَبَّهَا يَكْفُرُ * وَفِي ٱلتِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي حَسَنٍ

وَحُسَيْنٍ أَللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُمَا * وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الْحَافِظِ السِّلَفِيِّ قَالَ مَا رَأَيْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ قَطُّ إِلَّا فَاضَتْ عَيْنَايَ دُمُوعاً وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يَوْماً وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ فَأَخَذَ بِيَدِي وَاتَّكَأَ عَلَيَّ حَتَّى جِئْنَا سُوقَ قَيْنُقَاعَ فَنَظَرَ فِيهِ ثُمَّ رَجَعَ حَتَّى جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ قَالَ ادْعُ ابْنِي قَالَ فَأَتَى الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَشْتَدُّ حَتَّى وَقَعَ فِي حِجْرِهِ فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَحُ فَمَهُ ثُمَّ يُدْخِلُ فَمَهُ فِي فَمِهِ وَيَقُولُ أَللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ * وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هٰذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْمَعِيَّةِ هُنَا الْمَعِيَّةَ مِنْ حَيْثُ الْمَقَامُ بَلْ مِنْ جِهَةِ رَفْعِ الْحِجَابِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ» * وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ حَمَلَ الْحَسَنَ وَهُوَ يَقُولُ: بِأَبِي شَبِيهٌ بِالنَّبِيِّ لَيْسَ شَبِيهاً بِعَلِيٍّ وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ * وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الْإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ آذَى عَمِّي فَقَدْ آذَانِي فَإِنَّمَا عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَسَنٌ صَحِيحٌ. قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ أَصْلُ الصِّنْوِ أَنْ تَطْلُعَ نَخْلَتَانِ مِنْ عِرْقٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنَّ أَصْلَ الْعَبَّاسِ وَأَصْلَ أَبِي وَاحِدٌ * وَجَلَّلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَبَنِيهِ بِكِسَاءٍ ثُمَّ قَالَ أَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْعَبَّاسِ وَوَلَدِهِ مَغْفِرَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً لَا تُغَادِرُ ذَنْباً إِلَّا سَتَرَتْهُ أَللَّهُمَّ احْفَظْهُ فِي وَلَدِهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ

السَّرِيِّ غَطَّاهُمْ بِشَمْلَةٍ لَهُ سَوْدَاءَ مُخَطَّطَةٍ بِحُمْرَةٍ وَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَعِتْرَتِي فَاسْتُرْهُمْ مِنَ النَّارِ كَسَتْرِهِمْ بِهَذِهِ الشَّمْلَةِ قَالَ فَلَمْ يَبْقَ فِي الْبَيْتِ مَدَرَةٌ وَلَا بَابٌ إِلَّا أَمَّنَ. وَالْمَدَرَةُ التُّرَابُ وَأَمَّنَ قَالَ آمِينَ مُعْجِزَةً لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالشَّمْلَةُ الْكِسَاءُ سُمِّيَ شَمْلَةً لِأَنَّهُ يُشْتَمَلُ بِهِ * وَرُوِيَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِنِّي أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ حُبًّا لِقَرَابَتِكَ مِنِّي وَحُبًّا لِمَا كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْ حُبِّ عَمِّي لَكَ * وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ أَبُو سُفْيَانَ ابْنُ الْحَارِثِ مِنْ خَيْرِ أَهْلِي * وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يُبْغِضُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَحَدٌ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ * وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَلْفَاظَ الْأَرْبَعَةَ آلَهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَعِتْرَتُهُ وَذَوِي الْقُرْبَى مَعَانِيهَا مُتَقَارِبَةٌ وَقَدْ وَقَعَ الْاِصْطِلَاحُ عَلَى اخْتِصَاصِهِمْ مِنْ بَيْنِ ذَوِي الشَّرَفِ بِالشَّطْفَةِ الْخَضْرَاءِ أَيَّامَ الْمَأْمُونِ الْعَبَّاسِيِّ ثُمَّ انْقَطَعَ إِلَى أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ فَأَمَرَ السُّلْطَانُ الْأَشْرَفُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ أَنْ يَمْتَازُوا عَنِ النَّاسِ بِعَصَائِبَ خُضْرٍ عَلَى الْعَمَائِمِ فَفُعِلَ ذَلِكَ بِمِصْرَ وَالشَّامِ وَغَيْرِهِمَا * وَأَمَّا الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» إِلَى آخِرِ السُّورَةِ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولُهُ حَقًّا مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا رَيْبٍ فَقَالَ «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» ثُمَّ ثَنَّى بِالثَّنَاءِ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ «وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» كَمَا قَالَ تَعَالَى «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى

ٱلْكَافِرِينَ» فوصفهم بالشدة على الكفار والرحمة بالأخيار ثم أثنى عليهم بكثرة الأعمال مع الإخلاص التام فمن نظر إليهم أعجبه سمتهم وهديهم لخلوص نياتهم وحسن أعمالهم ثم قال سبحانه وتعالى «ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ» أي أفراخه «فَآزَرَهُ» أي شده وقواه «فَٱسْتَغْلَظَ» شب فطال «فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ» قوته وغلظه وحسن منظره فكذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع «لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ» ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمه الله في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة قال لأنهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر وقد وافقه على ذلك جماعة من العلماء والأحاديث في فضل الصحابة كثيرة ويكفي ثناء الله عليهم ورضاه عنهم وقد وعدهم الله مغفرة وأجراً عظيماً ووعد الله حق وصدق لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم * قال الإمام مالك رضي الله عنه بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا وصدقوا فإن هذه الأمة المحمدية خصوصاً الصحابة لم يزل ذكرهم معظماً في الكتب الإلهية كما قال سبحانه وتعالى «ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنْجِيلِ» الآية * والصحابي من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين ولو ساعة ومات على ذلك * وقد أجمع جمهور العلماء من السلف والخلف على أن أصحابه صلى الله عليه وسلم خير خلق

ٱللهِ وَأَفْضَلُهُمْ بَعْدَ ٱلنَّبِيِّينَ وَخَوَاصِّ ٱلْمَلَائِكَةِ ٱلْمُقَرَّبِينَ لِمَا رَوَى ٱلْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خَيْرُ ٱلنَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ. قَالَ فِي فَتْحِ ٱلْبَارِي وَٱلْقَرْنُ أَهْلُ زَمَانٍ وَاحِدٍ مُتَقَارِبٍ ٱشْتَرَكُوا فِي أَمْرٍ مِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلْمَقْصُودَةِ وَيُطْلَقُ عَلَى مُدَّةٍ مِنَ ٱلزَّمَانِ ٱخْتَلَفُوا فِي تَحْدِيدِهَا مِنْ عَشَرَةِ أَعْوَامٍ إِلَى مِائَةٍ وَعِشْرِينَ. وَٱلْمُرَادُ بِقَرْنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا ٱلْحَدِيثِ ٱلصَّحَابَةُ * وَآخِرُ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ بِلَا خِلَافٍ أَبُو ٱلطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَاثِلَةَ ٱللَّيْثِيُّ وَكَانَ مَوْتُهُ سَنَةَ مِائَةٍ عَلَى ٱلصَّحِيحِ * وَأَمَّا عِدَّةُ أَصْحَابِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا ٱللهُ تَعَالَى لِكَثْرَةِ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَوَّلِ ٱلْبِعْثَةِ إِلَى أَنْ مَاتَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبِضَ عَنْ مِائَةِ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا * وَأَفْضَلُهُمْ عَلَى ٱلْإِطْلَاقِ عِنْدَ أَهْلِ ٱلسُّنَّةِ إِجْمَاعًا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا وَذَهَبَ بَعْضُ ٱلسَّلَفِ إِلَى تَقْدِيمِ عَلِيٍّ عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا وَمِمَّنْ قَالَ بِهِ سُفْيَانُ ٱلثَّوْرِيُّ وَٱلْجُمْهُورُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ وَعَنْ مَالِكٍ ٱلْوَقْفُ أَيْ لَا يُفَضَّلُ أَحَدُهُمَا عَلَى ٱلْآخَرِ قَالَ ٱلْإِمَامُ أَبُو مَنْصُورٍ ٱلْبَغْدَادِيُّ أَصْحَابُنَا مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَهُمُ ٱلْخُلَفَاءُ ٱلْأَرْبَعَةُ ثُمَّ ٱلسِّتَّةُ تَمَامُ ٱلْعَشَرَةِ يَعْنِي طَلْحَةَ وَٱلزُّبَيْرَ وَسَعْدًا وَسَعِيدًا وَعَبْدَ ٱلرَّحْمٰنِ بْنَ عَوْفٍ وَأَبَا عُبَيْدَةَ عَامِرَ بْنَ ٱلْجَرَّاحِ وَهُمُ ٱلَّذِينَ بَشَّرَهُمُ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِٱلْجَنَّةِ فِي أَحَادِيثَ * وَقَدْ رَوَى ٱلطَّبَرِيُّ فِي ٱلرِّيَاضِ عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ ٱللهَ ٱفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ حُبَّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ

كَمَا افْتَرَضَ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالصَّوْمَ وَالْحَجَّ فَمَنْ أَنْكَرَ فَضْلَهُمْ فَلَا تُقْبَلُ مِنْهُ الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَلَا الصَّوْمُ وَلَا الْحَجُّ * وَعَنْ أَنَسٍ أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُبُّ أَبِي بَكْرٍ وَاجِبٌ عَلَى أُمَّتِي . وَأَخْرَجَ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَيْتَ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللهِ نَحْنُ إِخْوَانُكَ قَالَ لَا أَنْتُمْ أَصْحَابِي إِخْوَانِي الَّذِينَ لَمْ يَرَوْنِي وَصَدَّقُوا بِي وَأَحَبُّونِي حَتَّى إِنِّي لَأَحَبُّ إِلَى أَحَدِهِمْ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ أَمَا نَحْنُ إِخْوَانُكَ قَالَ لَا أَنْتُمْ أَصْحَابِي أَلَا تُحِبُّ يَا أَبَا بَكْرٍ قَوْمًا أَحَبُّوكَ بِحُبِّي إِيَّاكَ قَالَ فَأَحِبَّهُمْ مَا أَحَبُّوكَ بِحُبِّي إِيَّاكَ فَمَحَبَّةُ مَنْ أَحَبَّهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَآلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عَلَامَةٌ عَلَى مَحَبَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا أَنَّ مَحَبَّتَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَامَةٌ عَلَى مَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَى وَكَذَلِكَ عَدَاوَةُ مَنْ عَادَاهُمْ وَبُغْضُ مَنْ أَبْغَضَهُمْ وَسَبَّهُمْ فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَحَبَّ مَنْ يُحِبُّهُ وَأَبْغَضَ مَنْ يُبْغِضُهُ قَالَ تَعَالَى «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ» فَحُبُّ آلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَزْوَاجِهِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ الْمُتَعَيِّنَاتِ وَبُغْضُهُمْ مِنَ الْمُوبِقَاتِ الْمُهْلِكَاتِ . وَمِنْ مَحَبَّتِهِمْ وُجُوبُ تَوْقِيرِهِمْ وَبِرِّهِمْ وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِهِمْ وَالْاِقْتِدَاءِ بِهِمْ بِأَنْ يَمْشِيَ عَلَى سُنَنِهِمْ وَآدَابِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَالْعَمَلِ بِأَقْوَالِهِمْ مِمَّا لَيْسَ لِلْعَقْلِ فِيهِ مَجَالٌ وَحُسْنُ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يَذْكُرُوا بِأَوْصَافِهِمُ الْجَمِيلَةِ عَلَى قَصْدِ التَّعْظِيمِ فَقَدْ أَثْنَى اللهُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ وَمَنْ أَثْنَى اللهُ عَلَيْهِ فَهُوَ

وَاجِبُ ٱلثَّنَاءِ قَالَ شَيْخُ ٱلإِسْلَامِ وَلِيُّ ٱلدِّينِ ٱلْعِرَاقِيُّ مَنِ ٱعْتَرَفَ بِأَنَّ أَفْضَلَ ٱلْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ لَكِنَّهُ أَحَبَّ عَلِيًّا أَكْثَرَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ مَثَلًا فَإِنْ كَانَتِ ٱلْمَحَبَّةُ ٱلْمَذْكُورَةُ مَحَبَّةً دِينِيَّةً فَلَا مَعْنَى لِذَٰلِكَ إِذِ ٱلْمَحَبَّةُ لَازِمَةٌ لِلْأَفْضَلِيَّةِ وَهٰذَا لَمْ يَعْتَرِفْ بِأَفْضَلِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا بِلِسَانِهِ وَأَمَّا بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُفَضِّلٌ لِعَلِيٍّ لِكَوْنِهِ أَحَبَّهُ مَحَبَّةً دِينِيَّةً زَائِدَةً عَلَى مَحَبَّةِ أَبِي بَكْرٍ وَهٰذَا لَا يَجُوزُ وَإِنْ كَانَتِ ٱلْمَحَبَّةُ ٱلْمَذْكُورَةُ مَحَبَّةً دُنْيَوِيَّةً لِكَوْنِهِ مِنْ ذُرِّيَّةِ عَلِيٍّ أَوْ لِغَيْرِ ذَٰلِكَ مِنَ ٱلْمَعَانِي فَلَا ٱمْتِنَاعَ فِيهِ وَٱللهُ أَعْلَمُ . قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ ٱلتُّسْتَرِيُّ لَمْ يُؤْمِنْ بِٱلرَّسُولِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ أَصْحَابَهُ وَلَمْ يُعِزَّ أَوَامِرَهُ * وَمِمَّا يَجِبُ أَيْضًا ٱلْإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ أَيْ وَقَعَ بَيْنَهُمْ مِنَ ٱلِٱخْتِلَافِ وَٱلِٱضْطِرَابِ عَنْ أَخْبَارِ ٱلْمُؤَرِّخِينَ وَجَهَلَةِ ٱلرُّوَاةِ وَضُلَّالِ ٱلشِّيعَةِ وَٱلْمُبْتَدِعِينَ ٱلْقَادِحَةِ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ قَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا وَأَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ فِيمَا نُقِلَ مِنْ ذَٰلِكَ فِيمَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ ٱلْفِتَنِ أَحْسَنُ ٱلتَّأْوِيلَاتِ وَيُخْرَجَ لَهُمْ أَصْوَبُ ٱلْمَخَارِجِ إِذْ هُمْ أَهْلُ ذَٰلِكَ كَمَا هُوَ مَشْهُورٌ فِي مَنَاقِبِهِمْ وَمَعْدُودٌ مِنْ مَآثِرِهِمْ مِمَّا يَطُولُ إِيرَادُ بَعْضِهِ وَمَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ مِنَ ٱلْمُنَازَعَاتِ وَٱلْمُحَارَبَاتِ فَلَهُ مَحَامِلُ وَتَأْوِيلَاتٌ فَسَبُّهُمْ وَٱلطَّعْنُ فِيهِمْ إِذَا كَانَ مِمَّا يُخَالِفُ ٱلْأَدِلَّةَ ٱلْقَطْعِيَّةَ كُفْرٌ كَقَذْفِ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا وَإِلَّا فَبِدْعَةٌ وَفِسْقٌ قَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱحْفَظُونِي فِي أَخْتَانِي وَأَصْهَارِي وَأَصْحَابِي لَا يُطَالِبَنَّكُمُ ٱللهُ بِمَظْلِمَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مِمَّا يُوهَبُ رَوَاهُ ٱلْخِلَعِيُّ .

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا مِنْ بَعْدِي مَنْ أَحَبَّهُمْ فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَقَدْ أَبْغَضَنِي وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ فَيُوشِكُ أَنْ يُؤَاخِذَهُ رَوَاهُ الْمُخَلِّصُ الذَّهَبِيُّ وَهٰذَا الْحَدِيثُ خُرِّجَ مَخْرَجَ الْوَصِيَّةِ بِأَصْحَابِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى طَرِيقِ التَّأْكِيدِ وَالتَّرْغِيبِ فِي حُبِّهِمْ وَالتَّرْهِيبِ عَنْ بُغْضِهِمْ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ حُبَّهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَبُغْضَهُمْ كُفْرٌ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ بُغْضُهُمْ بُغْضًا لَهُ كَانَ كُفْرًا بِلَا نِزَاعٍ لِلْحَدِيثِ السَّابِقِ لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَهٰذَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ قُرْبِهِمْ مِنْهُ بِتَنْزِيلِهِمْ مَنْزِلَةَ نَفْسِهِ حَتَّى كَأَنَّ أَذَاهُمْ وَاقِعٌ عَلَيْهِ وَوَاصِلٌ إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي الْحَدِيثِ مَنْ سَبَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي فَاجْلِدُوهُ ☆

المقصد العاشر

فِي إِتْمَامِ اللهِ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ بِوَفَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزِيَارَةِ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ وَمَسْجِدِهِ الْمُنِيفِ وَتَفْضِيلِهِ فِي الْآخِرَةِ وَتَشْرِيفِهِ بِخَصَائِصِ الزُّلْفَى فِي مَشْهَدِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَتَخْصِيصِهِ بِالشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ فِي مَجْمَعِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَتَرْقِيَتِهِ فِي الْجَنَّاتِ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ وَفِيهِ ثَلَاثَةُ فُصُولٍ

الفصل الاول

فِي إِتْمَامِهِ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ بِوَفَاتِهِ وَنُقْلَتِهِ إِلَى حَظِيرَةِ قُدْسِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إِعْلَمْ أَنَّ الْمَوْتَ لَمَّا كَانَ مَكْرُوهًا بِالطَّبْعِ لَمْ يَمُتْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى يُخَيَّرَ

وأول ما أعلم به صلى الله عليه وسلم باقتراب أجله سورة «إذا جاء نصر الله والفتح» وقد قيل إن هذه السورة آخر سورة نزلت يوم النحر وهو صلى الله عليه وسلم بمنى في حجة الوداع وقيل عاش بعدها أحدا وثمانين يوما . وفي حديث ابن عباس عند الدارمي لما نزلت «اذا جاء نصر الله والفتح» دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وقال نعيت إلي نفسي فبكت قال لا تبكي فإنك أول أهلي لحوقا بي فضحكت * وروى الطبراني عن ابن عباس قال لما نزلت إذا جاء نصر الله والفتح نعيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فأخذ بأشد ما كان قط اجتهادا في الآخرة * وللطبراني من حديث جابر لما نزلت هذه السورة قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل نعيت إلي نفسي فقال له جبريل وللآخرة خير لك من الأولى * وروي في حديث ذكره ابن رجب في اللطائف أنه صلى الله عليه وسلم تعبد حتى صار كالشن البالي * وكان عليه الصلاة والسلام يعرض القرآن كل عام على جبريل مرة فعرضه ذلك العام مرتين وكان عليه الصلاة والسلام يعتكف العشر الأواخر من رمضان كل عام فاعتكف في ذلك العام عشرين وأكثر من الذكر والاستغفار * وقالت أم سلمة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلا قال سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه فقلت له إنك تدعو بدعاء لم تكن تدعو به قبل اليوم فقال إن ربي أخبرني أني سأرى علما في أمتي وأني اذا رأيته أسبح بحمده وأستغفره ثم تلا هذه

السورة رواه ابن جرير وغيره * وروى الشيخان من حديث عقبة بن عامر قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات ثم طلع المنبر فقال إني بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد وإن موعدكم الحوض وإني لأنظر إليه وأنا في مقامي هذا وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها * وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال إن عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فعجبنا له وقال الناس انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن أمن الناس علي بصحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام لا يبقى في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر رواه الشيخان * وكانت هذه الخطبة في ابتداء مرضه الذي مات فيه فإنه خرج كما رواه الدارمي وهو معصوب الرأس بخرقة حتى أهوى إلى المنبر ثم بعد الخطبة هبط عنه فما رؤي عليه حتى الساعة وما زال صلى الله عليه وسلم يعرض باقتراب أجله في

آخر عمره فإنه لما خطب في حجة الوداع قال للناس خذوا عني مناسككم فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا وطفق يودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع فلما رجع عليه الصلاة والسلام من حجة الوداع إلى المدينة جمع الناس بماء يدعى خما في طريقه بين مكة والمدينة فخطبهم وقال أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى بأهل بيته * قال الحافظ ابن رجب وكان ابتداء مرضه عليه الصلاة والسلام في أواخر شهر صفر وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوما في المشهور وذكر الخطابي أنه ابتدأ به يوم الإثنين * واختلف في مدة مرضه فالأكثر أنها ثلاثة عشر يوما * وفي البخاري قالت عائشة رضي الله عنها لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذن له فخرج وهو بين رجلين تخط رجلاه في الأرض بين العباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر أي وهو علي بن أبي طالب * وفي رواية ابن أبي مليكة عن عائشة أن دخوله عليه الصلاة والسلام بيتها كان يوم الإثنين وموته يوم الإثنين الذي يليه * وفي البخاري قالت عائشة وارأساه فقال صلى الله عليه وسلم ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك فقالت عائشة واثكلياه إني لأظنك تحب موتي فلو كان ذلك لظللت آخر يومك معرسا ببعض أزواجك فقال صلى الله عليه وسلم بل أنا وارأساه لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون ثم قلت يأبى الله ويدفع

الْمُؤْمِنُونَ أَوْ يَدْفَعُ اللهُ وَيَأْبَى الْمُؤْمِنُونَ * وَقَدْ تَبَيَّنَ كَمَا نَبَّهَ عَلَيْهِ فِي اللَّطَائِفِ
أَنَّ أَوَّلَ مَرَضِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ صُدَاعَ الرَّأْسِ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ كَانَ
مَعَ حُمَّى فَإِنَّ الْحُمَّى اشْتَدَّتْ بِهِ فِي مَرَضِهِ فَكَانَ يَجْلِسُ فِي مِخْضَبٍ وَيُصَبُّ عَلَيْهِ
الْمَاءُ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ يَتَبَرَّدُ بِذَلِكَ . وَالْمِخْضَبُ إِنَاءٌ يُغْتَسَلُ فِيهِ
وَالْأَوْكِيَةُ جَمْعُ وِكَاءٍ وَهُوَ رِبَاطُ الْقِرْبَةِ * وَفِي الْبُخَارِيِّ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ
عَنْهَا لَمَّا دَخَلَ بَيْتِي وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ قَالَ أَهْرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ
لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُّ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقِرَبِ حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ أَنْ قَدْ
فَعَلْتُنَّ * وَكَانَتْ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطِيفَةٌ فَكَانَتِ الْحُمَّى تُصِيبُ مَنْ
يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهِ مِنْ فَوْقِهَا فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ إِنَّا كَذَلِكَ يُشَدَّدُ عَلَيْنَا الْبَلَاءُ
وَيُضَاعَفُ لَنَا الْأَجْرُ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ * وَعَنْ
عَبْدِ اللهِ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا
فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ تُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا فَقَالَ أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا
يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ قُلْتُ ذَلِكَ أَنَّ لَكَ لَأَجْرَيْنِ قَالَ أَجَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ
مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ كَمَا
تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَالْوَعْكُ الْحُمَّى * وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ عَنْ
فَاطِمَةَ بِنْتِ الْيَمَانِ قَالَتْ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نِسَاءٍ نَعُودُهُ فَإِذَا
سِقَاءٌ يَقْطُرُ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْحُمَّى فَقَالَ إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الَّذِينَ

يَلُونَهُمْ ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ * وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ أَنَّهُ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ عُلْبَةٌ أَوْ رَكْوَةٌ فِيهَا مَاءٌ فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي ٱلْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللّٰهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ ٱلْحَدِيثَ رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ * وَرَوَى أَيْضًا عَنْ عُرْوَةَ أَنَّهُ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ ٱلطَّعَامِ ٱلَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ فَهٰذَا أَوَانُ وَجَدْتُ ٱنْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذٰلِكَ ٱلسُّمِّ . وَٱلْأَبْهَرُ عِرْقٌ مُسْتَبْطِنٌ بِٱلصُّلْبِ يَتَّصِلُ بِٱلْقَلْبِ فَإِذَا ٱنْقَطَعَ مَاتَ صَاحِبُهُ . وَقَدْ كَانَ ٱبْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُ يَرَوْنَ أَنَّهُ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ شَهِيدًا مِنَ ٱلسُّمِّ * وَعِنْدَ ٱلْبُخَارِيِّ قَالَتْ عَائِشَةُ إِنَّ رَسُولَ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا ٱشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِٱلْمُعَوِّذَاتِ وَمَسَحَ بِيَدَيْهِ فَلَمَّا ٱشْتَكَى وَجَعَهُ ٱلَّذِي مَاتَ فِيهِ طَفِقْتُ أَنَا أَنْفِثُ عَلَيْهِ بِٱلْمُعَوِّذَاتِ ٱلَّتِي كَانَ يَنْفِثُ وَأَمْسَحُ بِيَدِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي رِوَايَةِ مَالِكٍ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا * وَفِي ٱلْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهَا مَرَّ عَبْدُ ٱلرَّحْمٰنِ وَفِي يَدِهِ جَرِيدَةٌ رَطْبَةٌ فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُ بِهَا حَاجَةً فَأَخَذْتُهَا فَمَضَغْتُ رَأْسَهَا وَنَفَضْتُهَا وَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ فَٱسْتَنَّ بِهَا كَأَحْسَنِ مَا كَانَ مُسْتَنًّا ثُمَّ نَاوَلَنِيهَا فَسَقَطَتْ يَدُهُ أَوْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ فَجَمَعَ ٱللّٰهُ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ ٱلْآخِرَةِ وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهَا قَالَتْ دَخَلَ عَبْدُ ٱلرَّحْمٰنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مُسْنِدَتُهُ إِلَى صَدْرِي * وَفِي ٱلْمُسْنَدِ عَنْهَا أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّهُ لَيُهَوِّنُ عَلَيَّ ٱلْمَوْتَ أَنِّي رَأَيْتُ بَيَاضَ كَفِّ عَائِشَةَ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفِي رِوَايَةٍ

رأيتها في الجنة * ويروى أنه كان عنده صلى الله عليه وسلم في مرضه سبعة دنانير فكان يأمرهم بالصدقة بها ثم يغمى عليه فيشتغلون بوجعه فدعا بها فوضعها في كفه وقال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وعنده هذه ثم تصدق بها كلها رواه البيهقي * وفي البخاري من طريق عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة في شكواه الذي قبض فيه فسارها بشيء فبكت ثم دعاها فسارها فضحكت فسألناها عن ذلك فقالت سارني النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ثم سارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت * وروى أبو داود وغيره عن عائشة أيضاً أنها قالت ما رأيت أحداً أشبه سمتاً وهدياً ودلاً برسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامها وقعودها من فاطمة . والدل هنا السكينة والوقار وحسن السيرة والطريقة واستقامة المنظر والهيبة وكانت إذا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قام إليها وقبلها وأجلسها في مجلسه وكان إذا دخل عليها فعلت ذلك فلما مرض دخلت عليه فأكبت عليه فقبلته وفي رواية مسروق أن ضحكها كان لإخباره إياها أنها سيدة نساء أهل الجنة وأنها أول أهله لحوقاً به وفي روايته عن عائشة فقلت ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن فسألتها عن ذلك فقالت ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم سألتها فقالت أسر إلي أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي

وَعِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِفَاطِمَةَ إِنَّ جِبْرِيلَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ لَيْسَ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَعْظَمَ رَزِيَّةً مِنْكِ فَلَا تَكُونِي أَدْنَى امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ صَبْرًا • وَفِي الْحَدِيثِ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا سَيَقَعُ وَوَقَعَ كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُمُ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا كَانَتْ أَوَّلَ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَهُ حَتَّى مِنْ أَزْوَاجِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ * وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شِدَّةِ وَجَعِهِ يُغْمَى عَلَيْهِ فِي مَرَضِهِ ثُمَّ يُفِيقُ وَأُغْمِيَ عَلَيْهِ مَرَّةً فَظَنُّوا أَنَّ وَجَعَهُ ذَاتُ الْجَنْبِ فَلَدُّوهُ فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْهِمْ أَنْ لَا يَلُدُّوهُ فَقَالُوا كَرَاهِيَةُ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ تَلُدُّونِي فَقَالُوا كَرَاهِيَةُ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ فَقَالَ لَا يَبْقَى أَحَدٌ فِي الْبَيْتِ إِلَّا لُدَّ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَّا الْعَبَّاسَ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ • وَاللَّدُودُ هُوَ مَا يُجْعَلُ فِي جَانِبِ الْفَمِ مِنَ الدَّوَاءِ فَأَمَّا مَا يُصَبُّ فِي الْحَلْقِ فَيُقَالُ لَهُ الْوَجُورُ * وَلَمَّا اشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَقَالَتْ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعُ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ قَالَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَعَاوَدَتْهُ مِثْلَ مَقَالَتِهَا فَقَالَ إِنَّكُنَّ صَوَاحِبَاتُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَأَبُو حَاتِمٍ وَاللَّفْظُ لَهُ وَنَقَلَ الدِّمْيَاطِيُّ أَنَّ الصِّدِّيقَ صَلَّى بِالنَّاسِ سَبْعَ عَشْرَةَ صَلَاةً * وَقَدْ ذَكَرَ الْفَاكِهَانِيُّ فِي الْفَجْرِ الْمُنِيرِ مِمَّا عَزَاهُ لِسَيْفِ الدِّينِ بْنِ عُمَرَ فِي كِتَابِ الْفُتُوحِ أَنَّ الْأَنْصَارَ لَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزْدَادُ

وَجعًا أ طَافُوا بالْمَسجِدِ فَدخَل العَبَّاسُ فأَعلمه عليه الصَّلاة والسَّلامُ بمكَانِهم وإشفَاقِهم ثُمَّ دخل عَليهِ الفَضلُ فأَعلمهُ بمثلِ ذلك ثُمَّ دخل عليهِ عَليُّ بنُ أَبي طَالِب كذلك فخرج صلَّى الله عليه وسلَّم متوكئًا على عليّ والفضل والعبَّاس أمامه والنَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم معصوبُ الرَّأس يخطُّ برجليه حتى جلس على أسفل مرقاةٍ من المنبر وثار النَّاسُ إليه فحمدَ الله وأثنى عليه وقال أيُّها النَّاس بلغني أنَّكم تخافون من موت نبيِّكم هل خلد نبيٌّ قبلي فيمن بُعث إليه فأخلُد فيكم ألا وإنِّي لاحقٌ بربِّي ألا وإنَّكم لاحقون به فأوصيكم بالمهاجرين الأوَّلين خيرًا وأوصي المهاجرين فيما بينهم فإنَّ الله تعالى يقول « والعصرِ إنَّ الإنسان لفي خسرٍ إلَّا الَّذين آمنوا وعملوا الصَّالحات وتواصوا بالحقِّ وتواصوا بالصَّبر » وإنَّ الأُمور تجري بإذن الله تعالى فلا يحملنَّكم استبطاءُ أمرٍ على استعجاله فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يعجل بعجلة أحدٍ ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه «فهل عسيتم إن تولَّيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطِّعوا أرحامكم» وأوصيكم بالأنصار خيرًا فإنَّهم الَّذين تبوَّؤا الدَّار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم ألم يشاطروكم في الثِّمار ألم يوسِّعوا لكم في الدِّيار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا وإنِّي فرطٌ لكم وأنتم لاحقون بي ألا وإنَّ موعدكم الحوض ألا فمن أحبَّ أن يرده عليَّ غدًا فليكفف يده ولسانه إلَّا فيما ينبغي يا أيُّها النَّاس إنَّ الذُّنوب تغيِّر النِّعم وتبدِّل القسم فإذا برَّ النَّاسُ برَّهم

أَئِمَّتِهِمْ وَإِذَا فَجَرُوا عَقُّوهُمْ * وَذَكَرَ الْوَاحِدِيُّ بِسَنَدٍ وَصَلَهُ بِعَبْدِ اللّٰهِ بْنِ مَسْعُودٍ نَعَى لَنَا رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ فَلَمَّا دَنَا الْفِرَاقُ جَمَعَنَا فِي بَيْتِ عَائِشَةَ فَقَالَ حَيَّاكُمُ اللّٰهُ بِالسَّلَامِ رَحِمَكُمُ اللّٰهُ جَبَرَكُمُ اللّٰهُ رَزَقَكُمُ اللّٰهُ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ رَفَعَكُمُ اللّٰهُ آوَاكُمُ اللّٰهُ أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللّٰهِ وَأَسْتَخْلِفُهُ عَلَيْكُمْ وَأُحَذِّرُكُمُ اللّٰهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللّٰهِ فِي بِلَادِهِ وَعِبَادِهِ فَإِنَّهُ قَالَ لِي وَلَكُمْ « تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » وَقَالَ « أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ » قُلْنَا يَا رَسُولَ اللّٰهِ مَتَى أَجَلُكَ قَالَ دَنَا الْفِرَاقُ وَالْمُنْقَلَبُ إِلَى اللّٰهِ وَإِلَى جَنَّةِ الْمَأْوَى قُلْنَا يَا رَسُولَ اللّٰهِ مَنْ يُغَسِّلُكَ قَالَ رِجَالُ أَهْلِ بَيْتِي الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى قُلْنَا يَا رَسُولَ اللّٰهِ فِيمَ نُكَفِّنُكَ قَالَ فِي ثِيَابِي هٰذِهِ وَإِنْ شِئْتُمْ فِي ثِيَابٍ بَيَاضٍ مِصْرًا أَوْ حُلَّةٍ يَمَنِيَّةٍ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللّٰهِ مَنْ يُصَلِّي عَلَيْكَ قَالَ إِذَا أَنْتُمْ غَسَّلْتُمُونِي وَكَفَّنْتُمُونِي فَضَعُونِي عَلَى سَرِيرِي هٰذَا عَلَى شَفِيرِ قَبْرِي ثُمَّ اخْرُجُوا عَنِّي سَاعَةً فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُصَلِّي عَلَيَّ جِبْرِيلُ ثُمَّ مِيكَائِيلُ ثُمَّ إِسْرَافِيلُ ثُمَّ مَلَكُ الْمَوْتِ وَمَعَهُ جُنُودٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ثُمَّ ادْخُلُوا عَلَيَّ فَوْجًا فَوْجًا فَصَلُّوا عَلَيَّ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا وَلْيَبْدَأْ بِالصَّلَاةِ عَلَيَّ رِجَالُ أَهْلِ بَيْتِي ثُمَّ نِسَاؤُهُمْ ثُمَّ أَنْتُمْ وَاقْرَؤُا السَّلَامَ عَلَى مَنْ غَابَ مِنْ أَصْحَابِي وَمَنْ تَبِعَنِي عَلَى دِينِي مِنْ يَوْمِي هٰذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللّٰهِ وَمَنْ يُدْخِلُكَ قَبْرَكَ قَالَ أَهْلِي مَعَ مَلَائِكَةِ رَبِّي وَكَذَا رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ * وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا كَانَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ صَحِيحٌ يَقُولُ إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ

قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذي غشي عليه فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال اللهم في الرفيق الأعلى فقلت إذًا لا يختارنا فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح وفي رواية أنها أصغت إليه قبل أن يموت وهو مستند إلى ظهره يقول اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى رواه البخاري. ولأحمد من حديث أبي مويهبة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتيت مفاتيح خزائن الأرض والخلد ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة فاخترت لقاء ربي والجنة * وعند عبد الرزاق من مرسل طاووس رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم خيرت بين أن أبقى حتى أرى ما يفتح على أمتي وبين التعجيل فاخترت التعجيل * وفي حديث مرسل ذكره الحافظ ابن رجب أنه عليه الصلاة والسلام قال اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل فأعني عليه وهونه علي * ولما تغشاه صلى الله عليه وسلم الكرب قالت فاطمة رضي الله عنها واكرب أبتاه فقال صلى الله عليه وسلم لها لا كرب على أبيك بعد اليوم رواه البخاري قال العلماء إن ذلك الألم والأوجاع زيادة في رفعة منزلته صلى الله عليه وسلم * وفي البخاري من حديث أنس أن المسلمين بينما هم في صلاة الفجر يوم الإثنين وأبو بكر يصلي بهم لم يفجأهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن رسول

اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ أَنَسٌ وَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلَاتِهِمْ فَرَحًا بِرَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ ثُمَّ دَخَلَ الْحُجْرَةَ وَأَرْخَى السِّتْرَ وَتُوُفِّيَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَوْمِهِ ذٰلِكَ * وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ لَمَّا بَقِيَ مِنْ أَجَلِ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثٌ نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللّٰهَ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ إِكْرَامًا لَكَ وَتَفْضِيلًا لَكَ وَخَاصَّةً لَكَ لِيَسْأَلَكَ عَمَّا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْكَ يَقُولُ كَيْفَ تَجِدُكَ فَقَالَ أَجِدُنِي يَا جِبْرِيلُ مَغْمُومًا وَأَجِدُنِي يَا جِبْرِيلُ مَكْرُوبًا ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذٰلِكَ ثُمَّ جَاءَهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذٰلِكَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ فِيهِ مَلَكُ الْمَوْتِ فَقَالَ جِبْرِيلُ يَا مُحَمَّدُ هٰذَا مَلَكُ الْمَوْتِ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ وَلَمْ يَسْتَأْذِنْ عَلَى آدَمِيٍّ قَبْلَكَ وَلَا يَسْتَأْذِنُ عَلَى آدَمِيٍّ بَعْدَكَ قَالَ ائْذَنْ لَهُ فَدَخَلَ مَلَكُ الْمَوْتِ فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ وَأَمَرَنِي أَنْ أُطِيعَكَ فِي كُلِّ مَا تَأْمُرُ إِنْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَقْبِضَ رُوحَكَ قَبَضْتُهَا وَإِنْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَتْرُكَهَا تَرَكْتُهَا فَقَالَ جِبْرِيلُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللّٰهَ قَدِ اشْتَاقَ إِلَى لِقَائِكَ فَقَالَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَامْضِ يَا مَلَكَ الْمَوْتِ لِمَا أُمِرْتَ بِهِ فَقَالَ جِبْرِيلُ يَا رَسُولَ اللّٰهِ هٰذَا آخِرُ مَوْطِئِي مِنَ الْأَرْضِ إِنَّمَا كُنْتَ حَاجَتِي مِنَ الدُّنْيَا فَقَبَضَ رُوحَهُ * فَلَمَّا تُوُفِّيَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَاءَتِ التَّعْزِيَةُ سَمِعُوا صَوْتًا مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ فِي اللّٰهِ عَزَاءً

مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ وَخَلَفًا مِنْ كُلِّ هَالِكٍ وَدَرَكًا مِنْ كُلِّ فَائِتٍ فَبِاللهِ فَثِقُوا وَإِيَّاهُ
فَارْجُوا فَإِنَّمَا الْمُصَابُ مَنْ حُرِمَ الثَّوَابَ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ
فَقَالَ عَلِيٌّ أَتَدْرُونَ مَنْ هٰذَا هُوَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ
دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ * وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ
الَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ عَلِيٍّ فَاسْتَأْذَنَ فَقَالَ
السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ ارْجِعْ فَإِنَّا مَشَاغِيلُ عَنْكَ
فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هٰذَا مَلَكُ الْمَوْتِ ادْخُلْ رَاشِدًا فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ إِنَّ رَبَّكَ
يَقْرَؤُكَ السَّلَامَ فَبَلَغَنِي أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ لَمْ يُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ قَبْلَهُ وَلَا يُسَلِّمُ
بَعْدَهُ * وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي
وَفِي يَوْمِي وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَالسَّحْرُ الصَّدْرُ وَالْمُرَادُ أَنَّهُ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوُفِّيَ وَرَأْسُهُ بَيْنَ عُنُقِهَا وَصَدْرِهَا * قَالَ السُّهَيْلِيُّ وَجَدْتُ فِي بَعْضِ
كُتُبِ الْوَاقِدِيِّ أَنَّ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُسْتَرْضَعٌ
عِنْدَ حَلِيمَةَ اللهُ أَكْبَرُ وَآخِرُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا الرَّفِيقُ الْأَعْلَى وَرَوَى الْحَاكِمُ مِنْ
حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ آخِرُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَالُ رَبِّي الرَّفِيعُ * وَعَنْ
سَالِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ
أَجْزَعَ النَّاسِ كُلِّهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ فَأَخَذَ بِقَائِمِ سَيْفِهِ وَقَالَ
لَا أَسْمَعُ أَحَدًا يَقُولُ مَاتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا ضَرَبْتُهُ بِسَيْفِي هٰذَا
قَالَ فَقَالَتِ النَّاسُ يَا سَالِمُ اطْلُبْ لَنَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ

فخرجت إلى المسجد فإذا أنا بأبي بكر فلما رأيته أجهشت بالبكاء أي تهيأت فقال يا سالم أمات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن هذا عمر بن الخطاب يقول لا أسمع أحداً يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ضربته بسيفي هذا قال فأقبل أبو بكر حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسجى فرفع البرد عن وجهه ووضع فاه على فيه واستنشى الريح ثم سجاه والتفت إلينا فقال «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل» الآية وقال تعالى «إنك ميت وإنهم ميتون» يا أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال عمر فوالله لكأني لم أتل هذه الآيات قط رواه الترمذي • واستنشى الريح شمها * وقال ابن المنير لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم طاشت العقول فمنهم من خبل ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام ومنهم من أضني وكان عمر ممن خبل وكان عثمان ممن أخرس يذهب ويجيء ولا يستطيع كلاماً وكان علي ممن أقعد فلم يستطع حراكاً وأضني عبد الله بن أنيس فمات كمداً وكان أثبتهم أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين جاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فأكب عليه وكشف الثوب عن وجهه وقال طبت حياً وميتاً وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء ولو أن موتك كان اختياراً لجدنا لموتك بالنفوس اذكرنا

يَا مُحَمَّدُ عِنْدَ رَبِّكَ وَلٰكِنْ مِنْ بَالِكَ * وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ عَائِشَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَحَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ ثُمَّ قَالَ وَانَبِيَّاهْ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَحَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ ثُمَّ قَالَ وَاصَفِيَّاهْ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَحَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ وَقَالَ وَاخَلِيلَاهْ * وَلَمَّا تُوُفِّيَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا يَا أَبَتَاهْ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهْ يَا أَبَتَاهْ مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهْ يَا أَبَتَاهْ مَنْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَزَادَ الطَّبَرَانِيُّ يَا أَبَتَاهْ مِنْ رَبِّهِ مَا أَدْنَاهْ * وَقَدْ عَاشَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهَا بَعْدَهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ فَمَا ضَحِكَتْ تِلْكَ الْمُدَّةَ وَحُقَّ لَهَا ذٰلِكَ * وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ لَمَّا قُبِضَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ مَلَكُ الْمَوْتِ بَاكِيًا إِلَى السَّمَاءِ وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ يُنَادِي وَامُحَمَّدَاهْ كُلُّ الْمَصَائِبِ تَهُونُ عِنْدَ هٰذِهِ الْمُصِيبَةِ * وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ أَنَّهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي مَرَضِهِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِهِ بِي عَنِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي تُصِيبُهُ بِغَيْرِي فَإِنَّ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي * وَقَالَ أَبُو الْجَوْزَاءِ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ جَاءَ أَخُوهُ فَصَافَحَهُ وَيَقُولُ يَا عَبْدَ اللّٰهِ اتَّقِ اللّٰهَ فَإِنَّ فِي رَسُولِ اللّٰهِ أُسْوَةً حَسَنَةً * وَرُوِيَ أَنَّ بِلَالًا لَمَّا كَانَ يُؤَذِّنُ بَعْدَ وَفَاتِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَبْلَ دَفْنِهِ فَإِذَا قَالَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّٰهِ ارْتَجَّ الْمَسْجِدُ بِالْبُكَاءِ وَالنَّحِيبِ فَلَمَّا دُفِنَ تَرَكَ بِلَالٌ الْأَذَانَ * وَقَدْ كَانَتْ وَفَاتُهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ

بلاخلاف وقت دخول المدينة في هجرته صلى الله عليه وسلم حين اشتد الضحاء ودفن يوم الثلاثاء وقيل ليلة الأربعاء وقيل يوم الأربعاء والسبب في تأخير دفنه صلى الله عليه وسلم ما وقع من الاختلاف في موته وفي محل دفنه * وأخرج ابن عساكر عن أبي ذؤيب الهذلي قال بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم عليل فأوجس أهل الحي خيفة وبت بليلة طويلة حتى إذا كان قرب السحر نمت فهتف بي هاتف وهو يقول:

خطب أجل أناخ بالإسلام بين النخيل ومقعد الآطام

قبض النبي محمد فعيوننا تبدي الدموع عليه بالتسجام

فوثبت من نومي فزعا فنظرت إلى السماء فلم أر إلا سعد الذابح فعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قبض وهو ميت فقدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج إذا أهلوا بالإحرام فقلت مه فقيل قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم * ولقد أحسن حسان بقوله يرثيه عليه الصلاة والسلام:

كنت السواد لناظري فعمي عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

وفي الشفاء وغيره أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما تحقق موته صلى الله عليه وسلم قال وهو يبكي بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبي

أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ رَبِّكَ أَنْ جَعَلَ طَاعَتَكَ طَاعَتَهُ فَقَالَ «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ» بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَهُ أَنْ بَعَثَكَ آخِرَ الأَنْبِيَاءِ وَذَكَرَكَ فِي أَوَّلِهِمْ فَقَالَ تَعَالَى «وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ» الآيَةَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَهُ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يَوَدُّونَ أَنْ يَكُونُوا أَطَاعُوكَ وَهُمْ فِي أَطْبَاقِهَا يُعَذَّبُونَ يَقُولُونَ «يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ» * وَمِنْ عَجِيبِ مَا اتَّفَقَ مَا رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهُمْ لَمَّا أَرَادُوا غَسْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لَا نَدْرِي أَنُجَرِّدُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا أَمْ نَغْسِلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَلْقَى اللهُ عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَذَقَنُهُ فِي صَدْرِهِ ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ لَا يَدْرُونَ مَنْ هُوَ اغْسِلُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ فَقَامُوا وَغَسَلُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ يَضَعُونَ الْمَاءَ فَوْقَ الْقَمِيصِ وَيَدْلُكُونَهُ بِالْقَمِيصِ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ * وَرَوَى ابْنُ مَاجَهْ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ عَلِيٍّ يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَنَا مُتُّ فَاغْسِلُونِي بِسَبْعِ قِرَبٍ مِنْ بِئْرِي بِئْرِ غَرْسٍ * وَغُسِلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ غَسَلَاتٍ الْأُولَى بِالْمَاءِ الْقَرَاحِ وَالثَّانِيَةُ بِالْمَاءِ وَالسِّدْرِ وَالثَّالِثَةُ بِالْمَاءِ وَالْكَافُورِ وَغَسَلَهُ عَلِيٌّ وَالْعَبَّاسُ وَابْنُهُ الْفَضْلُ يُعِينَانِهِ وَقُثَمُ وَأُسَامَةُ وَشُقْرَانُ مَوْلَاهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُبُّونَ الْمَاءَ وَأَعْيُنُهُمْ مَعْصُوبَةٌ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ لِحَدِيثِ عَلِيٍّ لَا يَغْسِلْنِي إِلَّا أَنْتَ فَإِنَّهُ لَا يَرَى أَحَدٌ عَوْرَتِي إِلَّا طُمِسَتْ عَيْنَاهُ رَوَاهُ

البزار والبيهقي * وأخرج البيهقي عن الشعبي قال غسل علي النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقول وهو يغسله صلى الله عليه وسلم بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا* وأخرج أبو داود وصححه الحاكم عن علي رضي الله عنه قال غسلته صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئا وكان طيبا حيا وميتا وفي رواية ابن سعد وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط قيل وجعل علي على يده خرقة وأدخلها تحت القميص ثم اعتصروا قميصه وحنطوا مساجده ومفاصله ووضؤا منه ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه وجمروه عودا وندا * وذكر ابن الجوزي أنه روي عن جعفر بن محمد قال كان الماء يستنقع في جفون النبي صلى الله عليه وسلم فكان علي يحسوه أي يشربه بفمه * وفي حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة أخرجه الأئمة الستة بزيادة ونقص. والسحولية منسوبة إلى سحول قرية باليمن والكرسف القطن * وفي حديث ابن عباس عند ابن ماجه لما فرغوا من جهازه صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته ثم دخل الناس عليه صلى الله عليه وسلم أرسالا يصلون عليه حتى إذا فرغوا دخل النساء حتى إذا فرغن دخل الصبيان ولم يؤم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد. وفي رواية أن أول من صلى عليه صلى الله عليه وسلم الملائكة أفواجا ثم أهل بيته ثم الناس فوجا فوجا ثم نساؤه آخرا * ثم قالوا أين تدفنونه فقال

أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَا هَلَكَ أَيْ مَاتَ نَبِيٌّ قَطُّ إِلَّا يُدْفَنُ حَيْثُ تُقْبَضُ رُوحُهُ وَقَالَ عَلِيٌّ وَأَنَا أَيْضًا سَمِعْتُهُ . وَحَفَرَ أَبُو طَلْحَةَ لَحْدَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ حَيْثُ قُبِضَ * وَقَدِ ٱخْتُلِفَ فِيمَنْ أَدْخَلَهُ قَبْرَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصَحُّ مَا رُوِيَ أَنَّهُ نَزَلَ فِي قَبْرِهِ عَلِيٌّ وَعَمُّهُ ٱلْعَبَّاسُ وَٱبْنَاهُ ٱلْفَضْلُ وَقُثَمُ وَكَانَ قُثَمُ آخِرَ ٱلنَّاسِ عَهْدًا بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * وَرُوِيَ أَنَّهُ بُنِيَ فِي قَبْرِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعُ لَبِنَاتٍ وَفُرِشَ تَحْتَهُ قَطِيفَةٌ نَجْرَانِيَّةٌ كَانَ يَتَغَطَّى بِهَا فَرَشَهَا شُقْرَانُ فِي ٱلْقَبْرِ وَقَالَ وَٱللهِ لَا يَلْبَسُهَا أَحَدٌ بَعْدَكَ وَفِي كِتَابِ تَحْقِيقِ ٱلنُّصْرَةِ قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ ٱلْبَرِّ ثُمَّ أُخْرِجَتْ يَعْنِي ٱلْقَطِيفَةَ مِنَ ٱلْقَبْرِ لَمَّا فَرَغُوا مِنْ وَضْعِ ٱللَّبِنَاتِ ٱلتِّسْعِ * وَلَمَّا دُفِنَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا فَقَالَتْ كَيْفَ طَابَتْ نُفُوسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلتُّرَابَ وَأَخَذَتْ مِنْ تُرَابِ ٱلْقَبْرِ ٱلشَّرِيفِ وَوَضَعَتْهُ عَلَى عَيْنَيْهَا وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ :

مَاذَا عَلَى مَنْ شَمَّ تُرْبَةَ أَحْمَدٍ ... أَنْ لَا يَشَمَّ مَدَى ٱلزَّمَانِ غَوَالِيَا
صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبٌ لَوْ أَنَّهَا ... صُبَّتْ عَلَى ٱلْأَيَّامِ عُدْنَ لَيَالِيَا

وَفِي رِوَايَةِ ٱلدَّارِمِيِّ قَالَ أَنَسٌ مَا رَأَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَحْسَنَ وَلَا أَضْوَأَ مِنْ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْنَا فِيهِ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْمَدِينَةَ وَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَقْبَحَ وَلَا أَظْلَمَ مِنْ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٠ وَفِي رِوَايَةِ ٱلتِّرْمِذِيِّ عَنْهُ أَيْضًا لَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْمَدِينَةَ

أَضاءَ منها كلُّ شيءٍ فلمّا كانَ اليومُ الذي ماتَ فيه أظلمَ منها كلُّ شيءٍ وما نفضنا أيدينا من التراب وإنّا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا* ومن آياته عليه الصلاةُ والسلامُ بعد موته ما ذُكر من حزن حماره عليه حتى تردّى في بئرٍ وكذا ناقته فإنها لم تأكل ولم تشرب حتى ماتت* قال رزين ورُشَّ قبرُه الشريفُ صلّى الله عليه وسلّم رشّه بلال بن رباح بقربة بدأ من قبل رأسه حكاه ابن عساكر وجعل عليه من حصباء حمراء وبيضاء ورفع قبره عن الأرض قدر شبرٍ * وفي حديث عائشة رضي الله عنها عند البخاري قالت قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في مرضه الذي لم يقم منه لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً وفي البخاري من حديث أبي بكر بن عياش عن سفيان التمار أنه حدثه أنه رأى قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم مسنّماً أي مرتفعاً زاد أبو نعيم في المستخرج وقبر أبي بكر وعمر كذلك* وروى أبو داود والحاكم من طريق القاسم ابن محمد بن أبي بكر قال دخلت على عائشة فقلت يا أمّه اكشفي لي عن قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء زاد الحاكم فرأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مقدّماً وأبو بكر رأسه بين كتفي النبي صلّى الله عليه وسلّم وعمر رأسه عند رجلي النبي صلّى الله عليه وسلّم وهذا كان في خلافة معاوية فكأنها كانت في الأول مسطّحة ثم لما بني جدار القبور في إمارة عمر بن عبد العزيز

عَلَى ٱلْمَدِينَةِ مِنْ قِبَلِ ٱلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ صَيَّرُوهَا مُرْتَفِعَةً * وَقَدْ رَوَى أَبُو بَكْرٍ ٱلْآجُرِّيُّ فِي صِفَةِ قَبْرِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ غُنَيْمِ بْنِ بِسْطَامٍ ٱلْمَدَنِيِّ قَالَ رَأَيْتُ قَبْرَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِمَارَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ رَأَيْتُهُ مُرْتَفِعًا نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِ أَصَابِعَ وَرَأَيْتُ قَبْرَ أَبِي بَكْرٍ وَرَاءَ قَبْرِهِ وَرَأَيْتُ قَبْرَ عُمَرَ وَرَاءَ قَبْرِ أَبِي بَكْرٍ أَسْفَلَ مِنْهُ * وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ لَمَّا سَقَطَ عَلَيْهِمُ ٱلْحَائِطُ يَعْنِي حَائِطَ حُجْرَةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي زَمَانِ ٱلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ أَخَذُوا فِي بِنَائِهِ فَبَدَتْ لَهُمْ قَدَمٌ فَفَزِعُوا وَظَنُّوا أَنَّهَا قَدَمُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا وَجَدُوا أَحَدًا يَعْلَمُ ذٰلِكَ حَتَّى قَالَ لَهُمْ عُرْوَةُ وَٱللّٰهِ مَا هِيَ قَدَمُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا هِيَ إِلَّا قَدَمُ عُمَرَ رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ * وَرَوَى ٱلْآجُرِّيُّ قَالَ رَجَاءُ ٱبْنُ حَيْوَةَ قَبْرُ أَبِي بَكْرٍ عِنْدَ وَسَطِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعُمَرُ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ رَأْسُهُ عِنْدَ وَسَطِهِ وَهٰذَا ظَاهِرُهُ يُخَالِفُ حَدِيثَ ٱلْقَاسِمِ فَإِنْ أَمْكَنَ ٱلْجَمْعُ وَإِلَّا فَحَدِيثُ ٱلْقَاسِمِ أَصَحُّ * وَنَقَلَ أَهْلُ ٱلسِّيَرِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ ٱلْمُسَيَّبِ قَالَ بَقِيَ فِي ٱلْبَيْتِ مَوْضِعُ قَبْرٍ فِي ٱلسَّهْوَةِ ٱلشَّرْقِيَّةِ يُدْفَنُ فِيهَا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وَيَكُونُ قَبْرُهُ ٱلرَّابِعَ * وَٱلسَّهْوَةُ بَيْتٌ صَغِيرٌ مُنْحَدِرٌ فِي ٱلْأَرْضِ قَلِيلًا شَبِيهٌ بِٱلْمَخْدَعِ وَٱلْخِزَانَةِ * وَفِي ٱلْمُنْتَظَمِ لِٱبْنِ ٱلْجَوْزِيِّ عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَتَزَوَّجُ وَيُولَدُ لَهُ وَيَمْكُثُ خَمْسًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يَمُوتُ فَيُدْفَنُ مَعِي فِي قَبْرِي وَأَقُومُ أَنَا وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ مِنْ قَبْرٍ وَاحِدٍ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ

الفصل الثاني

في زيارة قبره الشريف ومسجده المنيف صلى الله عليه وسلم

إعلم أن زيارة قبره الشريف صلى الله عليه وسلم من أعظم القربات. وأرجى الطاعات. والسبيل إلى أعلى الدرجات. ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة الإسلام. وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الأعلام. قال القاضي عياض إنها سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها فقد روى الدارقطني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من زار قبري وجبت له شفاعتي. وروى الطبراني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من جاءني زائرا لا تعمله حاجة إلا زيارتي كان حقا علي أن أكون شفيعا له يوم القيامة وصححه ابن السكن وفي الإحياء قال صلى الله عليه وسلم من وجد سعة ولم يفد إلي فقد جفاني. وأخرج ابن النجار عن أنس ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني إلا وليس له عذر. وروى الدارقطني وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من حج ولم يزرني فقد جفاني. وعن حاطب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين رواه البيهقي. وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من زار قبري أو قال من زارني كنت شفيعا له وشهيدا رواه البيهقي وغيره. وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

مَنْ زَارَنِي بِٱلْمَدِينَةِ مُحْتَسِباً كَانَ فِي جِوَارِي يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ رَوَاهُ ٱلْبَيْهَقِيُّ أَيْضاً* قَالَ ٱلْعَلاَّمَةُ زَيْنُ ٱلدِّينِ بنُ ٱلْحُسَيْنِ ٱلْمَرَاغِيُّ وَيَنْبَغِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ ٱعْتِقَادُ كَوْنِ زِيَارَتِهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرْبَةً لِلأَحَادِيثِ ٱلْوَارِدَةِ فِي ذٰلِكَ وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَٱسْتَغْفَرُوا ٱللّٰهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا ٱللّٰهَ تَوَّاباً رَحِيماً» وَقَدِ ٱسْتَغْفَرَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْجَمِيعِ قَالَ ٱللّٰهُ تَعَالَى «وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ» فَإِذَا وُجِدَ مَجِيئُهُمْ وَٱسْتِغْفَارُهُمْ تَكَمَّلَتِ ٱلأُمُورُ ٱلثَّلاثَةُ ٱلْمُوجِبَةُ لِتَوْبَةِ ٱللّٰهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ* وَيَنْبَغِي لِمَنْ نَوَى زِيَارَتَهُ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْوِيَ مَعَ ذٰلِكَ زِيَارَةَ مَسْجِدِهِ ٱلشَّرِيفِ وَٱلصَّلاَةَ فِيهِ فَإِنَّهُ أَحَدُ ٱلْمَسَاجِدِ ٱلثَّلاثَةِ ٱلَّتِي لاَ تُشَدُّ ٱلرِّحَالُ إِلاَّ إِلَيْهَا وَهُوَ أَفْضَلُهَا عِنْدَ مَالِكٍ* وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ كَانَ يُبْرِدُ ٱلْبَرِيدَ لِلسَّلاَمِ عَلَى ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعْنَى يُبْرِدُ يُرْسِلُ وَٱلْبَرِيدُ ٱلرَّسُولُ ٱلْمُسْتَعْجِلُ* وَيَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ زِيَارَتَهُ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُكْثِرَ مِنَ ٱلصَّلاَةِ وَٱلتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ فِي طَرِيقِهِ فَإِذَا وَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى مَعَالِمِ ٱلْمَدِينَةِ ٱلشَّرِيفَةِ وَمَا تُعْرَفُ بِهِ فَلْيُرَدِّدِ ٱلصَّلاَةَ عَلَيْهِ وَٱلتَّسْلِيمَ وَيَسْأَلِ ٱللّٰهَ أَنْ يَنْفَعَهُ بِزِيَارَتِهِ وَيُسْعِدَهُ بِهَا فِي ٱلدَّارَيْنِ وَلْيَغْتَسِلْ وَلْيَلْبَسِ ٱلنَّظِيفَ مِنْ ثِيَابِهِ وَلْيَتَرَجَّلْ مَاشِياً بَاكِياً* وَلَمَّا رَأَى وَفْدُ عَبْدِ ٱلْقَيْسِ رَسُولَ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْقَوْا أَنْفُسَهُمْ عَنْ رَوَاحِلِهِمْ وَلَمْ يُنِيخُوهَا وَسَارَعُوا إِلَيْهِ فَلَمْ يُنْكِرْ ذٰلِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ ٱللّٰهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ* وَيُسْتَحَبُّ صَلاَةُ رَكْعَتَيْنِ تَحِيَّةَ ٱلْمَسْجِدِ قَبْلَ ٱلزِّيَارَةِ قِيلَ وَهٰذَا إِذَا لَمْ يَكُنْ مُرُورُهُ مِنْ جِهَةِ

وَجْهِهِ ٱلشَّرِيفِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فَإِنْ كَانَ ٱسْتُحِبَّتِ ٱلزِّيَارَةُ قَبْلَ ٱلتَّحِيَّةِ* وَيَنْبَغِي لِلزَّائِرِ أَنْ يَسْتَحْضِرَ مِنَ ٱلْخُشُوعِ مَا أَمْكَنَهُ وَلْيَكُنْ مُقْتَصِدًا فِي سَلَامِهِ بَيْنَ ٱلْجَهْرِ وَٱلْإِسْرَارِ وَفِي ٱلْبُخَارِيِّ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ لِرَجُلَيْنِ مِنَ ٱلطَّائِفِ لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ ٱلْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا ضَرْبًا تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَرُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَى عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَسْمَعُ صَوْتَ ٱلْوَتَدِ يُوتَدُ وَٱلْمِسْمَارِ يُضْرَبُ فِي بَعْضِ ٱلدُّورِ ٱلْمُطِيفَةِ بِمَسْجِدِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتُرْسِلُ إِلَيْهِمْ لَا تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالُوا وَمَا عَمِلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ مِصْرَاعَيْ دَارِهِ إِلَّا بِٱلْمَنَاصِعِ ٱسْمُ مَكَانٍ خَارِجَ ٱلْمَدِينَةِ تَوَقِّيًا لِذَلِكَ فَيَجِبُ ٱلْأَدَبُ مَعَهُ كَمَا فِي حَيَاتِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ *وَيَنْبَغِي لِلزَّائِرِ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى ٱلْقَبْرِ ٱلشَّرِيفِ مِنْ جِهَةِ ٱلْقِبْلَةِ وَإِنْ جَاءَ مِنْ جِهَةِ رِجْلَيِ ٱلصَّاحِبَيْنِ فَهُوَ أَبْلَغُ فِي ٱلْأَدَبِ مِنَ ٱلْإِتْيَانِ مِنْ جِهَةِ رَأْسِهِ ٱلْمُكَرَّمِ وَيَسْتَدْبِرَ ٱلْقِبْلَةَ وَيَقِفَ قُبَالَةَ وَجْهِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ مَالِكًا سَأَلَهُ أَبُو جَعْفَرٍ ٱلْمَنْصُورُ ٱلْعَبَّاسِيُّ يَا أَبَا عَبْدِ ٱللهِ أَسْتَقْبِلُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَدْعُو أَمْ أَسْتَقْبِلُ ٱلْقِبْلَةَ وَأَدْعُو فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ وَلِمَ تَصْرِفُ وَجْهَكَ عَنْهُ وَهُوَ وَسِيلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ آدَمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إِلَى ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ *وَيَنْبَغِي أَنْ يُلَازِمَ ٱلْأَدَبَ وَٱلْخُشُوعَ وَٱلتَّوَاضُعَ غَاضَّ ٱلْبَصَرِ فِي مَقَامِ ٱلْهَيْبَةِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي حَيَاتِهِ وَيَسْتَحْضِرَ عِلْمَهُ بِوُقُوفِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَمَاعَهُ لِسَلَامِهِ كَمَا هُوَ فِي حَالِ حَيَاتِهِ إِذْ

لَا فَرْقَ بَيْنَ مَوْتِهِ وَحَيَاتِهِ فِي مُشَاهَدَتِهِ لِأُمَّتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ بِأَحْوَالِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ وَعَزَائِمِهِمْ وَخَوَاطِرِهِمْ وَذٰلِكَ عِنْدَهُ جَلِيٌّ لَا خَفَاءَ بِهِ * وَقَدْ رَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ لَيْسَ مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَتُعْرَضُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً فَيَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَأَعْمَالِهِمْ فَلِذٰلِكَ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ * وَلْيُمَثِّلِ الزَّائِرُ وَجْهَهُ الْكَرِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي ذِهْنِهِ وَيُحْضِرْ قَلْبُهُ جَلَالَ رُتْبَتِهِ وَعُلُوَّ مَنْزِلَتِهِ وَعَظِيمَ حُرْمَتِهِ وَأَنَّ أَكَابِرَ الصَّحْبِ مَا كَانُوا يُخَاطِبُونَهُ إِلَّا كَأَخِي السِّرَارِ تَعْظِيمًا لِمَا عَظَّمَ اللّٰهُ مِنْ شَأْنِهِ * وَقَدْ رَوَى ابْنُ النَّجَّارِ أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا أَنِ اكْشِفِي لِي عَنْ قَبْرِ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَشَفَتْهُ فَبَكَتْ حَتَّى مَاتَتْ * وَحُكِيَ عَنْ أَبِي الْفَضَائِلِ الْحَمَوِيِّ أَحَدِ خُدَّامِ الْحُجْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ أَنَّهُ شَاهَدَ شَخْصًا مِنَ الزُّوَّارِ الشُّيُوخِ أَتَى بَابَ مَقْصُورَةِ الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ فَطَأْطَأَ رَأْسَهُ نَحْوَ الْعَتَبَةِ فَحَرَّكُوهُ فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ جَنَازَتَهُ * ثُمَّ يَقُولُ الزَّائِرُ بِحُضُورِ قَلْبٍ وَغَضِّ طَرْفٍ وَصَوْتٍ وَسُكُونٍ وَإِطْرَاقٍ: أَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ ۔ أَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللّٰهِ ۔ أَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ اللّٰهِ ۔ أَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خِيرَةَ خَلْقِ اللّٰهِ ۔ أَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَفْوَةَ اللّٰهِ ۔ أَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۔ أَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا قَائِدَ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ ۔ أَلسَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ۔ أَلسَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَزْوَاجِكَ الطَّاهِرَاتِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ۔ أَلسَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَصْحَابِكَ أَجْمَعِينَ ۔ أَلسَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَسَائِرِ عِبَادِ اللّٰهِ الصَّالِحِينَ ۔ جَزَاكَ اللّٰهُ يَا رَسُولَ اللّٰهِ

أفضل ما جزى نبياً ورسولاً عن أمته وصلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وخيرته من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده. ومن ضاق وقته عن ذلك أو عن حفظه فليقل ما تيسر منه أو مما يحصل به الغرض * وفي تحفة الزائر لابن عساكر أن ابن عمر وغيره من السلف كانوا يقتصرون ويوجزون في هذا جداً فعن مالك بن أنس إمام دار الهجرة وناهيك به خبرة بهذا الشأن من رواية ابن وهب عنه يقول الزائر: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته * وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا قدم من سفر دخل المسجد ثم أتى القبر المقدس فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتاه * وينبغي أن يدعو ولا يتكلف السجع فإنه يؤدي إلى الإخلال بالخشوع * وقد حكى جماعة الحكاية المشهورة عن العتبي واسمه محمد بن عبيد الله توفي في سنة ثمان وعشرين ومائتين قال أتيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فزرته وجلست بحذائه فجاء أعرابي فزاره ثم قال يا خير الرسل إن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً» وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربي وأنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم

نَفسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ　　فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَانْصَرَفَ فَرَقَدْتُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ وَهُوَ يَقُولُ الْحَقِ الْأَعْرَابِيَّ وَبَشِّرْهُ بِأَنَّ اللّٰهَ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَهُ بِشَفَاعَتِي فَاسْتَيْقَظْتُ وَخَرَجْتُ بِطَلَبِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ* وَوَقَفَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَبْرِهِ الشَّرِيفِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ اللّٰهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَ بِعِتْقِ الْعَبِيدِ وَهٰذَا حَبِيبُكَ وَأَنَا عَبْدُكَ فَأَعْتِقْنِي مِنَ النَّارِ عَلَى قَبْرِ حَبِيبِكَ فَهَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ: يَا هٰذَا تَسْأَلُ الْعِتْقَ لَكَ وَحْدَكَ هَلَّا سَأَلْتَ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ اذْهَبْ فَقَدْ أَعْتَقْنَاكَ مِنَ النَّارِ* وَعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ قَالَ وَقَفَ حَاتِمٌ الْأَصَمُّ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَبِّ إِنَّا زُرْنَا قَبْرَ نَبِيِّكَ فَلَا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ فَنُودِيَ: يَا هٰذَا مَا أَذِنَّا لَكَ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ حَبِيبِنَا إِلَّا وَقَدْ قَبِلْنَاكَ فَارْجِعْ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الزُّوَّارِ مَغْفُورًا لَكُمْ* وَقَالَ ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ سَمِعْتُ بَعْضَ مَنْ أَدْرَكْتُ يَقُولُ بَلَغَنَا أَنَّ مَنْ وَقَفَ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَلَا هٰذِهِ الْآيَةَ «إِنَّ اللّٰهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» وَقَالَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ حَتَّى يَقُولَهَا سَبْعِينَ مَرَّةً نَادَاهُ مَلَكٌ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْكَ يَا فُلَانُ وَلَمْ تَسْقُطْ لَكَ حَاجَةٌ قَالَ الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ الْمَرَاغِيُّ وَغَيْرُهُ وَالْأَوْلَى أَنْ يُنَادِيَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ وَإِنْ كَانَتِ الرِّوَايَةُ يَا مُحَمَّدُ*

فَإِنْ أَوْصَاهُ أَحَدٌ بِإِبْلَاغِ السَّلَامِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْيَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ مِنْ فُلَانٍ* ثُمَّ يَنْتَقِلُ عَنْ يَمِينِهِ قَدْرَ ذِرَاعٍ فَيُسَلِّمُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهُ لِأَنَّ رَأْسَهُ بِحِذَاءِ مَنْكِبِ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فيقولُ ألسَّلامُ عليكَ يا خليفةَ سيّدِ ألمُرسَلينَ ألسلامُ عليكَ يا منْ أيّدَ ألله بهِ يومَ ألرِّدَّةِ الدينَ جزاكَ ألله عنِ ألإسلامِ وَألمُسلِمينَ خيرًا أللهمَّ أرضَ عنهُ وَأرضَ عنا بهِ* ثمَّ ينتقلُ عنْ يمينهِ قدْرَ ذِراعٍ فيسلِّمُ على عمرَ بنِ ألخطّابِ رضيَ ألله تعالى عنهُ فيقولُ ألسلامُ عليكَ يا أميرَ ألمؤمنينَ ألسلامُ عليكَ يا منْ أيّدَ ألله بهِ ألدِّينَ جزاكَ ألله عنِ ألإسلامِ وَألمسلمينَ خيرًا أللهمَّ أرضَ عنهُ وَأرضَ عنّا بهِ* ثمَّ يرجعُ إلى موقفِهِ ألأوّلِ قُبالةَ وجهِ سيّدِنا رسولِ ألله صلّى ألله عليهِ وسلَّمَ فيحمدُ ألله تعالى وَيمجّدُهُ وَيُصلّي على ألنبيّ صلّى ألله عليهِ وسلّمَ وَيُكثِرُ منَ ألدعاءِ وَألتضرُّعِ وَيجدِّدُ ألتوبةَ في حضرتِهِ ألكريمةِ وَيسألُ ألله بجاهِهِ صلّى ألله عليهِ وسلّمَ أنْ يجعلَها توبةً نصوحًا وَيُكثرُ منَ ألصلاةِ وَألسلامِ على ألنبيِّ صلّى ألله عليهِ وسلّمَ بحضرتِهِ ألشريفةِ حيثُ يسمعُهُ وَيردُّ عليهِ فقدْ روى أبو داودَ منْ حديثِ أبي هريرةَ أنّهُ صلّى ألله عليهِ وسلّمَ قالَ ما منْ مسلمٍ يسلِّمُ عليَّ إلّا ردَّ ألله عليَّ روحي حتّى أردَّ عليهِ ألسلامَ وَمعنى ردِّ روحهِ صلّى ألله عليهِ وسلّمَ حتّى يردَّ على ألمسلِمِ ألسلامَ معَ أنّهُ حيٌّ في قبرِهِ بلا شكٍّ إقبالٌ خاصٌّ وَألتفاتٌ روحانيٌّ يحصلُ منَ ألحضرةِ ألنبويّةِ لذلكَ ألمسلِمِ وَهذا ألإقبالُ يكونُ عامًّا شاملًا حتّى لوْ كانَ ألمسلمونَ في كلِّ لمحةٍ أكثرَ منْ ألفِ ألفِ ألفٍ لوسعهمْ ذلكَ ألإقبالُ ألنبويُّ وَألإلتفاتُ ألروحانيُّ قالَ صاحبُ ألأصلِ ألعلّامةُ شهابُ ألدِّينِ أحمدُ ألقسطلانيُّ رحمهُ ألله وَلقدْ رأيتُ منْ ذلكَ ما لا أستطيعُ أنْ أعبِّرَ عنهُ* وَلقدْ أحسنَ منْ سُئِلَ كيفَ يردُّ ألنبيُّ صلّى ألله عليهِ وسلّمَ على

مَنْ يُسلِّمُ عليهِ مِنْ مَشارِقِ الأَرْضِ ومَغارِبِها في آنٍ واحِدٍ فأَنْشَدَ قولَ أَبِي الطَّيِّبِ:

كالشَّمْسِ فِي وَسَطِ السَّماءِ ونُورُها ... يَغْشَى البِلادَ مَشارِقًا ومَغارِبا

ولا رَيْبَ أَنَّ حالَهُ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فِي البَرْزَخِ أَفضلُ وأَكملُ مِنْ حالِ المَلائِكَةِ هذا وسَيِّدُنا عِزْرائِيلُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ يَقْبِضُ مِائَةَ أَلْفِ رُوحٍ فِي آنٍ واحِدٍ ولا يَشْغَلُهُ قَبْضٌ عَنْ قَبْضٍ وَهُوَ مَعَ ذلكَ مَشْغولٌ بِعِبادَةِ اللهِ تعالَى مُقْبِلٌ عَلَى التَّسْبِيحِ والتَّقْدِيسِ * وعِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ غائِبًا بُلِّغْتُهُ * وعَنْ سُلَيْمانَ بْنِ سُحَيْمٍ قالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فِي النَّوْمِ فَقُلْتُ يا رَسُولَ اللهِ هؤُلاءِ الَّذِينَ يَأْتُونَكَ فَيُسَلِّمُونَ عَلَيْكَ أَتَفْقَهُ سَلامَهُمْ قالَ نَعَمْ وأَرُدُّ عَلَيْهِمْ ولا شَكَّ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ حَيٌّ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ كَسائِرِ الأَنْبِياءِ كَما وَرَدَ ذلكَ فِي الأَحادِيثِ الصَّحِيحَةِ * وقَدْ رَوَى ابْنُ النَّجَّارِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ أَنَّهُ قالَ لَمَّا تَغَلَّبَ عَسْكَرُ يَزِيدَ عَلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ لَمْ يُؤَذَّنْ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فَلَمَّا حَضَرَتِ الظُّهْرُ سَمِعْتُ الأَذانَ فِي القَبْرِ فَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَمِعْتُ الإِقامَةَ فَصَلَّيْتُ الظُّهْرَ ثُمَّ مَضَى ذلكَ الأَذانُ والإِقامَةُ فِي القَبْرِ المُقَدَّسِ لِكُلِّ صَلاةٍ حَتَّى مَضَتِ الثَّلاثُ لَيالٍ يَعْنِي لَيالِيَ أَيَّامِ الحَرَّةِ * وقَدْ ثَبَتَ أَنَّ نَبِيَّنا صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ماتَ شَهِيدًا لِأَكْلِهِ يَوْمَ خَيْبَرَ مِنْ شاةٍ مَسْمُومَةٍ سَمًّا قاتِلًا مِنْ ساعَتِهِ حَتَّى ماتَ مِنْهُ بِشْرُ بْنُ البَراءِ وصارَ بَقاؤُهُ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ مُعْجِزَةً فكانَ أَلَمُ السُّمِّ يَتَعاهَدُهُ إِلَى أَنْ ماتَ بِهِ قالَ العُلَماءُ فَجَمَعَ اللهُ لَهُ بِذلكَ النُّبُوَّةَ والشَّهادَةَ وقَدْ

ثبتت حياة الشهداء بنص قوله تعالى «ولا تحسبن الذين يقتلون في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون» فهو صلى الله عليه وسلم حي من وجهين وجه النبوة ووجه الشهادة بل هو صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء وأفضل الشهداء فحياته أكمل من حياتهم * وقد جاء في الحديث الشريف أن المؤمن يقبر في التربة التي خلق منها فكانت بهذا تربة المدينة أفضل الترب كما أنه عليه الصلاة والسلام أفضل البشر فلهذا والله أعلم يتضاعف ريح الطيب فيها على سائر البلدان قاله ابن بطال * وينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل والتوجه به صلى الله عليه وسلم فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه فإن كلا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه للنبي صلى الله عليه وسلم كما في تحقيق النصرة ومصباح الظلام وغيرهما واقع في كل حال قبل خلقه وبعده في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة فأما الحالة الأولى فحسبك ما تقدم في المقصد الأول من استشفاع آدم عليه الصلاة والسلام به لما أخرج من الجنة وقول الله تعالى يا آدم لو تشفعت إلينا بمحمد في أهل السموات والأرض لشفعناك وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك * وأما التوسل به بعد خلقه في مدة حياته صلى الله عليه وسلم فمن ذلك ما رواه النسائي والترمذي عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضريرا أتاه صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله أن يعافيني قال فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه

وَيَدْعُو بِهٰذَا ٱلدُّعَاءِ ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ ٱلرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ فِي حَاجَتِي لِتُقْضَى ٱللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ وَصَحَّحَهُ ٱلْبَيْهَقِيُّ وَزَادَ فَقَامَ وَقَدْ أَبْصَرَ * وَأَمَّا ٱلتَّوَسُّلُ بِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي ٱلْبَرْزَخِ فَهُوَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى وَفِي كِتَابِ مِصْبَاحِ ٱلظَّلَامِ فِي ٱلْمُسْتَغِيثِينَ بِخَيْرِ ٱلْأَنَامِ لِلشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ ٱلنُّعْمَانِ طَرَفٌ مِنْ ذٰلِكَ. قَالَ صَاحِبُ ٱلْأَصْلِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَلَقَدْ كَانَ حَصَلَ لِي دَاءٌ أَعْيَا دَوَاؤُهُ ٱلْأَطِبَّاءَ وَأَقَمْتُ بِهِ سِنِينَ فَٱسْتَغَثْتُ بِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ ٱلثَّامِنِ وَٱلْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى ٱلْأُولَى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ بِمَكَّةَ زَادَهَا ٱللَّهُ شَرَفًا فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مَعَهُ قِرْطَاسٌ مَكْتُوبٌ فِيهِ هٰذَا دَوَاءُ دَاءِ أَحْمَدَ بْنِ ٱلْقَسْطَلَّانِيِّ مِنَ ٱلْحَضْرَةِ ٱلشَّرِيفَةِ بَعْدَ ٱلْإِذْنِ ٱلشَّرِيفِ ثُمَّ ٱسْتَيْقَظْتُ فَلَمْ أَجِدْ بِي وَٱللَّهِ شَيْئًا مِمَّا كُنْتُ أَجِدُهُ وَحَصَلَ ٱلشِّفَاءُ بِبَرَكَةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * وَأَمَّا ٱلتَّوَسُّلُ بِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَرَصَاتِ ٱلْقِيَامَةِ فَمِمَّا قَامَ عَلَيْهِ ٱلْإِجْمَاعُ وَتَوَاتَرَتْ بِهِ ٱلْأَخْبَارُ فِي حَدِيثِ ٱلشَّفَاعَةِ فَعَلَيْكَ أَيُّهَا ٱلطَّالِبُ إِدْرَاكَ ٱلسَّعَادَةِ. وَٱلْمُؤَمِّلُ لِحُسْنِ ٱلْحَالِ فِي حَضْرَةِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ. بِٱلتَّعَلُّقِ بِأَذْيَالِ عَطْفِهِ وَكَرَمِهِ. وَٱلتَّطَفُّلِ عَلَى مَوَائِدِ نِعَمِهِ. وَٱلتَّوَسُّلِ بِجَاهِهِ ٱلشَّرِيفِ. وَٱلتَّشَفُّعِ بِقَدْرِهِ ٱلْمُنِيفِ. فَهُوَ ٱلْوَسِيلَةُ إِلَى نَيْلِ ٱلْمَعَالِي وَٱقْتِنَاصِ ٱلْمَرَامِ. وَٱلْمَفْزَعُ يَوْمَ ٱلْجَزَعِ وَٱلْهَلَعِ لِكَافَّةِ ٱلرُّسُلِ ٱلْكِرَامِ. وَٱجْعَلْهُ أَمَامَكَ فِيمَا نَزَلَ بِكَ مِنَ ٱلنَّوَازِلِ. وَإِمَامَكَ فِيمَا تُحَاوِلُ مِنَ ٱلْقُرَبِ وَٱلْمَنَازِلِ. فَإِنَّكَ تَظْفَرُ مِنَ ٱلْمُرَادِ بِأَقْصَاهُ. وَتُدْرِكُ رِضَا مَنْ

أحاط بكل شيء علماً وأحصاه. واجتهد مادمت بطيبة الطيبة حسب طاقتك في تحصيل أنواع القربات. ولازم قرع أبواب السعادة بأظافير الطلبات. وارق في مدارج العبادات. ولج في سرادق المرادات. ولازم الصلوات مكتوبة ونافلة في مسجده المكرم. صلى الله عليه وسلم. خصوصاً بالروضة التي ثبت أنها روضة من رياض الجنة كما رواه البخاري وحكمة ذلك أن الله عز وجل قد فضله صلى الله عليه وسلم على جميع خلقه وأن كل ما كان منسوباً إليه بنسبة ما من جميع المخلوقات يكون له تفضيل على جنسه كما استقرئ في كل أموره من بدء ظهوره عليه الصلاة والسلام إلى حين وفاته في الجاهلية والإسلام فمنها ما كان من شأن أمه آمنة وما نالها من بركته صلى الله عليه وسلم ومثل ذلك مرضعته حليمة وأتانها والبقعة التي كانت تلك الأتان تمشي عليها فإنها كانت متى جعلت يدها على بقعة اخضرت من حينها وكانت تظهر بركاته عليه الصلاة والسلام حساً ومعنى حيثما مشى وحيثما وضع يده المباركة كما هو منقول معروف ولما كان تردده صلى الله عليه وسلم بين منبره وبيته كثيراً فكان يتردد في تلك البقعة مراراً في اليوم الواحد طول عمره من وقت هجرته إلى حين وفاته تضاعفت حرمتها على غيرها وليس لها وصف أعلى من وصفها المذكور وهو أنها كانت من الجنة وتعود إليها وهي الآن منها وللعامل فيها مثلها الآن العمل فيها يوجب لصاحبه روضة في الجنة فإن قيل ينبغي أن يكون ذلك للمدينة بكمالها لأنه عليه الصلاة والسلام كان يطوفها بقدمه مراراً

فَالْجَوَابُ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ لِلْمَدِينَةِ تَفْضِيلٌ لَمْ يَحْصُلْ لِغَيْرِهَا مِنْ ذَلِكَ أَنَّ تُرَابَهَا شِفَاءٌ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَنَّهَا تَمْنَعُ مِنَ الدَّجَّالِ وَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلُ مَا يَشْفَعُ لِأَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَّ مَا كَانَ لَهَا مِنَ الْوَبَاءِ وَالْحُمَّى رُفِعَ عَنْهَا وَأَنَّهُ بُورِكَ فِي طَعَامِهَا وَشَرَابِهَا وَأَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ فَكَانَ التَّفْضِيلُ لَهَا بِنِسْبَةِ تَرَدُّدِهِ فِيهَا وَتَرَدُّدُهُ فِي الْمَسْجِدِ أَكْثَرُ مِنْ تَرَدُّدِهِ فِي الْمَدِينَةِ وَتَرَدُّدُهُ فِيمَا بَيْنَ الْمِنْبَرِ وَالْبَيْتِ أَكْثَرُ مِمَّا سِوَاهُ مِنْ سَائِرِ الْمَسْجِدِ فَالْمَدِينَةُ أَرْفَعُ الْمُدُنِ وَالْمَسْجِدُ أَرْفَعُ الْمَسَاجِدِ وَالْبُقْعَةُ أَرْفَعُ الْبِقَاعِ قَضِيَّةٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ * وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ صَلَاةٍ فِي هَذَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ * وَذَكَرَ ابْنُ حَبِيبٍ فِي الْوَاضِحَةِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي كَأَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ وَجُمُعَةٌ فِي مَسْجِدِي كَأَلْفِ جُمُعَةٍ فِيمَا سِوَاهُ وَرَمَضَانُ فِي مَسْجِدِي كَأَلْفِ رَمَضَانَ فِيمَا سِوَاهُ * وَاخْتُلِفَ هَلِ الْأَفْضَلُ مَكَّةُ أَوِ الْمَدِينَةُ فَقَالَ بِكُلٍّ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالْأَئِمَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي ضَمَّ أَعْضَاءَهُ الشَّرِيفَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ بِقَاعِ الْأَرْضِ حَتَّى مَوْضِعِ الْكَعْبَةِ بَلْ نَقَلَ التَّاجُ السُّبْكِيُّ عَنِ ابْنِ عَقِيلٍ الْحَنْبَلِيِّ أَنَّهَا أَفْضَلُ مِنَ الْعَرْشِ وَصَرَّحَ الْفَاكِهَانِيُّ فِي تَفْضِيلِهَا عَلَى السَّمَوَاتِ * قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَتَفْضِيلُ مَا ضَمَّ أَعْضَاءَهُ الشَّرِيفَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاعْتِبَارَيْنِ

أَحدُهُما ماقيلَ أَنَّ كُلَّ أَحدٍ يُدْفَنُ فِي ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذي خُلِقَ مِنْهُ وَٱلثَّاني تَنَزُّلُ ٱلْمَلائِكَةِ وَٱلْبَرَكَاتِ عَلَيْهِ وَإِقبالُ ٱللَّهِ تعالَى * وَقَدْ رَوَى أَبُو يعلَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا يُقْبَضُ ٱلنَّبِيُّ إِلَّا فِي أَحَبِّ ٱلْأَمْكِنَةِ إِلَيْهِ وَلَا شَكَّ أَنَّ أَحَبَّهَا إِلَيْهِ أَحَبُّهَا إِلَى رَبِّهِ تَعَالَى فَإِنَّ حُبَّهُ تَابِعٌ لِحُبِّ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا وَمَا كَانَ أَحَبَّ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ فَكَيْفَ لَا يَكُونُ أَفْضَلَ وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ٱللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ دَعَاكَ لِمَكَّةَ وَأَنَا أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ إِبْرَاهِيمُ لِمَكَّةَ وَمِثْلِهِ مَعَهُ وَلَا رَيْبَ أَنَّ دُعَاءَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنْ دُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ لِأَنَّ فَضْلَ ٱلدُّعَاءِ عَلَى قَدْرِ فَضْلِ ٱلدَّاعِي وَقَدْ صَحَّ أَنَّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ٱللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا ٱلْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ وَفِي رِوَايَةٍ بَلْ أَشَدَّ وَقَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ يُحَرِّكُ دَابَّتَهُ إِذَا رَآهَا مِنْ حُبِّهَا * وَرَوَى ٱلْحَاكِمُ أَنَّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ٱللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخْرَجْتَنِي مِنْ أَحَبِّ ٱلْبِقَاعِ إِلَيَّ فَأَسْكِنِّي فِي أَحَبِّ ٱلْبِقَاعِ إِلَيْكَ * وَوَرَدَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِعَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ٱلْمَخْزُومِيِّ أَنْتَ ٱلْقَائِلُ لَمَكَّةُ خَيْرٌ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ فَقَالَ عَبْدُ ٱللَّهِ هِيَ حَرَمُ ٱللَّهِ وَأَمْنُهُ وَفِيهَا بَيْتُهُ فَقَالَ عُمَرُ لَا أَقُولُ فِي حَرَمِ ٱللَّهِ وَبَيْتِهِ شَيْئًا ثُمَّ كَرَّرَ عُمَرُ قَوْلَهُ ٱلْأَوَّلَ فَأَعَادَ عَبْدُ ٱللَّهِ جَوَابَهُ فَأَعَادَ لَهُ عُمَرُ لَا أَقُولُ فِي حَرَمِ ٱللَّهِ وَبَيْتِهِ شَيْئًا فَأُشِيرَ إِلَى عَبْدِ ٱللَّهِ فَٱنْصَرَفَ * وَرَوَى ٱلطَّبَرَانِيُّ حَدِيثَ ٱلْمَدِينَةُ خَيْرٌ مِنْ مَكَّةَ وَفِيهِ رَاوٍ لَيْسَ بِقَوِيٍّ * وَفِي ٱلصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ

صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ ٱلْقُرَى يَقُولُونَ يَثْرِبُ وَهِيَ ٱلْمَدِينَةُ تَنْفِي ٱلنَّاسَ أَيِ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُمْ كَمَا يَنْفِي ٱلْكِيرُ خَبَثَ ٱلْحَدِيدِ. قَالَ ٱلْعَارِفُ ٱبْنُ أَبِي جَمْرَةَ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ٱلْمَرْوِيِّ فِي ٱلْبُخَارِيِّ لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ ٱلدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَٱلْمَدِينَةَ ظَاهِرُ هٰذَا ٱلْحَدِيثِ يُعْطِي ٱلتَّسْوِيَةَ بَيْنَهُمَا فِي ٱلْفَضْلِ قَالَ وَيُؤَيِّدُ ذٰلِكَ أَنَّهُ إِنْ كَانَتْ خُصَّتِ ٱلْمَدِينَةُ بِمَدْفَنِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وَإِقَامَتِهِ بِهَا وَمَسْجِدِهِ فَقَدْ خُصَّتْ مَكَّةُ بِمَسْقَطِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا وَمَبْعَثِهِ مِنْهَا وَهِيَ قِبْلَتُهُ فَمَطْلَعُ شَمْسِ ذَاتِهِ ٱلْكَرِيمَةِ ٱلْمُبَارَكَةِ مَكَّةُ وَمَغْرِبُهَا ٱلْمَدِينَةُ * وَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ سَعْدٍ عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي عَلَى ٱلنَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو ٱلرَّجُلُ ٱبْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ هَلُمَّ إِلَى ٱلرَّخَاءِ وَٱلْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ ٱللهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ. وَرَوَى مُسْلِمٌ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَصْبِرُ عَلَى لَأْوَاءِ ٱلْمَدِينَةِ وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَوْ شَهِيدًا. وَٱللَّأْوَاءُ ٱلشِّدَّةُ وَٱلْجُوعُ. وَرَوَى ٱلْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ ٱلْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ ٱلْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا أَيْ يَنْقَبِضُ وَيَنْضَمُّ وَيَلْتَجِئُ لِأَنَّهَا أَصْلٌ فِي ٱنْتِشَارِهِ فَكُلُّ مُؤْمِنٍ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ سَائِقٌ إِلَيْهَا فِي جَمِيعِ ٱلْأَزْمَانِ لِحُبِّهِ فِي سَاكِنِهَا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. وَرَوَى ٱلتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنِ ٱسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ

يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا. وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ وَلَا الطَّاعُونُ. وَفِيهِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُعْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ. قَالَ النَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُ إِنَّ الطَّاعُونَ لَمْ يَدْخُلِ الْمَدِينَةَ أَصْلًا قَالَ بَعْضُهُمْ هٰذَا مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الْمُحَمَّدِيَّةِ لِأَنَّ الْأَطِبَّاءَ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ عَجَزُوا أَنْ يَدْفَعُوا الطَّاعُونَ عَنْ بَلَدٍ بَلْ عَنْ قَرْيَةٍ وَقَدِ امْتَنَعَ الطَّاعُونُ مِنَ الْمَدِينَةِ هٰذِهِ الدُّهُورَ الطَّوِيلَةَ. وَمِنْ خَصَائِصِ الْمَدِينَةِ أَنَّ غُبَارَهَا شِفَاءٌ مِنَ الْجُذَامِ وَالْبَرَصِ بَلْ مِنْ كُلِّ دَاءٍ كَمَا رَوَاهُ رُزَيْنٌ مِنْ حَدِيثِ سَعْدٍ. زَادَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ وَعَجْوَتُهَا شِفَاءٌ مِنَ السُّمِّ. وَنَقَلَ الْبَغَوِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً» أَنَّهَا الْمَدِينَةُ. وَذَكَرَ ابْنُ النَّجَّارِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ كُلُّ الْبِلَادِ افْتُتِحَتْ بِالسَّيْفِ وَافْتُتِحَتِ الْمَدِينَةُ بِالْقُرْآنِ. وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةُ قُبَّةُ الْإِسْلَامِ وَدَارُ الْإِيمَانِ وَأَرْضُ الْهِجْرَةِ وَمَثْوَى الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ. وَبِالْجُمْلَةِ فَكُلُّ الْمَدِينَةِ تُرَابُهَا وَطُرُقُهَا وَفِجَاجُهَا وَدُورُهَا وَمَا حَوْلَهَا قَدْ شَمِلَتْهُ بَرَكَتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَتَبَرَّكُونَ بِدُخُولِهِ مَنَازِلَهُمْ وَيَدْعُونَهُ إِلَيْهَا وَإِلَى الصَّلَاةِ فِي بُيُوتِهِمْ وَلِذٰلِكَ امْتَنَعَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ رُكُوبِ دَابَّةٍ فِي الْمَدِينَةِ وَقَالَ لَا أَطَأُ بِحَافِرِ دَابَّةٍ فِي عِرَاصٍ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي فِيهَا

بقدميه صلى الله عليه وسلم * وينبغي للزائر أن يأتي مسجد قباء للصلاة فيه والزيارة فقد كان صلى الله عليه وسلم يزوره راكباً وماشياً رواه مسلم وفي رواية له يأتي بدل يزور فيصلي فيه ركعتين . وعنده أيضاً أن ابن عمر كان يأتيه كل سبت ويقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يأتيه كل سبت . وعند الترمذي عن أسيد بن ظهير الأنصاري وهو غير ابن حضير قال صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجد قباء كعمرة * وينبغي له بعد زيارته صلى الله عليه وسلم أن يقصد المزارات التي بالمدينة الشريفة والآثار المباركة والمساجد التي صلى فيها التماساً لبركته صلى الله عليه وسلم * ويخرج إلى البقيع لزيارة من فيه فإن أكثر الصحابة ممن توفي في المدينة في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته مدفون بالبقيع وكذلك سادات أهل البيت والتابعين . وروي عن مالك أنه قال مات بالمدينة من الصحابة عشرة آلاف وكذلك أمهات المؤمنين سوى خديجة فإنها بمكة وميمونة فإنها بسرف . وقد كان صلى الله عليه وسلم يخرج آخر الليل إلى البقيع فيقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين رواه مسلم . وروى ابن النجار مرفوعاً مقبرتان مضيئتان لأهل السماء كما تضيء الشمس والقمر لأهل الدنيا بقيع الغرقد ومقبرة عسقلان . وعن كعب الأحبار قال نجدها في التوراة يعني مقبرة المدينة كقبة محفوفة بالنخيل موكل بها ملائكة كلما امتلأت أخذوها فكفؤها في الجنة . وأخرج أبو حاتم من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قَالَ أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ آتِي الْبَقِيعَ فَيُحْشَرُونَ مَعِي ثُمَّ أَنْتَظِرُ أَهْلَ مَكَّةَ حَتَّى نُحْشَرَ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ. قَالَ الطِّيبِيُّ الْحَشْرُ هُنَا الْجَمْعُ *

الفصل الثالث

في تفضيله في الآخرة بفضائل الأوليات وانفراده بالشفاعة والمقام المحمود بين جميع المخلوقات وترقيه في الجنان أعلى الدرجات وغير ذلك من تكريم الله له صلى الله عليه وسلم هنالك بشرائف الكرامات

إعلم أن الله تعالى كما فضل نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم في البدء بأن جعله أول الأنبياء في الخلق وأولهم في الإجابة في عالم الذر يوم «ألست بربكم» جعله في العود أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع وأول من يؤذن له بالسجود وأول من ينظر إلى رب العالمين والخلق محجوبون عن رؤيته إذ ذاك وأول الأنبياء يقضى بين أمته وأولهم إجازة على الصراط بأمته وأول داخل إلى الجنة وأمته أول الأمم دخولا إليها وزاده من لطائف التحف ونفائس الطرف ما لا يحد ولا يعد * فمن ذلك: أنه يبعث راكبا وتخصيصه بالمقام المحمود ولواء الحمد تحته آدم فمن دونه من الأنبياء واختصاصه أيضا بالسجود لله تعالى أمام العرش وما يفتحه الله عليه في سجوده من التحميد والثناء عليه ما لم يفتحه على أحد قبله ولا يفتحه على أحد بعده زيادة في كرامته وقربه وكلام الله له يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع ولا كرامة فوق هذا إلا النظر إليه تعالى * ومن ذلك:

تكرارُهُ الشفاعةَ وسجودُهُ ثانيةً وثالثةً وتجديدُ الثناءِ عليهِ سبحانَهُ بما يفتحُ اللهُ عليهِ
مِنْ ذلكَ وكلامُ اللهِ تعالى لهُ في كلِّ سجدةٍ يا محمَّدُ ارفعْ رأسكَ وقلْ يُسمعْ وسلْ
تُعْطَ واشفعْ تُشفَّعْ * ومنْ ذلكَ: قيامُهُ عنْ يمينِ العرشِ ليسَ أحدٌ منَ الخلائقِ
يقومُ ذلكَ المقامَ غيرُهُ يغبطُهُ فيهِ الأوَّلونَ والآخِرونَ وشهادتُهُ بينَ الأنبياءِ
وأممِهِمْ بأنَّهمْ بلَّغوهمْ وسؤالُهمْ منهُ الشفاعةَ ليريحَهمْ منْ غمِّهمْ وعرقِهمْ وطولِ
وقوفِهمْ وشفاعتُهُ في أقوامٍ قدْ أُمِرَ بهمْ إلى النارِ * ومنها: الحوضُ الذي ليسَ
في الموقفِ أكثرُ واردٍ منهُ وأنَّ المؤمنينَ كلَّهمْ لا يدخلونَ الجنَّةَ إلاَّ
بشفاعتِهِ * ومنها: أنَّهُ يشفعُ في رفعِ درجاتِ أقوامٍ لا تبلغُها أعمالُهمْ وهوَ
صاحبُ الوسيلةِ التي هيَ أعلى منزلةٍ في الجنَّةِ إلى غيرِ ذلكَ ممَّا يزيدُهُ اللهُ تعالى
بهِ جلالةً وتعظيماً وتبجيلاً وتكريماً على رؤسِ الأشهادِ منَ الأوَّلينَ والآخرينَ
والملائكةِ أجمعينَ «ذلكَ فضلُ اللهِ يؤتيهِ منْ يشاءُ واللهُ ذو الفضلِ العظيمِ» *
فأمَّا تفضيلُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بأوَّليَّةِ انشقاقِ القبرِ المقدَّسِ عنهُ فروى
مسلمٌ منْ حديثِ أبي هريرةَ قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنا سيِّدُ
ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ وأنا أوَّلُ منْ ينشقُّ عنهُ القبرُ وأوَّلُ شافعٍ وأوَّلُ مشفَّعٍ.
وفي حديثِ أبي سعيدٍ قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ
يومَ القيامةِ ولا فخرَ وبيدي لواءُ الحمدِ ولا فخرَ وما منْ نبيٍّ يومئذٍ آدمُ فمنْ
سواهُ إلاَّ تحتَ لوائي وأنا أوَّلُ منْ تنشقُّ عنهُ الأرضُ ولا فخرَ رواهُ الترمذيُّ.
وعنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنا

أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ آتِي أَهْلَ الْبَقِيعِ فَيُحْشَرُونَ مَعِي ثُمَّ أَنْتَظِرُ أَهْلَ مَكَّةَ حَتَّى نُحْشَرَ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ رَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَمَعْنَى نُحْشَرَ نَجْتَمِعُ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْعَقُ النَّاسُ حِينَ يَصْعَقُونَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ قَامَ فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَالْمُرَادُ بِالصَّعْقِ غَشْيٌ يَلْحَقُ مَنْ سَمِعَ صَوْتًا أَوْ رَأَى شَيْئًا فَزِعَ مِنْهُ. وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا وَأَنَا قَائِدُهُمْ إِذَا وَفَدُوا وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا أَنْصَتُوا وَأَنَا شَفِيعُهُمْ إِذَا حُبِسُوا وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا الْكَرَامَةُ وَالْمَفَاتِيحُ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي وَلِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي يَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خَادِمٍ كَأَنَّهُمْ بَيْضٌ مَكْنُونٌ أَوْ لُؤْلُؤٌ مَنْثُورٌ رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ. وَفِي حَدِيثٍ رَوَاهُ صَاحِبُ كِتَابِ حَادِي الْأَرْوَاحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبِلَالٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يُنَادِي بِالْأَذَانِ. وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَالطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تُبْعَثُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَى الدَّوَابِّ وَأُبْعَثُ عَلَى الْبُرَاقِ وَيُبْعَثُ بِلَالٌ عَلَى نَاقَةٍ مِنْ نُوقِ الْجَنَّةِ يُنَادِي بِالْأَذَانِ مَحْضًا وَبِالشَّهَادَةِ حَقًّا حَتَّى إِذَا قَالَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ شَهِدَ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَفِي رِوَايَةٍ فَإِذَا سَمِعَتِ الْأَنْبِيَاءُ وَأُمَمُهَا أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَالُوا وَنَحْنُ نَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ وَفِي رِوَايَةٍ زِيَادَةُ

وَيُحْشَرُ صَالِحٌ عَلَى نَاقَتِهِ وَيُحْشَرُ ابْنَا فَاطِمَةَ عَلَى نَاقَتَيَّ الْعَضْبَاءِ وَالْقَصْوَاءِ . وَعَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَذَكَرُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ كَعْبٌ مَا مِنْ فَجْرٍ يَطْلُعُ إِلَّا نَزَلَ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَتَّى يَحُفُّونَ بِالْقَبْرِ يَضْرِبُونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا أَمْسَوْا عَرَجُوا وَهَبَطَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَحُفُّونَ بِالْقَبْرِ وَيَضْرِبُونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِاللَّيْلِ وَسَبْعُونَ أَلْفًا بِالنَّهَارِ حَتَّى إِذَا انْشَقَّتْ عَنْهُ الْأَرْضُ خَرَجَ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُوَقِّرُونَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَفِي نَوَادِرِ الْأُصُولِ لِلْحَكِيمِ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَمِينُهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَشِمَالُهُ عَلَى عُمَرَ فَقَالَ هٰكَذَا نُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ فَأُكْسَى حُلَّةً مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ يَقُومُ ذٰلِكَ الْمَقَامَ غَيْرِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَفِي رِوَايَةِ كَعْبٍ حُلَّةً خَضْرَاءَ . وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى مِنَ الْجَنَّةِ إِبْرَاهِيمُ يُكْسَى حُلَّةً مِنَ الْجَنَّةِ وَيُؤْتَى بِكُرْسِيٍّ فَيُطْرَحُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ ثُمَّ يُؤْتَى بِي فَأُكْسَى حُلَّةً مِنَ الْجَنَّةِ لَا يَقُومُ لَهَا الْبَشَرُ وَفِيهِ أَنَّهُ يَجْلِسُ عَلَى الْكُرْسِيِّ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ * وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ وَرَائِحَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ أَبَدًا وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ طُولُهُ

كعرضه وزاد في حديث أبي أمامة ولم يسود وجهه أبدا وزاد في حديث أنس ومن لم يشرب منه لم يرو أبدا. وفي حديث ثوبان عند الترمذي وصححه الحاكم أكثر الناس عليه ورودا فقراء المهاجرين. قال القرطبي في التذكرة ذهب صاحب القوت وغيره إلى أن الحوض يكون بعد الصراط وذهب آخرون إلى العكس. وفي حديث أبي ذر مما رواه مسلم أن الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة. وعن أنس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة فقال أنا فاعل إن شاء الله قلت فأين اطلبك قال أول ما تطلبني على الصراط قلت فإن لم ألقك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان قلت فإن لم ألقك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن رواه الترمذي وحسنه. قال القرطبي في المفهم مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أنه تعالى قد خص نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي إذ روى ذلك عنه صلى الله عليه وسلم من الصحابة نيف على الثلاثين منهم في الصحيحين ما يزيد على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك كما صح نقله واشتهرت رواته ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم ومن بعدهم أضعاف أضعافهم وهلم جرا واجتمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف. وفي رواية مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ترد علي أمتي الحوض وأنا

أَذُودُ ٱلنَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَذُودُ ٱلرَّجُلُ عَنْ إِبِلِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ تَعْرِفُنَا قَالَ نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ ٱلْوُضُوءِ وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّهُ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِحَوْضِي أَرْبَعَةُ أَرْكَانٍ ٱلْأَوَّلُ بِيَدِ أَبِي بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقِ وَٱلثَّانِي بِيَدِ عُمَرَ ٱلْفَارُوقِ وَٱلثَّالِثُ بِيَدِ عُثْمَانَ ذِي ٱلنُّورَيْنِ وَٱلرَّابِعُ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَمَنْ كَانَ مُحِبًّا لِأَبِي بَكْرٍ مُبْغِضًا لِعُمَرَ لَا يَسْقِيهِ أَبُو بَكْرٍ وَمَنْ كَانَ مُحِبًّا لِعَلِيٍّ مُبْغِضًا لِعُثْمَانَ لَا يَسْقِيهِ عَلِيٌّ رَوَاهُ أَبُو سَعْدٍ *

(وَأَمَّا تَفْضِيلُهُ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِٱلشَّفَاعَةِ وَٱلْمَقَامِ ٱلْمَحْمُودِ) فَقَدْ قَالَ تَعَالَى «عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا» وَٱتَّفَقَ ٱلْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ كَلِمَةَ عَسَى مِنَ ٱللّٰهِ وَاجِبٌ وَقَدِ ٱخْتُلِفَ فِي تَفْسِيرِ ٱلْمَقَامِ ٱلْمَحْمُودِ عَلَى أَقْوَالٍ: أَوَّلُهَا وَرَجَّحَهُ ٱلْفَخْرُ ٱلرَّازِيُّ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ ٱلْمُفَسِّرُونَ كَمَا قَالَهُ ٱلْوَاحِدِيُّ أَنَّهُ مَقَامُ ٱلشَّفَاعَةِ وَوَرَدَتِ ٱلْأَخْبَارُ ٱلصَّحِيحَةُ فِي تَقْرِيرِ هٰذَا ٱلْمَعْنَى كَمَا فِي ٱلْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ ٱبْنِ عُمَرَ قَالَ سُئِلَ رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ ٱلْمَقَامِ ٱلْمَحْمُودِ فَقَالَ هُوَ ٱلشَّفَاعَةُ وَفِيهِ أَيْضًا عَنْهُ قَالَ رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ ٱلنَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ جُثًى أَيْ جَمَاعَاتٍ كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ يَا فُلَانُ ٱشْفَعْ لَنَا حَتَّى تَنْتَهِيَ ٱلشَّفَاعَةُ إِلَيَّ فَذٰلِكَ ٱلْمَقَامُ ٱلْمَحْمُودُ وَمِمَّا يُؤَيِّدُ هٰذَا ٱلدُّعَاءُ ٱلْمَشْهُورُ وَٱبْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَغْبِطُهُ فِيهِ ٱلْأَوَّلُونَ وَٱلْآخِرُونَ * ٱلْقَوْلُ ٱلثَّانِي قَالَ حُذَيْفَةُ يَجْمَعُ ٱللّٰهُ ٱلنَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَلَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ فَأَوَّلُ مَدْعُوٍّ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَٱلْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ وَٱلشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ وَٱلْمُهْتَدِي

مَنْ هَدَيْتَ وَعَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَبِكَ وَإِلَيْكَ وَلاَ مَلْجَأَ مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ سُبْحَانَكَ رَبَّ الْبَيْتِ قَالَ فَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى «عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ قَالَ ابْنُ مَنْدَهْ حَدِيثٌ مُجْمَعٌ عَلَى صِحَّةِ إِسْنَادِهِ وَثِقَةِ رِجَالِهِ * أَلْقَوْلُ الثَّالِثُ مَقَامٌ تُحْمَدُ عَاقِبَتُهُ * أَلْقَوْلُ الرَّابِعُ هُوَ إِجْلاَسُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى الْعَرْشِ وَقِيلَ عَلَى الْكُرْسِيِّ رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ يُقْعِدُ اللهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْكُرْسِيِّ * وَاخْتُلِفَ فِي فَاعِلِ الْحَمْدِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى «مَحْمُودًا» فَالأَكْثَرُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَهْلُ الْمَوْقِفِ لِمَا ثَبَتَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ بِلَفْظِ مَقَامًا مَحْمُودًا يَحْمَدُهُ أَهْلُ الْجَمْعِ كُلُّهُمْ * فَإِنْ قُلْتَ إِذَا قُلْنَا بِالْمَشْهُورِ إِنَّ الْمُرَادَ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ الشَّفَاعَةُ فَأَيُّ شَفَاعَةٍ هِيَ فَالْجَوَابُ إِنَّ الشَّفَاعَةَ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الأَحَادِيثِ فِي الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ نَوْعَانِ: أَلنَّوْعُ الأَوَّلُ الْعَامَّةُ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ وَالثَّانِي فِي الشَّفَاعَةِ فِي إِخْرَاجِ الْمُذْنِبِينَ مِنَ النَّارِ لَكِنِ الَّذِي يَتَّجِهُ رَدُّ هَذِهِ الأَقْوَالِ كُلِّهَا إِلَى الشَّفَاعَةِ الْعَامَّةِ فَإِنَّ إِعْطَاءَهُ لِوَاءَ الْحَمْدِ وَثَنَاءَهُ عَلَى رَبِّهِ وَكَلاَمَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَجُلُوسَهُ عَلَى كُرْسِيِّهِ هِيَ صِفَاتٌ لِلْمَقَامِ الْمَحْمُودِ الَّذِي يَشْفَعُ فِيهِ لِيُقْضَى بَيْنَ الْخَلْقِ وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ فِي إِخْرَاجِ الْمُذْنِبِينَ مِنَ النَّارِ فَمِنْ تَوَابِعِ ذَلِكَ * وَقَدْ جَاءَتِ الأَحَادِيثُ الَّتِي بَلَغَ مَجْمُوعُهَا التَّوَاتُرَ بِصِحَّةِ الشَّفَاعَةِ فِي الآخِرَةِ لِمُذْنِبِي الْمُؤْمِنِينَ فَعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيتُ مَا تَلْقَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي وَسَفْكَ بَعْضِهِمْ دِمَاءَ بَعْضٍ فَأَحْزَنَنِي وَسَبَقَ لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا سَبَقَ لِلأُمَمِ

قَبْلَهُمْ فَسَأَلْتُ اللّٰهَ أَنْ يُؤْتِيَنِي فِيهِمْ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَفَعَلَ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فِي الْآخِرَةِ. وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ فَجَعَلْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي وَهٰذَا مِنْ مَزِيدِ شَفَقَتِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَحُسْنِ تَصَرُّفِهِ حَيْثُ جَعَلَ دَعْوَتَهُ الْمُجَابَةَ فِي أَهَمِّ أَوْقَاتِ حَاجَاتِنَا جَزَاهُ اللّٰهُ عَنَّا أَحْسَنَ الْجَزَاءِ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللّٰهِ مَاذَا وَرَدَ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ فِي الشَّفَاعَةِ فَقَالَ شَفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ مُخْلِصًا يُصَدِّقُ بِهَا لِسَانَهُ قَلْبُهُ. وَعَنْهُ أَيْضًا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذٰلِكَ يَجْمَعُ اللّٰهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَتَدْنُو الشَّمْسُ مِنْ جَمَاجِمِ النَّاسِ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ النَّاسُ أَلَا تَرَوْنَ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ أَلَا تَرَوْنَ إِلَى مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ أَبُوكُمْ آدَمُ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللّٰهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغَنَا فَقَالَ إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ فَيَأْتُونَ نُوحًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَقَدْ سَمَّاكَ اللّٰهُ

عَبْداً شَكُوراً أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا بَلَغَنَا أَلاَ تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَيَقُولُونَ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاَثَ كَذَبَاتٍ فَذَكَرَهَا نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى فَيَأْتُونَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَيَقُولُونَ يَامُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ عَلَى النَّاسِ أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْساً لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى فَيَأْتُونَ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَيَقُولُونَ يَاعِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْباً نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُونَ يَامُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ

فِيهِ اُشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ثُمَّ يَفْتَحُ اللّٰهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ اُرْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذٰلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ الْحَدِيثَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. وَهٰذِهِ الشَّفَاعَةُ بَعْدَ الْعَامَّةِ لِجَمِيعِ الْأُمَمِ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ فَفِي السِّيَاقِ حَذْفٌ وَفِي مُسْنَدِ الْبَزَّارِ فَأَقُولُ يَا رَبِّ عَجِّلْ عَلَى الْخَلْقِ الْحِسَابَ. وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ حُذَيْفَةَ أَنَّ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذٰلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ وَمَعْنَاهُ لَمْ أَكُنْ فِي التَّقْرِيبِ وَالْإِدْلَالِ بِمَنْزِلَةِ الْحَبِيبِ وَقَوْلُهُ مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ إِشَارَةٌ إِلَى نَبِيِّنَا صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ حَصَلَتْ لَهُ الرُّؤْيَةُ وَالسَّمَاعُ بِلَا وَاسِطَةٍ وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْكَذَبَاتِ الثَّلَاثِ فَقَالَ الْبَيْضَاوِيُّ الْحَقُّ أَنَّهَا إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ مَعَارِيضِ الْكَلَامِ لٰكِنْ لَمَّا كَانَتْ صُورَتُهَا صُورَةَ الْكَذِبِ أَشْفَقَ مِنْهَا اسْتِقْصَارًا لِنَفْسِهِ عَنِ الشَّفَاعَةِ لِأَنَّ مَنْ كَانَ أَعْرَفَ بِاللّٰهِ وَأَقْرَبَ إِلَيْهِ مَنْزِلَةً كَانَ أَعْظَمَ خَوْفًا. وَأَمَّا قَوْلُهُ عَنْ عِيسَى إِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا فَوَقَعَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالنَّسَائِيِّ إِنِّي اتُّخِذْتُ إِلٰهًا مِنْ دُونِ اللّٰهِ * وَفِي حَدِيثِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ حَدَّثَنِي نَبِيُّ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنِّي لَقَائِمٌ أَنْتَظِرُ أُمَّتِي عِنْدَ الصِّرَاطِ إِذْ جَاءَ عِيسَى فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ هٰذِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَدْ جَاءَتْكَ يَسْأَلُونَكَ لِتَدْعُوَ اللّٰهَ أَنْ يُفَرِّقَ جَمْعَ

الأُمَمِ إِلَى حَيْثُ شَاءَ لِعِظَمِ مَاهُمْ فِيهِ فَأَفَادَتْ هٰذِهِ الرِّوَايَةُ تَعْيِينَ مَوْقِفِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَئِذٍ وَأَنَّ هٰذَا الَّذِي وُصِفَ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْمَوْقِفِ كُلِّهِ يَقَعُ عِنْدَ نَصْبِ الصِّرَاطِ بَعْدَ تَسَاقُطِ الْكُفَّارِ فِي النَّارِ وَأَنَّ عِيسَى هُوَ الَّذِي يُخَاطِبُ نَبِيَّنَا صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ يَسْأَلُونَهُ فِي ذٰلِكَ * وَفِي حَدِيثِ سَلْمَانَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ يَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ يَا نَبِيَّ ٱللّٰهِ أَنْتَ فَتَحَ ٱللّٰهُ بِكَ وَخَتَمَ بِكَ وَغَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَجِئْتَ فِي هٰذَا الْيَوْمِ وَتَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَقُمْ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ أَنَا صَاحِبُكُمْ فَيَجُوسُ النَّاسَ أَيْ يَتَخَلَّلُهُمْ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ * وَفِي حَدِيثِ كَعْبٍ عِنْدَ أَبِي يَعْلَى رَفَعَهُ فَأَسْجُدُ لَهُ سَجْدَةً يَرْضَى بِهَا عَنِّي ثُمَّ أَمْتَدِحُهُ بِمِدْحَةٍ يَرْضَى بِهَا عَنِّي وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا ثُمَّ أُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ وَفِي رِوَايَةِ ثَابِتٍ عِنْدَ أَحْمَدَ فَأَقُولُ أَيْ رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ ثُمَّ حَبَّةِ خَرْدَلٍ أَيْ مِنْ إِيمَانٍ * قَالَ النَّوَوِيُّ الشَّفَاعَاتُ خَمْسٌ: الأُولَى فِي الإِرَاحَةِ مِنْ هَوْلِ الْمَوْقِفِ. الثَّانِيَةُ فِي إِدْخَالِ قَوْمٍ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ. الثَّالِثَةُ فِي إِدْخَالِ قَوْمٍ حُوسِبُوا فَاسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ أَنْ لَا يُعَذَّبُوا. الرَّابِعَةُ فِي إِخْرَاجِ مَنْ أُدْخِلَ النَّارَ مِنَ الْعُصَاةِ. الْخَامِسَةُ فِي رَفْعِ الدَّرَجَاتِ اهـ * وَعَنْ بُرَيْدَةَ أَنَّ رَسُولَ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَشْفَعَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدَدَ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ وَمَدَرَةٍ رَوَاهُ أَحْمَدُ * وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نَحْنُ آخِرُ الأُمَمِ وَأَوَّلُ مَنْ

يُحَاسَبُ يُقَالُ أَيْنَ الْأُمَّةُ الْأُمِّيَّةُ وَنَبِيُّهَا فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ رَوَاهُ ابْنُ
مَاجَهْ * وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ قَالَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا أَرَادَ
اللّٰهُ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَ خَلْقِهِ نَادَى مُنَادٍ أَيْنَ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَأَقُومُ وَتَتْبَعُنِي أُمَّتِي غُرًّا
مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الطُّهُورِ قَالَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ
وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ فَتُفْرَجُ لَنَا الْأُمَمُ عَنْ طَرِيقِنَا وَتَقُولُ الْأُمَمُ كَادَتْ هٰذِهِ
الْأُمَّةُ أَنْ تَكُونَ أَنْبِيَاءَ كُلُّهَا * وَذَكَرَ الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ
اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ قَضَى لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ حَاجَةً كُنْتُ وَاقِفًا
عِنْدَ مِيزَانِهِ فَإِنْ رَجَحَ وَإِلَّا شَفَعْتُ لَهُ * وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْهُ صَلَّى
اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَي جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي
أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللّٰهُمَّ
سَلِّمْ سَلِّمْ وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا
إِلَّا اللّٰهُ تَعَالَى فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ
يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَالسَّعْدَانُ نَبَاتٌ ذُو شَوْكٍ وَيُوبَقُ يَهْلِكُ
وَيُخَرْدَلُ يُصْرَعُ . وَفِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ
يَا رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ . وَفِي حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فَإِذَا عَصَفَ الصِّرَاطُ
بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَادَوْا وَامُحَمَّدَاهُ وَامُحَمَّدَاهُ فَيُبَادِرُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ مِنْ شِدَّةِ إِشْفَاقِهِ عَلَيْهِمْ وَجِبْرِيلُ آخِذٌ بِحُجْزَتِهِ وَالْحُجْزَةُ مَعْقِدُ الْإِزَارِ
فَيُنَادِي رَافِعًا صَوْتَهُ رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي لَا أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ نَفْسِي وَلَا فَاطِمَةَ ابْنَتِي

وَالْمَلَائِكَةُ قِيَامٌ عَنْ يَمِينِ الصِّرَاطِ وَيَسَارِهِ يُنَادُونَ رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ وَقَدْ عَظُمَتِ الْأَهْوَالُ وَاشْتَدَّتْ الْأَوْجَالُ وَالْعُصَاةُ يَتَسَاقَطُونَ عَنِ الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ وَالزَّبَانِيَةُ يَتَلَقَّوْنَهُمْ بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ وَيُنَادُونَهُمْ أَمَا نُهِيتُمْ عَنْ كَسْبِ الْأَوْزَارِ أَمَا أُنْذِرْتُمْ كُلَّ الْإِنْذَارِ أَمَا جَاءَكُمُ النَّبِيُّ الْمُخْتَارُ * وَرَوَى الْقُرْطُبِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ سَلَامٍ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَ اللَّهُ الْأَنْبِيَاءَ نَبِيًّا نَبِيًّا وَأُمَّةً أُمَّةً وَيُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ وَيُنَادِي أَيْنَ أَحْمَدُ وَأُمَّتُهُ فَيَقُومُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَتْبَعُهُ أُمَّتُهُ بَرُّهَا وَفَاجِرُهَا حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى الصِّرَاطِ طَمَسَ اللَّهُ أَبْصَارَ أَعْدَائِهِ فَيَتَهَافَتُونَ فِي النَّارِ يَمِينًا وَشِمَالًا وَيَمْضِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّالِحُونَ مَعَهُ فَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ فَيَدُلُّونَهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ عَلَى يَمِينِكَ عَلَى شِمَالِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى رَبِّهِ فَيُوضَعُ لَهُ كُرْسِيٌّ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ ثُمَّ يَتْبَعُهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مِثْلِ سَبِيلِهِ ثُمَّ الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ *

﴿ وَأَمَّا تَفْضِيلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُهَا ﴾ فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَكْثَرُ النَّاسِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ وَفِيهِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ وَزَادَ الطَّبَرَانِيُّ فَيَقُومُ الْخَازِنُ وَيَقُولُ لَا أَقُومُ لِأَحَدٍ بَعْدَكَ * وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَأْخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجَنَّةِ

وَلَا فَخْرَ * وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ قَالَ فَيَفْزَعُ النَّاسُ ثَلَاثَ فَزَعَاتٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ فَيَأْتُونِي فَأَنْطَلِقُ مَعَهُمْ قَالَ أَنَسٌ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَآخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجَنَّةِ فَأُقَعْقِعُهَا فَيُقَالُ مَنْ هٰذَا فَيُقَالُ مُحَمَّدٌ فَيَفْتَحُونَ لِي وَيُرَحِّبُونَ بِي فَيَقُولُونَ مَرْحَبًا فَأَخِرُّ سَاجِدًا فَيُلْهِمُنِي اللهُ مِنَ الثَّنَاءِ وَالْحَمْدِ فَيُقَالُ ارْفَعْ رَأْسَكَ الْحَدِيثَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَسَنٌ * وَفِي حَدِيثِ الصُّورِ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا انْتَهَوْا إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ تَشَاوَرُوا فِيمَنْ يَسْتَأْذِنُ لَهُمْ فِي الدُّخُولِ فَيَقْصِدُونَ آدَمَ ثُمَّ نُوحًا ثُمَّ إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ مُوسَى ثُمَّ عِيسَى ثُمَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فَعَلُوا عِنْدَ الْعَرَصَاتِ عِنْدَ اسْتِشْفَاعِهِمْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ لِيَظْهَرَ شَرَفُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَائِرِ الْبَشَرِ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا * وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْتَظِرُونَهُ فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ وَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ قَالَ فَسَمِعَ حَدِيثَهُمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ عَجَبًا أَنَّ اللهَ اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلًا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَقَالَ آخَرُ مَاذَا بِأَعْجَبَ مِنْ كَلَامِ مُوسَى كَلَّمَهُ تَكْلِيمًا وَقَالَ آخَرُ فَعِيسَى رُوحُ اللهِ وَقَالَ آخَرُ فَآدَمُ اصْطَفَاهُ اللهُ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ وَقَالَ قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكُمْ وَعَجَبَكُمْ أَنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَهُوَ كَذٰلِكَ وَمُوسَى كَلِيمًا وَهُوَ كَذٰلِكَ وَعِيسَى رُوحُ

اللهِ وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر رواه الترمذي * وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وقائدهم إذا وفدوا وشافعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا يئسوا لواء الحمد بيدي ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون رواه الترمذي والبيهقي واللفظ له * وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة رواه مسلم. وعنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون الأولون يوم القيامة نحن أول الناس دخولاً الجنة * فهذه الأمة أسبق الأمم خروجاً من الأرض وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف وأسبقهم إلى ظل العرش وأسبقهم إلى فصل القضاء وأسبقهم إلى الجواز على الصراط وأسبقهم إلى دخول الجنة وهي أكثر أهل الجنة. روى عبد الله بن الإمام أحمد من حديث أبي هريرة لما نزلت هذه الآية «ثلة من الأولين وثلة من الآخرين» قال صلى الله عليه وسلم أنتم ثلث أهل الجنة أنتم نصف أهل الجنة أنتم ثلثا أهل الجنة * وفي حديث بهز بن حكيم قال صلى الله عليه وسلم أهل الجنة عشرون

وَمِائَةُ صَفٍّ أَنْتُمْ مِنْهَا ثَمَانُونَ. وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْجَنَّةَ حُرِّمَتْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ حَتَّى أَدْخُلَهَا وَحُرِّمَتْ عَلَى الْأُمَمِ حَتَّى تَدْخُلَهَا أُمَّتِي. وَرَوَى ابْنُ شَيْبَةَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخَذَ بِيَدِي وَأَرَانِي بَابَ الْجَنَّةِ الَّذِي تَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِي فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللّٰهِ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَعَكَ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ فَقَالَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي * وَذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ فَذَكَرَ بَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَهُوَ بَابُ الرَّحْمَةِ وَهُوَ بَابُ التَّوْبَةِ. وَرَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نِعْمَ الرَّجُلُ أَنَا لِشِرَارِ أُمَّتِي فَقَالُوا فَكَيْفَ أَنْتَ لِخِيَارِهَا فَقَالَ أَمَّا خِيَارُهَا فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِأَعْمَالِهِمْ وَأَمَّا شِرَارُ أُمَّتِي فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِي فَصَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَشْفَقَهُ عَلَى أُمَّتِهِ *

﴿وَأَمَّا تَفْضِيلُهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَنَّةِ بِالْكَوْثَرِ﴾ فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ بَيْنَا رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا قُلْنَا مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ قَالَ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ « بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ. إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » ثُمَّ قَالَ أَتَدْرُونَ مَا هُوَ الْكَوْثَرُ قُلْنَا اللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ إِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ الْحَدِيثَ * وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَتَاهُ

قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفِ فَقُلْتُ مَا هٰذَا يَا جِبْرِيلُ قَالَ هٰذَا الْكَوْثَرُ * وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَضَى بِهِ جِبْرِيلُ فَإِذَا هُوَ بِنَهَرٍ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ فَذَهَبَ يَشَمُّ تُرَابَهُ فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ قَالَ يَا جِبْرِيلُ مَا هٰذَا النَّهْرُ قَالَ الْكَوْثَرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ * وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ مَا الْكَوْثَرُ قَالَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ أَعْطَانِيهِ رَبِّي لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ * وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا قَالَ سَأَلْتُهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ » قَالَتْ نَهْرٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ فِي الْجَنَّةِ شَاطِئَاهُ دُرٌّ مُجَوَّفٌ آنِيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَقَوْلُهُ شَاطِئَاهُ أَيْ حَافَتَاهُ وَقَوْلُهُ دُرٌّ مُجَوَّفٌ أَيِ الْقِبَابُ الَّتِي عَلَى جَوَانِبِهِ وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِلَفْظِ قَالَتْ نَهْرٌ فِي بُطْنَانِ الْجَنَّةِ قُلْتُ وَمَا بُطْنَانُ الْجَنَّةِ قَالَتْ وَسَطُهَا حَافَتَاهُ قُصُورُ اللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ تُرَابُهُ الْمِسْكُ وَحَصْبَاؤُهُ اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ * وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ حَافَتَاهُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْمَاءُ يَجْرِي عَلَى اللُّؤْلُؤِ وَمَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ حَسَنٌ صَحِيحٌ * وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ سُئِلَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا الْكَوْثَرُ قَالَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللّٰهُ يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ فِيهِ طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ أَوْ أَعْنَاقِ الْجُزُرِ قَالَ عُمَرُ إِنَّهَا لَنَاعِمَةٌ قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكَلَتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَسَنٌ . وَالْبُخْتُ نَوْعٌ مِنَ الْإِبِلِ وَالْجُزُرُ

جمع جزور وهو البعير * وقال الحافظ ابن كثير قد تواتر يعني حديث الكوثر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث وكذلك أحاديث الحوض *

﴿ وأما تفضيله صلى الله عليه وسلم بالوسيلة والدرجة الرفيعة والفضيلة ﴾

فروى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجوا أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة . قال الحافظ ابن كثير الوسيلة علم على أعلى منزلة في الجنة وهي منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش . ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق عبودية لربه وأعلمهم به وأشدهم له خشية وأعظمهم له محبة كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله تعالى وهي أعلى درجة في الجنة وأمر صلى الله عليه وسلم أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء الزلفى وزيادة الإيمان وأيضا فإن الله تعالى قدرها له بأسباب منها دعاء أمته له بها بما نالوه على يده من الهدى والإيمان * وأما الفضيلة فهي المرتبة الزائدة على سائر الخلائق ويحتمل أن تكون منزلة أخرى . وروى ابن مردويه عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا سألتم الله فسلوا لي الوسيلة قالوا يا رسول الله من يسكن معك قال علي وفاطمة والحسن والحسين . وعند ابن أبي حاتم من حديث

عَلِيٍّ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لُؤْلُؤَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا بَيْضَاءُ وَالْأُخْرَى صَفْرَاءُ فَأَمَّا الْبَيْضَاءُ فَإِنَّهَا إِلَى بُطْنَانِ الْعَرْشِ وَالْمَقَامُ الْمَحْمُودُ مِنَ اللُّؤْلُؤَةِ الْبَيْضَاءِ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ كُلُّ بَيْتٍ مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَمْيَالٍ وَغُرَفُهَا وَأَبْوَابُهَا وَأَسِرَّتُهَا وَسُكَّانُهَا مِنْ عِرْقٍ أَيْ أَصْلٍ وَاحِدٍ وَاسْمُهَا الْوَسِيلَةُ هِيَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَالصَّفْرَاءُ فِيهَا مِثْلُ ذَلِكَ هِيَ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَهْلِ بَيْتِهِ * وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى » قَالَ أَعْطَاهُ اللهُ فِي الْجَنَّةِ أَلْفَ قَصْرٍ فِي كُلِّ قَصْرٍ مَا يَنْبَغِي لَهُ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالْخَدَمِ رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَمِثْلُ هَذَا لَا يُقَالُ إِلَّا عَنْ تَوْقِيفٍ *

﴿ الخاتمة ﴾

قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ مَا أَعْدَدْتَ لَهَا قَالَ لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ قَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسٌ فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسٌ فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ * رُئِيَتِ امْرَأَةٌ مُسْرِفَةٌ عَلَى نَفْسِهَا بَعْدَ مَوْتِهَا فَقِيلَ لَهَا مَا فَعَلَ اللهُ بِكِ قَالَتْ غَفَرَ لِي قِيلَ لَهَا بِمَاذَا قَالَتْ بِمَحَبَّتِي لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * وَانْظُرْ قَوْلَهُ تَعَالَى « طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ » وَطُوبَى اسْمُ شَجَرَةٍ غَرَسَهَا اللهُ بِيَدِهِ أَيْ قُدْرَتِهِ تُنْبِتُ الْحُلِيَّ وَالْحُلَلَ وَإِنَّ أَغْصَانَهَا لَتُرَى مِنْ وَرَاءِ سُورِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ أَصْلَهَا فِي دَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي دَارِ كُلِّ مُؤْمِنٍ

مِنْهَا غُصْنٌ فَمَا مِنْ جَنَّةٍ مِنَ الْجِنَانِ إِلاَّ وَفِيهَا مِنْ شَجَرَةِ طُوبَى لِيَكُونَ سِرُّ كُلِّ نَعِيمٍ وَنَصِيبُ كُلِّ وَلِيٍّ مِنْ سِرِّهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَإِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَلأَ الْجَنَّةَ فَلاَ وَلِيَّ يَتَنَعَّمُ فِي جَنَّتِهِ إِلاَّ وَالرَّسُولُ مُتَنَعِّمٌ بِنِعْمَتِهِ لأَنَّ الْوَلِيَّ مَا وَصَلَ إِلَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ النَّعِيمِ إِلاَّ بِاتِّبَاعِهِ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلِهَذَا كَانَ سِرُّ النُّبُوَّةِ قَائِماً بِهِ فِي تَنَعُّمِهِ وَكَذَلِكَ إِبْلِيسُ مَلأَ النَّارَ فَلاَ عَذَابَ لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِهَا إِلاَّ وَإِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ سِرُّ تَعْذِيبِهِ وَمُشَارِكٌ لَهُ فِيهِ * وَفِي الْبَحْرِ لأَبِي حَيَّانَ عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى «عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً» قِيلَ هِيَ عَيْنٌ فِي دَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَفَجَّرُ إِلَى دُورِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا عَلِمْتَ هَذَا فَاعْلَمْ أَنَّ أَعْظَمَ نَعِيمِ الْجَنَّةِ وَأَكْمَلَهُ التَّمَتُّعُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقُرَّةُ الْعَيْنِ بِالْقُرْبِ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ مَعَ الْفَوْزِ بِكَرَامَةِ الرِّضْوَانِ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ مِنَ الْجِنَانِ وَمَا فِيهَا كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى «وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ» وَلاَ رَيْبَ أَنَّ الأَمْرَ أَجَلُّ مِمَّا يَخْطُرُ بِبَالٍ أَوْ يَدُورُ فِي خَيَالٍ وَلاَ سِيَّمَا عِنْدَ فَوْزِ الْمُحِبِّينَ فِي رَوْضَةِ الأُنْسِ وَحَظِيرَةِ الْقُدْسِ بِمَعِيَّةِ مَحْبُوبِهِمُ الَّذِي هُوَ غَايَةُ مَطْلُوبِهِمْ فَأَيُّ نَعِيمٍ وَأَيُّ لَذَّةٍ وَأَيُّ قُرَّةِ عَيْنٍ وَأَيُّ فَوْزٍ يُدَانِي تِلْكَ الْمَعِيَّةَ وَلَذَّتَهَا وَقُرَّةَ الْعَيْنِ بِهَا وَهَلْ فَوْقَ نَعِيمِ قُرَّةِ الْعَيْنِ بِمَعِيَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ نَعِيمٌ فَلاَ شَيْءَ وَاللهِ أَجَلُّ وَلاَ أَكْمَلُ وَلاَ أَجْمَلُ وَلاَ أَجْلَى وَلاَ أَحْلَى وَلاَ أَعْلَى وَلاَ أَغْلَى مِنْ حَضْرَةٍ يَجْتَمِعُ فِيهَا الْمُحِبُّ بِأَحْبَابِهِ فِي مَشْهَدِ مَشَاهِدِ الإِكْرَامِ حَيْثُ يَتَجَلَّى لَهُمْ حَبِيبُهُمْ وَمَعْبُودُهُمُ الإِلَهُ الْحَقُّ جَلَّ جَلاَلُهُ

خَلْفَ حِجَابٍ وَاحِدٍ بِاسْمِهِ الْجَمِيلِ اللَّطِيفِ فَيَنْفَهِقُ عَلَيْهِمْ نُورٌ يَسْرِي فِي ذَوَاتِهِمْ فَيَبْهَتُونَ مِنْ جَمَالِ اللهِ تَعَالَى وَتُشْرِقُ ذَوَاتُهُمْ بِنُورِ ذَلِكَ الْجَمَالِ الْأَقْدَسِ بِحَضْرَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَرْفَعُ الْحِجَابَ وَيَتَجَلَّى لَهُمْ فَيَخِرُّونَ سُجَّدًا فَيَقُولُ لَهُمُ ارْفَعُوا رُؤُسَكُمْ فَلَيْسَ هٰذَا مَوْضِعَ سُجُودٍ يَا عِبَادِي مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَّا لِتَتَمَتَّعُوا بِمُشَاهَدَتِي يَا عِبَادِي قَدْ رَضِيتُ عَنْكُمْ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا فَمَا أَحْلَاهَا مِنْ كَلِمَةٍ وَمَا أَلَذَّهَا مِنْ بُشْرَى فَعِنْدَهَا يَقُولُونَ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ وَأَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ إِنَّ رَبَّنَا الْغَفُورٌ شَكُورٌ» «وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» «دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»

قد تم والحمد لله في شهر ذي القعدة سنة ١٣١٢ طبع كتاب «الانوار المحمدية من المواهب اللدنية» على يد مختصره يوسف بن اسماعيل بن يوسف بن اسماعيل بن يوسف بن حسن بن محمد ناصر الدين النبهاني فجاء كتاباً فريداً ابين اترابه لا نظير له في بابه جامعاً لجميع مقاصد المواهب اللدنية من احواله الشريفة صلى الله عليه وسلم وقد تبين بعد طبعه انه يقيناً اقل من ثلث حجمها وان ذكر في خطبته تخميناً انه اقل من النصف واسأل الله تعالى ان ينفعني به والمسلمين ويكفيني واياه شر الجاهلين والحاسدين* وان يجعله ذخيرة لي يوم الدين بجاه سيدنا محمد خاتم النبيين* سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين* وجرى تصحيحه بمراجعة شرح الزرقاني ونهاية ابن الاثير وكتب الحديث واللغة بمعرفة مؤلفه



فهرست كتاب الأنوار المحمّديّه

الموضوع	الصّفحة
خطبة الكتاب و سبب تاليفه	٢
(المقصد الاول) في تشريف الله له	٩
في طهارة نسبه صلى الله عليه و سلم	١٥
في حمله و ولادته صلى الله عليه و سلم	٢٠
في فضل الاحتفال بمولده صلى الله عليه و سلم	٢٨
في رَضاعه و حَضَانته صلى الله عليه و سلم	٢٩
شق الملائكة صدره صلى الله عليه وسلم	٣٢
احياء ابو يه و ايمانهما به صلى الله عليه و سلم	٣٤
في اخبار بعثته صلى الله عليه و سلم	٣٨
اول من آمن به صلى الله عليه و سلم	٤٢
اذيّة قريش له صلى الله عليه و سلم	٤٣
هجرة المسلمين للحبشة و اسلام عمر بعد حمزة	٤٦
ارادة قريش قتله و دخوله الشعب مع قومه	٤٧
وفاة ابى طالب و وصيته به صلى الله عليه و سلم	٤٨
وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها	٤٩
خروجه صلى الله عليه و سلم الى الطائف	٤٩
ابتداء ايمان الانصار به صلى الله عليه و سلم	٥١
هجرة اصحابه الى المدينة	٥٤

فهرست كتاب الأنوار المحمّديّه

الموضوع | الصّفحة

اجتماع قريش لقتله صلى الله عليه و سلم ٥٤
هجرته الى المدينة و معه ابوبكر رضي الله عنه ٥٥
سـريـة حمزة لـعيرقريش. و سرية عبيدة بن الحارث الى رابغ. و سرية سعد بن
ابي و قاص الى الخرّار. و (غزوة ودّان) و (غزوة بواط) ٦٢
(غزوة العشيرة) و (غزوة بدر الاولى) ٦٣
سرية امير المؤمنين عبد الله بن جحش ٦٣
(غزوة بدر الكبرى) ٦٤
(غزوة قرقرة الكدر) و سرية سالم بن عمير ٦٨
(غزوة بني قينقاع) و (غزوة السّويق) ٦٩
سرية محمد بن مسلمة الى كعب بن الاشرف ٧٠
(غزوة غطفان) ٧١
(غزوة بحران) و (غزوة أُحد) ٧٢
(غزوة حمراء الاسد) ٧٧
سرية ابي سلمة لقَطَن. و سرية عاصم للرّجيع ٧٨
سرية المنذر لبئر معونة و (غزوة بني النضير) ٧٩
(غزوة ذات الرقاع) ٨٠
(غزوة بدر الاخيرة). و (غزوة دومة الجندل) ٨١
(غزوة المريسيع) و (غزوة الخندق) ٨٢
(غزوة بني قريظة) ٨٥
سرية محمد بن مسلمة الى القرطاء ٨٧
(غزوة بني لحيان) و (غزوة الغابة) ٨٨
سرية عكاشة الى غمر مرزوق ٨٩

فهرست كتاب الأنوار المحمّديّه

الموضوع الصّفحة

سرية محمد بن مسلمة الى بني ثعلبة ٨٩

سرية زيد ابن حارثة الى بني سليم و سريته لعير قريش ٨٩

سرية زيد ايضاً الى بني ثعلبة و سريته الى جذام ٨٩

سرية زيد ايضاً الى وادي القرى ٩٠

سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل ٩٠

سرية علي بن أبي طالب الى بني سعد ٩٠

سرية زيد بن حارثة الى ام قِرفَة الفَزارية ٩٠

سرية عبد الله بن عتيك لابي رافع ٩١

سرية عبد الله بن رواحة لابي رزام. سرية كرز بن جابر الى العُرنيين ٩١

سرية عمرو بن امية لابي سفيان و امر الحديبية ٩٢

(غزوة خيبر) ٩٧

(غزوة وادي القرى). و سرية عمر بن الخطاب الى تربة ٩٩

سرية ابي بكر الى فَزارة. و سرية بشير بن سعد الى بني مرّة ٩٩

سرية غالب بن عبد الله الليثي الى الميفَعة ٩٩

سرية بشير بن سعد الانصاري الى ارض غطفان. و (عمرة القضاء) ١٠٠

سرية ابن ابي العوجاء لبني سليم ١٠٢

سرية غالب بن عبد الله لبني الملوّح و سريته لفَدَك ١٠٢

سرية شجاع بن وهب الى بني عامر ١٠٣

و سرية كعب بن عمير لذات اطلاح. و سرية موتة ١٠٣

سرية عمرو بن العاص الى ذات السّلاسل ١٠٥

سرية ابي عبيدة بن الجراح الى سيف البحر ١٠٥

سرية ابي قتادة لمحارب و سريته لإضم ١٠٦

فهرست كتاب الأنوار المحمّديّه

الموضوع | الصّفحة

فتح مكة المشرّفة زادها الله شرفاً ١٠٧
سرية خالد بن الوليد لهدم العزى ١١٥
سرية عمرو بن العاص لهدم سواع ١١٥
سرية سعد بن زيد لهدم مَناة و هي اصنام ١١٥
سرية خالد لبني جذيمة و (غزوة حنين) ١١٦
سرية ابي عامر الى الفارّين من هوازن ١١٩
سرية الطفيل لذي الكَفَين و غزوة الطائف ١٢٠
سرية قطبة لخثعم. و سرية علقمة لحبشة ١٢٤
سرية علي بن ابي طالب لهدم الفُلْس ١٢٥
سرية عكاشة لعذرة و بَليّ. و قصة كعب بن زهير ١٢٥
(غزوة تبوك) ١٢٦
حجة ابي بكر الصديق بالناس سنة تسع ١٣١
سرية أسَامة الى اهل أبْنَى ناحية بالبلقاء ١٣٣
(المقصد الثاني) و فيه عشرة فصول ١٣٥
الفصل الاول في اسمائه الشريفة ١٣٥
الفصل الثاني في ذكر اولاده الكرام ١٤٥
الفصل الثالث في ذكر ازواجه و سراريه ١٤٨
الفصل الرابع في اعمامه وعماته واخوته من الرضاعة وجداته
صلى الله عليه وسلم ١٥٩
الفصل الخامس في خدمه وحرسه ومواليه ومن كان على نفقاته وخاتمه ونعله
وسواكه ومن ياذن عليه ومن كان يضرب الاعناق بين يديه صلى الله عليه وسلم.... ١٦٣
الفصل السادس في امرائه و رسله وكتّابه وكتبه الى الملوك و غيرهم ١٦٥

فهرست كتاب الأنوار المحمّديه

الموضوع | الصّفحة

الفصل السابع في مؤذنيه وحداته و شعرائه وخطيبه صلى الله عليه و سلم ١٧٥
الفصل الثامن في آلات حروبه ١٧٥
الفصل التاسع في ذكر خيله و دوابه ١٧٧
الفصل العاشر في ذكر من وفد عليه ١٧٨
(المقصد الثالث) في شمائله الشريفة صلى الله عليه وسلم وفيه اربعة فصول
الفصل الاول في كمال خلقته وجمال صورته ووجهه الشريف صلى الله عليه وسلم .. ١٩٤
بصره الشريف صلى الله عليه و سلم ١٩٦
سمعه الشريف صلى الله عليه وسلم جبينه الكريم صلى الله عليه وسلم ١٩٨
فمه الشريف صلى الله عليه و سلم ١٩٩
ريقه الشريف صلى الله عليه و سلم ٢٠٠
فصاحة لسانه و فيه احاديث من جوامع كلمه ٢٠١
صوته الشريف صلى الله عليه و سلم ٢٠٧
ضحكه و بكاؤه صلى الله عليه و سلم ٢٠٨
يده الشريف صلى الله عليه وسلم ٢٠٩
قلبه الشريف و قدمه صلى الله عليه و سلم ٢١١
طوله و شعره صلى الله عليه و سلم ٢١٢
مشيه صلى الله عليه و سلم ٢١٥
لونه صلى الله عليه و سلم ٢١٦
طيب ريحه صلى الله عليه و سلم ٢١٧
الفصل الثاني في اخلاقه الزكية ٢٢٠
الفصل الثالث في غذائه و ملبسه و منكحه و فيه اربعة انواع
(الاول) في عيشه في المأكل و المشرب ٢٣٨

فهرست كتاب الأنوار المحمّديّه

الموضوع	الصّفحة

الثاني في لباسه و فراشه صلى الله عليه و سلم ٢٥٠

النوع الثالث في سيرته في نكاحه ٢٦٠

النوع الرابع في نومه صلى الله عليه و سلم ٢٦١

(المقصد الرابع) في معجزاته وخصائصه وفيه فصلان (الفصل الاول) في معجزاته ... ٢٦٣

فمن دلائله صلى الله عليه انه كان أميا ٢٦٤

من معجزاته القرآن العظيم و هو أعظمها ٢٦٥

انشقاق القمر له صلى الله عليه و سلم ٢٧٠

ردّ الشمس له صلى الله عليه و سلم ٢٧٢

طاعة الجمادات و تكليمها له صلى الله عليه و سلم ٢٧٣

كلام الحيوانات له صلى الله عليه و سلم ٢٧٩

نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه و سلم ٢٨٤

تكثير الطعام القليل ببركته و دعائه ٢٩٠

ابراء ذوي العاهات واحياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان وشهادتهم بنبوته ٢٩٤

الفصل الثاني فيما خصه الله به من المعجزات و شرفه به على سائر

الانبياء من الكرامات و الآيات و فيه اربعة اقسام ٢٩٧

القسم الاول في خصائصه الواجبات ٣٠٦

القسم الثاني في خصائصه المحرمات ٣٠٧

القسم الثالث في خصائصه المباحات ٣٠٨

القسم الرابع في الفضائل و الكرامات ٣٠٨

خصائص امته صلى الله عليه و سلم ٣٢٣

(المقصد الخامس) في الاسراء والمعراج وهو اجمع المؤلفات المتداولة في ذلك ٣٣٢

(المقصد السادس) وفيه عشرة انواع النوع الاول في آيات تتضمن عظم قدره ٣٥٣

فهرست كتاب الأنوار المحمّديه

الموضوع **الصّفحة**

النوع الثاني في اخذ الميثاق له على النبيين ليؤمنن به ان ادركوه ولينصرنه ٣٦١

النوع الثالث في وصفه تعالى له بالشهادة و شهادته

له صلى الله عليه و سلم بالرسالة ٣٦٣

النوع الرابع في التنويه برسالته في الكتب السالفة كالتوراة و الانجيل ٣٧٢

النوع الخامس في آيات تتضمن اقسامه تعالى على تحقيق رسالته وفيه

خمسة فصول الاول في قسمه على ما خصه به من الخلق العظيم.............. ٣٨٢

الفصل الثاني في قسمه بما انعم به عليه ٣٨٢

الفصل الثالث في قسمه على تصديقه ٣٨٣

الفصل الرابع في قسمه على تحقيق رسالته ٣٨٧

الفصل الخامس في قسمه بحياته و عصره و بلده ٣٨٨

النوع السادس في وصفه له بالنور و السراج ٣٩٠

النوع السابع في آيات تتضمن وجوب طاعته و اتباع سنته صلى الله عليه وسلم ٣٩١

الثامن في الادب معه صلى الله عليه و سلم ٣٩٥

النوع التاسع في آيات تتضمن رده تعالى بنفسه المقدسة

على عدوه ترفيعا لشأنه ٣٩٨

النوع العاشر في ازالة الشبهات عن آيات وردت في حقه

صلى الله عليه و سلم متشابهات ٤٠٠

(المقصد السابع) وفيه ثلا ثة فصول الفصل الاول في محبته واتباع سنته ٤٠٩

علامات محبته صلى الله عليه و سلم ٤١٤

الفصل الثاني في حكم الصلاة و التسليم عليه ٤٢١

الفصل الثالث في ذكر محبة اصحابه و آله و قرابته

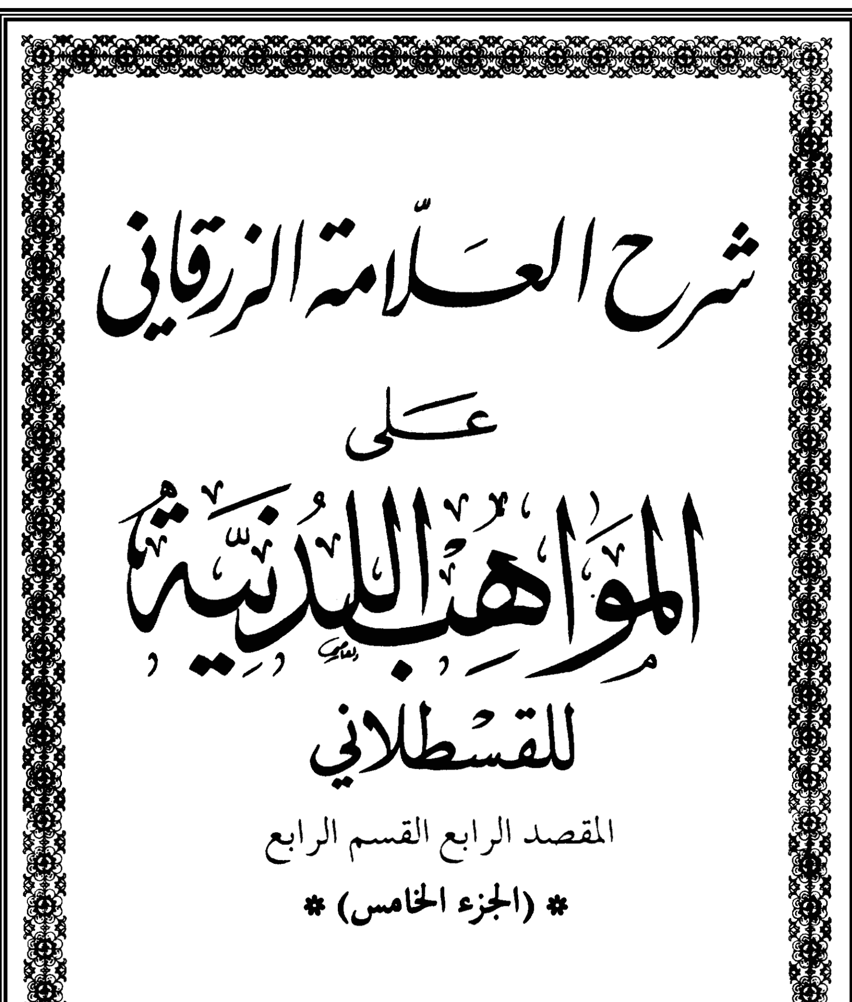
و اهل بيته و ذريته رضي الله عنهم ٤٣٣

فهرست كتاب الأنوار المحمّديه

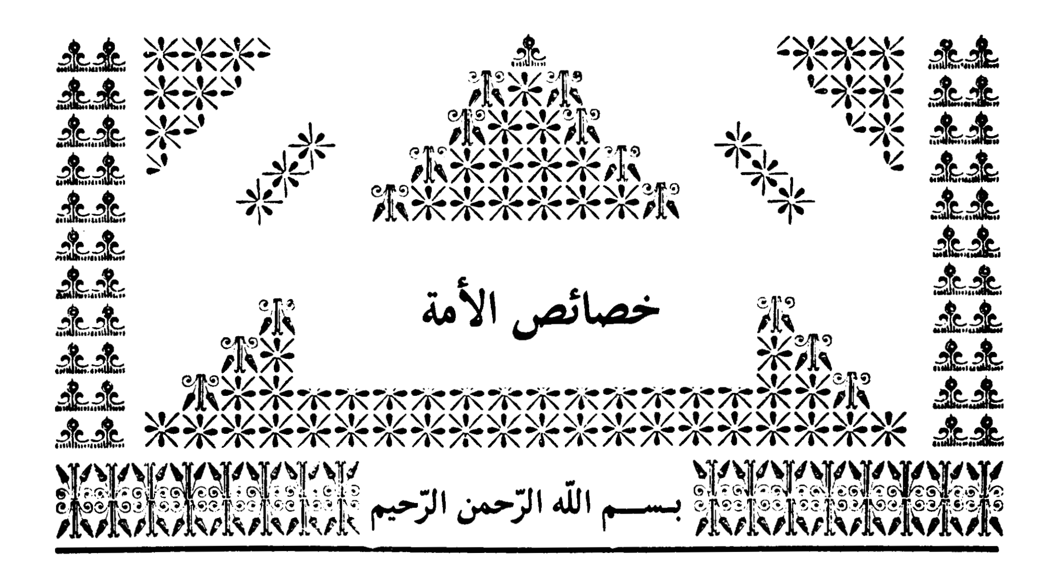
الموضوع	الصّفحة
(المقصد العاشر) و فيه ثلاثة فصول	٥٧٥
الفصل الاول في وفاته صلى الله عليه و سلم	٥٧٥
مبحث عيسى عليه السلام	٥٩٥
الفصل الثاني في زيارة قبره الشريف ومسجده المنيف وفيه فضائل المدينة	٥٩٦
الفصل الثالث في تفضيله بالآخرة و انفراده بالشفاعة و المقام المحمود	٦١٢
الخاتمة	٦٣٠

لو سمعوا أهل مصر اوصاف خده
لما بذلوا فى سوم يوسف من نقد
لويما زليخا لو رأين جبينه
لاثرن قطع القلوب على الأيد

عائشة الصديقة
رضى اللّه تعالى عنها



من شرح الامام العلاّمة محمّد بن عبد الباقى الزّرقانى المالكى
على المواهب اللّدنيّة للعلاّمة القسطلانى



الحمد لله الذى هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله و الصلوة و السلام على سيّدنا محمّد و على آله و صحبه اجمعين.

(و أما خصائص أمته صلى الله عليه و سلم) فى الدنيا و الآخرة أى بعضها فى الدارين لتركه كثيرا فيهما (و زادها شرفا) و المراد أمة الاجابة (فاعلم انه لما أنشأ سبحانه و تعالى العالم على غاية من الاتقان و أبرز جسد نبينا) أى شخصه و هو الصورة التى يرى عليها (صلى الله عليه و سلم للعيان) بكسر العين (و ظهرت عنايته) رعايته و اهتمامه (بامته الانسانية) بمعاملته لهم معاملة من يريد نفع غيره (بحضوره و ظهوره فيها) عطف تفسير (و ان كان العالم الانسانى و النارى) أى عالم الجن (كله أمته) لبعثه اليهم اجماعا (و لكن لهؤلاء) أى العالم الانسانى (خصوص وصف) من اضافة الصفة للموصوف أى وصف خاص بهم لا يتجاوزهم الى غيرهم و هو الخيرية المشار اليها بقوله (فجعلهم) جواب لما دخلت عليه الفاء على قلة أو هو عطف على مقدر أى لما أنشا العالم على ما ذكر و خص الامة المحمدية بصفة زائدة ميزهم على غيرهم و فضلهم فجعلهم (خير أمة أخرجت للناس و جعلهم ورثة الانبياء) كما قال صلى الله عليه و سلم **(العلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم)** رواه أبو داود و الترمذى و أحمد و غيرهم و صحّحه ابن حبان و الحاكم و غيرهما و أما خبر **(علماء أمتى كأنبياء بنى**

اسرائيل) فقال الحافظ و من قبله الدميرى و الزركشي لا أصل له و سئل عنه الحافظ العراقى فقال لا أصل له و لا اسناد بهذا اللفظ و يغنى عنه **(العلماء ورثة الانبياء)** و هو صحيح و أخرج ابن عدى و أبو نعيم و الديلمى عن النبى صلى الله عليه و سلم **(العلماء مصابيح الارض و خلفاء الانبياء و ورثتى و ورثة الانبياء)** (و أعطاهم الاجتهاد فى نصب الاحكام) من الكتاب و السنة و غيرهما (فيحكمون بما أدى اليه اجتهادهم) و يؤجرون و لو أخطؤا فيه و لعل هذين من عطف بعض الاسباب على المسبب لان كونهم ورثة الانبياء و اعطاءهم الاجتهاد من أسباب الخيرية المبينة فى الآية بقوله **(... تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ * الآية. آل عمران: ١١٠)** و كان هذا هو الحامل على ادخال الامرين فى الخيرية (و كل من دخل فى زمان هذه الامة من الانبياء عليهم السلام بعد نبيها صلى الله عليه و سلم كعيسى) عليه السلام فانه حين ينزل من هذه الامة اتفاقا مع بقائه على نبوته بل ذهب جمع من العلماء الى انه صحابى لاجتماعه بالنبى صلى الله عليه و سلم و هو حى مؤمنا به و مصدقا و كان اجتماعه به مرات فى غير ليلة الاسراء روى ابن عساكر عن أنس قلنا يا رسول الله رأيناك صافحت شيئا ولا نراه قال **(ذاك أخى عيسى ابن مريم انتظرته حتى قضى طوافه فسلمت عليه)** و روى ابن عدى عن أنس بينا نحن مع النبى صلى الله عليه و سلم اذ رأينا بردا و يدا فقلنا يا رسول الله ما هذا البرد الذى رأينا و اليد قال **(قد رأيتموه)** قلنا نعم قال **(ذاك عيسى ابن مريم سلم على)** (أو على تقدير دخوله كالخضر) على انه نبى و الياس على انهما باقيان (فانه لا يحكم فى العالم الا بما شرعه محمد صلى الله عليه و سلم فى هذه الامة) لا بشرائعهم التى كانت قبله (فاذا نزل سيدنا عيسى عليه الصلاة و السلام فانما يحكم بشريعة نبينا صلى الله عليه و سلم) و يكون وصولها اليه (بالهام) لاحكامها (أو اطلاع على الروح المحمدى) فيخبره بشريعته (أو بما شاء الله تعالى) من استنباطه لها من الكتاب و السنة و نحو ذلك و قد سئل السيوطى باى طريق تصل أحكام شريعتنا الى عيسى فاجاب بان الانبياء كانوا يعلمون فى زمانهم بجميع شرائع من قبلهم و من بعدهم بالوحى من الله على لسان جبريل و بالتنبيه على بعض ذلك فى الكتاب الذى أنزل عليهم و بان عيسى ينظر فى القرآن فيفهم منه جميع أحكام هذه الملة من

غير احتياج الى مراجعة الاحاديث كما فهم النبى صلى الله عليه و سلم ذلك من القرآن فانه قد انطوى على جميع أحكام الشريعة و فهمها نبينا بفهمه الذى اختص به ثم شرحها لامته فى السنة و افهام الامة تقصر عن ادراك ما أدركه صاحب النبوة و عيسى نبى فلا بعد أن يفهم من القرآن كفهم النبى صلى الله عليه و سلم و بان عيسى معدود فى الصحابة لانه اجتمع بالنبى صلى الله عليه و سلم غير مرة فلا مانع انه تلقى منه أحكام شريعته المخالفة لشريعة الانجيل لعلمه بانه سينزل فى أمته و يحكم فيهم بشرعه فاخذها عنه بلا واسطة و الى هذا أشار جماعة من العلماء قال و رأيت عبارة للسبكى نصها انما يحكم عيسى بشريعة نبينا بالقرآن و السنة فترجح ان أخذه السنة بطريق المشافهة بلا واسطة و بانه اذا نزل يجتمع بالنبى صلى الله عليه و سلم فى الارض كما صرح به فى أحاديث فلا مانع ان ياخذ عنه ما احتاج اليه من أحكام شريعته و استدل السيوطى لكل واحد من هذه الاربع بما يطول ذكره و ذكر انه اعترض عليه فى الجواب الاول بلزوم ان القرآن مضمن فى الكتب السابقة فاجاب بانه لا مانع من ذلك فقد دلت الاحاديث على ثبوت هذا اللازم و قال تعالى **(وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ)** الى قول **(وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ* الشعراء: ١٩٢ - ١٩٦)** ثم ساق أدلة ذلك فى نحو ورقة ثم قال ان السائل نفسه ساله ثانيا هل ثبت ان عيسى ينزل عليه الوحى بعد نزوله فاجاب نعم روى مسلم و غيره أثناء حديث **(أوحى الله الى عيسى انى قد أخرجت عبادا من عبادى لا يدلك بقتالهم)** فهذا صريح فى انه يوحى اليه بعد نزوله و الذى نقطع به ان الجائى اليه جبريل لانه السفير بين الله و بين أنبيائه كما صرحت الآثار بذلك و ساقها ثم قال و قد زعم ان عيسى اذا نزل لا يوحى اليه حقيقة بل وحى الهام و هو ساقط مهمل لمنابذته لحديث مسلم و غيره و لان ما توهمه من تعذر الوحى الحقيقى فاسد لانه نبى فاى مانع من نزول الوحى اليه فان تخيل انه ذهب منه وصف النبوّة فهو قول يقارب الكفر لان النبوّة لا تذهب أبدا و لا بعد موته و ان تخيل اختصاص الوحى بزمن دون زمن فهو قول لا دليل عليه و يبطله ثبوت الدليل على خلافه انتهى (فيأخذ عنه ما شرع الله له ان يحكم به فى أمته فلا يحكم بشئ من تحريم و تحليل الا بما كان يحكم به نبينا صلى الله عليه و سلم و لا يحكم) عيسى (بشريعته التى أنزلت عليه فى

أوان رسالته و دولته فهو) أى عيسى (تابع لنبينا صلى الله عليه و سلم و قد نبه على ذلك الترمذى الحكيم) محمد بن على من طبقة البخارى حافظ واعظ زاهد له تصانيف (فى كتاب ختم الاولياء) أحد تصانيفه (و أعرب) بمهملة بين (عنه صاحب عنقاء) بالمد مجرور بالفتحة لالف التانيث الممدودة (مغرب) قال الدميرى طائر غريب يبيض بيضا كالجبال و يبعد فى طيرانه و قيل سميت بذلك لانه كان فى عنقها بياض كالطوق و قيل هو طائر يكون عند مغرب الشمس و أطال الدميرى الكلام فيها فعلى الاخير ميمه مفتوحة [١] و على الاولين مضمومة [٢] و اقتصر عليه القاموس فقال عنقاء مغرب بالرفع على الوصف و بالجر مضافة و هى بضم الميم طائر معروف الاسم مجهول الجسم و هو اسم كتاب للعارف القطب محيى الدين بن على بن محمد بن عربى الطائى الاندلسى مات بدمشق سنة ست و ثلاثين و ستمائة و عند الشعراوى كتابه هذا من الكتب التى لا يكاد يفهم العلماء منها معنى مقصودا لقائله أصلا لانه لسان قدسى لا يعرفه الا من تجرد عن هيكله من البشر (و كذا الشيخ سعد الدين التفتازانى فى شرح عقائد النسفى) أبى الفضل محمد بن محمد بن محمد ثلاثة المعروف بالبرهان الحنفى له مختصر تفسير الرازى و مقدمة فى الخلاف و تصانيف كثيرة فى علم الكلام و غيره و اجاز للبرزالى و توفى سنة سبع و ثمانين و ستمائة و هو متاخر عن النسفى عمر بن محمد صاحب التفسير و الفتاوى و غيرهما توفى سنة سبع و ثلاثين و خمسمائة و غير صاحب الكنز و المدارك و المنار و غيرها و اسمه عبد الله بن أحمد بن محمود و غير أبى المعين ميمون بن محمد و كلهم حنفيون من نسف بفتح النون و السين المهملة و بالفاء مدينة بماوراء النهر (و صحح انه) أى عيسى (يصلى بالناس و يؤمهم) يصلى بهم اماما (و يقتدى به المهدى) محمد بن عبد الله الحسنى الحسينى الخليفة الآتى آخر الزمان و فى حديث ضعيف (**المهدى بعد المائتين**) (لانه) أى عيسى (أفضل منه) أى المهدى (فامامته أولى انتهى) كذا جزم به اعتمادا على تعليله و ورد ما يشهد له فى بعض

---

(١) قوله و على الاولين مضمومة وجهه فى الثانى غير وجيه تامل.

(٢) قوله و اقتصر عليه القاموس الخ عبارة القاموس هكذا و العنقاء المغرب بالضم و عنقاء مغرب و مغربة و مغرب مضافة طائر معروف الاسم لا الجسم أو طائر عظيم يبعد فى طيرانه أو من الالفاظ الدالة على غير معنى اهـ فلينظر مع ما هنا اهـ مصححه

الآثار و عورض بحديث الصحيحين عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (**كيف أنتم اذا نزل ابن مريم فيكم و امامكم منكم**) و لمسلم أيضا (**كيف بكم اذا نزل ابن مريم فيقال صل بنا فيقول لا ان بعضكم عل بعض أمراء**) تكرمة لهذه الامة و لاحمد من حديث جابر (**فاذا هم بعيسى فيقال تقدم فيقول ليتقدم امامكم فليصل بكم**) و لابن ماجه فى حديث أبى أمامة (**و كلهم**) أى المسلمين (**ببيت المقدس و امامهم رجل صالح قد تقدم ليصلى بهم اذ نزل عيسى فرجع الامام ينكص ليتقدم عيسى فيقف عيسى بين كتفيه ثم يقول تقدم فانها لك أقيمت**) و روى أبو نعيم عن أبى سعيد مرفوعا (**منا الذى يصلى عيسى ابن مريم خلفه**) أى منا أهل البيت و جمع بان عيسى يقتدى بالمهدى أولا ليظهر أنه نزل تابعا لنبينا حاكما بشرعه ثم بعد ذلك يقتدى المهدى به على أصل القاعدة من اقتداء المفضول بالفاضل قال ابن الجوزى لو تقدم عيسى اماما لوقع فى النفس اشكال و لقيل أتراه تقدم نائبا أو مبتدئا شرعا فيصلى مأموما لئلا يتدنس بغبار الشبهة وجه قوله (**لا نبى بعدى**) و فى صلاة عيسى خلف رجل من هذه الامة مع كونه فى آخر الزمان و قرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الاقوال ان الارض لا تخلو عن قائم لله بحجة و قيل معنى (**و امامكم منكم**) أنه يحكم بالقرآن لا بالانجيل كما فى رواية لمسلم (**و امامكم منكم**) قال ابن ابى ذئب معناه أمكم بكتاب ربكم و عليه لم يتبين أن عيسى اذا نزل يكون اماما أو مأموما لكن يعكر عليه رواية أحمد و مسلم فانهما صريحتان لا يقبلان هذا التاويل و قال أبو الحسن ألا ترى فى مناقب الشافعى تواترت الاخبار أن المهدى من هذه الامة و أن عيسى يصلى خلفه ذكر ذلك ردا لحديث ابن ماجه عن أنس و لا مهدى الا عيسى (فهو عليه السلام و ان كان خليفة فى الامة المحمدية فهو رسول و نبى كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس أنه ياتى واحدا من هذه الامة) بدون نبوّة و رسالة و جهل أنهما لا يزولان بالموت كما تقدم فكيف بمن هو حى (نعم هو واحد من هذه الامة) مع بقائه على نبوّته و رسالته (لما ذكر من وجوب اتباعه لنبينا صلى الله عليه و سلم و الحكم بشريعته) لا بشرع الانجيل لنسخه (فان قلت قد ورد فى صحيح مسلم) و البخارى أيضا فما هذا الابهام كلاهما عن أبى هريرة (قوله صلى الله عليه و سلم) (**والذى نفسى بيده** (**ليوشكن**)) بكسر المعجمة أى ليقربن أى

لابـد مـن ذلـك سـريـعـا (**(أن يـنزل فيكم)**) أى فى هذه الامة فانه خطاب لبعضها ممن لا يـدرك نزوله (**(ابن مريم حكما)**) أى حاكما (**(مقسطا)**) أى عادلا بخلاف القاسط فهو الجائـر و لمسلـم أيـضـا **(اماما مقسطا)** و لفظ البخارى **(حكما عدلا)** و فى مسلم عن أبى هـريـرة مرفوعا **(ينزل عيسى بن مريم على المنارة البيضاء شرقى دمشق)** و فى الصحيحين عنه رفـعـه **(يـنـزل عـيسى فـيـقتل الدجال (فيكسر الصليب)**) تفريع على عدله أى فبسبب عدله يـكـسره حـقـيقة أو يبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه (**(ويقتل الخنزير)**) فيبطل دين النصرانية و فيه تحريم اقتناء الخنزير و تحريم أكله و نجاسته لان الشيء المنتفع به لا يشرع اتلافه لكن فى الطبرانى الاوسط باسناد لا باس به عن أبى هريرة **(ويقتل الخنزير و القرد)** فـلا يـصح الاستدلال به على نجاسة عين الخنزير لان القرد ليس بنجس العين اتفاقا و فيه أيضا تغيير المنكرات و كسر آلة الباطل زاد فى رواية لمسلم **(ولتذهبن الشحناء و التباغض و الـتـحـاسـد** (**ويـضـع الجزية)**) و فى رواية **(ويضع الحرب)** و بقية الحديث فى الصحيحين **(و يـفـيـض المال حـتـى لا يـقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا ومافيها)** ثم يـقـول أبـو هـريرة اقرؤا ان شئتم **(وَاِنْ مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ اِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهٖ قَبْلَ مَوْتِهٖ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكُوْنُ عَلَيْهِمْ شَهِيْدًا * النساء: ١٥٩)** قال الحافظ و المعنى ان الدين يصير واحدا فلا يبقى أحـد مـن أهـل الـذمـة يؤدى الجزية و قيل معناه يكثر المال فلا يبقى من يمكن صرف مال الجـزيـة لـه فـيترك الجزية استغناء عنها و قال عياض يحتمل أن المراد بوضعها تقريرها على الكفار من غير محاباة و تكون كثرة المال بسبب ذلك و تعقبه النووى (و) قال (ان الصواب فى مـعـنـاه أنـه لا يقبل الجزية و لا يقبل الا الاسلام أو) يفعل (القتل) ان امتنعوا منه قال الحافظ و يؤيده رواية أحمد من وجه آخر و تكون الدعوى واحدة (و هذا خلاف ما هو حكم الـشـرع الـيـوم فـان الـكـتـابى اذا بذل) أى أعطى (الجزية وجب قبولها و لم يجز) بالزاى (قـتـلـه) لـقـوله تعالى (**... حَتّٰى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ * الآية. التوبة: ٢٩**) و فى نسخة لم يجب بـالـبـاء بدل الزاى و كأنه عبر بها لمطابقة ظاهر الآية فلا ينافى أنه لا يجوز قتله و على قـاتـلـه ديته لان ذلك ثبت بدليل آخر (و لا اكراهه على الاسلام و اذا كان كذلك فكيف يـكـون عيسى عليه الصلاة و السلام حاكما بشريعة نبينا صلى الله عليه و سلم فالجواب أنه

لا خلاف أن عيسى انما ينزل حاكما بهذه الشريعة المحمدية) لحديث عبد الله بن مغفل (**ينزل عيسى ابن مريم مصدقا بمحمد على ملته**) رواه الطبرانى (و لا ينزل نبى برسالة مستقلة و شريعة ناسخة) لان هذه الشريعة لا تنسخ (بل هو حاكم من حكام هذه الامة) كقاض بين الخصوم بالملة المحمدية (و أما حكم الجزية و ما يتعلق بها) من اقرارهم على ابقاء صليبهم و خنزيرهم و نحوهما حيث لم يظهروها (فليس حكما مستمرا الى يوم القيامة بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى) فوضعها بعد نزوله من شريعتنا (و قد أخبر نبينا صلى الله عليه و سلم بنسخه)بهذا الحديث كما فى عبارة النووى (و ليس عيسى هو الناسخ بل نبينا صلى الله عليه و سلم هو المبين للنسخ) بقوله (**ويضع الجزية**) (فدل على ان الامتناع فى ذلك الوقت من قبول الجزية هو شرع نبينا صلى الله عليه و سلم) فى ذلك الوقت لا قبله (أشار اليه النووى فى شرح مسلم) و لخصه الحافظ باوجز عبارة بقوله قال النووى معنى وضع الجزية مع أنها مشروعة فى هذه الشريعة أن مشروعيتها مقيدة بنزول عيسى كما دل عليه هذا الخبر و ليس عيسى بناسخ لحكمها بل نبينا صلى الله عليه و سلم هو المبين للنسخ بقوله هذا (فان قلت ما المعنى) أى السر و الحكمة (فى تغيير حكم الشرع عند نزول عيسى عليه الصلاة و السلام فى) منع (قبول الجزية) أهو تعبدى أم معقول المعنى (فاجاب) أى فاقول فى ذلك أجاب فلا حاجة للفاء لدخولها على ماض متصرف و هو صالح لكونه جواب الشرط و نقل البدر بن مالك جوازه اعترض بان ظاهره الاطلاق و ليس كذلك بل الماضى المتصرف المجرد ثلا ثة أضرب ضرب لا يجوز اقترانه بالفاء و هو المستقبل الذى لم يقصد به وعد أو وعيد نحو ان قام زيد قام عمرو و ضرب يجب اقترانه بالفاء و هو المستقبل الماضى لفظا و معنى نحو (... **إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ** * الآية. يوسف: ٢٦) و قد معه مقدرة و ضرب يجوز اقترانه بالفاء و هو المستقبل معنى و قصد به وعد أو وعيد نحو (**وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ** * الآية. النمل: ٩٠) لانه اذا كان وعدا أو وعيدا حسن أن يقدر ماضى المعنى فعومل معاملة الماضى حقيقة و قد نص أبوه على هذا التفصيل فى شرح كافيته (ابن بطال) أبو الحسن على فى شرح البخارى (بانا انما قبلناها نحن لاحتياجنا الى المال و ليس يحتاج عيسى عليه الصلاة و السلام عند خروجه) أى ظهوره و نزوله من السماء الى

الارض (الى مال لانه يفيض) بفتح أوله و كسر الفاء و بالضاد المعجمة أى يكثر (فى أيامه المال حتى لا يقبله أحد) كما قال فى الصحيحين و لمسلم فى رواية **(و ليدعون الى المال فلا يقبله أحد)** قال الحافظ و سبب كثرته نزول البركات بسبب العدل و عدم الظلم و حينئذ تخرج الارض كنوزها و يقل الراغب فى اقتناه المال لعلمهم بقرب الساعة (فلا يقبل الا القتل) أى لا يحكم الا به فعبر بنفى القبول عن فعل القتل تجوزا نحو :

و زججن الحواجب و العيونا

(أو الايمان بالله وحده انتهى) جواب ابن بطال (و أجاب الشيخ ولى الدين) أحمد (بن العراقى بان قبول الجزية من اليهود و النصارى لشبهة) بالضم أى التباس (ما بايديهم من التوراة و الانجيل) عليهم فظنوا بسبب الالتباس حقية ما هم عليه (و تعلقهم بزعمهم بشرع قديم) و هذه الشبهة و التعلق و ان كانا باطلين لقيام الادلة الواضحة على حقية الاسلام و بطلان ما سواه لكنهم عذروا فى الجملة لذلك فاكتفى منهم بما دل على ذلهم و انقيادهم لبعض أحكام الاسلام قهرا عليهم (فاذا نزل عيسى عليه الصلاة و السلام زالت تلك الشبهة بحصول معاينته فصاروا كعبدة الاوثان فى انقطاع شبهتهم و انكشاف أمرهم فعوملوا معاملتهم فى أنه لا يقبل منهم الا الاسلام و الحكم يزول بزوال علته) و هذا أيضا ملحظ جواب ابن بطال (قال و هذا معنى حسن مناسب لم أر من تعرض له قال و هذا أولى مما ذكره ابن بطال انتهى) و كان وجه أولو يته أنه مبنى على علة معنو ية معقولة دون جواب ابن بطال و هو ظاهر فى زوال شبهة النصارى بنزوله و أما زوالها عن اليهود بنزوله فكأنه لانهم زعموا هم و النصارى بقاء شرعهما مع شريعة الاسلام و فى الفتح قال العلماء الحكمة فى نزول عيسى دون غيره من الانبياء للرد على اليهود فى زعمهم أنهم قتلوه فبين الله كذبهم و أنه الذى يقتلهم أو نزوله لدنو أجله ليدفن فى الارض اذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت فى غيرها و قيل أنه دعا الله لما رأى صفة محمد و أمته أن يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه و أبقاه حتى ينزل فى آخر الزمان مجددا لامر الاسلام فيوافق خروج الدجال فيقتله و الاول أوجه و فى مسلم عن ابن عمرو **(أنه يمكث فى الارض بعد نزوله سبع سنين)** و روى نعيم بن حماد فى كتاب الفتن من حديث ابن عباس **(أن عيسى اذ ذاك**

يتزوج فى الارض ويقيم بها تسع عشرة سنة) و باسناد فيه مبهم عن أبى هريرة **(يقيم بها أربعين سنة)** و روى أحمد و أبو داود باسناد صحيح عن أبى هريرة مرفوعا **(ينزل عيسى عليه السلام وعليه ثوبان ممصران فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس الى الاسلام ويهلك الله فى زمانه الملل كلها الا الاسلام وتقع الامنة فى الارض حتى ترتع الاسود مع الابل وتلعب الصبيان بالحيّات فيمكث فى الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون)** انتهى قال ابن كثير يشكل عليه خبر مسلم **(أنه يمكث فى الارض سبع سنين)** اللّهم الا أن تحمل هذه السبع على مدة اقامته بعد نزوله و تكون مضافة الى مكثه فيها قبل رفعه الى السماء و كان عمره اذ ذاك ثلا ثا و ثلا ثين سنة على المشهور قال فى مرقاة الصعود و قد أقمت سنين أجمعْ بذلك ثم رأيت البيهقى قال فى كتاب البعث و النشور فى هذا الحديث **(أن عيسى يمكث فى الارض أربعين سنة)** و فى مسلم من حديث عبد الله بن عمر و فى قصة الدجال **(فيبعث الله عيسى ابن مريم فيطلبه فيهلكه ثم يلبث الناس بعده سبع سنين ليس بين اثنين عداوة)** قال البيهقى و يحتمل أن قوله **(ثم يلبث الناس بعده)** أى بعد موته فلا يكون مخالفا للاول انتهى فترجح عندى هذا التاو يل من وجوه أحدها أن حديث مسلم ليس نصا فى الاخبار عن مدة لبث عيسى و خبر أبى داود نص فيها و الثانى أن **(ثم)** تؤيد هذا التاو يل لانها فى التراخى و الثالث قوله **(يلبث الناس بعده)** فيتجه أن الضمير فيه لعيسى لانه أقرب مذكور و الرابع أنه لم يرد فى ذلك سوى هذا الحديث المحتمل و لا ثانى له و ورد مكث عيسى أربعين سنة فى عدة أحاديث من طرق مختلفة فحديث أبى داود هذا هو صحيح و أخرج الطبرانى عن أبى هريرة مرفوعا **(ينزل عيسى ابن مريم فيمكث فى الناس أربعين سنة)** و أخرج أحمد فى الزهد عنه قال **(يلبث عيسى فى الارض أربعين سنة لو يقول للبطحاء سيلى عسلا لسالت)** و أخرج فى المسند عن عائشة مرفوعا فى حديث الدجال **(فينزل عيسى فيقتله ثم يمكث عيسى فى الارض أربعين سنة اماما عادلا وحكما مقسطا)** و ورد أيضا من حديث ابن مسعود عند الطبرانى فهذه الاحاديث المتعددة الصريحة أولى من ذلك الحديث الواحد المحتمل انتهى و يؤيده أن حديث رفعه و هو ابن ثلاث و ثلا ثين انما يروى عن النصارى فعند الحاكم عن وهب بن منبه قال ان النصارى تزعم فذكر الحديث

الى أن قال و انه رفع و هو ابن ثلاث و ثلا ثين و فيه عبد المنعم بن ادريس كذبوه و لو صح فهو عن النصارى كما ترى و الثابت فى الاحاديث النبو ية أنه رفع و هو ابن مائة و عشرين روى الطبرانى و الحاكم فى المستدرك عن عائشة أن النبى صلى الله عليه و سلم قال فى مرضه الذى توفى فيه لفاطمة **(ان جبريل كان يعارضنى القرآن فى كل عام مرة و انه عارضنى بالقرآن العام مرتين و أخبرنى أنه لم يكن نبى الا عاش نصف الذى قبله و أخبرنى أن عيسى ابن مريم عاش عشرين ومائة سنة ولا أرانى الا ذاهبا على رأس الستين)** و رجاله ثقات و له طرق و ذكر ابن عساكر أن وفاة عيسى تكون بالمدينة فيصلى عليه هنالك و يدفن بالحجرة النبو ية و روى الترمذى عن عبد الله بن سلام قال مكتوب فى التوراة صفة محمد و عيسى ابن مريم يدفن معه و اختلف فى موته قبل رفعه لظاهر قوله تعالى **(... اِنِّى مُتَوَفِّيكَ * الآية. آل عمران: ٥٥)** قال الحافظ و عليه اذا نزل الى الا رض و مضت المدة المقدورة له يموت ثانيا و قيل معنى **(مُتَوَفِّيكَ)** رافعك من الارض فعليه لا يموت الا فى آخر الزمان و قال فى موضع آخر رفع عيسى و هو حى على الصحيح و لم يثبت رفع ادريس و هو حى من طريق مرفوعة قو ية انتهى و فى الاصابة عيسى ابن مريم بنت عمران رسول الله و كلمته ألقاها الى مريم ذكره الذهبى فى التجريد مستدركا على من قبله فقال رأى النبى صلى الله عليه و سلم ليلة الاسراء و سلم عليه فهو نبى و صحابى و هو آخر من يموت من الصحابة و ألغزه القاضى تاج الدين السبكى فى قصيدته التى فى أواخر القواعد له فقال:

من باتفاق جميع الخلق أفضل من * خير الصحاب أبى بكر و من عمر

و من على و من عثمان و هو فتى * من أمة المصطفى المختار من مضر

و أنكر مغلطاى على من ذكر خالد بن سنان فى الصحابة كأبى موسى المدينى و قال ان ذكره لكونه ذكر النبى صلى الله عليه و سلم فكان ينبغى له أن يذكر عيسى و غيره من الانبياء أو من ذكره هو من الانبياء غيرهم و من المعلوم أنهم لا يذكرون فى الصحابة انتهى و يتجه ذكر عيسى خاصة لامور اقتضت ذلك و هى رفعه حيا على أحد القولين و أنه ينزل الى الارض فيقتل الدجال و أنه يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه و سلم فبهذه الثلاث يدخل فى تعريف الصحابى و هو الذى عليه عوّل الذهبى انتهى كلام الاصابة و

يؤيده اجتماعه بالمصطفى مزات فى غير ليلة الاسراء فى الطواف و غيره كما تقدم قريبا من رواية ابن عساكر و ابن عدى عن أنس و نقل السيوطى عن العلم القرا فى أنه تعقب قول الناظم و هو فتى بانه ان كان عنى عيسى فلا يطلق اسم الفتى على الانبياء انما يسمى به الصبيان و العبيد و الخدم و ان أراد ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه و سلم فلا يطلق عليه فتى فقد نص الازهرى على أن الصبى لا يسمى فتى حتى يراهق و ان أراد الحسن فابو بكر أفضل منه فلو قال شخص بدل فتى صح على عيسى و على ابراهيم و على فاطمة لحديث **(فاطمة بضعة منى)** قال مالك لا أفضل على بضعة من النبى صلى الله عليه و سلم أحدا انتهى.

(و كذلك من يقول) و هم الجمهور كما قال ابن عطية و المازرى و البغوى و القرطبى **(من العلماء بنبوة الخضر)** قائلين لان قوله تعالى **(... وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ اَمْرِي * الآية. الكهف: ٨٢)** يدل على أنه نبى يوحى اليه و لان النبى لا يتعلم ممن هو دونه و لان الحكم بالباطن لا يطلع عليه الا الانبياء ثم اختلفوا فى أنه رسول أم لا فقال الثعلبى الخضر نبى بعثه الله بعد شعياء و قالت طائفة منهم القشيرى هو ولى و أجابوا عن الآية باحتمال بعيد جدا هو أن الله أوحى الى نبى ذلك العصر بان يامر الخضر بذلك و هو بفتح الخاء و كسر الضاد المعجمتين و قد تسكن مع كسر الخاء و كنيته أبو العباس و فى الصحيحين عن أبى هريرة مرفوعا **(انما سمى الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هى تهتز من تحته خضراء)** زاد عبد الرزاق الفروة الحشيش الابيض و ما أشبهه قال عبد الله بن أحمد أظن هذا تفسيرا من عبد الرزاق و به جزم عياض و يوافقه قول الحربى الفروة من الارض قطعة يابسة من حشيش و قال ابن الاعرابى الفروة أرض بيضاء ليس فيها نبات و به جزم الخطابى و من تبعه و حكى مجاهد أنه قيل له الخضر لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله و اختلف فى اسمه و اسم أبيه و نسبه فالاصح الذى نقله أهل السير و ثبت عن النبى صلى الله عليه و سلم كما قال البغوى و غيره أن اسمه بليا بفتح الموحدة و سكون اللام فتحتية فالف و بخط الدمياطى فى أول الاسم نقطتان و قيل كالاول بزيادة ألف بعد الباء و قيل

اسمه الياس و قيل اليسع و قيل عامر وقيل ارميا بكسر أوله و قيل بضمه و أشبعها بعضهم واوا و قيل المعمر و قيل خضرون و قيل غير ذلك ابن ملكان بفتح الميم و سكون اللام ابن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح و على هذا فمولده قبل ابراهيم لانه يكون ابن عم جد ابراهيم و حكى الثعلبى قولين فى أنه كان قبل الخليل أو بعده و روى الدارقطنى عن ابن عباس قال هو ابن آدم لصلبه قال الحافظ و هذا ضعيف منقطع و حكى أبو حاتم السجستانى أنه ابن قابيل بن آدم و قيل ابن مالك بن عبد الله بن نصر بن الازد و قيل ابن غاييل بن معمر بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم و قيل الخضر ابن فرعون صاحب موسى و هو غريب جدا و قيل ابن بنت فرعون و قيل كان أبوه فارسيا و حكى السهيلى عن قوم انه كان ملكا من الملائكة و ليس من بنى آدم قال النووى و هو غريب ضعيف أو باطل و قيل انه من ذرية بعض من آمن بابراهيم و قيل انه الذى أماته الله مائة عام ثم بعثه فلا يموت حتى ينفخ فى الصور رواه الدارقطنى و زاد **(مد للخضر فى أجله حتى يكذب الدجال)** و نقل عبد الرزاق عن معمر قال بلغنى أن الخضر هو الذى يقتله الدجال ثم يحييه (و أنه باق الى اليوم فانه تابع لاحكام هذه الملة) قال ابن الصلاح هو حى عند جمهور العلماء و العامة معهم فى ذلك و انما شذ بانكاره بعض المحدثين و تبعه النووى و زاد و فى ذلك متفق عليه بين الصوفية و أهل الصلاح و حكاياتهم فى رؤيته و الاجتماع به و الاخذ عنه و سؤاله و جوابه و وجوده فى المواضع الشريفة أكثر من أن تحصر و أشهر من أن تذكر قال فى الاصابة لا يقال يستفاد من هذه الاخبار التواتر المعنوى لان المتواتر لا يشترط فيه عدالة انما العمدة على وروده بعدد تحيل العادة تواطئهم على الكذب فان اتفقت ألفاظه فذاك و ان اختلفت فمهما اجتمعت فهو التواتر المعنوى و هذه الحكايات تجتمع فى أن الخضر حى لانا نقول يطرق حكاية القطع قول جماعة من الصوفية لكل زمان خضر و أنه نقيب الاولياء و كلما مات نقيب أقيم نقيب مقامه و سمى الخضر فلا نقطع مع هذا أن الذى ينقل عنه الخضر صاحب موسى بل هو خضر ذلك الزمان و يؤيده اختلافهم فى صفته فمنهم من يراه شيخا أو كهلا أو شابا و هو محمول على تغاير المرئى و زمانه انتهى و روى ابن اسحق فى المبتدا عن أصحابه ان آدم أخبر بنيه عند الموت بامر الطوفان و دعا لمن يحفظ

جسده حتى يدفنه بالتعمير فجمع نوح بنيه لما وقع الطوفان و أعلمهم بذلك فحفظوه حتى كان الذى تولى دفنه الخضر و روى خيثمة بن سليمان عن جعفر الصادق عن أبيه أن ذاالقرنين كان له صديق من الملائكة فطلب منه أن يدله على شئ يطول به عمره فدله على عين الحيات و هى داخل الظلمة فسار اليها و الخضر على مقدمته فظفر بها الخضر فشرب منها و توضأ و اغتسل فيها و لم يظفر بها ذو القرنين فلا يموت حتى يرفع القرآن و أخرج ابن عدى بسند ضعيف عن عمرو بن عوف أن النبى صلى الله عليه و سلم سمع و هو فى المسجد كلاما فقال **(يا أنس اذهب الى هذا القائل فقل له يستغفر لى)** فذهب اليه فقال قل ان الله فضلك على الانبياء بما فضل به رمضان على الشهور و فضل أمتك على الامم مثل ما فضل يوم الجمعة على سائر الايام فذهبوا ينظرونه فاذا هو الخضر و روى ابن عساكر نحوه عن أنس باسناد أوهى منه قال ابن المنادى حديث واه منكر الاسناد سقيم المتن لم يراسل الخضر بينه و بين النبى صلى الله عليه و سلم و لم يلقه و استبعده ابن الجوزى من جهة امكان لقيه له صلى الله عليه و سلم و اجتماعه معه ثم لا يجئ اليه و جاء فى اجتماعه ببعض الصحابة أخبار أكثرها واهى الاسناد و قد جزم بموته و أنه غير موجود الآن البخارى و ابراهيم الحربى و أبو جعفر بن المناد و أبو يعلى بن الفراء و أبو طاهر العبادى و أبو بكر بن العربى و طائفة قال ابن عطية أخرج النقاش أخبارا كثيرة تدل على بقائه لا يقوم بشئ منها حجة قال لو كان باقيا كان له فى ابتداء الاسلام ظهور و لم يثبت شئ من ذلك انتهى و عمدتهم الحديث المشهور عن ابن عمر و جابر و غيرهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال فى آخر حياته **(لا يبقى على وجه الارض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد)** قال ابن عمر أراد بذلك انخرام قرنه و أجاب من أثبت حياته بانه كان حينئذ على وجه البحر أو هو مخصوص من الحديث كما خص منه ابليس باتفاق و من حجج من أنكر ذلك قوله تعالى **(وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ * الآية. الانبياء: ٣٤)** و حديث ابن عباس **(ما بعث الله نبيا الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد و هو حى ليؤمنن به و لينصرنه)** و لم يات فى خبر صحيح انه جاء الى النبى صلى الله عليه و سلم و لا قاتل معه و قد قال صلى الله عليه و سلم يوم بدر **(اللّهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض)** فلو كان

الخضر موجودا لم يصح هذا النفى و قال صلى الله عليه و سلم **(رحم الله موسى لوددنا لو كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما)** فلو كان الخضر موجودا لما حسن هذا التمنى و لا حضره بين يديه و أراه العجائب و كان أدعى لايمان الكفرة لا سيما أهل الكتاب و قد بسط الكلام فيه فى الاصابة بنحو كراس و ألم بشئ منه فى فتح البارى من جملته روى يعقوب بن سفيان فى تاريخه و أبو عروبة عن رياح بتحتية ابن عبيدة قال رأيت رجلا يماشى عمر بن عبد العزيز معتمدا على يديه فلما انصرف قلت له من الرجل قال رأيته قلت نعم قال أحسبك رجلا صالحا ذاك أخى الخضر بشرنى انى سألى و أعدل لا باس برجاله و لم يقع لى الى الآن خبر و لا أثر بسند جيد غيره و هذا لا يعارض الحديث فى مائة سنة لانه كان قبل المائة انتهى قال فى الاصابة و على بقائه الى زمن النبى صلى الله عليه و سلم و حياته بعده فهو داخل فى تعريف الصحابى على أحد الاقوال و لم أر من ذكره فيهم من القدماء مع ذهاب الاكثر الى الاخذ بما ورد من أخباره فى تعميره و بقائه (و كذلك الياس) بهمزة قطع اسم عبرانى و أما قوله تعالى **(سَلَامٌ عَلَىٰٓ اِلْ يَاسِينَ * الصافات: ١٣٠)** فقرأه الاكثر بصورة الاسم المذكور و زيادة ياء و نون فى آخره و قرأه أهل المدينة آل ياسين بفصل آل من ياسين و بعضهم تاوّل أن المراد آل محمد و هو بعيد و يؤيد الاوّل أن الله تعالى انما أخبر فى كل موضع ذكر فيه نبيا من الانبياء فى هذه السورة بان السلام عليه فكذلك السلام فى هذا الموضع على المبدأ بذكره فى قوله تعالى **(وَاِنَّ اِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * الصافات: ١٢٣)** و انما زيدت فيه الياء و النون كما قالوا فى ادريس ادراسين و نقل بعضهم الاجماع على أن ادريس جد نوح و فيه نظر لانه ان ثبت قول ابن عباس ان الياس هو ادريس لزم أن ادريس من ذرية نوح لقوله تعالى **(... وَمِنْ ذُرِّيَّتِهٖ دَاوُدَ وَ سُلَيْمٰنَ)** الى أن قال **(وعِيسىٰ وَاِلْيَاسَ الآية. الانعام: ٨٤ - ٨٥)** سواء كان ضمير ذريته لنوح أو لابراهيم لان من كان من ذريته هو من ذرية نوح لا محالة و ذكر ابن اسحق أن الياس هو ابن نسى بن فينحاس ابن العزر بن هارون أخى موسى بن عمران (على ما صححه أبو عبد الله) محمد بن فرج (القرطبى) المفسر (أنه حيّ أيضا) ذكر وهب فى المبتدا أن الياس عمر كما عمر الخضر و أنه يبقى الى آخر الزمان و روى الدارقطنى عن ابن عباس مرفوعا

(يجتمع الخضر و الياس كل عام فى الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير الا الله بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله بسم الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوّة الا بالله) و اسناده ضعيف و رواه ابن الجوزى بسند واه جدا و زاد قال صلى الله عليه و سلم **(ما من عبد قالها فى كل يوم الا أمن من الغرق و الحرق و السرق و كل شئ يكرهه حتى يمسى و كذلك حتى يصبح)** و رواه أحمد فى الزهد بسند حسن لكنه معضل عن عبد العزيز ابن أبى روّاد و زاد **(ويشربان من زمزم شربة تكفيهما الى قابل ويصومان رمضان ببيت المقدس)** و روى عن كعب الاحبار قال أربعة من الانبياء أحياء اثنان فى الارض الخضر و الياس و اثنان فى السماء ادريس و عيسى و روى الحاكم فى المستدرك عن أنس أن الياس اجتمع بالنبى صلى الله عليه و سلم و أكلا جميعا و أن طوله ثلثمائة ذراع و أنه قال انه لا يأكل فى السنة الا مرة واحدة قال الذهبى هذا خبر باطل و فى الاصابة يلزم من ذكر الخضر فى الصحابة أن يذكر الياس و من أغرب ما روى فيه انه هو الخضر فأخرج ابن مردو يه فى تفسير سورة الانعام عن ابن عباس مرفوعا الخضر هو الياس.

(وليس فى الرسل من يتبعه رسول) عاملا بشريعته تاركا للشرع الذى أوحى اليه به **(الا نبينا صلى الله عليه وسلم)** لانه نبى الانبياء (و كفى بهذا شرفا لهذه الامة المحمدية زادها الله شرفا فالحمد لله الذى خصنا بهذه الرحمة و أسبغ) أفاض و أتم علينا (هذه النعمة و من علينا بما عمنا به من الفضائل الجمة) الكثيرة (و نوّه بنا) أى رفع ذكرنا (فى كتابه العزيز بقوله (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ) أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ * الآية. آل عمران: ١١٠**) فتامل قوله **(كنتم)** الدال على ثبوت قدم الخيرية لهم من قبل وجود الامم (أى فى اللوح المحفوظ وقيل **(كنتم)** فى علم الله) و القصد بهذين القولين تحقيق معنى المضى و قيل معنى **(كنتم)** أنتم كقوله **(... وَاذْكُرُوٓا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً * الآية. الاعراف: ٨٦)** و فى موضع آخر **(... إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ * الآية. الانفال: ٢٦)** و أشار البغوى الى ترجيح الاوّل بما أخرجه هو و أحمد و الترمذى و غيرهم عن معاو ية بن حيدة انه سمع النبى صلى الله عليه و سلم يقول فى قوله

عز و جل (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ * الآية. آل عمران: ١١٠**) قال (**انكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها و اكرمها على الله**) (فينبغى لمن هو من هذه الامة المحمدية أن يتخلق بالاخلاق الزكية) بملازمة الطاعات و اجتناب المنهيات (ليثبت له ما لهذه الامة الشريفة) بشرف نبيها (من الاوصاف المرضية) لله و عباده المتقين (و يتأهل لما لها من الخيرية قال مجاهد) فى تفسير قوله تعالى ((**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ...**) اذا كنتم على الشرائط المذكورة أى) قوله ((**تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...**)) (**وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ * الآية. آل عمران: ١١٠**) لان ذلك استئناف لبيان الخيرية فهو شرط فيها فمن لم يكن كذلك لم يتصف بالخيرية (و قيل انما صارت) أى كانت و وجدت (أمة محمد صلى الله عليه و سلم خير أمة لان المسلمين منهم أكثروا الامر بالمعروف و النهى عن المنكر فيهم أشهر) و هذا كله على أن الخطاب للامة كلهم (و قيل هذا) الخطاب (لاصحاب محمد صلى الله عليه و سلم كما قال عليه الصلاة و السلام) فى الصحيحين و غيرهما ((**خير الناس**)) و فى رواية (**خير أمتى (قرنى)**) أى أهل عصرى يعنى الصحابة و مدتهم من البعثة مائة و عشرون سنة أو دونها أو فوقها بقليل على الخلاف فى وفاة آخر الصحابة موتا أبى الطفيل و ان اعتبر من وفاته صلى الله عليه و سلم كان مائة أو تسعين أو سبعا و تسعين ((**ثم الذين يلونهم**)) أى القرن الذين بعدهم و هم التابعون و مدتهم نحو سبعين أو ثمانين سنة ان اعتبر من سنة مائة ((**ثم الذين يلونهم**)) و هو اتباع التابعين نحوا من خمسين الى حدود عشرين و مائتين فمدة القرن تختلف باختلاف أعمار كل زمان و مرّ الحديث قريبا (و هذا يدل على ان أوّل هذه الامة أفضل ممن بعدها و الى هذا ذهب معظم العلماء و ان من صحبه صلى الله عليه و سلم و رآه و لو مرة من عمره أفضل من كل من ياتى بعده و ان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل) عطف علة على معلول (هذا مذهب الجمهور) اطناب مساو لقوله معظم العلماء (و ذهب أبو عمر بن عبد البر الى انه قد يكون فيمن ياتى بعد الصحابة أفضل ممن كان فى جملة الصحابة) كمن رآه مرة (و ان قوله عليه الصلاة و السلام (**خير الناس قرنى**) ليس على عمومه بدليل ما يجمع القرن من الفاضل و المفضول و قد جمع قرنه عليه الصلاة و السلام جماعة من المنافقين المظهرين للايمان) لكن فى الاستظهار بذكر هؤلاء على الدعوى شئ اذ

هؤلاء كفار و الكلام فى المؤمنين (و أهل الكبائر الذين أقام عليهم و على بعضهم الحدود) و فى الاستظهار بهم أيضا شئ فالحدود جوابر على الصحيح (و قد روى أبو امامة) الباهلى صدى بالتصغير ابن عجلان صحابى مشهور سكن الشام و مات بها سنة ست و ثمانين (انه صلى الله عليه و سلم قال **(طوبى)**) تانيث أطيب أى راحة و طيب عيش حاصل (**(لمن رآنى وآمن بى و طوبى سبع مرات)**) المتبادر أنه قال هذا اللفظ لا انه كرر **(طوبى)** سبعا (**(لمن لم يرنى وآمن بى)**) لان الله مدح المؤمنين بايمانهم بالغيب و ايمان الصحابة بالله و اليوم الآخر غيبا و بالنبى صلى الله عليه و سلم شهودا للآيات و المعجزات و من بعدهم آمنوا غيبا بما آمنوا به شهودا فلذا أثنى عليهم و حديث أبى امامة هذا أخرجه أحمد و البخارى فى التاريخ و ابن حبان و الحاكم بلفظ **(طوبى لمن رآنى وآمن بى مرة وطوبى لمن لم يرنى وآمن بى سبع مرات)** فزاد **(مرة)** و أخر **(سبع مرات)** و صححه الحاكم و تعقب لكن له شاهد من حديث أنس عند أحمد و روى الطيالسى و عبد بن حميد عن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم فقيل له أرأيت من آمن بك و لم يرك و صدقك و لم يرك قال **(أولئك اخوانى أولئك معى طوبى لمن رآنى وآمن بى وطوبى لمن آمن بى و لم يرنى ثلاث مرات)** و لا يعارض ما قبله لانه أخبر بما علمه أوّلا ثم زيد فاخبر به و يدل على ذلك حديث الطبرانى عن ابن عمر و ابن النجار عن أبى هريرة رفعاه **(طوبى لمن أدركنى و آمن بى وطوبى لمن لم يدركنى ثم آمن بى)** فاخبر أن كلا له طوبى و لم يذكر عددا لانه قبل ان يوحى اليه بالعدد و أخرج أحمد و ابن حبان عن أبى سعيد أن رجلا قال يا رسول الله طوبى لمن رآك و آمن بك فقال صلى الله عليه و سلم **(طوبى لمن رآنى وآمن بى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بى و لم يرنى)** فقال رجل يا رسول الله و ما طوبى قال **(شجرة فى الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها)** و روى الطبرانى برجال ثقات و الحاكم عن عبد الله بن بسر مرفوعا **(طوبى لمن رآنى وآمن بى وطوبى لمن رأى من رآنى و طوبى لمن رأى من رأى من رآنى طوبى لهم وحسن مآب)** (و فى مسند أبى داود) سليمان بن داود ابن الجارود (الطيالسى) البصرى ثقة حافظ روى له مسلم و الاربعة و مات سنة أربع و مائتين (عن محمد بن أبى حميد) ابراهيم الانصارى الزرقى المدنى ضعيف روى له

الـترمذى و ابن ماجه (عن زيد بن أسلم) العدوى المدنى ثقة عالم من رجال الجميع مات سـنـة سـت و ثـلا ثين و مـائة (عن أبيه) أسلم مولى عمر ثقة مخضرم روى له الجميع و مات سنة ثمانين و قيل بعد سنة ستين و هو ابن أربع عشرة و مائة سنة (عن عمر) ابن الخطاب (قال كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال **(أتدرون أى الخلق أفضل ايمانا)** قـلـنـا المـلائـكة) لانهم لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يـؤمرون (قال **(وحق)**) بفتح الحـاء مـن حـق لازمـا أى ثـبـت (**(هـم)**) و بضم الحاء من المتعدى أى أثبت و يبنى منه للمفعول فيقال حق لك أن تفعل كذا بالضم كما فى القاموس و اقتصر المصباح على اللازم (**(بـل)**) مـرادى (**(غـيـرهـم)**) أو غـيـرهم المراد فهو بالرفع و يحتمل النصب بتقدير اريد غيرهم (قلنا الانبياء قال **(وحق هم بل غيرهم)** ثم قال صلى الله عليه و سلم **(أفضل الخلق ايمانا قوم فى أصلاب الرجال يؤمنون بى و لم يرونى فهم أفضل الخلق ايمانا)**) اعادة تاكيدا و المـراد مـن **(أفـضـل)** فـلا يـنـافى قـوله صلى الله عليه و سلم **(أفضل المؤمنين اسلاما من سلم المسلمون من لسانه ويده و أفضل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا)** رواه الطبرانى باسناد حسن و روى ابـن مـاجـه و صححه الحاكم مرفوعا **(أفضل المؤمنين أحسنهم خلقا)** و لا قوله صلى الله عليه و سلم **(أفضل المؤمنين ايمانا المقل الذى اذا سأل أعطى و اذا لم يعط استغنى)** رواه ابـن مـاجـه و الخـطيب و يجمع بينهما أيضا باعتبار الجهة أى أفضل الخلق من جهة الايمان بالغيب و هكذا (و روى أن عمر بن عبد العزيز) الامام العادل (لما ولى الخلافة كتب الى سـالم بن عبد الله) بن عمر أحد الفقهاء (أن اكتب الى بسيرة عمر بن الخطاب لاعمل بها فـكتب اليه سالم ان عملت بسيرة عمر فانت أفضل من عمر لان زمانك ليس كزمان عمر و لا رجـالـك كـرجال عمر) أى و لا يمكنك ذلك لانه لا يتصوّر فالتعليق على محال (قال و كـتب الى فقهاء زمانه فكلهم كتب بمثل قول سالم) ترغيبا له و حثا على العدل الذى رامه (قال أبو عمر) بن عبد البر بعد ذكر هذا و أحاديث أخر (فهذه الاحاديث تقتضى مع تواتر طـرقها) تواترا معنو يا لا تفاقها على تفضيل العامل فى أى زمان (و حسنها) باعتبار المجموع (الـتسو ية بين أول هذه الامة و آخرها فى فضل العمل الا أهل بدر و الحديبية) لنصه صلى الله عـلـيـه و سـلـم على أفـضلية أهلهما على من سواهما فمحل النزاع فيمن لم يحصل له الا

مجرد المشاهدة (و من تدبر هذا الباب بان له الصواب انتهى و اسناد حديث أبى داود الطيالسى عن عمر ضعيف) لضعف محمد بن أبى حميد (فلا يحتج به) فتحسين ابن عبد البر ما حكم على المجموع لانه قال و حسنها بعد أحاديث عدة و أبرز سند حديث عمر أو باعتبار شاهده الذى استدركه بقوله (لكن روى أحمد و الدارمى و الطبرانى عن أبى عبيدة) عامر بن الجراح أحد العشرة انه قال (يا رسول الله أحد) بتقدير أداة الاستفهام همزة أو هل أحد (خير منا أسلمنا معك و جاهدنا معك قال) **(خير منكم (قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بى و لم يرونى)** و اسناده حسن و صححه الحاكم) و هو بمعنى حديث عمر فهو شاهده (و الحق ما عليه الجمهور ان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه و سلم) و لو مرة و ذلك لا يكون لمن بعد الصحابة و لو بلغوا ما بلغوا (و الدلائل على أفضلية الصحابة على غيرهم كثيرة متظاهرة لا نطيل بذكرها و سياتى بقية مباحث ذلك فى فضل الصحابة من المقصد السابع ان شاء الله تعالى) بما منه ما محصله انه يمكن تاويل الاحاديث المتقدمة بان زيادة الاجر و الخيرية بسبب الايمان بالغيب دون مشاهدة الآيات لا تستلزم الافضلية المطلقة فانما يقع التفاضل بالنسبة الى ما يماثله و ما فاز به من شاهده صلى الله عليه و سلم لم يفز به من لم يقع له ذلك فلا يعدله فيه أحد.

(و قد خص الله تعالى هذه الامة الشريفة) أى أمة الاجابة **(بخصائص لم يؤتها أمة قبلهم)** كالصفة الكاشفة لما قبلها فان عدم ايتائها لمن قبلهم هو معنى تخصيصهم بها (أبان) أظهر (بها فضلهم) على غيرهم و كذلك خص أمة الدعوة برفع ما كان من أنواع العذاب فى الامم السابقة كالخسف و نحوه لكن لم تعد كمالات لهم لكفرهم و لانها لم تنجهم من العذاب الاشد و متاع الدنيا قليل (و الاخبار و الآثار) عطف خاص على عام أو مباين (ناطقة بذلك) أى دالة دلالة قوية كالنطق و بين بعضها مقتصرا عليه لان دلالتها أوضح و كافية فى المقصود بقوله (فخرج أبو نعيم) أحمد بن عبد الله الاصفهانى (عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم **(ان موسى عليه الصلاة و السلام لما نزلت عليه التوراة و قرأها فوجد فيها ذكر هذه الامة)**) بالاوصاف الحميدة التى لم توجد

لغيرها (**(قال يا رب انى أجد فى الالواح)**) التى أنزلت التوراة فيها و كانت تسعة ألواح و قيل عشرة و فى الحديث **(كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعا)** و قال الحسن كانت من خشب و الكلبى كانت من زبرجدة خضراء و سعيد بن جبير من ياقوت أحمر و الربيع بن أنس كانت من برد و ابن جريج من زمرد أمر الله جبريل حتى جاء بها من عدن و كتبها بالقلم الذى كتب به الذكر و استمد من نهر النور قال وهب أمره الله بقطع ألواح من صخرة صماء لينها الله له فقطعها بيده ثم شققها باصبعه قالت الرواة كانت التوراة سبعة أسباع فلما ألقى الالواح تكسرت فرفعت ستة أسباعها و بقى سبع فرفع ما كان من أخبار الغيب و بقى ما فيه المواعظ و الاحكام و الحلال و الحرام كذا فى المعالم (**(أمة هم الآخرون)**) زمانا فى الدنيا (**(السابقون)**) أهل الكتاب و غيرهم منزلة و كرامة فى الحشر و الحساب و القضاء لهم قبل الخلائق و فى دخول الجنة قبل الامم و فى الصحيحين عن أبى هريرة سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول **(نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أتوا الكتاب من قبلنا)** الحديث و فى رواية مسلم **(نحن الآخرون من أهل الدنيا و السابقون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق (فاجعلها أمتى قال تلك أمة أحمد قال يا رب انى أجد فى الالواح أمة أناجيلهم)**) مصاحفهم أى ما فيها محفوظ (**(فى صدورهم)**) أى قلوبهم قال فى الاتقان فيه تسمية القرآن انجيلا و روى ابن الضريس و غيره عن كعب قال فى التوراة يا محمد انى منزل عليك توراة حديثة تفتح أعينا عميا و آذانا صما و قلوبا غلفا ففيه تسمية القرآن توراة و مع هذا لا يجوز الآن أن يطلق عليه ذلك و هذا كما سميت التوراة فرقانا فى قوله تعالى **(وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ * الآية. البقرة: ٥٣)** و سمى صلى الله عليه و سلم الزبور قرآنا فى قوله **(خفف على داود القرآن ([١] يقرؤنها)** وكان من قبلهم يقرؤن كتبهم ولا يحفظونها قال الربيع بن أنس نزلت التوراة سبعين وقر بعير الجزء منها فى ستة لم يقرأها الا أربعة موسى و يوشع وعزير وعيسى و بتفسير الاناجيل بالمصاحف يكون تجوّز بكتاب عيسى عن بقية الكتب تسمية للمطلق باسم المقيد ثم استعملها فى القرآن خاصة و جمعه نظرا الى أن ما يلفظ به قارئ مغاير لما

---

(١) قوله يقرؤنها فى بعض نسخ المتن يقرؤنها ظاهرا و كتب عليه أى يحفظونها عن ظهر قلب اهـ.

يلفظ به غيره من حيث التلفظ و ان كان المقروء واحدا اذ القرآن اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه و سلم و لا يتعدد بتعدد محله فالمقروء على لسانه عليه الصلاة و السلام هو المتلو الآن و المختلف التلفظ لا نفس الالفاظ و الا لكان ما يقرؤه المصطفى غير ما قرأه جبريل و هو باطل قطعا (**(فاجعلها أمتى قال تلك أمة أحمد قال يا رب انى أجد فى الالواح أمة يجعلون الصدقة فى بطونهم)**) أى ما يصرفونه على أنفسهم و أهاليهم (**(يؤجرون)**) أى يثابون (**(عليها)**) ثواب الصدقة بالمال على الغير لانه ينكف بذلك عن السؤال و يكف أهله كما قال صلى الله عليه و سلم **(كل معروف صدقة و ما أنفق المسلم من نفقة على نفسه و أهله كتب له بها صدقة)** الحديث رواه عبد بن حميد و الحاكم و صححه عن جابر و فى كتاب البشر لابن ظفر هكذا الرواية **(يأكلون كفاراتهم و صدقاتهم)** و معنى ذلك انهم يطعمونها مساكينهم و لا يحرقونها كما كانت الامم تفعل و جاء فى حديث غير هذا مما هو منسوب الى كتب الله السالفة **(يأكلون قرابينهم فى بطونهم)** فالمراد بهذا اللفظ الضحايا و ما يؤكل من الهدايا انتهى و تبعه بعضهم فقال اى ياكلها فقراؤهم الذين هم منهم و كان من قبلهم انما تاكل صدقاتهم و قرابينهم نار تنزل من السماء ان كانت مقبولة و الا بقيت بحالها انتهى و هو و ان صح فى نفسه الا أن اللفظ و الامتنان عليهم بذلك ينبو عنه و يبعده فالحمل الاول أولى لا سيما و يؤيده أحاديث (**(فاجعلها أمتى قال تلك أمة أحمد قال يا رب انى أجد فى الالواح أمة يأكلون الفىء)**) أى ما أخذ من الكفار بلا قهر أو به فيشمل الغنيمة لان كلا منهما اذا انفرد عم الآخر هكذا ثبتت هذه الجملة فى أصل صحيح عليه خط المصنف و سقطت فى غالب النسخ (**(فاجعلها أمتى قال تلك أمة أحمد قال يا رب انى أجد فى الالواح أمة اذا هم أحدهم بحسنة)**) أى عقد عزمه عليها (**(فلم يعملها)**) بفتح الميم (**(كتبت له حسنة واحدة)**) كاملة لا نقص فيها و ان نشأت عن مجرد الهم سواء كان الترك لمانع أم لا قيل ما لم يقصد به الاعراض عنها و الا لم تكتب و فى الصحيحين **(فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة)** أى قدرها أو أمر الحفظة بكتابتها (**(و ان عملها)**) بكسر الميم (**(كتبت له عشر حسنات)**) لانه أخرجها من الهم الى العمل و **(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا * الآية. الانعام: ١٦٠)** و فى الصحيحين

(فان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة) فالعشرة أقل ما وعد به من الاضعاف حتى قيل المراد بها الكثرة لا العدد (**(فاجعلها أمتى قال تلك أمة أحمد قال يا رب انى أجد فى الالواح امة اذا هم أحدهم بسيئة فلم يعملها)**) بجوارحه و لا بقلبه (**(لم تكتب)**) عليه سيئة بل تكتب حسنة كما فى الصحيحين **(و ان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة (و ان عملها كتبت سيئة واحدة)**) لم توصف بكاملة تفضلا منه و لمطابقة قوله تعالى **(... وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَىٰ اِلاَّ مِثْلَهَا * الآية. الانعام: ١٦٠)** و لافادة أنها لا تتضاعف قال العز بن عبد السلام [١] و لافادة أنها لا تكتب اثنتين واحدة للعمل و واحدة للهم حيث انضم له العمل و استثنى بعضهم الحرم المكى فتضاعف فيه السيئات كالحسنات لتعظيم حرمته و الجمهور على التعميم فى الازمنة و الامكنة و لا يرد على ذلك قوله تعالى **(... مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ * الآية. الاحزاب: ٣٠)** لانه ورد تعظيما لحقه صلى الله عليه و سلم لان وقوعه من نسائه يقتضى أمرا زائدا على الفاحشة و هو أذاه و قوله تعالى **(... وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ اَليمٍ * الحج: ٢٥)** قال قتادة و مجاهد الالحاد هو الشرك و عبادة غير الله و قال عطاء دخول الحرم بلا احرام أو ارتكاب شىء من محظورات الحرم من قتل صيد أو قطع شجر و قال ابن عباس هو أن تقتل من لا يقتلك أو تظلم من لا يظلمك و قال قوم هو كل شىء كان منهيا عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم و لكنه لا يدل على تضعيف العدد (**(فاجعلها أمتى قال تلك أمة أحمد قال يا رب انى أجد فى الالواح امة يؤتون العلم الاول)**) الذى أنزل على الانبياء قبل المصطفى (**(و العلم الآخر)**) الذى نزل على نبينا صلى الله عليه و سلم من الاحكام التى ليست من الشرائع السابقة (**(فيقتلون المسيح الدجال)**) نسبه اليهم لقتله فى زمانهم على يد عيسى عليه السلام و هو واحد منهم (**(فاجعلها امتى قال تلك امة أحمد قال يا رب فاجعلنى من امة أحمد فاعطى عند ذلك خصلتين)**) أى اخبر بان الله اكرمه بهما فلا ينافى ان الرسالة و الكلام سابقان على ذلك و فى رواية كعب الاحبار فلما عجز موسى قال يا ليتنى من أصحاب محمد فاوحى الله اليه

---

(١) عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام الشافعى المصرى المتوفى سنة ٦٦٠ هـ . (١٢٦٢ م).

ثلاث آيات يرضيه بها (فـ **(قَالَ يَا مُوسَىٰٓ إِنِّيٓ اَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ * الآية. الاعراف: ١٤٤)**) الموجودين فى زمانك و هرون و ان كان نبيا كان ماموراً باتباعه و لم يك كليما و لا صاحب شرع (**(برسالاتى)**) بالتوحيد قراءة أهل الحجاز و بالجمع قراءة غيرهم (**(و بكلامى)**) تكليمى اياك (**(فخذ ما اتيتك)**) من الفضل (**(وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ * الاعراف: ١٤٤)**) لانْعُمى قال البغوى فان قيل ما معنى اصطفائه بالرسالة و قد اعطاها غيره قيل لما لم يكن على العموم فى حق الناس كافة استقام قوله **(اصطفيتك على الناس)** و ان شاركه فيه غيره كما تقول خصصتك بمشورتى و ان شاورت غيره اذا لم تكن المشورة على العموم يكون مستقيما و فى القصة ان موسى لما كلمه ربه لم يستطع أحد ان ينظر اليه لما غشى وجهه من النور و لم يزل على وجهه برقع حتى مات و قالت له امرأته انا أيم منك منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها و خرت لله ساجدة و قالت ادع الله أن يجعلنى زوجك فى الجنة قال ذاك ان لم تتزوّجى بعدى فان المرأة لآخر أزواجها انتهى و فى الانوار روى ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة و اعطاء التوراة كان يوم النحر (**(قال قد رضيت يا رب)**) و روى البغوى من طريق أبى العباس السراج بسنده عن كعب الاحبار هذا الحديث مطولا غير مرفوع و قال فى آخره **(فلما عجز موسى عن الخير الذى أعطى الله محمدا و أمته قال يا ليتنى من اصحاب محمد فأوحى الله اليه ثلاث آيات يرضيه بهن (يَا مُوسَىٰٓ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ)** الى قوله **(سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ * الاعراف: ١٤٤-١٤٥)** **(وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ * الاعراف: ١٥٩)** قال **(فرضى موسى كل الرضا)** (و روى ابن طغر بك) بضم الطاء المهملة و الراء بينهما معجمة ساكنة ثم موحدة مفتوحة كأنه علم مركب من طغر و بك لقب للامام العلامة المحدث سيف الدين أبى جعفر عمر بن أيوب بن عمر الحميرى التركمانى الدمشقى الحنفى لم أر له فى ابن خلكان ترجمة انما فيه آخر من الامراء بهذا الضبط و زيادة لام ساكنة بعد الراء و قدمت هذا فى أول الكتاب (فى) كتاب (النطق المفهوم عن ابن عباس رفعه) لفظة استعملها المحدثون بمعنى قال صلى الله عليه و سلم (**(قال موسى يا رب فهل فى الامم أكرم عليك من أمتى ظللت عليهم الغمام)**) سترتهم بالسحاب الرقيق من حر

الشمس فى التيه (**(وأنزلت عليهم)**) فيه (**(المن و السلوى)**) هما الترنجبين و الطير السمانى بتخفيف الميم و القصر (**(فقال)**) الله (**(سبحانه وتعالى يا موسى أما علمت ان فضل أمة محمد على سائر)**) باقى (**(الامم كفضلى على جميع خلقى)**) و تلك مزايا لا تقتضى التفضيل (**(قال يا رب فارنيهم قال لن تراهم و لكن اسمعك كلامهم فناداهم الله تعالى فاجابوا كلهم بصوت واحد لبيك اللّهمّ لبيك)**) اجابة لك بعد اجابة (**(وهم فى اصلاب آبائهم وبطون أمهاتهم)**) أى بعض أصول هذه الامة كان حينئذ فى أصلاب الآباء و بعضهم فى بطون الامهات بخلافه حين أخذ العهد على الذرية فلم يكن أحد موجودا فى بطون الامهات و لذا لم تذكر فى قوله تعالى **(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ * الآية. الاعراف: ١٧٢)** (**(فقال سبحانه وتعالى صلاتى)**) رحمتى و مغفرتى (**(عليكم و رحمتى سبقت)**) و فى رواية **(غلبت)** أى غلبت آثار رحمتى على آثار (**(غضبى)**) و المراد لازمه و هو ارادة ايصال العذاب الى من يقع عليه الغضب و اليه اشار بقوله (**(وعفوى سبق عذابى)**) و فى مسلم عن أبى هريرة مرفوعا قال الله تعالى **(سبقت رحمتى غضبى)** و فى البخارى عنه رفعه **(ان الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه ان رحمتى سبقت غضبى)** قال فى الفتح فى رواية **(غلبت)** و المراد من الغضب لازمه و هو ارادة ايصال العذاب الى من يقع عليه الغضب و السبق و الغلبة باعتبار التعلق أى تعلق الرحمة غالب سابق على تعلق الغضب لان الرحمة مقتضى ذاته المقدسة و اما الغضب فيتوقف على سابقة عمل من العبد الحادث و بهذا التقرير يندفع استشكال من أورد وقوع العذاب قبل الرحمة فى بعض المواطن كمن يدخل النار من الموحدين ثم يخرج بالشفاعة و غيرها و قيل معنى الغلبة الكثرة و الشمول تقول غلب على فلان الكرم أى هو أكثر أفعاله و هذا كله بناء على ان الرحمة و الغضب من صفات الذات و قال بعض العلماء انهما من صفات الفعل لا من صفات الذات و لا مانع من تقدم بعض الافعال على بعض فتكون الاشارة بالرحمة الى اسكان آدم الجنة أول ما خلق مثلا و مقابله ما وقع من اخراجه منها و على ذلك استمرت أحوال الامم تتقدم الرحمة فى حقهم بالتوسيع عليهم فى الرزق وغيره ثم يقع بهم العذاب على كفرهم و أما ما أشكل من أمر من يعذب من الموحدين فالرحمة سابقة فى

حقهم أيضا و لولا وجودها لخلدوا أبدا و قال الطيبى فى سبق الرحمة اشارة الى ان قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من الغضب و انها تنالهم من غير استحقاق و أن الغضب لا ينالهم الا بالاستحقاق فالرحمة تشمل الشخص جنينا و رضيعا و فطيما و ناشئا قبل ان يصدر منه شئ من الطاعات و لا يلحقه الغضب الا بعد أن يصدر عنه من الذنوب ما يستحق معه ذلك انتهى و فى المصابيح الرحمة ارادة الثواب و الغضب ارادة العقاب و الصفات لا توصف بغلبة و لا يسبق بعضها بعضا لكن هذا ورد على الاستعارة و لا منع من جعل الرحمة و الغضب صفتى فعل لا ذات فالرحمة الثواب و الاحسان و الغضب الانتقام و العذاب فتكون الغلبة على بابها انتهى (**(أستجيب لكم قبل ان تسألونى)**) زيادة فى الاكرام (**(فمن لقينى منكم يشهد أن لا اله الا الله و ان محمدا رسول الله غفرت له ذنوبه)**) و فى مسلم عن عبادة مرفوعا **(من شهد ان لا اله الا الله و ان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار)** و فى الصحيحين مرفوعا **(من شهد أن لا اله الا الله وجبت له الجنة)** و فى الطبرانى رفعه **(من شهد أن لا اله الا الله خالصا من قلبه دخل الجنة و لم تمسه النار)** و فى بسط الكلام فى هذا طول (قال صلى الله عليه و سلم **(فاراد الله ان يمن على بذلك فقال و ما كنت بجانب الطور)**) الجبل (**(اذ نادينا أى أمتك حين اسمعنا موسى كلامهم)**) و فى البغوى قيل نادينا موسى خذ الكتاب بقوة و قال وهب قال موسى يا رب أرنى محمدا قال انك لن تصل الى ذلك و ان شئت ناديت أمته و اسمعتك صوتهم قال بلى يا رب قال الله تعالى يا أمة محمد فاجابوه من اصلاب آبائهم و قال أبو زرعة بن عمرو بن جرير نادى يا أمة محمد قد أجبتكم قبل ان تدعونى و اعطيتكم قبل ان تسالونى و روى عن ابن عباس و رفعه بعضهم قال الله يا أمة أحمد فاجابوا من أصلاب الآباء و أرحام الامهات لبيك اللّهمّ لبيك ان الحمد و النعمة لك و الملك لا شريك لك قال تعالى يا أمة محمد ان رحمتى سبقت غضبى و عفوى عقابى قد اعطيتكم من قبل أن تسالونى وقد أجبتكم من قبل ان تدعونى و قد غفرت لكم من قبل ان تعصونى من جاءنى يوم القيامة بشهادة ان لا اله الا الله و أن محمدا عبدى و رسولى دخل الجنة و ان كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر انتهى (و رواه قتادة و زاد **(فقال يا رب ما أحسن أصوات أمة محمد)** صلى الله عليه و سلم **(اسمعنى مرة**

أخرى)) اصواتهم و لم أر هل اسمعه أم لا (و فى) كتاب (الحلية) أى حلية الاولياء و طبقات الاصفياء (لابى نعيم) أحمد بن عبد الله الاصفهانى الحافظ الشهير (عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم **(أوحى الله تعالى الى موسى نبئ)**) خبر (**(بنى اسرائيل)**) يعقوب (**(انه من لقينى و هو جاحد باحمد أدخلته النار)**) خالدا فيها لكفره به (**(قال يا رب ومن أحمد قال ما خلقت خلقا أكرم على منه)**) بل هو الاكرم و كان الظاهر فى جواب السؤال ان يقال هو أحمد بن عبد الله الهاشمى من ذرية عمك اسماعيل بن ابراهيم مثلا ليتميز عند السائل عن غيره لكنه عدل عن ذلك الى ما يفهم منه الجواب زيادة فى تبجيله كما أشار اليه بقوله (**(كتبت اسمه مع اسمى فى العرش)**) أى عليه (**(قبل أن أخلق السموات و الارض)**) حين خلقت العرش فاضطرب و هو أول المخلوقات بعد النور المحمدى روى أبو الشيخ و الحاكم و صححه عن ابن عباس **(أوحى الله الى عيسى آمن بمحمد و مر أمتك ان يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن)** و هذا لا يقال رأيا فحكمه الرفع (**(ان الجنة)**) دار الثواب (**(محرمة)**) ممنوعة (**(على جميع خلقى حتى يدخلها هو وأمته)**) حكم على الجملة فلا ينافى ان الانبياء تدخلها قبل هذه الامة كما رواه ابن ماجه و للطبرانى و الدارقطنى عن عمر مرفوعا **(ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى ادخلها و حرمت على الامم حتى تدخلها أمتى (قال و من أمته قال الحمادون)**) صيغة مبالغة أى الكثيرون الحمد و تعريف الطرفين يفيد الحصر فكثرة الحمد مختصة بهم و هو بالنظر الى الغالب أو المجموع أو الموفقين منهم أو هذا من شانهم و كأنه قيل ما سبب وصفهم بالمبالغة فاجاب بقوله (**(يحمدون)**) على الاستئناف البيانى جوابا لسؤال اقتضته الاولى و لذا ترك العاطف (**(صعودا)**) الى المحل العالى (**(وهبوطا)**) الى الاسفل و قال ابن القيم [١] كان النبى صلى الله عليه و سلم و أصحابه اذا علوا الثنايا كبروا و اذا هبطوا سبحوا فوضعت الصلاة على ذلك (**(وعلى كل حال)**) من قيام و قعود و اضطجاع و حضر و سفر و سراء و هو سعة العيش و السرور و ضراء كالامراض و المصائب فهم راضون

---

(١) شمس الدين بن عبد الله الشهير بابن القيم الجوزيه المتوفى سنة ٧٥٢ هـ . و هو من تلاميذ ابن تيمية.

عن الله فى كل حال و روى النسائى عن ابن عباس مرفوعا **(المؤمن بخير على كل حال تنزع نفسه من بين جنبيه و هو يحمد الله)** و لما أحس معاذ بالموت قال مرحبا بحبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم الحمد لله و الحمد لا يلزم كونه فى مقابلة نعمة كالشكر فلا يحتاج الحمد فى الضراء للتوجيه بمنفعة الثواب عليها (**(يشدون أوساطهم)**) بالازر كما ثبت فى هذا الحديث المرفوع و مثله نقل عن التوراة و الانجيل و للديلمى مرفوعا **(ائتزروا كما رأيت الملائكة تأتزر عند ربها الى انصاف سوقها)** و لذا عد من خصائص هذه الامة و توقف فيه بانه ليس فيه ان الامم الماضية لم تكن تأتزر و لا تثبت الخصوصية بالاحتمال و يدفع بان المتبادر من وصفهم بذلك الاختصاص و لا يلزم النص على لفظ الخصوصية نعم يحتمل أن المراد بشد الازر الاجتهاد فى العبادة بحيث يقومون لها بنشاط و فراغ قلب نحو ما قيل فى خبر كان اذا دخل العشر الاخير من رمضان شد مئزره و يكون وجه الاختصاص اتيانهم بها على وجه أكمل من الامم السابقة (**(ويطهرون اطرافهم)**) أى يتوضؤون (**(صائمون بالنهار رهبان)**) عباد (**(بالليل أقبل منهم)**) العمل (**(اليسير)**) و اثيبهم عليه الثواب الكثير رحمة منه بهم روى مالك و أحمد و البخارى و غيرهم عن ابن عمر مرفوعا **(انما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس أوتى اهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى اذا انتصف النهار عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتى أهل الانجيل الانجيل فعملوا الى العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتينا القرآن فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فقال أهل الكتاب ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن أكثر عملا قال هل ظلمتكم من أجركم من شئ قالوا لا قال فهو فضلى أوتيه من أشاء)** قال السيوطى و المراد تشبيه من تقدم باول النهار الى الظهر و العصر فى كثرة العمل الشاق و التكليف و تشبيه هذه الامة بما بين العصر و الليل فى قلة ذلك و تخفيفه و ليس المراد طول الزمن و قصره اذ مدة هذه الامة أطول من مدة أهل الانجيل قال امام الحرمين الاحكام لا تؤخذ من الاحاديث التى لضرب الامثال انتهى (**(وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا اله الا الله)**) يعنى و ان محمدا رسول الله فاكتفى باحداهما عن الاخرى لكونهما صارا كالشئ الواحد (**(قال)**) موسى (**(اجعلنى نبى تلك الامة)**)

فـان قـيـل كـيـف ساغ سؤال موسى عليه السلام ذلك مع اخبار الله تعالى له انهم أمة أحمد قـلـت (**(قال نبيها منها قال اجعلني من أمة ذلك النبى قال استقدمت)**) فى الوجود الزمانى (**(واستاخر)**) أحمد فيه بحيث كان خاتم النبيين فلا يمكن أن تكون من أمته (**(ولكن ساجمع بينك وبينه فى دار الجلال)**) يوم القيامة فى الجنة و لا يرد اجتماعه به ليلة الاسراء فى بيت المقدس و فى السموات له مرارا عديدة فى أمر الصلوات لان المراد الاجتماع المتعارف فى الـدنـيـا بلا موت (و عن وهب بن منبه) بضم الميم و فتح النون و كسر الباء ابن كامل اليمانى أبى عبد الله الانبارى التابعى الثقة من رجال الصحيحين مات سنة بضع عشرة و مـائـة (قـال أوحـى الله تـعـالى الى سـعـيا) بسين مهملة و اعجامها لغة ابن أمصيا نبى بشر بـعـيسى كـمـا فى الـقـامـوس (انى باعث) الى جميع العالمين (نبيا أميا) لا يقرأ و لا يكتب (أفتـح به آذانا صما) بضم الصاد و شد الميم جمع صماء كعمى و عمياء لا تسمع و فتحها ازالـته مجاز استعير الصمم لعدم الاذعان للحق و الانتفاع به لانها لما لم تسمع السمع المعتد بـه نـزل مـنـزلـة الـصـمـم فلما أرشدهم صلى الله عليه و سلم للحق و كشف عنهم الحجب المظـلـمـة و انـقادوا مذعنين كانوا كمن زال صممه (و قلوبا) جمع قلب العضو المعروف و يـراد بـه الـعقل و به فسر و هو الظاهر لقوله (غلفا) بضم المعجمة و سكون اللام جمع اغلف أى مـغـطـاة فى أكـنـة و معناه ان قلوبهم كانت محجوبة عن الهداية فازال الله تعالى بالنبى صلى الله عـليه و سلم حجابها و كشف غطاءها حتى اهتدت (و أعينا) جمع قلة لعين عدل عن عـيـونـا جمع كثرة و ان كان انسب هنا لان جمع القلة قد يكون للكثرة كعكسه أو لعده قليلا بالنسبة لقدرة الله أو لانها كانت قليلة فى الابتداء (عميا) جمع عمياء و هو عدم البصر عـمـا هو من شانه استعير لعدم انتفاعهم بها فهى كالمفقودة و لا ينافيه قوله تعالى **(وَمَآ أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ * الآية. النمل: ٨١)** لانه فيمن طبع على قلبه و هذا فى غيره (مـولـده) يـكـون (بمـكـة و مـهـاجره) أى هجرته أى مكان هجرته (طيبة) المدينة المنورة (و مـلـكـه) أى ظـهوره (بالشام) لاشتماله على الامراء الذين يتصرفون فى الدنيا تصرف الملوك بـخـلاف الحـجـاز و ان كان مبدأه فيهم لكنهم لم يكونوا كالملوك بل كانوا حريصين على اتـبـاع خـلافـة الـنـبـوة و قد قال صلى الله عليه و سلم **(الخلافة بالمدينة و الملك بالشام)** رواه

البيهقى أى خلافة النبوة التى ذكرها بقوله **(الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا)** (عبدى المتوكل) الذى يكل أمره الى الله فاذا أمره بشئ نهض بلا جزع (المصطفى) أى المختار من أشهر أسمائه و فى أحاديث **(ان الله اصطفاه)** (المرفوع) الدرجات على جميع الخلائق (الحبيب) فعيل من المحبة بمعنى مفعول لانه محبوب الله أو بمعنى فاعل لانه محب له تعالى (المنتخب) بالخاء المعجمة أو بالجيم كلاهما بمعنى المختار و هما من أسمائه عليه السلام و فى نسخة المتحبب بكسر الباء اسم فاعل من تحبب اليه تودد و اظنها تصحيفا و لم يذكره المصنف فى الاسماء (المختار) اسم مفعول من الاختيار و هو الاصطفاء كما فى الصحاح و هما أيضا معدودان فى أسمائه كما مر (لا يجزى) بفتح أوله (بالسيئة السيئة) لان خلقه القرآن و فيه(**وَجَزَآؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَاَصْلَحَ فَاَجْرُهُ عَلَى اللهِ * الآية. الشورى: ٤٠**) و قال فاصفح عنهم و لذا قال (و لكن يعفو) فلا يسئ لمن أساء عليه (و يصفح) يعرض عنه اغضاء و تكرما فلا يقول لم فعلت كذا يا فلان بل يقول ما بال أقوام يفعلون كذا (و يغفر) يستر و يدفع بالتى هى أحسن و ذكر الغفر بعد العفو تاكيدان كانا بمعنى أو يعفو تارة و يستر أخرى و استدرك لانه لا يلزم من عدم جزائها بمثلها الغفر لجواز أن يكله الى الله و يؤخره للآخرة (رحيما بالمؤمنين) كما فى الكتاب المبين (يبكى للبهيمة المثقلة) لشدة شفقته على خلق الله (و يبكى لليتيم فى حجر الارملة) و يقوم به (ليس بلفظ) سئ الخلق جاف (و لا غليظ) قاسى القلب و هو موافق لقوله تعالى (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ * الآية. آل عمران: ١٥٩**) و لا يعارضه قوله تعالى (**... وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ * الآية. التوبة: ٧٣**) لان النفى محمول على طبعه الذى جبل عليه و الامر محمول على المعالجة أو النفى بالنسبة للمؤمنين و الامر بالنسبة للكفار و المنافقين كما هو مصرح به فى نفس الآية (و لاصخاب) بصاد و سين روايتان و هما لغتان و الصاد أشهر و أفصح و السين لغة أثبتها الفراء و غيره و ضعفها الخليل و خاء معجمة ثقيلة أى لا يرفع صوته على الناس لسوء خلقه و لا يكثر الصياح عليهم (فى الاسواق) بل يلين جانبه ويرفق بهم وفيه ذم أهل السوق الموصوفين بصفة مذمومة من صخب و لغط و زيادة مدح و ذم لما يتبايعونه و أيمان حانثة و لذا ورد انها شر البقاع لما

يغلب على أهلها من الاحوال المذمومة (و لا متزين) روى بزاى منقوطة و تحتية و نون و روى بدال مهملة من الدين و روى متزى بزاى بلا نون من الزى و هو اللباس و الهيئة أى لا يتلبس (بالفحش) أو يتجمل أو يباهى و هو القبح و القول السيئ و لا يرد ايهام ظاهره أنه قد ياتى به غير متزين به لانه لا مفهوم له لجريه على عادة أرباب الفحش فى المباهاة به و قيل التزين بمعنى الا تصاف على التجريد أو المراد أنه لا يرى الفحش زينة و هذا من علاماته صلى الله عليه و سلم لانه نشأ بين قوم يتزينون بالفواحش كالقتل و الطواف عراة فاتى بخلافهم (و لا قوّال) صيغة مبالغة أى كثير القول (للخنا) بخاء معجمة ونون مقصورة قبيح الكلام و هذا مع ما قبله يفيد أنه لا يصدر عنه شئ منه لا قليل و لا كثير لان الفحش بمعناه أو فعال هنا للنسبة كتمار و نبال أى ليس بذى قول للخنا (و لو يمر الى جنب السراج) المصباح و الجمع سرج ككتاب و كتب (لم يطفه) [١] بفتح أوله (من سكينته) بفتح السين و كسر الكاف مخففة و حكى عياض فى المشارق كسر السين و شد الكاف و بها قرئ شاذا فعيلة من السكون أى وقاره و طمأنينته (و لو يمشى على القصب) كل نبات يكون ساقه أنابيب و كعوبا قاله فى مختصر العين الواحدة قصبة (الرعراع) أى الطويل كما فى القاموس (لم يسمع من تحت قدميه) لان مشيه بتؤدة و هو نبى (أبعثه مبشرا) من صدقه بالجنة (و نذيرا) منذرا من كذبه بالنار و هذا كله من صفاته عليه الصلاة و السلام (الى أن قال **(وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر)**) تمييز أى من جهة الامر و النهى أو حال بمعنى آمرين و ناهين (**(وتوحيدا لى وايمانا بى)**) كما قال تعالى **(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنْزِلَ اِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّٰهِ** * **الآية. البقرة: ٢٨٥)** (**(واخلاصا لى وتصديقا لما جاءت به رسلى)**) و المنصوبات تمييز او أحوال كما علم (**(وهم رعاة الشمس والقمر)**) للعبادة و الذكر قال صلى الله عليه و سلم **(ان خيار عباد الله الذين يراعون الشمس و القمر و الاظلة لذكر الله تعالى)** رواه الحاكم و الطبرانى أى يرصدون دخول الاوقات بها لاجل ذكر الله من الاذان للصلاة ثم اقامتها و

---

(١) قوله بفتح أوله فيه أنه يتعدى بالهمز كما فى القاموس و المصباح فمقتضاه ضم أوله اللهم الا أن يقال أنه هنا لازم و عومل معاملة المعتل و الهاء للسكت تأمل انتهى مصححه.

لايقاع الاوراد فى أوقاتها المحبوبة و أخرج الطبرانى و الخطيب مرفوعا **(لو أقسمت لبررت أن أحب عباد الله الى الله لرعاة الشمس و القمر و انهم ليعرفون يوم القيامة بطول أعناقهم)** و روى عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد لابيه عن سلمان **(سبعة فى ظل الله يوم القيامة يوم لا ظل الا ظله)** و قال فى عدهم **(و رجل يراعى الشمس لمواقيت الصلاة)** (طوبى) فرح و قرة عين و شجرة فى الجنة (لتلك القلوب) باخلاصها فى الايمان و العبادة (و الوجوه و الارواح التى أخلصت لى) صفة قامت مقام التعليل (ألهمهم التسبيح و التكبير و التحميد و التوحيد) و ثواب ذلك لا يعلمه الا الله و فى الحديث **(أفضل الذكر لا اله الا الله و أفضل الدعاء الحمد لله)** رواه الترمذى و حسنه و النسائى و ابن ماجه و الحاكم و صححه و قال صلى الله عليه و سلم **(أحب الكلام الى الله أربع سبحان الله و الحمد لله ولا اله الا الله و الله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت)** رواه مسلم و النسائى و روى البزار باسناد حسن عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم **(أما يستطيع أحدكم أن يعمل كل يوم مثل أحد عملا)** قالوا و من يستطيعه قال **(كلكم يستطيع ذلك)** قالوا و ما ذاك يا رسول الله قال **(سبحان الله أعظم من أحد و الحمد لله أعظم من أحد ولا اله الا الله أعظم من أحد و الله أكبر أعظم من أحد)** و أحاديث الباب كثيرة (فى مساجدهم) جمع مسجد فى الصلاة و دونها (و مجالسهم و مضاجعهم و متقلبهم) منصرفهم لاشغالهم بالنهار (و مثواهم) ماواهم الى مضاجعهم بالليل و المراد أنه يلهمهم ذلك على أى حال كانوا (و يصفون فى مساجدهم) مصلاهم (كصفوف الملائكة حول عرشى) قال صلى الله عليه و سلم **(ألا تصافون كما تصف الملائكة عند ربها يتمون الصفوف الاول ويتراصون فى الصف)** رواه مسلم وغيره (هم أوليائى) فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون (و أنصارى) كما قال تعالى **(يَآ اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوٓا كُونُوٓا اَنْصَارَ اللّٰهِ * الآية. الصف: ١٤)** و المراد أنصار دينه و رسوله كما فى قوله تعالى **(يَآ اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوٓا اِنْ تَنْصُرُوا اللّٰهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ اَقْدَامَكُمْ * محمّد عليه السلام: ٧)** (أنتقم بهم من أعدائى عبدة الاوثان) اكراما لهم و ابتلاء كما قال ذلك **(... وَلَوْ يَشَآءُ اللّٰهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا * الآيتين. محمّد عليه السلام: ٤ ـ ٥)** (يصلون لى قياما و قعودا) للعذر فى الفرض و بدونه فى النفل و المراد

يصلون على أى حال كانوا (و ركعا و سجدا و يخرجون من ديارهم و أموالهم ابتغاء مرضاتى ألوفا) لاجل الجهاد (و يقاتلون فى سبيلى) جهاد الكفار (صفوفا) بعضهم بجنب بعض من شدة حبهم للقتال و فى القرآن (**إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ * الصف: ٤**) أى ملزق بعضه الى بعض ثابت (أختم بكتابهم الكتب و بشريعتهم الشرائع و بدينهم الاديان) فلا كتاب و لا شرع ينسخ كتابهم و دينهم (فمن أدركهم فلم يؤمن بكتابهم و يدخل فى دينهم و شريعتهم فليس منى) لكفره (و هو منى برئ و اجعلهم أفضل الامم و اجعلهم أمة وسطا) خيارا عدولا (شهداء على الناس) يوم القيامة ان رسلهم بلغتهم (اذا غضبوا هللونى) قالوا لا اله الا الله و لا يعملون بمقتضى الغضب (و اذا تنازعوا) فى شئ بينهم (سبحونى) فهم يذكرونه فى جميع أحوالهم (يطهرون الوجوه و الاطراف) الايدى و الارجل فى الوضوء (و يشدون الثياب الى الانصاف) من سوقهم اقتداء بنبيهم و لا يرخونها الى أسفل من ذلك تيها و تكبرا (و يهللون على التلول) جمع تل الامكنة العالية (و الاشراف) جمع شرف بفتحتين المكان العالى فالعطف مساو حسنه اختلاف اللفظ و مراعاة الفاصلتين (قربانهم دماؤهم)أى أضاحيهم و هداياهم أو المراد انهم متهيئون للجهاد فى سبيل الله فكأنهم يتقربون الى الله بدماء أنفسهم أو بدماء من قتلوه من الكفار كما قال كعب بن زهير في مدح الانصار :

يتقربون يرونه نسكا لهم * بدماء من علقوا من الكفار

و فى الانموذج قربانهم الصلاة و دماؤهم و روى ابن عدى مرفوعا (**ان الصلاة قربان المؤمن**) و فى حديث (**الصلاة قربان كل تقى**) أى الصلاة من المتقى بمنزلة الهدايا و الضحايا لفاقدهما (و أناجيلهم) مصاحفهم محفوظة (فى صدورهم رهبانا) عبادا (بالليل ليوثا) أسدا على الاعداء (بالنهار طوبى) فرح و قرة عين و شجرة فى الجنة (لمن كان معهم و على دينهم و منهاجهم) طريقتهم (و شريعتهم و ذلك فضلى أوتيه من أشاء و أنا ذو الفضل) الاحسان (العظيم) فلا حجر فى تخصيصهم بهذه الفضائل دون غيرهم (رواه أبو نعيم) الاصبهانى (و قد ذكر الامام فخر الدين) الرازى (أن من كانت معجزاته أظهر يكون ثواب أمته أقل) لان قوة ظهورها يلجئ الى الايمان (قال السبكى الا هذه الامة فان

معجزات نبيها أظهر و ثوابها أكثر من سائر الامم) فضلا من الله و نعمة.

(و من خصائص هذه الامة احلال الغنائم) و ابتداء ذلك فى غزوة بدر و فيها نزل **(فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّباً * الآية. الانفال: ٦٩)** كما فى الصحيح من حديث ابن عباس و عند ابن اسحق أول غنيمة خمست غنيمة السرية التى كان عليها عبد الله بن جحش و هى قبل بدر بشهرين قال الحافظ و يمكن الجمع بما ذكر ابن سعد أنه صلى الله عليه و سلم أخر غنيمة تلك السرية حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائم أهل بدر **(و لم تحل لاحد)** من الامم و فى نسخة لامة **(قبلها)** و المراد بها ما أخذ من الكفار بقهر و غيره فنعم الفيء اذ كل منهما اذا انفرد عم الآخر روى النسائى عن أبى هريرة رفعه **(ان الله أطعمنا الغنائم رحمة رحمنا بها و تخفيفا خففه عنا لما رأى من ضعفنا و عجزنا فاحلها لنا)** و فى حديث جابر فى الصحيحين **(و أحلت لى الغنائم و لم تحل لاحد قبلى)** قال الخطابى كان من تقدم على ضربين منهم من لم يؤذن له فى الجهاد فلم يكن لهم مغانم و منهم من أذن له فيه لكن كانوا اذ اغتنموا شيئا لم يحل لهم أن ياكلوه و جاءت نار فاحرقته و قيل المراد أنه خاص بالتصرف فى الغنيمة يصرفها حيث شاء و الاول أصوب و هو ان من مضى لم تحل لهم الغنائم أصلا ذكره الحافظ و يرجح ما صوبه قوله **(و لم تحل لاحد قبلى)** لان التقييد بالقبلية يفيد بطريق المفهوم انها حلت له و لامته و روى الترمذى بسند صحيح عن أبى هريرة رفعه **(لم تحل الغنائم لاحد سود الرؤس من قبلكم كانت تجمع فتنزل نار من السماء فتأكلها)** قال فى الفتح كان من مضى يغزون و ياخذون أموال أعدائهم و اسلابهم لكن لا يتصرفون فيها بل يجمعونها و علامة قبول غزوهم أن تنزل نار من السماء فتأكلها و علامة عدم قبوله أن لا ينزل و من أسباب عدم القبول الغلول و قد من الله على هذه الامة بشرف نبيها عنده فاحل لهم الغنيمة و ستر عليهم الغلول و ستر عليهم فضيحته و دخل فى عموم أكل النار الغنيمة السبى و فيه بعد لان مقتضاء اهلاك الذرية و من لم يقاتل من النساء و يمكن ان يستثنوا من ذلك و يلزم منه استثناؤهم من تحريم الغنائم عليهم و يؤيده انه كانت لهم عبيد و اماء فلو لم يجز لهم السبى لما كان لهم ارقاء و لم أر من صرح بذلك انتهى و

نظر فيه شيخنا بانه كان فى شرع يعقوب اذا سرق انسان شيئا و وجد عنده جعل السارق رقيقا للمسروق منه و جزم بعضهم باستثناء الذرية من أكل النار يفهم منه انها كانت تحل لغير هذه الامة من الامم و فى شرح المشارق للشيخ أكمل الدين انهم كانوا اذا غنموا حيوانات تكون ملكا للغانمين دون أنبيائهم و اذا أغنموا غير الحيوانات جمعوها فتجئ نار فتحرقها (و جعلت لهم الارض مسجدا) أى موضع سجود لا يختص السجود منها بموضع دون غيره و يمكن انه مجاز عن المكان المبنى للصلاة من مجاز التشبيه لانه لما جازت الصلاة فى جميعها كانت كالمسجد فى ذلك (و لم تكن الامم تصلى الا فى البيع) كنائس النصارى و قيل اليهود فقوله (و الكنائس) عطف تفسير على الاول جمع كنيسة متعبد النصارى و قيل اليهود و عبارة المصنف فيما مر عن الفتح الا فى نحو البيع و الصوامع أى متعبد الرهبان فان تعذر مجيئهم لها لنحو سفر لم يصلوا على ظاهره فيسقط عنهم أداؤها و يقضون اذا رجعوا كما جزم به بعض شراح الرسالة فى فقه المالكية و يؤيده ظاهر قوله فى حديث ابن عباس **(و لم يكن من الانبياء أحد يصلى حتى يبلغ محرابه)** فما قيل هل تسقط عنهم مطلقا أو محل الحضر فى نحو البيع فى الحضر أما السفر فتباح فى غيرها و يكون محل خصوصيتنا الصلاة باى محل و لو بجوار المسجد و سهولة الصلاة فيه تقصير و يمنع الثانى أن القيد لابد له من دليل مع ان ظاهر قوله **(حتى يبلغ محرابه)** يمنعه و تقدم هذا مرتين (و جعلت تربتها لهم طهورا) بفتح الطاء على المشهور أى مطهرا لغيره لا طاهرا و الا لزم تحصيل الحاصل و لم تثبت الخصوصية (و هو التيمم) لفقد الماء جسدا أو حكما بعدم القدرة على استعماله (و فى رواية أبى امامة عند البخارى **(وجعلت الارض كلها لى ولامتى مسجدا وطهورا)**) فصرح بمشاركة أمته له فيهما (و فى رواية مسلم من حديث حذيفة **(وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها طهورا اذا لم نجد الماء)**) أو لم نقدر على استعماله و به احتج للشافعى و أحمد على تخصيص التيمم بالتراب و أجيب بان تربة كل مكان ما فيه من تراب أو غيره و قد قال تعالى (... **فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا** ﴿ الآية. المائدة: ٦) و الصعيد ما صعد على الارض ترابا أو غيره و فى حديث جابر فى الصحيحين **(وجعلت لى الارض مسجدا و طهورا)** و بهذا احتج لمالك و أبى حنيفة على جواز التيمم بجميع أجزاء الارض و

اما قوله فى رواية ابن خزيمة و غيره **(و جعل ترابها طهورا)** و قوله فى حديث على **(و جعل التراب لى طهورا)** رواه أحمد و البيهقى باسناد حسن فالنص على التراب فى هاتين الروايتين لبيان أفضليته لا لانه لا يجزئ غيره و ليس مخصصا لعموم قوله **(و طهورا)** لان شرط المخصص ان يكون منافيا للعام و لذا قال القرطبى هو من باب النص على بعض أشخاص العموم كقوله تعالى **(فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۞ الرّحمن: ٦٨).**

(و من خصائص هذه الامة أيضا الوضوء فانه لم يكن الا للانبياء دون أممهم) بخلاف هذه الامة فهو لها كنبيها (ذكره الحليمى) قال السيوطى و هو الاصح و نوزع بما ياتى بيانه (و استدل بحديث البخارى) و مسلم عن أبى هريرة انه صلى الله عليه و سلم قال (**(ان أمتى)**) أمة الاجابة لا الدعوة (**(يدعون)**) بضم أوله أى ينادون أو يسمون و لفظ مسلم **(ياتون (يوم القيامة)**) أى موقف الحساب أو الميزان أو الصراط أو الحوض أو غير ذلك (**(غرا)**) بالضم و التشديد جمع أغر أى ذى غرة بضم الغين بياض فى جبهة الفرس فوق درهم ثم استعملت فى الجمال و الشهرة و طيب الذكر شبه به ما يكون لهم من النور فى الآخرة و نصب مفعول يدعون أو حالا أى اذا دعوا يوم التناد على رؤس الاشهاد نودوا بهذا الوصف أو كانوا على هذا النعت قال الطيبى و لا يبعد التسمية باعتبار الوصف الظاهر كما يسمى رجل به حمرة الاحمر للمناسبة بين الاسم و المسمى (**(محجلين)**) من التحجيل و هو بياض فى قوائم الفرس أو فى ثلاث منها أو فى غيره قل أو كثر بعد ما يجاوز الارساغ و لا يجاوز الركبتين (**(من آثار الوضوء)**) بضم الواو و جوز ابن دقيق العيد فتحها على انه الماء و ظاهر هذا كقوله فى رواية لمسلم **(أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من اسباغ الوضوء أن هذه السيما انما تكون لمن توضأ فى الدنيا)** ففيه رد لما نقله الزناتى الفاسى فى شرح الرسالة عن العلمى ان الغرة و التحجيل لهذه الامة من توضأ منهم و من لا كما يقال لهم أهل القبلة من صلى و من لا انتهى و فى القياس على الايمان نظر لانه التصديق و الشهادة و ان ترك الواجب و فعل الحرام بخلاف الغرة و التحجيل فمجرد فضيلة و تشريف للمتوضئ فلا يكونان لسواه و من ثم قال شيخ الاسلام زكريا فى شرح البخارى

لا تحصل الغرة و التحجيل الا لمن توضأ بالفعل أما من لم يتوضأ فلا يحصلان له قال شيخنا فى حواشى الرملى و من نقل عنه خلاف ذلك فقد أخطأ انما هو قول للزناتى لا لشيخ الاسلام و ينبغى على قوله ان ذلك خاص بمن توضأ حال حياته فلا يدخل من وضأه الغاسل و بقى أيضا ما لو تيمم و لم يتوضأ هل يحصل له ذلك أم لا فيه نظر و ينبغى ان يحصل لقيامه مقام الوضوء انتهى (لكن قال فى فتح البارى فيه) أى استدلاله بهذا الحديث (نظر) لان الذى دل على أنه خصوصية انما هو الغرة و التحجيل لا أصل الوضوء و (لانه ثبت فى البخارى فى قصة سارة) بخفة الراء و قيل بتشديدها و اختلف فى اسم أبيها فقيل هاران ملك حران تزوّجها ابراهيم لما هاجر من بلاد قومه الى حران و ان هذا هو السبب فى اعطاء الملك لها هاجر و انه قال لابراهيم رأيتها تطحن و هى لا تصلح ان تخدم نفسها و قيل هى بنت أخيه و كان ذلك جائزا فى شرعه حكاه ابن قتيبة و النقاش و استبعد و قيل بنت عمه و توافق الاسمان و قيل اسم أبيها نو يل (عليها السلام) و هى احدى النسوة اللاتى قيل بنبوتهن (مع الملك الذى أعطاها هاجر) بالهاء رواه البخارى فى أحاديث الانبياء و بهمزة بدلها رواه فى البيوع و كذا مسلم و فتح الجيم عليهما اسم سريانى يقال ان أباها كان من ملوك القبط من حفن بفتح المهملة و سكون الفاء قرية بمصر كانت مدينة و هى الآن كفر من عمل انصنا بالبر الشرقى من الصعيد و فيها آثار عظيمة باقية (**(لما هم الملك)**) عمرو بن امرىء القيس بن سبا و كان على مصر ذكره السهيلى و هو قول ابن هشام فى التيجان و قيل اسمه صادف و كان على الاردن حكاه ابن قتيبة و قيل سنان بن علوان بن عبيد بن جريج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح حكاه الطبرى و يقال انه الضحاك الذى ملك الاقاليم (**(بالدنوّ قامت تتوضأ وتصلى)**) ففيه ان الوضوء كان مشروعا للامم قبلنا و ليس مختصا بهذه الامة و لا بالانبياء لثبوت ذلك عن سارة و الجمهور أنها ليست نبية أخرج البخارى من طريق أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة قال قال النبى صلى الله عليه و سلم **(هاجر ابراهيم بسارة فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة فقيل دخل ابراهيم بامرأة هى من أحسن النساء فارسل اليه ان يا ابراهيم من أين هذه التى معك فقال أختى ثم رجع اليها فقال لا تكذبى حديثى فانى أخبرتهم انك**

أختي والله ما على الارض مؤمن غيرى وغيرك فارسل بها اليه فقام اليها فقامت تتوضأ و تصلى فقالت اللهم ان كنت تعلم انى آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي الا على زوجي فلا تسلط على الكافر فغط حتى ركض برجله قال الاعرج قال أبو سلمة بن عبد الرحمن ان أبا هريرة قال قالت اللهم ان يمت يقال هى قتلته فارسل ثم قام اليها فقامت تتوضأ وتصلى و تقول اللهم ان كنت تعلم انى آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي الا على زوجي فلا تسلط على هذا الكافر فغط حتى ركض برجله) قال الاعرج قال أبو سلمة قال أبو هريرة **(اللهم ان يمت يقل هى قتلته فارسل فى الثانية أو فى الثالثة فقال ما أرسلتم الى الا شيطانا ارجعوها الى ابراهيم وأعطوها هاجر فرجعت الى ابراهيم فقالت أشعرت ان الله كبت الكافر وأخدم وليدة)** أخرجه أيضا مسلم و أحمد و غيرهما من طرق فى ألفاظها اختلاف ليس هذا موضع بيانه قال فى فتح البارى قوله **(فارسل اليه)** ظاهر فى انه ساله عنها أولا ثم أعلمها بذلك لئلا تكذبه عنده و فى رواية هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبى هريرة عند البزار و النسائى و ابن حبان أنه قال لها ان هذا الجبار ان يعلم أنك امرأتى يغلبنى عليك فان سالك فاخبريه أنك أختى و انك أختى فى الاسلام فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فاتاه فقال لقد قدم أرضك امرأة لا تنبغى أن تكون الا لك فارسل اليها فيجمع بينهما بان ابراهيم أحس بانه سيطلبها منه فاوصاها فلما وقع ما خشيه أعاد عليها الوصية و اختلف فى السبب الحامل له على الوصية مع ان مراده غصبها أختا كانت أو زوجة فقيل كان من شانه ان لا يتعرض الا لذات الزوج فاراد ابراهيم دفع أعظم الضررين بارتكاب اخفهما لان اغتصابه واقع لا محالة لكن ان علم لها زوجا حملته الغيرة على قتله أو حبسه و اضراره بخلاف الاخ فالغيرة حينئذ من قبله خاصة لا من قبل الجبار فلا يبالى به و هذا تقرير حسن جاء صريحا عن وهب بن منبه رواه عبد بن حميد عنه و ذكر ابن الجوزى فى مشكل الصحيحين و تبعه المنذرى فى حواشى السنن عن بعض أهل الكتاب ان الجبار كان من رأيه ان لا يقرب ذات زوج حتى يقتله فلذا قال ابراهيم هى أختى لانه ان كان عادلا خطبها منه ثم يرجو مدافعته عنها وان كان ظالما خلص من القتل و ليس هذا ببعيد من الاول و قيل كان من دين الجبار ان الاخ أحق بان أخته زوجته فقال هى أختى

اعتمادا على ما يعتقده الجبار فلا ينازعه فيها و تعقب بانه لو كان كذلك لقال هى أختى و أنا زوجها فلم اقتصر على قوله هى أختى و أيضا فهذا الجواب انما يفيد لو كان الجبار يريد أن يتزوجها لا ان يغصا نفسها و قيل أراد ابراهيم أنه ان علم انك امرأتى ألزمنى بالطلاق و لا يشكل قوله ليس على وجه الارض مؤمن غيرى و غيرك بلوط و قد قال تعالى (**فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ * الآية. العنكبوت: ٢٦**) لان مراده بالارض التى وقع له فيها ذلك و لم يكن لوط معه فيها و قوله فغط بضم المعجمة و حكى ابن التين فتحها و الصواب (**الضم حتى ركض برجله**) يعنى انه اختنق كأنه مصروع و فى رواية مسلم (**فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده اليها فقبضت قبضة شديدة**) و يمكن الجمع بانه عوقب تارة بقبض يده و تارة بصرعه و يجاب عن قولها ان كنت تعلم مع أنها قاطعة بانه تعالى يعلم ذلك بانها قالته على سبيل الفرض هضما لنفسها و فيه اجابة الدعاء باخلاص النية و كفاية الرب لمن أخلص بعمله الصالح و نظيره قصة أصحاب الغار و ابتلاء الصالحين لرفع درجاتهم و يقال ان الله كشف لابراهيم حتى رأى حال الملك مع سارة معاينة و انه لم يصل منها الى شئ ذكره فى التيجان و لفظه فامر بادخال ابراهيم و سارة عليه ثم نحى ابراهيم الى خارج القصر و قام الى سارة فجعل الله القصر لابراهيم كالقارورة الصافية فصار يراهما و يسمع كلامهما انتهى (و فى قصة جريج) بجيمين مصغر (الراهب) روى أحمد عن أم سلمة (**كان رجل يقال له جريج من بنى اسرائيل تاجرا و كان ينقص مرة ويزيد أخرى فقال ما فى هذه التجارة خير لالتمسن تجارة هى خير من هذه فبنى صومعة و ترهب فيها**) الحديث قال الحافظ دل انه كان بعد عيسى و من اتباعه لانهم الذين ابتدعوا الترهب و حبس النفس فى الصوامع (انه قام فتوضا و صلى) ركعتين كما فى حديث عمران (ثم كلم الغلام) ففيه أن الوضوء لا يختص بهذه الامة خلافا لزاعمه روى الشيخان و غيرهما عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه و سلم قال (**لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة عيسى و كان فى بنى اسرائيل رجل يقال له جريج يصلى جاءته أمه فدعته فقال أجيبها أو أصلى فقالت اللّهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات و كان جريج فى صومعته فتعرضت له امرأة فكلمته فابى فأتت راعيا فأمكنته من نفسها فولدت غلاما فقالت من جريج فاتوه فكسروا صومعته فانزلوه و سبوه فتوضأ و صلى ثم**

أتى الغلام فقال من أبوك يا غلام قال الراعى قالوا نبنى صومعتك من ذهب قال لا الا من طين) الحديث قال الحافظ لم أقف فى شئ من الطرق على اسم أم جريج و لا على اسم الزانية لكن فى حديث عمران انها كانت بنت ملك القرية و لاحمد **(فذكر بنو اسرائيل عبادة جريج فقالت بغى منهم ان شئتم لافتننه قالوا قد شئنا فاتته فتعرضت له فلم يلتفت اليها فأمكنت نفسها من راع كان يؤوى غنيمة الى أصل صومعته و له من وجه آخر و كانت تأوى الى صومعته راعية ترعى الغنم و فى أخرى كان عند صومعته راعى ضأن و راعى معز)** و يمكن الجمع بين هذه الروايات بانها خرجت من دار أبيها بغير علم أهلها متنكرة و كانت تعمل الفساد الى ان ادعت انها تستطيع ان تفتن جريجا فاحتالت بان خرجت فى صورة راعية ليمكنها أن تاوى الى ظل صومعته لتتوصل بذلك الى فتنته و فى رواية **(انه طعن الغلام باصبعه فقال بالله ياغلام من أبوك قال أنا ابن الراعى)** و فى مرسل الحسن عند ابن المبارك **(انه سألهم أن ينظروه فانظروه فرأى فى المنام من أمره أن يطعن فى بطن المرأة فيقول أيتها السخلة من أبوك ففعل فقال راعى الغنم)** و فى رواية **(ثم مسح رأس الصبى فقال من أبوك قال راعى الضأن)** و لاحمد **(فوضع أصبعه على بطنها)** و فى رواية **(فاتى بالمرأة و الصبى و فمه فى ثديها فقال له جريج يا غلام من أبوك فنزع الغلام فاه من الثدى و قال أبى راعى الضأن)** و فى أخرى **(فلما أدخل على ملكهم قال جريج أين الصبى الذى ولدته فاتى به فقال له من أبوك فسمى أباه)** و لم أقف على اسم الراعى و يقال اسمه صهيب و أما الابن فللبخارى فى أواخر الصلاة بلفظ **(فقال يا ناموس)** و ليس اسمه كما زعم الداودى و انما المراد به الصغير و فى حديث عمران **(ثم انتهى الى شجرة فاخذ منها غصنا ثم أتى الغلام و هو فى مهده فضربه بذلك الغصن فقال من أبوك)** و لابى الليث السمرقندى بلا اسناد **(قال للمرأة أين أصبتك قالت تحت شجرة فاتى تلك الشجرة فقال يا شجرة أسألك بالذى خلقك من زنى بهذه المرأة فقال كل غصن منها راعى الغنم)** و يجمع بين هذا الاختلاف بوقوع جميع ما ذكر بانه مسح رأس الصبى و وضع أصبعه على بطن أمه و طعنه باصبعه و ضربه بطرف العصا التى كانت معه وأبعد من جمع بينها بتعدد القصة وأنه استنطقه و هو فى بطن أمه مرة قبل أن تلد ثم بعد أن ولد زاد فى رواية **(فوثبوا الى جريج فجعلوا يقبلونه)** و فى أخرى **(فابرأ**

الله جريجا و أعظم الناس أمره) انتهى ملخصا و حيث ثبت وضوء سارة و جريج و ليسا نبيين (فالظاهر ان الذى اختصت به هذه الامة هو الغرة و التحجيل) زاد بعضهم أو التثليث أو الكيفية أو مزيد الحث عليه و المبالغة فى التاكيد (لا أصل الوضوء) و قول ابن بطال يحتمل أن يكون جريج نبيا فيكون معجزة لا كرامة انما هو احتمال لا تثبت به نبوته (وقد صرح بذلك فى رواية لمسلم عن أبى هريرة مرفوعا) أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال (**ان حوضى أبعد من ايلة من عدن هو أشد بياضا من الثلج و أحلى من العسل باللبن و لآنيته أكثر من عدد النجوم و انى لاصد الناس عنه كما يصد الرجل ابل الناس عن حوضه)** قالوا يا رسول الله أتعرفنا يومئذ قال **(نعم (لكم سيما))** بكسر فسكون (**(ليست لغيركم)**) لفظ مسلم **(ليست لاحد من الامم تردون الحوض على غرا محجلين من أثر الوضوء)** هذا لفظ مسلم تاما فى الوضوء و أخرج نحوه من حديث حذيفة و قوله **(سيما)** (أى علامة) كقوله تعالى **(... سِيمَاهُم فى وُجُوهِهِمْ مِنْ اَثَرِ السجُود * الآية. الفتح: ٢٩)** و هى نور و بياض يعرفون به فى الآخرة انهم سجدوا فى الدنيا و قد قال صاحب المطامح تعلق بحديث **(أنتم الغر المحجلون)** الى آخره الداودى و غيره من ضعفاء النظر على ان الوضوء من خصائصنا و هو غير قاطع لاحتمال ان الخاص بنا الغرة و التحجيل بقرينة خبر **(هذا وضوئى و وضوء الانبياء من قبلى)** و قصره على الانبياء دون أممهم برده ان الوضوء اذا كان معروفا عند الانبياء فالاصل انه شرع ثابت لاممهم حتى يثبت خلافه انتهى و تعقب بان حديث **(هذا وضوئى)** ضعيف لا حجة فيه مع احتمال ان الوضوء من خصائص الانبياء دون أممهم الا هذه الامة على انه صرح فيه بان الوضوء للامم المتقدمة روى الطبرانى عن بريدة دعا النبى صلى الله عليه و سلم بوضوء فتوضأ واحدة واحدة و قال **(هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به)** و مرتين مرتين و قال **(هذا وضوء الامم قبلكم)** ثم توضأ ثلاثا ثلاثا و قال **(هذا وضوئى و وضوء الانبياء قبلى)**.

(ومنها مجموع الصلوات الخمس) على هذه الكيفية **(و لم تجمع لاحد غيرهم)** من الانبياء و الامم و الحجة لذلك قوله صلى الله عليه و سلم **(اتقوا الله و صلوا**

خمسكم) رواه الترمذى و قال حسن صحيح و ابن حبان و الحاكم فاضافتها اليهم تعطى ذلك و لا يعارضه قول جبريل فى حديث المواقيت حين صلى الخمس بالنبى صلى الله عليه و سلم **(هذا وقتك و وقت الانبياء قبلك)** لان المراد كما قال الرافعى انه وقتهم اجمالا و ان اختص كل منهم بوقت فقد (أخرج الطحاوى عن عبيد الله) بضم العين (ابن محمد) بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر التيمى ثقة رمى بالقدر و لا يثبت مات سنة ثمان و عشرين و مائتين روى له أبو داود و الترمذى و النسائى و يقال له (ابن عائشة) و العائشى و العيشى نسبة الى عائشة بنت طلحة لانه من ذريتها (قال ان آدم لما تيب عليه عند الفجر صلى ركعتين فصارت الصبح) فكان يصليها الى ان مات (و فدى اسحق عند الظهر) من الذبح ففيه حجة لقول الجمهور انه الذبيح كقوله صلى الله عليه و سلم **(الذبيح اسحق)** رواه الدارقطنى و غيره باسناد جيد و مر بسطه و تسمح من قال بناء على انه الذبيح و الصحيح أنه اسمعيل لان هذا اخبار عن بلاغ فلا يبنى على خلاف العلماء (فصلى) ابراهيم (أربع ركعات) سقط ابراهيم من قلم المصنف أو نساخه مع انه فى رواية الطحاوى فاوهم سقوطه ان المصلى اسحق و ليس كذلك (فصارت الظهر و بعث عزير) بالصرف ابن سروحا لما مر على قرية هى بيت المقدس أو غيرها راكبا على حمار و معه سلة تين و قدح عصير بعد ما خرب القرية بختنصر قال استعظاما لقدرة الله تعالى أنى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه أحياه ليريه كيفية ذلك (عند العصر فقيل له كم لبثت) مكثت هنا (قال لبثت يوما فرأى الشمس فقال أو بعض يوم) لانه نام أول النهار فقبض و أحيى اثناء نهار غيره فظن أنه يوم النوم (فصلى أربع ركعات) و قد اختلف أهل التفسير فى المراد بقوله تعالى **(اَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلٰى قَرْيَةٍ * الآية. البقرة: ٢٥٩)** فالمشهور أنه عزير و أخرجه الحاكم و غيره عن على و الخطيب عن عبد الله بن سلام و عن ابن عباس و قيل كان نبيا اسمه أرميا و قيل الخضر و قيل حزقيل و قيل هو كافر بالبعث و قيل غير ذلك الا ان ما أفاده بقوله (فصارت العصر) أنها كانت له مخالف لما فى شرح المسند للرافعى أن العصر لسليمان (و غفر لداود) بن ايشاء بكسر الهمزة و سكون التحتية و معجمة بن عوبد بمهملة و موحدة بزنة جعفر بن باعر بموحدة و مهملة مفتوحة بن سلمون

بن يارب بتحتية و موحدة آخره ابن رام بن حضرون بمهملة ثم معجمة ابن فارض بفاء و آخره مهملة ابن يهود بن يعقوب (عند المغرب فقام يصلى أربع ركعات فجهد) تعب (فجلس فى الثالثة فصارت المغرب ثلاثا) و فيه مخالفة لنقل الرافعى أن المغرب ليعقوب (و أول من صلى العشاء الآخرة نبينا صلى الله عليه و سلم) فهى من خصائصنا و عورض بما فى شرح المسند أن العشاء ليونس لكن يؤيد خبر الطحاوى حديث معاذ و هو المذكور بقوله (و أخرج أبو داود فى سننه) فى الصلاة (و ابن أبى شيبة فى مصنفه و البيهقى فى سننه) باسناد حسن (عن معاذ بن جبل قال أخر رسول الله صلى الله عله و سلم صلاة العتمة) أى العشاء الآخرة (ليلة حتى ظن الظان أنه قد صلى) لفظ الرواية حتى ظن الظان أنه ليس بخارج و القائل منا يقول قد صل (ثم خرج) فقالوا له كما قالوا كما فى الحديث أى القول الذى قالوا قبل خروجه (فقال (**أعتموا**)) بفتح الهمزة و كسر الفوقية ((**بهذه الصلاة**)) صلاة العشاء و الباء للتعدية أى ادخلوها فى العتمة و هى ما بعد غيبوبة الشفق أو للمصاحبة أى ادخلوا فى العتمة متلبسين بها قال البيضاوى أعتم الرجل دخل فى العتمة و هى ظلمة الليل أى صلوها بعد ما دخلتم فى الظلمة و تحققتم سقوط الشفق و لا تستعجلوا فيها فتوقعوها قبل وقتها و عليه فلا يدل على أفضلية التاخير و يحتمل أنه من العتم الذى هو الابطاء يقال أعتم الرجل اذا أخر انتهى ((**فانكم فضلتم**)) بالبناء للمفعول ((**بها على سائر الامم و لم تصلها أمة قبلكم**)) و أورد الحافظ الولى العراقى ما المناسبة بين تاخيرها و اختصاصها بنا دون سائر الامم حتى يجعل الثانى علة للاول و أجاب بان المراد اذا أخروها منتظرين خروج النبى صلى الله عليه و سلم كانوا فى صلاة و كتب لهم ثواب المصلى فقوله (**فضلتم بها**) يعارض رواية (**أن العشاء ليونس**) و رواية ابن سعد (**أن ابراهيم و اسماعيل أتيا منى فصليا بها الظهر و العصر و المغرب و العشاء و الصبح**) و هو ظاهر قول جبريل (**هذا وقتك و وقت الانبياء من قبلك**) و جمع الهروى و غيره بان المصطفى أول من صلاها مؤخرا لها الى ثلث الليل أو نحوه أما الرسل فكانوا يصلونها عند أول مغيب الشفق و يدل لذلك بل يصرح به قوله فى أثر الطحاوى نفسه العشاء الآخرة و جمع البيضاوى فى شرح المصابيح بان العشاء كانت تصليها الرسل نافلة لهم و لم تكتب على أممهم كالتهجد

وجب على نبينا دوننا انتهى و احتج بحديث معاذ من قال الافضل تاخير العشاء و اليه ذهب جمع شافعية و مالكية و المعتمد فى المذهبين تفضيل التقديم و ورد ما يدل على نسخ التاخير روى أحمد و الطبرانى بسند حسن عن أبى بكرة قال أخر النبى صلى الله عليه و سلم العشاء تسع ليال الى ثلث الليل فقال له أبو بكر يا رسول الله لو أنك عجلت لكان أمثل لقيامنا من الليل فعجل بعد ذلك.

(و منها الاذان و الاقامة) للصلاة بدليل تحيرهم فيما يجتمعون به للصلاة حتى رأى عبد الله بن زيد الرؤيا المشهورة كما تقدم و لا يعارضه ما روى عند الحاكم و ابن عساكر ان آدم لما نزل بالهند استوحش فنزل جبريل فنادى بالاذان لان مشروعيته للصلاة هى الخصوصية.

(و منها البسملة) أى قول **(بسم الله الرحمن الرحيم)** بهذه الالفاظ العربية على هذا الترتيب و ما روى ان آدم لما أراد الخروج من الجنة قالها فقال له جبريل لقد تكلمت بكلمة عظيمة قف ساعة لعل أن يظهر من الغيب لطف لا يرد لانها لم تنزل عليه و انما ألهمها و محل الخصوصية نزولها على نبينا و صارت لامته كما **(قال بعضهم فيما نقله الشيخ شهاب الدين)** أحمد بن يوسف بن عبد الدائم **(الحلبى النحوى)** نزيل القاهرة الشهير بالسمين قال الحافظ ابن حجر تعالى النحو فمهر فيه و لازم أبا حيان الى ان فاق أقرانه و أخذ القراآت عن التقى الصائغ و مهر فيها و ولى تدريس القرآن بجامع ابن طولون و الاعادة بالشافعى و ناب فى الحكم و له تفسير القرآن و اعراب القرآن و شرح التسهيل و شرح الشاطبية مات فى جمادى الآخرة سنة ست و خمسين و سبعمائة **(فى تفسيره)** و هو كبير فى عدة أجزاء غير اعراب القرآن له كما علم **(و لم ينزلها الله على)** نبى **(أحد من الامم قبلنا الا على سليمان بن داود)** و ما شرع لنبى شرع لامته فالمراد بقوله **(فهى مما اختصت به هذه الامة)** أى نزولها قرآنا يتلى و أما بالنسبة لسليمان فلعله للتبرك بها كذا قال شيخنا و أحسن منه قول بعض المحققين الاصح انها بهذه الالفاظ العربية على هذا الترتيب من خصائص المصطفى و أمته و ما فى **(سورة النمل)** جاء على جهة الترجمة عما فى الكتاب لانه

لِم يكن عربيا (انتهى) نقله الشهاب الحلبى و قد روى الطبرانى عن بريدة رفعه **(أنزل على آية لم تنزل على نبى بعد سليمان غيرى بسم الله الرحمن الرحيم).**

(و منها التأمين) عقب الفاتحة للمأموم على ما يفهمه قوله خلف الامام (روى الامام أحمد من حديث عائشة بينا أنا عند النبى صلى الله عليه و سلم اذ استأذن رجل من اليهود فذكر الحديث) و هو فاذن له فقال السام عليك فقال النبى **(و عليك)** قالت فهممت أن أتكلم ثم دخل الثانية فقال مثل ذلك فقال النبى صلى الله عليه و سلم ثم دخل الثالثة فقال السام عليك قالت قلت بل السام عليكم و غضب الله اخوان القردة و الخنازير أتحيون رسول الله بما لم يحيه به الله فنظر الى فقال **(مه ان الله لا يحب الفحش ولا التفحش قالوا قولا فرددناه عليهم فلم يضرنا شيئا ولزمهم الى يوم القيامة)** (و فيه) عقب هذا (ان النبى صلى الله عليه و سلم قال **(انهم لن يحسدونا)**) كذا فى النسخ و فى مسند أحمد **(لا يحسدونا)** فلعله حذف نون الرفع تخفيفا و قد اختلف فى أن لا تخلص الفعل للاستقبال أم لا **((على شىء كما حسدونا على الجمعة التى هدانا الله لها)**) بان نص لنا عليها أو بالاجتهاد و يشهد له أثر ابن سيرين فى جمع أهل المدينة قبل قدوم النبى صلى الله عليه و سلم فانه يدل على أن أولئك الصحابة اختاروا يوم الجمعة بالاجتهاد و لا يمنع ذلك أنه صلى الله عليه و سلم علمه بالوحى بمكة فلم يتمكن من اقامتها و قد جاء بذلك حديث ابن عباس عند الدارقطنى و لذا جمع بهم أول ما قدم المدينة كما ذكر ابن اسحق و غيره فحصلت الهداية للجمعة بجهتى البيان و التوفيق قاله الحافظ ملخصا و أسقط من الحديث هنا قوله و **(ضلوا عنها)** أى لانه فرض عليهم يوم من الجمعة يقيمون فيه شريعتهم و وكل الى اختيارهم فاختلفوا فى أى الايام هو و لم يهتدوا ليوم الجمعة قاله ابن بطال و قواه عياض و رجح الحافظ أنه فرض عليهم يوم الجمعة بعينه فاختاروا السبت فقد روى ابن أبى حاتم عن السدى ان الله فرض على اليهود الجمعة فابوا و قالوا يا موسى ان الله لم يخلق يوم السبت شيئا فاجعله لنا فجعل عليهم و ليس هذا بعجيب من مخالفتهم كما وقع لهم فى قوله تعالى **(... ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَ قُولُوا حِطَّةٌ ﴿ الآية. البقرة: ٥٨)** و غير ذلك و هم القائلون سمعنا و عصينا

و أسقط أيضا من الحديث قوله **(وعلى القبلة التى هدانا الله لها)** أى بصريح البيان بالامر المكرر أوّلا لبيان تساوى حكم السفر و غيره و ثانيا للتاكيد (**(وضلوا عنها)**) لانهم لم يؤمروا باستقبال الصخرة بل كان عن مشورة منهم كما عند أبى داود عن خالد بن يزيد بن معاو ية و عنده أيضا ان يهوديا خاصم أبا العالية فى القبلة فقال أبو العالية كان موسى يصلى عند الصخرة و يستقبل البيت الحرام و كانت الكعبة قبلته و كانت الصخرة بين يده و قال اليهودى بينى و بينك مسجد صالح النبى عليه السلام فقال أبو العالية فانى صليت فى مسجد صالح و قبلته الى الكعبة و فى مسجد ذى القرنين و قبلته اليها و فى البغوى فى قوله تعالى **(... وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً * الآية. يونس: ٨٧)** روى ابن جريج عن ابن عباس قال كانت الكعبة قبلة موسى و من معه انتهى و قد رجح الحافظ العلائى ان الكعبة قبلة الانبياء كلهم كما دلت عليه الآثار قال بعضهم و هو الاصح و اختار ابن العربى و تلميذه السهيلى أن قبلة الانبياء بيت المقدس قال بعضهم و هو الصحيح المعروف فعد صاحب الانموذج من خصائص المصطفى و أمته استقبال الكعبة انما هو على أحد قولين مرجحين نعم ذكر فيما اختص به على جميع الانبياء و المرسلين الجمع له بين القبلتين (**(و على قولنا خلف الامام آمين)**) فانها مختصة بنا بقيد الخلفية فى الصلاة و كذا عقب الدعاء لكن شارك هرون فى ذلك كما روى الحرث بن أبى أسامة و ابن مردو يه عن أنس مرفوعا **(أعطيت ثلاث خصال اعطيت الصلاة فى الصفوف واعطيت السلام وهو تحية أهل الجنة و أعطيت آمين ولم يعطها أحد ممن كان قبلكم الا أن يكون الله أعطاها نبيه هرون فان موسى كان يدعو الله ويؤمن هرون)** أى أعطى الخصلة الثالة فانه كان يؤمّن على دعاء موسى كما قال تعالى **(... قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا * الآية. يونس: ٨٩)** و فى أول الآية **(وقال موسى ربنا)** فدل على انه الداعى و هرون يؤمّن فسماه داعيا لانه لتأمينه عليه مشارك له و فى مسند الفردوس مرفوعا **(الداعى والمؤمّن فى الاجر شريكان)** فعلم ان الخصلتين الاولين من خصوصيات هذه الامة مطلقا و كذا الثالثة بالنسبة لغير هرون فى غير الصلاة (قال الحافظ ابن حجر و هذا حديث غريب لا أعرفه بهذه الالفاظ الا من هذا الوجه) و قال شيخه الزين العراقى دخول اليهودى عليه ثلاثا و استئذانه و ما بعده لم أره فى شئ منها أى

الاحاديث غير هذا (لكن لبعضه متابع) بكسر الباء أى عليه (حسن فى التأمين) متعلق بمتابع بيان لبعضه أى دون الجمعة و القبلة (أخرجه ابن ماجه و صححه ابن خزيمة كلاهما من رواية سهيل) بالتصغير (ابن أبى صالح) ذكوان المدنى أبى يزيد صدوق تغير حفظه باخرة و روى له الستة الا ان البخارى روى له مقرونا و تعليقا (عن أبيه) ذكوان السمان الزيات المدنى تابعى ثقة ثبت كان يجلب الزيت الى الكوفة مات سنة احدى و مائة (عن عائشة عن النبى صلى الله عليه و سلم قال **(ما حسدتنا اليهود على شئ ما حسدتنا)**) أى مثل حسدهم أو مثل الذى حسدتنا (**(على السلام)**) عند التلاقى ففيه دلالة على أنه مختص بنا دونهم (**(و التأمين)**) أى ختم القارئ قراءته فى الصلاة و غيرها بقول آمين أو الداعى دعاءه بلفظ آمين لكن خص من هذا هرون كما مر و روى ابن ماجه باسناد ضعيف عن ابن عباس رفعه **(ما حسدتكم اليهود على شئ ما حسدتكم على آمين فاكثروا من قول آمين).**

(و منها) أى خصائص الامة **(الاختصاص بالركوع)** فى الصلاة و كأنه زاد الاختصاص زيادة تاكيد لان فيه نزاعا و ميله للاختصاص و الا فالكلام فيه و أيضا ضمير **(منها)** عائد له (عن على رضى الله عنه قال أول صلاة ركعنا فيها العصر فقلت يا رسول الله ما هذا) الفعل الذى لم نعرفه قبل (قال **(بهذا أمرت)** رواه البزار و الطبرانى فى) معجمه (الاوسط) الذى ألفه فى غرائب شيوخه كان يقول هذا الكتاب روحى لانه تعب عليه (و وجه الاستدلال منه أنه عليه السلام صلى قبل ذلك الظهر) فالصلاة التى ركع فيها هى عصر صبيحة الاسراء (و صلى قبل فرض الصلوات الخمس قيام الليل) و كذا غيره مما كان يصليه نهارا (فكون) أى وجود (الصلاة السابقة بلا ركوع قرينة لخلو صلاة الامم السابقة منه) بناء على أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ و يمكن بناؤه على القول الآخر و تقدر القرينة بانه لو كان فى صلاة الامم السابقة ركوع لكان النبى صلى الله عليه و سلم أولى بانه لا يصلى بدونه صلاة واحدة لئلا تكون صلاة غيره أتم من صلا ته (قاله بعض العلماء) يعنى الجلال السيوطى كما يعلم من الشامية (قال و ذكر جماعة من المفسرين فى

قوله تعالى) لبنى اسرائيل ((... **وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ * البقرة: ٤٣**) أن مشروعية الركوع فى الصلاة خاص بهذه الامة و أنه لا ركوع فى صلاة بنى اسرائيل و لذا أمرهم بالركوع) اظهار فى محل الاضمار زيادة فى البيان (مع أمة محمد صلى الله عليه و سلم) اذ لو كان فى صلاتهم لم يحسن أمرهم به مع قوله قبله (**وَاَقِيمُوا الصَّلٰوةِ * الآية. البقرة: ٤٣**) (و هذا يعارضه قوله تعالى (**يَا مَرْيَمُ اقْنُتِى لِرَبِّكِ وَاسْجُدِى وَارْكَعِى مَعَ الرَّاكِعِينَ * آل عمران: ٤٣**) المفسر) صفة أى انما يعارضه على تفسيره (بامرت بالصلاة فى الجماعة بذكر أركانها) من سجود و ركوع (مبالغة فى المحافظة عليها) و مريم من بنى اسرائيل فهو ظاهر فى أن الركوع ليس من خواص هذه الامة (قالوا و قدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك فى شريعتهم) أى بنى اسرائيل (أو للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب) بل مجرد العطف و كلا الجوابين تقوية للمعارضة لا دفع لها كما هو ظاهر و اجيب عن المعارضة بان المراد بالركوع المختص بنا الركوع على هذه الصفة المخصوصة من كونه جزءا لا تصح الصلاة بدونه و ما أمرت به مريم ليس كذلك بدليل ما بعده على أن المعارضة انما تتم لو كان المفسر بهذا هم الجماعة المتقدمون اما ان كانوا غيرهم فلا لانه مقابل أولئك و مثبت الخصوصية معترف بذلك بقوله ذكر جماعة من المفسرين (و قيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة لقوله تعالى (**اَمن**)) بتخفيف الميم ((**هُوقَانِت**)) قائم بوظائف الطاعات ((**انَاء الَّيلِ**)) ساعاته ((... **سَاجِداً وَقَائِماً) يَحْذَرُالاٰخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ * الآية. الزّمر: ٩**) أى كمن هو عاص بالكفر و غيره و فى قراءة أم من بمعنى بل و الهمزة (و بالسجود الصلاة) تسمية للكل باسم البعض (و الركوع الخشوع) لا مقابل السجود فلا معارضة على هذا التفسير أصلا (و الاخبات) عطف تفسير قال البيضاوى و أخبتوا الى ربّهم اطمأنوا اليه و خشعوا له من الخبت و هى الارض المطمئنة.

(و منها الصفوف فى الصلاة كصفوف الملائكة) أى التراص و اتمام الاول فالاول و كانت الامم السابقة يصلون منفردين و كل واحد على حدة قال بعضهم و حكمة الامر بتسوية الصفوف ان المصلين دعوا الى حالة واحدة مع الحق و هى الصلاة فساوى فى

هذه الدعوة بين عباده فلتكن صفتهم فيها اذا أقبلوا الى ما دعاهم اليه تسوية الصفوف لان الداعى انما دعاهم ليناجيهم من حيث انهم جماعة على السواء لا يختص واحد عنهم دون آخر فلا يتاخر واحد عن الصف و لا يتقدم بشئ من بدنه يؤدى الى اعوجاجه و قال ابن العربى شرعت الصفوف فى الصلاة ليتذكر الانسان بها وقوفه بين يدى الله يوم القيامة فى ذلك الموطن المهول و الشفعاء من الانبياء و الملائكة و المؤمنين بمنزلة الائمة فى الصلاة يتقدمون الصفوف و صفوفهم فى الصلاة كصفوف الملائكة عند ربها و قد أمرنا بذلك و ان كانت الملائكة لا يلزم من خلل صفوفها لو اتفق ان يدخلها خلل كصفوفنا اذ السماء ليست محلا لدخول الشياطين و انما تتراص الملائكة لتناسب الانوار حتى يتصل بعضها ببعض فتنزل متصلة الى صفوف المصلين فتعمهم تلك الانوار فان كان فيها خلل و دخلت فيه الشياطين أحرقتهم تلك الانوار (رواه مسلم من حديث حذيفة) بن اليمان عن النبى صلى الله عليه و سلم قال **(فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة)** الحديث و تقدم بتمامه أول مبحث الخصائص فيستحب انضمام بعض المصلين الى بعض بحيث لا يبقى بينهم فرجة و لا خلل كأنهم بنيان مرصوص فان الشيطان ابليس أو أعم اذا رأى فرجة دخلها كما فى الحديث و قال صلى الله عليه و سلم **(من وصل صفا وصله الله ومن قطع صفا قطعه الله)** رواه النسائى و صححه الحاكم على شرط مسلم أى وصله برحمته ورفع درجته و قطعه بابعاده عن ذلك و عن الثواب فالجزاء من جنس العمل.

(ومنها تحية الاسلام) أى السلام عند التلاقى لانه فتح باب المودة و تاليف للقلوب مؤد لكمال الايمان و فى مسلم عن أبى هريرة مرفوعا **(لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا و لا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شئ اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم)** (لحديث عائشة السابق) قريبا عن النبى صلى الله عليه و سلم **(ما حسدتنا اليهود على شئ ما حسدتنا على السلام و التأمين)** ففيه انه شرع لنا دونهم و فى مسلم عن أبى ذر فى قصة اسلامه و كنت أول من حياه بتحية الاسلام فقال **(وعليك السلام و رحمة الله)** و للطبرانى و البيهقى عن أبى امامة رفعه **(ان الله جعل السلام تحية لاهل ملتنا و أمانا لاهل ذمتنا)** و

لابى داود عن عمران بن حصين كنا نقول فى الجاهلية أنعم الله بك عينا و أنعم صباحا فلما جاء الاسلام نهينا عن ذلك و رجاله ثقات لكنه منقطع و أخرج ابن أبى حاتم عن مقاتل بن حبان قال كانوا يقولون فى الجاهلية حييت مساء حييت صباحا فغير الله ذلك بالسلام ففى هذا كله انه خاص بهذه الامة دون من تقدمهم لكن عورض بحديث الصحيحين عن أبى هريرة رفعه **(خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعا ثم قال له اذهب فسلم على أولئك النفر لنفر من الملائكة فاسمع مما يحيونك فانها تحيتك وتحية ذريتك فذهب فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك و رحمة الله فزادوه و رحمة الله)** الحديث قال القرطبى فيه دليل على تأكد السلام و انه من الشرائع القديمة التى كلف بها آدم ثم لم ينسخ فى شريعة انتهى و جمع بان المراد بالذرية بعضهم و هم المسلمون أو المراد تحية ذريته من جهة الشرع و كلاهما تعسف و قد ذكر المعارضة فى الفتح و ما تنزل للجمع.

(و منها الجمعة) بضم الميم على المشهور وقد تسكن و قرأ بها الاعمش و حكى الواحدى عن الفراء فتحها و حكى الزجاج الكسر أيضا سمى بذلك مع الا تفاق على انه كان يسمى فى الجاهلية العروبة بفتح المهملة وضم الراء و بالموحدة لان خلق آدم جمع فيه على أصح الاقوال (قال صلى الله عليه و سلم **(نحن الآخرون**)) زمانا (**(السابقون)**) أى الاولون منزلة (**(يوم القيامة)**) و المراد ان هذه الامة و ان تاخر وجودها فى الدنيا عن الامم الماضية فهى سابقة لهم فى الآخرة بانهم أول من يحشر و أول من يحاسب وأول من يقضى بينهم و أول من يدخل الجنة و فى حديث حذيفة عند مسلم **(نحن الآخرون من أهل الدنيا و الاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق)** و قيل المراد بالسبق هنا احراز فضيلة اليوم السابق بالفضل و هو يوم الجمعة و ان سبق بسبب قبله أو أحد لكن لا يتصور اجتماع الايام الثلا ثة متوالية الا و يكون يوم الجمعة سابقا و قيل المراد بالسبق الى القبول و الطاعة التى حرمها أهل الكتاب فقالوا سمعنا و عصينا قال الحافظ و الاول أقوى (**(بيد)**) بموحدة فتحتية ساكنة مثل غير وزنا و معنى و به جزم خليل و الكسائى و رجحه ابن سيده و قال الشافعى معنى بيد من أجل و استبعده عياض و لا بعد فيه اذ المعنى انا سبقنا

بالفضل مع تاخرنا فى الزمان بسبب انهم ضلوا عنها مع تقدمهم و يشهد له ما وقع فى فوائد ابن المقرى بلفظ **(نحن الآخرون فى الدنيا ونحن أول من يدخل الجنة لانهم أوتوا الكتاب من قبلنا)** و فى الموطأ رواية سعيد بن عفير عن مالك بلفظ **(ذلك بانهم أوتوا الكتاب)** و قال الداودى هى بمعنى على أو مع قال القرطبى ان كانت بمعنى غير فنصب على الاستثناء و ان كانت بمعنى مع فنصب على الظرف و قال الطيبى هى للاستثناء و هو من تأكيد المدح بما يشبه الذم و المعنى نحن السابقون للفضل غير (**(أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا)**) أى التوراة و الانجيل فاللام للجنس قال و وجه التأكيد فيه ما أدمج فيه من معنى النسخ لان الناسخ هو السابق فى الفضل و ان تاخر فى الوجود و بهذا التقرير يظهر قوله **(نحن الآخرون)** مع كونه أمرا واضحا و قال القرطبى المراد بالكتاب التوراة و فيه نظر لقوله **(و أوتينا من بعدهم)** فاعاد الضمير على الكتاب فلو كان المراد التوراة لما صح الاخبار لانا انما أوتينا القرآن و سقط من الاصل **(و أوتيناه من بعدهم)** و هى ثابتة فى رواية أبى زرعة الدمشقى عن أبى اليمان شيخ البخارى فيه أخرجه الطبرانى فى مسند الشاميين و كذا لمسلم من طريق ابن عيينة عن أبى الزناد و ذكره البخارى تاما بعد أبواب من وجه آخر عن أبى هريرة (**(ثم هذا يومهم الذى فرض الله عليهم)**) كذا للحموى و رواه الاكثر باسقاط الجلالة أى فرض تعظيمه و أشير اليه بهذا لكونه ذكر فى أول الكلام عند مسلم من طريق آخر عن أبى هريرة و من حديث حذيفة قال قال رسول الله عليه و سلم **(أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا)** قال ابن بطال ليس المراد أن يوم الجمعة فرض عليهم بعينه فتركوه لانه لا يجوز لاحد ترك ما فرض عليه و هو مؤمن و انما يدل و الله أعلم أنه فرض عليهم يوم من الجمعة و كل الى اختيارهم ليقيموا فيه شريعتهم فاختلفوا فى أى الايام هو و لم يهتدوا ليوم الجمعة و مال عياض الى هذا و رشحه بانه لو فرض عليهم بعينه لقيل فخالفوا بدل (**(فاختلفوا فيه)**) و قال النووى يمكن أنهم أمروا به صريحا فاختلفوا هل يلزم بعينه أم يسوغ ابداله بيوم آخر فاجتهدوا فى ذلك فاخطؤا انتهى و يشهد له ما رواه الطبرى باسناد صحيح عن مجاهد فى قوله تعالى **(إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ * الآية. النحل: ١٢٤)** قال أرادوا الجمعة فاخطؤا و أخذوا السبت مكانه و يحتمل أن يراد بالاختلاف اختلاف

اليهود و النصارى فى ذلك و قد روى ابن أبى حاتم عن السدى التصريح بانه فرض عليهم يوم الجمعة بعينه فابوا و لفظه ان الله فرض على اليهود الجمعة فابوا و قالوا يا موسى ان الله لم يخلق يوم السبت شيئا فاجعله لنا فجعل عليهم و ليس ذلك بعجيب من مخالفتهم كما وقع لهم فى قوله تعالى (... **ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ** * **الآية. البقرة: ٥٨**) و غير ذلك و كيف لا وهم القائلون سمعنا و عصينا قاله فى فتح البارى قال المصنف و يشهد له بقوله (**هذا يومهم الذى فرض عليهم**) فانه ظاهر او نص فى التعيين و ذكر أبو عبد الله الابى عن بعض الآثار أن موسى عين لهم يوم الجمعة و أخبرهم بفضله فناظروه بان السبت أفضل فاوحى الله دعهم و ما اختاروا أى بان قالوا هو يوم فراغ و قطع عمل فان الله فرغ من خلق السموات و الارض فينبغى انقطاعنا عن العمل فيه للتعبد و قالت النصارى الاحد لانه يوم بدء الخلق الموجب للشكر و التعبد و وفق الله هذه الامة للصواب فعينوا الجمعة لان الله خلق الانسان للعبادة و كان خلقه يومها فالعبادة فيه أحق لانه أوجد فى سائر الايام ما ينفع الانسان و فى الجمعة أوجد نفس الانسان فالشكر على نعمة الوجود ((**فهدانا الله له**)) بالنص عليه أو بالاجتهاد و يشهد للثانى ما رواه عبد الرزاق باسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال جمع أهل المدينة قبل ان يقدمها رسول الله صلى الله عليه و سلم و قبل أن ينزل الجمعة فقالت الانصار ان لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة أيام و للنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله و نصلى و نشكره فجعلوه يوم العروبة و اجتمعوا الى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ و أنزل الله بعد ذلك (... **إِذَا نُودِيَ لِلصَّلٰوةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ** * **الآية. الجمعة: ٩**) و هذا و ان كان مرسلا فله شاهد باسناد حسن أخرجه أحمد و أبو داود و ابن ماجه و صححه ابن خزيمه و غير واحد من حديث كعب بن مالك قال كان أول من صلى بنا الجمعة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة أسعد بن زرارة الحديث فمرسل ابن سيرين يدل على أن أولئك الصحابة اختاروا يوم الجمعة بالاجتهاد و لا يمنع ذلك أن يكون النبى صلى الله عليه و سلم علمه بالوحى و هو بمكة فلم يتمكن من اقامتها ثم و قد ورد فيه حديث ابن عباس عند الدارقطنى و لذا جمع بهم أول ما قدم المدينة كما حكاه ابن اسحق و غيره و على هذا فقد حصلت الهداية

للجمعة بجهتي البيان و التوفيق و قيل فى حكمة اختيارهم الجمعة وقوع خلق آدم فيه و الانسان انما خلق للعبادة فناسب الاشتغال بها فيه و لان الله أكمل فى الموجودات و أوجد فيه الانسان الذى ينتفع بها فناسب أن يشكر على ذلك بالعبادة ذكره الحافظ (**(فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا)**) أى السبت (**(و النصارى بعد غد)**) أى الاحد و فى رواية ابن خزيمة **(فهو لنا و لليهود يوم السبت و للنصارى يوم الاحد)** و المعنى أنه لنا بهداية الله ولهم باختيارهم و خطئهم فى اجتهادهم قال القرطبى **(غدا)** منصوب على الظرف متعلق بمحذوف تقديره اليهود يعظمون **(غدا)** و كذا قوله **(بعد غد)** و لابد من هذا التقدير لان ظرف الزمان لا يكون خبرا عن الجثة و قال ابن مالك الاصل أن يكون المخبر عنه بظرف الزمان من أسماء المعانى كقولك غدا التاهب و بعد غد الرحيل فيقدر هنا مضافان يكون ظرفا الزمان خبرين عنهما أى تبعية اليهود غدا و تبعية النصارى بعد غد انتهى قال الحافظ و سبقه الى نحو ذلك عياض و هو أوجه من كلام القرطبى و فيه فرضية الجمعة كما قال النووى لقوله فرض عليهم فهدانا الله له فان التقدير فرض عليهم و علينا فضلوا و هدينا و فى رواية لمسلم بلفظ **(كتب علينا)** و فيه ان الهداية و الاضلال من الله كما هو قول أهل السنة و ان سلامة الاجماع من الخطا مخصوص بهذه الامة و ان استنباط معنى من الاصل يعود عليه بالابطال باطل و أن القياس مع وجود النص فاسد و أن الاجتهاد فى زمن نزول الوحى جائز و أن الجمعة أول الاسبوع شرعا و يدل عليه تسمية الاسبوع كله جمعة و كانوا يسمون الاسبوع سبتا كما فى حديث أنس فى الاستسقاء فمطرنا سبتا و ذلك أنهم كانوا مجاورين لليهود فتبعوهم فى ذلك و فيه بيان واضح لمزيد فضل هذه الامة على الامم السالفة زادها الله تعالى انتهى (رواه البخارى) و مسلم و النسائى عن أبى هريرة.

(و منها ساعة الاجابة التى فى) يوم **(الجمعة)** المشار اليها بحديث الصحيحين من طريق مالك عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم ذكر يوم الجمعة فقال **(فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم و هو قائم يصلى يسال الله تعالى فيها شيئا الا أعطاه اياه)** و أشار بيده يقللها و قوله **(شيئا)** أى مما يليق بالمسلم سؤاله من ربه

و فى رواية لمسلم كالبخارى فى الطلاق **(يسأل الله خيرا)** و فى ابن ماجه من حديث أبى لبابة **(ما لم يسال حراما)** و لاحمد عن سعد بن عبادة **(ما لم يسأل اثما أوقطيعة رحم)** و هو خاص على عام للاهتمام به فقطيعة الرحم من الاثم و روى البزار و أبويعلى عن أنس مرفوعا **(اتانى جبريل فى يده مرآة بيضاء فيها نكتة سوداء قلت ما هذه قال الجمعة فرضها عليك ربك لتكون لك عيدا و لقومك قلت ما هذه النكتة السوداء قال هذه الساعة)** و حقيقة الساعة هنا جزء من الزمان مخصوص و يطلق على جزء من اثنى عشر من مجموع النهار أو على جزء ما غير مقدر من الزمان فلا يتحقق أو على الوقت الحاضر و فى حديث جابر مرفوعا عند أبى داود و غيره باسناد حسن ما يدل للاول و لفظه **(يوم الجمعة ثنتا عشرة ساعة فيها ساعة)** الى آخره قال ابن المنير الاشارة الى تقليلها للترغيب فيها و الحض عليها ليسارة وقتها و غزارة فضلها (و اختلف فى تعيينها على أقوال تزيد على الثلاثين) و قال غيره على نحو خمسين قولا (ذكرتها فى لوامع الانوار) اسم كتاب للمصنف (فى الادعية و الاذكار) و قد سردها فى فتح البارى ثنتين و أربعين قولا هل رفعت و كذب أبو هريرة قائله أو فى جمعة واحدة من كل سنة أو مخفية فى جميع اليوم أو تنتقل يوم الجمعة و لا تلزم ساعة لا ظاهرة و لا مخفية أو عند أذان الغداة أو من الفجر الى طلوع الشمس أو منه كذلك و من العصر للغروب أو فى هذين الوقتين و ما بين النزول من المنبر حتى يكبر أو أول ساعة بعد طلوع الشمس أو عند طلوعها أو آخر الساعة الثالثة من النهار أو الزوال حتى يصير الظل نصف ذراع أو كذلك حتى يصير ذراعا أو بعد الزوال بقليل الى ذراع أو اذا زالت الشمس أو اذا أذن المؤذن للجمعة أو من الزوال حتى يدخل الرجل فى الصلاة أو منه حتى يخرج الامام أو منه الى الغروب أو ما بين خروج الامام الى أن تقام الصلاة أو عند خروجه أو ما بين خروجه الى انقضاء الصلاة أو ما بين حرمة البيع و حله أو ما بين الاذان الى انقضاء الصلاة أو ما بين أن يجلس الامام على المنبر الى أن تنقضى الصلاة و يمكن اتحاد هذا القول مع اللذين قبله أو عند التاذين و عند تذكير الامام و عند الاقامة أو اذا أذن و اذا رقى و اذا أقيمت و هذا مثل ما قبله أو اذا أخذ الخطيب فى الخطبة أو عند الجلوس بين الخطبتين أو عند نزوله من المنبر أو حين الاقامة حتى يقوم الامام فى مقامه أو من اقامة

الصف الى تمام الصلاة أو هى الساعة التى كان عليه السلام يصلى فيها الجمعة و مغايرته لما قبله من جهة اطلاقه و تقييد هذا أو من صلاة العصر الى الغروب أو فى صلاة العصر أو بعده لآخر وقت الاختيار أو بعده مطلقا أو من وسط النهار الى قرب آخره أو من الصفرة للغروب أو آخر ساعة بعد العصر أو من حين يغيب نصف قرص الشمس أو تدليها للغروب الى تكامل غروبها و بسط الكلام عليها بادلتها مع بيان الصحة أو الضعف أو الرفع أو الوقوف و الاشارة الى مأخذ بعضها بما يصلح أنه تأليف مفرد قال و ليست كلها متغايرة بل كثير منها يمكن اتحاده مع غيره ثم نقل عن ابن المنير الجمع بان ساعة الاجابة واحدة منها لا بعينها فيصادفها المجتهد فى الدعاء فى جميعها و ليس المراد من أكثرها انها تستوعب جميع الوقت الذى عين بل انها تكون فى أثنائه لقوله **(يقللها)** و قوله فى رواية أخرى **(و هى ساعة خفيفة)** و فائدة ذكر الوقت أنها تنتقل فيه فيكون ابتداء مظنتها ابتداء الخطبة مثلا و انتهاؤه انتهاء الصلاة و كان كثيرا من القائلين عين ما اتفق له وقوعه فيها من ساعة فى أثناء وقت من الاوقات فبهذا التقريب يقل الانتشار جدا و لا شك أن أرجح الاقوال حديث أبى موسى و حديث عبد الله بن سلام و ما عداهما اما ضعيف الاسناد أو موقوف استند قائله الى اجتهاد دون توقيف و لا يعارضهما حديث أبى سعيد أنه صلى الله عليه و سلم أنسيها بعد أن علمها لاحتمال أنهما سمعا ذلك منه قبل أن أنسى أشار اليه البيهقى و غيره فاما حديث أبى موسى فروى مسلم و أبو داود عن أبى موسى سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول **(هى ما بين أن يجلس الامام على المنبر الى أن تنقضى الصلاة)** و أما حديث ابن سلام فروى الامام مالك و أصحاب السنن و ابن خزيمة و ابن حبان عن أبى هريرة أنه قال لعبد الله بن سلام أخبرنى و لا تضن على فقال عبد الله بن سلام هى آخر ساعة من يوم الجمعة قال أبو هريرة قلت كيف تكون آخر ساعة و قد قال صلى الله عليه و سلم **(لا يصادفها عبد مسلم و هو يصلى و تلك ساعة لا يصلى فيها)** فقال ابن سلام ألم يقل رسول الله صلى الله عليه و سلم **(من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو فى صلاة حتى يصلى)** قال أبو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك و لذا استشكل قوله فى حديث أبى هريرة السابق **(و هو قائم)** و كان ابن وضاح يأمر بطرحه لانه لو كان ثابتا عند أبى هريرة لاحتج به على ابن

سلام و لم يعارضه بانها ليست ساعة صلاة و قد ورد النص على الصلاة و أجابه بالنص الآخر أن منتظر الصلاة فى حكم المصلى و سلم له أبو هريرة الجواب و ارتضاه و أفتى به بعده و أجيب بحمل الصلاة على الدعاء أو الانتظار و حمل القيام على الملازمة أو المواظبة و لفظ (وهو قائم) ثابت عند أكثر رواة الموطا و هى زيادة محفوظة عن أبى الزناد من رواية مالك و ورقاء و غيرهما عنه و اختلف السلف فى أى الحديثين أرجح فقال مسلم حديث أبى موسى أجود شئ فى هذا الباب و أصحه و بذلك قال البيهقى و ابن العربى و جماعة و قال القرطبى هو نص فى موضع الخلاف فلا يلتفت الى غيره و قال النووى هو الصحيح بل الصواب و جزم فى الروضة بانه الصواب و رجح أيضا بكونه مرفوعا صريحا و فى أحد الصحيحين و رجح آخرون قول ابن سلام كاسحق بن راهويه و أحمد فقال أكثر الاحاديث عليه و قال ابن عبد البر انه أثبت شئ فى هذا الباب و روى سعيد بن منصور باسناد صحيح عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ان ناسا من الصحابة اجتمعوا فتذاكروا ساعة الجمعة ثم افترقوا فلم يختلفوا انها آخر ساعة من يوم الجمعة و حكى العلائى أن شيخه ابن الزملكانى كان يختاره و يحكيه عن نص الشافعى و أجابوا بان الترجيح بما فى الصحيحين أو أحدهما انما هو حيث لا يكون مما انتقده الحفاظ كحديث أبى موسى هذا فانه أعل بالانقطاع و الاضطراب و بينهما بما يطول ثم قال و اختار صاحب الهدى انحصارها فى أحد الوقتين المذكورين و أن أحدهما لا يعارض الآخر لاحتمال أنه صلى الله عليه و سلم دل على أحدهما فى وقت و على الآخر فى وقت آخر و هذا كقول ابن عبد البر الذى ينبغى الاجتهاد فى الدعاء فى الوقتين المذكورين و سبق الى نحو ذلك الامام أحمد و هو أولى فى طريق الجمع و قال ابن المنير اذا علم أن فائدة ابهام هذه الساعة كليلة القدر بعث الدواعى على الاكثار من الصلاة و الدعاء و لو بين لِاتّكلَ الناس على ذلك و تركوا ما عداها فالعجب بعد ذلك ممن يجتهد فى طلب تحديدها انتهى و قال السيوطى هنا أمر و هو أن ما أورده أبو هريرة على ابن سلام وارد على حديث أبى موسى أيضا لان حال الخطبة ليست ساعة صلاة و يتميز ما بعد العصر بانها ساعة دعاء و قد قال يسأل الله شيئا و ليس حال الخطبة ساعة دعاء لانه مأمور فيها بالانصات و كذا غالب الصلاة و وقت الدعاء منها اما

عند الاقامة أو فى السجود أو التشهد فان حمل الحديث على هذه الاوقات اتضح و يحمل قوله **(وهو قائم)** يصلى على حقيقته فى هذين الموضعين و على مجازه فى الاقامة أى قائم يريد الصلاة و هذا تحقيق حسن فتح الله به و به يظهر ترجيح رواية أبى موسى على قول ابن سلام لابقاء الحديث على ظاهره من قوله **(يصلى ويسأل)** فانه أولى من حمله على انتظار الصلاة لانه مجاز بعيد و يوهم أن انتظار الصلاة شرط فى الاجابة و لانه لا يقال فى منتظر الصلاة قائم يصلى و ان صدق انه فى صلاة لان لفظ **(قائم)** يشعر بملابسة الفعل انتهى و فى الفتح فان قيل ظاهر الحديث حصول الاجابة لكل داع بالشرط المتقدم مع اختلاف الزمان باختلاف البلاد و المصلى فيتقدم بعض على بعض و ساعة الاجابة متعلقة بالوقت فكيف تتفق مع الاختلاف أجيب باحتمال أن ساعة الاجابة متعلقة بفعل كل مصل كما قيل نظيره فى ساعة الكراهة و لعل هذا فائدة جعل الوقت الممتد مظنة لها و ان كانت هى خفيفة و يحتمل انه عبر عن الوقت بالفعل فيكون التقدير وقت جواز الخطبة أو الصلاة و نحو ذلك قال و قول صاحبنا العلامة شمس الدين الجزرى فى الحصن الحصين و أذن لى فى روايته عنه الذى أعتقده انها وقت قراءة الامام الفاتحة فى صلاة الجمعة الى أن يقول آمين جمعا بين الاحاديث التى صحت يخدش فيه انه يفوت على الداعى حينئذ الانصات لقراءة الامام انتهى.

(ومنها اذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله تعالى اليهم) أى الامة المحمدية نظر رحمة وغفران (**(ومن نظر اليه)**) كذلك (**(لم يعذبه أبدا)**) لان الكريم لا يرجع فيما أعطى و لا أكرم منه سبحانه (**(وتتزين الجنة فيه)**) تبشيرا للصائمين فاذا علموا ذلك بخبر الصادق زاد نشاطهم و تلقوه بمزيد القبول و المحبة و اعلاما للملائكة انه بمنزلة عظيمة عند الله (**(وخلوف)**) بضم الخاء و فتحها خطا و قيل لغة قليلة أى تغير ريح (**(أفواه الصائمين)**) لخلو معدتهم عن الطعام (**(أطيب عند الله)**) أى فى الآخرة كما جزم به العز بن عبد السلام لان فى رواية لمسلم **(يوم القيامة أو فى الدنيا والآخرة معا)** كما جزم به ابن الصلاح لان فى رواية ابن حبان **(لخلوف فم الصائم حين يخلف أطيب عند**

الله) و روى الحسن بن سفيان من حديث جابر **(أعطيت أمتى فى شهر رمضان خمسا)** قال **(و أما الثانية فانهم يمسون و خلوف أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك)** فكل واحد من الحديثين صريح فى انه وقت وجود الخلوف فى الدنيا يتحقق وصفه بذلك قال و قد ذكر العلماء شرقا و غربا معنى ما ذكرته و لم يذكر أحد تخصيصه بالآخرة بل جزموا بانه عبارة عن الرضا و القبول و نحوهما مما هو ثابت فى الدارين و أما ذكر **(يوم القيامة)** فى رواية مسلم فلانه يوم الجزاء و فيه يظهر رجحان الخلوف فى الميزان على المسك المستعمل لدفع الرائحة الكريهة طلبا لرضا الله حيث يؤمر باجتنابها و اجتلاب الرائحة الطيبة للمساجد و الصلوات وغيرها من العبادات فخص يوم القيامة بالذكر فى تلك الرواية لذلك كما خص فى قوله تعالى **(إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ * العاديات: ١١)** و أطلق فى باقى الروايات نظرا الى أن أصل أفضليته ثابت فى الدارين (**(من ريح المسك)**) اختلف فى معناه لانه تعالى منزه عن استطابة الروائح فقال الماوردى هو مجاز لانه جرت العادة بتقريب الروائح الطيبة لنا فاستعير ذلك لتقريب الصوم من الله فالمعنى انه أطيب عند الله من ريح المسك عندكم أى انه يقرب اليه أكثر من تقريب المسك اليكم و قيل ان ذلك فى حق الملائكة و انهم يستطيبون ريح الخلوف أكثر مما يستطيبون ريح المسك و قيل المعنى ان الله يجزيه فى الآخرة بكون نكهته أطيب من المسك كما يأتى المكلوم و ريح جرحه يفوح مسكا وقيل المعنى ان الخلوف أكثر ثوابا من المسك المطلوب فى الجمع و الاعياد و مجالس الذكر و الخير و صححه النووى و نقل القاضى حسين فى تعليقه ان للطاعات يوم القيامة ريحا يفوح قال فرائحة الصيام فيها بين العبادات كالمسك (**(وتستغفر لهم)**) أى للصائمين (**(الملائكة فى كل يوم و ليلة حتى يفطروا)**) حين انقضاء الشهر (**(و اذا كان آخر ليلة غفر لهم جميعا)**) زاد فى رواية للبيهقى و أحمد و البزار قيل يا رسول الله هى ليلة القدر قال **(لا و لكن العامل انما يوفى أجره عند انقضاء عمله)** (رواه البيهقى باسناد لا باس به) أى مقبول عن جابر (بلفظ) أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال (**(أعطيت أمتى فى شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبى قبلى) أما واحدة فانه اذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله اليهم و من نظر اليه لم يعذبه أبدا و أما الثانية فان خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك**

و أما الثالثة فان الملائكة تستغفر لهم فى كل يوم و ليلة و أما الرابعة فان الله عز و جل يأمر جنته فيقول لها استعدى و تزينى لعبادى أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا الى دارى و كرامتى و أما الخامسة فانه اذا كان آخر ليلة غفر لهم جميعا) فقال رجل من القوم أهى ليلة القدر قال **(لا ألم تر العمال يعملون فاذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم)** هذا لفظ رواية البيهقى و أخرجه الحسن بن سفيان من حديث جابر أيضا و حسنه أبو بكر بن السمعانى فى أماليه و تبعه ابن الصلاح وله شاهد بنحوه من حديث أبى هريرة رواه أحمد و البزار و البيهقى (**(و تستغفر لهم الحيتان حتى يفطروا)** رواه البزار) و أحمد و البيهقى من حديث أبى هريرة المذكور و رواه أبو الشيخ بلفظ **(الملائكة)** بدل **(الحيتان (و تصفد)**) تشد و تربط بالاصفاد و هى القيود (**(مردة الشياطين)**) أى عتاتهم و فى حديث ابن عباس عند البيهقى **(ويقول الله يا جبريل اهبط الى الارض فاصفد مردة الشياطين و غلهم بالاغلال ثم أقذفهم فى البحار حتى لا يفسدوا على أمة محمد صيامهم)** (رواه أحمد و البزار) من حديث أبى هريرة بزيادة **(فلا يخلصوا فيه الى ما كانوا يخلصون اليه فى غيره)** و فى الصحيحين و غيرهما من حديث أبى هريرة مرفوعا **(اذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين)** قال القاضى عياض يحتمل انه على ظاهره و حقيقته وذلك علامة للملائكة بدخول الشهر و تعظيمه و التصفيد ليمنعوا من ايذاء المؤمنين و التهويش عليهم و يحتمل انه مجاز عن كثرة الثواب و العفو و أن الشياطين يقل اغواؤهم و ايذاؤهم فيصيرون كالمصفدين و يكون تصفيدهم عن أشياء لناس دون ناس و يحتمل أن فتح أبواب الجنة عبارة عما يفتحه الله لعباده من الطاعات فى هذا الشهر التى لا تقع فى غيره عموما كالصيام و القيام و فعل الخيرات و الانكفاف عن كثير من المخالفات و هذه أسباب لدخول الجنة و أبواب لها و كذا تغليق أبواب النار و تصفيد الشياطين عبارة عما ينكفون عنه من المخالفات و معنى صفدت غلت والصفد بفتح الفاء الغل انتهى و نقله النووى ولم يزد عليه و رجح ابن المنير الاول و قال لا ضرورة تدعو الى صرف اللفظ عن ظاهره و كذا رجحه القرطبى و قال فان قيل فكيف ترى الشرور و المعاصى واقعة فى رمضان كثيرا فلو صفدت لم يقع ذلك فالجواب انها انما تغل عن الصائمين الصوم الذى حوفظ على شروطه و روعيت آدابه و

المصفد بعض الشياطين و هم المردة لا كلهم كما فى رواية الترمذى و غيره **(صفدت مردة الجن)** و المقصود تقليل الشرور فيه و هذا أمر محسوس فان وقوع ذلك فيه أقل من غيره اذ لا يلزم من تصفيد جميعهم أن لا يقع شر و لا معصية لان لذلك أسبابا غير الشياطين كالنفوس الخبيثة و العادات القبيحة و الشياطين الانسية و قال الحليمى يحتمل أن المراد بالشياطين مسترقو السمع منهم لانهم كانوا منعوا فى زمن نزول القرآن من استراق السمع فزيدوا التسلسل فى رمضان مبالغة فى الحفظ و قال الطيبى فائدة تفتيح أبواب الجنة توقيف الملائكة على استحماد فعل الصائمين و انه من الله بمنزلة عظيمة و اذا علم المكلف ذلك باخبار الصادق زاد فى نشاطه و تلقاه باريحية.

(و منها السحور) بفتح السين و ضمها و يحصل باقل ما يتناوله المرء من مأكول أو مشروب كما فى الفتح و غيره **(و تعجيل الفطر)** عند تحقق الغروب و ما يفعله الفلكيون من التمكين بعد الغروب بدرجة فمخالف للسنة[١] فلذا قل الخير قاله المصنف (رواه الشيخان) عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال **(لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر)** زاد أبو داود و ابن ماجه و ابن خزيمة و غيرهم من حديث أبى هريرة **(لان اليهود و النصارى يؤخرون)** و لابن حبان و الحاكم من حديث سهل **(لا تزال أمتى على سنتى ما لم تنتظر بفطرها)** النجوم و ليس فى رواية الشيخين تصريح بانه من خصوصياتنا انما هو فى غيرهما كما رأيت و أما **(السحور)** فروى مسلم عن عمرو بن العاص أن النبى صلى الله عليه و سلم قال **(فصل ما بين صيامنا و صيام أهل الكتاب أكلة السحور)** و فصل بصاد مهملة و قراءته بمعجمة تصحيف و لم يخرجه البخارى نعم رو يا معا أنس قال قال النبى صلى الله عليه و سلم **(تسحروا فان فى السحور بركة)** و هذا لا تصريح فيه بالخصوصية قال فى الفتح بفتح السين و ضمها روايتان لان المراد بالبركة الأجر و الثواب فيناسب الضم لانه مصدر بمعنى التسحر أو البركة كونه يقوى على الصوم و ينشط له و يخفف مشقته فيناسب الفتح لانه ما يتسحر به و قيل البركة ما تضمنه من الاستيقاظ و الدعاء فى السحر و الاولى انها تحصل بجهات متعددة اتباع السنة و مخالفة

(١) اذا رؤى الغروب الظاهرى من الافق الظاهرى لا حاجة الى التمكين و التمكين يجب ضمه الى وقت الغروب الفنى لتحصيل الغروب الشرعى

أهل الكتاب و التقوى على العبادة و الزيادة فى النشاط و التسبب بالصدقة على من يسال اذ ذاك أو يجتمع معه على الأكل و التسبب للذكر و الدعاء و مظنة الاجابة و تدارك نية الصوم لمن أغفلها قبل أن ينام و وقع لبعض المتصوفة أن حكمة الصوم كسر شهوة البطن و الفرج و السحور قد يباين ذلك قال ابن دقيق العيد و الصواب أن ما زاد قدره حتى تعدم هذه الحكمة بالكلية لا يستحب كتانق المترفين فى المآكل و كثرة الاستعداد لها و ما عداه تختلف مراتبه انتهى و قيل المراد بالبركة نفى التبعة روى البزار و الطبرانى عن ابن عباس مرفوعا **(ثلاثة ليس عليهم حساب فيما طعموا ان شاء الله اذا كان حلالا الصائم و المتسحر و المرابط فى سبيل الله)** و ذكره فى الفردوس بلفظ **(ثلاثة لا يحاسب عليها العبد أكلة السحور و ما أفطر عليه و ما أكل مع الاخوان)** و قيل يبارك فى قليله بحيث يعين على الصوم فروى ابن عدى **(تسحروا و لو بشربة من ماء)** و للطبرانى **(و لو بتمرة و لو بحبات من زبيب)** هذا و الخصوصيتان للامة على الامم لا على الانبياء لقوله صلى الله عليه و سلم **(انا معاشر الانبياء أمرنا أن نعجل إفطارنا و نؤخر سحورنا و نضع أيماننا على شمائلنا فى الصلاة)** رواه الطيالسى و الطبرانى باسناد صحيح (و اباحة الاكل و الشرب و الجماع) للصائم (ليلا) و لو نام (الى الفجر) كما قال تعالى **(أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ * الآية البقرة: ١٨٧)** (و كان محرما على من قبلنا بعد النوم و كذا كان) محرما علينا (فى صدر الاسلام ثم نسخ) روى البخارى عن البراء كان أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فنام قبل أن يفطر لم ياكل ليلته و لا يومه حتى يمسى و أن قيس بن صرمة الانصارى كان صائما فلما حضر الافطار أتى امرأته فقال هل عندك طعام فقالت لا و لكن أنطلق فاطلب لك و كان يومه يعمل فغلبته عينه و جاءت امرأته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشى عليه فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه و سلم فنزلت هذه الآية **(أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ اِلٰى نِسَآئِكُمْ ...)** ففرحوا بها فرحا شديدا **(وَ كُلُوْا وَ اشْرَبُوْا حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْاَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْاَسْوَدِ * الآية. البقرة: ١٨٧)** و أخرج أحمد و ابن جرير عن كعب بن مالك قال كان الناس فى رمضان اذا صام الرجل فامسى فنام حرم عليه الطعام و الشراب و النساء حتى يفطر من الغد فرجع عمر من عند النبى صلى الله عليه و سلم و قد

سمر عنده فاراد امرأته فقالت انى قد نمت قال و انا ما نمت و وقع عليها و صنع كعب بن مالك مثل ذلك فغدا عمر الى النبى صلى الله عليه و سلم فاخبره فنزلت الآية و روى البخارى عن البراء لما نزل صوم شهر رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله فكان رجال يخونون أنفسهم فانزل الله (**... عَلِمَ اللّٰهُ اَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ اَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَ عَفَا عَنْكُمْ * الآية. البقرة: ١٨٧**) و روى البخارى عن سهل بن سعد قال نزلت (**... وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْاَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْاَسْوَدِ * الآية. البقرة: ١٨٧**) و لم ينزل من الفجر فكان رجال اذا أرادوا الصوم ربط أحدهم فى رجله الخيط الابيض و الخيط الاسود فلا يزال يأكل و يشرب حتى يتبين له رؤيتهما فانزل الله بعد **(من الفجر)** فعلموا انما يعنى الليل و النهار.

(و منها ليلة القدر) لخبر الديلمى عن أنس مرفوعا **(ان الله وهب لامتى ليلة القدر و لم يعطها من كان قبلهم)** (كما قاله النووى فى شرح المهذب) و عبارته ليلة القدر مختصة بهذه الامة لم تكن لمن قبلنا هذا هو الصحيح المشهور الذى قطع به أصحابنا كلهم و جمهور العلماء قال الحافظ و جزم به ابن حبيب من المالكية و سبقهم كلهم الحكيم الترمذى فجزم بذلك (و هل صيام رمضان من خصائص هذه الامة) كما ذهب اليه الجمهور منهم معاذ و ابن مسعود و جماعة من الصحابة و التابعين و الحجة لهم قوله صلى الله عليه و سلم **(ان الله افترض صوم رمضان وسننت لكم قيامه)** رواه النسائى و البيهقى باسناد حسن عن عبد الرحمن بن عوف فهو ظاهر فى الاختصاص (أم لا) كما ذهب اليه جمع منهم الحسن و الشعبى (ان قلنا ان التشبيه الذى دلت عليه) لفظة (كما فى قوله تعالى (**... كُتِبَ**)) فرض ((**عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ * الآية. البقرة: ١٨٣**) على حقيقته) أى تشبيها تاما (فيكون رمضان كتب على من قبلنا) من جميع الامم و عن السدى هم النصارى كتب عليهم رمضان (و ذكر) أى روى (ابن أبى حاتم عن ابن عمر رفعه **(صيام رمضان كتبه الله على الامم قبلكم)**) فهذا يؤيد تمام التشبيه و يرد على السدى تخصيصهم بالنصارى (و) لكن (فى اسناده مجهول) فهو ضعيف لكن له شاهد فى

الترمذى (و ان قلنا المراد مطلق الصيام دون قدره و وقته) و هو شهر رمضان (فيكون التشبيه واقعا على مطلق الصوم) فلا ينافى اختصاصنا برمضان (و هو قول الجمهور) من الصحابة و التابعين و غيرهم قال الزمخشرى و بالجملة فالصوم عبادة أصلية قديمة ما أخلى الله أمة من افتراضه عليهم.

(و منها أن لهم الاسترجاع عند المصيبة) لقوله صلى الله عليه و سلم **(أعطيت أمتى شيا لم يعطه أحد من الامم ان يقولوا عند المصيبة انا لله و انا اليه راجعون)** رواه الطبرانى و ابن مردو يه عن ابن عباس (قال سعيد بن جبير فيما رواه ابن جرير و البيهقى و غيرهما عنه) **(لقد أعطيت هذه الامة)** أى أمة الاجابة أى ان يقول المصاب منهم (عند المصيبة) أى مصيبة كانت لقوله صلى الله عليه و سلم **(كل شئ ساء المؤمن فهو مصيبة)** رواه ابن السنى (ما لم يعط الانبياء عليهم السلام مثله) و هو **(انا لله)** ملكا و عبيدا يفعل بنا ما شاء **(وانا اليه راجعون)** فى الآخرة فيجازينا و روى أبو داود فى مراسيله ان مصباح النبى صلى الله عليه و سلم طفئ فاسترجع فقالت عائشة انما هذا مصباح فقال **(كل ما ساء المؤمن فهو مصيبة)** و فى الحديث **(من استرجع عند المصيبة آجره الله فيها وأخلف عليه خيرا)** و ظاهره ان المأمور به مرة واحدة فورا و ذلك فى الموت عند الصدمة الاولى و خير اذا ذكرها و لو بعد أربعين عاما فاسترجع كان له أجرها يوم و قوعها كما ورد لانه زيادة فضل لا ينافى الطلب بفور وقوع المصيبة (و لو أعطيت الانبياء لاعطيه يعقوب عليه السلام اذ قال يا أسفى) الالف بدل من ياء الاضافة أى يا حزنى (على يوسف) و هذا ظاهر فى انه من خصوصيات هذه الامة حتى على الانبياء اذ قوله لقد أعطيت لا دخل للرأى فيه فلا يكون الا عن بلاغ و أما و لو أعطيت الخ فان كان من البلاغ فواضح و ان كان استنبطه فهو استظهار و تقوية لسابقه ببعض أفراده فلا يقال لا يلزم منه أنه لم يشرع لغيره من الانبياء.

(ومنها ان الله تعالى رفع عنهم الاصر) الامر الذى يثقل حمله عليهم أى لم يوجبه عليهم و لم يجعله من شرعهم لا انه جعله عليهم ثم رفعه **(الذى كان على الامم**

قبلهم) أى على بعضهم و هم بنو اسرائيل كما (قال تعالى) **(اَلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْاُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِى التَّوْرٰيةِ وَالْاِنْجِيلِ يَاْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهٰيهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَٰٓئِثَ** (**(وَيَضَعُ عَنْهُمْ اِصْرَهُمْ)**) ثقلهم (**(وَ الْاَغْلٰلَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ * الآية. الاعراف: ١٥٧)**) فاتى بالآية دليلا على أن من قبلهم كان عليهم الاصر فالوضع عن بنى اسرائيل الذين آمنوا بالمصطفى حقيقى و به يستدل على رفعه عن الامة بطريق الاولى بمعنى انه لم يوضع عليهم بدليل (**... رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ اِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا * الآية. البقرة: ٢٨٦)** (أى و يخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة) فالاغلال استعارة شبه الامور الشاقة التى كلفوا بها بالاغلال التى تجعل فى الاعناق جمع غل و هو طوق حديد و عن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح و غلوا أيديهم الى أعناقهم و ربما نقب الرجل ترقوته و جعل فيها طرف السلسلة و أوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة (كتعيين القصاص فى العمد و الخطا) لخبر البخارى **(كان فى بنى اسرائيل القصاص)** أى تحتمه حتى فى الخطا و لم تكن فيهم الدية فى نفس أو جرح و ذلك قوله تعالى **(وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا * الآية. المائدة: ٤٥)** فهو شرع اليهود أما النصارى فيتعين عندهم العفو عن القود و المراد بالخطأ ضد العمد و هو أن يقصد شيئا فيخالف لغيره ما قصد لا ضد الصواب كما زعم لان تعمد الاثم يسمى خطا بالمعنى الثانى و لا يمكن ارادته هنا (و قطع الاعضاء الخاطئة) كاللسان فى الكذب و الذكر فى الزنا و فقوء العين فى النظر للاجنبية (و قطع موضع النجاسة) أخرج البخارى عن أبى وائل قال كان أبو موسى يشدد فى البول و يبول فى قارورة و يقول ان بنى اسرائيل كان اذا أصاب ثوب أحدهم قرضه فقال حذيفة ليته أمسك الحديث أى قطعه قال الحافظ و وقع فى مسلم جلد أحدهم قال القرطبى مراده الجلد واحد الجلود التى كانوا يلبسونها و حمله بعضهم على ظاهره و زعم انه من الاصر الذى حملوه و يؤيده رواية أبى داود كان اذا أصاب جسد أحدهم لكن رواية البخارى صريحة فى الثياب فلعل بعضهم رواه بالمعنى انتهى (و قتل النفس فى التوبة) كما قال تعالى (**... فَتُوبُوٓا اِلٰى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوٓا اَنْفُسَكُمْ * الآية. البقرة: ٥٤)** قال الجلال أى ليقتل البرىء منكم المجرم فارسل سحابة

سوداء لئلا يبصر بعضهم بعضا فيرحمه حتى قتل منهم نحو سبعين ألفا و روى ابن أبى حاتم عن على قال الذين عبدوا العجل يا موسى ما توبتنا قال يقتل بعضكم بعضا فاخذوا السكاكين فجعل الرجل يقتل أباه و أمه و أخاه حتى قتل سبعون ألفا فاوحى الله اليه مرهم فليرفعوا أيديهم فقد غفر لهم و روى من طرق نحوه عن ابن عباس و غيره و قول البيضاوى أو المراد بالقتل قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها و من لم يقتلها لم يحيها قال السيوطى [١] عليه هذا ذكره بعض ارباب الخواطر قال جماعة و لا يجوز ان يفسر به لاجماع المفسرين على ان المرد القتل الحقيقى انتهى و فى فتح الجليل استبعده جماعة باجماع المفسرين على أن المراد القتل الحقيقى بان يسلم من عبد العجل نفسه للبرئ ليقتلها فلا يرد عليه قول بعضهم اجمع المفسرون على انهم ما قتلوا أنفسهم بايديهم اذ لو كانوا مامورين بذلك لصاروا عصاة بتركه (و قد كان الرجل من بنى اسرائيل يذنب الذنب فيصيح قد كتب على باب بيته ان كفارته أن تنزع عينيك فينزعهما) و روى ابن جرير مرفوعا **(كان بنو اسرائيل اذا أصاب احدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابه و كفارتها فان كفرها كانت له خزيا فى الدنيا و الا كانت له خزيا فى الآخرة وقد أعطاكم الله خيرا من ذلك) (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوٓءًا اَوْيَظْلِمْ نَفْسَهُ * الآية. النساء: ١١٠)** و روى البيهقى مرفوعا **(كان بنو اسرائيل اذا أذنب أحدهم ذنبا أصبح وقد كتبت كفارته على أسكفة بابه و جعلت كفارة ذنوبكم قولا تقولونه تستغفرون الله فيغفر لكم)** (و أصل الاصر الثقل) بكسر المثلثة و فتح القاف و تسكن للتخفيف ضد الخفة و اما واحد الا ثقال فبالسكون كحمل و احمال و الثقل بفتحتين متاع المسافر و حشمه أو مطلق المتاع (الذى يأصر) بكسر الصاد (صاحبه) أى يحبسه من الحراك بفتح أوله و ثانيه (لثقله) فلا يقدر على التحرك.

(و منها ان الله تعالى أحل لهم كثيرا مما شدد على من قبلهم) (... يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ * الآية. البقرة: ١٨٥) و قال صلى الله عليه و سلم **(ان الله رضى لهذه الامة اليسر و كره لها العسر)** رواه الطبرانى برجال الصحيح (و لم يجعل عليهم

(١) جلال الدين عبد الرحمن بن محمد ولد بمصر ٨٤٩ هـ (١٤٤٥ م.) و توفى ٩١١ هـ (١٥٠٥ م.) بها وكان امام الحديث و مجتهدا.

فى الدين من حرج) بل سهله (قال تعالى) (**... هُوَ اجْتَبٰيكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ * الآية. الحج: ٧٨**)) روى أحمد عن حذيفة سجد صلى الله عليه و سلم فلم يرفع رأسه حتى ظننا ان نفسه قبضت فلما فرغ قال (**ربى استشارنى**) الحديث و فيه (**وأحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا و لم يجعل علينا فى الدين من حرج فلم أجد شكرا الا هذه السجدة**) (أى ضيق بتكليف ما اشتد القيام به عليهم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه و لا عذر لهم فى تركه) لعدم مشقة فعله عليهم (يعنى من لم يستطع أن يصلى قائما فليصل قاعدا) و من لا فمضطجعا على ما بين فى الفروع (و أباح للصائم الفطر فى السفر) و ان كان الصوم أفضل (و القصر فيه) للصلاة و جعله أفضل من الاتمام بل ذهب الحنفية الى انه عزيمة فلا يجوز الاتمام زاد البيضاوى أو الى الرخصة فى اغفال بعض ما أمرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه الصلاة و السلام (**اذا أمرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم**) (و قيل ذلك) أى معنى الآية (بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا) بان رخص لهم فى المضايق هكذا فى البيضاوى قبل قوله (و فتح لهم باب التوبة و شرع لهم الكفارات فى حقوقه) كالحنث فى اليمين به (و الاروش و الديات فى حقوق العباد) دون تعين القود (قاله البيضاوى) فى تفسير الآية (و روى) عند ابن أبى حاتم (عن ابن عباس انه) قيل له أما علينا فى الدين من حرج فى أن نسرق أو نزنى قال بلى قيل فما جعل عليكم فى الدين من حرج (قال الحرج ما كان على بنى اسرائيل من الاصر و الشدائد وضعه الله عن هذه الامة) بمعنى انه لم يجعله عليهم قال تعالى (**... وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ اِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا * الآية. البقرة: ٢٨٦**) قال البيضاوى حملا مثل حملك اياه من قبلنا أو مثل الذى حملته اياهم فيكون صفة لاصرا أو المراد به ما كلف به بنى اسرائيل من قتل الانفس و قطع موضع النجاسة و خمسين صلاة فى اليوم و الليلة و صرف ربع المال للزكاة أو ما أصابهم من الشدائد و المحن قال السيوطى قوله خمسين صلاة غلط فلم يفرض على بنى اسرائيل خمسون صلاة قط بل و لا خمس صلوات و لم تجتمع الخمس الا لهذه الامة و انما فرض على بنى اسرائيل صلا تان فقط كما فى الحديث و قال شيخ الاسلام نسب التكليف بها الى بنى اسرائيل و نسبها غيره من المفسرين الى اليهود و لا تنافى فالمراد من بنى اسرائيل اليهود فلا

يرد بان بنى اسرائيل لم يفرض عليهم خمسون بل و لا خمس صلوات مع أن من حفظ حجة على من لم يحفظ كذا قال و فيه ما لا يخفى فكون المراد من بنى اسرائيل اليهود لا يدفع الرد بان الخمسين لم تفرض عليهم فليس ملحظ الرد ايهامه انها فرضت على جميع بنى اسرائيل مع انها انما فرضت على اليهود منهم فيجاب بانهم المرادون من بنى اسرائيل و كون من حفظ حجة لا يجدى هنا لان النافى صحبه دليل نفيه و هو قوله كما فى الحديث يشير الى ما فى حديث المعراج فى مراجعة موسى لنبينا و فيه ما لفظه **(فانه فرض على بنى اسرائيل صلا تان فما قاموا بهما)** أخرجه النسائى من حديث أنس (و عن كعب أعطى الله هذه الامة ثلا ثا) لفظه ثلاث خصال (لم يعطهن الا الانبياء) كان النبى يقال له **(بلغ و لا حرج و أنت شهيد على أمتك و ادع أجبك)** (جعلهم شهداء على الناس) يوم القيامة بان رسلهم بلغتهم (و ما جعل عليهم فى الدين من حرج) بل سهله و قال صلى الله عليه و سلم **(خير دينكم أيسره)** أى ما لا مشقة فيه و لا اصر لكن بعضه ايسر من بعض فامر بعدم التعمق فيه فانه لن يغالبه أحد الا غلبه و جاءت الانبياء السابقة بتكاليف و آصار بعضها أغلظ من بعض (**(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى)**) اسالونى (**(اَسْتَجِبْ لَكُمْ * الآية. المؤمن: ٦٠)**) دعاءكم و قيل المعنى اعبدونى أثبكم بقرينة (**... اِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى * الآية. المؤمن: ٦٠**) و أجاب من فسر الدعاء بالسؤال بان الاستكبار الصارف عنه منزل منزلته للمبالغة أو المراد بالعبادة الدعاء لانه من أبوابها أخرج الفريابى عن كعب أعطيت هذه الامة ثلاث خصال لم يعطهن الا الانبياء كان النبى يقال له **(بلغ ولا حرج و أنت شهيد على أمتك و ادع أجبك)** و قال لهذه الامة **(ما جعل عليكم فى الدين من حرج لتكونوا شهداء على الناس ادعونى أستجب لكم)** فاقتصر المصنف على حاجته منه.

(و منها ان الله تعالى رفع عنهم المؤاخذة بالخطأ) أى اثمه لا حكمه اذ حكمه من الضمان لا يرتفع أو عن حكمه على القول الثانى أو عنهما قيل و هو أقرب لعموم التناول و عدم المرجح و لا ينافيه ضمان المال و الدية ونحوهما لخروجه بدليل منفصل **(و النسيان)** بالكسر ضد الذكر و الحفظ و يطلق على الترك و ليس بمراد هنا **(وما استكرهوا**

عليه) أى حملوا على فعله قهرا و خص بغير الزنا و قتل المسلم و قطعه فلا يبيح ذلك الاكراه **(و حديث النفس)** رفع عن هذه الامة المؤاخذة به أى ما يقع فى قلوبهم من القبائح قهرا لقوله صلى الله عليه و سلم **(ان الله تجاوز لامتى ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل)** رواه الشيخان روى أحمد و مسلم و غيرهما عن أبى هريرة قال لما نزلت **(... وَاِنْ تُبْدُوا مَا فِىٓ اَنْفُسِكُمْ اَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللّٰهِ * الآية. البقرة: ٢٨٤)** اشتد ذلك على الصحابة فاتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فجثوا على الركب و قالوا قد أنزل عليك هذه الآية و لا نطيقها فقال **(أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا و عصينا بل قولوا (... سَمِعْنَا وَ اَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَاِلَيْكَ الْمَصِيرُ * البقرة: ٢٨٥)** فلما اقترأها القوم و ذلت بها ألسنتهم أنزل الله فى أثرها **(اٰمَنَ الرَّسُولُ * الآية. البقرة: ٢٨٥)** فلما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل **(لاَ يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْسًا اِلاَّ وُسْعَهَا)** الى آخرها و روى مسلم و غيره عن ابن عباس نحوه و عند الفريابى عن محمد بن كعب قال ما بعث من نبى و لا أرسل من رسول أنزل عليه الكتاب الا انزل عليه هذه الآية **(... وَاِنْ تُبْدُوا مَا فِىٓ اَنْفُسِكُمْ اَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللّٰهِ * الآية. البقرة: ٢٨٤)** فكانت الامم تاتى على انبيائهم و رسلها و يقولون نؤاخذ بما تحدث به أنفسنا و لم تعمل جوارحنا فيكفرون و يضلون فلما نزلت على النبى صلى الله عليه و سلم اشتد على المسلمين ما اشتد على الامم قبلهم فقالوا أنؤاخذ بما تحدث به أنفسنا و لم تعمل جوارحنا قال **(نعم فاسمعوا و أطيعوا)** فذلك قوله تعالى **(اٰمَنَ الرَّسُولُ * الآية. البقرة: ٢٨٥)** فرفع الله عنهم حديث النفس الا ما عملت الجوارح (و قد كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما أمروا به أو أخطؤا فى شيء عجلت لهم العقوبة فحرم عليهم شيء من مطعم أو مشرب) عقوبة من الله لهم (على حسب ذلك الذنب) من كبر وصغر (و قد قال صلى الله عليه و سلم **(ان الله وضع)**) و فى رواية **(رفع (عن أمتى)**) أمة الاجابة فقوله **(أمتى)** دليل على أن ذلك كان على من قبلهم (**(الخطا و النسيان و ما استكرهوا عليه)**) حديث جليل قال بعض العلماء ينبغى أن يعد نصف الاسلام لان الفعل اما عن قصد و اختيار أولا الثانى ما يقع عن خطا أو نسيان أو اكراه و هذا القسم معفوعنه اتفاقا و انما اختلف هل المعفوعنه الاثم أو الحكم أو هما معا و هو ظاهر الحديث و ما خرج عنه

كضمان الدم الخطأ و اتلاف المال خطأ و نحوهما فبدليل منفصل و فيه ان طلاق المكره لا يقع (رواه أحمد و ابن حبان و الحاكم و ابن ماجه) و الطبرانى و الدارقطنى باسانيد جيدة و فى بعضها كلام لا يضر كما بينه النور الهيتمى و تلميذه الحافظ و حسنه النووى فى الروضة و أخرجه الطبرانى عن ثوبان بلفظ **(رفع عن أمتى)** الخ و خفى على الكمال بن الهمام فقال هذا الحديث يذكره الفقهاء بهذا اللفظ و لا يوجد شئ من كتب الحديث كذا قال و الكمال لله قال البيضاوى و مفهوم الخبر ان الخطا و النسيان كان مؤاخذا بهما أولا أى فى الامم السابقة و لا يمتنع ذلك عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدى الى الهلاك و ان كان خطأ فتعاطى الذنوب لا يبعد ان يقضى الى العقاب و ان لم يكن عزيمة لكنه تعالى و عدنا التجاوز عنه رحمة و فضلا و من ثم أمر الانسان بالدعاء استدامة و اعتدادا بالنعمة.

(و منها ان الاسلام وصف خاص بهم لا يشركهم فيه غيرهم الا الانبياء عليهم الصلاة و السلام) كما ذهب اليه جمع من العلماء فشرفت هذه الامة بان وصفت بالوصف الذى كان يوصف به الانبياء تكريما لها (لقوله تعالى) **(وَجَاهِدُوا فِي اللّٰهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبٰيكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ اَبِيكُمْ اِبْرٰهِيمَ (هُوَ سَمّٰيكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ※ الآية. الحج: ٧٨)**) فى أم الكتاب و هو اللوح المحفوظ و فى التوراة و الانجيل و سائر كتبه على ان ضمير **(هو)** عائد لله كما قاله جمع من المفسرين كابن عباس و مجاهد عند ابن المنذر و على بن زيد عند ابن أبى حاتم و كذا روى عن قتادة و ابن عيينة و مقاتل قالوا (و فى هذا) يعنى القرآن و أيد بانه قرئ **(الله سمّيكم المسلمين)** فلو لم يكن ذلك خاصا به كالذى ذكر قبله لم يكن لتخصيصه بالذكر و لا لاقترانه بما قبله معنى و هذا ما فهمه السلف من الآية و لقوله تعالى (**(... وَرَضِيتُ لَكُمُ الْاِسْلَامَ دِينًا ※ الآية. المائدة: ٣)**) فانه ظاهر فى الاختصاص (اذ لو لم يكن خاصا بهم لم يكن فى الامتنان عليهم بذلك فائدة) لانه لو رضيه لغيرهم ما حسن الامتنان به عليهم و لا تقديم **(لكم)** (و قد يجاب بان رضا الاسلام دينا لهم) فى هذه الآية (و تسمية ابراهيم اياهم بذلك) فى الآية

التى ساقها قبلها بناء على ان الضمير لابراهيم لانه أقرب مذكور كما قاله جماعة كابن زيد فى أحد قوليه قال هو ابراهيم ألا ترى الى قوله (... **وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَآ اُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ۝ الآية. البقرة: ١٢٨**) (لا ينفى اتصاف غيرهم بذلك) الوصف (و فائدة ذلك) أى الامتنان على هذه الامة مع الاشتراك (الاعلام بالانعام عليهم بما أنعم به على غيرهم من الفضائل) و دفع السيوطى هذا الجواب بانه جهل بقواعد المعانى فان تقديم **(لكم)** يستلزمه كما قال صاحب الكشاف فى قوله تعالى (... **وَبِالْاٰخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ البقرة: ٤**) ان تقديم **(هم)** تعريض باهل الكتاب و أنهم لا يوقنون بالآخرة و كما قال الاصفهانى فى قوله (... **وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ۝ البقرة: ١٦٧**) ان تقديم **(هم)** يفيد أن غيرهم يخرجون منها و هم الموحدون (و قيل لا يختص بهم بل يطلق على غيرهم أيضا و هو اسم لكل دين حق لغة و شرعا كما أجاب به ابن الصلاح لقوله تعالى حكاية عن وصية يعقوب) (**وَوَصّٰى بِهَآ اِبْرٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰى لَكُمُ الدِّينَ** (**فَلَا تَمُوتُنَّ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝ البقرة: ١٣٢**)) قال السيوطى هذا من قول ابراهيم و يعقوب لبنيهما و فى بنى كل الانبياء فلا يحسن الاستدلال به على غيرهم مع انه لا يلزم منه طرده فى امة موسى و عيسى لما علم أن ملة ابراهيم تسمى الاسلام و بها بعث النبى صلى الله عليه و سلم و كان أولاد ابراهيم و يعقوب عليها فصح أن يخاطبوا بذلك و لا يتعدى الى من ملته اليهودية و النصرانية قال و أما قوله تعالى حكاية عن أولاد يعقوب (... **وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝ البقرة: ١٣٣**) فجوابه أن ذلك اما على سبيل التبعية له ان لم يكونوا أنبياء مع أن فيهم يوسف و هو نبى قطعا فلعله هو الذى تولى الجواب و أخبر عن نفسه بالاصالة و أدرج اخوته معه تغليبا و ان كانوا أنبياء كلهم فلا اشكال و من أدلة العموم قوله (**(فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ الذاريات: ٣٦**)) و أجاب عنه السيوطى بما حققه صاحب القول الراجح أن هذا الوصف يطلق على الانبياء و البيت المذكور بيت لوط و لم يكن فيه مسلم الا هو و بناته و هو نبى فصح اطلاقه عليه بالاصالة و على بناته بالتغليب أو على التبعية اذ لا مانع أن تختص أولاد الانبياء بخصائص لا يشاركهم فيها بقية الامة كما اختصت فاطمة بانه لا يتزوج عليها و اخوها ابراهيم بانه لو عاش لكان نبيا و ذكر أمورا استظهارا

على ذا الجواب (الى غير ذلك) كقوله تعالى (**وَقَالَ مُوسٰى يَا قَوْمِ اِنْ كُنْتُمْ اٰمَنْتُمْ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا اِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ * يونس: ٨٤**) و أجاب السيوطى بحمله على التغليب لانه خاطبهم و فيهم هرون و يوشع و هما نبيان فادرج بقية القوم فى الوصف تغليبا أو يحمل على ان المراد ان كنتم منقادين لى فيما آمركم به قال و التحقيق الذى قامت عليه الادلة ما رجحناه من الخصوصية بالنسبة الى الامم و أن كل ما ورد من اطلاق ذلك فيمن تقدم فانما أطلق على نبى أو ولده تبعا أو جماعة فيهم نبى غلب لشرفه و من ذلك قوله تعالى (**وَاِذْ اَوْحَيْتُ اِلَى الْحَوَارِيّٖنَ اَنْ اٰمِنُوا بٖى وَبِرَسُولٖى قَالُوٓا اٰمَنَّا وَاشْهَدْ بِاَنَّنَا مُسْلِمُونَ * المائدة: ١١١**) فان الحواريين فيهم أنبياء منهم الثلاثة المذكورون فى قوله تعالى (**... اِذْ جَٓاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * اِذْ اَرْسَلْنَٓا اِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا اِنَّٓا اِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ * يس: ١٣ - ١٤**) نص العلماء على انهم من حوارى عيسى وأحد قولى العلماء أن الثلاثة أنبياء و يرشحه ذكر الوحى اليهم (و لان الايمان) لكونه التصديق القلبى (أخص من الاسلام) لانه الانقياد للاحكام المأمور بها [١] فان صحبه تصديق قلبى فمسلم فقط تجرى عليه أحكام الدنيا و لا ينفعه ذلك عند الله (كما هو مذهب كثير من العلماء و ليس خاصا بهذه الامة بل يوصف به) أى بالايمان (كل من دخل فى شريعة مقرا بالله تعالى و بانبيائه) كما قاله الراغب فقياس الوصف بالاخص الوصف بالاعم و جوابه أنه قياس فى معرض النصوص الظاهرة بخلافه فلا يعتبر و قد حكى السيوطى القولين فى تأليف سماه اتمام النعمة و رجح القول بالاختصاص و ذكر له ثلاثة و عشرين دليلا منها ما رواه ابن راهوية و ابن أبى شيبة عن مكحول كان لعمر على رجل حق فأتاه يطلبه فقال عمر لا و الذى اصطفى محمدا على البشر لا أفارقك فقال اليهودى و الله ما اصطفاه فلطمه عمر فاتى النبى فاخبره فقال صلى الله عليه و سلم (**بل يا يهودى آدم صفى الله و ابراهيم خليل الله و موسى نجى الله و عيسى روح الله و أنا حبيب الله بل يا يهودى تسمى الله باسمين سمى بهما أمتى هو السلام و سمى أمتى المسلمين و هو المؤمن و سمى أمتى المؤمنين**) الحديث و هو صريح فى اختصاصنا بوصف الاسلام و الا لم يحسن ايراده فى معرض التفضيل اذ كان اليهودى يقول و نحن و

---

(١) قوله فان صحبه الخ كذا بخط المؤلف و لعله فان لم يصحبه اهـ من هامش.

سائر الامم كذلك و أخرج البخارى فى تاريخه و النسائى و ابن مردو يه عن الحرث الاشعرى عن النبى صلى الله عليه و سلم **(من دعا بدعوى الجاهلية فانه من جثا جهنم)** قال رجل و ان صام و صلى قال **(نعم فادعوا بدعوة الله التى سماكم بها المسلمين و المؤمنين عباد الله)** و لابن جرير عن قتادة ذكر لنا أنه يمثل لاهل كل دين دينهم يوم القيامة فأما الايمان فيبشر أصحابه و أهله و يعدهم الخير حتى يجئ الاسلام فيقول يا رب أنت السلام و أنا الاسلام فصريحه اختصاص الاسلام بنا لفرقه بينه و بين الايمان المتعلق باهل الاديان و قوله تعالى **(... وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَاَسْلَمْتُمْ * الآية. آل عمران: ٢٠)** دليل على الخصوص و الا لقال الكتابيون نحن مسلمون و ديننا اسلام و ذكر فى آخره قول السبكى القصد من تكثير الادلة أن الآية الواحدة و الآيتين قد يمكن تاو يلها و يتطرق لها الاحتمال فاذا كثرت قد تترقى الى حد يقطع بارادتها ظاهرا و نفى الاحتمال و التاو يل قال و لذا ذكرت ثلاثة و عشرين دليلا لان كلا على انفراده يمكن تاو يله و تطرق الاحتمال فلما كثرت غلب على الظن ارادة ظاهرها و نفى الاحتمال و التاو يل و عبرت بغلب على الظن دون القطع لاجل ما عارضها من الآيات التى استدل بها للقول الآخر و منها قوله **(اَلَّذِينَ اٰتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلٰى عَلَيْهِمْ قَالُوٓا اٰمَنَّا بِهٖٓ اِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَآ اِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهٖ مُسْلِمِينَ * القصص: ٥٢ - ٥٣)** و الجواب أن مسلمين اسم فاعل مراد به الاستقبال على حقيقته و هو الاصل لا الحال و لا الماضى الذى هو مجاز و التقدير انا كنا من قبل مجيئه عازمين على الاسلام به اذا جاء لما كنا نجده فى كتبنا و يرشحه ان السياق يرشد الى أن قصدهم الاخبار بحقية القرآن و انهم كانوا على قصد الاسلام به اذا جاء به صلى الله عليه و سلم لما عندهم من صفاته و قرب زمانه و ليس قصدهم الثناء على أنفسهم بانهم كانوا بصفة الاسلام لانه ينبو عنه المقام أو يقدر فى الآية **(...اِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهٖ مُسْلِمِينَ* القصص: ٥٣)** فوصف الاسلام سببه القرآن لا التوراة و الانجيل و يرشحه ذكر الصلة فى قوله **(قبله هم به يؤمنون)** فدل على انها مرادة فى الثانية و حذفت كراهة لتكرارها مرتين فى آية واحدة لذكرها فى قوله **(امنا به)** أو وصفهم أنفسهم به من أول أمرهم اعتبارا بما ختم لهم من الدخول فى الاسلام كقول الاشعرى من كتب الله انه يموت

مؤمنا فيسمى عند الله مؤمنا و لو فى حالة كفر سبقت منه و كذا عكسه فاذا وصف الكافر حال كفره بالايمان للخاتمة فلان يوصف بالاسلام من كان على دين حق لما قدر له من دخوله فيه من باب أولى انتهى هذا و من خصوصيات الاسلام انه يجب ما قبله أى يقطع روى ابن سعد و الطبرانى عن الزبير و جبير بن مطعم مرفوعا **(الاسلام يجب ما كان قبله)** و فى رواية **(يهدم)** أى من كفر و عصيان و ما يترتب عليهما من حقوق الله أما حقوق عباده فلا تسقط اجماعا و لو كان المسلم ذميا و الحق ماليا و ظاهره أساء بعده أو أحسن و أما خبر **(من أحسن فى الاسلام لم يؤخذ بما عمل فى الجاهلية ومن أساء فى الاسلام أخذ بالاول و الآخر)** رواه الشيخان فوارد على نهج التحذير و روى مسلم عن عمرو بن العاص قلت يا رسول الله تبايعنى على ان تغفر لى فقال **(أما علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله و ان الهجرة تهدم ما كان قبلها و أن الحج يهدم ما كان قبله)** ففيه أن كل واحد بمفرده يكفر ما قبله قال ابن تيمية و اختص صحبه صلى الله عليه و سلم باسم الانصار و المهاجرين فهما اسمان شرعيان جاء بهما الكتاب و السنة و سماهما الله بهما كما سماهم بالمسلمين.

(ومنها ان شريعتهم أكمل من جميع الشرائع المتقدمة) لا زيادة تشديد فيها فيصعب القيام بها و لا زيادة تخفيف بل على غاية الاعتدال و خير الامور أوسطها (و هذا مما لا يحتاج الى بيانه لوضوحه) لانك اذا تدبرت فى أى حكم منها وجدته معتدلا و استظهر على ذلك بقوله (و انظر الى شريعة موسى عليه السلام فقد كانت شريعة جلال و قهر أمروا بقتل نفوسهم فى التوبة) و قد امتن الله علينا بعدم ذلك و ذكرنا بهذه النعمة فى قوله **(وَلَوْ اَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ اَنِ اقْتُلُوٓا اَنْفُسَكُمْ اَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ اِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ * الآية. النساء: ٦٦)** أى انه رحمنا فلم يكتب علينا ذلك كما كتبه على بنى اسرئيل (و حرمت عليهم الشحوم) و هى الثروب و شحم الكلى **(... مِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ اِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا * الآية. الانعام: ١٤٦)** (و ذوات الظفر) و هو ما لم تفرق أصابعه كالابل و النعام و الطيور (و غيرها من الطيبات) بعد حلها كما قال تعالى **(فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ * الآية. النساء ١٦٠)** و قال تعالى **(كُلُّ**

الـطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِيٓ اِسْرَآئِيلَ اِلاَّ مَا حَرَّمَ اِسْرَآئِيلُ عَلٰى نَفْسِهٖ * الآية. آل عمران: ٩٣) أى الابـل لما حـصـل لـه عـرق الـنسا بالفتح و القصر فنذر ان شفى لا ياكلها فحرم عليهم (و حـرمـت عـلـيهم الغنائم) و على غيرهم سوانا فجعلت لنا من أحل أموالنا (و عجل لهم من الـعـقـوبـات ما عجل) من عذاب و غيره كعقابهم بتحريم ما كان لهم حلالا (و حملوا من الآصار و الاغلال) عطف تفسير أى التكاليف الشاقة (ما لم يحمله غيرهم) بسبب ظلمهم (و كـان مـوسى عـلـيه السلام من أعظم خلق الله هيبة و وقارا) كسحاب رزانة (و أشدهم بـأسا) شدة (و غضبا لله و بطشا باعداء الله فكان لا يستطاع النظر اليه) لذلك و نبينا صلى الله عـلـيـه و سـلـم و ان كـان أعظم فى كل ذلك منه لكنه كان يعامل أمته بالرفق و اللين فـيـقـدمـون عليه و يكلمونه (و عيسى عليه السلام كان فى مظهر) أى محل ظهور (الجمال و كـانـت شـريـعـتـه شـريـعـة فـضل و احسان) لا من كل وجه بل فيها بعض تشديد لكنها تخـفـيف بالنسبة لشريعة موسى لقوله (و كان لا يقاتل و لا يحارب و ليس فى شريعته قتال الـبـتـة و الـنـصارى يحرم عـلـيـهـم فى ديـنهم القتال و هم به عصاة) لحرمته عليهم (فان الانـجـيل) كتابهم (يامر فيه) بقوله (من لطمك) ضربك بكفه مفتوحة و يكون على الخد و على غـيـره مـن الجـسـد و لـذا قال (على خدك الايمن فادر له خدك الايسر) اشارة الى عدم الانتقام (و من نازعك ثوبك فاعطه رداءك و من سخرك ميلا فامش معه ميلين و نحو هذا) مما كله كناية عن المساهلة مع الناس فى الاخذ و العطاء و المعاشرة كما يدل عليه سوقه فى مـقـام تخـفـيـف شرع عيسى لا الامر بشىء مما ذكر حقيقة (و ليس فى شريعتهم مشقة و لا آصـار و لا اغـلال) تـفـسـيرى كما فى شرع موسى فلا يخالف قول ابن الجوزى بدء الشرائع كـان على الـتـخـفـيـف و لا يـعـرف فى شـرع صـالح و نوح و ابراهيم تثقيل ثم جاء موسى بـالتشديد و الا ثقال و جاء عيسى بنحوه و جاءت شريعة نبينا بنسخ تشديد أهل الكتاب و لا يـطـلـق على تـسـهـيـل من كان قبلهم فهى على غاية الاعتدال فقوله و جاء عيسى بنحوه ظـاهـر فى خلاف كلام المصنف لكن يمكن تاو يله بانه تشديد نسبى و ان كان بعيدا يأباه لـفـظ الانـجـيل المذكور فان ظاهره أن لا تشديد فيها البتة فلعل أصل العبارة و جاء عيسى بـضده فتحرفت بنحوه (و أما النصارى فابتدعوا تلك الرهبانية) و هى رفض النساء و اتخاذ

الصوامع (من قبل أنفسهم و لا تكتب عليهم) أى لم يؤمروا بها كما قال تعالى (**... وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَاءَ رِضْوَانِ ٱللهِ * الآية. الحديد: ٢٧**) و هو منقطع أى لكن فعلوها ابتغاء الخ و قد قال صلى الله عليه و سلم (**لا خزم ولا زمام ولا سياحة ولا تبتل ولا ترهب فى الاسلام**) رواه عبد الرزاق و قال صلى الله عليه و سلم (**عليكم بالجهاد فانه رهبانية الاسلام**) رواه أحمد و قال عليه الصلاة و السلام (**تزوجوا فانى مكاثر بكم الامم ولا تكونوا كرهبانية النصارى**) رواه البيهقى (و أما نبينا صلى الله عليه وسلم فكان مظهر) بفتح الميم محل ظهور (الكمال الجامع لتلك القوة و العدل و الشدة فى الله و اللين و الرأفة و الرحمة فشريعته أكمل الشرائع و أمته أكمل الامم و أحوالهم و مقاماتهم أكمل الاحوال و المقامات و لذلك) المذكور من كونه مظهر الخ (تاتى) بمعنى أتت (شريعته) بالعدل أى الحكم المشمل عليه و هو القصد أى التوسط فى الامور ثم تنوع ذلك الحكم الى واجب و غيره كما قال (ايجابا له) أى للعدل بمعنى الحكم كما علم (و فرضا) مساو (و بالفضل ندبا اليه و استحبابا) لا فرضا و ايجابا كالعفو عن الجانى (و بالشدة فى موضع الشدة) كقتال الكفار و نحوهم (و باللين فى موضع اللين) كالعفو عن الاسارى (و وضع السيف موضعه و وضع الندى) أى الخير (موضعه) أى المحل اللائق به شرعا (فيذكر الظلم و يحرمه و العدل و يامر به و الفضل و يندب) أى يدعو (اليه فى بعض آية كقوله تعالى (**وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا * الآية. الشورى: ٤٠**)) سميت الثانية بذلك لمشابهتها للاولى صورة و ان كانت عدلا لوقوعها جزاء و السيئة هى الفعلة القبيحة قال الجلال و هذا ظاهر فيما يقتص منه من الجراحات قال بعضهم و اذا قال له أخزاك الله فيقول له أخزاك الله (فهذا عدل) و لذا قال صلى الله عليه و سلم لهبار بن الاسود (**سب من سبك**) لما كانوا يسبونه بعد اسلامه بما كان منه قبله فكفوا عنه (فمن عفا) عن ظالمه (و أصلح) الود بينه و بينه بالعفو عنه (فاجره على الله) أى ان الله يأجره لا محالة (فهذا فضل) و قد قال صلى الله عليه و سلم (**من عفا عند القدرة عفا الله عنه يوم العسرة**) رواه الطبرانى و قال (**من عفا عن دم لم يكن له ثواب الا الجنة**) رواه الخطيب و قال عليه السلام (**من عفا عن قاتله دخل الجنة**) رواه ابن منده أى مع السابقين أو بلا سبق عذاب أو هو اعلام بوفاته على الاسلام و الامن من

سوء الخاتمة (انه لا يحب الظالمين) أى البادين بالظلم فيترتب عليه عقابهم (فهذا تحريم للظلم) و فى الحديث القدسى **(يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى و جعلته بينكم محرما فلا تظالموا)** (و قوله **(وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ * الآية. النحل: ١٢٦)** هذا ايجاب للعدل و تحريم للظلم) و هو العقاب بغير مثل ما عوقبوا به (و لئن صبرتم) عن العقاب (هو) أى الصبر (خير للصابرين ندب الى الفضل) دون ايجابه فترتاح النفوس بذكره و تسمح به (و كذلك تحريم ما حرم على هذه الامة صيانة و حمية لهم) عما يضرهم كالميتة والدم المسفوح (حرم عليهم كل خبيث) كما قال ويحرم عليهم الخبائث (و ضار) كالخنزير (و أحل لهم كل طيب) أى مستلذ لا ضر فيه كما قال **(اليوم أحل لكم الطيبات)** (و نافع) للبدن و العقل (فتحريمه عليهم رحمة و على من كان قبلهم لم يخل من عقوبة كما أشرت اليه قريبا) فى قوله و قد كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما أمروا به أو أخطؤا عجلت لهم العقوبة فحرم عليهم شىء من مطعم أو مشرب (و هداهم لما ضلت عنه الامم قبلهم كيوم الجمعة كما ساذكره ان شاء الله تعالى فى مقصد عباداته عليه السلام و تقدم ما يشهد له) قريبا (و وهب لهم من علمه و حلمه) كمالات كثيرة لم تحصل لغيرهم (و جعلهم خير أمة أخرجت للناس و كمل لهم من المحاسن ما فرقه فى الامم) فجمعوا محاسن كل أمة (كما كمل لنبيهم من المحاسن ما فرقه فى الانبياء قبله) و زاده عليهم (و كما كمل فى كتابهم من المحاسن ما فرقه فى الكتب قبله و كذلك فى شريعته فهذه الامة هم المجتبون) أى الذين اختارهم الله لدينه و لنصره (كما قال الههم) جل و علا **((... هُوَ اجْتَبٰيكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ * الآية. الحج: ٧٨)**) أى ضيق (و جعلهم شهداء على الناس فاقامهم فى ذلك مقام الرسل الشاهدين على أممهم أشار اليه ابن القيم) و ذكر ابن عبد السلام أنهم نزلوا منزلة العدول من الحكام فيشهدون على الناس أن رسلهم بلغتهم ما جاؤا به عن الله قال تعالى **(... لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ * الآية. البقرة: ١٤٣)** قال و هذه خصيصية لم تثبت لغيرهم.

(و منها أنهم لا يجتمعون على ضلالة) أى محرم باعتقاد خلاف الواقع فيشمل كل حكم اعتقد فيه خلاف ما هو عليه فى نفس الامر فلا يجتمعون على نفى مكروه و لا

نـدب مندوب و لا اباحة مباح بل متى اجتمعوا على حكم كان عند الله كذلك كما أفاده كلام الشيخ ولى الدين و ياتى و لكن قيدوا الامة هنا بالعلماء لان العامة عنها تأخذ دينها و اليـهـا يـفـزع فى الـنـوائـب فـاقـتضت الحكمة حفظها (رواه أحمد فى مسنده و الطبرانى) سلـيمان بن أحمد بن أيوب (فى) معجمه (الكبير و ابن أبى خيثمة) أحمد بن زهير بن حرب الـبـغدادى (فى تاريخه) و هو كبير قال فيه محمد بن سلام الجمحى لا أعرف أغزر من فوائده (عـن أبـى بـصـرة) بفتح الموحدة و اسكان الصاد المهملة و اسمه حميل بضم الحاء المهملة و لام آخره و قـيـل بفتح أوله و قيل بالجيم ابن بصرة بفتح الموحدة ابن وقاص بن حبيب بن غـفار و قيل ابن حاجب بن غفار (الغفارى روى عن النبى صلى الله عليه و سلم و عنه أبو هـريرة و جماعة و هو و أبوه و جده صحابة قال ابن يونس شهد فتح مصر و اختط بها و مات بـهـا و دفـن فى مـقبرتها و قال أبو عمر كان يسكن الحجاز ثم تحول الى مصر و يقال ان عزة صـاحـبة كثير من ذريته و أنكر ذلك ابن الا ثير (مرفوعا فى حديث **(سألت ربى أن لا تجتمع أمـتـى)**) أى أمـة الاجـابـة (**(على ضـلالـة فـاعطانيها)**) أى هذه الخصلة (و رواه ابن أبى عـاصـم) الحافظ الكبير الامام أبو بكر أحمد بن عمرو بن النبيل أبى عاصم الشيبانى الزاهد قـاضى أصبـهـان لـه الـرحـلة الواسعة و التصانيف النافعة قال ابن أبى حاتم ذهبت كتبه بـالـبـصـرة فى فتنة الزنج فاعاد من حفظه خمسين ألف حديث و قال ابن الاعرابى كان من حـفـاظ الحـديـث و الفقه ظاهرى المذهب مات فى ربيع الآخر سنة سبع و ثمانين و مائتين (و الـطبرانى أيضا) و غيرهما كلهم(من حديث أبى مالك الاشعرى) قال الحافظ فى تخريج أحـاديـث المـخـتـصر اخـتلف فى أبى مالك راوى هذا الحديث فان فى الصحب ثلا ثة يقال لـكـل مـنـهـم أبـو مـالك الاشعرى أحدهم راوى حديث المعازف مشهور بكنيته و فى اسمه خـلـف الثانى الحرث بن الحرث مشهور باسمه أكثر الثالث كعب بن عاصم مشهور باسمه دون كـنـيـتـه حتى قال المزى فى ترجمته لا يعرف له كنية و تعقب بان الشيخين و النسائى كـنـوه و ذكر المزى هذا الحديث فى ترجمة الثانى و وضح لى أنه الثالث لان ابن أبى عاصم لما خـرج الحـديث المذكور قال فى سياق سنده عن كعب بن عاصم الاشعرى فدل على انه هـو الا ان يـكـون ابن أبى عاصم تصرف فى التسمية بظنه و هو بعيد انتهى (**(ان الله تعالى**

أجاركم)) حماكم و منعكم و أنقذكم (**(من ثلاث)**) خلال أن لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعا و أن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق هذا ما أشار الى حذفه بقوله (**(و ذكر منها)**) تلو هذا ما لفظه (**(وأن لا تجتمعوا على ضلالة)**) قال الطيبى حرف النفى فى القرائن زائد كقوله تعالى **(... مَا مَنَعَكَ اَلاَّ تَسْجُدَ * الآية. الاعراف: ١٢)** و فائدته توكيد معنى الفعل و تحقيقه وذلك أن الاجارة انما تستقيم اذا كانت الخلال مثبتة لا منفية (قال شيخنا) يعنى السخاوى فى المقاصد (و بالجملة فهو حديث مشهور المتن) أى لفظ الحديث و انما قال السخاوى هذا القول شيخه الحافظ فى اسناده انقطاع و له طرق لا يخلو واحد منها من مقال لكنه قال فى موضع آخر اسناده حسن لانه من رواية أبى بكر ابن عياش عن الشامين و هى مقبولة قال و له شاهد عند أحمد رجاله ثقات لكن فيه راو لم يسم (و اسانيده كثيرة) متعددة الطرق و المخارج و ذلك علامة القوة فلا ينزل عن الحسن فاخرجه أبو نعيم و الحاكم وأعله و اللالكائى فى السنة له و ابن منده و من طريقه الضياء فى المختارة عن ابن عمر رفعه **(ان الله لا يجمع هذه الامة على ضلالة أبدا و ان يد الله مع الجماعة فاتبعوا السواد الاعظم فانه من شذ شذ فى النار)** و كذا أخرجه الترمذى لكن بلفظ **(هذه الامة)** أو قال **(أمتى)** و رواه ابن ماجه و الدارقطنى و غيرهما عن أنس مرفوعا **(ان أمتى لا تجتمع على ضلالة فاذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الاعظم)** و الحاكم عن ابن عباس رفعه **(لا يجمع الله هذه الامة على ضلالة ويد الله مع الجماعة)** و ابن أبى عاصم و غيره مرفوعا عن عقبة بن عمرو الانصارى مرفوعا فى حديث **(عليكم بالجماعة فان الله لا يجمع هذه الامة على ضلالة)** و الطبرى [١] فى تفسيره عن الحسن مرسلا بلفظ أبى بصرة (و له شواهد متعددة فى المرفوع) الى النبى صلى الله عليه و سلم كقوله **(انتم شهداء الله فى الارض)** (و) فى (غيره) أى غير المرفوع و هو الموقوف كقول ابن مسعود اذا سئل أحدكم فلينظر فى كتاب الله فان لم يجد ففى سنة رسول الله فان لم يجد فلينظر ما اجتمع عليه المسلمون و الا فليجتهد هذا و الاختلاف شامل لما كان فى أمر الدين كالعقائد أو الدنيا

---

(١) أبو جعفر محمد بن جرير ولد بطبرستان سنة ٢٢٤ هـ و ٨٣٩ م. و توفى ببغداد سنة ٣١٠ هـ ٩٢٣ م. و كان عالما فى التفسير و الحديث و الفقه.

كـالامـامـة الـعظمى و معنى **(فعليكم بالسواد الاعظم)** الزموا متابعة جماهير المسلمين الذين يجتـمـعـون على طاعة السلطان و سلوك المنهج القو يم فهو الحق الواجب و الفرض الثابت الذى يحرم خلافه فمن خالفه مات ميتة جاهلية.

(و مـنـها أن اجماعهم حجة) قاطعة فان تنازعوا فى شئ ردوه الى الله و رسوله اذ الـواحـد مـنـهـم غير معصوم بل كل أحد يؤخذ من قوله و يرد عليه الا النبى صلى الله عليه و سلم كما قال مالك قال الحافظ الولى العراقى و المراد به الا تفاق أى الاشتراك فى القول أو الفعل أو الاعتقاد أو ما فى معناها من السكوت عند من يقول به و يتناول الامور الشرعيات و اللغـو يـات بـلا نزاع و العقليات و الدنيو يات على الراجح **(و ان اختلافهم)** أى الامة أى مجتـهـديـهـا فى الـفـروع التى يسوغ الاجتهاد فيها **(رحمة)** أى توسعة على الناس و نعمة كـبـيـرة و فـضيلة جسيمة بجعل المذاهب كشرائع متعددة بعث صلى الله عليه و سلم بكلها لـئـلا تـضـيـق بهم الامور فالمذاهب التى استنبطها الصحابة فمن بعدهم من أقواله و أفعاله على تـنـوّعـهـا كشرائع متعددة له و قد وعد بوقوع ذلك فوقع فهو من معجزاته اما الاجتهاد فى الـعـقـائـد فـضـلال و الحق مـا عـلـيه أهل السنة و الجماعة فانما الحديث فى الاختلاف فى الاحـكـام كـما فى تفسير البيضاوى قال فالنهى مخصوص بالتفرق فى الاصول لا فى الفروع قـال الـسـبـكى لا شك ان الاختلاف فى الاصول ضلال و سبب كل فساد كما أشار اليه القرآن قال و ما ذهب اليه جمع ان المراد الاختلاف فى الحرف و الصنائع فمردود بانه كان المناسب ان يقال اختلاف الناس اذ لا خصوصية للامة فان كل الامم مختلفون فى الصنائع و الحرف فلابد من خصوصية قال و ما ذكره امام الحرمين كالحليمى أن المراد اختلافهم فى المـنـاصـب و الـدرجـات و المـراتـب فـلا يـنـساق الذهن من لفظ الاختلاف اليه (و كان اخـتـلاف من قبلهم عذابا) و من جملته انه كان فى شرع بنى اسرائيل نسخ الحكم اذا رفعه الخصـم الى حاكم آخر يرى خلافه كما فى الخصائص بخلاف شرعنا فيرفع فتصير المسئلة كـالمجـمـع عليها فليس لحاكم آخر نقضه بل عليه تنقيذه و ان كان يرى غيره أصوب على الارجح الا ان يـكـون مما ينقض (روى البيهقى) و فى نسخة رواه بالضمير و الاول أصوب

لانـه لـم يـرو الـتـرجمة الا ان يـكـون المـراد بمعناه فقد ذكر السمهودى و غيره ان اختلاف الـصـحـابـة فى معنى اختلاف الامة (فى المدخل) الى السنن الكبرى (فى حديث من رواية سليمان بن أبى كريمة عن جو يبر) تصغير جابر و يقال اسمه جابر و جو يبر لقب ابن سعيد الازدى أبـى الـقـاسـم الـبـلخى نزيل الكوفة راوى التفسير مات بعد الار بعين و مائة (عن الـضـحـاك) بن مزاحم الهلالى الخراسانى صدوق مات بعد المائة روى له الار بعة (عن ابن عـبـاس قـال قـال رسول الله صلى الله عليه و سلم) **(مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لاحد فى تركه فان لم يكن فى كتاب الله فسنة منى ماضية فان لم تكن سنة منى فما قال أصـحـابى ان أصحابى بمنزلة النجوم فى السماء فايما أخذتم به اهتديتم (و اختلاف أصحابى لـكـم رحمة)**) و من هذا الوجه أخرجه الطبرانى و الديلمى بلفظه سواء فاقتصر المصنف على حـاجـتـه مـنه و الاوجه ان المراد اختلافهم فى الاحكام و يؤيده ما رواه البيهقى فى المدخل عـن عـمـر بـن عـبـد العزيز ما سرنى لو أن أصحاب محمد لم يختلفوا لانهم لو لم يختلفوا لم تـكـن رخـصـة و كذا قول يحيى بن سعيد الآتى أهل العلم الخ و قول مالك لما ساله الرشيد الخروج مـعـه الى الـعراق و أن يحمل الناس على الموطا كما حمل عثمان الناس على القرآن امـا حمل الـنـاس على الموطا فلا سبيل اليه لان الصحابة افترقوا فى الامصار فعند كل أهل مصر علـم صـريح فى ان المراد الاختلاف فى الاحكام و ما نقله ابن الصلاح عن مالك انه قـال فى اخـتـلاف الـصحابة مخطئ و مصيب فعليك بالاجتهاد و ليس كما قال ناس فيه تـوسـعـة فـانمـا هـو بالنسبة الى المجتهد لقوله فعليك بالاجتهاد فالمجتهد مكلف بما ادى اليه اجـتـهـاده فـلا تـوسـعـة عـليه فى اختلافهم و انما التوسعة على المقلد فقوله **(اختلاف أمتى و أصـحـابـى رحمة للـنـاس)** أى المـقـلدين و فى قول مالك مخطئ و مصيب رد على القائل ان المـجـتـهد يقلد الصحابة دون غيرهم كما أفاده السمهودى ثم لا يرد على هذا كله نهى الله عـن الاختلاف بقوله **(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا ۞ الآية. آل عمران: ١٠٣)** و بـقـولـه **(وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ۞ الآية. آل عمران: ١٠٥)** لان المنهى عنه الاخـتـلاف على الـرسـل فيما جاؤا به قال ابن العربى و غيره انما ذم الله كثرة الاختلاف على الـرسل كفاحا بدليل خبر **(انما أهلك الذين من قبلكم كثرة اختلافهم على أنبيائهم)** اما

هذه الآية فمعاذ الله أن يدخل فيها أحد من العلماء المختلفين لانه أوعد الذين اختلفوا بعذاب عظيم و المعترض موافق على ان اختلاف الامة فى الفروع مغفور لمن أخطأ منهم فتعين ان الآية فيمن اختلف على الانبياء فلا تعارض بينها و بين الحديث و فيه رد على المتعصبين لبعض الائمة على بعض و قد عمت به البلوى قال الذهبى [١] و بين الائمة اختلاف كثير فى الفروع و بعض الاصول و للقليل منهم غلطات و زلقات و مفردات منكرة و انما أمرنا باتباع أكثرهم صوابا و تجزم بان غرضهم ليس الا اتباع الكتاب و السنة و كل ما خالفوا فيه لقياس أو تاويل فاذا رأيت فقيها خالف هذين أو رد حديثا أو حرف معناه فلا تبادر لتغليطه و قد قال على لمن قال له أ تظن أن طلحة و الزبير كانا على باطل يا هذا انه ملبوس عليك ان الحق لا يعرف بالرجال أعرف الحق تعرف أهله و ما زال الاختلاف بين الائمة فى الفروع و بعض الاصول مع اتفاق الكل على تعظيم البارى و انه ليس كمثله شئ و ان ما شرعه رسوله حق و ان كتابهم واحد و نبيهم واحد و قبلتهم واحدة و انما وضعت المناظرة لكشف الحق و افادة العالم الازكى العلم لمن دونه و تنبيه الاغفل الاضعف فان داخلها زهو من الاكمل و انكسار من الاصغر فذاك دأب النفوس الزكية فى بعض الاحيان غفلة عن الله فما الظن بالنفوس الشريرة انتهى (و جويبر ضعيف جدا و الضحاك عن ابن عباس منقطع) لانه لم يسمع منه و الضحاك كثير الارسال و قد عزاه العراقي لآدم بن أبى اياس فى كتاب العلم و الحلم بلفظ **(اختلاف أصحابى رحمة لامتى)** و قال هو مرسل ضعيف (و هو كما قال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر حديث مشهور على الالسنة) لفظ المقاصد قرأت بخط شيخنا يعنى الحافظ ابن حجر انه أى حديث **(و اختلاف أصحابى لكم رحمة)** معنى حديث مشهور على الالسنة و بهذا يتضح قوله (و قد أورده ابن الحاجب فى المختصر) الاصولى (فى مباحث القياس بلفظ **(اختلاف أمتى رحمة للناس)**) و انما كان بمعناه لان اختلاف الصحابة فى معنى اختلاف الامة كما أفصح به غيره و كذا أورده نصر المقدسى فى كتاب الحجة له و البيهقى فى

---

(١) أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان التركمانى المصرى ولد بشام ٦٧٣ هـ ١٢٧٤ م. و توفى بمصر ٧٤٨ هـ ١٣٤٨ م. و كان عالما فى علم الحديث و التأريخ و هو تلميذ ابن تيمية.

الرسالة الاشعرية و لم يذكرا له سندا و لا صحابيا و كذا امام الحرمين و القاضى حسين قال السيوطى و لعله خرج فى بعض كتب الحفاظ التى لم تصل الينا (قال) الحافظ (و كثر السؤال عنه و زعم كثيرمن الائمة انه لا أصل له) بهذا اللفظ (لكن ذكره الخطابى فى غريب الحديث مستطردا) مصدر ميمى أى استطرادا لمناسبة (و قال اعترض على هذا الحديث رجلان أحدهما ماجن) بكسر الجيم اسم فاعل من مجن مجونا صلب و غلظ و منه الماجن لمن لا يبالى قولا و فعلا كأنه صلب الوجه (و الآخر ملحد) طاعن فى الدين قال بعض الائمة و هم فى زماننا الباطنية المدعون أن للقرآن ظاهرا و باطنا و انهم يعلمون الباطن فاحالوا بذلك الشريعة لانهم تاولوا بما يخالف العربية التى نزل بها القرآن و قال أبو عبيدة ألحد الحادا جادل و مارى ذكره المصباح (و هما اسحق الموصلى) بفتح فسكون و كسر المهملة نسبة الى مدينة بالجزيرة الماجن المغنى فى الدولة العباسية (و عمرو بن بحر الجاحظ) لقب لعمرو الملحد لجحظ كان بعينيه و كان قبيح الشكل جدا حتى قيل فيه:

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا * ما كان الا دون قبح الجاحظ

رجل ينوب عن الجحيم بوجهه * و هو القذى فى عين كل ملاحظ

(و قالا جميعا لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذابا قال) الحافظ (ثم تشاغل الخطابى برد هذا الكلام و لم يقع فى كلامه نص فى عزو الحديث و لكن أشعر بان له أصلا عنده) و هو من كبار الحفاظ (و من حديث) عطف على قوله من رواية سليمان أى و روى البيهقى أيضا فى المدخل من حديث (الليث بن سعد) بن عبد الرحمن الفهمى المصرى الامام الثقة الثبت الفقيه المشهور مات فى شعبان سنة خمس و سبعين و مائة (عن يحيى بن سعيد) بن قيس الانصارى المدنى ثقة ثبت من رجال الجميع مات سنة أربع و أربعين و مائة أو بعدها (قال أهل العلم أهل توسعة و ما برح المفتون يختلفون فيحل هذا و يحرم هذا فلا يعيب هذا على هذا) لانه بحسب فهم الادلة فى الاحكام الاجتهادية (أشار اليه شيخنا) السخاوى (فى المقاصد الحسنة) فى الاحاديث المشهورة على الالسنة.

(و منها ان الطاعون) فاعول من الطعن عدلوا به عن أصله و وضعوه دالا على الموت العام كالوباء ذكره الجوهرى **(لهم شهادة)** أى سبب لكون الميت به شهيدا و

ظاهره يشمل الفاسق فيكون شهيدا لكنه لا يساوى مرتبة مسلم غير فاسق فى انه يغفر له جميع ذنوبه و انما يغفر له غير حق الآدمى أخذا من خبر **(ان الشهداء يغفر لهم كل ذنب الا الدين)** قاله شيخ الاسلام زكريا و هو ظاهر (**(و رحمة)**) رحم بها المؤمنين و هل المراد بهم الكمل أو أعم احتمالان (**(و كان على الامم عذابا)**) ففيه مزيد عناية بهذه الامة حيث جعل ما كان عذابا لغيرهم و بلاء رحمة لهم لحصول الشهادة لهم به و ان العادة لا تؤثر بنفسها لانه كان بلاء بنفسه لمن تقدم ثم عاد بنفسه و صفته رحمة و الصفة واحدة لم تتغير (رواه أحمد و الطبرانى فى الكبير من حديث أبى عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم) مشهور بكنيته قيل اسمه أحمر براء آخره و قيل سفينة قال فى الاصابة و الراجح انه غيره و وقع فى الاستيعاب أحمر بن عسيب و تعقب و يحتمل ان كنيته وافقت اسم أبيه (و رجال أحمد ثقات و لفظه **(الطاعون شهادة لامتى و رحمة لهم و رجز)**) بكسر الراء أى عذاب (**(على الكفار)**) و وقع فى بعض الاصول رجس بسين بدل الزاى و المعروف بالزاى و روى أحمد و البخارى عن عائشة أنها سالت النبى صلى الله عليه و سلم عن الطاعون فقال **(الطاعون كان عذابا يبعثه الله على من يشاء و ان الله جعله رحمة للمؤمنين فليس من أحد يقع الطاعون فيمكث فى بلده صابرا محتسبا يعلم انه لا يصيبه الا ما كتب الله له الا كان له مثل أجر شهيد)** و سر التعبير بمثل ان من لم يمت به له مثل أجره و ان لم يحصل له درجة الشهادة نفسها قال الحافظ و يؤخذ منه أن من اتصف بالصفات المذكورة ثم مات بالطاعون له أجر شهيدين و لا مانع من تعدد الثواب بتعدد الاسباب كمن يموت غريبا أو نفساء بالطاعون و التحقيق انه يكون شهيدا بوقوعه له و يضاف له مثل أجر شهيد لصبره فانه درجة الشهادة شئ و أجرها شئ قال و يؤخذ منه ان من لم يتصف بذلك لا يكون شهيدا و ان مات بالطاعون و ذلك ينشأ من شؤم الاعتراض الناشئ عن الضجر و السخط للقدر و فى الصحيحين مرفوعا **(الطاعون رجز أو عذاب أرسل على طائفة من بنى اسرائيل فاذا وقع بأرض و أنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه و اذا وقع بأرض و لستم بها فلا تهبطوا عليها)** قال الخطابى أحد الامرين تاديب و تعليم و الآخر تفويض و تسليم و روى أحمد برجال ثقات عن عائشة مرفوعا **(الطاعون غدة كغدة البعير المقيم به كالشهيد و الفارّ**

منه كالفارّ من الزحف) و روى الطبرانى و أبو نعيم باسناد حسن عن عائشة مرفوعا **(الطاعون شهادة لأمتى و وخز أعدائكم من الجن غدة كغدة الابل تخرج فى الآباط و المراق من مات منه مات شهيدا و من أقام به كان كالمرابط فى سبيل الله و من فر منه كالفارّ من الزحف)** و روى الحاكم عن أبى موسى مرفوعا **(الطاعون وخز أعدائكم من الجن)** وخز بفتح الواو و سكون المعجمة ثم زاى أى طعن و فى النهاية تبعا للهروى **(اخوانكم)** قال الحافظ و لم أره بلفظ **(اخوانكم)** بعد التتبع الطويل البالغ فى شئ من طرق الحديث المسندة و لا فى الكتب المشهورة و لا الاجزاء المنثورة و عزاه بعض لمسند أحمد و الطبرانى و ابن أبى الدنيا و لا وجود له فيها قال السيوطى و أما تسميتهم اخوانا فى حديث المطعم فباعتبار الايمان فان الاخوة فى الدين لا تستلزم الاتحاد فى الجنس.

(و منها انهم اذا شهد اثنان منهم) عدلان لا نحو فاسق و مبتدع **(لعبد بخير)** بعد موته بان أثنيا عليه بخير فليس المراد الشهادة عند القاضى و لا لفظ أشهد بخصوصه **(وجبت له الجنة)** قال الحافظ أى ثبتت أو هو فى صحة الوقوع كالواجب اذ لا يجب على الله شئ بل الثواب فضل و العقاب عدل لا يسئل عما يفعل و المراد مع السابقين لاولين أو من غير سبق عذاب و الا فكل من مات مسلما دخلها و لابد شهد له أحد أم لا روى أحمد و البخارى و النسائى عن عمر مرفوعا **(أيما مسلم شهد له أربعة أدخله الله الجنة)** قيل و ثلاثة قال **(و ثلاثة)** قيل و اثنان قال **(و اثنان)** ثم لم نساله عن الواحد قال النووى فى معناه قولان أحدهما ان هذا الثناء بالخير لمن أثنى عليه أهل الفضل و كان ثناؤهم مطابقا لافعاله فيكون من أهل الجنة فان لم يكن كذلك فليس هو مراد بالحديث و الثانى و هو الصحيح المختار انه على عمومه و اطلاقه و ان كل مسلم مات فالهم الله تعالى الناس أو معظمهم الثناء عليه كان ذلك دليلا على انه من أهل الجنة سواء كانت أفعاله تقتضى ذلك أم لا لانه و ان لم تكن أفعاله تقتضيه فلا تتحتم عليه العقوبة بل هو فى المشيئة فاذا ألهم الله الناس الثناء عليه دل ذلك على انه شاء المغفرة له و بهذا تظهر فائدة الثناء و قوله صلى الله عليه و سلم **(وجبت و أنتم شهداء الله)** و لو كان لا ينفعه ذلك الا أن تكون أعماله

تقتضيه لم يكن للثناء فائدة و قد أثبت صلى الله عليه و سلم له فائدة انتهى و ترك الشهادة بالشر لفهم حكمه قياسا أو اختصارا و هو أظهر كما قال الحافظ و به صرح حديث أنس فى الصحيحين مرفوعا **(من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار أنتم شهداء الله فى الارض)** (و كانت الامم السالفة اذا شهد منهم مائة) لحديث أبى يعلى **(ان الامم السابقة المائة أمة اذا شهدوا لعبد بخير وجبت له الجنة و ان أمتى الخمسون منهم أمة فاذا شهدوا لعبد بخير وجبت له الجنة).**

(و منها انهم أقل الامم عملا و أكثرهم أجرا) لخبر مالك و أحمد و البخارى عن ابن عمر مرفوعا **(انما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس أوتى أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى اذا انتصف النهار عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتى أهل الانجيل الانجيل فعملوا الى العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتينا القرآن فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فقال أهل الكتاب ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين و أعطيتنا قيراطا قيراطا و نحن أكثر عملا قال هل ظلمتكم من أجركم من شئ قالوا لا قال فهو فضلى أوتيه من أشاء)** قال السيوطى و المراد تشبيه من تقدم باول النهار الى الظهر و العصر فى كثرة العمل الشاق و التكليف و تشبيه هذه الامة بما بين العصر و الليل فى قلة ذلك و تخفيفه و ليس المراد طول الزمن و قصره اذ مدة هذه الامة أطول من مدة أهل الانجيل قال امام الحرمين الاحكام لا تؤخذ من الاحاديث التى لضرب الامثال (وأقصرهم أعمارا) رحمة من الله بهم و عطفا عليهم أخرهم فى الاصلاب حتى أخرجهم الى الارحام بعد نفاد الدنيا و جعل أعمارهم قصيرة ليقل التباسهم بالدنيا و تدنسهم بها و كان الامم الماضون أعمارهم و أجسادهم و أرزاقهم أضعاف ذلك كان أحدهم يعمر ألف سنة و حبة القمح ككلية البقر و الرمانة يحملها عشرة و هكذا فلطف الله بهذه الامة لياخذوا من الدنيا أرزاقا قليلة باجسام ضعيفة فى مدة قصيرة لئلا يأشروا و يبطروا ثم ضاعف لهم الحسنات فجعل الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الى ما لا يعلمه الا الله (و أوتوا العلم الاول) الذى أوتيه الامم قبلهم (و

الآخر) الذى أوتوه فجمع لهم ما فرق فى غيرهم و زيدوا (و آخر الامم فافتضحت الامم عندهم) بما قص عليهم فى القرآن من وقائع بعضهم الشنيعة و مخالفتهم و تعنتهم على أنبيائهم و كفى بقول بنى اسرائيل لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة أرنا الله جهرة و غير ذلك (و لم يفتضحوا).

(و منها انهم أوتوا الاسناد) و هو حكاية طريق المتن و السند الطريق الموصلة الى المتن و قد يستعمل أحدهما فى الآخر و الامر سهل **(و هو خصيصة فاضلة من خصائص هذه الامة)** لم يؤتها أحد من الامم قبلهم **(و سنة بالغة من السنن المؤكدة)** قال ابن المبارك الاسناد من الدين و لولا الاسناد لقال من شاء ما شاء و عنه مثل الذى يطلب أمر دينه بلا اسناد كمثل الذى يرتقى السطح بلا سلم و قال سفيان الثورى الاسناد سلاح المؤمن فاذا لم يكن معه سلاح فباى شئ يقاتل و قال الشافعى مثل الذى يطلب الحديث بلا اسناد كمثل حاطب ليل و فى تاريخ الحاكم عن اسحق بن ابراهيم الحنظلى قال كان عبد الله بن طاهر اذا سالنى عن حديث فذكرته له بلا اسناد سالنى عن اسناده و يقول رواية الحديث بلا اسناد من عمل الزمنى فان اسناد الحديث كرامة من الله تعالى لامة محمد و قيل فى قوله تعالى (**... اَوْاَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ * الآية. الاحقاف: ٤**) اسناد الحديث و قال بقية ذاكرت حماد بن زيد باحاديث فقال ما أجودها لو كان لها أجنحة يعنى اسنادا (و قد روينا من طريق) الامام (أبى العباس) محمد بن عبد الرحمن (الدغولى) بفتح الدال المهملة و الغين المعجمة فواو فلام نسبة الى دغول رجل و يقال للخبز الذى ليس رقيقا بسرخس دغول قال ابن الا ثير فلعل بعض أجداد المنتسب كان يخبزه (قال سمعت محمد بن حاتم بن المظفر يقول ان الله تعالى قد أكرم هذه الامة و شرفها و فضلها بالاسناد و ليس لاحد من الامم كلها قديمها و حديثها اسناد موصول انما هو صحف فى أيديهم و قد خلطوا بكتبهم أخبارهم فليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوارة و الانجيل و بين ما ألحقوه بكتبهم من الاخبار التى اتخذوها) أى نقلوها (عن غير الثقات) قال ابن حزم نقل الثقة حتى يبلغ به النبى صلى الله عليه و سلم مع الا تصال شئ خص به المسلمون دون جميع

الملل اما مع الارسال و الاعضال فيوجد فى اليهود لكن لا يقربون به من موسى قرينا من نبينا بل يقفون حيث يكون بيهم و بينه أكثر من ثلا ثين نفسا و انما يبلغون به الى ما نوح و شمعون و أما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل الا تحريم الطلاق (و هذه الامة الشريفة زادها الله شرفا بنبيها انما تنص) أى تروى (الحديث عن الثقة المعروف فى زمانه بالصدق و الامانة عن مثله حتى تتناهى أخبارهم) لكن هذا الحصر انما يكون لرواة الصحيح و الحسن اذ الضعيف بانواعه قد رووه كثيرا (ثم يبحثون أشد البحث حتى يعرفوا الاحفظ فالاحفظ و الاضبط فالاضبط) لما حفظ فى صدره بان يثبت ما سمعه بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء أو بكتابه بصيانته عنده منذ سمع فيه و صححه الى أن يؤدى منه (و الاطول مجالسة لمن فوقه) أى شيخه (ممن كان اقصر مجالسة) له فان قدم السماع من أقسام العلوّ النسبى (ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها) تارة (و أكثر) أخرى (حتى يهذبوه من الغلط و الزلل و يضبطوا حروفه و يعدوه عدا) و يبينوا الالفاظ التى اختلفت فيها الرواة و عذر أصحاب الحديث فى تكثيل طرق الحديث الواحد ليعتمد عليه اذ المقبول ما اتصل سنده و عدلت رجاله أو اعتضد بعض طرقه ببعض حتى تحصل القوة بالصورة المجموعة و لو كان كل طريق منها لو انفردت لم تكن القوة فيها مشروعة و الاعراض عن ذلك يستلزم ترك العمل بكثير من الاحاديث اعتمادا على ضعف الطريق التى فيها مقال و قد قال عبد الله بن جعفر بن خالد سالت ابراهيم بن سعيد الجوهرى البغدادى يعنى شيخ مسلم و أصحاب السنن عن حديث لابى بكر الصديق فقال لجاريته اخرجى لى الجزء الثالث و العشرين من مسند أبى بكر فقلت لا يصح لابى بكر خمسون حديثا فمن أين ثلا ثة و عشرون جزءا فقال كل حديث لا يكون عندى من مائة وجه فانا فيه يتيم (فهذا من فضل الله على هذه الامة فنستودع الله تعالى شكر هذه النعمة و غيرها من نعمه) فانه اذا استودع شيئا حفظه (وقال أبو حاتم) محمد بن ادريس بن داود (الرازى) الحنظلى عن أحمد و قتيبة و خلق و عنه أبو داود و النسائى و ابن ماجه و آخرون قال الخطيب كان أحد الائمة الحفاظ الا ثبات مشهورا بالعلم مذكورا بالفضل وثقه النسائى و غيره قال ابن يونس قدم مصر قديما و كتب بها و كتب عنه مات بالرى سنة

خمس و قيل سنة سبع و سبعين و مائتين (لم يكن فى أمة من الامم مذ) أى حين (خلق الله آدم أمنـاء) جمع أمين (يحفظون آثار الرسل الا فى هذه الامة) و هذا رواه ابن عساكر عن الرازى المذكور بلفظ لم يكن فى أمة من الامم منذ خلق الله آدم أمة يحفظون آثار نبيهم و انساب خلفهم كهذه الامة و فى تاريخ ابن عساكر أيضا عنه لم يكن فى أمة من الامم أمة يحفظون آثار نبيهم غير هذه الامة فقيل له ربما رووا حديثا لا أصل له قال علماؤهم يعرفون الصحيح من السقيم فروايتهم للواهى للمعرفة ليتبين لمن بعدهم أنهم ميزوا الآثار فيه و حفظوها و أخرج الحاكم و أبو نعيم و ابن عساكر عن على مرفوعا **(اذا كتبتم الحديث فاكتبوه باسناده فان يك حقا كنتم شركاء فى الاجر و ان يكن باطلا كان وزره عليه)** و فيه شرف أصحاب الحديث ورد على من كره كتابته من السلف و النهى عنه فى خبر آخر منسوخ أو مؤوّل.

(و منها انهم أوتوا الانساب) أى معرفتها **(و الاعراب)** أى الابانة و الكلام الفصيح و كل منهما مما يتنافس فيه المتنافسون و قد قال صلى الله عليه و سلم **(تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة فى الاهل مثراة فى المال منساة فى الاثر)** رواه أحمد و الترمذى و الحاكم صحيحا عن أبى هريرة و لا يعارضه قوله صلى الله عليه و سلم **(علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر)** رواه أبو نعيم و غيره عن أبى هريرة لان المنهى عنه الاسترسال فيه بحيث يشتغل به عما هو أهم منه كما يفيده قوله **(وجهالة لا تضر)** أما علمه بقدر ما يصل به رحمه فمحبوب مطلوب فقد قال صلى الله عليه و سلم **(تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم انتهوا وتعلموا من العربية ما تعرفون به كتاب الله ثم انتهوا)** رواه ابن زنجويه (قال أبو بكر محمد بن أحمد) بن عبد الباقى بن منصور البغدادى الحافظ الامام القدوة كان فاضلا حسن القراءة للحديث ورعا ثبتا زاهدا ثقة قائما باللغة علامة فى الادب مات فى ثانى ربيع الاول سنة تسع و ثمانين و أربعمائة (بلغنى أن الله خص هذه الامة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها من الامم الاسناد و الانساب و الاعراب انتهى و هو مروى عن أبى على) الامام الحافظ الثبت الحسين بن

محمد الاندلسى (الجيانى) بفتح الجيم و التحتية الثقيلة و نون بلدة كبيرة بالاندلس ولد فى محرم سنة سبع و ثلاثين و أربعمائة وأخذ عن الباجى و ابن عتاب و ابن عبد البر و خلق و لم يخرج من الاندلس و كان من جهابذة الحفاظ بصيرا باللغة و العربية و الشعر و الانساب صنف فى كل ذلك و رحل اليه الناس و تصدر بجامع قرطبة و أخذ عنه الاعلام مع التواضع و الصيانة توفى ليلة الجمعة ثانى عشر شعبان سنة ثمان و تسعين وأربعمائة.

(و منها انهم أوتوا تصنيف الكتب ذكره بعضهم) قال ابن العربى فى شرح الترمذى لم يكن قط فى أمة من الامم من انتهى الى حد هذه الامة من التصرف فى التصنيف و التحقيق و لا جاراها فى مداها من التفريع و التدقيق و تصنيف الكتب و تدوين العلوم و حفظ سنة نبيهم أى أقواله و أفعاله فتدوين العلوم و تصنيفها و تقرير القواعد و كثرة التفريع و فرض ما لم يقع و بيان حكمه و تفسير القرآن و السنة و استخراج علوم الادب و تتبع كلام العرب أمر مندوب اليه و أهله خير الخليقة و قال العراقى فى شرح المحصول من خصائصه صلى الله عليهم و سلم ان الواحد من أمته يحصل له فى العمر القصير من العلوم و الفهوم ما لم يحصل لاحد من الامم السابقة فى العمر الطويل و لهذا تهيأ للمجتهدين من هذه الامة من العلوم و الاستنباطات و المعارف ما تقصر عنه أعمارهم انتهى و قال قتادة أعطى الله هذه الامة من الحفظ ما لم يعطه أحدا من الامم خاصة خصهم بها و كرامة أكرمهم بها انتهى (**(ولا تزال طائفة منهم)**) أى من أمة الاجابة (**(ظاهرين)**) أى غالبين (**(على الحق)**) منصورين على من خالفهم و احتمال ان المراد بالظهور الشهرة و عدم الاستتار بعيد (**(حتى ياتى أمر الله)**) و هو وقوع الآيات العظام التى يعقبها قيام الساعة و لا يتخلف عنها الا قليلا و فى مسلم عن جابر بن سمرة رفعه **(لن يبرح هذا الدين قائما تقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة)** أى الى قرب قيامها أو المراد تقوم ساعتهم و هى حين تاتى الريح فتقبض روح كل مؤمن فلا تنافى بينه و بين خبر مسلم **(لا تقوم الساعة الا على شرار الناس)** و خبر مسلم و الترمذى عنه صلى الله عليه و سلم **(لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الارض الله الله)** (رواه الشيخان) من حديث المغيرة

ابـن شعبة رفعه **(لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى ياتى أمر الله وهم على ذلك)** قـال الـبـخارى فى الصحيح و الطائفة أهل العلم و قال النووى فى التهذيب حمله العلماء أو جمهـورهم على أهل العلم و قد دعا لهم النبى صلى الله عليه و سلم بقوله **(نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فاداها كما سمعها و جعلهم عدولا فى حديث يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين و انتحال المبطلين)** و هذا اخبار منه بصيانة العلم و حفظه و عـدالـة نـاقـليه و انه تعالى يوفق له فى كل عصر عدولا يحملونه و ينفون عنه و هو من اعلام نبوته و لا يضر معه كون بعض الفساق يعرفون شيئا من العلم لان الحديث انما هو اخبار بان الـعـدول يحملونه لا أن غيرهم لا يعرف منه شيئا و قال النووى أيضا يجوز أن تكون الطائفة جماعـة مـتعددة من أنواع الامة ما بين شجاع و بصير بالحرب و فقيه و مفسر و محدث و قائم بـالامـر بالمعروف و النهى عن المنكر و زاهد و عابد و لا يلزم اجتماعهم ببلد واحد بل يجوز اجتماعهم فى قطر واحد و تفرقهم فى الاقطار و ان يكونوا فى بعض دون بعض و يجوز اخلاء الارض كـلها من بعضهم أوّلا فاوّلا الى ان لا يبقى الا فرقة واحدة ببلد واحد فاذا انقرضوا جـاء أمر الله بقيام الساعة انتهى و فيه معجزة بينة فان أهل السنة لم يزالوا ظاهرين فى كل عصر الى الآن فـمـن حين ظهرت البدع على اختلاف صنوفها من خوارج و معتزلة و رافضة و غـيـرهـم لـم يـقـم لاحـد مـنهم دولة و لم تستمر لهم شوكة بل كلما أوقدوا نارا للحرب أطـفـاهـا الله بنور الكتاب و السنة و زعمت المتصوّفة ان الاشارة اليهم لانهم لزموا الا تباع بالاحوال وأغناهم الا تباع عن الابتداع.

(ومـنـهـا ان فـيـهم) أى الامة **(أقطابا)** و لا يلزم منه تعددهم فى زمن واحد فلا يخـالـف قـوله الآتى و الغوث واحد و تصريح غيره بان القطب واحد كلما مات أبدل قال الـيـافـعـى فى الـكـفاية سمى قطبا لدورانه فى جهات الدنيا الاربع كدوران الفلك فى أفق السماء و قد سترت أحوال القطب و هو الغوث عن العامة و الخاصة غيرة من الحق عليه غير أنـه يـرى عـالـمـا كجاهل و أبله كفطن آخذا تاركا قريبا بعيدا سهلا عسرا آمنا حذرا و قال غـيـره الاقـطـاب جمع قـطب و هو الخليفة الباطن و سيد أهل زمانه سمى قطبا لجمعه جميع

المقامات و الاحوال و دورانها عليه ماخوذ من القطب و هو الحديدة التى تدور عليها الرحى و لا يعرف القطب من الاولياء الا القليل جدا بل قال جمع لا يراه أحد الا بصورة استعداد الرائى فاذا رآه لم يره حقيقة و ذهب قوم الى ان مرتبة القطبانية ثقيلة جدا قل أن يقيم فيها أحد أكثر من ثلا ثة أيام و جمع الى انها كغيرها من الولايات يقيم فيها صاحبها ما شاء الله ثم ينعزل قال الخواص و الذى أقوله و يساعده الوجدان انها ليس لها مدة معينة و ان صاحبها لا ينعزل الا بالموت و أول من تقطب بعد النبى صلى الله عليه و سلم الخلفاء الار بعة على ترتيبهم فى الخلافة ثم الحسن هذا ما عليه الجمهور و ذهب بعض الصوفية الى ان أول من تقطب بعده ابنته فاطمة قال بعض و لم أره لغيره و أول من تقطب بعد الصحابة عمر بن عبد العزيز و اذا مات القطب خلفه أحد الامامين لانهما بمنزلة الوزيرين له أحدهما مقصور على عالم الملكوت و الآخر على عالم الملك و الاول أعلى مقاما من الثانى **(و أوتادا)** أر بعة فى كل زمان لا يزيدون و لا ينقصون و هم العمد و هم حكم الجبال فى الارض و لذا سموا أوتادا يحفظ الله باحدهم المشرق و الآخر المغرب و الآخر الجنوب و الآخر الشمال و روى ابن عساكر من حديث على **(الاوتاد من أبناء الكوفة)** أى أصلهم لا انها مقرهم و روى الحكيم الترمذى عن أبى الدرداء أن الانبياء كانوا أوتاد الارض فلما انقطعت النبوة أبدل الله مكانهم قوما من أمة محمد صلى الله عليه و سلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم و لا صلاة لكن بحسن الخلق و النية و صدق الورع و سلامة القلوب للمسلمين و النصح لله فى ابتغاء مرضاته بصبر و حلم و لب و تواضع فى غير مذلة فهم خلفاء الانبياء قوم اصطفاهم الله لنفسه و استخلصهم لعلمه يدفع الله بهم المكاره عن الارض و البلايا عن الناس و بهم يرزقون ويمطرون قال الحكيم فهؤلاء أمان هذه الامة فاذا ماتوا فسدت الارض و خربت الدنيا و ذلك قوله تعالى **(... وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ-* الآية.البقرة: ٢٥١)** (و نجباء) سبعون مسكنهم مصر و رتبتهم فوق النقباء و دون الابدال على ما ياتى (و أبدالا) بفتح الهمزة جمع بدل سموا بذلك لانه اذا مات واحد أبدل مكانه آخر أو لانهم أعطوا من القوة أن يتركوا بدلهم حيث يريدون أى أخلفوا صورة تحاكى صورتهم بحيث ان كل من رآها لا يشك فى أنه هو و هو لفظ مشترك يطلقونه على من

تبدلت أوصافه الذميمة بمحمودة و يطلقونه على عدد خاص مختلف فى قدره قاله ابن عربى و أخرج الحاكم فى كتاب الكنى له عن عطاء بن أبى رباح مرسلا الابدال من الموالى و لا يبغض الموالى الا منافق قال الحافظ ابن حجر فى فتاويه الابدال ورد فى عدة أخبار منها ما يصح و ما لا و أما القطب فورد فى بعض الآثار و أما الغوث بالوصف المشتهر بين الصوفية فلم يثبت انتهى (عن أنس مرفوعا **(الابدال أربعون رجلا)**) و فى حديث عبادة **(ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم)** و كل منهما يعكر على قول الرافعى الاصح انهم سبعة و قيل أربعة عشر و جمع بين الحديثين بان ثلاثين منهم قلوبهم على قلب ابراهيم و العشرة ليسوا كذلك كما يصرح به خبر الحكيم الترمذى عن أبى هريرة و يرده حديث ابن مسعود **(لا يزال أربعون رجلا من أمتى على قلب ابراهيم)** و جمع بان البدل له اطلاقان كما تفيده الاحاديث فى تخالف علاماتهم و صفاتهم أو أنهم يكونون فى زمان أربعين و فى آخر ثلاثين و رد بقوله و لا الاربعون أى ينقصون كلما مات رجل الخ أو ان تلك الاعداد اصطلاح لوقوع الخلاف فى بعضهم كالابدال فقد يكون فى ذلك العدد نظروا الى مراتب عبروا عنها بالابدال و النقباء و النجباء و الاوتاد و غير ذلك و الحديث نظر الى مراتب أخرى و الكل متفقون على وجود تلك الاعداد و بعد هذا لا يخفى و الاولى فى الجمع بين الحديثين ان الاخبار بالثلاثين كان قبل ان يعلمه الله بالاربعين بدليل زيادة النساء فى حديث أنس هذا بقوله (**(وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله رجلا مكانه و اذا ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة)**) فاذا كان عند قيام الساعة ماتوا جميعا (رواه) أبو محمد الحسن بن أبى طالب بن محمد بن الحسن بن على (الخلال) بفتح الخاء المعجمة و شد اللام الحافظ البغدادى ولد سنة اثنتين و خمسين و ثلثمائة و سمع ابن شاذان و غيره عنه الخطيب و عدة قال الخطيب كان ثقة خرج المسند على الصحيحين مات سنة تسع و ثلاثين و أربعمائة (فى) كتابه المؤلف فى (كرامات الاولياء) و أورده ابن الجوزى فى الموضوعات ثم سرد أحاديث الابدال و طعن فيها واحدا واحدا و حكم بوضعها[1] و تعقبه السيوطى بان خبر الابدال صحيح و ان شئت قلت متواتر و أطال فى بيان ذلك ثم قال مثل هذا بالغ حد التواتر المعنوى بحيث يقطع بصحة وجود الابدال ضرورة (و رواه) أى حديث أنس

(١) انظروا التنبيه فى صفحة ١٠٨

(الطبراني في الاوسط) قال الحافظ نور الدين الهيتمي باسناد حسن (بلفظ **(لن)**) قال الطيبي لتاكيد النفي في المستقبل و تقريره (**(تخلو الارض من أربعين رجلا مثل خليل الرحمن)**) ابراهيم (عليه الصلاة و السلام) أى انفتح لهم طريق الى الله على طريق ابراهيم و في ايثار الرحمن و الخلة مزيد مقام و ايماء الى مناسبة المقام اذ من كان مرضيا للرحمن حقه ان ينشا عنه صفة الرحمة من نفع البلاد و العباد (**(فبهم يسقون وبهم ينصرون)**) على الاعداء أى بوجودهم أو بدعائهم و هو الاظهر فقد فسره ابن مسعود بذلك و لتفسيره مزية لانه أدرى بما سمع روى أبو نعيم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم **(ان لله عز و جل في الخلق ثلثمائة قلوبهم على قلب آدم ولله في الخلق أربعون قلوبهم على قلب موسى ولله سبعة في الخلق قلوبهم على قلب ابراهيم ولله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل ولله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل ولله في الخلق واحد قلبه على قلب اسرافيل فاذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة واذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة و اذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة و اذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الاربعين واذا مات من الاربعين أبدل الله مكانه من الثلثمائة و اذا مات من الثلثمائة أبدل الله مكانه من العامة فبهم يحيي و يميت و يمطر وينبت ويدفع البلاء)** قيل لابن مسعود كيف بهم يحيي و يميت قال لانهم يسالون الله اكثار الامم فيكثرون و يدعون على الجبابرة فيقصمون و يستسقون فيسقون و يسالون فتنبت الارض و يدعون فيدفع بهم أنواع البلاء قال في الفتوحات معناه انهم يتقلبون في المعارف الالهية تقلب ذلك الشخص اذ كانت واردات العلوم الالهية انما ترد على القلوب فكل علم يرد على قلب ذلك الكبير من ملك أو رسول يرد على هذه القلوب التي هي على قلبه و ربما يقول بعضهم فلان على قدم فلان و معناه ما ذكر و قال اليافعي في الكفاية عن بعض العارفين الواحد الذي على قلب اسرافيل هو القطب و مكانه في الاولياء كالنقطة في الدائرة التي هي مركز لها به يقع صلاح العالم وقال عن بعضهم لم يذكر أن أحدا على قلبه صلى الله عليه و سلم لانه لم يخلق الله في عالم الخلق و الامم أعز و ألطف و أشرف من قلبه فقلوب الانبياء و الملائكة و الاولياء بالاضافة الى قلبه كاضافة سائر الكواكب الى كامل الشمس انتهى و هذا يرد

قول ابن عربى أحد الاوتاد على قلبه عليه الصلاة و السلام و له ركن الحجر الاسود (**(ما مات منهم أحد الا أبدل الله مكانه آخر)**) بان أقامه مقامه فى التصرف الذى كان أمر به فى حياته فلا يرد أن الاولياء يتصرفون بعد موتهم بتصرفات خاصة تمكنوا منها و فعلوها لا لكونهم مامورين بها لزوال التكليف بالموت (و رواه ابن عدى فى كامله بلفظ **(البدلاء أربعون اثنان و عشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق كلما مات منهم أحد أبدل الله مكانه آخر فاذا جاء الامر)**) قرب الساعة و هو الريح التى تاتى بقبض روح كل مؤمن و مؤمنة (**(قبضوا كلهم)**) و ليس المراد بالامر النفخة الاولى لان هؤلاء من خيار الخلق و قد قال صلى الله عليه و سلم **(لا تقوم الساعة الا على شرار الناس)** رواه مسلم و قال هنا (**(فعند ذلك)**) أى مجىء الامر (**(تقوم الساعة)**) و جعل قيامها بعقب موتهم لانه يقرب من قيامها و القريب من الشىء يعده العرف عنده أو المراد ساعتهم كما مر نظيره (و كذا يروى كما عند أحمد فى المسند و الخلال) نسبة الى الخل الماكول (من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا) باسناد حسن (**(لا يزال فى هذه الامة ثلاثون مثل ابراهيم)**) و فى لفظ لاحمد من حديث عبادة **(الابدال فى هذه الامة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم (خليل الرحمن كلما مات واحد)**) و فى لفظ **(رجل (أبدل الله تعالى مكانه رجلا)**) قيل فلذا سموا أبدالا و قيل لانهم بدلوا الاخلاق السيئة حسنة و راضوا أنفسهم حتى صارت محاسن اخلاقهم حلية أعمالهم قال العارف المرسى كنت جالسا بين يدى استاذى الشاذلى فدخل جماعة فقال هؤلاء أبدال فنظرت ببصيرتى فلم أرهم ابدالا فتحيرت فقال الشيخ من بدلت سيآته حسنات فهو بدل فعلمت أنه أول مراتب البدلية و عند ابن عساكر ان ابن المثنى سال أحمد بن حنبل ما تقول فى بشر بن الحرث قال رابع سبعة من الابدل وقال المرسى جلت فى الملكوت فرأيت أبا مدين معلقا بساق العرش رجل أشقر أزرق العين فقلت له ما علومك و ما مقامك قال علومى أحد و سبعون علما و مقامى رابع الخلفاء و رأس الابدال السبعة قلت فالشاذلى قال ذاك بحر لا يحاط به فظاهر هذا كله ان مراتب الثلاثين مختلفة (و فى لفظ الطبرانى فى الكبير) باسناد صحيح من حديث عبادة **(الابدال فى أمتى ثلاثون (بهم تقوم الارض)**) أى تعمر و ينتظم أمر أهلها ببركتهم ودعائهم (**(وبهم يمطرون وبهم**

ينصرون)) على الاعداء (و لابى نعيم فى الحلية) باسناد ضعيف لا موضوع كما زعم ابن الجوزى و الذهبى فغاية ما فى اسناده رجلان مجهولان و ذلك لا يقتضى الوضع بحال (عن ابن عمر)بن الخطاب (رفعه **(خيار أمتى فى كل قرن خمسمائة)**) من الناس (**(و الابدال أربعون)**) رجلا (**(فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون)**) ينقصون (**(كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر)**) و بقية هذا الحديث فى الحلية قالوا يا رسول الله دلنا على أعمالهم قال **(يعفون عمن ظلمهم ويحسنون الى من اساء اليهم ويتواسون فيما آتاهم الله (وهم فى الارض كلها)**) فلا يختص وجودهم بمكان دون آخر و يؤيد هذا ما رواه الحكيم الترمذى **(ان الارض شكت الى ربها انقطاع النبوة فقال تعالى فسوف اجعل على ظهرك أربعين صديقا كلما مات منهم رجل ابدلت مكانه رجلا)** و لا يعارضه حديث الابدال بالشام لجواز أنها مقرهم و لكن يتصرفون فى الارض كلها (و فى الحلية أيضا عن ابن مسعود رفعه **(لا يزال أربعون رجلا [١] من أمتى على قلب ابراهيم)**) أى على حال مثل قلبه فتخصيصه و قلبه لافادة الصبر على البلاء بذبح الولد و الاحتساب بالمولى و الرضا مع التلذذ بما يرضاه الحبيب و التحبب الى الخلق و البذل و الكرم و المبادرة الى التكاليف باصدق الهم (**(يدفع الله بهم عن أهل الارض)**) كلها وخبر **(الابدال فى أهل الشام وبهم ينصرون وبهم يرزقون)** رواه الطبرانى بسند حسن عن عوف بن مالك و نحوه حديث على عند أحمد لا يخالفه لان نصرتهم لمن هم فى جوارهم أتم و ان كانت أعم (**(يقال لهم الابدال انهم لم يدركوها بصلاة ولا بصوم ولا بصدقة)** قال فبم أدركوها يا رسول الله قال **(بالسخاء و النصيحة للمسلمين)**) و لا يرد هذا على قول أبى طالب فى قوته يصير الابدال ابدالا بالصمت و العزلة و الجوع و السهر لان من بهذه الصفات يتصف بالسخاء و النصيحة و لابن أبى الدنيا عن على قلت يا رسول الله صفهم لى قال **(ليسوا بالمتنطعين ولا بالمبتدعين و لا بالمتعمقين لم ينالوا ما نالوا بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسخاء الانفس وسلامة القلوب والنصيحة لائمتهم)** قال ابن عربى فى كتاب حلية الابدال أخبرنى صاحب لنا قال بينا انا ليلة فى مصلاى قد اكملت وردى و جعلت رأسى بين ركبتى اذكر الله تعالى اذ

---

(١) قوله من أمتى على قلب الخ فى نسخة المتن من أمتى قلوبهم على الخ اهـ.

أحسست بشخص قد نفض مصلاى من تحتى و بسط حصيرا بدلها و قال صل عليه فداخلنى منه فزع فقال من يانس بالله لم يجزع ثم قال اتق الله فى كل حال ثم ألهمت الصبر فقلت بما ذا تصير الابدال ابدالا قال بالاربعة التى ذكر أبوطالب فى القوت: الصمت و العزلة و الجوع و السهر ثم انصرف و لا أعرف كيف دخل و لاخرج و بابى مغلق قال ابن عربى و هذا رجل من الابدال اسمه معاذ بن أشرس و الاربعة المذكورة هى عماد هذا الطريق و قوامه و من لا قدم له فيها و لا رسوخ فهوتائه عن طريق الله قال و اذا رحل البدل عن موضع ترك فيه بدله حقيقة روحانية تجتمع اليها ارواح أهل ذلك الموطن الذى رحل عنه هذا الولى فان ظهر شوق شديد من أناس ذلك الموطن لهذا الشخص تجسدت لهم تلك الحقيقة الروحانية التى تركها بدله فكلمتهم و كلموها و هوغائب عنهم و قد يكون هذا فى غير البدل لكن الفرق بينهما ان البدل يرجع و يعلم انه ترك غيره و غيره البدل لا يعرف ذلك و ان تركه لانه لم يحكم هذه الاربعة المذكورة قال و فى ذلك قلت:

يا من اراد منازل الابدال * من غير قصد منه للاعمال

لا تطمعن بها فلست من اهلها * ان لم تزاحمهم على الاحوال

واصمت بقلبك واعتزل عن كل من * يدنيك من غير الحبيب الوالى

و اذا سهرت وجعت نلت مقامهم * و صحبتهم فى الحل و الترحال

بيت الولاية قسمت اركانه * ساداتنا فيه من الابدال

ما بين صمت و اعتزال دائم * والجوع والسهر النزيه العالى

(و عن معروف) بن فيروز (الكرخى) بفتح فسكون فخاء معجمة نسبة الى كرخ بغداد الامام شيخ السلسلة استاذ السرى السقطى لم يكن فى العراق من يربى المريدين فى زمنه مثله حتى عرف جميع المشايخ فضله و كان ابن حنبل و ابن معين يختلفان اليه و يسالانه و لم يكن مثلهما فى علم الظاهر فيقال لهما مثلكما يفعل ذلك فيقولان كيف نفعل اذا جاءنا أمر لم نجده فى كتاب الله و لا سنة رسوله و قد قال صلى الله عليه و سلم **(سلوا الصالحين)** و كراماته كثيرة و كان يهدى اليه طيبات الطعام فياكل فقيل له ان أخاك بشرا الحافى لا ياكل فيقول أخى قبضه الورع و انا بسطتنى المعرفة انما أنا ضيف فى دار

مولاى مهما اطعمنى أكلت مات سنة احدى و مائتين (من قال اللهم ارحم أمة محمد فى كل يوم كتبه الله من الابدال) ان فعل الطاعات و اجتنب المنهيات أو أن قائل ذلك و ان كان مرتكبا للحرام يوفق للتوبة النصوح الى أن يكون منهم ثم لا يلزم من كتبه منهم فى الاجر كونه منهم حقيقة نحو حديث **(من حفظ على أمتى أربعين حديثا)** و خبر **(أعطى أجر شهيد)** (و هو فى الحلية) عن معروف (بلفظ **(من قال فى كل يوم عشر مرات اللهم أصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد كتب من الابدال)**) مصاحبة و وصفا بحيث يحشر معهم لا ذاتا فلا ينافى أن قائل ذلك يكون منهم و ان ولد لهم ألاود كثيرة (و عن غيره قال من علامة الابدال أن لا يولد لهم) لئلا يشتغلوا بالاولاد عما أقيموا فيه و لا يرد على ذلك الانبياء و نحوهم لان البدلاء لم يصلوا الى مقامهم (و يروى فى مرفوع) الى النبى صلى الله عليه و سلم (معضل) بان سقط من سنده اثنان ففوق و هذا رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الاولياء عن بكر بن خنيس بمعجمة و نون و مهملة مصغر الكوفى صدوق له اغلاط قال قال النبى صلى الله عليه و سلم (**(علامة أبدال أمتى انهم لا يلعنون شيئا)**) من المخلوقات (**(أبدا)**) لان اللعن الطرد و البعد عن الله و هم انما يقربون الى الله و لا يبعدون عنه و يروى عن معاذ مرفوعا **(ثلاث من كن فيه فهو من الابدال الرضا بالقضاء و الصبر عن محارم الله و الغضب فى ذات الله)** رواه الديلمى (و قال يزيد) بتحتية أوله فزاى (ابن هرون) السلمى مولاهم أبو خالد الواسطى ثقة متقن من رجال الجميع عابد مات سنة ست و مائتين و قد قارب التسعين (الابدال هم أهل العلم) النافع و هو علم الظاهر و الباطن لا الظاهر وحده (و قال أحمد) الامام ابن حنبل (ان لم يكونوا أصحاب الحديث فمن هم) قال الحافظ ابن رجب الحنبلى فى فضل الشام له مراد أحمد باصحاب الحديث من حفظه و علمه و عمل به فانه نص أيضا من عمل بالحديث لا من اقتصر على طلبه و لا ريب أن من علم سنن النبى صلى الله عليه و سلم و عمل بها و علمها الناس فهو من خلفاء الرسل و ورثة الانبياء و لا أحد أحق بان يكون من الابدال منه انتهى و قال غيره مراده من هو مثله ممن جمع بين علمى الظاهر و الباطن و أحاط بالاحكام و الحكم و المعارف كسائر الائمة الاربعة و نظرائهم فهؤلاء خيار الابدال و النجباء و الاوتاد فاحذر

ان يسوء ظنك باحد منهم و ان يسول لك الشيطان و من استولى عليه ممن لم يهتد بنور المعرفة ان المجتهدين لم يبلغوا تلك المرتبة و قد اتفقوا على أن الشافعى كان من الاوتاد و قيل انه تقطب قبل موته (و فى تاريخ بغداد للخطيب) و تاريخ الشام لابن عساكر كلاهما (عن الكتانى) بالفتح و الفوقية نسبة الى الكتان و عمله الامام المحدث المتقن أبى محمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن على التميمى الدمشقى محدث دمشق و مفيدها سمع الكثير و ألف و جمع قال الذهبى و يحتمل أن يوصف بالحفظ فى زمنه و لو وجد فى زماننا لعد فى الحفاظ و قال ابن الاثير حافظ كبير متقن روى عن تمام بن محمد و غيره و عنه الخطيب و ابن ماكولا و غيرهما مات سنة تسع و ثمانين و ثلثمائة (قال النقباء ثلثمائة) لعلهم الذين قال فيهم قلوبهم على قلب آدم (و النجباء سبعون و البدلاء أربعون و الاخيار سبعة و العمد اربعة) و هم الاوتاد (و الغوث واحد فمسكن النقباء المغرب ومسكن النجباء مصر) المدينة المعروفة فلا تصرف كقوله ادخلوا مصر (و مسكن الابدال الشام) أى أكثرهم فلا يخالف ما مر ان ثمانية عشر بالعراق ان صح ثم المراد محل اقامتهم فلا ينافى تصرفهم فى الارض كلها كما مر فى حديث و هم فى الارض (و الاخيار سياحون فى الارض) لا يستقرون بمكان (و العمد) الاوتاد (فى زوايا الارض) أى جهاتها الاربع واحد بالمشرق و آخر بالمغرب و آخر بالجنوب و آخر بالشمال قال ابن عربى و لكل ركن من البيت و يكون على قلب نبى فالذى على قلب آدم له الركن الشامى و على قلب ابراهيم العراق و قلب عيسى اليمانى و قلب محمد له ركن الحجر الاسود كذا قال و هو مخالف لما سبق ان قلب المصطفى لا يضارعه احد فلذا لم يذكر ان احدا على قلبه (و مسكن الغوث) و هو القطب الفرد الجامع (مكة) و قيل اليمن رواه ابن عساكر عن أبى سليمان الدارانى و الاصح ان اقامته لا تختص بمكة و لا بغيرها بل هو جوال و قلبه طواف فى حضرة الحق يقدس لا يخرج من حضرته ابدا و يشهده فى كل جهة و من كل جهة مما جاء فيه كما قال بعض المحدثين خبر أبى نعيم مرفوعا **(ان لله تعالى فى كل بدعة كيد بها الاسلام وأهله وليا صالحا يذب عنه ويتكلم بعلاماته فاغتنموا حضور تلك المجالس بالذب عن الضعفاء وتوكلوا على الله و كفى بالله وكيلا)** (فاذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء ثم

النجباء ثم الابدال ثم الاخيار ثم العمد فان اجيبوا) بخصوص تلك الحاجة (و الا ابتهل الغوث) فلا يخالف ما ورد ان دعوة المؤمن لا ترد لا سيما و حال هؤلاء يقتضى اجابة دعائهم دائما الا ان الاجابة قد تكون بخصوص المسؤل و قد تكون بغيره و قد تدخر للقيامة و قد تؤخر الاجابة فتشتد الضرورة لحصول المطلوب فى ذلك الوقت فيبتهل الغوث لتنجيز المسؤل دفعا للضرورة ما أمكن (فلا تتم مسئلته حتى تجاب دعوته) لطفا من الله بعباده و قد زعم ابن الجوزى ان أحاديث الابدال كلها موضوعة و نازعه السيوطى و قال خبر الابدال صحيح و ان شئت قلت متواتر يعنى تواترا معنو يا كما أشار اليه بعد و قال السخاوى له طرق عن أنس بالفاظ مختلفة كلها ضعيفة ثم ساق ما ذكره المصنف و زيادة ثم قال وأحسن مما تقدم ما رواه أحمد من حديث شريح يعنى ابن عبيد قال ذكر أهل الشام عند على و هو بالعراق فقالوا العنهم يا أمير المؤمنين قال لا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول (**البدلاء يكونون بالشام و هم اربعون رجلا كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا يستسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الاعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب**) رجاله من رواة الصحيح الا شريحا و هو ثقة انتهى و قال السيوطى حديث على أخرجه أحمد و الطبرانى و الحاكم من طرق أكثر من عشرة انتهى قال السخاوى و مما يقوى الحديث و يدل لانتشاره بين الائمة قول الشافعى فى بعضهم كنا نعده من الابدال و قول البخارى فى غيره كانوا لا يشكون انه من الابدال و كذا وصف غيرهما من النقاد و الحفاظ و الائمة غير واحد بانهم من الابدال و يقال ما تغرب الشمس يوما الا و يطوف بالبيت رجل من الابدال و لا يطلع الفجر من ليلة الا و يطوف به واحد من الاوتاد و اذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الارض.

(**و منها أنهم يدخلون قبورهم بذنوبهم**) غير معرضين عنها و لا تائبين (**و يخرجون منها بلا ذنوب تمحص عنهم باستغفار المؤمنين لهم**) بيان لسبب خروجهم بلا ذنوب كأنه قال لانها تمحص عنهم بسبب طلب المغفرة لهم و التمحيص تنقيص الشئ شيئا فشيئا الى ان يذهب فاستغفار المؤمنين يزيل الذنوب شيا فشيا حتى تذهب فيخرج

من قبره طاهرا منها و قد يكون بحسابه فى قبره و يستوفى منه فيه اما بعقابه على جميعها أو على بعضها مع العفو عن باقيها فيخرج أيضا طاهرا منها قال الحكيم الترمذى انما حوسب المؤمن فى قبره ليكون أهون عليه فى الموقف فتمحص ذنوبه فى البرزخ فيخرج منه و قد اقتص منه و أيضا لسترهم فى المحشر حيث لم يكن عليهم ما يفتضحون به على رؤس الاشهاد (رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث أنس و لفظه قال رسول الله صلى الله عليه و سلم **(أمتى)**) أى أمة الاجابة (**(أمة مرحومة)**) من الله أو من بعضهم لبعض مغفور لها من بارئها متوب عليها من الله بمعنى انه لا يتركها مصرة على الذنب و رواه ابن ماجه و البيهقى فى البعث بلفظ **(ان هذه الامة مرحومة (تدخل قبورها بذنوبها)**) و الروايتان متفقتان معنى فى صدر الحديث و لفظا و معنى فى باقيه (**(وتخرج من قبورها لا ذنوب عليها تمحص عنها باستغفار المؤمنين لها)**) فتزول جميعها حقيقة أو حكما بزوال معظمها للادلة القطعية انه لابد من دخول طائفة من عصاة هذه الامة النار لكنه لما قل بالنسبة لما ذهب نزل منزلة العدم حتى كانها غفرت جميعها و روى أبو داود و غيره **(أمتى هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب فى الآخرة انما عذابها فى الدنيا فى الفتن و الزلازل و القتل و البلايا)** و نفى عذابها فى الآخرة بمعنى ان من عذب منهم لا يحس بالم النار الا قليلا كما ورد مرفوعا **(اذ ادخل الله الموحدين النار أماتهم فيها اماتة فاذا أراد أن يخرجهم منها أمسهم ألم العذاب تلك الساعة)** رواه الديلمى و لخفة ألمها قال صلى الله عليه و سلم **(انما حر جهنم على أمتى كحر الحمام)** رواه الطبرانى برجال ثقات و لا تناقض بين الخبرين لانها تكون عليهم عند احيائهم و الامر باخراجهم كحر الحمام اللطيف الذى لا يؤذى الجسم و لا يوهنه و روى الدارقطنى عن ابن عباس رفعه **(ان حظ أمتى من النار طول بلائها تحت التراب)** و زعم أن المراد لا عذاب عليها فى عموم الاعضاء لان أعضاء الوضوء لا تمسها النار تكلف مستغنى عنه و قوله **(الفتن)** أى الحروب و الهرج بينهم و البلايا التى منها استيفاء الحد ممن فعل موجبه و عجلت العقوبة على الذنب فى الدنيا لان شأن الامم السالفة كان يجرى على سبيل العدل و أساس الربوبية و شان هذه الامة يجرى على نهج الفضل فمن ثم ظهر فى بنى اسرائيل السياحة و الرهبانية و عليهم فى شريعتهم الاغلال و الآصار و ظهرت فى هذه

الامة السماحة ففك عنهم الاغلال و وضع عنهم الآصار كما مر .

(ومنها أنهم اختصوا فى الآخرة بانهم أول من تنشق عنهم الارض من الامم) بعد الانبياء (رواه أبونعيم عن ابن عباس مرفوعا) فى حديث (بلفظ **(وأنا أول من تنشق الارض عنى)**) قبل الانبياء (**(وعن أمتى)**) قبل الامم (**(ولا فخر)**) أعظم من ذلك أولا أقول ذلك افتخارا بل تحدثا بالنعمة.

(و منها أنهم يدعون يوم القيامة) الى موقف الحساب أو الميزان أو الصراط أو الحوض أو غير ذلك (**(غرا)**) بضم المعجمة و التشديد جمع أغر أى ذى غرة (**(محجلين من آثار الوضوء)** رواه البخارى) و مسلم من حديث أبى هريرة (و الغرة بياض فى وجه) أى جبهة (الفرس) فوق الدرهم (و التحجيل) أصله من الحجل بكسر الحاء الخلخال (بياض فى قوائمه) الاربع أو فى ثلاث منها أو فى غيرها (و ذلك مما يكسبه حسنا و جمالا فشبه صلى الله عليه و سلم النور الذى يكون يوم القيامة فى أعضاء الوضوء بالغرة و التحجيل ليفهم أن هذا البياض فى أعضاء الانسان مما يزينه) بفتح أوله (لا مما يشينه) دفعا لتوهم البرص لو قال يدعون بيضا مثلا (يعنى أنهم اذا دعوا على رؤس الاشهاد نودوا بهذا الوصف) بان يقال لهم يا غر يا محجلون (أو كانوا على هذه الصفة) و هى النور الكائن فى أعضائهم و ان نودوا باسمائهم و ظاهره حجة للشافعى فى ندب اطالة الغرة بغسل زائد على ما وجب من اليدين و الرجلين و مع الوجه مقدم الرأس و صفحة العنق و ذهب الائمة الثلاثة الى عدم ندب ذلك و أولوا الاطالة فى قوله فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل بادامة الوضوء.

(و منها انهم يكونون فى الموقف) مع نبيهم **(على مكان عال)** عبر عنه فى الحديث تارة بكوم و أخرى بتل (رواه ابن جرير و ابن مردو يه من حديث جابر مرفوعا بلفظ **(أنا وأمتى)**) نكون (**(على كوم)**) فهو صلة محذوف (**(مشرفين على الخلائق ما من الناس أحد الا ود)**) تمنى (**(انه منا)**) لنيل هذا المقام و الاستراحة مما فى الموقف من الزحام (**(وما من نبى كذبه قومه الا ونحن نشهد له انه بلغ رسالة ربه)**) كما قال تعالى

(... لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا * الآية. البقرة: ١٤٣) قال ابن عبد السلام و هذه خصوصية لم تثبت لغيرهم (و عند ابن مردو يه من حديث كعب) بن مالك الانصارى (قال صلى الله عليه و سلم **(أنا و أمتى على تل)**) مكان عال زاد فى الانموذج و لهم نوران كالانبياء و ليس لغيرهم الا نور واحد.

(و منها ان لهم سيما) فعلى من سامه اذا أعلمه و قد قرئت ممدودة **(فى وجوههم من أثر السجود** قال تعالى (**... سيماهم**)) علامتهم مبتدأ (**(فى وجوههم)**) خبره (**(من اثر السجود * الآية. الفتح: ٢٩)**) متعلق بما تعلق به الخبر أى كائنة و أعرب حالا من ضميره المنتقل الى الخبر (و هل هذه العلامة فى الدنيا أو فى الآخرة فيه قولان أحدهما أنها فى الدنيا قال ابن عباس فى رواية أبى طلحة) عنه هى (السمت الحسن) أى السكينة و الوقار (و قال) ابن عباس (فى رواية مجاهد) عنه (ليست السيمات بالتى ترون) من الا ثر فى جباه الساجدين بل (هى سمة الاسلام و سيماه و خشوعه) و فى البيضاوى تفسيرها بالا ثر قال يريد السمة التى تحدث فى جباههم من كثرة السجود (و قيل) هى (الصفرة فى الوجه من أثر السجود فتحسبهم مرضى و ما هم بمرضى) و ذلك محمود بخلاف ما اذا لم يكن لغير سجود و لا علة روى أبو نعيم فى الطب عن أنس رفعه **(اذا رأيتم الرجل أصفر الوجه من غير مرض و لا عبادة فذاك من غش الاسلام فى قلبه)** و روى الديلمى عن ابن عباس مرفوعا **(احذروا صفر الوجوه فانه لم يكن من علة أو سهر فانه من غل فى قلوبهم للمسلمين)** (و القول الثانى أنه فى الآخرة يعنى أن مواضع السجود من وجوههم تكون أشد بياضا يوم القيامة) من بقية أجسادهم (يعرفون بتلك العلامة أنهم سجدوا فى الدنيا رواه العوفى) بفتح المهملة و سكون الواو و بالفاء عطية بن سعد بن جنادة بضم الجيم بعدها نون خفيفة أبو الحسن الكوفى صدوق يخطىء كثيرا و كان شيعيا مدلسا مات سنة احدى عشرة و مائة روى له أبو داود و الترمذى و النسائى و هو المراد عند الاطلاق كما فى الانساب من التقريب فليس المراد به يحيى بن يعمر قاضى مرو كما توهم من قول اللباب يروى عن ابن عباس و ابن عمر (عن ابن عباس و) روى (عن شهر بن حوشب) الاشعرى الشامى مولى أسماء بنت يزيد بن السكن تابعى صدوق كثير الارسال و الاوهام مات سنة اثنتى

عشرة و مائة روى له مسلم و أصحاب السنن (تكون) يوم القيامة (مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر) و أيد ذا القول بقوله صلى الله عليه و سلم (**أمتى يوم القيامة غر من السجود ومحجلون من الوضوء**) رواه الترمذى عن عبد الله بن بسر بضم الموحدة و سكون المهملة أى من أثر سجودهم فى الصلاة و أثر وضوئهم فى الدنيا و قد سجدت الامم قبلهم فلم يظهر على جباههم ذلك النور و تطهروا فلم يظهر على أطرافهم من ذلك شئ فهو علامة هذه الامة فى الموقف بها يعرفون ذكره الحكيم الترمذى و لا تنافى بين هذا الحديث و بين حديث الصحيحين (**ان أمتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء لان وجه المؤمن يكسى فى القيامة نورا من أثر السجود ونورا من أثر الوضوء نور على نور فمن كان أكثر نورا و أكثر وضوءا فى الدنيا كان وجهه أعظم ضياء و أشد اشراقا من غيره فيكونون فيه على مراتب فى عظم النور والانوار لا تتزاحم ألا ترى انه لو أدخل سراج فى بيت ملأه نورا فاذا أدخل فيه آخر وآخر تزايد لنور ولا يزاحم الثانى الاول ولا الثالث الثانى وهكذا**) (و قال عطاء) بن أبى مسلم أبو عثمان (الخراسانى) و اسم أبيه ميسرة و قيل عبد الله صدوق يهم كثيرا و يرسل و يدلس مات سنة خمس و ثلا ثين و مائة روى له النسائى و ابن ماجه و لم يصح ان البخارى أخرج له (و دخل فى هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس) فليس المراد النوافل فقط فما تقرب متقرب الى الله باحب من أداء ما افترضه عليه.

(**و منها أنهم يؤتون كتبهم بايمانهم** رواه البزار) و غيره.

(**و منها أن نورهم يسعى بين أيديهم**) أمامهم على الصراط و يكون بايمانهم قال تعالى (... **يَوْمَ لَا يُخْزِي اللّٰهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا** * **الآية. التحريم: ٨**) أى الى الجنة (أخرجه أحمد باسناد صحيح) عن النبى صلى الله عليه و سلم (**انى لا أعرف أمتى يوم القيامة من بين الامم أعرفهم يؤتون كتبهم بايمانهم و أعرفهم بسيماهم فى وجوههم من أثر السجود و أعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم**) زاد الانموذج (**و يمرون على الصراط كالبرق و الريح ويشفع محسنهم فى مسيئهم**).

(ومنها ان لهم ما سعوا) أى عملوا فيكتب لهم ثواب أعمالهم **(وما يسعى لهم)** أى يعمل لاجلهم من صدقة و دعاء و غيرهما على ما ياتى **(و ليس لمن قبلهم الا ما سعى قاله عكرمة)** رواه ابن أبى حاتم و غيره عنه (و أما قوله تعالى **(وَاَنْ لَيْسَ لِلْاِنْسَانِ اِلاَّ مَا سَعٰى * النجم: ٣٩)**) قال البيضاوى الا سعيه أى كما لا يؤاخذ أحد بذنب الغير لا يثاب بفعله و ما جاء فى الاخبار من **(أن الصدقة و الحج ينفعان الميت فلكون الناوى له كالنائب عنه)** (ففيها) أى ففى الجواب عنها (أجوبة) فالظرفية هنا اعتبارية فلا يقال كان المتبادر فعنها و ليس من معانى عن فى فلا ترد بمعناها فقد ذكر صاحب المغنى جملة ما ذكر لـ(عن) عشرة معان ليس فيه ورودها بمعنى فى (أحدها انها منسوخة روى ذلك عن ابن عباس نسخها قوله تعالى) (**(وَالَّذِينَ اٰمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ)**) معطوف على آمنوا (**(ذُرِّيَّتُهُمْ)**) الكبار و الصغار (**(بِاِيمَانٍ)**) من الكبار و من الآباء فى الصغار ثم **(الذين آمنوا)** مبتدأ و الخبر قوله (**(اَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ * الآية. الطور: ٢١)**) المذكورين فى الجنة فيكونون فى درجتهم و ان لم يعملوا بعملهم تكرمة للآباء باجتماع الاولاد اليهم (فجعل الولد الطفل فى ميزان أبيه) أى فى درجته أو فى دخول الجنة (و يشفع الله تعالى الآباء فى الابناء و الابناء فى الآباء) أى ياذن لكل منهم فى الشفاعة فيشفع و اذا شفع قبل شفاعته (بدليل قوله تعالى (**... اٰبَآؤُكُمْ وَاَبْنَآؤُكُمْ**)) مبتدأ خبره (**(لاَ تَدْرُونَ اَيُّهُمْ اَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا * الآية. النساء: ١١)**) فى الدنيا و الآخرة فظان ان ابنه أنفع له فيعطيه الميراث فيكون الاب أنفع و بالعكس و انما العالم هو الله تعالى ففرض لكم الميراث أخرج ابن مردو يه و صححه الضياء المقدسى عن ابن عباس رفعه **(اذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبو يه وزوجته و ولده فيقال انهم لم يبلغوا درجتك أو عملك فيقول يا رب قد عملت لى ولهم فيؤمر بالالحاق به)** و أخرجه الطبرانى و البزار و أبو نعيم عن ابن عباس مرفوعا بلفظ **(ذرية المؤمن فى درجته و ان كانوا دونه فى العمل لتقربهم عينه)** ثم قرأ **(وَالَّذِينَ اٰمَنُوا)** الى قوله **(وَمَآ اَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ * الآية. الطور: ٢١)** قال ما نقصنا الآباء مما أعطينا البنين هذا قد ضعف ابن عطية هذا القول بالنسخ بان قوله **(وَاَنْ لَيْسَ * الآية. النجم: ٣٩)** خبر و الخبر لا ينسخ و لان شروط النسخ ليست هنا قال اللهم الا ان يتجوّز فى لفظ النسخ و قال ابن

القيم فى كتاب الروح ذهبت طائفة الى انها منسوخة و روى عن ابن عباس و هو ضعيف و لا يرفع حكم الآية بمجرد قول ابن عباس و لا غيره انها منسوخة قال و الجمع بين الآيتين غير متعذر كذا قال و فيه انه ان صح ما روى عن ابن عباس كان حكمه الرفع لانه لا مجال للرأى فيه (الثانى انها مخصوصة بالكافر) أى كافر او كافر مخصوص اختلف فيه على ما ياتى (و أما المؤمن فله ما سعى) أى عمل (غيره) عنه بنيته على تفصيل و خلاف مقرر فى الفروع (قال القرطبى و كثير من الاحاديث يدل على هذا القول و ان المؤمن يصل اليه ثواب العمل الصالح من غيره) عنه بالنية (و فى الصحيح) للبخارى و مسلم عن عائشة (عن النبى صلى الله عليه و سلم **(من مات)**) عام فى المكلفين بقرينة قوله **((و عليه صيام))** هذا لفظ الصحيحين و لم يصب من عزاه لهما بلفظ صوم (**(صام عنه)**) و لو بغير اذنه **((وليه))** جوازا لا لزوما و اليه ذهب الشافعى فى القديم و عمل به الجمهور و قال فى الجديد و هو مذهب أبى حنيفة و مالك لا يجوز الصوم عن الميت لانه عبادة بدنية و المراد بـ **(وليه)** على الاول كل قريب أو الوارث أو عصبته و خرج الاجنبى فانما يصوم باذنه أو **(وليه)** باجر أو دونه (و قال صلى الله عليه و سلم للذى حج عن غيره) كما روى أبو داود و ابن ماجه برجال ثقات عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه و سلم سمع رجلا يقول لبيك عن شبرمة فقال **(من شبرمة)** قال أخ أو قريب لى قال **(حججت عن نفسك)** قال لا قال (**(حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة)**) بضم الشين المعجمة و اسكان الموحدة و ضم الراء قال الحافظ فى تخريج أحاديث الشرح الكبير زعم ابن باطيس ان اسم الملبى تبيشة و من النوادر ان بعض القضاة ممن أدركنا صحف شبرمة فقال شبرمنت بلفظ القرية التى بالجيزة انتهى فمن عليه حج الفرض لا يصح حجه عن غيره فان أحرم عنه و قع عن نفسه و عليه الشافعى و صححه أبو حنيفة و مالك مع الكراهة و الجمهور على كراهة اجارة الانسان نفسه للحج لكن حمل على قصد الدنيا اما لقصد الآخرة لاحتياجه للاجرة ليصرفها فى واجب أو مندوب فلا (و عن عائشة انها اعتكفت عن أخيها) شقيقها (عبد الرحمن و أعتقت عنه) بعد موته فجأة سنة ثلاث و خمسين و قيل بعدها فى طريق مكة (و قال سعد) بن عبادة سيد الخزرج (للنبى صلى الله عليه وسلم ان أمى) عمرة بنت مسعود الصحابية

(توفيت) سنة خمس و النبى صلى الله عليه و سلم فى غزوة دومة الجندل فى شهر ربيع و معه سعد فلما جاء النبى صلى الله عليه و سلم المدينة أتى قبرها فصلى عليها ذكره ابن سعد (**(أفتصدق عنها)**) قال نعم قال أى الصدقة أفضل قال **(سقى الماء)**) و لعله كان وقت السؤال الناس أحوج الى الماء من غيره لقلته فى ذلك الموضع أو لشدة حرارته كما هو الغالب فى الحجاز و الا فالصدقة بالطعام و ان قل عند كثرة الماء و تيسره أفضل و النبى صلى الله عليه و سلم سيد الحكماء فيجيب كل سائل بما هو الافضل فى حقه قال ابن القيم فى كتاب الروح و أفضل الصدقة ما صادف حاجة من المتصدق عليه و كان دائما مستمرا و منه قوله **(أفضل الصدقة سقى الماء)** و هذا فى موضع يقل فيه الماء و يكثر العطش و الا فسقى الماء على الانهار و القنى لا يكون أفضل من اطعام الطعام عند الحاجة **(و فى الموطا)** للامام مالك **(عن عبد الله بن أبى بكر)** بن محمد بن عمرو بن حزم الانصارى المدنى القاضى مات سنة خمس و ثلاثين و مائة و هو ابن سبعين سنة **(عن عمته)** أم كلثوم أو أم عمرو فهى عمته الحقيقية لا المجازية التى هى عمرة بنت حزم جدة عبد الله الصحابية لانه لم يدركها **(انها حدثته عن جدته انها جعلت على نفسها مشيا الى مسجد قباء فماتت و لم تقضه)** أى لم تفعله **(فافتى عبد الله بن عباس انها تمشى عنها)** ففى هذا كله دلالة على ان للمؤمن ما سعى غيره لكن هذا مذهب صحابى و قد عقبه فى الموطا بقوله قال يحيى سمعت مالكا يقول لا يمشى أحد عن أحد على ان الراجح ان من نذر مشيا الى غير بيت الله الحرام و ما ألحق به لا يجب عليه لا لعبادة و لا لغيرها عند الشافعية و قال مالك من نذر المشى الى المدينة أو ايلياء فليس عليه ذلك الا ان ينوى صلاة بمسجديهما فيركب **(و من المفسرين من قال ان الانسان فى الآية أبو جهل)** فرعون هذه الامة **(و منهم من قال عقبة بن أبى معيط)** الكافر المقتول بعد انصرافهم من بدر صبرا **(و منهم من قال الوليد بن المغيرة)** الميت على كفره قبل وقعة بدر فعمومها على هذه الاقوال مخصوص بواحد مختلف فى تعيينه **(و منهم من قال)** الآية **(اخبار عن شرع من قبلنا)** لان قبلها أم لم ينبا بما فى صحف موسى و ابراهيم **(و قد دل شرعنا على ان الانسان له سعيه و ما سعى له)** و هذا قول عكرمة **(و منهم من قال الانسان بسعيه فى الخير و حسن صحبته و عشرته اكتسب الاصحاب)** أى

تسبب فى وقوع الصحبة بينه و بين غيره (و أهدى لهم الخير و تودد اليهم فصار ثوابهم له بعد موته من سعيه) لان الدال على الخير كفاعله و قد انتفع أصحابه منه بمعرفة الخصال الحميدة فعملوا بها فحصل له بتسببه فى حصول ذلك لهم مثل ثواب ما عملوه (و منهم من قال الانسان فى الآية للحى دون الميت يعنى ان الحى لا يسقط عنه الحج مثلا ما دام حيا بحج غيره عنه بخلاف ما لو فعل عنه بعد موته فينفعه عند هذا القول.

تنبيه : قال صاحب در المختار و محشيه ابن عابدين (المتوفى سنة ١٢٥٢ هـ. [١٨٣٦ م.] فى الشام) فى المقدمة: و قول ابن الجوزى اى ناقلا عن الخطيب البغدادى: انه موضوع تعصب لانه روى بطرق مختلفة بسطها العلامة طاشكبرى فيشعر بان له اصلا فلا اقلّ من أن يكون ضعيفا فيقبل اذ لم يترتب عليه اثبات حكم شرعىّ و لا شك فى تحقق معناه و أما ابن الجوزى فانه تابع الخطيب و قد عجب سبطه منه حيث قال فى مرآة الزمان و ليس العجب من الخطيب فانه طعن فى جماعة من العلماء و انما العجب من الجدّ كيف سلك اسلوبه و جاء بما هو أعظم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**) وقال ايضا (**خذوا العلم من افواه الرجال**).

ومن لم تتيسّر له صحبة الصالحين وجب له ان يذكّر كتبا من تأليفات عالم صالح وصاحب إخلاص مثل الإمام الرباني المجدد للألف الثاني الحنفي والسيد عبد الحكيم الارواسي الشافعي واحمد التيجاني المالكي ويتعلم الدين من هذه الكتب ويسعى نشر كتب أهل السنة بين الناس ومن لم يكن صاحب العلم أو العمل أو الإخلاص ويدعي أنه من العلماء الحق وهو من الكاذبين من علماء السوء. واعلم انّ علماء أهل السنة هم المحافظون الدين الإسلامي وأمّا علماء السوء هم جنود الشياطين.[1]

---

(١) لاخير في تعلّم علم ما لم يكن بقصد العمل به مع الإخلاص (الحديقة الندية ج:١ ص: ٣٦٦، ٣٦٧ والمكتوب ٣٦، ٤٠، ٥٩ من المجلّد الأوّل من المكتوبات للإمام الرّبّاني المجدّد للألف الثاني قدّس سرّه)

فهرست الجزء الخامس من شرح الزّرقانى
على المواهب اللّدنّيّة للقسطلانى

الموضوع	الصّفحة
خصائص أمته صلى الله عليه و سلم	٣
و كذلك من يقول من العلماء بنبوة الخضر	١٣
و ليس في الرسل من يتبعه رسول الاّ نبينا صلى الله عليه و سلم	١٧
و قد خص الله تعالى هذه الأمة الشريفة بخصائص لم يؤتها أمة قبلهم	٢١
و من خصائص هذه الأمة احلال الغنائم و لم تحل لأحد قبلها	٣٥
و من خصائص هذه الأمة أيضا الوضوء	٣٧
و منها مجموع الصلوات الخمس	٤٢
و منها الأذان و الإقامة	٤٥
و منها البسملة	٤٥
و منها التأمين	٤٦
و منها الإختصاص بالركوع	٤٨
و منها الصفوف في الصلاة كصفوف الملائكة	٤٩
و منها تحية الإسلام	٥٠
و منها الجمعة	٥١
و منها ساعة الإجابة التي في الجمعة	٥٤
و منها إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله تعالى اليهم الخ	٥٨
و منها السحور و تعجيل الفطر الخ	٦١
و منها ليلة القدر الخ	٦٣
و منها أن لهم الإسترجاع عند المصيبة	٦٤
و منها أن الله تعالى رفع عنهم الإصر الذي كان على الأمم قبلهم	٦٤

فهرست الجزء الخامس من شرح الزّرقانى
على المواهب اللّدنّيّة للقسطلانى

الموضوع	الصّفحة
و منها أان الله تعالى أحلّ لهم كثيرا مما شدد على من قبلهم	٦٦
و منها أن الله تعالى رفع عنهم المؤاخذة بالخطأ الخ	٦٨
و منها أن الإسلام وصف خاص بهم الخ	٧٠
و منها أن شريعتهم أكمل من جميع الشرائع المتقدمة	٧٤
و منها أنهم لا يجتمعون على ضلالة	٧٧
و منها أن إجماعهم حجة و أن إختلافهم رحمة	٧٩
و منها أن الطاعون لهم شهادة رحمة الخ	٨٣
و منها أنهم إذا شهد إثنان منهم لعبد بخير وجبت له الجنة	٨٥
و منها أنهم أقل الأمم عملا و أكثرهم أجرا الخ	٨٦
و منها أنهم أوتوا الإسناد	٨٧
و منها أنهم أوتوا الأنساب و الأعراب	٨٩
و منها أنهم أوتوا تصنيف الكتب	٩٠
و منها أن فيهم أقطابا و أوتادا الخ	٩١
و منها أنهم يدخلون قبورهم بذنوبهم الخ	١٠٠
و منها أنهم إختصوا في الآخرة بأنهم أول من تنشق عنهم الأرض الخ	١٠٢
و منها أنهم يدعون يوم القيامة غرّا محجلين الخ	١٠٢
و منها أنهم يكونون في الموقف على مكان عال	١٠٢
و منها أن لهم سيما في وجوههم من أثر السجود	١٠٣
و منها أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم	١٠٤
و منها أن نورهم يسعى بين أيديهم الخ	١٠٤
و منها أن لهم ما سعوا و ما يسعى لهم الخ	١٠٥

المعهد الاسلامي بحر العلوم

التاريخ: ١٩٨٨ - سبتمبر - ٢٥ م
١٤٠٩ - صفر - ١٤ هـ

حضرة الفاضل المحقق الكامل الأديب
والنجيب اللبيب القامع للبدعات
الشيخ حسين حلمي بن سعيد
الاستنبولي - تركي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله المنفرد في ذاته وصفاته الذي هدانا الى اهل سنة رسوله وجماعته وأمرنا باتباع الحق والصواب ونهانا باتباع الضلالات والبدعات وانعم علينا بالايمان والاسلام والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم المنقذ من الضلالات والداعي الى أشرف الخصال الذي ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وعلى اله الاخيار وأصحابه النجباء نجوم الهدى ناصري دينه الاسلام. { أما بعد }

ايها الفاضل المحترم لقد وصلت علينا كتب كثيرة من جنابكم ادام الله سعيكم وفي هذه المرة قد وصلت الينا كتب منها: سبيل النجاة والنعمة الكبرى على العالم ومذاهب الأربعة الجزء الثالث وغيرها من الكتب النفيسة المهمة.

وقد شغلنا الاوقات الى مطالعتها الآن في بحارها من جواهر النفيسة وبراهين واضحات لموافقتها لاقوال العلماء المجتهدين من أهل السنة والجماعة وأهل السلوك الصوفيه بلا ريب ولا شك.

ولكن بقي من فؤادنا حبا ورجاء منكم ان نطلع ونقرأ من بقية كتبكم أهم منها: "فتاوى الحرمين وصرف عزي وعوامل والكافية لابن الحاجب وتفسير سورة البقرة (شيخ زاده) وتطهير الفؤاد ويليه شفاء السقام وجزء عم من القرآن الكريم اوما شئتم من ذلك.

وفي الختام ارجو من الله المولى الكريم أن يزيدكم بنعم لا تعدو ولا تحصى وان ينفذ اموركم الى يوم الدين وان يجزيكم جزيل الثواب وأن يجزيكم جزيل الثواب

والسلام عليكم ورحمة الله

ABU DZARRIN AL-HAMIDI
Pondok Pesantren Islam
"BAHRUL ULUM" TAMBAK-
BERAS JOMBANG. JATIM
INDONESIA

المرسل الضعيف
[signature]
ابوذر الحميدي
المعهد الاسلامي بحر العلوم
تأسيا برأس جنيا في جامع الثالثة

" بسم الله الرحمن الرحيـــم "

الحمد لله الذى تفضل علينا بنعمة الاسلام والصلاة والسلام على سيدنا محمـــــد وعلى آلـه وصحبـه اجمعـين .

اخواننــــا في اللـــــــه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاتـــــه

بعد الاطلاع على ما ارسلتوه من كتب لأخي وصديقي محمد المهدى ، اتقدم بالشكر الجزيل لما تقدموه من خدمة في توعية كافة الشعوب الاسلامية والعالمية عن طريـــــق منشوراتكم القيمة التي تصدرونها منذ زمـن بعيـــد .

انني موظف في المركز الثقافي الاسلامي بالجامعة الاردنية وانني ارغب في اقتنـاء عدد من هذه الكتب القيمة ـ اذا تلطفتم بأرسالها ـ لكي استنفيد منها ويستفيد منهـا زمـلائـي ، وقد اعجبتني قائمة الكتب وقد اخترت الكتب التالية حاليا وهي :-

١ . الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الاول)
٢ . الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الثاني)
٣ . الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الثالث)
٤ . نـور الاسلام
٥ . الصراط المستقيم في رد النصارى .

وأخيرا اتمنى لكم مزيدا من التقدم والازدهـا في خدمة الاسلام والمسلمين .

" والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتـــه "

اخوكـم في اللـــه

موسى فهمـي باكـــير

التاريخ ١٤٠٩/٢/٣٠هـ
الموافق ١٩٨٨/١٠/١١م
ملاحظة :- يرجى التكرم بأرسال الكتب
على العنوان الخاص وهـو :-

موسى فهمـي باكـــير

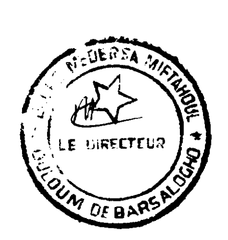
ص.ب ٤٨٥

السلط ـ الاردن

برسالغوا ٥/٢/١٤٠٩هـ ٧/١/١٩٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد فإلى حضرة إخواننا الأعزاء في الدين. نعم ليسرنا غاية السرور أن أكتب إلى فضيلتكم الكريمة هذه الرسالة طلبا منكم المساعدة بكتب الدينية لتعليم التلاميذ على أمور الدين الإسلامي لأن الكتب تساعدنا به الدين الإسلام. وهذه أسماء الكتب (١) نور الإسلام، (٢) الفقه على المذاهب الأربعة الجزء الأول (٣) علماء المسلمين والوهابيون. (٤) الإيمان والإسلام. ونطلب منكم وقت وقت أن تساعدونا بالكتب لأن ذلك تساعد الدين لكي يدوم ومن هنا لارجوا جواب رسالتنا. وجزاكم عنا خير الجزاء وأطيب العطاء،

فبلغوا سلامنا إلى إخواننا المسلمين



ÉCOLE FRANCO ARAB
MIFTAHOUL OULOUM AL
LOGO PROVINCE DU SI
TENGA BURKINA FAS

تنبيه: إنّ كلاً من دعاة المسيحية يسعون الى نشر المسيحية والصهاينة اليهود يسعون الى نشر الادعاءات الباطلة لحاخاماتها وكهنتها ودار النشر – **الحقيقة** – في استانبول يسعى الى نشر الدين الاسلامي وإعلائه اما الماسونيون ففي سعي لإمحاء وازالة الاديان جميعا فاللبيب المنصف المتصف بالعلم والادراك يعي ويفهم الحقيقة ويسعى لتحقيق ما هو حق من بين هذه الحقائق ويكون سببا فى إنالة الناس كافة السعادة الابدية وما من خدمة اجلّ من هذه الخدمة اسديت الى البشريّة.

دُعَاءُ التَّوْحِيدِ

يَا اَللهُ يَا اَللهُ لاَ اِلَهَ اِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ يَا عَفُوُّ يَا كَرِيمُ فَاعْفُ عَنِي وَارْحَمْنِي يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَاَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلآبَائِي وَأُمَّهَاتِي وَلآبَاءِ وَاُمَّهَاتِ زَوْجَتِي وَلأَجْدَادِي وَجَدَّاتِي وَلأَبْنَائِي وَبَنَاتِي وَلإِخْوَتِي وَأَخَوَاتِي وَلأَعْمَامِي وَعَمَّاتِي وَلأَخْوَالِي وَخَالاَتِي وَلأُسْتَاذِي عَبْدِ اْلحَكِيمِ اْلآرْوَاسِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ اَلاَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَاْلاَمْوَاتِ «رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ» بِرَحْمَتِكَ يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَاْلحَمْدُ للهِ رَبِّ اْلعَالَمِينَ

دُعَاءُ اْلاِسْتِغْفَارِ

اَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لاَ اِلَهَ إِلاَّ هُوَ اْلحَيَّ الْقَيُّومَ وأَتُوبُ إِلَيْهِ

إن ناشر كتب - **دار الحقيقة للنشر والطباعة** - هو المرحوم حسين حلمي ايشيق عليه الرحمة والرضوان المتولد عام ١٣٢٩ هـ [١٩١١ م] بمنطقة -**أيوب سلطان إستانبول**- وأعداد الكتب التي نشرها ثلاث وستون مصنفا من العربية وأربع وعشرون مصنفا من الفارسية وثلاث مصنفات أوردية وأربع عشرة من التركية ومقدار الكتب التي أمر بترجمتها من هذه الكتب إلى لغات فرنسية وألمانية وإنجليزية وروسية وإلى لغات أخر بلغت مائة وتسعة وأربعين كتابا وجميع هذه الكتب طبعت في -**دار الحقيقة للنشر والطباعة**- وكان المرحوم عالما طاهرا تقيا صالحا وتابعا لمشيئة الله وقد تتلمذ للعلاّمة الحبر البحر الفهامة الولي الكامل المكمل ذي المعارف والخوارق والكرامات عالي النسب السيد عبد الحكيم الارواسي عليه رحمة الباري وأخذ منه وظهر كعالم إسلامي فاضل وكامل مكمل وقد لبى نداء ربه المتعال وتوفي ليلة ٢٥ على ٢٠٠١/١٠/٢٦ (الثامن على التاسع من شهر شعبان المعظم سنة إثنتين وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية) ودفن في محل ولادته بمقبرة أيوب سلطان تغمده الله برحمته الواسعة واسكنه فسيح جناته آمين

اسماء الكتب العربية التي نشرها مكتبة الحقيقة

اسماء الكتب	عدد صفحاتها
١ - جزء عم من القرآن الكريم	٣٢
٢ - حاشية شيخ زاده على تفسير القاضى البيضاوى (الجزء الاول)	٦٠٤
٣ - حاشية شيخ زاده على تفسير القاضى البيضاوى (الجزء الثانى)	٤٦٢
٤ - حاشية شيخ زاده على تفسير القاضى البيضاوى (الجزء الثالث)	٦٢٤
٥ - حاشية شيخ زاده على تفسير القاضى البيضاوى (الجزء الرابع)	٦٢٤
٦ - الايمان والاسلام ويليه السلفيون	١٢٨
٧ - نخبة اللآلي لشرح بدء الامالي	١٩٢
٨ - الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية (الجزء الاول)	٦٠٨
٩ - علماء المسلمين وجهلة الوهابيين ويليه شواهد الحق ويليهما العقائد النسفية ويليها تحقيق الرابطة	٢٢٤
١٠ - فتاوى الحرمين برجف ندوة المين ويليه الدرة المضيئة	١٢٨
١١ - هدية المهديين ويليه المتنبئ القادياني ويليهما الجماعة التبليغية	١٩٢
١٢ - المنقذ عن الضلال ويليه الجام العوام عن علم الكلام ويليهما تحفة الاريب ويليها نبذة من تفسير روح البيان	٢٥٦
١٣ - المنتخبات من المكتوبات للامام الرباني	٤٨٠
١٤ - مختصر (التحفة الاثنى عشرية)	٣٥٢
١٥ - الناهية عن طعن امير المؤمنين معاوية ويليه الذب عن الصحابة ويليهما الاساليب البديعة ويليها الحجج القطعية ورسالة رد روافض	٢٨٨
١٦ - خلاصة التحقيق في بيان حكم التقليد والتلفيق ويليه الحديقة الندية	٥١٢
١٧ - المنحة الوهبية في رد الوهابية ويليه اشد الجهاد ويليهما الرد على محمود الآلوسي ويليها كشف النور	١٩٢
١٨ - البصائر لمنكري التوسل باهل المقابر ويليه غوث العباد	٤١٦
١٩ - فتنة الوهابية والصواعق الالهية وسيف الجبار والرد على سيد قطب	٢٥٦
٢٠ - تطهير الفؤاد ويليه شفاء السقام	٢٥٦
٢١ - الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق ويليه ضياء الصدور ويليهما الرد على الوهابية	١٢٨

٢٢ – الحبل المتين في اتباع السلف الصالحين ويليه العقود الدرية ويليهما هداية الموفقين ١٣٦
٢٣ – خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام (من الجزء الثاني) ويليه ارشاد الحيارى
في تحذير المسلمين من مدارس النصارى ويليهما نبذة من الفتاوى الحديثية ٢٨٨
٢٤ – التوسل بالنبي وبالصالحين ويليه التوسل للشيخ محمد عبد القيوم القادري ٣٣٦
٢٥ – الدرر السنية في الرد على الوهابية ويليه نور اليقين في مبحث التلقين ٢٢٤
٢٦ – سبيل النجاة عن بدعة اهل الزيغ والضلالة ويليه كف الرعاع عن المحرمات
ويليهما الاعلام بقواطع الاسلام ٢٨٨
٢٧ – الانصاف ويليه عقد الجيد ويليهما مقياس القياس والمسائل المنتخبة ٢٤٠
٢٨ – المستند المعتمد بناء نجاة الابد ١٦٠
٢٩ – الاستاذ المودودي ويليه كشف الشبهة عن الجماعة التبليغية ١٤٤
٣٠ – كتاب الايمان (من رد المحتار) ٦٥٦
٣١ – الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الاول) ٣٥٢
٣٢ – الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الثاني) ٣٣٦
٣٣ – الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الثالث) ٣٨٤
٣٤ – الادلة القواطع على الزام العربية في التوابع ويليه فتاوى علماء الهند
على منع الخطبة بغير العربية ويليهما الحظر والاباحة من الدر المختار ١٢٠
٣٥ – البريقة شرح الطريقة (الجزء الاول) ٦٠٨
٣٦ – البريقة شرح الطريقة ويليه منهل الواردين في مسائل الحيض (الجزء الثاني) ٣٣٦
٣٧ – البهجة السنية في آداب الطريقة ويليه ارغام المريد ٢٥٦
٣٨ – السعادة الابدية في ما جاء به النقشبندية ويليه الحديقة الندية
في الطريقة النقشبندية ويليهما الرد على النصارى والرد على الوهابية ١٧٦
٣٩ – مفتاح الفلاح ويليه خطبة عيد الفطر ويليهما لزوم اتباع مذاهب الائمة ١٩٢
٤٠ – مفاتيح الجنان شرح شرعة الاسلام ٦٨٨
٤١ – الانوار المحمدية من المواهب اللدنية (الجزء الاول) ٤٤٨
٤٢ – حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين ويليه مسئلة التوسل ٢٨٨
٤٣ – اثبات النبوة ويليه الدولة المكية بالمادة الغيبية ١٢٨

٤٤ – النعمة الكبرى على العالم في مولد سيد ولد آدم ويليه نبذة من الفتاوى الحديثية ويليهما كتاب جواهر البحار ٣٢٠

٤٥ – تسهيل المنافع وبهامشه الطب النبوي ويليه شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ويليهما فوائد عثمانية ويليها خزينة المعارف ٦٢٤

٤٦ – الدولة العثمانية من كتاب الفتوحات الاسلامية ويليه المسلمون المعاصرون ٢٧٢

٤٧ – كتاب الصلاة ويليه مواقيت الصلاة ويليهما اهمية الحجاب الشرعي ١٦٠

٤٨ – الصرف والنحو العربي وعوامل والكافية لابن الحاجب ١٧٦

٤٩ – الصواعق المحرقة في الرد على اهل البدع والزندقة ويليه تطهير الجنان واللسان ٤٨٠

٥٠ – الحقائق الاسلامية في الرد على المزاعم الوهابية ١١٢

٥١ – نور الاسلام تأليف الشيخ عبد الكريم محمد المدرس البغدادي ١٩٢

٥٢ – الصراط المستقيم في رد النصارى ويليه السيف الصقيل ويليهما القول الثبت ويليها خلاصة الكلام للنبهاني ١٢٨

٥٣ – الرد الجميل في رد النصارى ويليه ايها الولد للغزالي ٢٢٤

٥٤ – طريق النجاة ويليه المكتوبات المنتخبة لمحمد معصوم الفاروقي ١٧٦

٥٥ – القول الفصل شرح الفقه الاكبر للامام الاعظم ابي حنيفة ٤٤٨

٥٦ – جالية الاكدار والسيف البتار (لمولانا خالد البغدادي) ٩٦

٥٧ – اعترافات الجاسوس الانكليزي ١٩٢

٥٨ – غاية التحقيق ونهاية التدقيق للشيخ السّندى ١١٢

٥٩ – المعلومات النافعة لأحمد جودت باشا ٥٢٨

٦٠ – مصباح الانام وجلاء الظلام فى رد شبه البدعى النجدى ويليه رسالة فيما يتعلق بادلة جواز التوسل بالنبى وزيارته صلّى الله عليه وسلّم ٢٢٤

٦١ – ابتغاء الوصول لحبّ الله بمدح الرسول ويليه البنيان المرصوص ٢٢٤

٦٢ – الإسلام وسائر الأديان ٣٣٦

٦٣ – مختصر تذكرة القرطبي للأستاذ عبد الوهاب الشعراني ويليه قرة العيون للسمرقندي ٣٥٢